هذا الجز الاول من تفسير انوار التنزيل واسرار التأويل تأليف الامام
المحققين وقدوة اجل المدققين * القاضى ناصر الدين ابو الخير عبدالله ابن
عمر ابن محمد الشيرازى البيضاوى هو قرية يقال لها البيضا من اعمال
شيراز توفى سنه احدى وتسعين وستمائه * بهامشه تفسير
الجلالين تأليف العلامة محمد بن احمد المحلى
رضى الله عنهم ونفعنا الله بهم آمين

﴿ شركت خيريهٔ صحافيهٔ ﴾

شركتمزك بدايت تشكلندبرو كتب ورسائل عربيه وتركيه غايت صحيح
واهون فيئاتله نشر اولنديغى كبى له الحمد اشبو بيك اوچيوز اوچ سنه سى دخى
(قاضى بيضاى) تصحيحنه اهتمام ايله طبعنه موفق اولنوب
برنجى شعبه سى حكا كرده (٤٥) وايكنجى شعبه سى ازميرده جبار اغانك
دكانده واوچنجى شعبه سى بروسه ده عبدالله افنديك
دكانده كرك ومصارفات نقليه سى ضم ايله
استانبول فيئاتنه صاتلقده در

(وسلانيكده استانبول چارشوسنده امين افنديك)
(دكانده دخى صاتلقده در)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا * فتحدى باقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجدبه قديرا * وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا * ثم بين للناس مانزل اليهم حسب ماعن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الباب تذكيرا * فكشف لهم قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب * واخر متشابهات هن رموز الخطاب * تأويلا وتفسيرا * وابرز غوامض الحقائق * ولطائف الدقائق * لينجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت * ليتفكروا فيها تفكيرا * ومهدلهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الآيات * والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا * فمن كان له قلب اوالقى السمع وهو شهيد فهو فى الدارين حميد وسعيد * ومن لم يرفع اليه رأسه واطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا * فيا واجب الوجود * ويافائض الجود * ويانغاية كل مقصود * صل عليه صلوة توازى غناءه * وتجازى عناءه وعلى من اعانه وقرر بنيانه تقريرا * وافض علينا من بركاتهم * واسلك بنا مسالك كراماتهم * وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا (وبعد) فان اعظم العلوم مقدارا * وارفعها شرفا ومنارا * علم التفسير الذى هو رئيس العلوم الدينية ورأسها * ومبنى قواعد الشرع واساسها *

﴿ لايليق ﴾

﴿ تفسير الجلالين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله حمدا موافيا لنعمه مكافئا لمزيده * والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وجنوده * هذا ما اشتدت اليه حاجة الراغبين * فى تكملة تفسير القرآن الكريم الذى الفه الامام العلامة المحقق جلال الدين * محمد بن احمد المحلى الشافعى رحمه الله وتتميم مافاته وهو من اول سورة البقرة الى آخر الاسراء بتتمة على نمطه من ذكر مايفهم به كلام الله تعالى والاعتماد على ارجح الاقوال واعراب مايحتاج اليه وتنبيه على القراآت المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل بذكر اقوال غير مرضية * واعاريب محلها كتب العربية * والله اسأل النفع به فى الدنيا واحسن الجزاء عليه فى العقبى بمنه وكرمه

لايليق لتعاطيه والتصدى للتكلم فيه * الا من برع فى العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها * وفاق فى الصناعات العربية * والفنون الادبية * بانواعها ولطال ما احدث نفسى ان اصنف فى هذا الفن كتابا يحتوى على صفوة مابلغنى من عظماء الصحابة وعلماء التابعين * ومن دونهم من السلف الصالحين * وينطوى على نكت بارعة * ولطائف رائعة * استنبطتها انا ومن قبلى من افاضل المتأخرين * واماثل المحققين * ويعرب عن وجوه القرا آت المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين * والشواذ المروية عن القرآء المعتبرين * الا ان قصور بضاعتى يثبطنى عن الاقدام * ويمنعنى عن الانتصاب فى هذا المقام * حتى سنح لى بعد الاستخارة ماصممت به عزمى على الشروع فيما اردته * والاتيان بما قصدته * ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التأويل فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقول * وهو الموفق لكل بخير ومعطى كل مسؤل (سورة فاتحة الكتاب) وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدأه فكانها اصله ومنشأه ولذلك تسمى اساسا اولانها تشتمل على مافيه من الثناء على الله سبحانه وتعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده اوعلى جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التى هى سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسوء الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلاة لوجوب قرائتها اواستحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه الصلاة والسلام * هى شفاء من كل داء * والسبع المثانى لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى فى الصلاة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح انها نزلت مكية لقوله تعالى * ولقد آتيناك سبعا من المثانى * وهو مكى بالنص

(بسم الله الرحمن الرحيم) من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراءة مكية والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك رحمه الله تعالى والشافعى وخالفهم قراء المدينة والبصره والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعى ولم ينص ابو حنيفة رحمه الله تعالى فيه بشئ فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال مابين الدفتين كلام الله تعالى ولنا احاديث كثيرة

(فاتحة الكتاب مكية سبع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الحمد لله) جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها من انه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق او مستحق لان يحمدوه والله علم على المعبود بحق (رب العالمين) اى مالك جميع الخلق من الانس والجن والملائكة والدواب وغيرهم وكل منها يطلق عليه عالم يقال عالم الانس وعالم الجن الى غير ذلك وغلب فى جمعه بالياء والنون اولو العلم على غيرهم وهو من العلامة لانه علامة على موجده (الرحمن الرحيم) اى ذى الرحمة وهى ارادة الخير لاهله (ملك يوم الدين) اى الجزاء وهو يوم القيامة وخص بالذكر لانه لاملك ظاهر فيه لاحد الا الله تعالى بدليل لمن الملك اليوم لله ومن قرأ مالك فمعناه مالك الامر كله فى يوم القيامة اوهو موصوف بذلك دائما كغافر الذنب فصح وقوعه صفة للمعرفة (اياك نعبد واياك نستعين) اى نخصك بالعبادة من توحيد وغيره ونطلب المعونة على العبادة

منها ماروى ابوهريره رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات اوليهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة رضى الله عنها قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلهما اختلف فى انها آية برأسها ام بما بعدها والاجماع على ان مابين الدفتين كلام الله سبحانه وتعالى والوفاق على اثباتها فى المصاحف مع المبالغة فى تجريد القرآن حتى لم تكتب آمين * والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لان الذى يتلوه مقرؤ وكذلك يضمر كل فاعل مايجعل التسمية مبدأله وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم مايطابقه ومايدل عليه اوابتدآئى لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما فى قوله * بسم الله مجراها * وقوله *اياك نعبد* لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل فى التعظيم واوفق للوجود فان اسمه سبحانه وتعالى مقدم على القراءة كيف لاوقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لايتم ولايعتد به شرعا مالم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام *كل امر ذى بال لايبدأ فيه ببسم الله فهوا بتر * وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله تعالى اقرأ وهذا ومابعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسئل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام لاضافة داخلة على المظهر تفصلة بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء التى حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأبها همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن و يشد له تصريفه على اسماء واسامى وسمى وسميت ومجئ سمى كهدى لغة فيه قال (والله اسماك سمى مباركا * آثرك الله به ايثاركا) والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعارله ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواووعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله وردبان الهمزة لم تعهد داخلة على ماحذف صدره فى كلامهم ومن لغاته سم وسم قال (بسم الذى فى كل سورة سمه) والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار

و غيرها (اهدنا الصراط المستقيم) اى ارشدنا اليه ويبدل منه (صراط الذين انعمت عليهم) بالهداية ويبدل من الذين بصلته (غير المغضوب عليهم) وهم اليهود (ولا) وغير (الضالين) وهم النصارى ونكتة البدل افادة ان المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم

﴿ سورة البقرة مدنية مائتان وست اوسبع وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) الله اعلم بمراده بذلك (ذلك) اى هذا (الكتاب) الذى يقرؤه محمد (لاريب) شك (فيه) انه من عند الله وجملة النفى خبر مبتدؤه ذلك والاشارة به للتعظيم (هدى) خبر ثان اى هاد (للمتقين) الصائرين الى التقوى بامتثال الاوامر واجتناب النواهى لاتقائهم بذلك النار (الذين

ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشئ فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى * تبارك اسم ربك * وسبح اسم ربك * المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما فى قول الشاعر (الى الحول ثم اسم السلام عليكما) وان اريد به الصفة كما هو رأى الشيخ ابى الحسن الاشعرى انقسم انقسام الصفة عنده الى ماهو نفس المسمى والى ماهو غيره والى ماليس هو ولاغيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك واستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ماهو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل ياالله بالقطع الا انه يختص بالمعبود بالحق والاله فى اصله لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير فى معرفته او من الهت الى فلان اى سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا اولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه فى الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة فى وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ولاها اذا احتجب وارتفع لانه سبحانه وتعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع عن كل شئ مما يليق به ويشهد له قول الشاعر (لخلقة من ابى رباح * يشهد هالاهه الكبار) وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لابد له من اسم تجرى عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قوله لااله الاالله توحيدا مثل لااله الاالرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف فى اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل فى غيره وصار له كالعلم مثل الثريا والصعق اجرى مجراه فى اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار

يؤمنون) يصدقون (بالغيب) بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار (ويقيمون الصلوة) اى يأتون بها بحقوقها (ومما رزقناهم) اعطيناهم (ينفقون) فى طاعة الله (والذين يؤمنون بما انزل اليك) اى القرآن (وما انزل (من قبلك) اى التوراة والانجيل وغيرهما (وبالآخرة هم يوقنون) يعلمون (اولئك) الموصوفون بما ذكر (على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) الفائزون بالجنة الناجون من النار (ان الذين كفروا) كأبى جهل وابى لهب ونحوهما (سواء عليهم أانذرتهم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا وتسهيلها وادخال الف بين المسهلة والاخرى وتركه (أم لم تنذرهم لا يؤمنون) لعلم الله منهم ذلك فلا تطمع فى ايمانهم والانذار اعلام مع تخويف (ختم الله على قلوبهم) طبع عليها واستوثق فلا يدخلها خير (وعلى سمعهم) اى مواضعه فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق (وعلى ابصارهم

امر آخر حقيقي اوغيره غير معقول للبشر فلايمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لودل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله سبحانه وتعالى * وهو الله في السموات * معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا افتتح ماقبله اوانضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلاة ولاينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر (الا لابارك الله في سهيل * اذا ما الله بارك في الرجال) والرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على مافيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع وكبار وكبار وذلك انما تؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يارحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يارحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لايوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لايصدق على غيره لان من عداه فهو مستفيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب اوجميل ثناء اويزيح رقة الجنسية اوحب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل انتفاع الى غير ذلك من خلقه لايقدر عليها احد غيره اولان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له اوللمحافظة على رؤس الآي والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله تعالى ان يكون له مؤنث على فعلى اوفعلانة الحاقا له بما هو الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور

غشاوة) غ... لايبصرون الحق ولهم عذاب عظيم) اى دائم * ونزل في المنافقين (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) اى يوم القيامة لانه آخر الايام (وماهم بمؤمنين) روعي فيه معنى من وفي ضمير يقول لفظها (يخادعون الله والذين آمنوا) باظهار خلاف ماابطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم احكامه الدنيوية (ومايخادعون الا انفسهم) لان وبال خداعهم راجع اليهم فيفتضحون في الدنيا باطلاع الله نبيه على ما ابطنوه ويعاقبون في الآخرة (ومايشعرون) يعلمون ان خداعهم لانفسهم والمخادعة هنا من واحد كعاقبت اللص وذكر الله فيها تحسين وفي قراءة ومايخدعون (في قلوبهم مرض) شك ونفاق فهو يمرض قلوبهم اى يضعفها (فزادهم الله مرضا) بما انزله من القرآن لكفرهم به (ولهم عذاب اليم) مؤلم (بما كانوا يكذبون) بالتشديد اى نبي الله وبالتخفيف اى

هو المعبود الحقيق الذى هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره (الحمدلله) الحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى من نعمة اوغيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولاتقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال (افادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا) فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد ومافى آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلاة والسلام * الحمد رأس الشكر ماشكر الله من لم يحمده * والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتدآء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التى تنصب بافعال مضمرة لاتكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى مايعرفه كل احدان الحمد ماهو اوللاستغراق اذ الحمد فى الحقيقة كله له اذما من خير الاوهو موليه بوسط اوبغيروسط كما قال * ومابكم من نعمة فمن الله * وفيه اشعار بانه تعالى حى قادر مريد عالم اذالحمد لايستحقه الا من كان هذا شأنه وقرئ الحمدلله باتباع الدال اللام و بالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معامنزلة كلمة واحدة (رب العالمين) الرب فى الاصل مصدر بمعنى التربية وهى تبليغ الشئ الى كماله شيأفشيأثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمى به المالك لانه يحفظ مايملكه ويربيه ولايطلق على غيره تعالى الامقيدا كقوله * ارجع الى ربك * والعالم اسم لما يعلم به الصانع وهو كل ماسواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ماتحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوى العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عنى به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما فى العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم

فى قولهم آمنا (واذاقيل لهم) اى لهؤلاء (لاتفسدوا فى الارض) بالكفر والتعويق عن الايمان (قالوا انما نحن مصلحون) وليس ما نحن فيه بفساد قال الله تعالى ردا عليهم (الا) للتنبيه (انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون) بذلك (واذاقيل لهم آمنوا كما آمن الناس) اصحاب النبى (قالوا انؤمن كما امن السفهاء) الجهال اى لانفعل كفعلهم قال تعالى ردا عليهم (الاانهم هم السفهاء ولكن لايعلمون) ذلك (واذا لقوا) اصله لقيوا حذفت الضمة للاستثقال ثم الياء لالتقائها ساكنة مع الواو (الذين آمنوا قالوا آمنا واذاخلو) منهم ورجعوا (الى شياطينهم) رؤسائهم (قالوا انامعكم) فى الدين (انما نحن مستهزؤن) بهم باظهار ايمان (الله يستهزئ بهم) يجازيهم باستهزائهم (ويمدهم) يمهلهم (فى طغيانهم) بتجاوزهم الحد بالكفر (يعمهون) يترددون تحيرا حال (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اى

بها الصانع كما يعلم بما ابدعه فى العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى * وفى انفسكم افلا تبصرون * وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء اوبالفعل الذى دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كلها هى مفتقرة الى الحدث حال حدوثها فهى مفتقرة الى المبقى حال بقائها (الرحمن الرحيم) كرره للتعليل على ماستذكره (مالك يوم الدين) قرأه عاصم والكسائى ويعقوب ويعضده قوله تعالى * يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله * وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله * لمن الملك اليوم * ولما فيه من التعظيم والملك هو التصرف فى الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهى فى المأمورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح اوالحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة (ولم يبق سوى العدوان * دناهم كما دانوا) اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم ياسارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة * ونادى اصحاب الجنة * اوله الملك فى هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لو قوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه اولتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجد للعالمين ربالهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لاحد احق به منه بل لايستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لايستأهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على مابعده فالوصف الاول لبيان ماهو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثانى والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية بسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لايقبل الشركة وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين

ستدلوها به فما ربحت تجارتهم) اى ماربحوا فيها بل خسروا المصير هم الى النار المؤبدة عليهم (وما كانوا مهتدين) فيما فعلوا (مثلهم) صفتهم فى نفاقهم (كمثل الذى استوقد) اوقد (نارا) فى ظلمة (فلما اضاءت) انارت (ماحوله) فأبصر واستد فأوأ من مما يخافه (ذهب الله بنورهم) اطفاه وجمع الضمير مراعاة لمعنى الذى (وتركهم فى ظلمات لايبصرون) ماحولهم متحيرين عن الطريق خائفين فكذلك هؤلاء آمنوا باظهار كلمة الايمان فاذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب هم (صم) عن الحق فلا يسمعونه سماع قبول (بكم)خرس عن الخير فلا يقولونه (عمى) عن طريق الهدى فلا يرونه (فهم لايرجعون) عن الضلالة (او)مثلهم (كصيب) اى كاصحاب مطر واصله صيوب من صاب يصوب اى ينزل (من السماء) السحاب (فيه) اى السحاب (ظلمات) متكاثفة (ورعد) هو الملك الموكل به وقيل صوته (وبرق)

اياك نعبد وايالك نستعين) ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات تعلق العلم بمعلوم معين فخوطب بذلك اى يامن هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وللترقى من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ماهو مبادى حال العارف من الذكر والفكر والتأمل فى اسمائه والنظر فى آلائه والاستدلال بصنايعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهرة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن فى الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فتعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى * حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم * وقوله والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه * وقول امرئ القيس * تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى ولم ترقد * وبات وباتت له ليلة * كليلة ذى العائر الارمد * وذلك من نباء جاءنى * وخبرته عن ابى الاسود * وايا ضمير منصوب منفصل ومايلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لامحل لها من الاعراب كالتاء فى انت والكاف فى ارايتك وقال الخليل اياما مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياالشواب وهو شاذ لايعتمد عليه وقيل هى الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا التى تستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اى مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان فى غاية الصفاقة ولذلك لايستعمل الا فى الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهى اما ضرورية اوغير ضرورية والضرورية مالا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل مايتسر به الفعل ويسهل كالراحلة فى السفر للقادر على المشى اويقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لايتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة فى المهمات

لمعان سوطه الذى يزجره به (يجعلون) اى اصحاب المصيب (اصابعهم) اى انامله (فى آذانهم من) اجل (الصواعق) شدة صوت الرعد لئلا يسمعوها (حذر) خوف (الموت) من سماعها كذلك هؤلاء اذا انزل القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات والوعيد عليه المشبه بالرعد والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون آذانهم لئلا يسمعوه فيميلوا الى الايمان وترك دينهم وهو عندهم موت (والله محيط بالكافرين) علما وقدرة فلا يفوتونه (يكاد) يقرب (البرق يخطف ابصارهم) يأخذها بسرعة (كلما اضاء لهم مشوا فيه) اى فى ضوئه (واذا اظلم عليهم قاموا) وقفوا تمثيل لازعاج ما القرآن من الحجج قلوبهم وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون ووقوفهم عما يكرهون (ولو شاء الله لذهب بسمعهم) بمعنى اسماعهم (وابصارهم) الظاهرة كما ذهب بالباطنة (ان الله على كل شئ) شاءة (قدير) ومنه

اذهاب ماذكر (يأيها الناس) اى اهل مكة (اعبدوا) وحدوا (ربكم الذى خلقكم) انشأكم ولم تكونوا شيأ (و) خلق (الذين من قبلكم لعلكم تتقون) بعبادته عقابه ولعل فى الاصل للترجى وفى كلامه تعالى للتحقيق (الذى جعل) خلق (لكم الارض فراشا) حال بساطا يفترش لانهاية فى الصلابة او الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها (والسماء بناء) سقفا (وانزل من السماء ماء فأخرج به من) انواع (الثمرات رزقا لكم) تأكلونه وتعلقون به دوابكم (فلا تجعلوا لله اندادا) شركاء فى العبادة (وانتم تعلمون) انه الخالق ولا يخلقون ولا يكون الها الا من يخلق (وان كنتم فى ريب) شك (مما نزلنا على عبدنا) محمد من القرآن انه من عند الله (فأتوا بسورة من مثله) اى المنزل ومن للبيان أى هى مثله فى البلاغة وحسن النظم والاخبار عن الغيب والسورة قطعة لها اول وآخرا قلها ثلاث آيات (وادعوا شهداءكم) آلهتكم

كلها او فى اداء العبادات والضمير المستكن فى الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضرى صلاة الجماعة اوله ولسائر الموحدين ادرج عبادته فى تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ماهو مقدم فى الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغى ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العباد لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة ثنيه بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها لها الا من حيث انها ملاحظة له وملتسبة اليه ولذلك فضل ماحكى الله عن حبيبه حيث قال *لا تحزن ان الله معنا *على ماحكاه عن كليمه حيث قال *ان معى ربى سيهدين * وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآى ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك بتحجبا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله *واياك نستعين * ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهى لغة بنى تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم مابعدها (اهدنا الصراط المستقيم) بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا وافراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل فى الخير وقوله تعالى * فاهدوهم الى صراط الجحيم * وارد على التهكم ومنه الهدية وهو ادى الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار فى قوله تعالى * واختار موسى قومه * وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد كما قال تعالى * وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها * ولكنها تحصر فى اجناس مترتبة * الاول افادة القوى التى بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة * والثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار

حيث قال * وهديناه النجدين * وقال * فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى * والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله * وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا * وقوله * ان هذا القرأن يهدى للتى هى اقوم * والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هى بالوحى اوالالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله * اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده * وقوله * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا * فالمطلوب اما زيادة ماممنحوه من الهدى اوالثبات عليه اوحصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف بالله الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواى ابداننا لنستضئ بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة ولذلك سمى لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء فى الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاى ليكون اقرب الى المبدل منه وقرأ ابن كثير برواية قنبل عنه وروبس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت فى الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق فى التذكير والتأنيث والمستقيم المستوى والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام (صراط الذين انعمت عليهم) بدل من الاول بدل الكل وهو فى حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذى لاخفاء فيه ان الطريق المستقيم مايكون طريق المؤمنين وقيل * الذين انعمت عليهم * الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهى فى الاصل الحالة التى يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهى اللين ونعم الله وان كانت لاتحصى كما قال ﴿ وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها * تنحصر فى جنسين دنيوى واخروى والاول قسمان موهبى وكسبى والموهبى قسمان روحانى كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل ومايتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسمانى كتخليق البدن والقوى الحالة

التى تعبدونها (من دون الله) اى غيره لتعينكم (ان كنتم صادقين) فى ان محمدا قاله من عندنفسه فافعلوا ذلك فانكم عربيون فصحاء مثله ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى (فان لم تفعلوا) ماذكر لعجزكم (ولن تفعلوا) ذلك ابدا لظهور اعجازه اعتراض (فاتقوا) بالايمان بالله وانه ليس من كلام البشر (النار التى وقودها الناس) الكفار (والحجارة) كأصنامهم منها يعنى انها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لاكنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه (اعدت) هيئت (للكافرين) يعذبون بها جملة مستأنفة اوحال لازمة (وبشر) اخبر (الذين آمنوا) صدقوا بالله (وعملوا الصالحات) من الفروض والنوافل (ان) اى بان (لهم جنات) حدائق ذات شجر ومساكن (تجرى من تحتها) اى تحت اشجارها وقصورها (الانهار) اى المياه فيها والنهر الموضع الذى يجرى فيه الماء لان الماء ينهره اى يحفره واسناد الجرى

فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبى تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثانى ان يغفر مافرط منه ويرضى عنه ويبوأه فى اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ماعدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال اوصفة له مبينة اومقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحدتأويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذلم يقصد به معهود كالحلى فى قوله (ولقد امر على اللئيم يسبنى) وقولهم انى لامر على الرجل مثلك فيكرمنى اوجعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ماله ضد واحد وهو المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت اوباضمار اعنى اوبالاستثناء ان فسر النعم بمايعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على مامر وعليهم فى محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولامزيدة لتأكيد ما فى غير من معنى النفى فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب . كما جاز انا زيد الا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن طريق السوى عمدا اوخطأ وله عرض عريض والتفاوت مابين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم * من لعنه الله وغضب عليه * والضالين النصارى لقوله تعالى * قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا * وقد روى مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعامله والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى فى القاتل عمدا * وغضب الله عليه * والمحل بالعلم جاهل ضال لقوله * فاذا بعد الحق الا الضلال * وقرئ ولا الضالين بالهمزة على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين (آمين) اسم للفعل الذى هو استجب وعن ابن عباس

اليه مجاز (كلما رزقوا منها) اطعموا من تلك الجنات (من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى) اى مثل ما (رزقنا من قبل) اى قبله فى الجنة لتشابه ثمارها بقربة (متشابها) يشبه بعضه بالرزق (متشابها) يشبه بعضه بعضا لونا ويختلف طعما (ولهم فيها ازواج) من الحور وغيرها (مطهرة) من الحيض وكل قذر (وهم فيها خالدون) ماكثون ابدا لايفنون ولا يخرجون * ونزل رد القول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب فى قوله وان يسلبهم الذباب شيأ والعنكبوت فى قوله كمثل العنكبوت ما اراد الله بذكر هذه الاشياء الخسيسة (ان الله لا يستحيى ان يضرب) يجعل (مثلا) مفعول اول (ما) نكرة موصوفة بمابعدها مفعول ثان اى اى مثل كان اوزائدة لتأكيد الخسة فابعدها المفعول الثانى (بعوضة) مفرد البعوض وهو صغار البق (فما فوقها) اى اكبر منها اى لايترك بيانه لما فيه من الحكم (فأما الذين آمنوا فيعلمون

قال سألت رسول الله صلى عليه وسلم عن معنـاه فقال افعل بنى على الفتح كأين لالتقـاء السـاكنين وجاء مدالفه وقصرها قال * ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال امين فزاد الله ما بيننا بعـدا * وليس من القرأن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه الصلاة والسلام علمنى جبرائيل آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفى معناه قول على رضى الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به فى الجهر ية لماروى عن وآئل بن حجر انه عليه الصلاة والسـلام كان اذا قرأ والاالضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابى حنيفة رضى الله عنه انه قال لايقوله والمشهور عنـه انه يخفيه كارواه عبدالله بن مغفل وانس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه الصلاة والسلام * اذاقال الامام ولا الضالين فقولو آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفرله ماتقدم من ذنبه *وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى الااخبرك بسورة لم ينزل فى التوراة والانجيل والقران مثلها قلت بلى يارسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثانى والقران العظيم الذى اوتيته وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذاتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الااعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبى صلى الله عليه وسـلم قال * ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العـالمين فيسمع الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

(سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) وسائر الالفـاظ المتهجى بها اسمـاء مسمياتها الحروف التى ركبت منهـا الكلم لدخولهـا فى حد الاسم واعتوار مايخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو على وماروى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لااقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمرادبه غير المعنى الذى اصطلح عليه

انه)اى المثل (الحق) الثابت الواقع موقعه (من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا آراد الله بهذا مثلا) تمييز اى بهذا المثل وما استفهـام انكار مبتدأ وذا بمعنى الذى بصلته خبره اى اى فائدة فيه قال تعالى فى جوابهم (يضل به) اى بهذا المثل (كثيرا) عن الحق لكفرهم به (ويهدى به كثيرا) من المؤمنـين لتصديقهم به (ومايضل به الا الفاسقين) الخارجين عن طاعته (الذين) نعت (ينقضون عهد الله) ماعهده اليهم فى الكتب من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (من بعد ميثـاقه) توكيده عليهم (ويقطعون ما امر الله به ان يوصل) من الايمـان بالنبى والرحم وغيرذلك وان بدل من ضمير به (ويفسدون فى الارض)بالمعاصى والتعويق عن الايمـان (اولئك) الموصوفون بما ذكر (هم الخاسرون) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (كيف تكفرون) ياهل مكة (بالله و) قد (كنتم امواتا) نطفا فى الاصلاب (فأحياكم)

فان تخصيص الحرف به عرف مجدد بل المعنى اللغوى ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهى مركبة صدرت بها ليكون تأديتها بالمسمى اول مايقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهى مالم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذا لم تناسب مبنى الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام و بسائطه التى يتركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرأن وتنبيها على ان اصل المتلو عليهم كلام منظوم مماينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غيرالله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول مايقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامى الذى لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى فى ذلك مايعجزعنه الاديب الاريب الفائق فى فنه وهوانه اورد فى هذه الفواتح اربعة عشر اسما هى نصف اسامى حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف حرفا برأسه فى تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف الاصليه مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهى مايضعف الاعتماد على مخرجه و يجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقى المجهور نصفا تجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة فى اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقى الرخوة عشرة يجمعها حس على نصره ومن المطبقة التى هى الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقى المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهى حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قدطبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهى التى يتصعد الصوت بها فى الحنك الاعلى وهى سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقى المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهى احد عشر على ماذكره سيبويه واختاره ابن جنى و يجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التى يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهى اللام فى اصيلال

فى الارحام الدنيا بنفخ الروح فيكم والاستفهام للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان اوللتوبيخ (ثم يميتكم) عند انتهاء اجالكم (ثم يحييكم) بالبعث (ثم اليه ترجعون) تردون بعد البعث فيجازيكم باعمالكم * وقال دليلا على البعث لما انكروه (هو الذى خلق لكم مافى الارض) اى الارض ومافيها (جميعا) لتنتفعوا به وتعتبروا (ثم استوى) بعد خلق الارض اى قصد (الى السماء فسواهن) الضمير يرجع الى السماء لانها فى معنى الجمع الآية اليه اى صيرها كما فى آية اخرى فقضاهن (سبع سموات وهو بكل شئ عليم) مجملا ومفصلا افلا تعتبرون ان القادر على خلق ذلك ابتداء وهو اعظم منكم قادر على اعادتكم (و) اذكر يامحمد (اذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة) يخلفنى فى تنفيذ احكامى فيها وهو آدم (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) بالمعاصى (و يسفك الدماء) يريقها بالقتل كما فعل بنو الجان وكانوا فيها فلما افسدوا ارسل الله

والصاد والزاى فى صراط وزراط والفاء فى جدف والعين فى اعن والثاء فى ثروغ الدلو والباء فى باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم فى مثله ولا يدغم فى المقارب وهى خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاى والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهى الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما فى الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التى لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهى الميم والزاى والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التى يعتمد عليها بذلق اللسان وهى ستة يجمعها رب منفل والحلقية التى هى الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع فى الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التى تجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلمتهم التى اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات فى ثلاث سور لانها توجد فى الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون فى الحرف بلا حذف كبل وفى الفعل بحذف كقل وفى الاسم بغير حذف كمن وبه كدم فى تسع سور لوقوعها فى كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففى الاسماء من واذ وذو وفى الافعال قل وبع وخف وفى الحروف ان ومن ومذ على لغة من جربها وثلاث ثلاثيات لمجيئها فى الاقسام الثلاثة فى ثلاث عشرة سوره تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها فى اول القرآن لهذه الفائدة مع مافيه من اعادة التحدى وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا التحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هى اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله تعالى

عليهم الملائكة فطر دوهم الى الجزائر والجبال (ونحن نسبح) متلبسين (بحمدك) اى نقول سبحان الله وبحمده (ونقدس لك) ننزهك عما لا يليق بك فاللام زائدة والجملة حال اى فنحن احق بالاستخلاف (قال) تعالى (انى اعلم مالا تعلمون) من المصلحة فى استخلاف آدم وان ذريته فيهم المطيع والعاصى فيظهر العدل بينهم فقالوا لن يخلق ربنا خلقا اكرم عليه منا ولا اعلم لسبقناله ورؤيتنا مالم يره فخلق تعالى آدم من اديم الارض اى وجهها بأن قبض منها قبضة من جميع الوانها وعجنت بالمياه المختلفة وسواه ونفخ فيه الروح فصار حيوانا حساسا بعد ان كان جمادا (وعلم آدم الاسماء) اى اسماء المسميات (كلها) حتى القصعة والقصيعة والفسوة والفسية والمعرفة بان التى فى قلبه علمها (ثم عرضهم) اى المسميات وفيه تغليب العقلاء (على الملائكة فقال) لهم تبكيتا (انبئونى) اخبرونى (باسماء هؤلاء المسميات (ان كنتم صادقين) فى انى

لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجى مع العربى ولم يكن القرأن باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدى به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التى هى مستهلها على انها القابها اوغير ذلك والثانى باطل لانه اما ان يكون المراد ماوضعت له فى لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك اوغيره وهو باطل لان القرأن نزل على لغتهم لقوله تعالى * بلسان عربى مبين * فلا يحمل على ماليس فى لغتهم لايقال لم لايجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر كما قاله فطرب اواشارة الى كلمات هى منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر فى قوله * قلت لها قفى فقالت لى قاف * كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الروحمن وعنه ان الم معناه انا اى اعلم ونحو ذلك فى سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اى القران منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام اوالى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قال ابو العالية متمسكا بما روى انه عليه الصلاة والسلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل فى دين مدته احدى وسبعون سنه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندرى بايها نأخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس اودالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ماليس فى لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستكره عندهم ويؤدى الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعى تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم يتأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف تلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السورة ولا يقتضى ذلك ان لا يكون لها معنى فى حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة فى لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على

لااخلق اعلم منكم اوانكم احق بالخلافة وجواب الشرط دل عليه ماقبله (قالوا سبحانك) تنزيها لك عن الاعراض عليك (لاعلم لنا الا ماعلمتنا) اياه (انك انت) تأكيد للكاف (العليم الحكيم) الذى لايخرج شئ عن علمه وحكمته (قال) تعالى (ياآدم انبئهم) اى الملائكة (بأسمائهم) اى المسميات فسمى كل شئ باسمه وذكر حكمته التى خلق لها (فلما انبأهم بأسمائهم قال) تعالى لهم موبخا (الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض) ماغاب فيهما (واعلم ماتبدون) تظهرون من قولكم اتجعل فيها الخ (وما كنتم تكتمون) تسرون من قولكم لن يخلق اكرم عليه منا ولا اعلم (و) اذكر (اذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية بالانحناء (فسجدوا الا ابليس) هو ابو الجن كان بين الملائكة (ابى) امتنع من السجود (واستكبر) عنه وقال انا خير منه (وكان من الكافرين) فى علم الله (وقلنا ياآدم اسكن انت) تأكيد للضمير المستتر ليعطف عليه (وزوجك) حواء بالمدوكان

ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادى الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الاترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لاتفسير وتخصيص بهذه المعانى دون غيرها اذلامخصص لفظا ومعنى لاحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لادليل فيه لجواز انه عليه السلام تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لادليل عليها والتسمية بثلاثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم المسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور لاختلاف الجهتين والوجه الاول قرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك فى الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ماهو مقصود بالعلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا كرم الله وجه كان يقول يا كهيعص ياحمعسق ولعله اراد يامنزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو اوسطها والميم من الشفة وهو آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغى ان اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثر الله بعلمه وقد روى عن الخلفاء الاربعة وعن غيرهم من الصحابة مايقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بمالايفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كم فانها كهابيل والحكاية ليست الافيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان حيز الرفع بالابتداء او الخبر على مامر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين فى الله لافعلن وتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة

خلقتها من ضلعه الايسر (الجنة وكلا منها) اكلا (رغدا) واسعا لاحجر فيه (حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة) بالاكل منها وهى الحنطة او الكرم او غيرهما (فتكونا) فتصيرا (من الظالمين) العاصين (فأزالهما الشيطان) ابليس أذهبهما وفى قراءة فأزالهما نا هما (عنها) اى الجنة بأن قال لهما هل ادلكما على شجرة الخلد وقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فأكلا منها (فأخرجهما مما كانا فيه) من النعيم (وقلنا اهبطوا) الى الارض اى انتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما (بعضكم) بعض الذرية (لبعض عدو) من ظلم بعضهم بعضا (ولكم فى الارض مستقر) موضع قرار (ومتاع) ماتتمتعون به من نباتها (الى حين) وقت انقضاء آجالكم (فتلقى آدم من ربه كلمات) الهمه اياها وفى قراءة بنصب آدم ورفع كلمات اى جاءه وهى ربنا ظلمنا انفسنا الآية فدعا بها (فتاب عليه) قبل توبته (انه هو التواب) على عباده (والرحيم) بهم

(قلنا اهبطوا منها) من الجنة (جميعا) كرره ليعطف عليه (فاما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما الزائدة (يأتينكم منى هدى) كتاب ورسول (فمن تبع هداى) فآمن بى وعمل بطاعتى (فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) فى الآخرة بأن يدخلوا الجنة (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) كتبنا (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) ماكثون ابدا لايفنون ولايخرجون (يابنى اسرائيل) اولاد يعقوب (اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) اى على آبائكم من الانجاء من فرعون وفلق البحر وتظليل الغمام وغير ذلك بأن تشكروها بطاعتى (واوفوا بعهدى) الذى عهدته اليكم من الايمان بمحمد (اوف بعهدكم) الذى عهدت اليكم من الثواب عليه بدخول الجنة (وايى فارهبون) خافون فى ترك الوفاء به دون غيرى (وآمنوا بما انزلت) من القران (مصدقا لما معكم) من التوراة بموافقته له فى التوحيد والنبوة (ولاتكونوا اول كافر به) من اهل الكتاب

والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لاتحتاج الى ما بعدها وليس شئ منها آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم فى مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم وطس ويس وحم آية وحمعسق ايتان والبواقى ليست بايات وهذا توقيف لامجال للقياس فيه (ذلك الكتاب) ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران فانه لما تكلم به وتقصى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار به الى البعد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذى هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بنحو قوله تعالى ﴿ انا سنلقى عليك قولا ثقيلا * او فى الكتب المتقدمة وهو مصدر سمى به المفعول للمبالغة وقيل فعال بنى للمفعول كاللباس ثم عبر به عن المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة (لاريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لايرتاب العاقل بعد النظر الصحيح فى كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لان احدا لايرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى ﴿ وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ﴾ الآية فانه ما ابعد الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا فى معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولامدخل للريبة وقيل معناه لاريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفى والريب فى الاصل مصدر رابنى الشئ اذا حصل فيك الريبة وهم قلق النفس واضطرابها سمى به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفى الحديث * دع ما يريبك الى مالا يريبك * فان الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه (هدى للمتقين) يهديهم الى الحق والهدى فى الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة فى قوله تعالى * انك لعلى هدى او فى ضلال مبين * ولانه لايقال مهدى الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال تعالى * هدى للناس اولانه لاينتفع بالتأمل فيه الا من صقل العقل استعماله فى تدبر الآيات والدلائل والنظر فى المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لايجلب نفعا

مالم تكن الصحة حاصلة وعلى وهذا قوله تعالى *تنزيل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمومنين ولايزيد الظالمين الاخسارا * ولايقدح مافيه من المجمل والمتشابه فى كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعيين المراد منه والمتقى اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهوفى عرف الشرع اسم لمن يقى نفسه ممايضره فى الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى * والزمهم كلمة التقوى *والثانية التجنب عن كل مايؤثم من فعل اوترك حتى الصغائر عندقوم وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع والمعنى بقوله تعالى *ولوان اهل القرى آمنو واتقوا *والثالثة ان يتنزه عمايشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشر اشره وهو التقوى الحقيق المطلوب بقوله ❊ اتقوا الله حق تقاته ❊ وقدفسر قوله هدى للمتقين ههنا على الاوجه الثلاثة واعلم ان الآية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القران اوالسورة اومقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لايحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل فى تأليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا اوبدلا والكتاب صفته وريب فى المشهورة مبنى لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لاالنافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفى قراءة ابى شعثاء مرفوع بلا التى بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم فى قوله تعالى ❊ فيهاغول ❊ لانه لم يقصد تخصيص نفى الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة اوصفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال اوالخبر محذوف كما فى لاضير ولذلك وقف على ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لاريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذى يستأهل ان يسمى كتابا اوصفته وما بعده خبره والجملة خبر الم اويكون الم خبر مبتدأ محذوف والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس مايركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدى ولاريب فيه جملة ثالثة تشهد على كماله بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال

لان خلفكم تبع لكم فاتهم عليكم (ولاتشتروا) تستبدلوا (بآياتى) التى فى كتابكم من نعت محمد (ثمناقليلا) عوضا يسيرا من الدنيا اى لاتكتموها خوف فوات مانأخذونه من سفلتكم (وايای فاتقون) خافون فى ذلك دون غيرى (ولاتلبسوا) تخلطوا (الحق) الذى انزل عليكم (بالباطل) الذى تفترونه (و) لا (تكتموا الحق) نعت محمد (وانتم تعلمون) انه حق (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) صلوا مع المصلين محمد واصحابه ❊ ونزل فى علمائهم وكانوا يقولون لاقربائهم المسلمين اثبتوا على دين محمد فانه حق (اتأمرون الناس بالبر) بالايمان بمحمد (وتنسون) انفسكم) تتركونها فلاتأمرونها به (وانتم تتلون الكتاب) التوراة وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل (افلا تعقلون) سوء فعلكم فترجعون فجملة النسيان محل الاستفهام الانكارى (واستعينوا) اطلبوا المعونة على اموركم (بالصبر) الحبس للنفس على ماتكره

ثم سجل على كماله بنفي الريب عنه انه لاكمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ جملة رابعة تؤكد كونه حقا لايحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين اوتستتبع كل واحدة منها ماتليها استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لايتشبث الريب باطرافه اذلا انقص مما يعتريه الشك اوالشبهة وماكان كذلك كان لامحالة هدى للمتقين وفي كل واحده منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تأخير الظرف حذرا من ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجاز اوتفخيما لشأنه (الذين يؤمنون بالغيب) اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك مالاينبغي مرتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل اوموضحة ان فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ماهو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الاترى الى قوله تعالى* ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر* وقوله عليه الصلاة والسلام* الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام* اومادحة بما تضمنه المتقون وتخصيص الايمان بالغيب واقامة الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر اظهار لفضلها على سائر مايدخل تحت اسم التقوى اوعلى انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني اوهم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق مأخوذ من الامن كان المصدق آمن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق بالشئ صار ذا من منه ومنه ماآمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء اومجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين

(والصلاة) افردها بالذكر تعظيما لشأنها وفي الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر بادر الى الصلاة وقيل الخطاب لليهود لما عاقهم عن الايمان الشره وحب الرياسة فأمروا بالصبر وهو الصوم لانه يكسر الشهوة والصلاة لانها تورث الخشوع وتنفي الكبر (انها) اى الصلاة (لكبيرة) ثقيلة (الا على الخاشعين) الساكنين الى الطاعة (الذين يظنون) يوقنون (انهم ملاقوربهم) بالبعث (وانهم اليه راجعون) في الآخرة فيجازيهم (يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم) بالشكر عليها بطاعتي (وانى فضلتكم اى آباءكم (على العالمين) عالمي زمانهم (واتقوا) خافوا (يوما لاتجزى) فيه (نفس عن نفس شيأ) هو يوم القيامة (ولاتقبل) بالتاء والياء (منها شفاعة) اى ليس لها شفاعة فتقبل فالنا من شافعين (ويؤخذ منها عدل) فداء (ولاهم ينصرون يمنعون من عذاب الله (و) اذكروا (اذ نجيناكم) اى آباءكم والخطاب به وبما

والمعتزلة والحوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالفعل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل فى الكفر عند المعتزلة والذى يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه وتعالى اضاف الايمان الى القلب فقال * اولئك كتب فى قلوبهم الايمان * وقلبه مطمئن بالايمان * ولم تؤمن قلوبهم * ولما يدخل الايمان فى قلوبكم * وعطف عليه العمل الصالح فى مواضع لاتحصى وقرنه بالمعاصى فقال تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * ياايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى * الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم * مع مافيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين ارادة فى الآية اذا المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف فى ان مجرد التصديق بالقلب هو كاف لانه المقصود ام لابد من اقتران الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثانى لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لالعدم الاقرار للمتمكن منه والغيب مصدر وصف للمبالغة كالشهادة فى قوله تعالى * عالم الغيب والشهادة * والعرب تسمى المطمأن من الارض غيبا والخمصة التى تلى الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفى الذى لايدركه الحس ولايقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لادليل عليه وهو المعنى بقوله تعالى * وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو * وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به فى هذه الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لاكالمنافقين الذين * اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون * اوعن المؤمن به لما روى ان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال والذى لااله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لاكمن يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثانى للمصاحبة وعلى الثالث للآلة (ويقيمون الصلوة) اى يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ فى افعالها من اقام العود اذا قومه اويواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت اواقمتها اذا جعلتها نافقة قال

بعده للموجودين فى زمن نبينا العم على آبائهم تذكيرا لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا (من آل فرعون يسومونكم) يذيقونكم (سوء العذاب) اشده والجملة حال من ضمير نجيناكم (يذبحون) بيان لما قبله (ابناءكم) المولودين (ويستحيون) يستبقون (نساءكم) لقول بعض الكهنة له ان مولودا يولد فى بنى اسرائيل يكون سبب الذهاب ملكك (وفى ذلكم) العذاب او الانجاء (بلاء) ابتلاء او انعام (من ربكم عظيم) اذكروا (اذ فرقنا) فلقنا (بكم) بسببكم (البحر) حتى دخلتموه هاربين من عدوكم (فانجيناكم من الغرق) واغرقنا آل فرعون) قومه معه (وانتم تنظرون) الى انطباق البحر عليهم (واذ وعدنا) بألف ودونها (موسى اربعين ليلة) نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها (ثم اتخذتم العجل) الذى صاغه لكم السامرى الها (من بعده) اى بعد ذهابه الى ميعادنا (وانتم ظالمون)

باتخاذ لرضعكم العبادة فى غير محلها (ثم عفونا عنكم) محونا ذونو بكم (من بعد ذلك) الاتخاذ (لعلكم تشكرون (نعمتنا عليكم) واذ آتينا موسى (الكتاب) التوراة (والفرقان) عطف تفسير اى الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام (لعلكم تهتدون) به من الضلال (واذ قال موسى لقومه) الذين عبدوا العجل (ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل) الها (فتوبوا الى بارئكم) خالقكم من عبادته (فاقتلوا أنفسكم) اى ليقتل البرئ منكم المجرم (ذلكم) القتل (خير لكم عند بارئكم) فوفقكم لفعل ذلك وارسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضكم بعضا فيرحمه حتى قتل منكم نحو سبعين الفا (فتاب عليكم) قبل توبتكم (انه هو التواب الرحيم واذ قلتم) وقد خرجتم مع موسى لتعتدوا الى الله من عبادة العجل وسمعتم كلامه (ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله

شعر (اقامت غزالة سوق الضراب * لاهل العراقين حولا قيطا)
فانه اذا احوفظ عليها كانت كالنافق الذى يرغب فيه واذا ضيعت كانت كان لكاسد المرغوب عنه اويتثمرون لادآئها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جدفيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد اويؤ دونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرآئض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون * الذين هم عن صلاتهم ساهون * ولذلك ذكر فى سياق المدح والمقيمون الصلاة وفى معرض الذم * فويل للمصلين * والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمى الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعله فى ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ فى المعنى الثانى مع عدم اشتهاره فى الاول لايقدح فى نقله عنه وانما سمى الداعى مصليا تشبيها له فى تخشعه بالراكع والساجد (ومما رزقناهم ينفقون) الرزق فى اللغة الحظ قال تعالى * وتجعلون رزقكم انكم تكذبون * والعرف خصصه بتخصيص الشئ بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالوا على الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الاترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق الحرام لايوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض مارزقهم الله تعالى بقوله * قل ارأيتم ماانزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا * واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم مالم يحرم واختصاص مارزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث عمرو بن قرة * لقد رزقك الله طيبا فاخترت ماحرم الله عليه من رزقه مكان مااحل الله لك من حلاله * وبانه لولم يكن رزقا لم يكن المتغذى به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى * ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها * وانفق الشئ وانفذه اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل مافاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من انفاق

مارزقهم الله صرف المال فى سبيل الخير من القرض والنفل ومن فسره بالزكاة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة على رؤس الآى وادخال من التبعضية عليه لمنع المكلف عن الاسراف المنهى عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التى آتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام ❊ ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه ❊ واليه ذهب من قال ومما خصصنا هم به من انوار المعرفة يفيضون (والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك) هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبدالله بن سلام رضى الله تعالى عنه واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم فى جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذا المراد باولئك الذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما او على المتقين وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط فى قوله « الى الملك القرم وابن الهمام ❊ وليث الكتيبة فى المزدحم » وقوله « يالهف زيابة للحارث ❊ الصابح فالغانم فالآيب » على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدرك العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلتين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشئ من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعانى بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به فيبلغه الى الرسول والمراد بما انزل اليك القران باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضى وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على مالم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى ❊ انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ❊ فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك التوراة والانجيل وسائر الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثانى تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه

جهرة) عيانا (فأخذتكم الصاعقة) الصيحة فقم (وانتم تنظرون ماحل بكم (ثم بعثناكم) احييناكم (من بعد موتكم لعلكم تشكرون) نعمتنا بذلك (وظللنا عليكم الغمام) سترناكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس فى التيه (وانزلنا عليكم) فيه (المن والسلوى) هما الترنجبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر وقلنا (كلوا من طيبات مارزقناكم) ولا تدخروا فكفروا النعمة وادخروا فقطع عنهم (وماظلمونا) بذلك (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) لان وباله عليهم (واذ قلنا) لهم بعد خروجهم من التيه (ادخلوا هذه القرية) بيت المقدس او اريحا (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) واسعا لا بجرفيه (وادخلوا الباب) اى بابها (سجدا) منحنين (وقولوا) مسئلتنا (حطة) اى ان تحط عنا خطايانا (نغفر) وفى قراءة بالياء والتاء مبنيا للمفعول فيهما (لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين) بالطاعة ثوابا (فبدل الذين ظلموا)

على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش (وبالاخرة هم يوقنون) اى يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا اونصارى وان النار* لن تمسهم الا ايا ما معدودة* واختلافهم فى نعيم الجنة أهو من جنس نعيم الدنيا اوغيره وفى دوامه وانقطاعه وفى تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض لمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم فى امر الاخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفى الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم البارى تعالى ولا العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى *تلك الدار الآخرة * فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يوقنون بقلب الواو همزة لضم ماقبلها اجراء لها مجرى المضمومة فى وجوه ووقتت ونظيره «لحب المؤقدان الى مؤسى *وجعدة اذا اضاءهما الوقود (اولئك على هدى من ربهم) الجملة فى محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبره فكأنه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآيات والا فاستئناف لا محل لها فكأنه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستأنف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه فان ترتيب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء فى على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشئ وركبه وقد صرحوا به فى قولهم « امتطى الجهل وغوى * واقتعد غارب الهوى » وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس فى العمل وتكرير هدى للتعظيم فكأنه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يتبادر قدره ونظيره قول الهذلى

« فلا وابى المطير المربة بالضحى * على خالد لقد وقعت على لحم »

وأكد تعظيمه بان الله تعالى مانحه والموفق له وقد ادغمت النون فى الرآء بغنة وبغير غنة (واولئك هم المفلحون) كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضى كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما

منهم (قولا غير الذى قيل لهم) فقالوا حبة فى شعرة ودخلوا يزحفون على استاههم (فأنزلنا على الذين ظلموا) فيه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة فى تقبيح شأنهم (رجزا) عذابا طاعونا (من السماء بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم اى خروجهم عن الطاعة فهلك منهم فى ساعة سبعون الفا او اقل (و) اذكر (اذ استسقى موسى) اى طلب السقيا (لقومه) وقد عطشوا فى التيه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) وهو الذى فر بثوبه خفيف مربع كراس الرجل رخام أو كذ ان فضربه (فانفجرت) انشقت وسالت (منه اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط (قد علم كل اناس) سبط منهم (مشربهم) موضع شربهم فلا يشركهم فيه غيرهم وقلنا لهم (كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين) حال مؤكدة لعاملها من عثى بكسر المثلثة افسد (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام) اى نوع منه (واحد) وهو المن والسلوى

كاف فى تمييزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله * اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون * فان التعجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شئ واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلاتناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه اومبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب ومايشاركه فى الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون فى الآخرة اوالاشارة الى مايعرفه كل واحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم (تنبيه) تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل مالاينال احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب فى اقتفاء اثرهم وقدتشبث به الوعيدية فى خلود الفساق من اهل القبلة فى العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون فى الفلاح ويلزمه عدم كمال لفلاح لمن ليس على صفتهم لاعدم الفلاح له رأسا (ان الذين كفروا) لماذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه بصفاتهم التى اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة المردة الذين لاينفع فيهم الهدى ولاتغنى عنهم الايات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف فى قوله تعالى * ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم * لتباينهما فى الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم فى الضلال وان من الحروف التى تشابهت الفعل فى عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدى خاصة فى دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعى وهو نصب الجزء الاول ورفع الثانى اذا نابانه فرع فى العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهى بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها فى خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر فى معرض

(فادع لنا ربك يخرج لنا) شيأ (مما تنبت الارض من) للبيان (بقلها وقثائها وفومها) حنطتها (وعدسها وبصلها قال) لهم موسى (اتستبدلون الذى هو ادنى) اخس (بالذى هو خير) (اهبطو) انزلوا (مصرا) من الامصار (فان لكم) فيه (ماسألتم) من النبات (وضربت) جعلت (عليهم الذلة) الذل والهوان (والمسكنة) اى اثر الفقر من السكون والخزى فهى لازمة لهم وان كانوا اغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكته (وباؤا) راجعوا (بغضب من الله ذلك) اى الضرب والغضب (بأنهم) اى سبب انهم (كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين) كزكريا ويحيى (بغير الحق) اى ظلما (ذلك بما عصوا وكانو يعتدون) يتجاوزون الحد فى المعاصى وكرره للتأكيد (ان الذين آمنوا) بالانبياء من قبل (والذين هادوا) هم اليهود

الشك مثل قوله تعالى * ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انامكناله فى الارض * وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين * قال المبرد قولك عبدالله قائم اخبار عن قيامه وان عبدالله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبدالله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابى لهب وابى جهل والوليد بن المغيرة واخبار اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسد اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفى الشرع انكار ماعلم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لايجترئ عليها ظاهرا لانها كفر فى انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء فى القرأن بلفظ الماضى على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لايستلزم حدوث الكلام كما فى العلم (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) خبران وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى * تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم * رفع بانه خبران ومابعده مرتفع به على الفاعلية كأنه وقيل ان الذين كفروا مستوعليهم انذارك وعدمه اوبانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ماوضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم فى الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى * واذا قيل لهم آمنوا * وقوله * يوم ينفع الصادقين صدقهم * وقولهم * (تسمع بالمعيدى خير من ان تراه) وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ابهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص فى قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عذاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع فى القلب واشد تأثيرا فى النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لاتقلب ولانه يؤدى الى جمع

(والنصارى والصابئين) طائفة من اليهود او النصارى (من آمن) منهم (بالله واليوم الاخر) فى زمن نبينا (وعمل صالحا) بشريعته (فلهم اجرهم) اى ثواب اعمالهم (عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) روعى فى ضمير آمن وعمل لفظ من وفيما بعده معناها (و) اذكر (اذ اخذنا ميثاقكم) عهدكم بالعمل بما فى التوراة (و) قد (رفعنا فوقكم الطور) . الجبل اقتلعناه من اصله عليكم لما ابيتم قبولها وقلنا (خذوا ماآتيناكم بقوة) بجد واجتهاد (واذكروا مافيه) بالعمل به (لعلكم تتقون) النار او المعاصى (ثم توليتم) اعرضتم (من بعد ذلك) الميثاق عن الطاعة (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) لكم بالتوبة او تأخير العذاب (لكنتم من الخاسرين) الهالكين (ولقد) لام قسم (علمتم) عرفتم ﴿ الذين اعتدوا) تجاوزوا الحد (منكم

الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين ويحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها (لايؤمنون) جملة مفسره لاجمال ماقبلها فيما فيه الاستيآء فلا محل لها اوحال مؤكدة اوبدل منه اوخبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف مالايطاق فانه سبحانه وتعالى اخبر عنهم بانهم لايؤمنون وامرهم بالايمان فلوآمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لايؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لاتستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقرآء والاخبار بوقوع الشئ اوعدمه لاينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو اوالعبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لاينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سوآء عليهم ولم يقل سوآء عليك كما قال لعبدة الاصنام سوآء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية اخبار بالغيب على ماهو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة) تعليل للحكم السابق وبيان مايقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا اغطاه بنيت لما يشتمل على الشئ كالعصابة والعمامة ولاختم ولاتغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لاينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لاتجتلي الايات المنصوبة لهم في الانفس والافاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستضاءة بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى * اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم * وبالاغفال في قوله تعالى * ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا * وبالاقساء في قوله تعالى * وجعلنا قلوبهم قاسية * وهي من حيث

في السبت) بصيد السمك وقد نهيناهم عنه وهم اهل ايلة (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) مبعدين فكانوها وهلكوا بعد ثلاثة ايام (فجعلناها) اى تلك العقوبة (نكالا) عبرة مانعة من ارتكاب مثل ماعملوا (لما بين يديها وماخلفها) اى للائم التي في زمانها وبعدها وموعظة للمتقين) الله وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم (و) اذكر (اذ قال موسى لقومه) وقد قتل فيهم قتيل لايدرى قاتله وسالوه ان يدعو الله ان يبينه لهم فدعاه (ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا) مهزوا بنا حيث تجيبنا بمثل ذلك (قال اعوذ) امتنع (بالله) من (ان اكون من الجاهلين) المستهزئين فلما علموا انه عزم (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي) اى ماسنها (قال) موسى (انه) اى الله يقول انها بقرة لافارض) مسنة (ولابكر) صغيرة (عوان) نصف (بين ذلك) المذكور

من السنين (فافعلوا ماتؤمرون) به من ذبحها (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) شديد الصفرة (تسر الناظرين) اليها بحسنها اى تعجبهم (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) اسائمة ام عاملة (ان البقر) اى جنسه المنعوت بماذكر (تشابه علينا) لكثرته فلم نهتد الى المقصودة (وانا ان شاء الله لمهتدون) اليها فى الحديث لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد (قال انه يقول انها بقرة لاذلول) غير مذللة بالعمل (تثير الارض) تقلبها للزراعة والجملة صفة ذلول داخلة فى النفى (ولا تسقى الحرث) الارض المهيأة للزراعة (مسلمة) من العيوب وآثار العمل (لاشية) لون (فيها) غير لونها (قالوا الآن جئت بالحق) نطقت بالبيان التام فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأبيه فاشتروها بملء مسكها ذهبا (فذبحوها وما كادوا يفعلون) لغلاء ثمنها وفى الحديث لو ذبحوا اى بقرة كانت لأجزأتهم

ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى * بل طبع الله عليها بكفرهم * وقوله تعالى * ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم * وردت الآيه ناعيه عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك فى قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقى المجبول عليه الثانى ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التى خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدرة ختم الله عليها ونظيره سال به الوادى اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك فى الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت فى الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادى امرهم فى الغى وتناهى انهماكهم فى الضلال والبغى الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزأ بهم كقوله تعالى * لم يكن الذين كفروا * الآية السادس ان ذلك فى الآخرة وانما اخبر عنه بالماضى لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى * ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما * السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون منهم وعلى هذا المنهاج كلا منا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى * وختم على سمعه وقلبه * وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا فى الادراك من جميع الجوانب جعل مايمنهما من خاص فعلهما الختم الذى يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها من فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم فى الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن من اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر فى اصله والمصادر لاتجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع

بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ماهو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى * ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب * وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة (ولهم عذاب عظيم) وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول عذب عن الشئ ونكل عنه اذا امسك ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمى نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اى عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذى هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر مايجانسه قصر عنه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامى عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لايعلم كنهه الا الله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) لما افتتح سبحانه وتعالى بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله تعالى وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفته رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزآء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل على غيهم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم * ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار * وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسى فحذفت

ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم (واذ قتلتم نفسا فادارأتم) فيه ادغام التاء في الاصل في الدال اى تخاصمتم وتدافعتم (فيها والله مخرج) مظهر (ما كنتم تكتمون) من امرها وهذا اعتراض وهو اول القصة (فقلنا اضربوه) اى القتيل (ببعضها) فضرب بلسانها او عجب ذنبها فحيى وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ومات فحرما الميراث وقتلا قال تعالى (كذلك) الاحياء (يحيى الله الموتى ويريكم آياته) دلائل قدرته (لعلكم تعقلون) تتدبرون فتعلمون ان القادر على احياء نفس واحدة قادر على احياء نفوس كثيرة فتؤمنون (ثم قست قلوبكم) ايها اليهود صلبت عن قبول الحق (من بعد ذلك) المذكور من احياء القتيل وماقبله من الآيات (فهى كالحجارة) في القسوة (او اشد قسوة) منها (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق) فيه ادغام التاء في الاصل في الشين (فيخرج

منه الماء وان نها لما يهبط) ينزل من علو الى اسفل (من خشية الله) وقلوبكم لاتتأثر ولاتلين ولاتخشع (وما الله بغافل عما تعملون) وانما يؤخركم لوقتكم وفى قراءة بالتحتانية وفيه التفات عن الخطاب (افتطمعون) ايها المؤمنون (ان يؤمنوا) اى اليهود (لكم وقد كان فريق) طائفة (منهم) اخباهم (يسمعون كلام الله) فى التوراة (ثم يحرفونه) يغيرونه (من بعد ماعقلوه) فهموه (وهم يعلمون) انهم مفترون و الهمزة للانكار اى لاتطمعوا فانهم سابقة فى الكفر (واذا القوا) اى منافقو اليهود الذين آمنوا قالوا آمنا) بأن محمدا نبى وهو المبشر به فى كتابنا (واذا خلا) رجع (بعضهم الى بعض قالوا) اى رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لمن نافق (اتحدثونهم) اى المؤمنين (بما فتح الله عليكم) اى عرفكم فى التوراة من نعت محمد (ليحاجوكم) ليخاصموكم واللام للصيرورة (به عند

الهمزة حذفها فى لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لايكاد يجمع بينهما وقوله « ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا » شاذ وهو اسم جمع كركال اذ لم يثبت فعال فى ابنية الجمع مأخوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم اوآنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمى الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذلا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مرادبها ابن ابى واصحابه ونظرآؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا فى عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر لايأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الاية تقسيما للقسم الثانى واختصاص الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لايدخلها غيرهم وان النار لاتمسهم الااياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم فى كفرهم لان ماقالوه لوصدر عنهم لاعلى وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفى تكرار الباء ادعاء ايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول « والتلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور فى النفس المعبر عنه باللفظ وللرأى والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى مالاينتهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة (وماهم بمومنين) انكار ماادعوه ونفى ماانتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم فى التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا اومبالغة فى التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفى الايمان عنهم فى ماضى الزمان ولذلك اكد النفى بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان فى شئ ويحتمل ان يقيد بماقيدوا به لانه جوابه والاية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه اوينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية فى الثانى

فلاينهض حجة عليهم (يخادعون الله والذين آمنوا) الخدع ان توهم غيرك خلاف ماتخفيه من المكروه لتزله عماهو فيه وعماهو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى فى جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين فى العنق والمخادعة تكون من اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لايخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف اوعلى ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال * من يطع الرسول فقداطاع الله * ان الذين يبايعونك انمايبايعون الله * واما ان صورة صنيعهم مع الله تعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم من اجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهلى الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين امر الله فى اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد يخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استئناف بذكر ماهو الغرض منه الانه اخرج فى زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبارٍ استصحب ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم فى ذلك ان يدفعوا عن انفسهم مايطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم مايفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد (ومايخادعون الا انفسهم) قراءة نافع وابن كثير وابى عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم اوانهم فى ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالامانى الفارغة وحملتهم على مخادعة من لايخفى عليه خافية وقرأ الباقون ومايخدعون لان المخادعة لاتتصور الا بين اثنين وقرى ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشئ وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحى به وللقلب لانه محل الروح او متعلقة وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأى فى قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها ويشبه ذاتا ماتأمره وتشير عليه والمراد

ربكم) فى الاخرة ويقيموا عليكم الحجة فى ترك اتباعه مع علمكم بصدقه (افلاتعقلون انهم يحاجونكم اذا حدثتموهم فنتهوا قال تعالى (اولايعلمون) الاستفهام للتقرير والواو الداخل عليها للعطف (ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون) مايخفون وما يظهرون من ذلك وغيره فيرعووا عن ذلك (ومنهم) اى اليهود (اميون) عوام (لايعلمون الكتاب) التوراة (الا) لكن (اماني) اكاذيب تلقوها من روسائهم فاعتمدوها (وان) ما (هم) فى حجد نبوة النبى وغيره مما يختلفونه (الايظنون) ظنا ولاعلم لهم (فويل) شدة عذاب (للذين يكتبون الكتاب بايديهم) اى مختلقا من عندهم (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) من الدنيا وهم اليهود وآية الرجم وغيرهما وكتبوها على خلاف ماانزل (فويل لهم مما كتبت ايديهم) من المختلق (وويل لهم مما يكسبون) من الرشا

بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم (ومايشعرون) لايحسون بذلك لنمادى غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم فى الظهور كالمحسوس الذى لايخفى الا على مؤف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل فى افعاله ومجاز فى الاعراض النفسانية التى تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصى لانها مانعة من نيل الفضائل اومؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والآية الكريمة تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ماتات عنهم من الرياسة وحسدا على مايرون من ثبات امر الرسول صلى الله عليه وسلم واستعلاء شانه يوما فيوما وزاد الله غمهم بمازاد فى اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبى صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله سبحانه وتعالى ذلك بالطبع اوبازدياد التكليف وتكرير الوحى وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة فى قوله تعالى *فزادتهم رجسا * لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ماتداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله تعالى لهم بالملائكة وقذف الرعب فى قلوبهم وبزيادته تضعيفه بمازاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصرة على الاعداء وتبسطا فى البلاد (ولهم عذاب اليم) اى مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله * تحية بينهم ضرب وجيع * على طريقة قولهم جدجده (بما كانوا يكذبون) قرأها عاصم وحمزة والكسائى والمعنى بسبب كذبهم اوبدله بجزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول عليه الصلاة والسلام بقلوبهم واذا خلوا الى شطار دينهم او من كذب الذى هو للمبالغة اوللتكثير مثل بين الشئ وموتت البهائم اومن كذب الوحشى اذا جرى شوطا ووقف لينظر ماوراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشئ على خلاف ماهو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وماروى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما

(وقالوا) لما وعدهم النبى النار (لن تمسنا) تصيبنا (النار الا ايا ما معدودة) قليلة اربعين مدة عباده آبائهم العجل ثم تزول (قل) لهم يامحمد (اتخذتم) حذفت منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام (عند الله عهدا) ميثاقا منه بذلك (فلن يخلف الله عهده) به لا (أم) بل (تقولون على الله مالاتعلمون بلى) تمسكم وتخلدون فيها (من كسب سيئة) شركا (واحاطت به خطيئته) بالافراد والجمع اى استولت عليه واحدقت به من كل جانب بأن مات مشركا (فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) روعى فيه معنى من (والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) واذكر (اذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل) فى التوراة وقلنا (لاتعبدون) بالتاء والياء (الا الله) خبر بمعنى النهى وقرئ لاتعبدوا (و) احسنوا (بالوالدين احسانا) برا (وذى القربى) للقرابة

شابه الكذب فى صورته سمى به (واذا قيل لهم لاتفسدوا فى الارض) عطف على يكذبون اويقول وماروى عن سلمان ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله ارادبه ان اهلها ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذى فيها والفساد خروج الشئ عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم فى الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين ومعاونة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدى الى فساد مافى الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصى والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول اوبعض المؤمنين وقرأ الكسائى وهشام قبل باشمام الضم (قالوا انما نحن مصلحون) جواب لاذاورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لايصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما تفيد قصر مادخلت عليه على مابعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى * أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون) رد لما دعوه ابلغ رد للاستئناف به وتصديره بحرف التأكيد الا المنبهة على تحقيق مابعدها فان همزة الاستفهام التى للانكار اذا دخلت على النفى افادت تحقيقا ونظيرة اليس ذلك بقادر ولذلك لايكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى بها القسم واختها اما التى هى من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد مافى قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون (واذا قيل لهم آمنوا) من تمام النصح والارشاد فان كمال ايمان بمجموع الامرين الاعراض عما لا ينبغى وهو المقصود بقوله لاتفسدوا والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله آمنوا (كما آمن الناس) فى حيز النصب على المصدر ومامصدرية اوكافة مثلها فى ربما واللام فى الناس للجنس والمراد به الكاملون فى الانسانية العاملون بمقتضى العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل

عطف على الوالدين (واليتامى والمساكين وقولوا للناس) قولا (حسنا) من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والصدق فى شان محمد والرفق بهم وفى قراءة بضم الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغة (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فقبلتم ذلك (ثم توليتم) اعرضتم عن الوفاء به فيه التفات عن الغيبة والمراد آباؤهم (الا قليلا منكم وأنتم معرضون) عند كآبائكم (اذ أخذنا ميثاقكم) وقلنا (لاتسفكون دماءكم) تريقونها بقتل بعضكم بعضا (ولاتخرجون أنفسكم من دياركم) لايخرج بعضكم بعضا من داره (ثم أقررتم) قبلتم ذلك الميثاق (وانتم تشهدون) على انفسكم (ثم انتم) يا (هؤلاء تقتلون انفسكم) بقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الظاء وفى قراءة بالتخفيف على حذف فها تتعاونون (عليهم بالاثم)

لما يستجمع المعانى المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى * صم بكم عمى * ونحو قدجعفهما الشاعر فى قوله « اذ الناس ناس والزمان زمان » اوللعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم من معه اومن آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والالم يفد التقييد (قالوا انؤمن كما آمن السفهاء) الهمزة فيه للانكار واللام مشاربهار الى الناس اوالجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم اولتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقرآء ومنهم موالى كصهيب وبلال اوللتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم ان فسر الناس بعبدالله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأى يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله (الاانهم هم السفهاء ولكن لايعلمون) رد ومبالغة فى تجهيلهم فان الجاهل يجهله الجازم على خلاف ماهو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من الموقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلايعلمون والتى قبلها بلايشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف عن امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق ومافيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتأمل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وماصدرت به القصة فساقه لبيان مذهبهم وتمهد نفاقهم فليس بتكرير روى ان ابن ابى وصحابه واستقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف اردهؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيدابى بكر رضى الله عنه وقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد على رضى الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بنى هاشم ماخلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته

بالمعصية والعدوان) الظلم (وان ياتوكم اسارى) قراءة اسرى تفدوهم) وفى قراءة تفادوهم تنقذوهم من الاسر المال اوغيره وهو مما عهد اليهم (وهو) اى الشأن (محرم عليكم اخراجهم) متصل بقوله و تخرجون والجملة بينهما اعتراض اى كما حرم ترك الفداء وكانت قريظة حالفوا الاوس والنضير الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع خلفائه ويخرب ديارهم ويخرجهم فاذا اسروا فدوهم وكانوا اذا سئلوا لم تقاتلونهم وتفدونهم قالوا امرنا بالفداء فيقال فلم تقاتلونهم فيقولون حياء ان تستذل خلفاء نا قال تعالى (افتؤمنون ببعض الكتاب) وهو الفداء (وتكفرون ببعض) وهو ترك القتل والاخراج والمظاهرة (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى) هوان وذل (فى الحياة الدنيا) وقد خزوا بقتل قريظة ونفى النضير الى الشام وضرب الجزية (ويوم القيامة يردون الى

بحيث يلقى (واذا خلوا الى شياطينهم) من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اى عداك ومضى ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وعدى بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان فى تمردهم وهو المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة فى الكفر اوكبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شيطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل (قالوا انا معكم) اى فى الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال فى الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ماقالوه مع الكفار (انما نحن مستهزؤن) تأكيد لما قبله لان المستهزئ بالشئ المستخفف به مصر على خلافه اوبدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر اواستئناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزئت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأبه اى تسرع وتخفف (الله يستهزئ بهم) يجازيهم على استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه كاسمى جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ اولكونه مماثلاله فى القدر اويرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم اوينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه اويعاملهم معاملة المستهزئ اما فى الدنيا فباجزاء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بامهال والزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان واما فى الآخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك * قوله تعالى * * فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون * وانما استؤنف به لم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين الى ان يعارضوهم وان استهزاءهم لايؤبه به فى مقابلة مايفعل الله بهم ولعله لم يقل الله

اشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون) بالياء والتاء (اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) بان آثروها عليها (فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون) يمنعون منه (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (وقفينا من بعده بالرسل) اى اتبعناهم رسولا فى اثر رسول (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) المعجزات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص (وايدناه) قويناه (بروح القدس) من اضافة الموصوف الى الصفة اى الروح المقدسة جبريل لطهارته يسير معه حيث سار فلم تستقيموا (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى) تحب (انفسكم) من الحق (استكبرتم) تكبرتم عن اتباعه جواب كلما وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ (ففريقا) منهم (كذبتم) كعيسى (وفريقا تقتلون) المضارع لحكاية الحال الماضية اى قتلتم كزكريا ويحيى (وقالوا) للنبى استهزاء

مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال * اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة اومرتين * (ويمدهم فى طغيانهم يعمهون) من مد الجيش وامده اذا ذاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لان المد فى العمر فانه يعدى باللام كأملى لهم ويدل عليه قرأة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التى يمنحها المؤمنين اوخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طريق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا ومكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب مجاز اواصناف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغى قال * واخوانهم يمدونهم فى الغى * وقيل اصله يمد لهم بمعنى يملى لهم ويمد فى اعمارهم كى يتنبهوا اويطيعوا فازادوا الاطغيانا وعمها فحذفت اللام وعدى الفعل بنفسه كما فى قوله تعالى * واختار موسى قومه * اوالتقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون فى طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كالقيان والقيان تجاوز الحد فى العتو والغلو فى الكفر واصله تجاوز الشئ عن مكانه قال * انا لما طغى الماء حملناكم * والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير فى الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال * اعمى الهدى بالجاهلين العمه (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل مايطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لايطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والافاى العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشترى وآخذ بايع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما فى يده محصلا به غيره سواء كان من المعانى اوالاعيان ومنه قول الشاعر « اخذت بالجمة رأسا ازعرا * وبالثنايا الواضحات الدردرا * وبالطويل العمر عمرا جيذرا * كما اشترى المسلم اذ تنصرا » ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشئ طمعا فى غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذى جعل الله لهم بالفطرة التى فطر الناس عليها محصلين الضلالة التى ذهبوا اليها اواختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى

(قلوبنا غلف) جمع اغلف اى مغشاة بأغطية فلا تعى ماتقول قال تعالى (بل) للاضراب (لعنهم الله) ابعدهم عن رحمته وخذلهم عن القبول (بكفرهم) وليس عدم قبولهم لخلل فى قلوبهم (فقليلا مايؤمنون) ما زائدة لتأكيد القلة اى ايمانهم قليل جدا (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم) من التوراة هو القرآن (وكانوا من قبل) قبل مجيئه (يستفتحون) يستنصرون (على الذين كفروا) يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبى المبعوث آخر الزمان (فلما جاءهم ماعرفوا) من الحق وهو بعثة النبى (كفروا به) حسدا وخوفا على الرياسة وجواب لما الاولى دل عليه جواب الثانية (فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا) باعوا (به انفسهم) اى حظها من الثواب ومانكرة بمعنى شيأ تميز لفاعل بئس والمخصوص بالذم (ان يكفروا)

(فما ربحت تجارتهم) ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء فى معاملتهم اتبعه بمايشاكله تمثيلا لخسارهم ونحو « ولمارأيت النسر عزا بن داية * وعشش فى وكريه جاش له صدرى » والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمى شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران (وما كانوا مهتدين) لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قداضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين للاصل (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة فى التوضيح والتقرير فانه واقع فى القلب واقع للخصم الالدلانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ماأكثر الله فى كتبه الامثال وفشت فى كلام الانبياء والحكماء والمثل فى الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بموارده ولايضرب الا مافيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال اوقصة اوصفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله تعالى ❊ مثل الجنة التى وعد المتقون * وقوله تعالى * ولله المثل الاعلى * والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذى بمعنى الذين كما فى قوله تعالى * وخضتم كالذى خاضوا * ان جعل مرجع الضمير فى نورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التى هى صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها لانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لايجمع كما لم يجمع اخواته ويستوى فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه الصحيح بل ذوزيادة زيدت المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التى عليها التنزيل ولكونه مستطا لابصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام فى اسماء الفاعلين والمفعولين اوقصد به جنس المستوقدين او الفوج الذى استوقدوا الاستيقاد طلب الوقود والسعى فى تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا (فلما اضاءت ماحوله)

اى كفرهم (بما انزل الله) من القرآن (بغيا) مفعول له ليكفروا اى حسدا على (ان ينزل الله) بالتخفيف والتشديد (من فضله) الوحى (على من يشاء) للرسالة (من عباده فباؤ) رجعوا (بغضب) من الله بكفرهم بما انزل والتنكير للتعظيم (على غضب) استحقوه من قبل بتضييع التوراة والكفر بعيسى (وللكافرين عذاب مهين) ذواهانة (واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله) القرآن وغيره (قالوا نؤمن بما انزل علينا) اى التوراة قال تعالى (ويكفرون) الواو للحال (بما وراءه) سواه او بعده من القران (وهو الحق) حال (مصدقا) حال ثانية مؤكدة (لما معهم قل) لهم (فلم تقتلون) اى قتلتم (انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتلهم والخطاب للموجودين فى زمن نبينا بما فعل آباؤهم لرضاهم به (ولقد جاءكم موسى

بالبينات) بالمعجزات كالعصا واليد وفلق البحر (ثم اتخذتم العجل) لها (من بعده) من بعد ذهابه الى الميقات (وانتم ظالمون) باتخاذه (واذ اخذنا ميثاقكم) على العمل بما فى التوراة (و) قد (رفعنا فوقكم الطور) الجبل حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم وقلنا (خذوا ما آتيناكم بقوة) بجد واجتهاد (واسمعوا) ماتؤمرون به سماع قبول (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) امرك (واشربوا فى قلوبهم العجل) اى خالط حبه قلوبهم كما يخالط الشراب (بكفرهم قل) لهم (بئسما) شيا (يأمركم به ايمانكم) بالتوراة عبادة العجل (ان كنتم مؤمنين) بها كما زعمتم المعنى لستم بمؤمنين لان الايمان لا يأمر بعبادة العجل والمراد آباؤهم اى فكذلك انتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمدا والايمان بها لا يأمر بتكذيبه (قل) لهم (ان كانت لكم الدار الآخرة) اى

اى النار ماحول المستوقدان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتأنيث لان ماحوله اشياء واما كن اوالى ضمير النار وما موصولة فى معنى الامكنة نصب على الظرف اومزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور (ذهب الله بنورهم) جواب لما والضمير للذى وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استئناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره اوبدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما فى قوله تعالى *فلما ذهبوا به* للايجازوا من الالتباس واسناد الذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله اولان الاطفأ حصل بسبب خفى اوامر سماوى كريح اومطر اوللمبالغة ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما قبلها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذى هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما فى الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا الاترى كيف قرر ذلك واكده بقوله (وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) فذكر الظلمة التى هى عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفهم بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك فى الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله تعالى وتركهم فى ظلمات وقول الشاعر «فتركته جزر السباع ينشنه» والظلمة مأخوذة من قولهم ماظلمك ان تفعل كذا اى مامنعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كأنها ظلمة متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقى متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما انطقف به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة

على الهدى المجعول له بالفطرة اوارتدعن دينه بعدما آمن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من انوار الارادة اومثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحفن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين فى المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها (صم بكم عمى) لماسدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويبصروا الآيات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله « صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا » وكقوله «اصم عن الشئ الذى لااريده * واسمع خلق الله حين اريد » واصلاقها عليهم على طريقة التمثيل لاالاستعارة اذمن شرطها ان يطوى ذكر استعارله بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير « لدى اسدشاكى السلاح مقذف*له لبداظفاره لم تقلم » ومن ثمه ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام الطائى « ويصعد حتى لظن الجهول*بان له حاجة فى السماء » وههنا وان طوى ذكره لحذف المبتدأ لكنه فى حكم المنطوق به ونظيره « اسد على وفى الحروب نعامة*فتخاء تنفر من صفير الصافر » هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للممتو قدين فهى على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات هائلة ادهشهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل لحجر اصم وقناة وصماء وصمام القارورة سمى به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لاتجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة (فهم لايرجعون) لايعودون الى الهدى الذى باعوه وضيعوه اوعن الضلالة التى اشتروها وفهم متحيرون لايدرون أيتقدمون ام يتأخرون والى حيث ابتدوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم (اوكصيب

الجنة (عند الله خالصة) خاصة (من دون الناس) كازعمتم (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) تعلق بتمنيه الشرطان على ان الاول قيد فى الثانى أى ان صدقتم فى زعمكم انها لكم ومن كانت له يؤثرها والموصل اليها الموت فتمنوه (ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم) من كفرهم بالنبى المستلزم لكذبهم (والله عليم بالظالمين) الكافرين فيجازيهم (لتجدنهم) لام قسم (احرص الناس على حياة) واحرص (من الذين اشركوا) المنكرين للبعث عليها لعلمهم بان مصيرهم النار دون المشركين لانكارهم له (يود) يتمنى (احدهم لو يعمر الف سنة) لو مصدرية بمعنى ان وهى بصلتها فى تأويل مصدر مفعول يود (وما هو) اى احدهم (بمزحزحه) مبعده (من العذاب) النار (ان يعمر) فاعل مزحزحه اى تعميره (والله بصير بما يعملون) بالياء والتاء فيجازيهم وسأل ابن صوريا النبى

من السماء) عطف على الذى استوقداى كمثل ذوى صيب لقوله يجعلون اصابعهم فى آذانهم واو فى الاصل للتساوى فى الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوى من غير شك مثل جالس الحسن اوابن سيرين وقوله تعالى * ولاتطع منهم آثما اوكفورا * فانها تفيد التساوى فى جنس المجالسة ووجوب العيان ومن ذلك قوله اوكصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء فى صحة التشبيه بهما وانت مخير فى التمثيل بهما اوبايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر والسحاب قال السماخ « واسحم دون صادق الرعد صيب » وفى الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء « كما ان كل طبقة منها سماء وقال * ومن بعد ارض بيناوسماء » امدبه مافى الصيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية (فيه ظلمات ورعد وبرق) ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامة مع ظلمة الليل وجبله مكانا للرعد والبرق لانهما فى اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقالانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق مايلمع من السحاب من يرق الشئ بريقا وكلاهما مصدر فى الاصل ولذلك لم يجمعهما (يجعلون اصابعهم فى آذانهم) الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان فى قوله « يسقون من ورد البريص عليهمو * بردى يصفق بالرحيق السلسل » حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء يردى الجملة استئناف فكأنه لما ذكر مايوذن بالشدة والهول قيل وكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة (من الصواعق) متعلق بيجعلون اى من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعدهائل معهانار لاتمر بشئ الاانت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقدتطلق على كل هائل مسموع اومشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق اوشدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب

او عمر عمن يأتى بالوحى من الملائكة فقال جبريل فقال هو عدونا ياتى بالعذاب ولو كان ميكائيل لآمنا لانه ياتى بالخصب والسلم فنزل (قل) لهم (من كان عدوا لجبريل) فليمت غيظا (فانه نزله) أى القرآن (على قلبك باذن) بأمر (الله مصدقا لمابين يديه) قبله من الكتب وهدى) من الضلالة (وبشرى) بالجنة (للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل) بكسر الجيم وفتحها بلا همز ويه بياء ودونها (وميكال) عطف على الملائكة من عطف الخاص على العام فى قراءة ميكائيل بهمز ويا ودفى اخرى بلا ياء (فان الله عدو للكافرين) اوقعه موقع لهم بيانا لحالهم (ولقد انزلنا اليك) يامحمد (آيات بينات) واضحات حال رد لقول ابن صوريا للنبى ماجئتنا بشئ (مايكفر بها الا الفاسقون) كفروا بها (وكلما عاهدوا) الله (عهدا) على الايمان بالنبى ان خرج والنبى أن لايعا ونوا عليه المشركين (نبذه) طرحه (فريق منهم) بنقضه

من الصواعق لاستواء كلا البنائين فى التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهى فى الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما فى الرواية اومصدر كالعافية والكاذبة (حذر الموت) نصب لى العلة كقوله * واغفر عوراء الكريم ادخاره » الموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله * خلق الموت والحياة * وردبان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقتدرة (والله محيط بالكافرين) لايفوتونه كما لايفوت المحاط به المحيط لايخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لامحل لها (يكاد البرق يخطف ابصارهم) استئناف ثان كانه جواب لمن يقول ماحالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لعروض مانع اولفقد شرط وعسى موضوعة لرجائه فهى خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غيران ليؤكد القرب بالدلالة على الحال وقدتدخل عليه جلا لها على عسى لايحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما فى اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت فى الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف (كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا) استئناف ثالث كانه قيل ما يفعلون فى تارتى خفوق البرق وخفية فاجيب بذلك واضاء امامتعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه اولازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا فى مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قرأة اظلم على البناء للمفعول وقول ابى تمام « هما اظلما حالى ثمة اجليا *ظلاميهما عن وجه امرد اشيب * فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعدان يجعل مايقوله بمنزلة مايرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشى فكلما صادفوا منهم فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد (ولوشاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم) اى لوشاء الله ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه فى شاء واراد حتى لايكاد يذكر

جواب كلما وهو محل الاستفهام الانكارى (بل) للانتقال (أكثرهم لايؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله) محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله) اى التوراة (وراء ظهورهم) اى لم يعملوا بما فيها من الايمان بالرسل وغيره (كانهم لايعلمون) مافيها من انه نبى حق اوانها كتاب الله (واتبعوا) عطف على نبذ (ماتتلوا) اى تلت (الشياطين على) عهد (ملك سليمان) من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لمانزع ملكه اوكانت تسترق السمع وتضم اليه اكاذيب وتلقيه الى الكهنة فيدونونه وفشا ذلك وشاع ان الجن تعلم الغيب فجمع سليمان الكتب ودفنها فلما مات دلت الشياطين عليها الناس فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فقالوا انما ملككم بهذا فتعلموه ورفضوا كتب انبيائهم قال تعالى تبرئة

لسليمان ورد اعلى اليهود فى قولهم انظروا الى محمد يذكر سليمان فى الانبياء وما كان الا ساحرا (وما كفر سليمان) اى لم يعمل السحر لانه كفر (ولكن) بالتشديد والتخفيف (الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) الجملة حال من ضمير كفروا (و) يعلمونهم (ماانزل على الملكين) اى الهماه من السحر وقرئ بكسر اللام الكائنين (ببابل) بلد فى سواد العراق (هاروت وماروت) بدل اوعطف بيان للملكين قال ابن عباس هما ساحران كانا يعلمان السحر وقيل ملكان انزلا لنعليمه ابتلاء من الله للناس (ومايعلمان من) زائدة (احد حتى يقولا) له نصحا (انما نحن فتنة) بلية من الله للناس ليمتحنهم تعليمه فمن تعلمه كفر ومن تركه فهو مؤمن (فلا تكفر) بتعلمه فان ابى الا التعليم علماه (فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه) بأن يبغض

الا فى الاالشئ المستغرب كقوله * ولوشئت ان ابكى دما لبكيته * ولومن حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثانى ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى * ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة * وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام مايقتضيه والتنبيه على ان تأثير الاسباب فى مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقوله (ان الله على كل شئ قدير) كالتصريح به والتقرير له والشئ يختص بالموجود لانه فى الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول البارى تعالى كما قال * قل اى شئ اكبر شهادة قل الله شهيد * وبمعنى مشئ اخرى اى مشئ وجوده وماشاء الله وجوده فهو موجود فى الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شئ قدير * الله خالق كل شئ * فهما على عمومهما بلامشوية والمعتزلة لما قالوا الشئ مايصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن اومايصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن فى الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشئ وقيل صفة تقتضى التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفى العجز والقادر هو الذى ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لمايشاء على مايشاء ولذلك قلما يوصف به غير البارى تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته اوعلى مقدار ماتقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شئ وكل شئ مقدور لله تعالى والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان يشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى * مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها * الآية فانه تشبيه حال اليهود فى جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار فى جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابده من انطفأت ناره بعد ايقادها فى ظلمة اوبحال من اخذته السماء فى ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلها من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تأخذ اشياء فرادى تشبهها بامثالها كقوله تعالى * ومايستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل

ولا الحرور وقول امرء القيس « كأن قلوب الطير رطبا ويابسا » لدى وكرها العناب والحشف البالى » بان يشبه فى الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وبافشاء حالهم وابقائهم فى الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفى الثانى انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع يصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا فى نفسه لكنه لما وجد فى هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا من نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع فى الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخوا خطى يسيرة ثم اذا خفى وفتر لمعانه بقوا متقيدين لاحراك بهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما اوتى الانسان من المعارف التى هى سبب الحياة الابدية بالصيب الذى به حياة الارض وما ارتبكت بها من شبه الطائفة المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وشبه ما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه اورفد يطمح اليه ابصارهم بمشيهم فى مطرح ضوء البرق كلما اضأ لهم وتحيرهم وتوقفهم فى الامر حين تعرض لهم شبهة اوتعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه وبقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التى يجعلونها فانه على ما يشاء قدير (يا ايها الناس اعبدوا ربكم) لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هز السامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبر الكلفة

كلا الى آخر (وما هم) اى السحرة (بضارين به) بالسحر (من) زائدة (احد الا باذن الله) بارادته (ويتعلمون ما يضرهم) فى الآخرة (ولا ينفعهم) وهو السحر (ولقد) لام قسم (علموا) اى اليهود (لمن) لام ابتداء معلقة لما قبلها ومن موصولة (اشتراه) اختاره او استبدله بكتاب الله (ماله فى الاخرة) من خلاق) نصيب فى الجنة (ولبئس ما) شيأ (شروا) باعوا (به انفسهم) اى الشارين اى حظها من الاخرة ان تعلموه حيث اوجب لهم النار (لو كانوا يعلمون) حقيقة ما يصيرون اليه من العذاب ما تعلموه (ولو انهم) اى اليهود (آمنوا) بالنبى والقران (واتقوا) عقاب الله بترك معاصيه كالسحر وجواب لو محذوف اى لاثيبوا دل عليه (لمثوبة) ثواب وهو مبتدأ واللام فيه للقسم (من عند الله خير) خبره مما شروا به انفسهم

العباده بلدة المخاطبة وياحرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلاله منزلة البعيد امالعظمته كقول الداعى يارب ويالله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعوله وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واى جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال ياعليه لتعذر الجمع بين حرفى التعريف فانهما كمثلين واعطى حكم المنادى واجرى عليه المقصود بالنداء وصفا موضحاله والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهاهاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عمايستحقه اى من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة فى القرآن لاستقلاله باوجه من التأكيد وكل مانادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لهاويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لاعهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى * فسجد الملائكة كلهم اجمعون * واستدلال الصحابة بعمومها شايعا وذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الاماخصه الدليل وماروى عن علقمة والحسن ان كل شئ نزل فيه ياايها الناس فمكى ويا ايها الذين آمنوا فمدنى ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشئ وجوب مالا يتم الابه وكما ان الحدث لايمنع وجوب الصلاة فالكفر لايمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هى الربية (الذى خلقكم) صفة جرت عليه تعالى للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان اختص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقى والآلهة التى يسمونها ارباباو الخلق ايجاد الشئ على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس (والذين من قبلكم) متناول كل مايتقدم الانسان بالذات اوبالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب فى خلقكم والجملة اخرجت مخرج

(لوكانوا يعلمون) انه خير لما آثروه عليه (ياايها الذين آمنوا لاتقولوا) للنبى (راعنا) امر من المراعاة وكانوا يقولون له ذلك وهى بلغة اليهود سب من الرعونة فسروا بذلك وخاطبوا بها النبى فنهى المؤمنون عنها (وقولوا) بدلها (انظرنا) اى انظر الينا (واسمعوا) ما تؤمرون به سماع قبول (وللكافرين عذاب اليم) مؤلم هو النار (مايود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين) من العرب عطف على اهل الكتاب ومن للبيان (ينزل عليكم من) زائدة (خير) وحى (من ربكم) حسدا لكم (والله يختص برحمته) نبوته (من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ولما طعن الكفار فى النسخ وقالوا ان محمدا يأمر اصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غدا نزل (ما) شرطية (ننسخ من آية) اى نزل حكمها اوما مع لفظها اولاو فى قراءة بضم النون من انسخ اى نأمرك

المقرر عندهم امالاعترافهم به كما قال * ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله * ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله * اولتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول. الثانى بين الاول وصلته تأكيدا كما اقحم جرير فى قوله « ياتيم تيم عدى لاابالكم » تيما الثانى بين الاول وما اضيف اليه (لعلكم تتقون) حال من الضمير فى اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا فى سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرى من كل شئ سوى الله تعالى الى الله وان العابد ينبغى ان لايغتر بعبادته ويكون ذاخوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا * يرجون رحمته ويخافون عذابه * اومن مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم فى صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعى اليه وغلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اى خلقكم لكى تتقوا كما قال * وماخلقت الجن والانس الاليعبدون * وهو ضعيف اذلم يثبت فى اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر فى صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لايستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل (الذى جعل لكم الارض فراشا) صفة ثانية اومدح منصوب اومرفوع اومبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجئ على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلايتعدى كقوله « فقد جعلت قلوص بنى سهيل * من الاكوار مرتعها قريب » وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور * وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع مافى طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان يقعدوا وينامواعليها كالفراش المبسوط وذلك لايستدعى كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم جرمها واتساع جرمها لاتأبى الافتراش عليها (والسماء بناء) قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد

اوجبريل بنسخها اونسأها) نؤخرها فلانزل حكمها ونرفع تلاوتها اونؤخرها فى اللوح المحفوظ وفى قراءة بلاهمز من النسيان اى تنسكها اى نمنعها من قلبك وجواب الشرط (نأت بخير منها) انفع للعباد فى السهولة أوكثرة الاجر (اومثلها) فى التكليف والثواب (الم تعلم ان الله على كل شئ قدير) ومنه النسخ والتبديل والاستفهام للتقرير (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) يفعل فيهما مايشاء (ومالكم من دون الله) اى غيره من زائدة (ولى) يحفظكم (ولانصير) يمنع عذابه عنكم ان أتاكم * ونزل لما ساله اهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذهبا (ام) بل أ (تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى) اى ساله قومه (من قبل) من قولهم أرنا الله جهرة وغير ذلك (ومن يتبدل الكفر بالايمان) اى يأخذه بدله بترك النظر فى الآيات

والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمى به المبنى بيتا كان اوقبة اوخباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها اخباء جديدا (وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا فى اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته باضافات صورها وكيفياتها على المادة الممزوجة منهما اوابدع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار هو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له فى انشائها مدرجا من حال الى حال صنعا وحكما يجدد فيها لاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس فى ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ماعلاك سماء اوالفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على مادلت عليه الظواهر اومن اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى * فاخرج به ثمرات * واكتناف المنكرين له اعنى ماورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذلم ينزل من السماء الماء كله ولااخرج بالمطر كل الثمرات ولاجعل كل المرزوق ثمارا واللتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة التى فى قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قرأة من قرأ من الثمرة على التوحيد اولان الجموع يتهاور بعضها موقع بعض كقوله * تعالى كم تركوا من جنات * وقوله * ثلاثة قروء * اولانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم (فلا تجعلوا لله اندادا) متعلق باعبدوا على انه نهى معطوف عليه اوتفى منصوب باضمار ان جوابا له اوبلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع فى قوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع * الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها فى انها غير موجبة المعنى ان تتقوا فلا تجعلوا لله اندادا اوبالذى جعل لكم ان استأنفت به على انه نهى وقع خبرا على تأويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه

البينات واقتراح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) اخطأ الطريق الحق وانسواء فى الاصل الوسط (وكثير من اهل الكتاب لو) مصدرية (يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا) مفعول له كائنا (من عند انفسهم) اى حملتهم عليه انفسهم الخبيثة (من بعد ماتبين لهم) فى التوراة (الحق) فى شان النبى (فاعفوا) عنهم اى اتركوهم (واصفحوا) اعرضوا فلا تجازوهم (حتى ياتى الله بأمره) فيهم من القتال (ان الله على كل شئ قدير وا قيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير) طاعة كصلة وصدقة (تجدوه) اى ثوابه (عند الله ان الله بما تعملون بصير) فيجازيكم به (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا) جمع هائد (اونصارى) قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم اى قال اليهود

لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى ان من حفكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغى ان لايشرك به والند المثل المناوى قال جريرا « أتيما تجعلون الى ندا * وماتيم لذى حسب نديد » من ندندودا اذا نفر ونادد الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل فى الذات كما خص المساوى بالمماثل فى القدر وتسمية مايعبده المشركون من دون الله اندادا ومازعموا انها تساويه فى ذاته وصفاته ولانها تخالفه فى افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم مالم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ندو لهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمر بن نفيل « ارباواحدا ام الف رب *ادين اذاتقسمت الامور « تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الرجل البصير » (وانتم تعلمون) حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون محذوف اى وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الرأى فلو تأملتم ادنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوى وهو انها لاتماثله ولاتقدر على مثل مايفعله كقوله تعالى * هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ * وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لاتقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء فى التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله والنهى عن الاشراك به تعالى والاشارة الى ماهو العلة والمقتضى وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه تعالى خالقهم وخالق اصولهم ومايحتاجون اليه فى معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه الامور التى لايقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته تعالى رتب تعالى عليها النهى عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع مادل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان ومافاض تعالى عليه من المعانى والصفات على طريقة التمثيل * فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء ومافاض تعالى عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى

لن يدخلها الا اليهود وقال النصارى لن يدخلها الا النصارى (تلك) القولة (امانيهم) شهواتهم الباطلة (قل) لهم (هاتوا برهانكم) حجتكم على ذلك (ان كنتم صادقين) فيه (بلى) يدخل الجنة غيرهم (من اسلم وجهه لله) اى انقاد لامره وخص الوجه لانه اشرف الاعضاء ففيره اولى (وهو محسن) موحد (فله اجره عند ربه) اى ثواب عمله الجنة (ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) فى الآخرة (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ) معتدبه وكفرت بعيسى (وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) معتدبه وكفرت بموسى (وهم) اى الفريقان (يتلون الكتاب) المنزل عليهم وفى كتاب اليهود تصديق عيسى وفى كتاب النصارى تصديق موسى والجملة حال (كذلك) كما قال هؤلاء (قال الذين لايعلمون) اى المشركون

من العرب وغيرهم (مثل قولهم) بيان لمعنى ذلك اى قالوا لكل ذى دين ليسوا على شئ (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من امر الدين فيه فيدخل المحق الجنة والمبطل النار (ومن اظلم) اى لا احد اظلم (ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه) بالصلاة والتسبيح (وسعى فى اخرابها بالهدم او التعطيل نزلت اخبارا عن الروم الذين خربوا بيت المقدس او فى المشركين لما صدوا النبى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية عن البيت (اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين) خبر بمعنى الامر اى اخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها احد آمنا (لهم فى الدنيا خزى) هو ان بالقتل والسبى والجزية (ولهم فى الاخرة عذاب عظيم) هو النار * ونزل لما طعن اليهود فى نسخ القبلة او فى صلاة النافلة على الراحلة فى السفر حيثما

النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة) لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته الى بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم فى المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقايع على ما نرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال * وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة * فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضافا لعبد الى نفسه تعالى تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه تعالى وقرئ عبادنا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التى اقلها ثلاث آيات وهى ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من سورة التى هى الرتبة قال « ولرهط حراب وقد سورة * فى لجد ليس غرابها بمطار » لان السور كالمنازل والمراتب يرتقى فيها القارئ اولها مراتب فى الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القرأة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التى هى البقية والقطعة من الشئ والحكمة فى تقطيع القرآن سورا افرادا لانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك عنه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذفها اعتقد انه اخذ من القرآن حظاتا ما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غيرها من الفوائد (من مثله) صفة سورة اى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اى بسورة مماثلة للقرآن العظيم فى البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اى بسورة كائنة ممن هو على حاله عليه الصلاة والسلام من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم

اوصلة فأتوا والضمير للعبد صلى الله عليه وسلم والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله تعالى * فأتوا بسورة مثله * ولسائر آيات التحدى ولان الكلام فيه لافى المنزل عليه فحقه ان لاينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ماأتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ فى التحدى من ان يقال لهم ليأت بنحو ماأتى به هذا آخر مثله ولانه معجز فى نفسه لابالنسبة اليه لقوله تعالى * قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله * ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلايمه قوله تعالى (وادعوا شهداءكم من دون الله) فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اوالقائم بالشهادة اوالناصر اوالامام وكأنه سمى به لانه يحضر النوادى وتبرم بحضوره الامور اذالتركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول فى سبيل الله شهيد لانه حضر ماكان يرجوه اوالملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشئ ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اى خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اى فى الشرف ومنه الشئ الدون ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى امر الى آخر قال تعالى * لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين * اى يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية « يانفس مالك دون الله من واق » اى اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة من حضركم اورجوتم مونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله سبحانه وتعالى فانه لايقدر على ان يأتى بمثله الا الله اوادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ماآتيتم به مثله ولاتشتشهدوا بالله فانه من ويدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة اوبشهدائكم والمعنى ادعوا الذين اتخذتموهم من دونه اولياء اوآلهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيامة اوالذين يشهدون لكم بين يدى الله على زعمكم من قول الاعشى « تزيك القذى من دونها وهى دونه » ليعينوكم وفى امرهم ان يستظهروا بالجماد فى معارضة القرآن العزيز غاية التبكيت وانتهكم بهم وقيل من دون الله اى من دون اوليائه يعنى فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ماآتيتم به مثله فان العاقل لايرضى لنفسه ان يشهد بصحة مااتضح فساده وبان اختلاله توجهت (ولله المشرق والمغرب) اى الارض كلها لانهما نا حيتاها (فأينما تولوا) وجوهكم فى الصلاة بامره (فثم) هناك (وجه الله) قبلته التى رضيها (ان الله واسع) يسع فضله كل شئ (عليم) بتدبير خلقه (وقالوا) بواو دونها اى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله (اتخذ الله ولدا) قال تعالى (سبحانه) تنزيها له عنه (بل له ما فى السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا والملكية تنافى الولادة وعبر بما تغليبا لما لايعقل (كل له قانتون) مطيعون كل بما يراد منه وفيه تغليب العاقل (بديع السموات والارض) موجد هما لا على مثال سبق (واذا قضى) اراد (امرا) اى ايجاده (فانما يقول له كن فيكون) اى فهو يكون وفى قراءة بالنصب جوابا للامر (وقال الذين لايعلمون) اى كفار مكة للنبى صلى الله عليه وسلم

(لولا) هلا (يكلمنا الله) انك رسوله (او تاتينا آية) مما اقترحناه على صدقك (كذلك) كما قال هؤلاء (قال الذين من قبلهم) من كفار الامم الماضية لانبيائهم (مثل قولهم) من التعنت وطلب الآيات (تشابهت قلوبهم) فى الكفر والعناد فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) يعلمون انها آيات فيؤمنون فاقتراح آية معها تعنت (انا ارسلناك) يا محمد (بالحق) بالهدى (بشيرا) من اجاب اليه بالجنة (ونذيرا) من لم يجب اليه بالنار (ولا تسال عن اصحاب الجحيم) النار اى الكفار مالهم لم يؤمنوا انما عليك البلاغ وفى قراءة بجزم تسال نهيا (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) دينهم (قل ان هدى الله) اى الاسلام (هو الهدى) وماعداه ضلال (ولئن) لام قسم (اتبعت اهواءهم) التى يدعونك اليها فرضا

(ان كنتم صادقين) انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او مارة لانه تعالى كذب المنافقين فى قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد يصرف التكذيب الى قولهم يشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة) لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به وميز لهم الحق من الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم فى معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذى يعم الاتيان به وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للممكنى عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان التى للشك والحال يقتضى اذا الذى للوجوب فان القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكا فى عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بنى الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التأمل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكأنه قال تعالى فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا فى نفى المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل فى احدى الروايتين عنه وفى الرواية الاخرى اصله لاان وعند الفراء قابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما توقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول « وقدت النار وقودا عاليا » والاسم بالضم ولعله مصدر سمى به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اى وقودها احتراق الناس والحجارة وهى جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التى نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتها ويدل عليه قوله تعالى * انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم * عذبوا بما هو منشأ جرهم كما عذب الكافرون بما كنزوه او بقيض

ما كانوا يتوقعون زيادة فى تحسرهم وقيل الذهب والفضة التى كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذا لغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث تقذ بما لايتقذبه غيرها والكبريت يتقذبه كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلعله ارادبه ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعدما نزل بمكة قوله تعالى فى سورة التحريم * نارا وقودها الناس والحجارة * وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة (اعدت للكافرين) هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف اوحال باضمار قد من النار لا الضمير الذى فى وقودها وان جعلته مصدر اللفصل بينهما بالخبر وفى الآيتين مايدل على النبوة من وجوه الاول مافيهما من التحدى والتحريص على الجدو بذل الوسع فى المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سورة القرآن العزيز ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضه والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثانى انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ماهو به فانهم لو عارضوه بشئ لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه فى كل عصر والثالث انه صلى الله عليه وسلم لو شك فى امره لمادعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله تعالى * اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة الآن لهم (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات) عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن العظيم ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ماجرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ماينجى وتثبيطا عن اقتراف مايردى لاعطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له مايشاكله من امر اونهى فيعطف عليه اوعلى فاتقوا لانهم اذا لم يؤتوا بما يعارضه بعد التحدى ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك

(بعد الذى جاءك من العلم) الوحى من الله (مالك من الله من ولى) يحفظك (ولانصير) يمنعك منه (الذين آتيناهم الكتاب) مبتدأ (يتلونه حق تلاوته) اى يقرؤنه كما انزل والجملة حال وحق نصف على المصدر والخبر (اولئك يؤمنون به) نزلت فى جماعة قدموا من الحبشة واسلموا (ومن يكفر به) اى بالكتاب المؤتى بان يحرفه (فاولئك هم الخاسرون) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين) تقدم مثله (واتقوا) خافوا (يوما لاتجزى) تغنى (نفس عن نفس) فيه (شيأ ولايقبل منها عدل) فداء (ولاتنفعها شفاعة ولاهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله (و) اذكر (اذابتلى) اختبر (ابراهيم) وفى قراءة ابرهام (ربه كلمات) باوامر ونواه كلفه بها قيل هى مناسك الحج

يستدعى ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول صلى الله عليه وسلم اوعالم كل عصر اوكل احد يقدر على البشارة بان يبشره ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنأوا بما اعدلهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور فى البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هى الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرنى بقدوم ولدى فهو حرفا خبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرنى عتقوا جميعا واما قوله تعالى * فبشرهم بعذاب اليم * فعلى التهكم اوعلى طريقة قوله « تحية بينهم ضرب وجيع » والصالحات جمع صالحة وهى من الصفات الغالبة التى تجرى مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة « كيف الهجاء وماتنفك صالحة * من آل لأم بظهر الغيب تأتينى » وهى من الاعمال ماسوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الحصلة اوالخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليها اشعارا بان السبب فى استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذى هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولاغناء بأس لابناء عليه ولذلك فلما ذكرا منفردين وفيه دليل على انهما خارجة عن مسمى ايمان اذا لاصل ان الشئ لايعطف على نفسه ولاعلى ماهو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه اومجرور باضماره مثل الله لأفعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمى به الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ماتحته ستر واحدة قال ابن زهير « كان عينى فى غربى مقتلة * من النواضح تسقى » سحقا جنة اى نخلا طوالا شم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر فى الدنيا ماأعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال سبحانه وتعالى * فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين * وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ماذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفى كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام فى لهم تدل على استحقاقهم اياها لاجل ماترتب عليه من الايمان

وقيل المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الرأس وفلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء (فاتمهن) اداهن تامات (قال) تعالى له (انى جاعلك للناس اماما) قدوة فى الدين (قال ومن ذريتى) اولادى اجعل ائمة (قال لاينال عهدى) بالامامة (الظالمين) الكافرين منهم دل على انه ينال غير الظالم (واذ جعلنا البيت) الكعبة (مثابة للناس) مرجعا يثوبون اليه من كل جانب (وامنا) مامنالهم من الظلم والاغارات الواقعة فى غيره كان الرجل يلقى قاتل ابيه فيه فلا يهيجه (واتخذوا) ايها الناس (من مقام ابراهيم) هو الحجر الذى قام عليه عند بناء البيت (مصلى) مكان صلاة تصلوا خلفه ركعتى الطواف وفى قراءة بفتح الخاء خبر (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل) امرنا هما (ان) اى بان (طهرا بيتى) من

والعمل الصالح لالذاته فانه لايكافئ النعم السابقة فضلا عن ان يقتضى ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل يجعل الشارع ومقتضى وعده تعالى ولاعلى الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم * وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم * لئن اشركت ليحبطن عملك * واشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيد ههنا استغناء بها (تجرى من تحتها الانهار) اى من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجرى فى غير اخدود واللام فى الانهار للجنس كما فى قولك لفلان بستان فيه الماء الجارى اوللعهد والمعهود هى الانهار المذكورة فى قوله تعالى * انهار من ماء غير آسن * الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار اوالمجاز والمجارى انفسها واسناد الجرى اليها مجاز كما فى قوله تعالى * واخرجت الارض اثقالها * (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا) صفة ثانية لجنات اوخبر مبتدأ محذوف اوجملة مستأنفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع فى خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا اواجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وتقدير الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فيها فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن فى الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما فى قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع مارزقوا كقولك مشيرا الى نهر جاز هذا الماء لايقطع فانك لاتغنى به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه والمعنى هذا مثل الذى ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته حسا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة (من قبل) اى من قبل هذا فى الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول مارأت فان الطباع مائلة الى المألوف ثم متنفرة عن غيره وتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذلو كان جنسا لم يعهد ظن انه لايكون الا كذلك اوفى الجنة لان طعامها متشابه

الاوثان (للطائفين) المقيمين فيه (والركع السجود) جمع راكع وساجد المصلين (واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا) المكان (بلدا آمنا) ذا امن وقد اجاب الله دعاءه فجعله حرما لايسفك فيه دم انسان ويظلم فيه احد ولايصاد صيده ولا يختلى خلاه (وارزق اهله من الثمرات) وقد فعل ينقل الطائف من الشام اليه وكان اقفر لازرع فيه ولاماء (من امن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من اهله وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله لاينال عهدى الظالمين (قال) تعالى (و) ارزق (من كفر فامتعه) بالتشديد والتخفيف فى الدنيا بالرزق (قليلا) مدة حياته (ثم اضطره) الجئه فى الآخرة (الى عذاب النار) فلا يجد عنها محيصا (وبئس المصير) المرجع هى (و) اذكر اذ يرفع ابراهيم القواعد) الاسس اوالجدر (من البيت) يبنيه متعلق بيرفع (واسمعيل)

عطف على ابراهيم يقولان (ربنا تقبل منا) بناء نا (انك انت السميع) للقول (العليم) بالفعل (ربنا واجعلنا مسلمين) منقادين (لك و) اجعل (من ذريتنا) اولادنا (امة) جماعة (مسلمة لك) ومن للتبعيض واتى به لتقدم قول له لاينال عهدى الظالمين (وارنا) علمنا (مناسكنا) شرائع عبارتنا اوحجنا (وتب علينا انك انت التواب الرحيم) سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعا وتعليما لذريتهما ربنا وابعث فيهم) اى اهل البيت (رسولا منهم) من انفسهم وقد اجاب الله دعاءه بمحمد صلى الله عليه وسلم (يتلوعليهم آياتك) القرآن (ويعلمهم) الكتاب) القرآن (والحكمة) اى مافيه من الاحكام (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك (انك انت العزيز) الغالب (الحكيم) فى صنعه (ومن) اى لا (يرغب عن ملة ابراهيم) فيتركها (الامن

فى الصورة كما حكى عن الحسن رضى الله تعالى عنه ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فالون واحد والطعم مختلف اوكما روى انه عليه الصلاة والسلام قال * والذى نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فاهى واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها فلعلهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على تردهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعى لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتعجبهم بما وجدوا من التفاوت العظيم فى اللذة والتشابه البليغ فى الصورة (واتوابه متشابها) اعترا يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى مارزقوا فى الدارين فانه مدلول عليه بقوله عز من قائل هذا الذى رزقنا من قبل ونظيره قوله عزوجل * ان يكون غنيا اوفقيرا فالله اولى بهما * اى بجنس الغنى والفقير وعلى الثانى الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل فى الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس فى الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل فى الصورة التى هى مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف فى اطلاق التشابه هذا وان للآية الكريمة محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة فى مقابلة مارزقوا فى الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة فى اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذى رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما فى الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا فى الوعد نظير قوله * ذوقوا ماكنتم تعملون * فى الوعيد (ولهم فيها ازواج مطهرة) مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال « واذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فلت » فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهر اطهرهن وليس هو الا الله عزوجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو فى الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذى ودفع

ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهى مستغنى فى الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية فى بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها فى تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع مايلزمها وتفيد عين فائدتها (وهم فيها خالدون) دائمون والخلد والخلود فى الاصل الثبات المديد دام اولم يدم ولذلك قيل للاثافى والاحجار خوالد وللجزء الذى يبقى من الانسان على حاله مادام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد فى قوله تعالى * خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لادوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا اومجازوالاصل ينفيهما بخلاف مالووضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى *وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد*لكن المراد منه الدوام ههنا عند الجمهور لمايشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها فى الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لاتعتورها الاستحالة بان يجعل اجزائها مثلا متقاومة فى الكيفية متساوية فى القوة لايقوى شئ منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة لاينفك بعضها عن بعض كمايشاهد فى بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على مانجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح عن مادل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الدوام والثبات فان كل نعم جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية عن شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعدلهم فى الآخرة بابهى مايستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم فى التنعم والسرور (ان الله لايستحى ان يضرب مثلا مابعوضة) لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وماهو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التى يتعلق بها التمثيل فى العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه فى صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة

سفه نفسه) جهل انها مخلوقة الله يجب عليها عبادته او استخف بها وامتهنها (ولقد اصطفيناه) اخترناه (فى الدنيا) بالرسالة والخلة (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العلا واذكر (اذقال له ربه أسلم) انقد لله واخلص له دينك (قال اسلمت لرب العالمين ووصى) وفى قراءة اوصى (بها) بالملة (ابراهيم بنيه ويعقوب) بنيه قال (يابنى ان الله اصطفى لكم الدين) دين الاسلام (فلاتموتن الا وانتم مسلمون) نهى عن ترك الاسلام وامر بالثبات عليه الى مصادفة الموت ولما قال اليهود للنبى الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية نزل (ام كنتم شهداء) حضورا (اذ حضر يعقوب الموت اذ) بدل من اذ قبله (قال لبنيه ما تعبدون من بعدى) بعد موتى (قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق) عد اسمعيل من الآباء تغليب ولان

من الوهم لان من طبعه الميل الى الحسن وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لاماقالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضيف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى مايدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع في جواب ماطعنوا به فقال تعالى ان الله لايستحيي اى لايترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبايح وعدم المبالاة بها والخجيل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه انكسار يعترى القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما يقال نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به البارى تعالى كما جاء في الحديث * ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه واللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا شهر « اذا ما استحين الماء يعرض نفسه * كر عن يسبت في اناء من الورد » وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع شئ على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اى اى كتاب كان او مزيدة للتأكيد كالتي في قوله تعالى * فبما رحمة من الله * ولا نعني بالمزيد اللغو الضايع فان القرآن كله هدى وبيان بل مالم يوضع لمعنى يراد منه وانما

العم بمنزلة الاب (الها واحدا) بدل من الهك (ونحن له مسلمون) وام بمعنى همزة الانكار اى لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون اليه مالايليق به (تلك) مبتدا والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما وانث لتأنيث خبره (امة قد خلت) سلفت (لها ماكسبت) من العمل اى جزاؤه استئناف (ولكم) الخطاب لليهود (ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) كما لا يسئلون عن عملكم والجملة تاكيد لما قبلها (وقالوا كونو هودا او نصارى تهتدوا) او للتفصيل وقائل الاول يهود المدينة والثاني نصارى نجران (قل) لهم (بل) نتبع (ملة ابراهيم حنيفا) حال من ابراهيم مائلا عن الاديان كلها الى الدين القيم (وما كان من المشركين قولوا) خطاب للمؤمنين (آمنا بالله وما انزل الينا) من القرآن (وما انزل الى ابراهيم) من الصحف العشر (واسمعيل

وضعت لان تذكر مع غيرها فتفيدله وثاقة وقوة وهو زيادة فى الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا اومفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة اوهما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ماوجوها اخر ان تكون موصولة وحذف صدر صلتها كما حذف فى قوله *تماما على الذى احسن* وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستهامية هى المبدأ كانه لما رد استبعادهم ضرب الامثال قال بعده ماالبعوضة فما فوقها حتى لايضرب به المثل بل له ان يمثل بما واحقر من ذلك ونظيره فلان لايبالى بما يهب مادينار ودينار والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالحموش (فمافوقها) عطف على بعوضة اوما ان جعل اسما ومعناه ومازاد عليها فى الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ماستنكروه والمعنى انه لايستحيى ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه اوفى المعنى الذى جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه الصلاة والسلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره فى الاحتمالين ماروى ان رجلا يمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال* مامن مسلم يشاك شوكة فمافوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل مايجاوز الشوكة فى الالم كالحرور اومازاد عليها فى القلة كنخبة النملة لقوله عليه الصلاة والسلام * ماأصاب المؤمن مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة (فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم) ماحرف تفصيل يفصل ما اجمل ويؤكد مابه صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه امازيد فذاهب معناه مهما يكن من شئ فزيد ذاهب اوهو ذاهب لامحالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فاد خلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفى تصدير الجملتين به اجاد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير فى انه للمثل اولان يضرب والحق الثابت الذى لايسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق اى محكم النسج (واما الذين كفروا فيقولون) كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون

واسحق ويعقوب والاسباط) اولاده (وما اوتى موسى) من التوراة (وعيسى) من الانجيل (وما اوتى النبيون من ربهم) من الكتب والايات لانفرق بين احد منهم) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى (ونحن له مسلمون فان آمنوا) اى اليهود والنصارى (بمثل) مثل زائد ما آمنتم به فقدا هتدوا وان تولوا) عن الايمان به (فانماهم فى شقاق) خلاف معكم (فسيكفيكهم الله) يامحمد شقاقهم (هو السميع) لاقوالهم (العليم) بأحوالهم وقد كفاه اياهم بقتل قريظة ونفى النضير وضرب الجزية عليهم (صبغة الله) مصدر مؤكد لآمنا ونصبه بفعل مقدر اى صبغنا الله والمراد بها دينه الذى فطر الناس عليه لظهور أثره على صاحبه كالصبغ فى الثوب (ومن) اى لااحد (احسن من الله صبغة) تمييز (ونحن له عابدون) قال اليهود للمسلمين نحن اهل الكتاب

الاول وقبلتنا اقدم ولم تكن الانبياء من العرب ولو كان محمد نبيا لكان منا فنزل (قل) لهم (أتحاجوننا) تخاصمونا (فى الله) ان اصطفى نبيا من العرب (وهو ربنا وربكم) فله ان يصطفى من عباده من يشاء (ولنا اعمالنا) نجازى بها (ولكم اعمالكم) تجازون بها فلا يبعد ان يكون اعمالنا ما نستحق به الاكرام (ونحن له مخلصون) الدين والعمل دونكم فنحن اولى بالاصطفاء والهمزة للانكار والجمل الثلاث احوال (ام) بل (يقولون) بالياء والتاء (ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل) لهم (أأنتم اعلم ام الله) اى الله اعلم وقد برأهما ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا والمذكورون معه تبع له (ومن اظلم ممن كتم) اخفى الناس (شهادة عنده) كائنة (من الله) اى لا احد اظلم منه وهم اليهود كتموا شهادة الله

ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكتابة ليكون كالبرهان عليه (ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذى ومابعده صلته والمجموع خبرها وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اى شئ منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن فى جوابه الرفع على الاول والنصب على الثانى ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التى هى مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثانى قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف البارى تعالى به ولذلك اختلف فى معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصى بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا لترجيح وهى اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفى هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله * هذه ناقة الله لكم آية (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) جواب ماذا اى اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد وبيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراد والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى * وقليل من عبادى الشكور * ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال « قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا » وقال « ان الكرام كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا » (ومايضل به الا الفاسقين) اى الحائرين عن حد الايمان كقوله تعالى * ان المنافقين هم الفاسقون * من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة « فواسقا عن قصدها جوائرا » والفاسق فى الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى التغابى وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها

والثالثة الجحود وهو ان يركبها مستصوبا اياها فاذا شاف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر ومادام هو فى درجة التغابى او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذى هو مسمى الايمان لقوله تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتى المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما فى بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذى اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع (الذين ينقضون عهد الله) صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله فى طاقات الحبل واستعماله فى ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل فى ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد فى شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى * واشهدهم على انفسهم * او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واشار بقوله * واذا خذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب * ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا لدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه (من بعد ميثاقه) الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهى الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به

فى التوراة لابراهيم بالحنيفية (وما الله بغافل عما تعملون) تهديد لهم (تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) تقدم مثله (سيقول السفهاء) الجهال (من الناس) اليهود والمشركين (ما ولاهم) اى شئ صرف النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عن قبلتهم التى كانوا عليها) على استقبالها فى الصلاة وهى بيت المقدس والاتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الاخبار بالغيب (قل لله المشرق والمغرب) اى الجهات كلها فيأمر بالتوجه الى اى جهة شاء لا اعتراض عليه (يهدى من يشاء) هدايته (الى صراط) طريق (مستقيم) دين الاسلام اى ومنهم انتم دل على هذا (وكذلك) كما هديناكم اليه (جعلناكم) يا امة محمد (امة وسطا) خيارا عدولا (لتكونوا شهداء على الناس) يوم القيامة ان رسلهم بلغتهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) انه بلغكم (وما جعلنا) صيرنا

من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق (ويقطعون ما امر الله به ان يوصل) يحتمل كل قطعية لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم واعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر مافيه رفض خير او تعاطى شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصود بالذات من كل وصل وفصل الامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمى الامر الذى هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثانى احسن لفظا ومعنى (ويفسدون فى الارض) بالمنع عن ايمان والاستهزا بالحق وقع الوصل التى بها نظام العالم وصلاحه (اولئك هم الخاسرون) الذين خسروا باهمال العقل عن والنظر واقتباس مايفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن فى الايات بالايمان بها والنظر فى حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب (كيف تكفرون بالله) استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التى يقع عليها على الطريق البرهانى لان صدوره لاينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى فى انكار الكفر من انكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريق الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبرونى على اى حال تكفرون (وكنتم امواتا) اى اجساما لاحياة لها عناصروا غذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة (فاحياكم) بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقى (ثم يميتكم) عند تقضى آجالكم (ثم يحييكم) بالنشور يوم نفخ الصور اول السؤال فى القبور (ثم اليه ترجعون) بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تاشرون اليه من قبوركم للحساب انا اعجب كفركم مع علمكم بحالتكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم

(القبلة) لك الآن جهة (التى كنت عليها) اولا وهى الكعبة وكان صلى الله عليه وسلم يصلى اليها فلما هاجر امر باستقبال بيت المقدس تألفا لليهود فصلى اليه سنة او سبعة عشر شهرا ثم حول (الالنعلم) علم ظهور (من يتبع الرسول) فيصدقه (ممن ينقلب على عقبيه) اى يرجع الى الكفر شكا فى الدين وظنا ان النبى صلى الله عليه وسلم فى حيرة من امره وقد ارتد لذلك جماعة (وان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى وانها كانت) اى التولية اليها (لكبيرة) شاقة على الناس (الا على الذين هدى الله) منهم وما كان الله ليضيع ايمانكم) اى صلاتكم الى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لان سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل (ان الله بالناس) المؤمنين (لرؤف رحيم) فى عدم اضاعة اعمالهم والرأفة شدة الرحمة وقدم الابلغ للفاصلة (قد) للتحقيق (نرى تقلب)

من الدلائل منزل منزلة علمهم فى ازاحة العذر سيما فى الآية تنبيه على مايدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر على ان يحييم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته اوالخطاب مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت كانت وصلة الى الحياة الثانية التى هى الحياة الحقيقية كما قال الله تعالى* وان الدار الآخرة لهى الحيوان *كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كان الواقع حالا هو العلم بها لاكل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لايصح ان يقع حالا اومع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا جها لافاحياكم بما افادكم من العلم الايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بمالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر والحياة حقيقة فى القوة الحساسة اوما يقتضيها وبها سمى الحيوان حيوانا مجاز فى القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على مايقابلها فى كل مرتبة قال تعالى* قل الله يحييكم ثم يميتكم * وقال * اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها * وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس* واذا وصف بها البارى تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدر اللازمة لهذه القوة فينا اومعنى قائم بذاته يقتضى ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء فى جميع القرآن (هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا) بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق مايتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لهم لاجلكم وانتفاعكم فى دنياكم باستنفاعكم بها فى مصالح ابدانكم بوسط اوبغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة وآلامها لاعلى وجه الغرض فان

تصرف (وجهك فى) جهة (السماء) متطلعا الى الوحى ومتشوفا للامر باستقبال الكعبة وكان يؤد ذلك لانها قبلة ابراهيم ولانه ادعى الى اسلام العرب (فلنولينك) نحولنك (قبلة ترضاها تحبها) (فول وجهك) استقبل فى الصلاة (شطر) نحو (المسجد الحرام) اى الكعبة (وحيثما كنتم) خطاب للامة (فولوا وجوهكم) فى الصلاة (شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون أنه) اى التولى الى الكعبة (الحق) الثابت (من ربهم) لما فى كتبهم من نعت النبى صلى الله عليه وسلم من انه يتحول اليها (وما الله بغافل عما تعملون) بالتاء ايها المؤمنون من امتثال امره وبالياء اى اليهود من انكار امر القبلة (ولئن) لام قسم (أتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية) على صدقك فى أمر القبلة (ماتبعوا) أى

يتبعون (قبلتك) عنادا (وما انت بتابع قبلتهم) قطع لطمعه فى اسلامهم وطمعهم فى عوده اليها (ومابعضهم بتابع قبلة بعض) اى اليهود قبلة النصارى وبالعكس (ولئن اتبعت أهواءهم) التى يدعونك اليها (من بعد ماجاءك من العلم) الوحى (انك اذا) ان اتبعتهم فرضا (لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) اى محمد (كما يعرفون ابناءهم) بنعته فى كتبهم قال ابن سلام لقد عرفته حين رأيته كما اعرف ابنى ومعرفتى لمحمد اشد (وان فريقا منهم ليكتمون الحق) نعته (وهم يعلمون) هذا الذى انت عليه (الحق) كائنا (من ربك فلاتكونن من الممترين) الشاكين فيه اى من هذا النوع فهو ابلغ من لاتمتر (ولكل) من الامم (وجهة) قبله (هو موليها) وجهة فى صلاته وفى قرأة مولاها (فاستبقوا الخيرات) بادروا الى الطاعات وقبولها (اينما

الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضى اباحة الاشياء النافعة ولايمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لاان كل واحد لكل واحد ومابهم كل مافى الارض الاذا اريد بهاجهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثانى (ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غيران يلوى على شئ واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولايمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى اى استولى وملك قال « قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق » والاول اوفق اللاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية اوجهات العلو وثم لعله لتفاوت مابين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله * ثم كان من الذين امنوا * لالتراخى فى الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى * والارض بعد ذلك دحاها * فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق مافيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه انتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر (فسواهن) عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع اوهو فى معنى الجمع والافبهم يفسره مابعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات) بدل اوتمييز اوتفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس فى الاية نفى الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسى لم يبق خلاف (وهو بكل شئ عليم) فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه اشياء كلها خلق ماخلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لايتصور الامن عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج فى صدورهم من ان الابدان بعد ماتبددت وتفتتت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث

لايشذشئ منها ولاينضم اليها مالم يكن معها فيعاد منهـا كما كان ونظيره قوله تعـالى * وهو بكل خلق عليم ❊ واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلاث مقـدمات وقد برهن عليهـا فى هـاتين الآيتين اما الاولى فهو ان مواد ابدان قابلة للجمع والحياة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيـاة عليها يدل على انهـا قابلة لها بذاتهـا ومابالذات يأبى ان يزول ويتغير اما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشـار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ماهو اعظم خلقـا واعجب صنعافكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه تعالى خلق ماخلق خلقا مستويامحكمـا من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتها وذلك دليل على تناهى علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائى الهاء من نحو فهو وهو تشبيهـاله بعضد (واذقال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة) تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود انعام يعم ذريته واذظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذالزمان نسـبة مسـتقبلة يقع فيه اخر ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث فى المكان وبنيتـا تشبيها لهـما بالموصولات واستعملتـا للتعليل والمجـازاة ومحلهمـا النصب ابدا لظرفية فانهمـا من الظروف الغير المتصرفة لماذكرناه واما قوله تعالى * واذكر اخاعاداذنذر قومه * ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذكان كذافحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله فى الاية قالوا اذكر على التـأويل المذكور لانه جاء معمولاله حيث يجـافى القرأن كثيرا اومضمر دل عليـه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذقال وعـلى هـذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة فى حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل جمع شمأل التاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهى الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله اوكالرسل اليهم واختلف العقـلاء فى حقيقتهم بعد اتفـاقهم عـلى انهـا ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسـام لطيفة قادرة على التشـكل باشكال مختلفة مسـتدلين بان الرسـل كانوا يرونهم كذلك

تكونوا يأت بكم الله جميعا) بجمعكم يوم القيامة فيجاز يكم بأعمالكم (ان الله على كل شئ قدير ومن حيث خرجت) لسـفر (قول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عمـا تعملون) بالياء واليـاء تقدم مثله وكرره لبيان تساوى حكم السفر وغيره (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) كرره للتـأكيد (لئلا يكون للناس) اليهود اوالمشركين (عليكم حجة) اى مجـادلة فى التولى الى غيره اى التنتفى مجـاد لتهم لكم من قول اليهود يجعدد يننـا وينبع قبلتنا وقول المشركين يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته (الا الذين ظلموا منهم) بالعناد فانهم يقولون ماحول اليهـا الاميلا الى دين آبائة والاستثنـاء متصل والمعنى لايكون لاحد عليكم كلام الا كلام هؤلاء (فلا تخشوهم) تخافوا جد الهم

في التولى اليها (واخشونى) بامتثال امرى (ولأتم) عطف على لئلا يكون (نعمتى عليكم) بالهداية الى معالم دينكم (ولعلكم تهتدون) الى الحق (كما ارسلنا) متعلق بأتم اى اتماما كاتمامها بارسالنا (فيكم رسولا منكم) محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلو عليكم آياتنا) القرآن (ويزكيكم) يطهركم من الشرك (ويعلمكم الكتاب) القرآن (والحكمة) مافيه من الاحكام (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون فاذكرونى) بالصلاة والتسبيح ونحوه (اذكركم) قيل معناه اجازيكم وفى الحديث عن الله من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملاء خير من ملئه (واشكروا لى) نعمتى بالطاعة (ولاتكفرون) بالمعصية (يأيها الذين آمنوا استعينوا) على الآخرة (بالصبر) على الطاعة والبلاء (والصلاة) خصها

وقالت طائفة من النصارى هى النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقية منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق فى معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم فى محكم تنزيله فقال* يسبحون الليل والنهار لايفترون* وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ماسبق به والقضاء وجرى به القلم الالهى لايعصون الله ما امرهم ويفعلون مايؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته فى كتاب الطوالع والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه فى محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم فى الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس فى جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم فى الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذى له مفعولان وهما فى الارض خليفة اعمل فيها لانه بمعنى المستقبل ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام لانه كان خليفة الله فى ارضه وكذلك كل نبى استخلفهم الله فى عمارة الارض وسياسة الناس تكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لالحاجة له تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تعالى* ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا* الاترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واستعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيئ ولولم تمسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام فى الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك فى الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل البارى تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطى ذلك اوخليفة من سكن الارض قبله اوهو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم اويخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر ابى القبيلة فى قولهم مضروها شم اوعلى تأويل من يخلفكم اوخلقا يخلفكم وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله

الراجح على مافيه من الفاسد بسؤ الهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضى ايجاد مايغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غيرذلك (قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها اويستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفى عليهم من الحكمة التى بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عمايختلج فى صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولاطعن فى بنى آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى *بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون * وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى اوتلق من اللوح اواستنباط عما ركز فى عقولهم ان العصمة من خواصهم اوقياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال فى الدم والدمع والسبك فى الجواهر المذابة والسفح فى الصب من اعلى والشن فى الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا اوموصوفا محذوفا اى يسفك الدماء فيهم (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) حال مقررة لجهة الاشكال كقولك أنحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج القديم والمعنى أتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ماهو متوقع منهم على الملائكة المعصومين فى الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ماالحكمة فى استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لاتقتضى الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم مايتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل ممرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد مايقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذى هو المقصود

بالذكر لتكررها وعظمها (ان الله مع الصابرين) بالعون (ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل) هم (احياء) ارواحهم فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت لحديث بذلك (ولكن لاتشعرون) تعلمون ماهم فيه (ولنبلونكم بشئ من الخوف) للعدو (والجوع) القحط (ونقص من الاموال) بالهلاك (والانفس) بالقتل والموت والامراض (والثمرات) بالجوائح اى لنختبرنكم انصبرون ام لا (وبشر الصابرين) على البلاء بالجنة هم (الذين اذا اصابتهم مصيبة) بلاء (قالوا انا لله) ملكا وعبيدا يفعل بنا مايشاء (وانا اليه راجعون) فى الآخرة فيجازينا فى الحديث من استرجع عند المصيبة آجره الله فيها واخلف عليه خيرا وفيه ان مصباح النبى صلى الله عليه وسلم طفئ فاسترجع فقالت عائشة انما هذا مصباح فقال كل ماساء المؤمن فهو مصيبة رواه ابو داود فى مراسيله

من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله (قال انى اعلم مالاتعلمون) والتسبيح تبعد الله تعالى عن السوء والنقصان كذلك التقديس من سبح الارض والماء وقدس فى الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشئ مبعدله عن الاقذار وبحمدك فى موضع الحال اى ملتبسين بحمدك على ماالهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تدار كوابه ما اوهم اسناد التسبيح الى نفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذى هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الاثام وقيل نقدسك واللام مزيدة (وعلم آدم الاسماء كلها) امابخلق علم ضروى بهافيه اوالقاء فى روعه ولايفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمى كازر وشالخ واشتقاقه من الادمة اوالادمة بالفتح بمعنى الاسوة اومن اديم الارض * لماروى عنه عليه الصلاة والسلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتى بنوه اخيافا اومن الادم والامة بمعنى الألفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق مايكون علامة للشئ ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا فى اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا اومفردا مخبرا عنه اوخبرا اورابطة بينهما واصطلاحا فى المفرد الدال على معنى فى نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد فى الاية اما الاول اوالثانى وهو يستلزم الاول لان العلم بالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعانى والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعد لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشيأ وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها (ثم عرضهم على الملائكة) الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذا لتقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى *واشتعل الرأس شيبا* لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء

أولئك عليهم صلوات) مغفرة (من ربهم ورحمة نعمة (واولئك هم المهتدون) الى الصواب (ان الصفا والمروة) جبلان بمكة (من شعائر الله) اعلام دينه جمع شعيره (فمن حج البيت او اعتمر) اى تلبس بالحج اوالعمرة واصلهما القصد والزيارة (فلا جناح ثم (عليه ان يطوف) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الطاء (بهما) بأن يسعى بينهما سبعا نزلت لما كره المسلمون ذلك لان اهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما وعن ابن عباس ان السعى غير فرض لما افاده رفع الاثم من التخيير وقال الشافعى وغيره ركن وبين صلى الله عليه وسلم فرضيته بقوله ان الله كتب عليكم السعى رواه البيهقى وغيره وقال ابدؤا بما بدأ الله به يعنى الصفا رواه مسلم (ومن تطوع) وفى قراءة بالتحتية وتشديد الطاء مجزوما وفيه ادغام التاء فيها (خيرا) اى بخير

اومدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ماشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن اومسمياتها (فقال انبئونى باسماء هولاء) تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجرى مجرى كل واحد منهما (ان كنتم صادقين) فى زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم اوان حلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لايليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالتهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض مايلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعترى الانشاآت (قالوا سبحانك لاعلم لنا الاماعلمتنا) اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه وقد بان لهم ماخفى عليهم من فضل الانسان والحكمة فى خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولايكاد يستعمل الامضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجرى علما على التسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ فى قوله «سبحان من علقمة الفاخر» وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك انى كنت من الظالمين (انك انت العليم) الذى لايخفى عليه خافية (الحكيم) المحكم لمبدعاته الذى لايفعل الامافيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تأكيد للكاف كما فى قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه مالايسوغ فى المتبوع ولذلك جاز ياهذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره مابعده والجملة خبران (قال ياآدم انبئهم باسمائهم) اى اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيها (فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون) استحضار لقوله اعلم مالاتعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ماخفى عليهم من امور السموات والارض ماظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم مالايعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين

اى عمل مالم يجب عليه من طواف وغيره (فان الله شاكر) لعمله بالاثابة عليه (عليم) به * ونزل فى اليهود (ان الذين يكتمون) الناس (ماانزلنا من البينات والهدى) لآية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم (من بعد مابيناه للناس فى الكتاب) التوراة (اولئك يلعنهم الله) يبعدهم من رحمته (ويلعنهم اللاعنون) الملائكة والمؤمنون اى كل شئ بالدعاء عليهم باللعنة (الاالذين تابوا رجعوا عن ذلك (واصلحوا) عملهم (وبينوا) ماكتموا (فاولئك اتوب عليهم) اقبل توبتهم (وانا التواب الرحيم) بالمؤمنين ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) حال (اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) اى هم مستحقون ذلك فى الدنيا والآخرة والناس قيل عام وقيل المؤمنون (خالدين فيها) اى اللعنة او النار المدلول بها عليها (لايخفف عنهم العذاب) طرفة عين (ولاهم ينظرون) يمهلون لتوبة اومعذرة *

لان يبين لهم وقيل ماتبدون قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وماتكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لايخلق خلقا افضل منهم وقيل ماأظهروا من الطاعة واسر ابليس منهم من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الايات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط فى الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق العلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص اوعموم وتعليمات ظاهر فى القائها على المتعلم مبيناله معانيها وذلك يستدعى سابقة وضع والاصل ينفى ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله سبحانه وتعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والالتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك فى الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى* وما منا الا له مقام معلوم* وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى* هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون * وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) لما انباءهم باسماء وعلمهم مالم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوى خلقه لقوله تعالى * فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين * امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بمايقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهى نعمة رابعة عدها عليهم والسجود فى الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر «ترى الاكم فيها سجد اللحوافر» وقال «وقلن له اسجد لليلى فاسجدا» يعنى البعير اذا طأطأ رأسه وفى الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعى فالمسجود له فى الحقيقة هو الله تعالى وجعل ادم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون نموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما فى العالم الروحانى والجسمانى وذريعة للملائكة الى استيفاء ماقدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ماتباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم

نزل لما قالوا صف لنا ربك (والهكم) المستحق للعبادة منكم (اله واحد) لانظير له فى ذاته ولاصفاته (لااله الاهو) هو (الرحمن الرحيم) وطلبوا آية على ذلك فنزل (ان فى خلق السموات والارض ومافيهما من العجائب (واختلاف الليل والنهار) بالذهاب والمجئ والزيادة والنقصان (والفلك) السفن (التى تجرى فى البحر) ولاترسب موقرة (بماينفع الناس) من التجارات والحمل (ولاماانزل الله من السماء من ماء) مطر (فأحيى به الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وبث) فرق ونشر به (فيها من كل دابة) لانهم يتمون بالحصب الكائن عنه (وتصريف الرياح) تقليبها جنوبا وشمالا حارة وباردة (والسحاب) الغيم (المسخر) المذلل بامر الله تعالى يسير الى حيث شاء الله (بين السماء والارض) بلا علاقة (الآيات دالات على وحدانيته تعالى (لقوم يعقلون يتدبرون (ومن الناس

بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر اياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام فى قول حسان رضى الله تعالى عنه « اليس اول من صلى لقبلتكم * واعرف الناس بالقرآن والسنن » اوفى قوله تعالى * اقم الصلاة لدلوك الشمس * واما المعنى اللغوى وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له والتذليل والانقياد بالسعى فى تحصيل ماينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام فى ان المأمورين بالسجود الملائكة كلهم اوطائفة منهم ماسبق (فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر) امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة فى عبادة ربه اويعظمه ويتلقاه بالتحية اويخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع (وكان من الكافرين) اى فى علم الله اوصار منهم باستقباحه امر الله تعالى اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لايحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله * مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين * لابترك الواجب وحده وآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والالم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى * الا ابليس كان من الجن * لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا من الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان معمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه اوالجن ايضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مأمورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مأمورون به والضمير فى فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد المأمورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لايخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قال ابن عباس ولذلك صح عليه

من يتخذ من دون الله) اى غيره (انداد) اصناما (يحبونهم) بالتعظيم والخضوع (كحب الله) اى كحبهم له (والذين آمنوا اشد حبا لله) من حبهم للانداد لانهم لايعدلون عنه بحال ماوالكفار يعدلون فى الشدة الى الله (ولو ترى) تبصر يا محمد (الذين ظلموا) باتخاذ الانداد (اذ يرون) البناء للفاعل والمفعول يبصرون (العذاب) رأيت امرا عظيما واذ بمعنى اذا (ان) اى لان (القوة) القدرة والغلبة (لله جميعا) حال (وان الله شديد العذاب) وفى قرأة يرى بالتحتانية والفاعل ضمير السامع وقيل الذين ظلموا فهى بمعنى وان ومابعدها سدت مسد المفعولين وجواب لو محذوف والمعنى لو علموا فى الدنيا شدة عذاب الله وان القدرة لله وحده وقت معاينتهم له وهو يوم القيامة لما اتخذوا من دونه انداد (اذ) بدل من اذ قبله (تبرأ الذين اتبعوا) اى الرؤساء (من الذين اتبعوا) اى انكروا اضلالهم (و) قد (رأوا العذاب

التغير عن حاله والهبوط من محله كما اشار اليه بقوله عزوعلا * الاابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه * لايقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضى الله عنها انه عليه السلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان اراد بالنور الجوهر المضيئ والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب مايصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جدعة ولاتزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضى بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض فى سره وان الامر للوجوب وان الذى علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابى الحسن الاشعرى رحمه الله (وقلنا ياآدم اسكن انت وزوجك الجنة) السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تأكيدا كدبه المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولامعهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين اوبين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما فى قوله تعالى * اهبطوا مصرا (وكلا منها رغدا) واسعا رافها صفة مصدر محذوف (حيث شئتما) اى مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر فى التناول من الشجرة المنهى عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر (ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) فيه مبالغات تعليق النهى بالقرب الذى هو من مقدمات التناول مبالغة فى تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشئ يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روى حبك الشئ يعمى ويصم فينبغى ان لايحو ماحول ماحرم الله عليها مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا

ونقطعت) عطف على أتبرأ (بهم) عنهم (الاسباب) الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا من الارحام والمودة (وقال الذين اتبعوا لوان لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنتبرأ منهم) اى المتبوعين (كما تبرؤ منا) اليوم ولو للتمنى ونتبرأ جوابه (كذلك) اى كما اراهم شدة عذابه وتبرؤ بعضهم من بعض (يريهم الله اعمالهم) السيئة (حسرات) حال ندامات (عليهم وماهم بخارجين من النار) بعد دخولها * ونزل فيمن حرم السوائب ونحوها (يأيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا) حال (طيبا) صفة مؤكدة اومستلذا (ولاتتبعوا خطوات) طرق (الشيطان) اى تزيينه (وانه لكم عدو مبين) بين العداوة (انما يأمركم بالسوء) الاثم (والفحشاء) القبيح شرعا (وان تقولوا على الله مالا تعلمون) من تحريم مالم يحرم وغيره (واذا

لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهى او الجواب له والشجرة هى الحنطة او الكرامة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لا تعين فى الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذى بالياء (فازلهما الشيطان عنها) اصدر زلتهما عن الشجرة وجلهما على الزلة بسببها ونظير عن هذه فى قوله تعالى * وما فعلته عن امرى * او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قرأة حمزة فازالهما وهما متقاربان فى المعنى غير ان زل يقتضى عثرة مع الزوال وازلاله قوله * هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى * وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين * ومقاسمته اياهما بقوله انى لكما لمن الناصحين واختلف فى انه تمثل لهما فقالوا لهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل فى فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى (فاخرجهما مما كانا فيه) اى من الكرامة والنعيم (وقلنا اهبطوا) خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى * قال اهبطا منها جميعا * وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الانس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء (بعضكم لبعض عدو) حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله (ولكم فى الارض مستقر) موضع استقرار واستقرار (ومتاع) اى تمتع (الى حين) يربيه وقت الموت او القيامة (فتلقى آدم من ربه كلمات) استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته وتلقته وهى قوله تعالى * ربنا ظلمنا انفسنا * الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يارب

قيل لهم) اى الكفار (اتبعوا ما انزل الله) من التوحيد وتحليل الطيبات (قالوا) لا (بل نتبع ما الفينا) وجدنا (عليه آباءنا) من عبادة الاصنام وتحريم السوائب والبحائر قال تعالى (أ) يتبعونهم (ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيا) من امر الدين (ولا يهتدون) الى حق والهمزة للانكار (ومثل) صفة (الذين كفروا) ومن يدعوهم الى الهدى (كمثل الذى ينعق) يصوت (بما لا يسمع الا دعاء ونداء) اى صوتا ولا يفهم معناه اى هم فى سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه هم (صم بكم عمى فهم لا يعقلون) الموعظة (يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات) حلالات (ما رزقناكم واشكروا لله) على ما احل لكم (ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة) اى اكلها اذا لكلام فيه وكذا ما بعدها وهى ما لم

يذك شرعا والحق بها بالسنة مابين من حى وخص منها السمك والجراد (والدم) اى المسفوح كما فى الانعام (ولحم الخنزير) خص اللحم لانه معظم المقصود غيره تبع له (ماأهل به لغير الله) اى ذبح على اسم غيره والاهلال رفع الصوت وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم (فمن اضطر) اى الجأته الضرورة الى اكل شئ مما ذكر فاكله (غير باغ) خارج على المسلمين (ولا عاد) متعد عليهم بقطع الطريق (فلا اثم عليه) فى اكله (ان الله غفور) لاوليائه (رحيم) اهل طاعته حيث وسع لهم فى ذلك وخرج الباغى والعادى ويلحق بهما كل عاص يسفره كالآبق والمكاس فلا يحل لهم اكل شئ من ذلك مالم يتوبوا وعليه الشافعى (ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب) المشتمل على نعت محمد وهم اليهود (ويشترون به ثمنا قليلا) من الدنيا يأخذونه بدله من

الم تخلقنى بيدك قال بلى قال يارب الم تنفخ فى الروح من روحك قال بلى قال الم تسكنى جنتك قال بلى قال يارب ان تبت واصلحت اراجعى انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة والحركة (فتاب عليه) رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقى الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لايعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له فى الحكم ولذلك طوى ذكر النساء فى اكثر القرآن والسنن (انه هو التواب) الرجاع على عباده بالمغفرة او الذى يكثر اعاتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها البارى تعالى اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة (الرحيم) المبالغ فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو (قلنا اهبطوا منها جميعا) كرر للتأكيد اولاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولايخلدون والثانى اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترون باحد هذين الامرين وحدها كافية للمجازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسى ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثانى منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال فى اللفظ تأكيد فى المعنى كانه قيل اهل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لايستدعى اجتماعهم على الهبوط فى زمان واحد كقولك جاؤا جميعا (فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) الشرط الثانى مع جوابه جواب الشرط الاول ومامزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان يأتينكم منى هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جئ بحرف الشك واتيان الهدى كائن لامحالة لانه محتمل فى نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثانى اعم من الاول وهو ماأتى به الرسل واقتضاه العقل اى فمن تبع ماأتاه مراعيا فيه مايشهد به العقل فلاخوف عليهم فضلا عن ان يحل بهم مكروه ممن يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على المواقع نفى العقاب واثبت لهم الثواب على

آكد وجه وابلغه وقرئ هدى على لغة هذيل ولاخوف بالفتح (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) عطف على فمن تبع الى آخره فسيم له كأنه قال ولم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته او كفروا بالايات جناناوكذبوابها لسانافيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية فى الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انهاتدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اى لانها تبين ايامن اى اومن اوى اليه واصلها ايية اواوية كثمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او ابية اواوية كرمكة فاعلت اوآية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الايات المنزلة اومايعمها والمعقولة تنبيه وقدتمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من وجوه الاول ان آدم صلوات الله عليه كان نبيا وارتكب المنهى عنه والمرتكب له عاص والثانى انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى * الا لعنة الله على الظالمين * والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغى فقال * وعصى آدم ربه فغوى * والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهى الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله تعالى اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لولم يذنب لم يجر عليه ماجرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعى مطالب بالبيان والثانى ان النهى للتنزيه وانما سمى ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد الغى والعصيان اليه فسيأتى الجواب عنه فى موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لمافات عنه وجرى عليه ماجرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بماقاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى * فنسى ولم نجد له عزما * ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه الصلاة والسلام * اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل اوادى فعله الى ماجرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل بشانه لايقال انه باطل لقوله تعالى * مانهاكما ربكما * وقاسمهما * الآيتين لانه ليس فيهما مايدل على ان تناوله حين ماقاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه سفلتهم فلا يظهرونه خوف فوته عليهم (اولئك مايأكلون فى بطونهم الا النار) لانها ماكه (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) غضبا عليهم (ولا يزكيهم) يطهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب اليم) مؤلم هو النار (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اخذوها بدله فى الدنيا (والعذاب بالمغفرة) المعدة لهم فى الاخرة لولم يكتموا (فاصبرهم على النار) اى ما اشد صبرهم وهو تعجب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة والافأى صبر لهم (ذلك) الذى ذكر من اكلهم النار ومابعده (بان) بسبب ان (نزل الكتاب بالحق) متعلق بنزل فاختلفوا فيه حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه بكتمه (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) بذلك وهم اليهود وقيل المشركون فى القرآن حيث قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم كهانة (لفى شقاق) خلاف (بعيد) عن

ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسى ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهى للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روى انه عليه الصلاة والسلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتى حل لاناثها وانما جرى عليه ماجرى تفظيعا لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها فى جهة عاليه والتوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لايخلد فيه لمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لاشريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ماهو مثبت فى الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وماهو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله تعالى عليهم ويوفوا بعهوده فى اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه فقال (يابنى اسرائيل) اى اولاد يعقوب والابن من لبناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت الفكر واسرآئيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائيل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء (اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) اى بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ماانعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ماانعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضى والشكر وقيل اراد بها ماانعم الله به على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا والاصل افعلوا ونعمتى باسكان الياء وقفا واسقاطها درجا وهو مذهب

الحق (ليس البر ان تولوا وجوهكم) فى الصلاة (قبل المشرق والمغرب) نزل رداعلى اليهود والنصارى حيث زعموا ذلك (ولكن البر) اى ذا البر وقرئ بفتح الباء اى البار (من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب) اى الكتب (والنبيين وآتى المال على) مع (حبه) له (ذوى القربى) القرابة (واليتامى والمساكين وابن السبيل) المسافر (والسائلين) المطالبين (وفى) فك (الرقاب) المكاتبين والاسرى (واقام الصلاة وآتى الزكاة) المفروضة وماقبله فى التطوع (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) الله او الناس (والصابرين) نصب على المدح (فى البأساء) شدة الفقر (والضراء) المرض (وحين البأس) وقت شدة القتال فى سبيل الله (اولئك) الموصوفون بما ذكره (الذين صدقوا) فى ايمانهم او ادعاء البر (واولئك هم المتقون)

من لايحرك الياء المكسور ماقبلها (واوفوا بعهدى) بالايمان والطاعة (اوف بعهدكم) بحسن الاثابة والعهد الى المعاهد والمعاهد لعل الاول مضاف الى الفاعل والثانى الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسنا تهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء مناهو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اوفوا بعهدى فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم اوف بعدكم فى رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب اواوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بماعاهد تمونى من الايمان والتزام الطاعة اوف بماعاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين فى سورة المائدة فى قوله تعالى * ولقداخذنا ميثاق بنى اسرائيل * الى قوله * ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة (واياى فارهبون) فيما تأتون وتذرون وخصوصا فى نقض العهد وهو آكد فى افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبه خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغى ان لايخاف احدا الا الله تعالى (وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم) افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها اومطابق لها فى القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات احكام بسبب تفاوت الاعصار فى المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم فى ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام * لوكان

الله (ياايها الذين آمنوا كتب) فرض (عليكم القصاص) المماثلة (فى القتلى) وصفا وفعلا (الحر) يقتل (بالحر) ولايقتل بالعبد (والعبد بالعبد والانثى بالانثى) وبينت السنة ان الذكر يقتل بها وانه تعتبر المماثلة فى الدين فلا يقتل مسلم ولو عبدا بكافر ولو حرا (فمن عفى له) من القاتلين (من) دم (اخيه) المقتول (شئ) بان ترك القصاص منه وتنكير شئ يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة وفى ذكر اخيه تعطف داع الى العفو وايذان بان القتل لايقطع اخوه الايمان ومن مبتدا شرطية اوموصولة والخبر (فاتباع) اى فعلى العافى اتباع للقاتل (بالمعروف) بان يطالبه بالدية بلاعنف وترتيب الاتباع على العفو يفيد ان الواجب احدهما وهو احد قولى الشافعى والثانى الواجب القصاص والدية بدل عنه فلو عفا ولم يسمها

موسى حيا لما وسعه الا اتباعى تنبيه على ان اتباعهـا لاينافى الايمـان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله (ولاتكونوا اول كافربه) بان الواجب ان يكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهـل النظر فى معجزاته والعـلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافربه وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق اوفوج اوبتأويل لايكن كل واحدمنكم اول كافربه كقولك كسـانا حله فان قيل كيف نهوا عن التقدم فى الكفر وقدسبقهم مشركوا العرب قلت المرادبه التعريض لاالدلالة على مانطق به الظاهر كقولك اما انا فلسـت بجاهل اوولاتكونوا اول كافر من اهل الكتاب اوممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بمايصدقه اومثل من كفر من مشركى مكة واول افعل لافعل له وقيل اصـله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قيـاسى اوأول من آل فقلبت همزته واو اودغمت (ولاتشتروا بآياتى ثمنا قليلا) ولاتستبدلوا بالايمان بها والاتباع لهـا حظوظ الدنيا فانهـا وان جلت قليلة مسـترذلة بالاضافة الى مايفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمـان قبل كان لهم رياسة فى قومهم ورسوم وهدايامنهم فخافوا عليها لواتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوايأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه (واياى فاتقون) بالايمان واتبـاع الحق والاعراض عن الدنيـا ولما كانت الآية السـابقة مشتملة على ماهو كالمبادى لما فى الآية الثـانية فصلت بالرهبة التى هى مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لماعم العالم والمقلدامرهم بالرهبة التى هو مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لماخص اهل العلم امرهم بالتقوى التى هى منتهاه (ولاتلبسـوا الحق بالباطل) عطف على ماقبله واللبس الخلط وقديلزمه جعل الشئ مشتبها بغيره والمعنى لاتخلطوا الحق المنزل عليكم بالبـاطل الذى تخترعونه وتكتمونه حتى لايميز بينهما اوولاتجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط البـاطل الذى تكتمونه فى خلاله اوتذكرونه فى تأويله (وتكتموا الحق) جزم داخل تحت حكم النهى كانهم امروا بالايمـان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفـاء على من لم يسمعه اونصب باضمـار ان على ان الواو للجمع اى لاتجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويغضده انه فى مصحف ابن مسعود وتكتمون اى وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعـار بان استقباح اللبس لمايصحبه من كتمان الحق (وانتم تعلمون) حالين بانكم لابسون كاتمون فانه

فلا شئ ورجح (و) على القاتل (اداء) للدية (اليه) اى العـافى وهو الوارث (باحسـان) بلا مطـل ولابخس (ذلك) الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنـه على الدية (تخفيـف) تسهيـل (من ربكم) عليكم (ورحمة) بكم حيث وسع فى ذلك ولم يحتم واحدامنهما كماحتم على اليهود القصاص وعلى النصارى الدية (فمن اعتدى) ظلم القاتل بان قتـله (بعد ذلك) اى العفو (فله عذاب اليم) مؤلم فى الآخرة بالنار اوفى الدنيا بالقتل (ولكم فى القصاص حياة) اى بقاء عظيم (ياأولى الالبـاب) ذوى العقول لان القاتل اذا علم انه يقتل ارتدع فاحيا نفسه ومن اراد قتـله فشرع (لعلكم تتقون) القتل مخافة القود (كتب) فرض (عليكم اذاحضر احدكم الموت) اى اسبابه (ان ترك خيرا) مالا (الوصية) مرفوع بكتب ومتعلق اذا ان كانت ظرفية ودال على

اقبح اذا الجاهل قديعذر (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) يعنى صلاة المسلمين وزكاتهم فان غير هما كلاصلاة ولازكاة امرهم بفروع الاسلام بعد ماامرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكاة من زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة فى المال ويثمر للنفس فضلة الكرم اومن الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واركعوامع الراكعين) اى فى جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لمافيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لمايلزمهم الشارع قال الاضبط السعدى « لاتذل الضعيف علك ان تر * كع يوماوالدهر قد رفعه (أتأمرون الناس بالبر) تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير من البر وهو القضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة برفى عبادة الله تعالى وبر فى مراعات الاقارب وبر فى معاملة الاجانب (وتنسون أنفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولايتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولايتصدقون (وانتم تتلون الكتاب) تبكيت كقوله وانتم تعلمون اى تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل (افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه اوافلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل فى الاصل الحبس سمى به الادراك الانسانى لانه يحبسه عمايقبح ويعقله على مايحسن ثم القوة التى بها النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولايتعظ بنفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع اوالاحمق الخالى عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بهاحث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم غيره لامنع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المأمور بهما لايوجب الاخلال بالآخر (واستعينوا بالصبر والصلاة) متصل بماقبله كأنهم لما امروا بماشق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عوجلوا بذلك والمعنى استعينوا على حوايجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله اوبالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة

جوابها ان كانت شرطية وجواب ان اى فليوص (للوالدين والاقربين بالمعروف) بالعدل بان لايزيد على الثلث ولايفضل الغنى (حقا) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله (على المتقين) الله وهذا منسوخ بآية الميراث وبحديث لاوصية لوارث رواه الترمذى (فمن بدله) اى الايصاء من شاهد ووصى (بعد ماسمعه) عمله (فانما اثمه) اى ايصاء المبدل (على الذين يبدلونه) فيه اقامة الظاهر مقام المضمر (ان الله سميع) لقول الموصى (عليم) بفعل الوصى فمجاز عليه (فمن خاف من موص) مخففا و مثقلا (جنفا) ميلا عن الحق خطا (او اثما) بان تعمد ذلك بالزيادة على الثلث اوتخصيص غنى مثلا (فاصلح بينهم) بين الموصى والموصى له بالامر بالعدل (فلااثم عليه) فى ذلك (ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا كتب) فرض (عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم)

من الاثم (لعلكم تتقون) المعاصى فانه بكسر الشهوة التى هى مبدؤها (اياما نصب بالصيام او بصوموا مقدرا (معدودات) اى قلائل اوموقتات بعدد معلوم وهى رمضان كما سيأتى و قلله تسهيلا على المكلفين (فمن كان منكم) حين شهوده (مريضا او على سفر) اى مسافر سفر القصر و اجهده الصوم فى الحالين فافطر (فعدة) فعليه عدة ما افطر (من ايام اخر) بصومها بدله (وعلى الذين) لا (يطيقونه) لكبر اومرض لايرجى بروءه (فدية) هى (طعام مسكين) قدرما يأكله فى يومه وهو مد من غالب قوت البلد لكل يوم وفى قراءة باضافة فدية وهى للبيان وقيل لاغير مقدرة وكانوا مخيرين فى صدر الاسلام بين الصوم والفدية ثم نسخ بتعيين الصوم بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابن عباس الا الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا على الولد

والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرأن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب * روى انه عليه الصلاة والسلام اذاحزبه امر فزع الى الصلاة ويجوز ان يرادبها الدعاء (وانها) اى وان الاستعانة بهما اوالصلاة وتحصيصها برد الضمير اليها العظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر اوجلة ماامروابها ونهوا عنها (لكبيرة) لثقيلة شاقة كقوله تعالى * كبر على المشركين ماتدعوهم اليه (الاعلى الخاشعين) اى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون) اى يتوقعون لقاء الله تعالى ونيل ماعنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لماشابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر شعر * فارسلته مستيقن الظن انه * مخالط مابين الشراسيف جائف * وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثا لها متوقعة فى مقابلتها مايستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثمة قال عليه الصلاة والسلام *وجعلت قرة عينى فى الصلاة (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) كرره للتأكيد وتذكير التفضيل الذى هواجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها (وانى فضلتكم) عطف على نعمتى (على العالمين) اى عالمى زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا فى عصر موسى عليه الصلاة والسلام وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله تعالى من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف (واتقوا يوما) اى مافيه من الحساب والعذاب (لاتجزى نفس عن نفس شيئا) لاتقضى عنها شيئا من الحقوق اوشيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لاتجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلى

والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لاتجزى فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجرى مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله اومال اصابوا (ولا يقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل) اى من النفس الثانية العاصية اومن الاولى وكانه اريد بالاية نفى ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا اوغيره والاول النصرة والثانى اما ان يكون مجانا اوغيره والاول ان يشفع له والثانى اماباداء ماكان عليه وهوان يجزى عنه اوبغيره وهوان يعطى عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمى به الفدية لانها سوية بالمفدى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء (ولاهم ينصرون) يمنعون من عقاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية والمتكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد اوالاناسى والنصرة اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة فى الشفاعة ويؤيده الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آبائهم تشفع لهم (واذنجيناكم من آل فرعون) تفصيل لما اجمله فى قوله اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وعطف على نعمتى عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم ونجيتكم واصل آل اهل لان تصغيراهيل وخص بالاضافة الى اولى الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر للكى الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذاعتا وتجبر وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة (يسومونكم) يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب فى طلب الشئ (سوء العذاب) افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير فى انجيناكم اومن آل فرعون اومنهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما (يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم) بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون

فانها باقية بلانسخ فى حقهما (فمن تطوع خيرا) بالزيادة على القدر المذكور فى الفدية (فهو) اى التطوع (خير له وان تصوموا) مبتدأ خبره (خير لكم) من الافطار والفدية (ان كنتم تعلمون) انه خير لكم فافعلوه تلك الايام (شهر رمضان الذى انزل فيه القرأن) من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فى ليلة القدر منه (هدى) حال هاديا من الضلالة (للناس وبينات) آيات واضحات (من الهدى) بما يهدى الى الحق من الاحكام (و) من (الفرقان) مما يفرق بين الحق والباطل (فمن شهد) حضر (منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا اوعلى سفر فعدة من ايام اخر) تقدم مثله وكرر لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ولذا اباح لكم الفطر فى المرض والسفر ولكون ذلك فى معنى العلة ايضا للامر بالصوم عطف عليه (ولتكملوا) بالتخفيف

رأى فى المنام اوقاله الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا (وفى ذلكم بلاء) محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان الاختبار الله تعالى عبادة تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما (من ربكم) بتسليطهم عليكم اوبعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم اوبهما (عظيم) صفة بلاء وفى الآية تنبيه على ان مايصيب العبد من خير اوشر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين (واذ فرقنا بكم البحر) فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه اوبسبب انجائكم اوملتبسا بكم كقوله « تدوس بنا الجماجم والتربا » وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط (فانجيناكم فاغرقنا آل فرعون) ارادبه فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روى ان الحسن رضى الله تعالى عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد اى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه (وانتم تنظرون) ذلك اوغرقهم واطباق البحر عليهم اوانفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة اوجثثهم التى قذفها البحر الى الساحل اوينظر بعضكم بعضا روى انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسرى ببنى اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فنرا أوتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ماانعم الله به على بنى اسرائيل من الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه الصلاة والسلام ثم انهم بعد ذلك اتخذوا العجل وقالوا * لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة * ونحو ذلك فهم بمعزل فى الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ماتواتر معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه الصلاة والسلام عنها من جملة معجزاته على مامر تقريره (واذ واعدنا

والتشديد (العدة) اى عدة صوم رمضان (ولتكبروا الله) عند اكمالها (على ماهداكم) ارشدكم لمعالم دينه (ولعلكم تشكرون) الله على ذلك وسأل جماعة النبى صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزل (واذا سالك عبادى عنى فانى قريب) منهم بعلمى فاخبرهم بذلك (اجيب دعوة الداع اذا دعان) بانالته ماسال (فليستجيبوا لى) دعائى بالطاعة (وليؤمنوا) يدوموا على الايمان (بى لعلهم يرشدون) يهتدون (احل لكم ليلة الصيام الرفث) بمعنى الافضاء (الى نسائكم) بالجماع نزل نسخا لما كان فى صدر الاسلام من تحريمه وتحريم الاكل والشرب بعد العشاء (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) كناية عن تعانقهما او احتياج كل منهما الى صاحبه (علم الله انكم كنتم تختانون) تخونون (انفسكم) الجماع ليلة الصيام وقع ذلك لعمر وغيره واعتذروا الى النبى

موسى اربعين ليلة) لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وعبر عنها بالليالى لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائى واعدنا لانه تعالى وعده الوحى ووعده موسى عليه السلام المجيء للميقات الى الطور (ثم اتخذتم العجل) الها ومعبودا (من بعده) من بعد موسى عليه السلام او مضيه (وانتم ظالمون باشراككم (ثم عفونا عنكم) حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس (من بعد ذلك) اى الاتخاذ (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا عفوه (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) يعنى التوراة الجامع بين كونه كتابا منزلا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل فى الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى *يوم الفرقان* يريد به يوم بدر (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر فى الآيات (واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت ومميزا بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل البرء التركيب لخلوص الشئ عن غيره اما على سبيل التفصى كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برا الله آدم من الطين اوفتوبوا (فاقتلوا انفسكم) تماما لتوبتكم بالنجع اوقطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روى ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر لمضى لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يبصرون فاخذ وا يقتلون من الغداة الى العشى حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب (ذلكم خير لكم عند بارئكم) من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية (فتاب عليكم) متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى لهم على طريق الالتفات كانه قال فعلتم ما امرتم به صلى الله عليه وسلم (فتاب عليكم) قبل توبتكم (وعفا عنكم فالان) اذ أحل لكم (باشروهن) جامعوهن (وابتغوا) اطلبوا (ما كتب الله لكم) اى اباحه من الجماع او قدره من الولد (وكلوا واشربوا) الليل كله (حتى يتبين) يظهر (لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) اى الصادق بيان للخيط الابيض و بيان الاسود محذوف اى من الليل شبه مايبدو من البياض ومايمتد معه من الغبش بخيطين ابيض واسود فى الامتداد (ثم اتموا الصيام) من الفجر (الى الليل) اى الى دخوله بغروب الشمس (ولا تباشروهن) اى نساءكم (وانتم عاكفون) مقيمون بنية الاعتكاف (فى المساجد) متعلق بعاكفون نهى لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امراته ويعود (تلك) الاحكام المذكورة (حدود الله) حدها لعباده ليقفوا عندها (فلا تقربوها) ابلغ

من لاتعتدوها المعبر به فى آية اخرى (كذلك) كما بين لكم ماذكر (بين الله آياته للناس لعلهم يتقون) محارمه ولا تأكلوا اموالكم بينكم) اى لايأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) الحرام شرعا كالسرقة والغصب (و) لا (تدلوا) تلقوا (بها) اى بحكومتها او بالاموال رشوة (الى الحكام لتأكلوا) بالتحاكم (فريقا) طائفة من اموال الناس) ملتبسين (بالاثم وانتم تعلمون) انكم مبطلون (يسألونك) يامحمد (عن الاهلة) جمع هلال لم تبدو دقيقه ثم نزيد حتى تمتلئ نورا ثم تعود كما بدت ولاتكون على حاله واحدة كالشمس (قل) لهم (هى مواقيت) جمع ميقات (للناس) يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم وعدد نسائهم وصيامهم وافطارهم (والحج) عطف على الناس اى يعلم بها وقته فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) فى الاحرام

فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التى هى مثل فى الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب (انه هو التواب الرحيم) التى يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ فى الانعام عليهم (واذقلتم ياموسى لن نؤمن لك) لاجل قولك اولن نقر لك (حتى نرى الله جهرة) عيانا وهى فى الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤيه او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع جاهر كالكتبة فيكون حالا من الفاعل قطعا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذى اعطاك التوراة وكلمك او انك نبى (فاخذتكم الصاعقة) لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام فى الجهات والاحياز المقابلة للرآئى وهى محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الآخرة والافراد من الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة (وانتم تنظرون) ماأصابكم بنفسه اوباثره (ثم بعثناكم من بعد موتكم) بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى * ثم بعثناهم (لعلكم تشكرون) نعمة البعث او ماكفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة (وظللنا عليكم الغمام) سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا فى التيه (وانزلنا عليكم المن والسلوى) الترنجبين والسمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السمانى وينزل بالليل عمود نار يسيرون فى ضوئه وكانت ثيابهم لاتتسخ ولاتبلى (كلوا من طيبات مارزقناكم) على ارادة القول (وماظلمونا) فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وماظلمونا (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالكفران لانه لايتخطاهم ضرره (واذقلنا ادخلوا هذه القرية) يعنى بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو (وادخلوا الباب) اى باب

القرية او القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه الصلاة والسلام (سجدا) متطامنين مخبتين اوساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه (وقولوا حطة) اى مسألتنا اوامرك حطة وهى فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب عن الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة اوعلى انه مفعول قولوا اى قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اى ان نحط فى هذه القرية ونقيم بها (نغفر لكم خطاياكم) بسجودكم ودعا لكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطائى كخضائع فعند سيبويه انه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ماذكر (وسنزيد المحسنين) ثوابا جعل الامتثال نوبة للمسيئ وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ابهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لامحالة (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب مايشتهون من اعراض الدنيا (فانزلنا على الذين ظلموا) كرره مبالغة فى تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه اوعلى انفسهم بان تركوا مايوجب نجاتهم الى مايوجب هلاكهم (رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز فى الاصل مايعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روى انه مات به فى ساعة اربعة وعشرون الفا (واذاستسقى موسى لقومه) لما عطشوا فى التيه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) اللام فيه للعهد على ماروى انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا اوحجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه اياه مع العصا اوالحجر الذى فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به مما رموه من الادرة فاشار اليه جبريل عليه السلام بحمله اوللجنس وهذا اظهر فى الحجة قيل لم يأمره بان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لوا فضينا الى الارض لاحجارة بها حمل حجرا

بأن تنقبوا فيها نقبا تدخلون منه وتخرجون وتتركوا الباب وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه برا (ولكن البر) اى ذا البر (من اتقى) الله بترك مخالفته (وأتوا البيوت من ابوابها) فى الاحرام كغيره (واتقوا الله لعلكم تفلحون) تفوزون * ولما صد صلى الله عليه وسلم عن البيت عام الحديبية وصالح الكفار على ان يعود العام القابل ويخلوا له مكة ثلاثة ايام وتجهز لعمرة القضاء وخافوا ان لاتفى قريش ويقاتلوهم وكره المسلمون قتالهم فى الحرم والاحرام والشهر الحرام نزل (وقاتلوا فى سبيل الله) اى لاعلاء دينه (لذين يقاتلونكم) من الكفار (ولاتعتدوا) عليهم بالابتداء بالقتال (ان الله لايحب المعتدين) المتجاوزين ماحد لهم وهذا منسوخ بآية براءة اوبقوله (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) وجدتموهم (واخرجوهم من حيث اخرجوكم) اى مكة وقد فعل بهم ذلك عام الفتح

(والفتنة) الشرك منهم (اشد) اعظم (من القتل) لهم فى الحرم او الاحرام الذى استعظمتموه (ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام) اى فى الحرم (حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فيه (فاقتلوهم) فيه وفى قراءة بلا الف فى الافعال الثلاثة (كذلك) القتل والاخراج (جزاء الكافرين فان انتهوا (عن الكفر واسلموا (فان الله غفور) لهم (رحيم) بهم (وقاتلوهم حتى لاتكون) توجد (فتنة) شرك ويكون الدين) العبادة (لله) وحده لايعبد سواه (فان انتهوا) عن الشرك فلا تعتدوا عليهم دل على هذا (فلا عدوان) اعتداء بقتل اوغيره (الا على الظالمين) ومن انتهى فليس بظالم فلا عدوان عليه (الشهر الحرام) المحرم مقابل (بالشهر الحرام) فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم فى مثله رد لاستعظام المسلمين ذلك (والحرمات) جمع حرمة مايجب احترامه (قصاص)

فى محتملاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فيبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لاتقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من خام وكان ذراعا فى ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت اوفضرب فانفجرت كما مر فى قوله تعالى * فتاب عليكم * وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه (قد علم كل اناس) كل سبط (مشربهم) عينهم التى يشربون منها (كلوا واشربوا) على تقدير القول (من رزق الله) يريد به مارزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ماينبت به (ولاتعثوا فى الارض مفسدين) ولاتعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب فى الفساد قد يكون منه ماليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدى بفعله ومنه مايتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر عليه السلام الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه الغيث غيرانه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره فى عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار مايحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) يريد به مارزقوا فى التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لايختلف ولايتبدل وقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لاتغير الوانه ولذلك اجمعوا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ماالفوه (فادع لنا ربك) سله لنا بدعائك اياه (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة (مما تنبت الارض) من الاسناد المجازى واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض (من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ماانبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التى تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ وقثائها بالضم وهو لغة فيه (قال) اى الله

اوموسى عليه السلام(اتستبدلون الذى هو ادنى) اقرب منزلة وادون قدر واصل الدنو القرب فى المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمم وقرئ ادنأ من الدناءة (بالذى هو خير) يريد به المن والسلوى فانه خير فى اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعى (اهبطوا مصرا) انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لكون وسطه اوعلى تأويل البلد ويؤيده انه غير منون فى مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب (فان لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة) احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه اوالصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود فى غالب امرهم اذلاء مساكين اما على الحقيقة اوعلى التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم (وباؤ ابغضب من الله) رجعوا به اوصاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به والبوء المساواة (ذلك) اشارة الى ماسبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق) بسبب كفرهم بالمعجزات التى من جملتها ماعد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر اوبالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان وآية الرجم والتى فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبياء (فانهم قتلوا شعياء وذكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذلم يروا منهم مايعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اى جرهم العصيان والتمادى والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدى الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحرى كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ماحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ماذكر اوتقدم للاختصار ونظيره فى الضمير قول روبة يصف بقرة شعر « فيها خطوط من سواد وبلق * كانه فى الجلد توليع البهق » والذى حسن

اى يقتص بمثلها اذا انتهكت (فمن اعتدى عليكم) بالقتال فى الحرم أو الاحرام او الشهر الحرام (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) سمى مقابلته اعتداء لشبهها بالمقابل به فى الصورة (واتقوا الله) فى الانتصار وترك الاعتداء (واعلموا أن الله مع المتقين) بالعون والنصر (وانفقوا فى سبيل الله) طاعته الجهاد وغيره (ولاتلقوا بايديكم) اى انفسكم الباء زائدة (الى التهلكة) الهلاك بامساك عن النفقة فى الجهاد اوتركه لانه يقوى العدد وعليكم (واحسنوا) بالنفقة وغيرها (ان الله يحب المحسنين) اى يثيبهم (واتموا الحج والعمرة لله) ادوهما بحقوقهما (فان احصرتم) منعتم عن اتمامهما بعدو (فما استيسر) تيسر (من الهدى) عليكم وهو شاة (ولاتحلقوا رؤسكم) اى لاتحللوا (حتى يبلغ الهدى) المذكور (محله) حيث يحل ذبحه وهو مكان الاحصار عند

الشافعي فيذبح فيه بنية التحلل ويفرق على مساكينه ويحلق وبه يحصل التحلل (فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه) كقمل وصداع فحلق فى الاحرام (ففدية) عليه (من صيام) لثلاثة أيام (اوصدقة) بثلاثة آصع من غالب قوت البلد على ستة مساكين (أونسك) اى ذبح شاة واولالتخيير والحق به من حلق لغير عذر لانه اولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لعذر أو غيره (فاذا أمنتم) العدو بأن ذهب اولم يكن (فمن تمتع) استمتع (بالعمرة) اى بسبب فراغه منها بمحظورات الاحرام (الى الحج) اى الى الاحرام به بأن يكون احرم بها فى اشهره (فما استيسر) تيسر (من الهدى) عليه وهوشاة يذبحها بعد الاحرام به والافضل يوم النحر (فمن لم يجد) الهدى لفقده اوفقد ثمنه (فصيام) اى فعليه صيام (ثلاثة ايام فى الحج) اى فى حال الاحرام به

ذلك ان تثنية المضمرات المبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذى بمعنى الجمع (ان الذين آمنوا) بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم فى سلك الكفرة (الذين هادوا) تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل فى اليهودية ويهود اما عربى من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام (والنصارى) جمع نصران كالندامى والياء فى نصرانى للمبالغة كما فى احمرى سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام اولانهم كانوا معه فى قرية يقال لها نصران اوناصره فسموا باسمها اومن اسمها (والصابئين) قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذاخرج وقرانافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة وابدلها ياء اولانه من صبا اذا مال لانهم مالوا عن سائر الاديان الى دينهم اومن الحق الى الباطل (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) من كان منهم فى دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل فى الاسلام دخولا صادقا (فلهم اجرهم عند ربهم) الذى وعدلهم على ايمانهم وعملهم (ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبران اوبدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء التضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها فى خبران من حيث انها لاتدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ❊ ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم (واذاخذنا ميثاقكم)باتباع موسى والعمل بالتوراة (ورفعنافوقكم الطور) حتى اعطيتم الميثاق روى ان موسى عليه الصلاة والسلام لماجاءهم بالتوراة فرأوا مافيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا (خذوا) على ارادة القول (ماآتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزيمة (واذكروا مافيه) ادرسوه ولاتنسوه اوتفكروا فيه فانه ذكر بالقلب اواعملوبه (لعلكم تتقون)

لكى تتقوا المعاصى اورجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اى قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا (ثم توليتم من بعد ذلك) اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه (لكنتم من الخاسرين) المغبونين بالانهماك فى المعاصى اوبالخبط والضلال فى فترة من الرسل ولوفى الاصل لامتناع الشئ لامتناع غيره فاذا دخل على لافاد اثباتا وهو امتناع الشئ لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحق لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت) اللام موطئة للقسم والسبت مصدر قولك سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروابان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم فى زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الاحضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد مامسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار فى قوله *كمثل الحمار يحمل اسفارا * وقوله كونوا ليس بأمر اذلا قدرة لهم عليه انما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة (فجعلناها) اى المسخة اوالعقوبة (نكالا) عبرة تنكل المعتبر بها اى تمنعه ومنه النكل للقيد (لمابين يديها وماخلفها) لما قبلها ومابعدها من الامم اذ ذكرت حالهم فى زبر الاولين واشتهرت قصتهم فى الآخرين اولمعاصريهم ومن بعدهم اولما بحضرتها من القرى وماتباعد عنها اولاهل تلك القرية وما حواليها اولاجل ماتقدم عليها من ذنوبهم وماتأخر منها (وموعظة للمتقين) من قومهم اولكل متق سمعها (واذقال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) اول هذه القصة قوله تعالى واذقتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله

فيجب حينئذ أن يحرم قبل السابع من ذى الحجة والافضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفة ولايجوز صومها ايام التشريق على اصح قولى الشافعى (وسبعة اذارجعتم) الى وطنكم مكة اوغيرها وقيل اذا فرغتم من اعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة (تلك عشرة كاملة) جملة تأكيد لما قبلها (ذلك) الحكم المذكور من وجوب الهدى اوالصيام على من تمتع (لمن لم يكن اهله حاضر المسجد الحرام) بان لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعى فان كان فلادم عليه ولاصيام وان تمتع وفى ذكر الاهل اشعار باشتراط الاستيطان فلواقام قبل اشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك وهواحد وجهين عند الشافعى والثانى لاوالاهل كناية عن النفس والحق بالتمتع فيما ذكر بالسنة القارن وهو من احرم بالعمرة والحج معا اويدخل الحج عليها قبل الطواف (واتقوا الله)

فيما يأمركم به وينهاكم عنه (اعلموا ان الله شديد العقاب) لمن خالفه (الحج) وقته (اشهر معلومات) شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة وقيل كله (فمن فرض) على نفسه (فيهن الحج بالاحرام به) (فلا رفث) جماع فيه (ولا فسوق) معاص (ولا جدال) خصام (فى الحج) وفى قراءة بفتح الاولين والمراد فى الثلاثة النهى (وما تفعلوا من خير) كصدقة (يعلمه الله) فيجازيكم به * ونزل فى اهل اليمن وكانوا يحجون بلا زاد فيكونون كلا على الناس (وتزودوا) ما يبلغكم لسفر (فان خير الزاد التقوى) ما يتقى به سؤال الناس وغيره (واتقون يا اولى الالباب) ذوى العقول (ليس عليكم جناح) فى (ان تبتغوا) تطلبوا (فضلا) رزقا (من ربكم) بالتجارة فى الحج نزل ردا لكراهتهم ذلك (فاذا افضتم) دفعتم (من عرفات) بعد الوقوف بها (فاذكروا الله) بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية

نوع آخر من مساويهم الاستهزاء بالامر والاستقصاء فى السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنوا اخيه طمعا فى ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله (قالوا اتتخذنا هزؤا) اى مكان هزؤا اواهله هزؤا ومهزوأ بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزآء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسماعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا (قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) لان الهزؤ فى مثل ذلك جهل وسفه نفى به عن نفسه مارمى به على طريقة البرهان واخرج ذلك فى صورة الاستعاذة استفظاعا له (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى) اى ما حالها وصفتها وكان من حقه ان يقولوا اى بقرة هى او كيف هى لان مايسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا امروا به على حال لم يوجد بها شئ من جنسه اجروه مجرى مالم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله (قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر) لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة (عوان) نصف قال شعر « تواعم بين ابكار وعون » (بين ذلك) اى بين ماذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه فانه لايضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأى الثانى ظاهر اللفظ والمروى عنه عليه الصلوة السلام لو ذبحوا اى بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادى وزجرهم عن المراجعة بقوله (فافعلوا ما تؤمرون) ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قولهم امرتك الخير فافعل ما امرت به اوامركم بمعنى مأموركم « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها » القفوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفى اسناده الى اللون وصفة صفراء للابسة بها فضل تأكيد كانه قيل

صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى * جمالات صفر * قال الاعشى « تلك خيلى منه وتلك ركابى * هن صفر اولادها كالزبيب » ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته اولان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لاتؤكد بالفقوع (تسر الناظرين) اى تعجبهم والسرور اصله لذة فى القلب عند حصول نفع او توقعه من السر (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) تكرير للسؤال واستكشاف زائدة وقوله (ان البقر تشابه علينا) اعتذار عنه اى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالباء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها فى الشين على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبهة (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى المراد ذبحها اوالى القاتل وفى الحديث لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله سبحانه وتعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق (قال انه يقول انها بقرة لاذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث) اى لم تذلل للكرا وسقى الحروث ولاذلول صفة بقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة وساقية وقرئ لاذلول بالفتح اى حيث هى كقولك مررت برجل لابخيل ولا جبان اى حيث هو وتسقى من اسقى (مسلمة) سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له (لاشية فيها) لالون فيها يخالف لون جلدها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشياوشية اذا خلط بلونه لونا آخر (قالوا الآن جئت بالحق) اى بحقيقة وصف البقرة وحققته لنا وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام ولآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام (فذبحوها) فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها (وما كادوا يفعلون) لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم اوخوف الفضيحة فى ظهور القاتل اولغلاء ثمنها اذ روى ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعتكم لابنى حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك

والتهليل والدعاء (عند المشعر الحرام) هو جبل آخر المزدلفة يقال له قزح وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم وقف به يذكر الله ويدعو حتى اسفر جدا رواه مسلم (واذكروه كما هداكم) لمعالم دينه ومناسك حجة والكاف للتعليل (وان) مخففة (كنتم من قبله) قبل هداه (لمن الضالين ثم افيضوا) يا قريش (من حيث افاض الناس) اى من عرفة بان تقفوا بها معهم وكانوا يقفون بالمزدلفة فنسخ ترفعا عن الوقوف معهم وثم للترتيب فى الذكر (واستغفروا الله) من ذنوبكم (ان الله غفور) للمؤمنين (رحيم) بهم (فاذا قضيتم) اديتم (مناسككم) عبادات حجكم بان رميتم جمرة العقبة وطفتم واستقر تم بمنى (فاذكروا الله) بالتكبير والثناء (كذكركم آباءكم) كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة (او اشد ذكرا) من ذكركم اياهم ونصب اشد على الحال من ذكرا المنصوب باذكروا اذ لو تأخر عنه لكان

الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروا هما بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ماقاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم فعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل (واذ قتلتم نفسا) خطابا للجمع لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) اختصمتم فى شأنها اذا المتخاصمان يدفع بعضهما بعضا اوتدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل (والله مخرج ماكنتم تكتمون) مظهره لامحالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية (فقلنا اضربوه) عطف على ادارأتم ومابينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص اوالقتيل (ببعضها) اى بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب (كذلك يحيى الله الموتى) يدل على ماحذف وهو فضربوه فحيى والخطاب مع من حضر حيوة القتيل اونزول الآية (ويريكم آياته) دلائله على كمال قدرته (لعلكم تعقلون) لكى يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها اوتعلمون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ماشرط لمافيه من التقرب وادآء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالى بثمنه كماروى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه ضحى ببجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وان المؤثر فى الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لااثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعى فى اماتته الموت الحقيق فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التى هى القوة الشهوية حين زال عنها شرة الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رآيقة المنظر غير مذللة فى طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لاسمة بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فتحيى حيوة طيبة وتعرب عما به تنكشف الحال ويرتفع مابين العقل والوهم من التدارى والنزاع (ثم قست قلوبكم) القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما فى

صفة له (فمن الناس من يقول ربنا آتنا) نصيبنا (فى الدنيا) فيؤتاه فيها (وماله فى الآخرة من خلاق) نصيب (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) نعمة (وفى الآخرة حسنة) هى الجنة (وقنا عذاب النار) بعدم دخولها وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين والقصد به الحث على طلب خير الدارين كما وعد بالثواب عليه بقوله (اولئك لهم نصيب) ثواب (من) اجل (ما كسبوا) عملوا الحج والدعاء (والله سريع الحساب) يحاسب الخلق كلهم فى قدر نصف نهار من ايام الدنيا لحديث بذلك (واذكروا الله) بالتكبير عند رمى الجمرات (فى ايام معدودات) اى ايام التشريق الثلاثة (فمن تعجل) اى استعجل بالنفر من منى (فى يومين) اى فى ثانى ايام التشريق بعد رمى جماره (فلا اثم عليه) بالتعجيل (ومن تأخر) بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره (فلا اثم عليه) بذلك اى هم

الحجر وقساوة القلب مثل فى نبوة عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة (من بعد ذلك) يعنى احياء القتيل اوجميع ماعدد من الايات فانها مما يوجب لين القلب (فهى كالحجارة) فى قسوتها (اواشد قسوة) منها والمعنى انها فى القساوة مثل الحجارة اوازيد عليها اوانها امثلها اومثل ماهو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما فى اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة اوللتخيير اوللترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة اوبماهو اقسى منها (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله) تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ماتتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ماتتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله تعالى به وقلوب هؤلاء لاتتأثر ولاتنفعل عن امره تعالى والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة وتلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية ويهبط بالضم (وما الله بغافل عما تعملون) وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابوبكر بالتاء ضما الى مابعده والباقون بالياء (افتطمعون) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ان يؤمنوا لكم) ان يصدقوكم اويؤمنوا لاجل دعوتكم يعنى اليهود (وقد كان فريق منهم) طائفة من اسلافهم (يسمعون كلام الله) يعنى التورية (ثم يحرفونه) كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم اوتأويله فيفسرونه بمايشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور ثم قالوا سمعنا الله تعالى يقول فى آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلاتفعلوا (من بعد ماعقلوه) اى فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة (وهم يعلمون) انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فاطمعك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك (واذا لقوا الذين آمنوا) يعنى منافقيهم (قالوا آمنا) بانكم على الحق وان رسولكم هو المشربه فى التورية (واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا) اى الذى لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق (اتحدثونهم بما فتح الله عليكم) بما بين لكم فى التورية من نعت محمد صلى الله

مخيرون فى ذلك ونفى الاثم (لمن اتقى) الله فى حجه لانه الحاج فى الحقيقة (واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون) فى الآخرة فيجازيكم باعمالكم (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا) ولا يعجبك فى الآخرة لمخالفته لاعتقاده (ويشهد الله على مافى قلبه) انه موافق لقوله (وهو ألد الخصام) شديد الخصومة لك ولاتباعك لعداوته لك وهو الاخنس بن شريق كان منافقا حلو الكلام للنبى صلى الله عليه وسلم يحلف انه مؤمن به ومحب له فيدنى مجلسه فاكذبه الله فى ذلك ومر بزرع وحمر لبعض المسلمين فاحرقه وعقرها ليلا كما قال تعالى (واذا تولى انصرف عنك (سعى) مشى (فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) من جملة الفساد (والله لايحب الفساد) اى لايرضى به (واذا قيل له اتق الله) فى فعلك (اخذته العزة) حملته الانفة والحمية على العمل (بالاثم) الذى امر باتقائه

(فحسبه) كافيه (جهنم ولبئس المهاد) الفراش هى (ومن الناس من يشرى) يبيع (نفسه) اى يبذلها فى طاعة الله (ابتغاء) طلب (مرضاة الله) رضاه وهو صهيب لما آذاه المشركون هاجر الى المدينة وترك لهم ماله (والله رؤف بالعباد) حيث ارشدهم لما فيه رضاه * ونزل فى عبدالله بن سلام واصحابه لما عظموا السبت وكرهوا الابل بعد الاسلام (يا ايها الذين امنوا ادخلوا فى السلم) بفتح السين وكسرها الاسلام (كافة) حال من السلم اى فى جميع شرائعه (ولا تتبعوا خطوات) طرق (الشيطان) اى تزيينه بالتفريق (انه لكم عدو مبين) بين العداوة (فان زللتم) ملتم عن الدخول فى جميعه (من بعد ما جاءتكم انه حق (فاعلموا ان الله عزيز) لايعجزه شئ عن انتقامه منكم (حكيم) فى صنعه (هل) ما (ينظرون) ينتظر التاركون الدخول فيه (الا ان يأتيهم الله) اى

عليه وسلم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهار التصلب فى اليهودية ومنعالهم عن ابداء ماوجدوا فى كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تفريع وعلى الثانى انكار ونهى (ليحاجوكم به عند ربكم) لخجوا عليكم بما انزل ربكم فى كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه فى كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدى رسول ربكم وقيل عند ربكم فى القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لايدفعها (افلا تعقلون) اما من تمام كلام الاثمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيجمعونكم او خطاب من الله تعالى للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لامطمع لكم فى ايمانهم (اولا يعلمون) يغنى هؤلاء المنافقين او اللائمين اوكليهما او اياهم والمحرفين (ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون) ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء مافتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه (ومنهم اميون لايعلمون الكتاب) جهلة لايعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا مافيها او التورية (الا امانى) استثناء منقطع والامانى جمع امنية وهى فى الاصل مايقدره الانسان فى نفسه من منى اذا قدر ولذلك تطلق على الكذب وعلى ماياتمنى ومايقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين اومواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لايدخلها الامن كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا مايقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله « تمنى كتاب الله اول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل » وهو لايناسب وصفهم بانهم اميون (وانهم الا يظنون) ماهم الاقوم يظنون لاعلم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأى واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والرابع عن الحق لشبهة (فويل) اى تحسر وهلاك ومن قال انه واد اوجبل فى جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوافيها من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو فى الاصل مصدر لافعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء (للذين يكتبون الكتاب) يعنى المحرف ولعله اراد به ماكتبوه من التأويلات الزائغة (بايديهم) تأكيد كقولك كتبته بيمينى (ثم يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمنا قليلا) كى يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ماستوجبوه من العقاب الدائم (فويل لهم مما كتبت ايديهم) يعنى المحرف

(وويل لهم مما يكسبون) يريد الرشى (وقالوا لن تمسنا النار) المس ايصال الشئ بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده (الا اياما معدودة) محصورة قليلة روى ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما (قل اتخذتم عند الله عهدا) خبرا ووعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه (فلن يخلف الله عهده) جواب شرط مقدر اى ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف فى خبره محال (ام تقولون على الله مالا تعلمون) ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اى الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع (بلى) اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفى (من كسب سيئة) قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم (واحاطت به خطيئته) اى استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شئ من جوانبه وهذا انما يصح فى شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ماهو اكبر منه حتى تستولى عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصى مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى * ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوئ ان كذبوا بآيات الله * وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما (فاولئك اصحاب النار) ملازموها فى الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها فى الدنيا (هم فيها خالدون) دائمون اولا يثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التى قبلها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته امره كقوله او ياتى امر ربك اى عذابه (فى ظلل) جمع ظلة (من الغمام) السحاب (والملائكة وقضى الامر) تم امرهلاكهم (والى الله ترجع الامور) بالبناء للمفعول والفاعل فى الآخرة فيجازى (سل) يامحمد (بنى اسرائيل) تبكيتا (كم آتيناهم) كم استفهامية معلقة سل عن المفعول الثانى وهى ثانى مفعولى آتينا وميزها (من آية بينة) ظاهرة كفلق البحر وانزال المن والسلوى فبدلوها كفرا (ومن يبدل نعمة الله) اى ما انعم به عليه من الآيات لانها سبب الهداية (من بعد ماجاءته) كفرا (فان الله شديد العقاب) له (زين للذين كفروا) من اهل مكة (الحياة الدنيا) بالتمويه فاحبوها (و) هم (يسخرون من الذين آمنوا) لفقرهم كبلال وعمار وصهيب اى يستهزؤن بهم ويتعالون عليهم بالمال والذين اتقوا) الشرك وهم هؤلاء (فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب) اى

رزقا واسعا فى الآخرة والدنيا بأن يملك المسخور منهم اموال الساحرين ورقابهم (كان الناس امة واحدة) على الايمان فاختلفوا بأن آمن بعض وكفر بعض (فبعث الله النبيين) اليهم (مبشرين) من آمن بالجنة (ومنذرين) من كفر بالنار (وانزل معهم الكتاب) بمعنى الكتب (بالحق) متعلق بانزل (ليحكم) به بين الناس فيما اختلفوا فيه) من الدين (وما اختلف فيه) اى الدين (الا الذين اوتوه) اى الكتاب فآمن بعض وكفر بعض (من بعد ما جاءتهم البينات) الحجج الظاهرة على التوحيد ومن متعلقة باختلف وهى وما بعدها مقدم على الاستثناء فى المعنى (بغيا) من الكافرين (بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من) للبيان (الحق باذنه) بارادته (والله يهدى من يشاء) هدايته (الى صراط مستقيم) طريق الحق * ونزل فى جهد اصاب المسلمين (ام) بل أ (حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما) لم (يأتكم مثل) شبه ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه (واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لاتعبدون الا الله) اخبار فى معنى النهى كقوله لايضار كاتب ولاشهيد وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام ان المنهى سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لاتعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لاتعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله « الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى » ويدل عليه قراءة ان لاتعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لاتعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب (وبالوالدين احسانا) متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا (وذى القربى واليتامى والمساكين) عطف على الوالدين واليتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر اسكنه (وقولوا للناس حسنا) اى قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب حسنا بفتحتين الحاء والسين والباقون حسنا بضم الحاء وسكون السين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنا وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد (واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) يريد بهما ما فرض عليهم فى ملتهم (ثم توليتم) على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اى اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه (الا قليلا منكم) يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم (وانتم معرضون) قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب من المواجهة الى جهة العرض (واذ اخذنا ميثاقكم لاتسفكون دمائكم ولاتخرجون انفسكم من دياركم) على نحو ما سبق والمراد به ان لايتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا ولانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لاترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لاتفعلوا ما يردیكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل فى الحقيقة ولاتقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التى هى داركم فانه الجلاء الحقيقى (ثم اقررتم) بالميثاق واعترفتم بلزومه (وانتم تشهدون) توكيد كقولك

اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد اقرار اليهم مجازا (ثم انتم هؤلاء) استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذى فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تعالى (تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) اما حال العامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذى والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير (تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بحذف احدى التاءين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون (وان يأتوكم اسارى تفادوهم) روى ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا قتلا عاون كل فريق حلفاءه فى القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى تفدوه وقيل معناه ان يأتوكم اسارى فى ايدى الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم (وهو محرم عليكم اخراجهم) متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم ويفسره اخراجهم ان راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم بدل او بيان (افتؤمنون ببعض الكتاب) يعنى الفداء (وتكفرون ببعض) يعنى حرمة المقاتلة والاجلاء (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا) كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزى ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل فى كل منهما (ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب) لان عصيانهم اشد (وما الله بغافل عما تعملون) تأكيد للوعيد اى الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم فى رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم فى رواية ابى بكر ويعقوب

ما اتى (الذين خلوا من قبلكم) من المؤمنين من المحن فتصبروا كما صبروا (مستهم) جملة مستانفة مبينة ما قبلها (البأساء) شدة الفقر (والضراء) المرض (وزلزلوا) ازعجوا بانواع البلاء (حتى يقول) بالنصب والرفع اى قال (الرسول والذين آمنوا معه) استبطاء للنصر لتناهى الشدة عليهم (متى) يأتى (نصر الله) الذى وعدناه فاجيبوا من قبل الله (الا ان نصر الله قريب) اتيانه (يسئلونك) يا محمد (ماذا ينفقون) اى الذى ينفقونه والسائل عمرو بن الجموح وكان شيخا ذا مال فسال النبى صلى الله عليه وسلم عما ينفق وعلى من ينفق (قل) لهم (ما انفقتم من خير) بيان لما شامل للقليل والكثير وفيه بيان المنفق الذى هو احد شقى السؤال واجاب عن المصرف الذى هو الشق الآخر بقوله (فللو الدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) اى هم اولى به (وما تفعلوا من خير) انفاق او غيره (فان

الله به عليم) فجازعليه (كتب) فرض (عليكم القتال للكفار (وهوكره) مكروه (لكم) طبعالمشقته (وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خيرلكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شرلكم) لميل النفس الى الشهوات الموجبة لهلاكها ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها فلعل لكم فى القتال وان كرهتموه خيرا لان فيه اماالظفر والغنيمة اوالشهادة والاجرو فى تركه وان احببتموه شر الان فيه الذل والفقروحرمان الاجر (والله يعلم) ماهو خيرلكم (وانتم لاتعلمون) ذلك فبادروا الى مايأمركم به وارسل النبى صلى الله وسلم اول سراياه وعليها عبدالله بن جحش فقاتلوا المشركين وقتلوا ابن الحضرمى آخر يوم من جمادى الآخرة والتبس عليهم برجب فعيرهم الكفار باستحلاله فنزل (يسئلونك عن الشهر الحرام) المحرم (قتال فيه) بدل اشتمال (قل) لهم (قتال فيه كبير عظيم وزرا مبتدأ وخبر (وصد) مبتدأ منع

يعملون على ان الضمير لمن (اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة) آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة (فلايخفف عنهم العذاب) بنقص الجزية فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة (ولاهم ينصرون) بدفعهما عنهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التورية (وقفينا من بعده بالرسل) اى ارسلنا على اثره الرسل كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا اتبعه من القفاء نحو ذنبه من الذنب (وآتينا عيسى بن مريم البينات) المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات اوالانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤية « قلت لزير لم تصلة مريمه » ووزنه مفعل اذلم يثبت فعيل (وايدناه) قويناه وقرئ آيدناه بالمد (بروح القدس) بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبريل اوروح عيسى عليهما السلام ووصفهابه لطهارته عن مس الشيطان اولكرامته على الله تعالى ولذلك اضافها الى نفسه تعالى اولانه لم تضمه الاصلاب ولا الارحام الطوامث اوالانجيل اواسم الله الاعظم الذى كان يحيى به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان فى جميع القرأن (افكلما جاءكم رسول بمالاتهوى انفسكم) بمالاتحبه يقال هو بالكسر هوى اذا احب هوبالفتح هويا بالضم اذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وماتعقلت به توبيخالهم على تعقيبهم ذلك بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استئنافا والفاء للعطف على مقدر (استكبرتم) عن الايمان واتباع الرسل (ففريقا كذبتم) كموسى وعيسى عليهما السلام والفاء للسببية اوللتفصيل (وفريقا تقتلون) كزكريا ويحيى وانماذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها فى النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل اوللدلالة على انكم بعد فيه فانكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحر تموه وسممتم له الشاة (وقالوا قلوبنا غلف) مغشاة باغطية خلقية لايصل اليها ماجئت به ولاتفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لاتسمع علما الاوعته ولاتعى ماتقول اونحن مستغنون بما فيها عن غيره (بل لعنهم الله بكفرهم) رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل

استعدادهم اوانهالم تأب قبول ماتقوله لخلل فيه بل لان الله تعالى خذلهم بكفرهم كما قال تعالى * فاصمهم واعمى ابصارهم * اوهم كفرة معلونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك (فقليلا مايؤمنون) فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة فى التقليل وهوايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم (ولماجاءهم كتاب من عندالله) يعنى القرآن (مصدق لما معهم) من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) اى يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبى آخر الزمان المنعوت فى التورية اويفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث فيهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسئل ذلك من نفسه (فلماجاءهم ماعرفوا) من الحق (وكفروابه) حسدا وخوفا على الرياسة (فلعنة الله على الكافرين) اى عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليالان الكلام فيهم (بئس ماشتروابه انفسهم) مانكرة بمعنى شئ مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا اواشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا (ان كفروا بما انزل الله) هو المخصوص بالذم (بغيا) طلبا لماليس لهم وجسدا وهوعلة ان يكفروا دون اشتروا والفصل (ان ينزل الله) لان ينزل اوعلى ان ينزل اى حسدوه على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير وابوعمرو وسهيل ويعقوب بالتخفيف (من فضله) يعنى الوحى (على من يشاء من عباده) على من اختاره للرسالة (فباؤا بغضب على غضب) للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى عليه السلام اوبعد قولهم عزير ابن الله (وللكافرين عذاب مهين) يرادبه اذلالهم بخلاف عذاب العاصى فانه طهرة لذنوبه (واذاقيل لهم آمنوا بما انزل الله) يعم الكتب المنزلة باسرها (قالوا نؤمن بما انزل علينا) اى بالتورية (يكفرون بماوراءه) حال من الضمير فى قالوا ووراء فى الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيرادبه مايتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيرادبه مايواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد (وهو الحق) الضمير للناس (عن سبيل الله) دينه (وكفربه) الله (و) صد عن (المسجد الحرام) اى مكة (واخراج اهله منه) وهم النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وخبر المبتدأ (اكبر) اعظم وزرا (عندالله) من القتال فيه (والفتنه الشرك منكم اكبر من القتل) لكم فيه (ولايزالون اى الكفار (يقاتلونكم) ايها المؤمنون (حتى) كى (يردوكم عن دينكم) الى الكفر (ان استطاعوا) من يرتددمنكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت (بطلت اعمالهم) الصالحة فى الدنيا والآخرة) فلا اعتداد بها ولاثواب عليها والتقييد بالموت عليه يفيدانه لورجع الى الاسلام لم يبطل عمله فيثاب عليه ولابعيده كالحج مثلا وعليه والشافعى (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) ولما ظن السرية انهم ان سلموا من الاثم فلا يحصل لهم اجر نزل (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) فارقوا اوطانهم (وجاهدوا فى سبيل الله)

لاعلاء دينه (اولئك يرجون رحمت الله) ثوابه (والله غفور) للمؤمنين (رحيم) بهم (يسئلونك عن الخمر والميسر القمار ماحكمهما (قل) لهم (فيهما) اى فى تعاطيهما (اثم كبير عظيم وفى قراءة بالمثلثة لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش (ومنافع للناس) باللذة والفرح فى الخمر واصابة المال بلا كد فى الميسر (واثمهما) اى ماينشأ عنهما من المفاسد (اكبر) أعظم (من نفعهما) ولما نزلت شر بها قوم وامتنع آخرون الى ان حرمتها آية المائدة (ويسئلونك ماذا ينفقون) اى ماقدره (قل) انفقوا (العفو) اى الفاضل عن الحاجة ولا تنفقوا ما تحتاجون اليه وتضيعوا انفسكم و فى قراءة بالرفع بتقدير هو (كذلك) اى كما فى بين لكم ماذكر (يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى) امر (الدنيا والاخرة) فتاخذون بالاصلح لكم فيهما (ويسئلونك عن اليتامى) ومايلقونه من

لما ورآء والمراد به القرآن مصدقا لما معهم) حال مؤكدة تتضمن رد مقالتهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها (قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لاتسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرأ نافع وحده انبياء الله مهموزا فى جميع القرآن (ولقد جاءكم موسى بالبينات) يعنى الآيات التسع المذكورة فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات (ثم اتخذتم العجل) اى آلها (من بعده) بعد مجيئ موسى او بعد ذهابه الى الطور (انتم ظالمون) حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله تعالى او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا التنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عليهما السلام لالتكرير القصة وكذا مابعدها (واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ماآتيناكم بقوة واسمعوا) اى قلنا لهم خذوا ما امرتم به فى التورية بجد وعزيمة واسمعوا سماع طاعة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) امرك (واشربوا فى قلوبهم العجل) تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفى قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى انما يأكلون فى بطونهم نارا (بكفرهم) بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن فى قلوبهم ماسول لهم السامرى (قل بئس مايأمركم به ايمانكم) اى بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او مايعمه وغيره من قبائحهم المعدودة فى الايات الثلاث الزاما عليهم (ان كنتم مؤمنين) تقرير للقدح فى دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه القبائح ولا رخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئس ما امركم به ابه ايمانكم بها لان المؤمن ينبغى ان لايتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لايأمر به فاذن لستم بمؤمنين (قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة) خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار (من دون الناس) سائر هم او المسلمين واللام للعهد (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) لان من ايقن انه من اهل الجنة

اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال على رضى الله تعالى عنه لاابالى سقطت على الموت اوسقط الموت على * وقال عمار بصفين * الآن الاقى الاحبة * محمدا ثم حزبه * وقال حذيفة حين احتضر * وجاء حبيب على فاقة * فلا افلح اليوم من قدندم * اى على التمنى سيما اذا علم انها سالمقله لايشاركه فيها غيره (ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم) من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها اكثر منامعه عبربها عن النفس تارة وعن القدرة اخرى و نذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لوتمنوا الموت لنقل واشتهر فان التمنى ليس من عمل القلب ليخفى بل هوان يقول ليت لى كذا ولوكان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لوتمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ومابقى على وجه الارض يهودى (والله عليم بالظالمين) تهديد لهم تنبيه على انهم ظالمون فى دعوى ماليس لهم ونفيه عمن هولهم (ولتجدنهم احرص الناس على حيوة) من وجد بعقله الجارى مجرى علم ومفعولاه هم واحرص الناس وتنكير حيوة لانه اريدبها فرد من افراد هاوهى الحيوة والمطاولة وقرئ باللام (ومن الذين اشركوا) محمول على المعنى فكأنه قال احرض من الناس على الحيوة ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذلم يعرفوا الاالحيوة العاجلة والزيادة فى التوبيخ والتقريع فانهم لمازاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يرادو احرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدأ محذوف صفته (يوداحدهم) على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اى ومنهم ناس يوداحدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف (لويعمر الف سنة) حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن (وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر) الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره اولما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه اومبهم وان يعمر موضحه واصل سنه سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم

الحرج فى شأنهم فان واكلوهم يأثموا اوان عزلوا مالهم من أموالهم) صنعوالهم طعاما وحدهم فحرج (قل اصلاح لهم) فى اموالهم بتنميتها ومداخلتكم (خير) من ترك ذلك (وان تخالطوهم) اى تخلطوا انفقتكم بنفقتهم (فاخوانكم) اى فهم اخوانكم فى الدين ومن شان الاخ ان يخالط أخاه اى فلكم ذلك (والله يعلم المفسد) لاموالهم بمخالطته (من المصلح) بها فيجازى كلا منهما (ولوشاء الله لأعنتكم) لضيق عليكم بتحريم المخالطة (ان الله عزيز) غالب على امره (حكيم) فى صنعه (ولاتنكحوا) تتزوجوا ايها المسلمين (المشركات) اى الكافرات (حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة) حرة لان سبب نزولها العيب على من تزوج امة وترغيبه فى نكاح حرة مشركة (ولواعجبتكم) لجمالها ومالها وهذا مخصوص بغير الكتابيات باية والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب (ولاتنكحوا) تزوجوا

(المشركين) اى الكفار المؤمنات (حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم) لماله وجماله (أولئك) اى اهل الشرك (يدعون الى النار) بدعائهم الى العمل الموجب لها فلا تليق مناكحتهم (والله يدعو) على لسان رسله (الى الجنة والمغفرة) اى العمل الموجب لهما (باذنه) بارادته فتجب اجابته بترويج اوليائه (ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون يتعظون (ويسئلونك عن المحيض) اى الحيض اومكانه ماذا يفعل بالنساء فيه (قل هو أذى) قذر اومحله. (فاعتزلوا النساء) اتركوا وطأهن (فى المحيض) اى وقته اومكانه (ولاتقربوهن) بالجماع (حتى يطهرن) بسكون الطاء وتشديدها والهاء وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الطاء اى يغتسلن بعد انقطاعه (فاذا تطهرن فأتوهن) بالجماع (من حيث امركم الله) بتجنبه فى الحيض وهو القبل ولاتعدوه الى غيره (ان الله يحب) يثيب ويكرم

سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون الزحزحة التبعيد والله بصير بما تعملون) فيجازيهم (قل من كان عدوا لجبريل) نزل فى عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضى الله تعالى عنه مدراس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال ومامنزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره بينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا حدهما فهو عد والله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفى جبريل ثمانى لغات وقرئ بهن اربع فى المشهور جبرائيل كسلسبيل قرأه حمزة والكسائى وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قرأة ابن كثير وجبرائل كجحمرش قرأة عاصم برواية ابى بكر وجبريل كقنديل قرأه الباقون واربع فى الشواذ جبرئل وجبرائيل كجبراعيل وجبرائل وجبرين ومنه صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبدالله (فانه نزله) البارز الاول لجبريل الثانى للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعيينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره (على قلبك) فانه القابل الاول للوحى ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبى لكنه جاء على حكاية كلام الله كأنه قال قل ماتكلمت به (باذن الله) بامره اوتيسيره حال من فاعل نزل (مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى ان من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف اوكفر بما معه من الكتاب بما داته اياه لنزوله عليك بالوحى لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه اومن عاداه فالسبب فى عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا اوفهو عدولى واناعدوه كما قال (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) اراد بعداوة الله مخالفته عنادا اومعاداة المقربين من عبادة وصدر

الكلام بذكره تفخيما لشأنهم كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء فى الكفر واستجلاب العدواة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لعداوتهم ومحبتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد والباقون ميكائيل بالهمزة والياء بعدها وقرئ ميكئل كميكعل ومكئيل وميكئيل (ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون) اى المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل فى نوع من المعاصى دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل فى ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك (اوكلما عاهدوا عهدا) الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو للعطف على ان التقدير الا الذين فسقوا اوكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا (نبذه فريق منهم) نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض (بل اكثرهم لا يؤمنون) ردلما يتوهم من ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا انهم يؤمنون به خفاء (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) كعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله) يعنى التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل مامع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (وراء ظهورهم) مثل لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه (كانهم لا يعلمون) انه كتاب الله يعنى ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمنى اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطى حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم

(التوابين من الذنوب (ويحب المتطهرين) من الاقذار (نساؤكم حرث لكم) اى محل زرعكم الولد (فأتوا حرثكم) اى محله وهو القبل (انى) كيف (شئتم) من قيام وقعود واضطجاع واقبال وادبار تزل رد القول اليهود من آتى امرأته فى قبلها من جهة دبرها جاء الولد احول (وقدموا لانفسكم) العمل الصالح كالتسمية عند الجماع (واتقوا الله) فى امره ونهيه (واعلموا انكم ملاقوه) بالبعث فيجازيكم بأعمالكم (وبشر المؤمنين) الذين اتقوه بالجنة (ولا تجعلوا الله) اى الحلف به (عرضة) علة مانعة (لايمانكم) اى نصبالها بأن تكثروا الحلف به (ان) لا (تبروا وتتقوا) فتكره اليمين على ذلك ويسن فيه الحنث ويكفر بخلافها على فعل البر ونحوه فهى طاعة (وتصلحوا بين الناس) المعنى لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البر ونحوه اذا حلفتم عليه بل ائتوه وكفروا لان سبب نزولها لامتناع من

ذلك (والله سميع) لاقوالكم (عليم) باحوالكم (لا يؤاخذكم الله باللغو) الكائن (في ايمانكم) وهو مايسبق اليه اللسان من غير قصد الحلف نحو لا والله وبلى والله فلا اثم فيه ولا كفارة (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) اى قصدته من الايمان اذا حنثتم (والله غفور) لما كان من اللغو (حليم) بتأخير العقوبة عن مستحقها (للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون أن لايجامعوهن (تربص) انتظار (اربعة اشهر فان فاؤا) رجعوا فيها او بعدها عن اليمين الى الوطء (فان الله غفور) لهم ماأتوه من ضرر المرأة بالحلف (رحيم) بهم (وان عزموا الطلاق) اى عليه بان لم يفيؤا فليوقعوه (فان الله سميع لقولهم (عليم) بعزمهم المعنى ليس لهم بعد تربص ماذكر الا الفيئة او الطلاق (والمطلقات يتربصن) اى لينتظرن (بانفسهن) عن النكاح (ثلاثة قروء) تمضى من حين الطلاق جمع قرء بفتح القاف وهو الطهر

الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهر او نبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون (واتبعوا ماتتلو الشياطين) عطف على نبذ اى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التى تقرأوها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما (على ملك سليمان) اى عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ماسمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك فى عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن يعلمون الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الجن والانس والريح له (وما كفر سليمان) تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه (ولكن الشياطين كفروا) باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين (يعلمون الناس السحر) اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر مايستعان فى تحصيله بالتقرب الى الشيطان بما لايستقل به الانسان وذلك لايستتب الا لمن يناسبه فى الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط فى التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبى والولى واما مايتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه فى الاصل لما خفى سببه (وما انزل على الملكين) عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او المراد به نوع اقوى منه او على ماتتلو وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وماروى انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكى عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحمله لايخفى على ذوى البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفى معطوف على ماكفر تكذيب لليهود فى هذه القصة (ببابل) ظرف اوحال من الملكين او الضمير فى انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة (هاروت وماروت) عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعلمية والعجمة ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل مانافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما

اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت (ومايعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) فعناه على الاول ومايعلمان احدا حتى ينصحاه ولاله انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلاتكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر ومالايجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثانى مايعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلاتكن مثلنا (فيتعلمون منهما) الضمير لماذل عليه من احد (مايفرقون به بين المرء وزوجه) اى من السحر مايكون سبب تفريقهما (وماهو بضارين به من احد الاباذن الله) لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى ويجعله وقرئ بضارى على الاضافة الى احد وجعل الجار جزأ منه والفصل بالظرف (ويتعلمون مايضرهم) لانهم يقصدون به العمل اولان العلم يجر الى العمل غالبا (ولاينفعهم) اذ مجرد العلم به غير مقصود ولانافع فى الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى (ولقد علموا) اى اليهود (لمن اشتراه) اى استبدل ماتتلو الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل (ماله فى الآخرة من خلاق) نصيب (ولبئس ماشروا به انفسهم) يتأمل المعنيين على مامر (لو كانوا يعلمون) يتفكرون فيه اويعلمون قبحه على اليقين اوحقيقة مايتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمى العقل الغريزى اوالعلم الاجمال بفتح الفعل اوترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لوكانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم (ولوانهم آمنوا) بالرسول والكتاب (واتقوا) بترك المعاصى كنبذ كتاب الله واتباع السحر (لمثوبة من عند الله خير) جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقى جملة اسميه لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشئ من الثواب خير وقيل للتمنى ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمى الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه (لوكانوا يعلمون) ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك التدبر اوالعمل بالعلم (ياايها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا) الرعى حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول عليه السلام

اوالحيض قولان وهذا فى المدخول بهن اما غيرهن فلاعدة عليهن لقوله فمالكم عليهن من عدة وفى غير الآيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة اشهر والحوامل فعدتهن ان يضعن حملهن كما فى سورة الطلاق والاماء فعدتهن قرآن بالسنة (ولايحل لهن ان يكتمن ماخلق الله فى ارحامهن) من الولد اوالحيض (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن) ازواجهن (احق بردهن) بمرجعتهن ولوابين (فى ذلك) اى فى زمن التربص (ان ارادوا اصلاحا) بينما لاضرار المرأة وهو تحريص على قصده لاشرط الجواز الرجعة وهذا فى الطلاق الرجعى واحق لاتفضيل فيه اذ لاحق لغيرهم فى نكاحهن فى العدة (ولهن) على الازواج (مثل الذى) لهم (عليهن) من الحقوق (بالمعروف) شرعا من حسن العشرة وترك الضرار ونحو ذلك (وللرجال عليهن درجة) فضيلة فى الحق من وجوب طاعتهن لهم

لما ساقوه من المهر والانفاق (والله عزيز) فى ملكه (حكيم) فيما دبره لخلقه (الطلاق) اى التطليق الذى يراجع بعده (مرتان) اى اثنتان (فامساك) اى فعليكم امساكهن بعده بان تراجعوهن (بمعروف) من غير ضرار (اوتسريح) اى ارسال لهن (باحسان ولايحل لكم) ايها الازواج (ان تأخذوا مما آتيتموهن) من المهور (شيا) اذا طلقتموهن (الا ان يخافا) اى الزوجان (ان لايقيما حدود الله) اى لايأتيا بما حده لهما من الحقوق وفى قراءة يخافا بالبناء للمفعول فان لايقيما بدل اشتمال من الضمير فيه وقرئ بالفوقانية فى الفعلين (فان خفتم ان لايقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) نفسها من المال ليطلقها اى لاحرج على الزوج فى اخذه ولا الزوجة فى بذله (تلك) الاحكام المذكورة (حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون فان طلقها) الزوج بعد الثنتين (فلا تحل له من

راعنا اى راقبنا ان وتأن بنا فيما تلقينا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن اوسبه بالكلمة العبرانية التى كانوا يتسابون بها وهى راعينا فنهى المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولايقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اى امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اى قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعيناو تسبب للسب (واسمعوا) واحسنوا الاستماع حتى لاتفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود اووا سمعوا ما امرتم به بجد حتى لانعودوا الى مانهيتم عنه (وللكافرين عذاب اليم) يعنى الذين تهاونوا بالرسول عليه السلام وسبوه (مايود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين) نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشئ مع تمنيه ولذلك تستعمل فى كل منهما ومن للتبيين كما فى قوله تعالى * لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين * (ان ينزل عليكم من خير من ربكم) مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحى والمعنى انهم يحسدونكم به ومايحبون ان ينزل عليكم شئ منه وبالعلم والنصرة ولعل المراد به مايعم ذلك (والله يختص برحمته من يشاء) يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لايجب عليه شئ وليس لاحد عليه حق (والله ذو الفضل العظيم) اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وماعرف فيه من حكمته (ماننسخ من آية اوننسها) نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ فى اللغة ازالة الصورة عن الشئ واثباتها فى غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقرآءتها او الحكم المستفاد منها اوبهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وماشرطية جازمة للنسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر وماننسخ من النسخ اى نأمرك اوجبريل بنسخها اوتجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اى نؤخرها من النساء وقرئ تنسها اى ننس احدا

اياها وتنسها اى انت وتنسها على البناء للمفعول وقرأ عبدالله مانسك من آية او ننسخها وقرأ حذيفة مانذسخ من آية وتنسكها باظهار المفعولين (نأت بخير منها او مثلها) اى بما هو خير للعباد فى النفع والثواب او مثلها فى الثواب وقرأ ابو عمر وبقلب الهمزة الفا (الم تعلم ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على النسخ والاتيا بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والاية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والآيات لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع فى عصر قد يضر فى غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المتأتى به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم والاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله تعالى وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك فى اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديمة (الم تعلم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته لقوله ومالكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم (ان الله له ملك السموات والارض) يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شئ قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف (ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير) وانما هو الذى يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه (ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) ام معادلة للهمزة فى الم تعلم اى الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما ارادام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت فى اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل فى المشركين لما قالوا لن نؤمن وقبك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) ومن ترك الثقة بالآيات البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع فى الكفر بعد الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلو اوسط السبيل ويؤدى بكم الضلال الى البعد بعد) بعد الطلقة الثالثة (حتى تنكح) تتزوج زوجا غيره) ويطأها كما فى الحديث رواه الشيخان (فان طلقها) اى الزوج الثانى (فلا جناح عليهما) اى الزوجة والزوج الاول (ان يتراجعا) الى النكاح بعد انقضاء العدة (ان ظنا ان يقيما حدود الله تلك) المذكورات (حدود الله يبينها لقوم يعلمون) يتدبرون (واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) قاربن انقضاء عدتهن (فأمسكوهن) بأن تراجعوهن (بمعروف) من غير ضرار (او سرحوهن بمعروف) اتركوهن حتى تنقضى عدتهن (ولا تمسكوهن بالرجعة (ضرارا) مفعوله (لتعتدوا) عليهن بالجاء الى الاقتداء والتطليق وتطويل الحبس (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) بتعريضها الى عذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزؤا) مهزوا بها بمخالفتها (واذكروا نعمت الله عليكم) بالاسلام (وما انزل عليكم من الكتاب) القرآن (والحكمة) ما فيه من الاحكام (يعظكم به) بأن تشكروها

عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل (وكثير من اهل الكتاب) يعنى اخبارهم (لو يردونكم) ان يردوكم فان لو تنوب عن ان فى المعنى دون اللفظ (من بعد ايمانكم كفارا) مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين (حسدا) علة ود (من عند انفسهم) يجوز ان يتعلق بود اى تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اى حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم (من بعد ماتبين لهم الحق) بالمعجزات والنعوت المذكورة فى التورية (فاعفوا واصفحوا) العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه (حتى يأتى الله بأمره) الذى هو الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بنى النضير وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه منسوخ بآية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على الانتقام منهم (واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة واللجأ الى الله تعالى بالعبادة والبر (وماتقدموا لانفسكم من خير) كصلوة وصدقة وقرئ تقدموا من أقدم (تجدوه عند الله) اى ثوابه (ان الله بما تعملون بصير) لايضيع عند عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا (وقالوا) عطف على ودوا الضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى (لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى) لف بين قولى الفريقين كما فى قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهو دجمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر فى كان وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى (تلك امانيهم) اشارة الى الامانى المذكورة وهى ان لاينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لايدخل الجنة غيرهم او الى مافى الآية على حذف المضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمنى كالاضحوكة والاعجوبة (قل هاتوا برهانكم) على اختصاصكم بدخول الجنة (ان كنتم صادقين) فى دعواكم فان كل قول لادليل عليه غير ثابت (بلى) اثبات لمانفوه من دخول غيرهم الجنة (من اسلم وجهه لله) اخلص له نفسه اوقصده واصله العضو (وهو محسن) فى عمله (فله اجره) الذى وعده على عمله (عند ربه) ثابتا عنده لايضيع ولاينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها حينئذ لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم

بالعمل به (واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شئ عليم) لايخفى عليه شئ (واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) انقضت عدتهن (فلا تعضلوهن) خطاب للاولياء اى تمنعوهن من (ان ينكحن ازواجهن) المطلقين لهن لان سبب نزولها ان اخت معقل بن يسار طلقها زوجها فاراد ان يراجعها فمنعها معقل بن يسار كما رواه الحاكم (اذا تراضوا) اى الازواج والنساء (بينهم بالمعروف) شرعا (ذلك) النهى عن العضل (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) لانه المنتفع به (ذلكم) اى ترك العضل (ازكى) خير (لكم واطهر) لكم ولهم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما (والله يعلم مافيه المصلحة (وانتم لاتعلمون) ذلك فاتبعوا امره (والوالدات يرضعن) اى ليرضعن (اولادهن حولين) عامين (كاملين) صفة مؤكدة ذلك لمن اراد ان يتم الرضاعة) ولازيادة عليه (وعلى المولود له) اى

فاعل فعل مقدر بلى يدخلها من اسلم (ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) فى الآخرة (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) اى على امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم اخبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك (وهم يتلون الكتاب) الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب (كذلك) اى مثل ذلك (قال الذين لايعلمون مثل قولهم) كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبيه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشئ قلت لم يقصد واذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان مالم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به (فالله يحكم بينهم) بين الفريقين (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بما يقسم لكل فريق مايليق به من العقاب وقيل حكمة بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار (ومن اظلم ممن منع مساجد الله) عام لكل من خرب مسجدا اوسعى فى تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل فى الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله اوالمشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية (ان يذكر فيها اسمه) ثانى مفعولى منع (وسعى فى خرابها) بالعهد اوالتعطيل (اولئك) اى المانعون (ماكان لهم ان يدخلوها الاخائفين) ماكان ينبغى لهم ان يدخلوها الابخشية وخشوع فضلا عن ان يجترؤا على تخريبها اوما كان الحق ان يدخلوها الاخائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا عن ان يمنعوهم منها اوماكان لهم فى علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد اواختلف الائمة فيه فجوز أبو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره رحمهم الله تعالى (لهم فى الدنيا خزى) قتل وسبى اوذلة بضرب الجزية (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) بكفرهم وظلمهم (ولله المشرق والمغرب) يريد بهما ناحيتى الارض اى له الارض كلها لايختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا فى المسجد الحرام والاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا (فاينما تولوا) فثم اى مكان فعلتم التولية شطر القبلة (فثم وجه الله)

الاب (رزقهن) اطعام الوالدات (وكسوتهن) على الارضاع اذا كن مطلقات (بالمعروف) بقدر طاقته (لاتكلف نفس الاوسعها) طاقتها (لامضار والدة بولدها) بسببه بان تكره على ارضاعه اذا امتنعت (ولا) يضار (مولود له بولده) اى بسببه بأن يكلف فوق طاقته واضافة الولد الى كل منهما فى الموضعين للاستعطاف (وعلى الوارث) اى وارث الاب وهو الصبى اى على وليه فى ماله (مثل ذلك) الذى على الاب للوالدة من الرزق والكسوة فان (ارادا) اى الوالدان (فصالا) فطاماله قبل الحولين صادرا (عن تراض) اتفاق (منهما وتشاور) بينهما مصلحة الصبى فيه (فلا جناح عليهما) فى ذلك (وان اردتم) خطاب للآباء (ان تسترضعوا اولادكم) مراضع غير الوالدات (فلا جناح عليكم) فيه (اذا سلتم) اليهن (ما آتيتم) اى اردتم ايتاءه لهن من الاجر (بالمعروف) بالجميل كطيب النفس

(واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير) لايخفى عليه شئ منه (والذين يتوفون) يموتون (منكم ويذرون) يتركون (أزواجا يتربصن) اى ليتربصن (بانفسهن) بعدهم عن النكاح (اربعة اشهر وعشرا) من الليالى وهذا فى غير الحوامل فعدتهن ان يضعن حملهن بآية الطلاق والامة على النصف من ذلك بالسنة (فاذا بلغن اجلهن) انقضت مدة تربصهن (فلاجناح عليكم) ايها الاولياء (فيما فعلن فى انفسهن) من التزيين والتزين والتعرض للخطاب (بالمعروف) شرعا (والله بما تعملون خبير) عالم بباطنه كظاهره (ولا جناح عليكم فيما عرضتم) (به من خطبة النساء) المتوفى عنهن ازواجهن فى العدة كقول انسان مثلا انك لجميلة ومن يجد مثلك ورب راغب فيك (او اكننتم) اضمرتم (فى انفسكم) من قصد نكاحهن (علم الله انكم ستذكرونهن)

اى جهته التى امر بها فان امكان التولية لايختص بمسجد اومكان اوقثم ذاته اى هو عالم مطلع بما يفعل فيه (ان الله واسع) باحاطته بالاشياء اوبرحمته يريد التوسعة على عباده (عليهم) بمصالحهم واعمالهم فى الاماكن كلها وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انها نزلت فى صلاة المسافر على الراحلة وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا على انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبنوا خطأهم وعلى هذا لواخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبله اوتنزيه للمعبود ان يكون فى حيز وجهة (وقالوا اتخذ الله ولدا) نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود اومنع اومفهوم قوله تعالى ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو (سبحانه) تنزيه له عن ذلك فانه يقتضى التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الاترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية مادام العالم لم تتخذ مايكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختبارا اوطبعا (بل له مافى السموات والارض) رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق مافى السموات والارض الذى من جملته الملائكة وعزير والمسيح (كل له قانتون) منقادون لايمتعون على مشيئته وتكوينه وكل ماكان بهذ الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلايكونه له ولدلأن من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذى لغير اولى العلم وقال قانتون على تغليب اولى العلم تحقير الشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اوكل مافيها ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولداله مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ماقالوه من ثلاثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضى تنافيهما (بديع السموات والارض) مبدعهما ونظيره السميع فى قوله * امن ريحانة الداعى السميع * يؤرقنى واصحابى هجوع * اوبديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة اربعة وتقريرها ان الولد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على اطلاق منزه عن الانفعال فلايكون والدا والابداع اختراع الشئ لاعن شئ دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذى هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذى

يكون بتغيروفى زمان غالباوقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير فى له ومنصوبا على المدح (واذاقضى امرا) اى اراد شيأ واصل القضاء اتمام الشئ قولا كقوله تعالى وقضى ربك اوفعلا كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون) من كان التامة اى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ماتعلقت به ارادته بلامهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهوان ايجاد الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغنى عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بفتح النون واعلم ان السبب فى هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانو ايطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لماده الفساد (وقال الذين لايعلمون) اى جهلة المشركين اوالمتجاهلون من اهل الكتاب (لولايكلمنا الله) هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة اويوحى الينا بانك رسوله (اوتأتينا آية) حجة على صدقك والاول استكبار والثانى جحود بان ماأتاهم آيات الله استهانة به وعنادا (كذلك قال الذين من قبلهم) من الامم الماضية (مثل قولهم) فقالوا أرنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء (تشابهت قلوبهم) قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى والعناد وقرئ يتشديد الشين (قدبينا الآيات لقوم يوقنون) اى يطلبون اليقين اويوقنون الحقايق لايعتريهم شبهة ولاعناد وفيه اشارة الى انهم ماقالو ذلك لخفاء فى الآيات اولطلب مزيد اليقين وانما قالوه عتوا وعنادا (انا ارسلناك بالحق) ملتبسا مؤيدبه (بشيرا ونذيرا) فلا عليك ان اصروا اوكابروا (ولاتسأل عن اصحاب الجحيم) مالهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب ونسأل على انه نهى للرسول صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه اوتعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظا عنها لانقدر ان يخبر عنها او السامع لايصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال ولجاحيم المتأجج من النار (ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى حتى تتبع ملتهم) مبالغة فى اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم

باخطبة وتصبرون عنهن فاباح لكم العريض (ولكن لاتواعدوهن سرا) اى نكاحا (الا) لكن (ان تقولوا قولا معروفا) اى ماعرف شرعا من التعريض فلكم ذلك (ولاتعزموا عقدة النكاح) اى على عقده (حتى يبلغ الكتاب) اى المكتوب من العدة (اجله) بان ينتهى (واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم) العزم وغيره فاحذروه) ان يعاقبكم اذا عزمتم (واعلموا ان الله غفور) لمن يحذره (حليم) بتاخير العقوبة عن مستحقها (لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن) وفى قراءة تماسوهن اى تجامعوهن (أو) لم (تفرضوا لهن فريضة) مهر اوما مصدرية ظرفية اى تبعة عليكم فى الطلاق زمن عدم المسيس والفرض باثم ولامهر فطلقوهن (ومتعوهن) اعطوهن مايتمتعن به (على الموسع) الغنى منكم (قدره وعلى المقتر) الضيق الرزق

(قدره) يفيد أنه لانظر الى قدر الزوجة (متاعا) تمتيعا (بالمعروف) شرعا صفة متاعا (حقا) صفة ثانية اومصدر مؤكد (على المحسنين) المطيعين (وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم) يجب لهن ويرجع لكم النصف (الا) لكن (ان يعفون) اى الزوجات فيتركنه (اويعفو الذى بيده عقدة النكاح) وهو الزوج فيترك لها الكل وعن ابن عباس الولى اذا كانت محجورة فلا حرج فى ذلك (وان تعفوا) مبتدأ خبره (اقرب للتقوى ولاتنسوا الفضل بينكم) اى ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير) فيجازيكم به (حافظوا على الصلوات) الخمس بأدائها فى أوقاتها (والصلاة الوسطى) هى العصر او الصبح أو الظهر أوغيرها اقوال وأفردها بالذكر لفضلها (وقوموا لله) فى الصلاة (قانتين) قيل مطيعين لقوله صلى الله عليه

عن اسلامهم فانهم اذالم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تعالى عنهم لذلك قال (قال) تعليما للجواب ان هدى الله هوى الهدى) اى هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لاماتدعون اليه (ولئن اتبعت اهواءهم) آراء هم الزائغة والملة ماشرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه من املت الكتاب اذا امليته والهوى رأى يتبع الشهوة (بعد الذى جاءك من العلم) اى من الوحى او الدين المعلوم صحته (مالك من الله من ولى ولانصير) يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن (الذين آتيناهم الكتاب) يريد به مؤمنى اهل الكتاب (يتلونه حق تلاوته) بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر مابعده اوخبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب (اولئك يؤمنون به) بكتابهم دون المحرفين (ومن يكفر به) بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الكفر بالايمان يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة ولاهم ينصرون) لماصدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر من اضاعتها الخوف من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة (واذابتلى ابراهيم ربه بكلمات) كلفه باوامر ونواه وابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعانى فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة فى قوله تعالى التائبون العابدون الآية وقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها فى قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التى هى من سنته وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنته الآيات التى بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل أرنى كيف تحيى الموتى واجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام بالالف جمع

مافى هذه السورة (فائمهن) فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله تعالى *وابراهيم الذى وفى* وفى القرآءة الاخيرة الضمير لربه اى اعطاه جميع مادعاه (قال انى جاعلك للناس اماما) استئناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فاذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ماذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ماقبلها وجاعل من جعل الذى له مفعولان والامام اسم لمن يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذلم يبعث بعده نبى الا كان من ذريته مأمورا باتباعه (قال ومن ذريتى) عطف على الكاف اى وبعض ذريتى كما تقول وزيدا فى جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية اوفعولة قلبت رآؤها الثالثة ياء كما فى تقضيت من الذر بمعنى التفريق اوفعولة اوفعيلة قلبت همزتها ياء من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتى بالكسر وهى لغة (قال لاينال عهدى الظالمين) اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لاينالون الامامة لانها امانة من الله تعالى وعهد والظالم لايصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لايصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ماناله فقد نلته (واذ جعلنا البيت) اى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا (مثابة للناس) مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار وامثالهم اوموضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات اى لانه مثابة كل واحد (وامنا) وموضع امن لايتعرض لاهله كقوله تعالى * حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم* اويأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ماقبله اولايؤاخذ الجانى الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابى حنيفة رضى الله عنه (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) على ارادة القول اوعطف على المقدر عاملا لاذ واعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو امر استحباب ومقام ابراهيم هو الحجر الذى فيه اثر قدميه اوالموضع الذى كان فيه الحجر حين قام عليه ودعا الناس الى الحج اورفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روى انه عليه الصلاة والسلام اخذ بيد عمر رضى الله تعالى عنه وقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت

وسلم كل قنوت فى القرآن فهو طاعة ورواه احمد وغيره وقيل ساكنين لحديث زيد بن أرقم كنا نتكلم فى الصلاة حتى نزلت فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام رواه الشيخان (فان خفتم) من عدو اوسيل اوسبع (فرجالا) جمع راجل اى مشاة صلوا (اوركبانا) جمع راكب اى كيف امكن مستقبلى القبلة اوغيرها ويومئ بالركوع والسجود (فاذكروا الله) اى صلوا (كما علمكم مالم تكونوا تعلمون) قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها والكاف بمعنى مثل و مامصدرية اوموصولة (الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا) فليوصوا (وصية) و فى قراءة بالرفع اى عليهم (لازواجهم) ويعطوهن (متاعا) مايتمتعن به من النفقة والكسوة (الى) تمام (الحول) من موتهم الواجب عليهن تربصه (غير اخراج) حال اى غير مخرجات من مسكنهن (فان

خرجن) بانفسهن (فلا جناح عليكم) ياأولياء الميت (فيما فعلن فى انفسهن من معروف) شرعا كالتزين وترك الاحداد وقطع النفقة عنها (والله عزيز) ملكه (حكيم فى صنعه والوصية المذكورة منسوخة آية الميراث وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشر السابقة المتأخرة فى النزول والسكنى ثابتة لها عند الشافعى رحمه الله (للمطلقات متاع) يعطينه (بالمعروف) بقدر الامكان (حقا) نصب بفعله المقدر (على المتقين) الله تعالى كرره ليعم الممسوسة ايضا اذ الآية السابقة فى غيرها (كذلك) كما بين لكم ماذكر (يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) تتدبرون (الم تر) استفهام تعجيب وتشويق الى استماع مابعده اى ينته علمك (الى الذين خرجوا من ديارهم الوف) أربعة اوثمانية او عشرة او ثلاثون اوار بعون اوسبعون ألفا (حذر الموت) مفعول له وهم قوم من بنى اسرئيل وقع الطاعون وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لما روى جابر انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعى رحمه الله تعالى فى وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضى عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعنى الكعبة قبلة يصلون اليها (وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل) امرناهما (ان طهرا بيتى) بان طهرا بيتى ويجوز ان تكون ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس ومايليق به اواخلصاه (للطائفين حوله (والعاكفين) القيمين عنده او المعتكفين فيه (والركع السجود) اى المصلين جمع راكع وساجد (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) يريد البلد او المكان (بلدا آمنا) ذا امن كقوله فى عيشة راضية اوآمنا اهله كقولك ليل نائم (وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص (قال ومن كفر) عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم فى الدين او مبتدأ متضمن معنى الشرط (فامتعه قليلا) خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه (ثم اضطره الى عذاب النار) اى الزه اليه لزا المضطر لكفره وتضييعه مامتعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفى قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من أمتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفريد غم فيها مايجاورها دون العكس (وبئس المصير) المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت) حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من القابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يرادبها سافات البناء

فان كل ساف قاعدة مايوضع فوقه و يرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفى ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها (واسماعيل) كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل فى البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان فى طرفين او على التناوب (ربنا تقبل منا) اى يقولان ربنا تقبل منا وقد قرئ به والجملة حال منهما (انك انت السميع) لدعائنا (العليم بنياتنا (ربنا واجعلنا مسلمين لك) مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة فى الاخلاص والاذعان والثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر اوان التثنية من مراتب الجمع (ومن ذريتنا امة مسلمة لك) اى واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان فى ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لاتقتضى الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلى على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمق لخربت الدنيا وقيل ارادا بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم و يجوز ان تكون من للتبيين كقوله تعالى * وعد الله الذين آمنوا منكم * قدم على المبين وفصل بين العاطف والمعطوف كما فى قوله تعالى * خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن (وارنا) من رأى بمعنى ابصر اوعرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين (مناسكنا) متعداتنا فى الحج او بذابحنا والنسك فى الاصل غاية العبادة وشاع فى الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير و يعقوب والسوسى عن ابى عمرو ارنا قياسا فخذفى فخذوفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدورى عن ابى عمرو بالاختلاس (وتب علينا) استتابة لذريتهما اوعما فرط منهما سهوا او لعلمهما قالا هضما لانفسهما وارشاد الذريتهما (انك انت التواب الرحيم) لمن تاب (ربنا وابعث فيهم) فى الامة المسلمة (رسولا منهم) ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابى ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امى (يتلوعليهم اياتك) يقرأ عليهم و يبلغهم مايوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) ماتكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام (و يزكيهم) عن الشرك والمعاصى (انك انت العزيز) الذى لايقهر ولايغلب على مايريد

بلادهم فقروا (فقال لهم الله موتوا) فماتوا (ثم احياهم) بعد ثمانية ايام او اكثر بدعاء نبيهم حزقيل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاى فعاشوا دهرا عليهم اثر الموت لايلبسون ثوبا الا عاد كالكفن واستمرت فى اسباطهم (ان الله لذو فضل على الناس) ومنه احياء هؤلاء (ولكن اكثر الناس) وهم الكفار (لايشكرون) والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال ولذا عطف عليه (وقاتلوا فى سبيل الله) اى لاعلاء دينه (واعلموا ان الله سميع) لاقوالكم (عليم) باحوالكم فمجازيكم (من ذا الذى يقرض الله) بانفاق ماله فى سبيل الله (قرضا حسنا) بان ينفقه لله عز وجل عن طيب قلب (فيضاعفه) (له اضعافا كثيرة) من عشر الى اكثر من سبعمائة كما سيأتى (والله يقبض) يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاء (ويبسط) يوسعه لمن يشاء

(الحكيم) المحكم له (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اى لا يرغب احد عن ملته (الا من سفه نفسه) الا من استهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء فى الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والمر أسه وقول جرير

« وناخذ بعده بذناب عيش * اجب الظهر ليس له سنام »

او سفه فى نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى فى محل الرفع على المختار بدلا من الضمير فى يرغب لانه فى معنى النفى (ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين) حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد فى الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر (اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين) ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المودية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روى انها نزلت لما دعا عبدالله بن سلام ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر (ووصى بها ابراهيم بنيه) التوصية هى التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصى يصل فعله بفعل الموصى والضمير فى بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة وقرأ نافع وابن عامر واوصى والاول ابلغ (ويعقوب) عطف على ابراهيم اى وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم (يابنى) على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره « رجلان من ضبة اخبرانا * انا رأينا رجلا عريانا » بالكسر وبنوا ابراهيم كانوا اربعة اسماعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر وبنيامين ويوسف (ان الله اصطفى لكم الدين) دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان لقوله (فلا تموتن الا وانتم مسلمون) ظاهره النهى عن الموت على خلاف حال

امتحانا (واليه ترجعون) فى الآخرة بالبعث فيجازيكم باعمالكم (الم تر الى الملأ) الجماعة من بنى اسرائيل من بعد) موت (موسى) اى الى قصتهم وخبرهم (اذ قالوا لنبى لهم) هو شمويل (ابعث) اقم (لنا ملكا نقاتل) معه (فى سبيل الله) تنتظم به كلمتنا ونرجع اليه (قال) النبى لهم (هل عسيتم) بالفتح والكسر (ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا) خبر عسى والاستفهام لتقرير التوقع بها قالوا ومالنا ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا) بسببهم وقتلهم وقد فعل بهم ذلك قوم جالوت اى لا مانع لنا منه مع وجود مقتضيه قال تعالى (فلما كتب عليهم القتال تولوا) عنه وجبنوا (الا قليلا منهم) وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتى (والله عليم بالظالمين) فيجازيهم وسال النبى ربه ارسال ملك فاجابه الى ارسال طالوت (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا

الاسلام والمقصود هو النهى عن ان يكونوا على خلاف تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لاتصل الاوانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لاعلى الاسلام موت لاخير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره فى الامر مت وانت شهيد وروى ان اليهود قالو الرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب وصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت (ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت) ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ماقال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ماشهدتم ذلك وانما علمتموه بالوحى وقرئ حضر بالكسر (اذ قال لبنيه) بدل من اذ حضر (ماتعبدون من بعدى) اى شئ تعبدونه. اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على اثبات عليهما ومايسأل به عن كل شئ مالم يعرف فاذا عرف خص العقلاء عن يمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل مازيد افقيه ام طبيب (قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق) المتفق على وجوده تعالى والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد اولانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو أبيه كما قال عليه الصلاة والسلام فى العباس رضى الله عنه هذا بقية آبائى وقرئ آله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال « ولما تبين اصواتنا * بكين وفدينا بالابينا » او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان (الها واحدا) بدل من آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفى التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد او نصب على الاختصاص (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا (تلك امة قد خلت) يعنى ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة الاصل المقصود وسمى بها الجماعة لان الفرق تؤمها (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بما قدمتم واتباعهم كما قال عليه الصلاة والسلام لايأتينى الناس باعمالهم وتأتونه بانسابكم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون

قالوا انى) كيف (يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه) لانه ليس من سبط المملكة ولا النبوة وكان دباغا اوراعيا (ولم يؤت سعة من المال) يستعين بها على اقامة الملك (قال) النبى لهم (ان الله اصطفاه) اختاره للملك (عليكم وزاده بسطة) سعة فى العلم والجسم) وكان اعلم بنى اسرائيل يومئذ واجلهم واتمهم خلقا (والله يؤتى ملكه من يشاء) ايتاءه لااعتراض عليه (والله واسع) فضله (عليم) بمن هو اهل له وقال (لهم نبيهم) لما طلبوا منه آية على ملكه (ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت) الصندوق كان فيه صور الانبياء انزله الله على آدم واستمر اليهم فغلبتهم العمالقة عليه واخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوهم ويقدمونه فى القتال ويسكنون اليه كما قال تعالى (فيه سكينة) طمانينة لقلوبكم (من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) اى تركاهما وهى نعلا موسى وعصاه وعمامة هرون وقفيز من المن الذى

كان ينزل عليهم ورصاص من الالواح (تحمله الملائكة) حال من فاعل ياتيكم (ان فى ذلك لآية لكم) على ملكه (ان كنتم مؤمنين) فحملته الملائكة بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت فاقروا بملكه وتسارعوا الى الجهاد فاختار من شبابهم سبعين الفا (فلما فصل) خرج (طالوت بالجنود) من بيت المقدس وكان جراشديدا وطلبوا منه الماء (قال ان الله مبتليكم) مختبركم (بنهر) ليظهر المطيع منكم والعاصى وهو بين الاردن وفلسطين (فمن شرب منه) اى من مائه (فليس منى) اى من اتباعى (ومن لم يطعمه) يذقه (فانه منى الا من اغترف غرفة) بالفتح والضم (بيده) فاكتفى بها ولم يزد عليها فانه منى (فشربوا منه) لما وافوه بكثرة (الا قليلا منهم) فاقتصروا على الغرفة روى انها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) وهم الذين

بحسناتهم (وقالوا كونوا هودا او نصارى) الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى (تهتدوا) جواب الامر (قل بل ملة ابراهيم) اى بل نكون ملة ابراهيم اى اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ بالرفع اى ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته (حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله * ونزعنا ما فى صدورهم من غل احوانا * (وما كان من المشركين) تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون (قولوا آمنا بالله) الخطاب للمؤمنين لقوله تعالى * فان آمنوا بمثل ما آمنتم به * (وما انزل الينا) القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره (وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) الصحف وهى وان نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها فهى ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا واسباط جمع سبط وهو الحافيد يريد حفدة يعقوب اولاده وذريتهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق (وما اوتى موسى وعيسى) التورية والانجيل افردهما بالذكر لحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما (وما اوتى النبيون) جملة المذكورون منهم وغير المذكورين (من ربهم) منزلا عليهم من ربهم (لانفرق بين احد منهم) كاليهود نؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه فى سياق النفى عام فساغ ان يضاف اليه بين (ونحن له) اى لله (مسلمون) مذعنون مخلصون (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى * فأتوا بسورة من مثله * اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ما لادين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتأكيد كقوله تعالى * جزاء سيئة بمثلها * والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما فى قوله * وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله * اى عليه وتشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذى آمنتم به (وان تولوا فانما هم فى شقاق) اى ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا فى شقاق الحق وهى المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين

فى شق غير شق الآخر (فسيكفيكهم الله) تسلية وتسكين للمؤمنين ووعدلهم بالحفظ والنصر على من ناواهم (وهو السميع العليم) امامن تمام الوعد يعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لامحالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع مايبدون ويعلم مايخفون وهو معاقبهم عليه (صبغة الله) اى صبغنا الله صبغته وهى فطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ اوهدانا الله هدايته وارشدنا محجته اوطهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل فى قلوبهم تداخل الصبغ الثوب اوللمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه المعموديه ويقولون هو تطهير لهم وبه تتحقق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم عليه السلام (ومن احسن من الله صبغة) لاصبغة احسن من صبغته (ونحن له عابدون) تعريض لهم اى لانشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضى دخول قوله صبغة فى مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء اوالبدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا واتبعوا ملة ابراهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لايلزم فك النظم وسوء الترتيب (قل أتحاجوننا) أتجادلوننا (فى الله) فى شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روى ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلوكنت نبيا لكنت منا فنزلت (وهو ربنا وربكم) لااختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده (ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم) فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كأنه الزمهم على كل مذهب ينتحونه اقحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة امابفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على مستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلى بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبر ها الله فى اعطائها فلنا ايضا اعمال (ونحن له مخلصون) اى موحدون تخلصه بالايمان والطاعة دونكم (ام يقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانو هودا اونصارى) ام منقطعة والهمز للانكار وعلى قرأة ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة فى اتحاجوننا بمعنى اى الامرين تأتون المحاجة اوادعاء اليهودية اوالنصرانية على الانبياء (قل أأنتم اعلم)

اقتصروا على الغرفة (قالوا) اى الذين شربوا (لاطاقة) قوة (لنا اليوم بجالوت وجنوده) اى بقتالهم وجبنوا ولم يجاوزوه (قال الذين يظنون) يوقنون (انهم ملاقوا الله) بالبعث وهم الذين جاوزوه (كم) خبرية بمعنى كثير (من فئة) جماعة (قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) بارادته (والله مع الصابرين) بالعون والنصر (ولما برزوا لجالوت وجنوده اى ظهروا لقتالهم وتصافوا (قالوا ربنا افرغ) احبب (علينا صبرا وثبت اقدامنا) بتقوية قلوبنا على الجهاد (وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم) كسروهم (باذن الله) بارادته (وقتل داود) وكان فى عسكر طالوت (جالوت وآتاه) اى داود (الله الملك) فى بنى اسرائيل (والحكمة) النبوة بعد موت شمويل وطالوت ولم يجتمعا لاحد قبله (وعلمه مما يشاء) كصنعة الدروع ومنطق الطير (ولولا دفع الله الناس بعضهم)

ام الله) وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله * ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا * واحتج عليه بقوله * وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه فى الدين وفاقا (ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) يعنى شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة اومنالو كتما هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه الصلاة والسلام بالنبوة فى كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما فى قوله تعالى * براءة من الله ورسوله (وما الله بغافل عما تعملون) وعيد لهم وقرئ بالياء (تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) تكرير للمبالغة فى التحذير والزجر عما استحكم فى الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفى الآية لنا تحذير عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة فى الاول الانبياء وفى الثانى اسلاف اليهود والنصارى (سيقول السفهاء من الناس) الذين خفت احلامهم واستهانوا بالتقليد واعتراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب (ما ولاهم) ما صرفهم (عن قبلتهم التى كانوا عليها) يعنى بيت المقدس والقبلة فى الاصل الحال التى عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلاة (قل لله المشرق والمغرب) لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان (يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى (وكذلك) اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اى كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل (جعلناكم امة وسطا) اى خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو فى الاصل اسم المكان الذى يستوى اليه المسافة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لاتصفت به عدالتهم (لتكونوا شهداء

بدل بعض على الناس (ببعض لفسدت الارض) بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد (ولكن الله ذو فضل على العالمين) فدفع بعضهم ببعض (تلك) هذه الآيات (آيات الله نتلوها) نقصها (عليك) يا محمد (بالحق) بالصدق (وانك لمن المرسلين) التاكيد بان وغيرها رد لقوله الكفار له لست مرسلا (تلك) مبتدأ (الرسل) صفة والخبر (فضلنا بعضهم على بعض) بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره (منهم من كلم الله) كموسى (ورفع بعضهم) اى محمد صلى الله عليه وسلم (درجات) على غيره بعموم الدعوة وختم النبوة وتفضيل امته على سائر الامم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة (وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه) بروح القدس) جبريل يسير معه حيث سار (ولو شاء الله) هدى الناس جميعا (ما اقتتل الذين من بعدهم) بعد الرسل اى امتهم (من بعد ما جاءتهم البينات) لاختلافهم وتضليل

على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) علة للجعل اى لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل فبلغو اونصحوا ولكن الذين كفروا جلهم الشقاء على اتباع الشهوات والارض عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيشهد بعد التهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه السلام كالرقيب المهيمن على امته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (وماجعلنا القبلة التى كنت عليها) اى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فانه عليه السلام كان يصلى اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلاة الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رضى الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وماجعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبع فى الصلاة اليها ممن يرتد عن دينك آنفا لقبلة آبائه اولنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى التى كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحال الذى هو مناط الجزآء والمعنى ليتعلق علمنا به موجود او قيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه اولتميز الثابت من المتزلزل كقوله تعالى * ليميز الله الخبيث من الطيب * فوضع التميز المسبب عنه ويشهد له قرآءة ليعلم على البناء للفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما فى من من معنى الاستفهام او مفعوله الثانى ممن ينقلب اى لنعلم من يتبع الرسول مميزا ممن ينقب (وان كانت لكبيرة) ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى

بعضهم بعضا (ولكن اختلفوا) لمشيئة ذلك (فمنهم من آمن) ثبت على ايمانه (ومنهم من كفر) كالنصارى بعد المسيح (ولو شاء الله ما اقتتلوا تأكيد (ولكن الله يفعل ما يريد) من توفيق من شاء وخذلان من شاء (يأيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم) زكاته من قبل ان يأتى يوم لا بيع) فداء (فيه ولا خلة) صداقة تنفع (ولا شفاعة) بغير اذنه وهو يوم القيامة وفى قراءة برفع الثلاثة) والكافرون) بالله او بما فرض عليهم (هم الظالمون) لوضعهم امر الله فى غير محله (الله لا اله) اولا معبود بحق فى الوجود (الا هو الحى) الدائم البقاء (القيوم) البالغ فى القيام بتدبير خلقه (لا تأخذه سنة) نعاس (ولا نوم له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (من ذا الذى) اى لا احد (يشفع عنده الا باذنه) له فيها (يعلم ما بين ايديهم) اى الخلق (وما خلفهم) اى من امر الدنيا والآخرة (ولا يحيطون بشئ من علمه)

اى لايعلمون شيأ من معلوماته (الا بماشاء) ان يعلمهم به منها باخبار الرسل (وسع كرسيه السموات والارض) قيل احاط علمه بهما وقيل ملكه وقيل الكرسى نفسه مشتمل عليهما لعظمته لحديث ماالسموات السبع فى الكرسى الاكدراهم سبعة القيت فى ترس (ولايؤده) بثقله (حفظهما) اى السموات والارض (وهو العلى) فوق خلقه بالقهر (العظيم) الكبير (لا اكراه فى الدين) على الدخول فيه (قد تبين الرشد من الغى) اى ظهر بالآيات المبينات ان الايمان رشد والكفر غى نزلت فيمن كان له من الانصار اولاد اراد ان يكرههم على الاسلام (فمن يكفر بالطاغوت) الشيطان اوالاصنام وهو يطلق على المفرد والجمع (ويؤمن بالله فقد استمسك) تمسك (بالعروة الوثقى) بالعقد المحكم (لاانفصام) انقطاع (لها والله سميع) لما يقال (عليم) بما يفعل (الله ولى) ناصر (الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات) الكفر (الى

الفاصلة وقال الكوفيون هى النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله تعالى وماجعلنا القبلة التى كنت عليها من الجملة او الردة او التحويلة اوالقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة (الاعلى الذين هدى الله) الى حكمه الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع (وما كان الله ليضيع ايمانكم) اى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة اوصلاتكم اليها لماروى انه عليه السلام لما وجه الى الكعبة قالوا كف بمن مات يارسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت (ان الله بالناس لرؤف رحيم) فلايضيع اجورهم ولايدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر (قد نرى) ربما نرى (تقلب وجهك فى السماء) تردد وجهك فى جهة السماء تطلعا للوحى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل (فلنولينك قبلة) فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليه او فلنجعلنك تلى جهتها (ترضاها) تحبها وتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته (فول وجهك) اصرف وجهك (شطر المسجد الحرام) نحوه وقيل الشطر فى الاصل لما انفصل عن الشئ من شطر اذا انفصل ودار شطور اى منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى محرم فيه القتال اوممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه الصلاة والسلام كان فى المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روى انه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجهه الى الكعبة فى رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه فى مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فتحول فى الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين (وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره) خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عم تصريحا بعموم الحكم وتأكيد الامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة (وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم) جملة

لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه صلى الله عليه وسلم يصلى الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه (وما الله بغافل عما يعملون) وعدو وعيد للفريقين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتاء (ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية) برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم (ماتبعوا قبلتك) جواب القسم المضمر والقسم وجوابه سادمسد جواب الشرط والمعنى ماتركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا (وما انت بتابع قبلتهم) قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذى ننتظره تغريرا له وطمعا فى رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس الايرجى توافقهم كما لايرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه (ولئن اتبعت اهوآءهم من بعد ماجاءك من العلم) على سبيل الفرض والتقدير اى ولئن اتبعتهم مثلا بعد مابان لك الحق وجاءك فيه الوحى (انك اذا لمن الظالمين) اكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى علماءهم (يعرفونه) الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم لكمر فتهم لايلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضى الله تعالى عنه انه سال عبدالله بن سلام رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست اشك فى محمد انه نبى فاما ولدى فلعل والدته قد خانت فقبل رأسه (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن (الحق من ربك) كلام مستأنف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ماعليه الرسول صلى الله عليه وسلم او الحق الذى يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق مايثبت انه من الله تعالى كالذى انت عليه لامالم يثبت كالذى عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون (فلاتكونن

النور) الايمان (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) ذكر الاخراج امافى مقابلة قوله يخرجهم من الظلمات او فى كل من آمن بالنبى قبل بعثه من اليهود ثم كفر به (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الم تر الى الذى حاج) جادل (ابراهيم فى ربه) لك (ان آتاه الله الملك) اى حمله بطره بنعمة الله على ذلك وهو نمرود (اذ) بدل من حاج (قال ابراهيم) لما قال له من ربك الذى تدعونا اليه (ربى الذى يحيى ويميت) اى يخلق الحياة والموت فى الاجساد (قال) انا احيى واميت) بالقتل والعفو عنه ودعا برجلين فقتل احدهما وترك الآخر فلما رآه غبيا (قال ابراهيم) منتقلا الى حجة اوضح (فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها) انت (من المغرب فبهت الذى كفر) تحير ودهش والله لايهدى القوم الظالمين) بالكفر الى محجة الاحتجاج (او) رايت (كالذى) الكاف زائدة (مر على قرية) هى بيت المقدس راكبا على

من الممترين) الشاكين فى انه من ربك اوفى كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لايشك فيه ناظر اوامر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ (ولكل وجهة) ولكل امة قبلة والتنوين بدل الاضافة اولكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة (هو موليها) احد المفعولين محذوف اى هو موليها وجهه او الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتأكيد لضعف العامل وقرأ ابن عامر هو مولاها اى هو مولى تلك الجهة اى قدوليها (فاستبقوا الخيرات) من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين والفاضلات من الجهات وهى المساهمة للكعبة (اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا) اى فى اى موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء اواينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم اواينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلوتكم كأنها الى جهة واحدة (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع (ومن حيث خرجت) ومن اى مكان خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت (وانه) وان هذا الامر (للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون) وقرأ ابو عمر بالياء (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهية على ان يولى كل اهل ملة وصاحب دعوة دعوة وجهة يستقبلها ويتيمنها ودفع حجج المخالفين على مابينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شأن والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرى ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى (لئلا يكون للناس عليكم حجة) علة لقوله فولوا والمعنى التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت فى التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا فى قبلتنا والمشركين بانه يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته (الا الذين ظلموا منهم) استثناء من الناس

حمار ومعه سلة تين وقدح عصير وهو عزير (وهى خاوية) ساقطة (على عروشها) سقوفها لما خربها بختنصر (قال انى) كيف (يحيى هذه الله بعد موتها) استعظاما لقدرته تعالى (فاماته الله) والبثه (مائة عام ثم بعثه) احياه ليريه كيفية ذلك (قال) تعالى له (كم لبثت) مكثت هنا (قال لبثت يوما اوبعض يوم) لانه نام اول النهار فقبض واحيى عند الغروب فظن انه يوم النوم (قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك) التين (وشرابك) العصير (لم يتسنه) يتغير مع طول الزمان والهاء قيل اصل من سانهت وقيل للسكت من سايت وفى قراءة بحذفها (وانظر الى حمارك) كيف هو فرآه ميتا وعظامه بيض تلوح فعلنا ذلك لتعلم (ولنجعلك آية) على البعث (للناس وانظر الى العظام) من حمارك (كيف ننشزها) نحييها بضم النون وقرئ بفتحها من انشر ونشر لغتان وفى قراءة بضمها والزاى نحركها ونرفعها (ثم نكسوها لحما)

اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ماتحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بداله فرجع الى قبلة آبائه وبوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم لانهم يسوقون مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة رأسا كقوله « ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب » للعلم بان الظالم لاحجة له وقرئ الا الذين ظلموا منهم على انه استثناف بحرف التنبيه (فلا تخشوهم) فلا تخافوهم فان مطاعنهم لاتضركم (واخشونى) فلا تخالفوا اوامر تكم به مصلحة لكم (ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون) علة محذوف اى وامرتكم لاتمام النعمة عليكم وارادتى اعتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشونى لاحفظكم منهم ولاتم نعمتى عليكم اولئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله تعالى عنه تمام النعمة الموت على الاسلام (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم) متصل بماقبله اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبلة اوفى الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بمابعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى (يتلوعليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ماتصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره فى دعوة ابراهيم عليه السلام باعتبار الفعل (ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون)بالفكر والنظر اذلا طريق الى معرفته سوى الوحى وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر (فاذكرونى) بالطاعة (اذكركم)بالثواب (واشكروا لى) ماانعمت به عليكم (ولاتكفرون) بجحد النعم وعصيان الامر (ياايها الذين آمنوا استينوا بالصبر) عن المعاصى وحظوظ النفس (والصلوة) هى ام العبادات ومعراج المومنين ومناجاة رب العالمين (ان الله مع الصابرين) بالنصرة واجابة الدعوة (ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات) اى هم اموات (بل احياء) بل هم احياء (ولكن لاتشعرون) ماحالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولامن جنس مايحس به من الحيوانات وانما هى امر لايدرك بالعقل بل بالوحى وعن الحسن ان الشهداء احياء عند ربهم تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والآية نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لايحس به

فنظر اليها وقد تركبت وكسيت لحما ونفخ فيه الروح ونهق (فلما تبين له) ذلك بالمشاهدة (قال اعلم) علم مشاهدة (ان الله على كل شئ قدير) وفى قراءة اعلم امر من الله له (و) اذكر (اذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال) تعالى له (اولم تؤمن) بقدرتى على الاحياء سأله مع علمه بايمانه بذلك ليجيبه بما سأل فيعلم السامعون غرضه (قال بلى آمنت (ولكن) سألتك (ليطمئن) يسكن (قلبى) بالمعاينة المضمومة الى الاستدلال (قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك بكسر الصاد وضمها املهن اليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن (ثم اجعل على كل جبل) من جبال ارضك (منهن جزأ ثم ادعهن) اليك (يأتينك سعيا) سريعا (واعلم ان الله عزيز) لايعجزه شئ (حكيم) فى صنعه فأخذ طاوسا ونسرا وغرابا وديكا فعل بهن ماذكر وامسك رؤسهن عنده ودعاهن فتطايرت الاجزاء الى بعضها

حتى تكاملت ثم اقبلت الى
روسها (مثل) صفة نفقات
(الذين ينفقون اموالهم
فى سبيل الله) اى طاعته
(كمثل حبة انبتت سبع سنابل
فى كل سنبلة مائة حبة)
فكذلك نفقاتهم تضاعف
لسبعمائة ضعف (والله
يضاعف) اكثر من ذلك
(لمن يشاء والله واسع) فضله
(عليم) بمن يستحق المضاعفة
(الذين ينفقون اموالهم
فى سبيل الله لا يتبعون ما انفقوا
منا) على المنفق عليه بقولهم
مثلا قد احسنت اليه وجبرت
حاله (ولا اذى) له بذكر
ذلك الى من لا يحب وقوفه عليه
ونحوه لهم اجرهم) ثواب
انفاقهم (عند ربهم
ولا خوف عليهم ولاهم
يحزنون) فى الآخرة (قول
معروف) كلام حسن ورد
على السائل جميل (ومغفرة)
فى الحاحه (خير من صدقة
يتبعها اذى) بالمن وتعييره له
بالسؤال (والله غنى) عن
صدقة العباد (حليم) بتأخير
العقوبة عن المان والمؤذى
(يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا
صدقاتكم) اى اجورها

من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه
نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم
بالمقرب من الله ومزيدا لبهجة والكرامة (ولنبلونكم) ولنصيبنكم اصابة
من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء (بشئ
من الخوف والجوع) اى بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم منه
ليخفف عليهم ويزيهم ان رحمته لانفار قهم او بالنسبة الى مايصيب به
معانديهم فى الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم
(ونقص من الاموال والانفس والثمرات) عطف على شئ اوالخوف
وعن الشافعى رضى الله تعالى عنه الخوف خوف الله والجوع صوم
رمضان والنقص من الاموال الصدقات والزكوات ومن الانفس
الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبى صلى الله عليه وسلم
اذا مات ولد لعبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم روح ولد عبدى فيقولون
نعم فيقول الله اقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى
فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه
بيت الحمد (وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله
وانا اليه راجعون) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولمن تتأتى منا
البشارة والمصيبة تعم مايصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلاة
والسلام كل شئ يؤذى المؤمن فهوله مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع
باللسان بل به وبالقلب بان يتصور ماخلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر
نعم الله عليه ليرى مابقى عليه اضعاف ماسترده منه فيهون على نفسه
ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه (اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة) الصلاة فى الاصل الدعاء ومن الله تعالى التزكية والمغفرة وجمعها
للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبى
صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه
وجعل له خلفا صالحا يرضاه (واولئك هم المهتدون) للحق والصواب
حيث استرجعوا واستسلموا القضاء الله تعالى (ان الصفا والمروة) هما علمان
للجبلين بمكة (من شعائر الله) من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهى العلامة
(فمن حج البيت او اعتمر) الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على
قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين (فلا جناح عليه ان يطوف

بهما) كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام يخرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع فى الحج والعمرة وانما الخلاف فى وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس رضى الله عنهم لقوله فلاجناح عليه فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفى الجناح يدل على الجواز الداخل فى معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابى حنيفة رحمه الله تعالى انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعى رحمهما الله انه ركن لقوله عليه الصلاة والسلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعى (ومن تطوع خيرا) اى فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على مافرض الله عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعى ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف (فان الله شاكر عليم) مثيب على الطاعة لانخفى عليه (ان الذين يكتمون) كاخبار اليهود (ماانزلنا من البينات) كالآيات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم (والهدى) ومايهدى الى وجوب اتباعه والايمان به (من بعد مابيناه للناس) لخصناه (فى الكتاب) فى التورية (اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) اى الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين (الا الذين تابوا) عن الكتمان وسائر مايجب ان يتاب عنه (واصلحوا) ماافسدوا بالتدارك (وبينوا) مابينه الله فى كتابهم لتتم توبتهم وقيل مااحدثوه من التوبة ليمحوا به سمة الكفر عن انفسهم ويقتدى بهم احزابهم (فاولئك اتوب عليهم) بالقبول والمغفرة (وانا التواب الرحيم) المبالغ فى قبول التوبة وافاضة الرحمة (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) اى ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات (اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) استقر عليهم اللعن من الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل فى المعنى كقولك اعجبنى ضرب زيد عمرو اوفاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة (خالدين فيها) اى فى اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها (لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون) اى لايمهلون او ينظرون ليعتذروا اولاينظرون اليهم

بالمن والاذى) ابطالا (كالذى) اى كابطال نفقته الذى (ينفق ماله رئاء الناس) مرائيا لهم (ولايؤمن بالله واليوم الآخر) وهو المنافق (فمثله كمثل صفوان) حجر املس (عليه تراب فأصابه وابل) مطر شديد (فتركه صلدا) صلبا املس لاشئ عليه (يقدرون) استئناف لبيان مثل المنافق المنفق رئاء الناس وجمع الضمير باعتبار معنى الذى (على شئ مما كسبوا) عملوا اى لايجدون له ثوابا فى الاخرة كما لايوجد على الصفوان شئ من التراب الذى كان عليه لاذهاب المطر له (والله لايهدى القوم الكافرين ومثل) نفقات (الذين ينفقون اموالهم ابتغاء) طلب (مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم) اى تحقيقا للثواب عليه بخلاف المنافقين الذين لايرجونه لانكارهم له ومن ابتدائية (كمثل جنة) بستان بربوة) بضم الراء وفتحها مكان مرتفع مستو (اصابها وابل فاتت) اعطت (اكلها) بضم

الكاف وسكونها ثمرها (ضعفين) مثلى ماثمر غيرها (فان لم يصبها وابل فطل) مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها المعنى ثمروتزكو كثر المطرام قل فكذلك نفقات من ذكر تزكو عند الله كثرت ام قلت (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم به (أيود) ايحب (احدكم ان تكون له جنة) بستان (من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها) ثمر (من كل الثمرات و) قد (اصابه الكبر) فضعف من الكبر عن الكسب (وله ذرية ضعفاء) اولاد صغار لايقدرون عليه (فاصابها اعصار) ريح شديدة (فيه نار فاحترقت) فقد هقا احوج ماكان اليها وبقى هو وأولاده عجزة متحيرين لاحيلة لهم وهذا تمثيل لنفقة المرائى والمان فى ذهابها وعدم نفعها احوج مايكون اليها فى الآخرة والاستفهام بمعنى النفى وعن ابن عباس هو رجل عمل بالطاعات ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى احرق اعماله (كذلك)

نظر رحمة (وآلهكم آله واحد) خطاب عام اى المستحق منكم العبادة واحد لاشريك له يصح ان يعبد ويسمى آلها (لااله الاهو) تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان فى الوجود آلهة ولكن لايستحق منهم العبادة (الرحمن الرحيم) كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وماسواء امانعمة اومنعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبر ان آخران لقوله آلهكم اولمبتدأ محذوف وقيل لما سمع المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت (ان فى خلق السموات والارض) انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين (واختلاف الليل والنهار) تعاقبهما كقوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة (والفلك التى تجرى فى البحر بمايتفع الناس) اى بنفعهم اوبالذى ينفعهم، القصد به الى استدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الحوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر فى غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل اوالجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين (وما انزل الله من السماء من ماء) من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيى به الارض بعد موتها) بالنبات (وبث فيها من كل دابة) عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات فى ارض اوعلى احيى فان الدواب يتمون بالخصب ويعيشون بالحياة والبث النشر والتفريق (وتصريف الرياح) فى مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائى على افراد (والسحاب المسخر) المذلل (بين السماء والارض) لاينزل ولاينقشع مع ان الطبع يقتضى احدهما حتى يأتى امر الله تعالى وقيل مسخر للرياح تقلبه فى الجو بمشيئة الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا (لايات لقوم يعقلون) يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الاية ومج بها اى لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة الامكان من الجائز مثلا ان لاتتحرك السموات اوبعضها كالارض وان تتحرك بعكس

حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لايكون لها اوج وحضيض اصلا اوعلى هذا الوجه لبساطتها وتساوى اجزائها فلابدلها من موجد قادر حكيم يوجدها على ماتستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذلوكان معه آله يقدر على مايقدر عليه الآخر فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلامرجح وعجز الآخر المنافى لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى * لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * وفى الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا) من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى * اذتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا * ولعل المراد اعم منهما وهو مايشغله عن الله (يحبونهم) يعظونهم ويطيعونهم (كحب الله) كتعظيمه والميل الى طاعته اى يسوون بينه وبينهم فى المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله فى الطاعة وصونه عن المعاصى (والذين آمنوا اشد حبا لله) لانه لاينقطع محبتهم لله تعالى بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره (ولو يرى الذين ظلموا) ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد (اذ يرون العذاب) اذ عاينوه يوم القيامة واجرى المستقبل مجرى الماضى لتحققه كقوله تعالى * ونادى اصحاب الجنة * (ان القوة لله جميعا) سادمسد مفعولى يرى وجواب لو محذوف اى لو يعلمون ان القوة لله جميعا (اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا انداده لم لاتنفع لعلموا ان القوة لله كلها لاينفع ولايضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولوترى على انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى ولوترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا (وان الله شديد العذاب) على الاستئناف او اضمار اقول (اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) بدل من اذ يرون اى اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع

كما بين ماذكر (يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) فتعتبرون (ياايها الذين آمنوا انفقوا) اى زكوا (من طيبات) جياد (ما كسبتم) من المال (ومن) طيبات (ماأخرجنا لكم من الارض) من الحبوب والثمار (ولاتيمموا) تقصدوا (الخبيث) الردئ (منه) اى من المذكور (تنفقون) به فى الزكاة حال من ضمير تيمموا (ولستم بآخذيه) اى الخبيث لو اعطيتموه فى حقوقكم (الا ان تغمضوا فيه) بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله (واعلموا ان الله غنى) عن نفقاتكم (حميد) محمود على كل حال (الشيطان يعدكم الفقر) يخوفكم به ان تصدقتم فتمسكوا (ويأمركم بالفحشاء) البخل ومنع الزكاة (والله يعدكم) على الانفاق (مغفرة منه) لذنوبكم (وفضلا) رزقا خلفا منه (والله واسع) فضله عليم) بالمنفق (يؤتى الحكمة) اى العلم النافع المؤدى الى العمل (من يشاء

ومن يؤتى الحكمة فقداوتى خيرا كثيرا) لمصيره الى السعادة الابدية (ومايذكر فيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال يتعظ (الا اولوا الالباب) اصحاب العقول (وما انفقتم من نفقة) اديتم من زكاة اوصدقة (اونذرتم من نذر) فوفيتم به (فان الله يعلمه) فيجازيكم عليه (ومالظالمين) بمنع الزكاة والنذر اوبوضع الانفاق فى غير محله من معاصى الله (من انصار) مانعين لهم من عذابه (ان تبدوا) تظهروا (الصدقات) اى النوافل (فنعماهى) اى نعم شيا ابداؤها (وان تخفوها) تسروها (وتؤتوها الفقراء فهو خيرلكم) من ابدائها وايتائها الاغنياء اما صدقة الفرض فالافضل اظهارها ليقتدى به ولئلا يتهم وايتاؤها الفقراء متعين (ويكفر) بالياء وبالنون مجزوما بالعطف على محل فهو ومرفوعا على الاستئناف (عنكم من) بعض سيأتكم والله بما تعملون خبير) عالم بباطنه كظاهره لايخفى عليه

وقرئ بالعكس اى تبرأ الاتباع من الرؤساء (ورأوا العذاب) اى رأين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ (وتقطعت بهم الاسباب) يحتمل العطف على تبرأ ورأوا اوالحال والاول اظهر والاسباب الوصل التى كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذى يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على البناء للمفعول (وقال الذين اتبعوا لوان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا) لو للتمنى ولذلك اجيب بالفاء اى ياليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم (كذلك) مثل ذلك الاراء الفظيعة (يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم) ندامات وهى ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب وافعال (وماهم بخارجين من النار) اصله ومايخرجون فعدل عنه الى هذه العبارة للمبالغة فى الخلود والاقناط من الخلاص والرجوع الى الدنيا (ياايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا) نزلت فى قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا اوصفة مصدر محذوف اوحال مما فى الارض من للتبعيض اذلا يؤكل كل مافى الارض (طيبا) يستطيبه الشرع اوالشهوة المستقيمة اذالحلال دل على الاول (ولاتتبعوا خطوات الشيطان) لاتقتدوا به فى اتباع الهوى فتحرفوا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابوعمرو وحمزة والبزى وابو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان فى جمع خطوة وهى مابين قدمى الخاطى وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انها جمع خطوة وهى المرة من الخطو (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا فى قوله تعالى * اولياؤهم الطاغوت * (انما يأمركم بالسوء والفحشاء) بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقير الشانهم والسوء والفحشاء ماانكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء مايجاوز الحد فى القبح من الكبائر وقيل الاول مالاحد فيه والثانى ماشرع فيه الحد (وان تقولوا على الله مالاتعلمون) كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعى فوجوبه قطعى والظن فى طريقه كما بيناه فى الكتب

الاصولية (واذا قيل لهم اتبعوا ماانزل الله) الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالتهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون (قالوا بل نتبع ماالفينا عليه آباءنا) ماوجدناهم عليه نزلت فى المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ماانزل الله من الحجج والايات فجنحوا الى التقليد وقيل فى طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا نتبع ماوجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيم ماانزل الله التورية لانها ايضا تدعوا الى الاسلام (اولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون) الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجيب وجواب لو محذوف اى لو كان آباؤهم جهلة لاينظرون فى امر الدين ولايهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير فى الدين اذا علم بدليل ماانه محق كالانبياء والمجتهدين فى الاحكام فهو الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بمالايسمع الادعاء ونداء) على حذف مضاف تقديره ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذى ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم فى التقليد لايلقون اذهانهم الى مايتلى عليهم ولايتأملون فيما تقرر معهم فهم فى ذلك كالبهائم التى ينعق عليها فتسمع الصوت ولاتعرف المغزاه وتحس النداء ولاتفهم معناه وقيل هو تمثيلهم فى اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التى تسمع الصوت ولاتفهم ماتحته اوتمثيلهم فى دعائهم الاصنام بالناعق فى نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغنى عن الاضمار ولكن لايساعده قوله الادعاء ونداء لان الاصنام لاتسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب (صم بكم عمى) رفع على الذم (فهم لايعقلون) اى بالفعل للاخلال بالنظر (ياايها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم) لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم مافى الارض سوى ماحرم عليهم امر المؤمنين منهم ايتحروا طيبات مارزقوا ويقوموا بحقوقها فقال (واشكروا لله) على مارزقكم واحل لكم (ان كنتم اياه تعبدون) ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون مولى النعم فان عبادته تعالى لاتتم لابالشكر فان المعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عنه عدمه وعن النبى صلى الله

شئ منه ولما منع صلى الله عليه وسلم من التصدق على المشركين ليسلموا نزل (ليس عليك هداهم) اى الناس الى الدخول فى الاسلام انما عليك البلاغ (ولكن الله يهدى من يشاء) هدايته الى الدخول فيه (وماتنفقوا من خير) مال (فلانفسكم) لان ثوابه لها (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) اى ثوابه لاغيره من اعراض الدنيا خبر بمعنى النهى (وماتنفقوا من خير يوف اليكم) جزاؤه (وانتم لاتظلمون) تنقصون منه شيا والجملتان تأكيد للاولى (للفقراء) خبر مبتدا محذوف اى الصدقات (الذين احصروا فى سبيل الله) اى حبسوا انفسهم على الجهاد نزلت فى اهل الصفه وهم اربعمائة من المهاجرين ارصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا (لايستطيعون ضربا) سفرا (فى الارض) للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد (يحسبهم الجاهل) بحالهم (اغنياء من التعفف) اى

لتعففهم عن السؤال وتركه
(تعرفهم) بالمخاطبا
(بسيماهم) علامتهم
من التواضع وائر الجهد
(لايسئلون الناس) شيأ
فيلحفون (الحافا) اى
لاسؤال لهم اصلا فلايقع
منهم الحاف وهو الالحاح
(وماتنفقوا من خير فان الله به
عليم) فمجاز عليه (الذين
ينفقون اموالهم بالليل
والنهار سرا وعلانية فلهم
اجرهم عند ربهم ولاخوف
عليهم ولاهم يحزنون الذين
يأكلون الربوا) اى يأخذونه
وهو الزيادة فى المعاملة
بالنقود والمطعومات فى القدر
او الاجل (لايقومون) من
قبورهم (الا) قياما (كما
يقوم الذى يتخبطه) يصرعه
(الشيطان من المس)
الجنون بهم متعلق بيقومون
(ذلك) الذى نزل بهم
(بانهم) بسبب انهم (قالوا
انما البيع مثل الربوا)
فى الجواز وهذا من عكس
التشبيه مبالغة فقال تعالى
ردا عليهم (واحل الله البيع
وحرم الربوا فمن جاءه) بلغه
(موعظة) وعظ (من ربه

عليه وسلم يقول الله تعالى انى والانس والجن فى نبأ عظيم اخلق ويعبد غيرى
وارزق ويشكر غيرى (انما حرم عليكم الميتة) اكلها والانتفاع بها وهى
التى ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها مابين من حى والسمك والجراد
اخرجهما العرف عنها اواستثنى الشرع والجرمة المضافة العين تفيد
عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ماخصه الدليل كالتصرف
فى المدبوغ (والدم ولحم الخنزير) انما خص اللحم بالذكر لانه معظم مايؤكل
من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له (وما اهل به لغير الله) اى رفع
الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل
الهلال واهللته لكن لماجرت العادة ان يرفع الصوت بالنكير اذا رؤى سمى
ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره (فمن اضطر غير باغ)
بالاستئثار على مضطر آخر وقرأ عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون
(ولاعاد) سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالى ولاعاد بقطع
الطريق فعلى هذا لايباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى
وقول احد رحمهما الله تعالى (فلا اثم عليه) فى تناوله (ان الله غفور)
لما فعل (رحيم) بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ماذكروه
من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ماذكر مما استحلوه لا مطلقا
او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء
مالم تضطروا اليها (ان الذين يكتمون ماانزل الله من الكتاب ويشترون به
ثمنا قليلا) عوضا حقيرا (اولئك مايأكلون فى بطونهم الا النار) اما فى الحال
لانهم اكلوا مايتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله
اكلت دما ان لم ارعك بضرة * بعيدة مهوى القرط طيبة النشر *
يعنى الدية او فى المآل اى لايأكلون يوم القيامة الا النار ومعنى فى بطونهم
ملئ بطونهم يقال اكل فى بطنه واكل فى بعض بطنه كقوله « كلوا فى بعض
بطنكم تعفوا » (ولايكلمهم الله يوم القيامة) عبارة عن غضبه عليهم
وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم فى الكرامة والزلفى من الله (ولايزكيهم)
ولاينثى (ولهم عذاب اليم) مؤلم (اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى) فى الدنيا (والعذاب بالمغفرة فى الآخرة بكتمان الحق للمطامع
والاغراض الدنيوية (فمااصبرهم على النار) تعجب من حالهم فى الانتباس
بموجبات النار من غير مبالاة ومناقمة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها

كتخصيص قولهم « شر اهر ذا ناب » او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف (ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان (وان الذين اختلفوا فى الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم فى تأويلها اوخلفوا خلاف ما انزل الله تعالى مكانه اى حرفوا مافيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين (لفى شقاق بعيد) لفى خلاف بعيد عن الحق (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) البر كل فعل مرضى والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله تعالى عليهم قال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اى ليس البر مقصورا بامر القبلة اوليس البر العظيم الذى يحسن ان تذهلوا بشأنه عن غيره امرها وقرأ حمزه وحفص البر بالنصب (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) اى ولكن البر الذى ينبغى ان يهتم به بر من آمن بالله اولكن ذا البر من آمن وبتؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر (وآتى المال على حبه) اى على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اى الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور فى موضع الحال (ذوى القربى واليتامى) يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوى القربى لان ايتاءهم افضل كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك اثنتان صدقة وصلة (والمساكين) جمع المسكين وهو الذى اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير للدائم السكر (وابن السبيل) المسافر سمى به لملازمته السبيل كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به (والسائلين) الذين الجأهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه (وفى الرقاب) وفى تخليصها بمعاونة المكاتبين اوفك الاسارى اوابتياع الرقاب لعتقها (واقام الصلوة) فانتهى) عن اكله (فله ما سلف) قبل النهى اى لايسترد منه (وأمره) فى العفو عنه (الى الله ومن عاد الى اكله مشبها له بالبيع فى الحل) فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا) ينقصه ويذهب بركته (ويربى الصدقات) يزيدها وينميها ويضاعف ثوابها (والله لايحب كل كفار) بتحليل الربا (اثيم) فاجر يأكله اى يعاقبه (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا) اتركوا (مابقى من الربوا ان كنتم مؤمنين) صادقين فى ايمانكم فان من شان المؤمن امتثال امر الله تعالى نزلت لما طالب بعض الصحابة بعد النهى بربا كان قبل (فان لم تفعلوا) ما أمرتم به (فأذنوا) اعلموا (بحرب من الله ورسوله) لكم فيه تهديد شديد لهم ولما نزلت قالوا لايدلنا بحربه (وان تبتم)

المفروضة (وآتى الزكوة) يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله آتى المال لزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول وبيان مصارفها ومن الثانى اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات اوحقوقا كانت فى المال سوى الزكوة وفى الحديث نسخت الزكوة كل صدقة (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) عطف على من آمن (والصابرين فى الباساء والضراء) نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهرى البأساء فى الاموال كالفقر والشراء فى الانفس كالمرض (وحين البأس) وقت مجاهدة العدو (اولئك الذين صدقوا) فى الدين واتباع الحق وطلب البر (واولئك هم المتقون) عن الكفر وسائر الرذائل والاية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا اوضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة فى ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن بالله الى والنبيين والى الثانى بقوله وآتى المال الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) كان فى الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن احرمنكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتبا وأ والاتدل على ان لايقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لاتدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعى رضى الله تعالى عنهما قتل الحر بالعبد سواء كان عبده اوعبد غيره لما روى على رضى الله تعالى عنه ان جلا قتل عبده فجلده الرسول صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يفده به وروى عنه انه قال من السنة ان لايقتل مسلم بذى عهد ولاحر بعبد ولان ابابكر وعمر رضى الله تعالى عنهما كانا لايقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير والقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية مافى التورية

رجعتم عنه (فلكم رؤس) اصول (اموالكم لاتظلمون) بزيادة (ولاتظلمون) بنقص (وان كان) وقع غريم (ذوعسرة فنظرة) له اى عليكم تأخيره (الى ميسرة) بفتح السين وضمها اى وقت يسر (وان تصدقوا) بالتشديد على ادغام التاء فى الاصل فى الصاد وبالتخفيف على حذفها اى تتصدقوا على المعسر بالابراء (خير لكم ان كنتم تعلمون) انه خير فافعلوه فى الحديث من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله فى ظله يوم لاظل الا ظله رواه مسلم (واتقوا يوما ترجعون) بالبناء للمفعول تردون وللفاعل تصيرون (فيه الى الله) هو يوم القيامة (ثم توفى) فيه (كل نفس) جزاء (ما كسبت) عملت من خير وشر (وهم لايظلمون) بنقص حسنة أوزيادة سيئة (يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم) تعاملتم (بدين) كسلم وقرض (الى اجل مسمى) معلوم (فاكتبوه) استيثاقا ودفعا

فلا ينسخ مافى القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء فى القرآن (فمن عفى له من اخيه شئ) اى شئ من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام فى اسقاط القصاص وقيل عفى بمعنى ترك وشئ مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشئ بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجانى والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدى به الى الذنب عدى الى الجانى باللام وعليه مافى الآية كانه قيل فمن عفى له عن جنايته من جهة اخيه يعنى ولى الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه (فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان) اى فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافى بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر بادائها على مطلق العفو وللشافعى رضى الله تعالى عنه فى المسئلة قولان (ذلك) اى الحكم المذكور فى العفو والدية (تخفيف من ربكم ورحمة) مافيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم (فمن اعتدى بعد ذلك) قتل بعد العفو او اخذ الدية (فله عذاب اليم) فى الاخرة وقيل فى الدنيا بان يقتل لامحالة لقوله عليه السلام لااعافى احدا قتل بعد اخذه الدية (ولكم فى القصاص حيوة) كلام فى غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشئ محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان فى هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثانى تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه فى الدنيا لم يؤاخذ به فى الاخرة ولكم فى القصاص يحتمل ان يكونا خبرين للنزاع (وليكتب) كتاب الدين (بينكم كاتب بالعدل) بالحق فى كتابته لا يزيد فى المال والاجل ولا ينقص (ولا يأب) يمتنع (كاتب) من (ان يكتب) اذا دعى اليها (كما علمه الله) فضله اى بالكتابة فلا يبخل بها والكاف متعلقة بيأب (فليكتب) تأكيد (وليملل) يمل الكاتب (الذى عليه الحق) الدين لانه المشهود عليه فيقر ليعلم ماعليه (وليتق الله ربه) فى املائه (ولا يبخس) ينقص (منه) اى الحق (شيأ فان كان الذى عليه الحق سفيها) مبذرا (اوضعيفا) عن الاملاء لصغر او كبر (اولا يستطيع ان يمل هو) لخرس اوجهل باللغة اونحو ذلك (فليملل وليه) متولى امره من والد ووصى وقيم ومترجم (بالعدل واستشهدوا) اشهدوا على الدين (شهيدين) شاهدين (من رجالكم) اى بالغى المسلمين الاحرار (فان لم يكونا) اى الشهيدان (رجلين فرجل وامرأتان) يشهدون (ممن ترضون من الشهداء) لدينه وعدالته

وتعدد النساء لاجل (ان تضل) تنسى (احداهما) الشهادة لنقص عقلهن و ضبطهن (فتذكر) بالتخفيف والتشديد (احداهما) الذاكرة (الاخرى) الناسية وجملة الاذكار محل العلة اى لتذكران ضلت ودخلت على الضلال لانه سببه وفى قراءة بكسر ان شرطية ورفع تذكر استئناف جوابه (ولا يأب الشهداء اذا ما) زائدة (دعوا) الى تحمل الشهادة وادائها (ولا تسأموا) تملوا من (ان تكتبوه) اى ماشهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك (صغيرا) كان (او كبيرا) قليلا او كثيرا (الى اجله) وقت حلوله حال من الهاء فى تكتبوه (ذلكم) اى الكتب (اقسط) اعدل (عند الله واقوم للشهادة) اى اعون عن اقامتها انه يذكرها (وادنى) اقرب الى (ان لا ترتابوا) تشكوا فى قدر الحق والاجل (الا ان تكون) تقع (تجارة حاضرة) وفى قراءة بالنصب فتكون ناقصة واسمها ضمير التجارة (تديرونها بينكم) اى تقبضونها

لحيوة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له اوحالا من الضمير المستكن فيه وقرئ فى القصص اى فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة اوفى القرآن حيوة للقلوب (ياأولى الالباب) ذوى العقول الكاملة ناداهم للتأمل فى حكمة القصاص من استيفاء الارواح وحفظ النفوس (لعلكم تتقون) فى المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له اوعن القصاص فتكفوا عن القتل (كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت) اى حضر اسبابه وظهرت اماراته (ان ترك خيرا) اى مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله تعالى عنه ان مولى له اراد ان يوصى وله سبعمائة درهم فنفعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا الخير هو المال الكثير وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رجلا اراد ان يوصى فسالتكم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا فان هذا لشئ يسير فاتركه لعيالك (الوصية للوالدين والاقربين) مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل اوعلى تأويل ان يوصى اوالايصاء ولذلك ذكر الراجع فى قوله فمن بدله والعامل فى اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله « من يفعل الحسنات الله يشكرها » وردبانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم فى بدء الاسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه الصلاة والسلام ان الله اعطى كل ذى حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقى الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله اوبايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم (بالمعروف) بالعدل فلا يفضل الغنى ولا يتجاوز الثلث (حقا على المتقين) مصدر بؤكد اى حق ذلك حقا (فمن بدله) غيره من الاوصياء والشهود (بعد ما سمعه) اى وصل اليه وتحقق عنده (فانما اثمه على الذين يبدلونه) فاثم الايصاء المغير اوالتبديل الاعلى مبدله لانه هو الذى خالف وخالف الشرع (ان الله سميع عليم) وعيد للمبدل بغير حق (فمن خاف من موص) اى توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر موص مشددا (جنفا) ميلا بالخطأ فى الوصية (او اثما) تعمدا للحيف

(فاصلح بينهم) بين الموصى لهم باجزائهم على نهج الشرع (فلا اثم عليه فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول (ان الله غفور رحيم) وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس مايؤثم (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) يعنى الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم فى اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفى الشرع الامساك عن المفطرات بياض النهار فانها معظم ماتشتهيه الانفس (لعلكم تتقون) المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة التى هى مبدأها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء اوالاخلال بادائه لاصالته وقدره (اياما معدودات) موقتات بعدد معلوم اوقلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان اوماوجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر اوبكما كتب على الظرفية اوعلى انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل مناه صومكم كصومهم فى عدد الايام لما روى ان رمضان كتب على النصارى فوقع فى برد اوحر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم (فمن كان منكم مريضا) مرضا يضره الصوم ويعسر معه (اوعلى سفر) اوراكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر (فعدة من ايام اخر) اى فعليه صوم عدة ايام المرض اوالسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اى فليصم عدة وهذا سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابوهريرة رضى الله تعالى عنه (وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيقين للصيام ان افطروا (فدية طعام مسكين) نصف صاع من براوصاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم فى ذلك اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين بغير اضافة الفدية الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه اى يكلفونه ولااجل فيها (فليس عليكم جناح) فى (ان لاتكتبوها) والمراد بها التحرفيه (واشهدوا اذا تبايعتم) عليه فانه ادفع للاختلاف وهذا وماقبله امر ندب (ولايضار كاتب ولاشهيد) صاحب الحق ومن عليه بتحريف اوامتناع من الشهادة اوالكتابة اولايضرهما صاحب الحق بتكليفهما مالايليق فى الكتابة والشهادة (وان تفعلوا) مانهيتم عنه (فانه فسوق) خروج عن الطاعة لاحق (بكم واتقوا الله) فى امره ونهيه ويعلمكم الله) مصالح اموركم حال مقدرة اومستانف (والله بكل شئ عليم وان كنتم على سفر) اى مسافرين وتدانيتم (ولم تجدوا كاتبا فرهن) وفى قراء فرهان جمع رهن (مقبوضة) تستوثقون بها وبينت السنة جواز الرهن فى الحضر ووجود الكاتب فالتقييد بما ذكر لان التوثيق فيه اشد وافاد قوله مقبوضة اشتراط القبض فى الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله (فان امن بعضكم

بعضا) اى الدائن المدين على حقه فلم يرتهن (فليؤد الذى ائتمن) اى المدين (امانته) دينه (وليتق الله ربه) فى ادائه (ولاتكتموا الشهادة) اذا دعيتم لاقامتها (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) خص بالذكر لانه محل الشهادة ولانه اذا اثم تبعه غيره فيعاقب عليه معاقبة الآثمين (والله بما تعملون عليم) لايخفى عليه شئ منه (لله مافى السموات ومافى الارض وان تبدوا) تظهروا (مافى انفسكم) من السؤ والعزم عليه (او تخفوه) تسروه (يحاسبكم) يخبركم (به الله) يوم القيامة (فيغفر لمن يشاء) المغفرة له (ويعذب من يشاء) تعذيبه والفعلان بالجزم عطف على جواب الشرط والرفع اى فهو (والله على كل شئ قدير) ومنه محاسبتكم وجزؤكم (آمن) صدق (الرسول) محمد (بما انزل اليه من ربه) من القرآن (والمؤمنون) عطف عليه (كل) تنوينه عوض من المضاف اليه (آمن بالله وملائكته وكتبه) بالجمع والافراد (ورسله)

اويقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة اوالقلادة ويتطوقونه اى يتكلفونه اويتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه على ان اصلهما يطيقونه ويتطوقونه من فيعل وتفعيل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القرآت يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتبعه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز فى افطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراة المشهورة اى يصومونه جهدهم وطاقتهم (فمن تطوع خيرا) فزاد فى الفدية (فهو) فالتطوع او الخير (خيرله وان تصوموا) ايها المطيقون اوالمطوقون وجهدتم طاقتكم اوالمرخصون فى الافطار لينذرج تحته المريض والمسافر (خيرلكم) من الفدية اوتطوع الخير اومنهما ومن التأخير للقضاء (ان كنتم تعلمون) مافى الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ماقبله اى اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك (شهر رمضان) مبتدأ خبره مابعده اوخبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان اوبدل من الصيام على حذف المضاف اى كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا وعلى انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف اوبدل من ايام معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض اى احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية فى ابن داية علما للغراب للعلمية والتأنيث وقوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لأمن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش اولارتماض الذنوب فيه اولوقوعه ايام رمض الحر حيث مانقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة (الذى انزل فيه القرآن) اى ابتدئ فيه انزال وكان ذلك ليلة القدر اوانزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض اوانزل فى شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبى صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم عليه السلام اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ اوصفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه (هدى للناس وبينات

من الهدى والفرقان) حالان من القرآن اى انزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدى الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فمن حضر فى الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثانى على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اى صلاتها فيكون (ومن كان مريضا اوعلى سفر فعدة من ايام اخر) مخصصاله لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك اولئلا يتوهم نسخه لما نسخ قرينة (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر فى السفر والمرض (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون) علل لفعل محذوف دل عليه ماسبق اى وشرع جملة ماذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ماافطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخره على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا العدة علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير اولافعال كل لفعله اومعطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم اولتعلموا ماتعملون ولتكملوا العدة ويجوز ان يعطف على اليسر اى ويريد بكم لتكملوا كقوله تعالى يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال ومايحتمل المصدر والخبرى الذى هداكم اليه وعن عاصم برواية ابى بكر ولتكملوا بالتشديد (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) اى فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت (اجيب دعوة الداعى اذا دعانى) تقرير للقرب ووعد للداعى بالاجابة (فليستجيبوا لى) اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم (وليؤمنوا بى) امر بالثبات والمداومة عليه (لعلهم يرشدون) راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر

يقولون (لانفرق بين احد من رسله) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى (وقالوا سمعنا) اى ما امرتنا به سماع قبول (واطعنا) نسألك (غفرانك ربنا واليك المصير) المرجع بالبعث * ولما نزلت الآية قبلها شكا المؤمنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها فنزل (لايكلف الله نفسا الا وسعها) اى ماتسعه قدرتها (لها ما كسبت) من الخير اى ثوابه (وعليها ما اكتسبت) من الشر اى احد ولا يعاقب بكسبه مما وسوست به نفسه وقولوا (ربنا لاتؤاخذنا) بالعقاب (ان نسينا او اخطأنا) تركنا الصواب لاعن عمد كما آخذت به من قبلنا وقد رفع الله ذلك عن هذه الامة كما ورد فى الحديث فسؤاله اعتراف بنعمة الله (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) امرا يثقل علينا حمله (كما حملته على الذين من قبلنا) اى بنى اسرائيل من قتل النفس فى التوبة واخراج ربع المال فى الزكاة وقرض موضع

النجاسة (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة) قوة (لنا به) من التكاليف والبلاء (واعف عنا) امح ذنوبنا (واغفر لنا وارحمنا) فى الرحمة زيادة على المغفرة (انت مولانا) سيدنا ومتولى امورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) باقامة الحجة والغلبة فى قتالهم فان من شأن المولى ان ينصر مواليه على اعداء وفى الحديث لما نزلت هذه الآية قرأها صلى الله عليه وسلم قيل له عقب كل كلمة قد فعلت

(سورة آل عمران مدنية مائتان)

(او الآية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) الله اعلم بمراده بذلك (الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك) يا محمد (الكتاب القرآن ملتبسا (بالحق بالصدق فى اخباره (مصدقا لما بين يديه) قبله من الكتب (وانزل التوراة والانجيل (من قبل) تنزيله (هدى) حال بمعنى هادين من الضلالة (للناس) ممن تبعهما وعبر فيهما بانزل وفى القرآن بنزل المقتضى للتكرير لانهما انزلا دفعة واحدة بخلافه (وانزل

وبمراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيداله وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال (احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) روى ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخرة او يرقدوا ثم ان عمر رضى الله تعالى عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبى صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التى يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو امن رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) استئناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدى * اذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنت فكانت عليه لباسا * اولان كل واحد منهما يستر حال صاحبه و يمنعه عن الفجور (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم) تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب (فتاب عليكم) لما تبتم مما اقترفتموه (وعفا عنكم) ومحا عكم اثره (فالآن باشروهن) لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة القرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع (وابتغوا ما كتب الله لكم) واطلبوا ما قدره لكم واثبته فى اللوح المحفوظ من الولد والمعنى ان المباشر ينبغى ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهى عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذى كتب الله لكم (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض فى الافق وما يمتد معه من ضوء الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته وبذلك خرجا عن الاستعارة الى الحقيقة ويجوز ان تكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روى انهما

ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما فى ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفى تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم الصبح جنبا (ثم اتموا الصيام الى الليل) بيان آخر وقته واخراج الليل عنه وفى صوم الوصال (ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد) معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث فى المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطئ وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون فى المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطئ يحرم فيه ويفسده لان النهى فى العبادات يوجب الفساد (تلك حدود الله) اى الاحكام التى ذكرت (فلا تقربوها) نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فضلا عن ان يتخطى عنه كما قال عليه الصلاة والسلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه ان ترتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) مخالفة الاوامر والنواهى (ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) اى ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذى لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال (وتدلوا بها الى الحكام) عطف على المنهى او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اى ولا تلقوا حكومتها الى الحكام (لتأكلوا) بالتحاكم (فريقا) طائفة (من اموال الناس بالاثم) بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم (وانتم تعلمون) انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روى ان عبد ان الحضرمى ادعى على امرئ القيس الكندى قطعة من ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرئ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع اليمين وسلم الارض الى عبد ان فنزلت وهى دليل على ان حكم القاضى لا ينفذ باطنا

الفرقان) بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذكره بعد ذكر الثلاثة ليعم ماعداها (ان الذين كفروا بآيات الله) القرآن وغيره (لهم عذاب شديد والله عزيز) غالب على امره فلا يمنعه شئ من انجاز وعده ووعيد (ذو انتقام) عقوبة شديدة ممن عصاه لا يقدر على مثلها احد (ان الله لا يخفى عليه شئ) كائن (فى الارض ولا فى السماء) لعلمه بما يقع فى العالم من كلى وجزئى وخصهما بالذكر لان الحس لا يتجاوزهما (هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء) من ذكورة وانوثة وبياض وسواد وغير ذلك (لا اله الا هو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعة (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) واضحات الدلالة (هن ام الكتاب) اصله المعتمد عليه فى الاحكام (واخر متشابهات) لانفسهم معانيها كأوائل السور

وجعله كله محكما فى قوله احكمت آياته بمعنى انه ليس فيه عيب ومتشابها فى قوله كتابا متشابها بمعنى انه يشبه بعضه بعضا فى الحسن والصدق (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) ميل عن الحق (فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء) طلب (الفتنة) لجهلهم بوقوعهم فى الشبهات واللبس (وابتغاء تأويله) تفسير (ويعلم تأويله) تفسيره (الا الله) وحده (والراسخون) الثابتون المتمكنون (فى العلم) مبتدا خبره (يقولون آمنا به) اى بالمتشابهه انه من عند الله ولانعلم معناه (كل) من المحكم والمتشابه (من عند ربنا وما يذكر) بادغام التاء فى الاصل فى الذال اى يتعظ (أولوا الالباب) اصحاب العقول ويقولون ايضا اذا راوا من يتبعه (ربنا لاترغ قلوبنا) تملها عن الحق بابتغاء تأويله الذى لايليق بنا

ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ماسمع منه فمن قضيت له بشئ من حق اخيه فانما اقضى له قطعة من النار فليحملها او يذرها (يسألونك عن الاهلة) سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا مابال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لايزال ينقص حتى يعود كما بدأ (قل هى مواقيت للناس والحج) اى انهم سألوا عن الحكمة فى اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة فى ذلك ان تكون معالم للناس يوقتون بها اومورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر (وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى) كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دار اولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب اوفرجة ورآه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس بر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بماقبله انهم سألوا عن الامرين اوانه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم فى الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا عما لايعنيهم ولايتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ماسألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها اوان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورآئه والمعنى وليس البران تعكسوا فى مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجترئ على مثله (وأتوا البيوت من ابوابها) اذ ليس فى العدول برفباشروا الامور من وجوهها (واتقوا الله) فى تغيير احكامه والاعتراض على افعاله (لعلكم تفلحون) لكى تظفروا بالهدى والبر (وقاتلوا فى سبيل الله) جاهد والاعلاء كلمته واعزاز دينه (الذين يقاتلونكم) قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين و على قصده و يؤيد الاول ماروى

ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يوفوا لهم ويقاتلوهم فى الحرم او الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت (ولا تعتدوا) بابتداء القتال او يقتال المعاهد او المفاجأة به من غير دعوة او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله (ان الله لا يحب المعتدين) لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم) حيث وجدتموهم فى حل او حرم واصل الثقف الحذف فى ادراك الشئ علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيهما « قال فاما تثقفونى فاقتلونى * فمن اثقف فليس الى الخلود » (واخرجوهم من حيث اخرجوكم) اى من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح (والفتنة اشد من القتل) اى المحنة التى يفتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم فى الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) اى لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام (فان قاتلوكم فاقتلوهم) فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائى ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فيه فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنو اسد (كذلك جزاء الكافرين) مثل ذلك جزاءهم يفعل بهم مثل ما فعلوا (فان انتهوا) عن القتال والكفر (فان الله غفور رحيم) يغفر لهم ما قد سلف (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) شرك (ويكون الدين) خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب (فان انتهوا) عن الشرك (فلا عدوان الا على الظالمين) اى فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء (الشهر الحرام بالشهر الحرام) قاتلهم المشركون عام الحديبية فى ذى القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم فيه لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به (والحرمات قصاص) احتجاج عليه اى كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجرى فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة

كما زاغت قلوب اولئك (بعد اذ هديتنا) ارشدتنا اليه (وهب لنا من لدنك) من عندك (رحمة) تثبيتا (انك انت الوهاب) يا (ربنا انك جامع الناس) تجمعهم (ليوم) اى فى يوم (لا ريب) شك (فيه) هو يوم القيامة فتجازيهم باعمالهم كما وعدت بذلك (ان الله لا يخلف الميعاد) موعده البعث فيه التفات عن الخطاب ويحتمل ان يكون من كلامه تعالى والغرض من الدعاء بذلك بيان ان همهم امر الآخرة ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها روى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى آخرها وقال فاذا رايت الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم وروى الطبرانى فى الكبير عن ابى موسى الاشعرى انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما اخاف على امتى الا ثلاث

خلال وذكر منها ان يفتح لهم
الكتاب فيما خذه المؤمن
يبتغي تاويله وليس يعلم تاويله
الا الله والراسخون في العلم
يقولون آمنا به كل من عند
ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب
الحديث (ان الذين كفروا
لن تغني) تدفع (عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله) اي عذابه
(شيأ واولئك هم وقود النار)
يفتح الواو ما توقد به نأبهم
(كدأب) كعادة (آل
فرعون والذين من قبلهم
من الامم كعاد وثمود (كذبوا
بآياتنا فاخذهم الله) اهلكهم
(بذنوبهم) والجملة مفسرة
لما قبلها (والله شديد العقاب)
ونزل لما امر النبي صلى الله
عليه وسلم اليهود بالاسلام
مرجعه من بدر فقالوا له
لا يغرنك ان قتلت نفرا
من قريش اغمارا لا يعرفون
القتال (قل) يا محمد (للذين
كفروا) من اليهود
(ستغلبون) بالتاء والياء
في الدنيا بالقتل والاسر
وضرب الجزية وقد وقع
ذلك (وتحشرون) بالوجهين
في الآخرة (الى جهنم)

واقتلوهم ان قاتلوكم كما مال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم) وهو فذلكة التقرير (واتقوا الله) في الانتصار ولا تعتدوا
الى ما لم يرخص لكم (واعلموا ان الله مع المتقين) فيحرسهم ويصلح شانهم
(وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل امساك (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة)
بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك
يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ماروي عن ابي ايوب الانصاري
رضي الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهلينا واموالنا
نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وجب المال فانه يؤدي الى الهلاك
المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والقاء
طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بايدي
الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتصرة والنصرة
اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا
بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول (واحسنوا) اعمالكم واخلاقكم
او تفضلوا على المحاويج (ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله)
اتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل
على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة لله وماروي جابر
رضي الله تعالى عنه انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن
ان تعتمر خير لك معارض بماروي ان رجلا قال لعمر رضي الله تعالى عنه اني
وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة
نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز
ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان
وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل انما مهما ان تحرم بهما
من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما
بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا (فان احصرتم) منعتم
يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضي مثل صده واصده
والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى لقوله تعالى
فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو ومرض او غيرهما عند ابي
حنيفة رحمه الله تعالى لما روي عنه عليه الصلاة والسلام من كسر او عرج

فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني (فما استيسر من الهدى) فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدى ما تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امار فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) اى لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ محله اى مكانه الذى يجب ان ينحر فيه وجعل الاولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث يحل الذبح فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدى دليل على عدم القضاء وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدى جمع هدية بكسر الدال وتشديد الياء وقرئ من الهدى جمع هدية كمطى في مطية (فمن كان منكم مريضا) مرضا يحوجه الى الحلق (او به اذى من رأسه) بجراحه وقمل (ففدية) فعليه فدية ان حلق (من صيام او صدقة او نسك) بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روى انه عليه الصلاة والسلام قال لكعب ابن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة اصوع (فاذا امنتم) الاحصار او كنتم في حال امن وسعة (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) فمن استمتع او انتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الا ان يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى انه دم نسك فهو كالاضحية (فمن لم يجد) اى الهدى (فصيام ثلاثة ايام في الحج) في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة رحمه الله في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثرين (وسبعة اذا رجعتم) الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي رضي الله تعالى عنه او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام (تلك عشرة) كاملة الحساب

فتدخلونها (وبئس المهاد) الفراش هي (قد كان لكم آية) عبرة وذكر الفعل للفصل (في فئتين) فرقتين (التقتا) يوم بدر للقتال (فئة تقاتل في سبيل الله) اى طاعته وهم النبي واصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف واكثرهم رجالة (واخرى كافرة يرونهم) اى الكفار (مثليهم) اى المسلمين اى اكثر منهم وكانوا نحو الف (رأى العين) اى رؤية ظاهرة معاينة وقد نصرهم الله مع قلتهم (والله يؤيد) يقوى (بنصره من يشاء نصره) ان في ذلك المذكور (لعبرة لاولى الابصار) لذوى البصائر افلا تعتبرون بذلك فتؤمنون (زين للناس حب الشهوات) ما تشتهيه النفس وتدعو اليه زينها الله ابتلاء او الشيطان (من النساء والبنين والقناطير) لاموال الكثيرة (المقنطرة) المجمعة (من الذهب والفضة والخيل المسومة) الحسان (والانعام) اى الابل والبقر والغنم

(والحرث) الزرع (ذلك) المذكور (متاع الحيوة الدنيا) يتمتع به فيها ثم يفنى (والله عنده حسن المآب) المرجع وهو الجنة فينبغى الرغبة فيه دون غيره (قل) يا محمد لقومك (أأنبئكم) اخبركم (بخير من ذلكم) المذكور من الشهوات استفهام تقرير (للذين اتقوا) الشرك (عند ربهم) خبر مبتدؤه (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين) اى مقدرين الخلود (فيها) اذا دخلوها (وازواج مطهرة) من الحيض وغيره مما يستقذر (ورضوان) بكسر اوله وضمه لغتان اى رضا كثير (من الله والله بصير) عالم (بالعباد) فيجازى كلا منهم بعمله (الذين) نعت او بدل من الذين قبله (يقولون) يا (ربنا انا آمنا) صدقنا بك وبرسولك (فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين) على الطاعة وعن المعصية نعت (والصادقين) فى ايمان (والقانتين) المتطيعين لله (والمنفقين) المصدقين (والمستغفرين) بان يقولوا

وفائدتها ان لا يتوهم متوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما (كاملة) صفة مؤكدة تفيد المبالغة فى محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهى الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدى (ذلك) اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى اذ لا متعة ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك اى التمتع منهم فعليه دم جناية (لمن يكن اهل حاضرى المسجد الحرام) وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل منه مقيم الحرم او فى حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاووس وغير المكى عند مالك (واتقوا الله) فى المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا فى الحج (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به عن العصيان (الحج اشهر) اى وقته كقولك البرد شهران (معلومات) معروفات وهى شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابى حنيفة رحمة الله تعالى عليه وذا الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة فى بقية ذى الحجة وابو حنيفة رحمه الله وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمى شهرين وبعض شهر اشهرا اقامة لبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد (فمن فرض فيهن الحج) فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدى عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعى رحمه الله تعالى وان من احرم لحج لزمه الاتمام (فلا رفث) فلا جماع او فلا فحش من الكلام (ولا فسوق) ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات (ولا جدال) ولا مراء مع الخدم والرفقة (فى الحج) فى ايامه فنفى الثلاثة على قصد النهى للمبالغة وللدلالة على انها حقيقة بان تكون وما كانت منها مستقبحة فى انفسها ففى الحج اقبح كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح

على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف فى الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة (وماتفعلوا من خير يعلمه الله) حث على الخير عقيب النهى عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت فى اهل اليمن كانو يحجون ولايتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام فى السؤال والتثقيل على الناس (واتقون ياولى الالباب) فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرأوا من كل شئ سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولى الالباب بهذا الخطاب (ليس عليكم جناح ان تبتغوا) اى فى ان تبتغوا اى تطلبوا (فضلا من ربكم) عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم فى الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت (فاذا افضتم من عرفات) دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف فى دفعت من البصرة وعرفات جمع سمى به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لاتنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عرض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك اولان التأنيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهى وليست تاء تأنيث وانما هى مع الالف التى قبلها علامة جمع المؤنث اوبتاء مقدرة كما فى سعاد ولايصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت. وانما سمى الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما ابصره عرفه اولان جبريل عليه السلام كان يدور به فى المشاعر فلما اراه قال عرفت اولان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا اولان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة فى ذلك وهى من الاسماء المرتجلة الاان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بهالان الافاضة لاتكون الا بعده وهى مأمور بها بقوله ثم افيضوا ومقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل مستحب وعلى تقديرانه واجب فهو واجب مقيد لاواجب مطلق حتى يجب مقدمته اللهم اغفر لنا (بالاسحار) اواخر الليل خصت بالذكر لانها وقت الغفلة ولذة النوم (شهد الله) بين الخلقة بالدلائل والايات (انه لااله) اى لامعبود فى الوجود بحق (الا هوو) شهد بذلك (الملائكة) بالاقرار (واولوا العلم) من الانبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ (قائما) بتدبير مصنوعاته ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد (بالقسط) بالعدل (لااله الا هو) كرره تأكيدا (العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (ان الدين) المرضى (عند الله) هو (الاسلام) اى الشرع المبعوث به الرسل المبنى على التوحيد وفى قراءة بفتح ان بدل من انه الخ بدل اشتمال (وما اختلف الذين اوتوا الكتاب) اليهود والنصارى فى الدين بان وحد بعض وكفر بعض (الا من بعد ماجاءهم العلم) بالتوحيد (بغيا) من الكافرين (بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب اى المجازات له (فان حاجوك)

خاصمك الكفار يا محمد فى الدين (فقل) لهم (اسلمت وجهى لله) انقدت له انا (ومن اتبعنى) وخص الوجه بالذكر لشرفه فغيره اولى (وقل للذين اوتوا الكتاب) اليهود والنصارى (والامين) مشركى العرب (أأسلمتم) اى اسلموا (فان اسلموا فقد اهتدوا) من الضلال (وان تولوا) عن الاسلام (فانما عليك البلاغ) التبليغ للرسالة (والله بصير بالعباد) فيجازيهم باعمالهم وهذا قبل الامر بالقتال (ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون) وفى قراءة يقاتلون (النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط) بالعدل (من الناس) وهم اليهود روى انهم قتلوا ثلاثة واربعين نبيا فنيها هم مائة وسبعون من عبادهم فقتلوهم من يومهم (فبشرهم) اعلمهم (بعذاب اليم) مؤلم وذكر البشارة تهكم بهم ودخلت الفاء فى خبر ان لشبه اسمها الموصول بالشرط (اولئك الذين حبطت) بطلت (اعمالهم) ما عملوا من خير كصدقة

والامر به غير مطلق (فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشائين (عند المشعر الحرام) جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل مابين مأزمى عرفة ووادى محسر ويؤيد الاول ماروى جابر انه عليه الصلاة والسلام لما صلى الفجر يعنى بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمى مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادى محسر (واذكروه كما هداكم) كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة (وان كنتم من قبله) اى الهدى (لمن الضالين) اى الجاهلين بالايمان والطاعة وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى * وان نظنك لمن الكاذبين * (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) اى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت مابين الافاضتين كما فى قولك احسن الناس ثم لانحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اى الناسى يريد آدم من قولة سبحانه وتعالى فنسى والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه (واستغفروا الله) من جاهليتكم فى تغيير المناسك ونحوه (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه (فاذا قضيتم مناسككم) فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها (فاذكروا الله كذكركم آبائكم) فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم فى المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم (او اشد ذكرا) اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله اذكرا كذكركم آبائكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آبائكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لاآبائكم (فمن الناس من يقول) تفصيل للذاكرين الى مقل لايطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد الحث على الاكثار

والارشاد اليه (ربنا آتنا فى الدنيا) اجعل ايتاءنا ومنحتنا فى الدنيا (وماله فى الآخرة من خلاق) اى نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا اومن طلب خلاق (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) يعنى الصحة والكفاف وتوفيق الخير (وفى الاخره حسنة) يعنى الثواب والرحمة وقنا عذاب النار) بالعفو والمغفرة وقول على رضى الله تعالى عنه الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء وقول الحسن الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها (اولئك) اشارة الى الفريق الثانى وقيل اليهما (لهم نصيب مما كسبوا) اى من جنسه وهو جزاؤه اومن اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا اومما دعوابه نعطيهم منه ماقدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال (والله سريع الحساب) يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم فى مقدار لمحة اوبوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات (واذكروا الله فى ايام معدودات) كبروه ادبار الصوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها فى ايام التشريق (فمن تعجل) فمن استعجل النفر (فى يومين) يوم القر والذى بعده اى فمن نفر فى ثانى ايام التشريق بعد رمى الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عند ابى حنيفة (فلا اثم عليه) باستعجاله (ومن تأخر فلا اثم عليه) ومن تأخر فى النفر حتى رمى فى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفى الاثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر (لمن اتقى) اى الذى ذكر من التخيير اومن الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به اولاجله حتى لايضر بترك مايهمه منهما (واتقوا الله فى مجامع اموركم ليعبأ بكم (واعلموا انكم اليه تحشرون) لجزآء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق (ومن الناس من يعجبك قوله) يروقك ويعظم فى نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه (فى الحيوة الدنيا) متعلق بالقول اى مايقوله فى امور الدنيا واسباب المعاش او فى معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان اويعجبك اويعجبك قوله فى الدنيا حلاوة وفصاحة ولايعجبك فى الآخرة لمايعتريه من الدهشة والحبسة اولانه لايؤذن له

وصلة رحم (فى الدنيا والآخرة) فلا اعتداد بها لعدم شرطها (ومالهم من ناصرين) مانعين من العذاب (الم تر) تنظر (الى الذين اوتوا نصيبا) حظا (من الكتاب) التوراة (يدعون) حال (الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) عن قبول حكمة نزل فى اليهود زنى منهم اثنان فتحاكموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فحكم عليهما بالرجم فابوا فجىء بالتوراة فوجد فيها فرجما فغضبوا (ذلك) التولى والاعراض (بانهم قالوا) اى بسبب قولهم (لن تمسنا النار الا اياما معدودات) اربعين يوما مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول عنهم (وغرهم فى دينهم متعلق بقوله (ماكانوا يفترون) من قولهم ذلك (فكيف) حالهم (اذا جمعناهم ليوم) اى فى يوم (لاريب) شك (فيه) هو يوم القيامة (ووفيت كل نفس) من اهل الكتاب وغيرهم جزاء (ماكسبت) عملت من خير

وشر (وهم) اى الناس (لايظلمون) بنقص حسنة اوزيادة سيئة * ونزل لما وعد صلى الله عليه وسلم امته ملك فارس والروم فقال المنافقون هيهات (قل اللهم) يا الله (مالك الملك تؤتى) تعطى (الملك من تشاء) من خلقك (وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء) باياتك (وتذل من تشاء) بنزعه منه (بيدك) بقدرتك (الخير) اى والشر (انك على كل شئ قدير تولج) تدخل (الليل فى النهار وتولج النهار) تدخله (فى الليل) فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وتخرج الحى من الميت) كالانسان والطائر من النطفة والبيضة (وتخرج الميت) كالنطفة والبيضة (من الحى وترزق من تشاء بغير حساب) اى رزقا واسعا (لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء) يوالونهم (من دون) اى غير (المؤمنين ومن يفعل ذلك) اى يواليهم (فليس من) دين (الله فى شئ الا ان تتقوا منهم تقاة) مصدر تقيته اى تخافوا مخافة فلكم موالاتهم

فى الكلام (ويشهد الله على مافى قلبه) يحلف ويستشهد الله على ان مافى قلبه موافق لكلامه (وهو الد الخصام) شديد العداوة والجدل للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعى الاسلام وقيل فى المنافقين كلهم (واذا تولى) ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا (سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم اوكما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل (والله لايحب الفساد) لايرتضيه فاحذروا غضبه عليه (واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم) حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذى يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه (فحسبه جهنم) كفته جزاء وعذابا وجهنم علم الدار العقاب وهى فى الاصل مرادف للنار وقيل معرب (ولبئس المهاد) جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل مايوطأ للجنب (ومن الناس من يشرى نفسه) يبيعها اى يبذلها فى الجهاد اويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل (ابتغاء مرضاة الله) طلبا لرضاه وقيل انها نزلت فى صهيب بن سنان الرومى اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال انى شيخ كبير لاينفعكم ان كنت معكم ولايضركم ان كنت عليكم فخلوا لى وماانا عليه وخذوا مالى فقبلوه منه واتى المدينة (والله رؤف بالعباد) حيث ارشدهم الى مثل هذا لشراء وكافهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء (يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق فى الصلح والاسلام قتحه ابن كثير ونافع والكسائى وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء عن التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال * السلم تأخذ منها مارضيت به * والحرب يكفيك من انفاسها جرع * والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا فى الاسلام بكليتكم ولاتخلطوا به غيره والخطاب لمؤمنى اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او

فى شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب اوفى شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشئ والخطاب للمسلمين (ولاتتبعوا خطوات الشيطان) بالتفرق والتفريق (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (فان زللتم) عن الدخول فى السلم (من بعد ماجاءتكم البينات) الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق (فاعلموا ان الله عزيز) لايعجزه الانتقام (حكيم) لاينتقم الا بالحق (هل ينظرون) استفهام فى معنى النفى ولذلك جاء بعده (الاان يأتيهم الله) اى يأتيهم امره اوبأسه كقوله تعالى اويأتى امر ربك فجاءهم بأسنا اويأتيهم الله ببأسه فحذف المأتى به للدلالة عليه بقوله تعالى ان الله عزيز حكيم (فى ظلل) جمع ظلة كقلة وقلل وهى ماأظلك وقرئ ظلال كقلال (من الغمام) السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان اقطع لان الشر اذا جاء من حيث لايحتسب كان اصعب فكيف اذاجاء من حيث يحتسب الخير (والملائكة) فانهم الواسطة فى اتيان امره اولا تون على الحقيقة بأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل اوالغمام (وقضى الامر) اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضى موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة (والى الله ترجع الامور) قرأه ابن كثير ونافع وابوعمرو وعاصم على البناء للمفعول على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول (سل بنى اسرائيل) أمر للرسول صلى الله عليه وسلم اولكل احد والمراد بهذا السؤال تفريعهم (كم آتيناهم من آية بينة) معجزة ظاهرة اوآية فى الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدى الانبياء وكم خبرية اواستفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية اوالرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر الى المبتدأ وآية مميزها ومن للفصل (ومن يبدل نعمة الله) اى آيات الله فانها سبب الهدى الذى هواجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس اوبالتحريف والتأويل الزائغ (من بعد ماجاءته) من بعد ماوصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ماعقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل (فان الله شديد العقاب) فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب بالاسان دون القلب وهذا قبل عزة الاسلام ويجرى فيمن فى بلد ليس قويا فيها (ويحذركم) يخوفكم (الله نفسه) ان يغضب عليكم ان والتيتموهم (والى الله المصير) المرجع فيجازيكم (قل) لهم (ان تخفوها مافى صدوركم) من موالاتهم (او تبدوه) تظهروه (يعلمه الله) هو (يعلم مافى السموات وما فى الارض والله على كل شئ قدير) ومنه تعذيب من والاهم اذكر (يوم تجد كل نفس ماعملت) به (من سوء) محضرا وماعملت) به (من خير) مبتدأ خبره (تودلو ان بينها وبينه امدا بعيدا) غاية فى نهاية البعد فلايصل اليها (ويحذركم الله نفسه) كرر للتأكيد (والله رؤف بالعباد) * ونزل لما قالوا مانعبد الاصنام الا حبا لله ليقربونا اليه (قل) لهم يامحمد (ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) بمعنى انه يثيبكم (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور) لمن اتبعنى ماسلف منه قبل ذلك (رحيم) به (قل لهم) اطيعوا الله

والرسول) فيما يأمركم به من التوحيد (فان تولوا) اعرضوا عن الطاعة (فان الله لايحب الكافرين) فيه اقامة الظاهر مقام المضمر اى لايحبهم بمعنى انه يعاقبهم (ان الله اصطفى) اختار (آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران) بمعنى انفسهما (على العالمين) بجعل الانبياء من نسلهم (ذرية بعضها من) ولد (بعض) منهم (والله سميع عليم) اذكر (اذقالت امرأت عمران) حنة لما استنت واشتاقت للولد فدعت الله واحست بالحمل يا (رب انى نذرت) ان اجعل (لك مافى بطنى محررا) عتيقا خالصا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس (فتقبل منى انك انت السميع) للدعاء (العليم) بالنيات وهلك عمران وهى حامل (فلما وضعتها) ولدتها جارية وكانت ترجو ان يكون غلاما اذلم يكن يحرر الا الغلمان (قالت) معتذرة يارب انى وضعتها انثى والله اعلم) اى عالم (بما وضعت) جملة

اشد جريمة (زين للذين كفروا الحيوة الدنيا) حسنت فى اعينهم واشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذما من شئ الاوهو فاعله ويدل عليه قرأة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وماخلق الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض (ويسخرون من الذين آمنوا) يريد فقرآء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اى يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية منهم (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) لانهم فى عليين وهم فى اسفل السافلين اولانهم فى كرامة وهم فى مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى (والله يرزق من يشاء) فى الدارين (بغير حساب) بغير تقدير فيوسع فى الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى (كان الناس امة واحدة) متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس اونوح او بعد الوفان اومتفقين على الجهالة والكفر فى فترة ادريس اونوح (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) اى اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذى علمه من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلاثمائة عشرون والمذكور فى القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون (وانزل معهم الكتاب) يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن معهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم (بالحق) حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق شاهدا به (ليحكم بين الناس) اى الله اوالنبى المبعوث اوكتابه (فيما اختلفوا فيه) فى الحق الذى اختلفوا فيه اوفيما التبس عليهم (وما اختلف فيه) فى الحق اوالكتاب (الا الذين اوتوه) اى الكتاب المنزل لازالة الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ماانزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه (من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم) حسدا بينهم اوظلما لحرصهم على الدنيا (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف (من الحق) بيان لما اختلفوا فيه

باذنه بامره اوبارادته ولطفه (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) لايضل سالكه (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) خاطب به النبى صلى الله وسلم والمؤمنين بعد ماذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيئ الآيات تثبيتا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار (ولما يأتكم) ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد (مثل الذين خلوا من قبلكم) حالهم التى هى مثل فى الشدة (مستهم البأساء والضراء) بيان له على الاستئناف (وزلزلوا) واز عجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدآئد (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) لتناهى الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لايرجونه (متى نصر الله) استبطاء له لتأخره (الا ان نصر الله قريب) استئناف على ارادة القول اى فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت بالنار بالشهوات (يسألونك ماذا ينفقون) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عمرو بن الجموح الانصارى كان شيخا هما ذا مال عظيم فقال يارسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت (قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان فى سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا فى الاية واقتصر فى بيان المنفق على ماتضمنه قوله ماانفقتم من خير (وما تفعلوا من خير) فى معنى الشرط (فان الله به عليم جوابه اى ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفى ثوابه وليس فى الاية مايدل على ان فيها فرض الزكوة لينسخ به (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة اوفصل بمعنى مفعول كالخبز وقرأ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف اوبمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم (وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم) وهو جمع مانهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يقضى بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت

اعتراض من كلامه تعالى وفى قراءة بضم التاء (وليس الذكر) الذى طلبت كالانثى) التى وهبت لانه يقصد للخدمة وهى تصلح لها لضعفها وعورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه (وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها) اولادها (من الشيطان الرجيم المطرود فى الحديث مامن مولود يولد الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها رواه الشيخان (فتقبلها ربها) اى قبل مريم من امها (بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا) انشاها بخلق حسن فكانت تثبت فى اليوم كما يثبت المولود فى العام واتت بها امها الاحبار سدنة بيت المقدس فقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها بنت امامهم فقال زكريا انا احق بها لان خالتها عندى فقالوا لا حتى نقترع فانطلقوا وهم تسعة وعشرون الى نهر اردن والقوا اقلامهم على ان من ثبت قلمه فى الماء وصعد فهو اولى بها فثبت قلم زكريا

فاخذها وبنى لها غرفة
فى المسجد بسلم لايصعد اليها
غيره وكان يأتيها باكلها
وشربها ودهنها فيجد عندها
فاكهة الصيف فى الشتاء
كما قال تعالى (وكفلها
زكريا) ضمها اليه وفى
قراءة بالتشديد ونصب
زكريا ممدودا ومقصورا
والفاعل الله (كلما دخل
عليها زكريا المحراب)
الغرفة وهى اشرف المجالس
(وجد عندها رزقا قال
يامريم انى) من اين (لك
هذا قالت) وهى صغيرة
(هو من عند الله) يأتانى
به من الجنة (ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب) رزقا
واسعا بلا تبعة (هنالك)
اى لما رأى زكريا ذلك وعلم
ان القادر على الاتيان بالشئ
فى غير حينه قادر على الاتيان
بالولد على الكبر وكان اهل
بيته انقرضوا (دعا زكريا
ربه) لما دخل المحراب للصلاة
جوف الليل (قال رب هب لى
من لدنك) من عندك (ذرية
طيبة) ولدا صالحا (انك
سميع) مجيب (الدعاء فنادته
الملائكة) اى جبريل

ينعكس الامر عليها (والله يعلم) ماهو خير لكم (وانتم لاتعلمون) ذلك وفيه
دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم تعرف عينها (يسألونك عن
الشهر الحرام) روى انه عليه الصلاة والسلام بعث عبدالله بن جحش ابن عمته
على سرية فى جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عير القريش
فيهم عمرو بن عبدالله الحضرمى وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا
العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى
الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف
ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا مانبرح حتى
تنزل توبتنا وردرسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس
رضى الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهو اول
غنيمة فى الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه فى ذلك تشنيعا وتعييرا
وقيل اصحاب السرية (قتال فيه) بدل اشتمال من الشهر الحرام وقرئ
عن قتال بتكرير العامل (قل قتال فيه كبير) اى ذنب كبير والاكثر على انه
منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ
الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال
فيه مطلقا فان قتالا فيه نكرة فى حيز مثبت فلايعم (وصد) صرف ومنع
(عن سبيل الله) اى الاسلام اوما يوصل العبد الى الله من الطاعات
(وكفر به) اى بالله (والمسجد الحرام) على ارادة المضاف اى وصد
المسجد الحرام كقول ابى داود * اكل امرئ تحسين امرأ * ونار توقد
بالليل نارا * ولايحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على
صد مانع منه اذلا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة
ولاعلى الهاء فى به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة
الجار (واخراج اهله منه) اهل المسجد وهم النبى صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون (اكبر من عندالله) مما فعلته السرية خطأ وبناء على
الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل من
يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (والفتنة اكبر من القتل) اى ما
ترتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمى
(ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم) اخبار عن دوام عداوة
الكفار لهم وانهم لاينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل

كقولك اعبدالله حتى ادخل الجنة لقوله (ان استطاعوا) وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بى فلا تبق على وايذان بانهم لايردونهم (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم) قيد الردة بالموت عليها فى احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعى والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهى لغة فيه (فى الدنيا) لبطلان ماتخيلوه وفوات مالا سلام من الفوائد الدنيوية (والآخرة) بسقوط الثواب (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) كسائر الكفرة (ان الذين آمنوا) نزلت ايضا فى اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر (والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله) كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان فى تحقيق الرجاء (اولئك يرجون رحمة الله) ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع فى الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم (والله غفور) لما فعلوه خطأ أو قلة احتياط (رحيم) باجزال الاجر والثواب (يسألونك عن الخمر والميسر) روى انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا فى نفر من الصحابة قالوا افتنا يارسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن ابن عوف ناسا منهم مشربوا فسكروا فأم احدهم فقرأ اعبد ماتعبدون فنزلت لاتقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشرب بها ثم دعا عتبان ابن مالك سعد بن ابى وقاص فى نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصارى بلحى بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضى الله عنه انتهينا يارب والخمر فى الاصل مصدر خمره اذا ستره سمى بها نقيع العنب والتمر اذا اشتد وغلا كأنه يخمر العقل كما سمى سكرا لانه يسكره اى يحجزه وهى حرام مطلقا وكذا كل ماأسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة عصير الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثا ثم اشتد حل شربه مادون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمى به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يسار وهو المعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله تعالى (قل فيهما) اى فى تعاطيهما (اثم كبير) من حيث انه يؤدى

(وهو قائم يصلى فى المحراب) اى المسجد (ان) اى بأن وفى قراءة بالكسر بتقدير القول (الله يبشرك) مثقلا ومخففا (بيحيى مصدقا بكلمة) كائنة (من الله) اى بعيسى انه روح الله وسمى كلمة لانه خلق بكلمة كن (وسيدا) متبوعا (وحصورا) منوعا من النساء (ونبيا من الصالحين) روى انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها (قال رب انى) كيف (يكون لى غلام) ولد (وقد بلغنى الكبر) اى بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة (وامرأتى عاقر) بلغت ثمانيا وتسعين سنة (قال) الامر (كذلك) من خلق الله غلاما منكما (الله يفعل مايشاء) لايعجز عنه شئ ولاظهار هذه القدرة العظيمة الهمه السؤال ليجاب بها ولما ناقت نفسه الى سرعة المبشر به (قال رب اجعل لى آية) اى علامة على حمل امرأتى (قال آيتك) عليه (ان لاتكلم الناس) اى تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى (ثلاثة ايام) اى بلياليها (الا رمزا)

اشارة (واذكر ربك كثيرا وسبح) صل (بالعشى والابكار) اواخر النهار واوائله (و) اذكر (اذقالت الملائكة اى جبريل (يامريم ان الله اصطفاك) اختارك (وطهرك) من مسيس الرجال (واصطفاك على نساء العالمين) اى اهل زمانك (يامريم اقنتى لربك) اطيعيه (واسجدى واركعى مع الراكعين) اى صلى مع المصلين (ذلك) المذكور من امر زكريا ومريم (من انباء الغيب) اخبار ماغاب عنك (نوحيه اليك) يامحمد (وما كنت لديهم اذيلقون اقلامهم) فى الماء يقترعون ليظر لهم (ايهم يكفل) ربى (مريم وما كنت لديهم اذيختصمون) فى كفالتها فتعرف ذلك فتخبر به وانما عرفته من جهة الوحى اذكر (اذقالت الملائكة) اى جبريل (يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه) اى ولد (اسمه المسيح عيسى ابن مريم) خاطبها بنسبته اليها تنبيها على انها تلده بلاب اذعادة الرجل نسبتهم الى آبائهم (وجيها) ذاجاه (فى الدنيا) بالنبوة

الى الانتكاب عن المأمور به ارتكاب المحظور وقرأ حمزة والكسائى كثيرا بالثاء (ومنافع للناس) من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفى الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة (واثمهما اكبر من نفعهما) اى المفاسد التى تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسد اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والا ظهر انه ليس كذلك لما مر من ابطال مذهب المعتزلة (ويسألونك ماذا ينفقون) قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق (قل العفو) العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ماتيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال « خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطقى فى سورتى حين اغضب » وروى ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها فى بعض المغانم فقال خذها منى صدقة فاعرض عليه السلام عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال يأتى احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرأ ابو عمر وبرفع الواو (كذلك يبين الله لكم الآيات) اى مثل مابين ان العفو اصلح من الجهد او ماذكر من الاحكام والكاف فى موضع النصب صفة لمصدر محذوف اى تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع (لعلكم تتفكرون) فى الدلائل والاحكام (فى الدنيا والاخرة) فى امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم (ويسألونك عن اليتامى) لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (قل اصلاح لهم خير) اى مداخلتهم لاصلاحهم واصلاح اموالهم خير من مجانبتهم (وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اى انهم اخوانكم فى الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة (والله يعلم المفسد من المصلح) وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اى يعلم امره فيجازيه عليه (ولو شاء الله لاعنتكم) اى ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اى كلفكم مايشق عليكم من العنت وهى المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم

(ان الله عزيز) غالب يقدر على الاعنات (حكيم) يحكم مايقتضيه الحكمة ويتسع له الطاقة (ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن) اى ولاتزوجوهن وقرئ بالضم اى ولاتزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله تعالى سبحانه عمايشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روى انه عليه السلام بعث مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فأتته عناق وكان يهويها فى الجاهلية فقالت الانخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت (ولامة مؤمنة خير من مشركة) اى ولامرأة مؤمنة حرة كانت اومملوكة فان الناس كلهم عبيد الله واماؤه (ولو اعجبتكم) بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير (ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) ولاتزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم) تعليل للنهى عن مواصلتهم وترغيب فى مواصلة المؤمنين (اولئك) اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات (يدعون الى النار) اى الكفر المؤدى الى النار فلايليق موالاتهم ومصاهرتهم (والله يدعوا) اى اولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم (الى الجنة والمغفرة) اى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة (باذنه) بتوفيق الله تعالى وتيسيره اوبقضائه وارادته (ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) لكى يتذكروا اوليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى (يسألونك عن المحيض) روى ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح فى نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجئ والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت فى اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع (قل هو اذى) اى الحيض شئ مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه (فاعتزلوا النساء فى المحيض) فاجتنبوا

(والآخرة) بالشفاعة والدرجات العلا (ومن المقربين) عند الله (ويكلم الناس فى المهد) اى طفلا قبل وقت الكلام (وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى) كيف (يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) بتزوج ولاغيره (قال) الامر (كذلك) من خلق ولد منك بلا اب (الله يخلق مايشاء اذا قضى امرا) اراد خلقه (فانما يقول له كن فيكون) اى فهو يكون (نعلمه) بالنون واليا (الكتاب) الخط والحكمة و التوراة والانجيل و) نجعله (رسولا الى بنى اسرائيل فى الصبا اوبعد البلوغ فنفخ جبريل فى جيب درعها فحملت كان ومن امرها ماذكر فى سورة مريم فلما بعثه الله الى بنى اسرائيل قال لهم انى رسول الله اليكم (انى) اى بانى (قد جئتكم بآية) علامة على صدق (من ربكم) هى (انى) وفى قراءة بالكسر استئنافا (اخلق) اصور (لكم من الطين كهيئة الطير) مثل صورته فالكاف اسم مفعول (فانفخ فيه)

الضمير للكاف (فيكون طيرا) وفى قراءة طائرا (باذن الله) بارادته فخلق لهم الخفاش لانه اكمل الطير خلقا فكان يطيرو هم ينظرونه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا (وابرئ) اشفى (الاكمه) الذى ولد اعمى (وابرص) وخصا بالذكر لانهما داآ اعياء وكان بعثه فى زمن الطب فابرأ فى يوم خمسين الفا بالدعاء بشرط الايمان (واحيى الموتى باذن الله) كرره لنفى توهم الالوهية فيه فاحيا عازر صديقاله وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولدلهم وسام بن نوح ومات فى الحال (وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون) تخبؤن (فى بيوتكم) مما لم اعاينه فكان يخبر الشخص بما اكل وبما يأكل بعد (ان فى ذلك) المذكور (لآية لكم ان كنتم مؤمنين و) جئتكم (مصدقا لما بين يدى) قبلى (من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم) فيها فاحل لهم من السمك والطير مالا صيصية له وقيل احل الجميع فبعض بمعنى كل (وجئتكم بآية

مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة (ولاتقربوهن حتى يطهرن) تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزه والكسائى وعاصم فى رواية ابن عباس يطهرن اى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله (فاذا تطهرن فأتوهن) فانه يقتضى تأخير جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل (من حيث امركم الله) اى المأتى الذى امركم الله وحلله لكم (ان الله يحب التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) اى المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى (نسائكم حرث لكم) مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى فى ارحامهن من النطف بالبذور (فاتوا حرثكم) اى فأتوهن كما يأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله (انى شئتم) من اى جهة شئتم روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (وقدموا لانفسكم) مايدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطئ (واتقوا الله) بالاجتناب عن معاصيه (واعلموا انكم ملاقوه) فتزودوا مالاتفتضحون به (وبشر المؤمنين) الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم (ولاتجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) نزلت فى الصديق رضى الله تعالى عنه لما حلف ان لاينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضى الله تعالى عنها اى فى عبدالله ابن رواحة حلف ان لايتكلم ختنه بشير ابن النعمان ولايصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشئ وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول لاتجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها منها فات الذى هو خير

وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان تكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثانى ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة للنهى اى انهاكم عنه ارادة بركم وتقويكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به فى اصلاح ذلك البين (والله سميع) لايمانكم (عليم) بنياتكم (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا اعقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها (والله غفور) حيث لم يؤاخذكم باللغو (حليم) حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة (للذين يؤلون من نسائهم) اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن (تربص اربعة اشهر) مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اى للمولى حق التلبث فى هذه المدة فلا يطالب بفيئ ولا طلاق ولذلك قال الشافعى لا ايلاء الا فى اكثر من اربعة اشهر ويوديه (فان فاؤا) اى رجعوا فى اليمين بالحنث (فان الله غفور رحيم) للمولى اثم حنثه اذا كفر وما تونخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التى هى كالتوبة (وان عزموا الطلاق) وان صمموا قصده (فان الله سميع) لطلاقهم (عليم) بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء فى اربعة اشهر فما فوقها وحكمه ان المولى ان فاء فى المدة بالوطئ ان قدر وبالوعد ان عجز صح الفيئ ولزوم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم (والمطلقات) يريد بها المدخول بهن

من ربكم) كرره تأكيدا وليبنى عليه (فاتقوا الله واطيعون) فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته (ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا) الذى آمركم به (صراط) طريق (مستقيم) فكذبوه ولم يؤمنوا به (فلما احس) علم (عيسى منهم الكفر) وارادوا قتله (قال من انصارى) اعوانى ذاهبا (الى الله) لانصر دينه (قال الحواريون نحن انصار الله) اعوان دينه وهم اصفياء عيسى اول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب اى يبيضونها (آمنا) صدقنا (بالله واشهد) يا عيسى (بانا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت) من الانجيل (واتبعنا الرسول) عيسى (كتبنا مع الشاهدين) لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق قال تعالى (ومكروا) اى كفار بنى اسرائيل بعيسى اذ كلموا به من يقتله غيلة (ومكر الله) بهم بان القى شبه عيسى على قصد قتله فقتلوه ورفع عيسى الى السماء

من ذوات اقرآء لما دلت الآيات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ماذكر (يتربصن) خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكأن المخاطب قصدان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك فى الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد (بانفسهن) تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص (ثلاثة قروء) نصب على الظرف او المفعول به اى يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلاة والسلام دعى الصلاة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين الحيضين كقول الاعشى * موروثة مالا وفى الحى رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا * واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به فى الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم مارواه الشيخان فى قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التى امر الله تعالى ان تطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التى هى الاقرآء ولكنهم يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقرآء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها (ولا يحل لهن ان يكتمن ماخلق الله فى ارحامهن) من الولد والحيض استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول فى ذلك (ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر) ليس المراد منه تقييد نفى الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافى الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغى له ان يفعل (وبعولتهن) اى ازواج المطلقات (احق بردهن) الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التى تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه والامتناع فيه كالوكر ر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتأ للتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اى واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل (فى ذلك) اى فى زمان التربص (ان ارادوا اصلاحا

(والله خير الماكرين) اعلمهم به اذكر (اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك) قابضك (ورافعك الى) من الدنيا من غير موت (ومطهرك) مبعدك (من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك) صدقوا بنبوتك من المسلمين والنصارى (فوق الذين كفروا) بك وهم اليهود يعلونهم بالحجة والسيف (الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من امر الدين (فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا) بالقتل والسبى والجزية (والاخرة) بالنار (ومالهم من ناصرين) مانعين منه (واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم) بالياء والنون (اجورهم والله لا يحب الظالمين) اى يعاقبهم روى ان الله ارسل اليه سحابة فرفعته فتعلقت به امه وبكت فقال لها ان القيامة تجمعنا وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت امه بعده ست سنين وروى الشيخان

بالرجعة لاضرار المرأة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) اى ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن فى الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا فى الجنس (وللرجال عليهن درجة) زيادة فى الحق وفضل فيه لان حقوقهم فى انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها اوشرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشار كونهن فى غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق (والله عزيز) يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام (حكيم) يشرعها لحكم ومصالح (الطلاق مرتان) اى التطليق الرجعى اثنتان لماروى انه صلى الله عليه وسلم سئل اين الثالثة فقال عليه السلام اوتسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقه على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة (فامساك بمعروف) بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول (اوتسريح باحسان) بالطلقة الثالثة اوبان لايرجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق (ولايحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) اى من الصدقات روى ان جميلة بنت عبدالله بن ابى بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لاانا ولاثابت لايجمع رأسى ورأسه شئ والله ماعيبه فى دين ولاخلق ولكنى اكره الكفر فى الاسلام وما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل جماعة من الرجال فاذاهو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة ا - دقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند التوافع وقيل انه خطاب للازواج ومابعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة (الا يخافا) اى الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن (ان لا يقيما حدود الله) بترك اقامة احكامه من موجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بناء الخطاب (فان خفتم) ايها الحكام (ان لايقيما حدود الله فلاجناح عليهما فيما افتدت به) على الرجل فى اخذ ماافتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة فى اعطائه

حديث انه ينزل قرب الساعة ويحكم بشريعة نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية وفى حديث مسلم انه يمكث سبع سنين وفى حديث عند ابى داود الطيالسى اربعة سنة ويتوفى ويصلى عليه فيحتمل ان المراد مجموع لبثه فى الارض قبل الرفع وبعده (ذلك) المذكور من امر عيسى (نتلوه) نقصه (عليك) يامحمد (من الآيات) حال من الهاء فى نتلوه وعامله مافى ذلك من معنى الاشارة (والذكر الحكيم) المحكم اى القرآن (ان مثل عيسى) شانه القريب عند الله كمثل آدم) كشانه فى خلقته من غير اب وهو من تشبيه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واوقع فى النفس (خلقه) اى آدم اى قالبه (من تراب ثم قال له كن) بشرا (فيكون) اى فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير اب فكان (الحق من ربك) خبر مبتدا محذوف اى امر عيسى (فلاتكن من الممترين) الشاكين (فمن حاجك)

(تلك حدود الله) اشارة الى ماحد من الاحكام (فلا تعتدوها) فلا تتعدوها بالمخالفة (ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون) تعقيب للنهى بالوعيد مبالغة فى التهديد واعلم ان ظاهر الآية يدل على الخلع لايجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ماساق الزوج اليها فضلا عن ازائد ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة سالت زوجها طلاقا فى غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وماروى انه عليه الصلاة والسلام قال لجميلة أتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لايدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه تعالى سماه افتداء واختلف فى انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله (فان طلقها) فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضى ان يكون طلقة رابعة لوكان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق مرتان بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين (فلا تحل له من بعد) من بعد ذلك الطلاق (حتى تنكح زوجا غيره) حتى يتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لابد من الاصابة لماروى ان مرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وان مامعه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفاد من لفظ الزوج والحكمة فى هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابوحنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له (فان طلقها) الزوج الثانى (فلا جناح عليهما ان يتراجعا) ان يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الآخر بالزوج (ان ظنا ان يقيما حدود الله) ان كان فى ظنهما انهما يقيمان ماحد الله وشرعه

جادلك من النصارى (فيه من بعد ماجاءك من العلم) بامره (فقل) لهم (تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم) فنجمعهم (ثم نبتهل) نتضرع فى الدعاء (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) بان نقول اللهم العن الكاذب فى شان عيسى وقد دعا صلى الله عليه وسلم وفد نجران لذلك لما حاجوه فيه فقالوا حتى ننظر فى امرنا ثم نأتيك فقال ذو رأيهم لقد عرفتم نبوته وانه ماباهل قوم نبيا الا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوه وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلى وقال لهم اذا دعوت فامنوا فابوا ان يلاعنوا وصالحوه على الجزية رواه ابو نعيم وعن ابن عباس قال لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لايجدون مالا ولا اهلا وروى لو خرجوا لاحترقوا (ان هذا) المذكور (لهو القصص) الخبر (الحق) الذى لاشك فيه (ومامن) زائدة (اله الا الله وان الله لهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (فان تولوا) اعرضوا عن

من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينا في العلم (وتلك حدود الله) اى الاحكام المذكورة (يبينها لقوم يعلمون) يفهمون ويعملون بمقتضى العلم (واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) اى اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذى به ينتهى قال « كل حى مستكمل مدة العمر * وموداذا انتهى اجله » والبلوغ هو الوصول الى الشئ وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد فى الآية ليصح ان يترتب عليه (فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف) اذ الامساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضى عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم فى بعض صوره للاهتمام به (ولا تمسكوهن ضرارا) ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين (لتعتدوا) لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بضرارا اذ المراد تقييده (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) بتعريضها للعقاب (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) بالاعراض عنها والتهاون فى العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد فى الامر انما انت هازئ كانه نهى عن الهزؤ واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام * ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق (واذكروا نعمة الله عليكم) التى من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها (وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة) القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما (يعظكم به) بما انزل عليكم (واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شئ عليم) تأكيد وتهديد (واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) اى انقضت عدتهن وعن الشافعى رحمه الله تعالى دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين (فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن) المخاطب به الاولياء لما روى انها نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول بالاستئناف فيكون دليلا على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل لولى معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه

الايمان (فان الله عليم بالمفسدين) فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمر (قل يا اهل الكتاب) اليهود والنصارى (تعالوا الى كلمة سواء) مصدر بمعنى مستو امرها (بيننا وبينكم) هى (ان لا نعبد الا الله ونشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) كما اتخذتم الاخبار والرهبان (فان تولوا) اعرضوا عن التوحيد (فقولوا) انتم لهم (اشهدوا بأنا مسلمون) موحدون * ونزل لما قال اليهود ابراهيم يهودى ونحن على دينه وقالت النصارى كذلك (يا أهل الكتاب لم تحاجون) تخاصمون (فى ابراهيم) بزعمكم انه على دينكم (وما انزلت التورة والانجيل الا من بعده) بزمن طويل وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية (افلا تعقلون) بطلان قولكم (ها) للتنبيه (انتم) مبتدأ (هؤلاء) والخبر (حاججتم فيما لكم به علم) من امر موسى وعيسى وزعمكم انكم على دينهما (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) من شان ابراهيم (والله يعلم) شانه

بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضى العدة ولايتركوهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم النساء وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم المعنى لايوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم رضوان به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذ نشب بيضها فلم يخرج (اذا تراضوا بينهم) اى الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن اولا تعضلوهن (بالمعروف) بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة حال من الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اى تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهى عنه (ذلك) اشارة الى مامضى ذكره والخطاب للجمع على تأويل القبيل اوكل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين اوللرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله يا ايها النبى اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لايكاد يتصوره كل احد (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) لانه المتعظ به والمنتفع (ذلكم) اى العمل بمقتضى ماذكر (ازكى لكم) انفع (واطهر) من دنس الاثام (والله يعلم) مافيه من النفع والصلاح (وانتم لاتعلمون) لقصور علمكم (والوالدات يرضعن اولادهن) امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيختص بما اذا لم يرتضع الصبى الا من امه اولم توجد له ظئر اوعجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل تختص بهن اذ الكلام فيهن (حولين كاملين) اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه (لمن اراد ان يتم الرضاعة) بيان للمتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولاعبرة بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه (وعلى المولود له) اى الذى يولد له يعنى الوالد فان الولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه (رزقهن وكسوتهن) اجرة لهن واختلف فى استيجار الام فجوزه الشافعى ومنعه ابو حنيفة مادامت زوجة اومعتدة نكاح (بالمعروف) حسب مايراه الحاكم ويفى به وسعه (لاتكلف نفس الا وسعها) تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل

(وانتم لاتعلمون) قال تعالى تبرئة لابراهيم (ماكان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا ولكن كان حنيفا) مائلا عن الاديان كلها الى الدين القيم (مسلما) موحدا (وماكان من المشركين ان أولى الناس احقهم (بابراهيم للذين اتبعوه) فى زمانه (وهذا النبى) محمد لموافقته له فى اكثر شرعه (والذين آمنوا) من امته فهم الذين ينبغى ان يقولوا نحن على دينه لاانتم (والله ولى المؤمنين) ناصرهم وحافظهم * ونزل لما دعا اليهود معاذا وحذيفة وعمارا الى دينهم (ودت طائفة من اهل الكتاب لويضلونكم ومايضلون الاانفسهم) لان اثم اضلالهم عليهم والمؤمنون لايطيعونهم فيه (ومايشعرون) بذلك (يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) القرآن المشتمل على نعت محمد (وانتم تشهدون) تعلمون انه حق (ياأهل الكتاب لم تلبسون) تخلطون (الحق بالباطل) بالتحريف والتزوير (وتكتمون الحق) اى نعت

على انه تعالى لايكلف العبد بما لايطيقه وذلك لايمنع امكانه (لاتضار والدة بولدها ولامولودله بولده) تفصيل وتقرير اى لايكلف كل منهما الآخر ماليس فى وسعه ولايضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لايضار بالرفع بدلا من قوله لاتكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل اوالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضروا الباء من صلته اى لايضر الوالدة بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما ينبغى له وقرئ لاتضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان ينفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغى ان يضارابه اويتضارا بشببه (وعلى الوارث مثل ذلك) عطف على قوله * وعلى المولودله رزقهن وكسوتهن * ومابينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبى اى مؤن المرضعة من ماله اذامات الاب وقيل الباقى من الابوين من قوله عليه الصلاة والسلام * واجعله الوارث منا * وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى اذلانفقة عنده فيماعدا الولادة وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابى ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابى حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابوزيد وذلك اشارة الى ماوجب على الاب من الرزق والكسوة (فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور) اى فصالا صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الرأى من شرب العسل اذا استخرجته (فلا جناح عليهما) فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة الصلاح الدفل وحذارا ان يقدم احدهما على مايضربه لغرض (وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم) اى تسترضعوا المراضع لاولادكم يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتى واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه (فلاجناح عليكم) فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع (اذاسلمتم) الى المواضع (ماآتيتم) ماارد تم ايتاءه كقوله تعالى * اذاقمتم الى الصلوة * وقرأ ابن كثير ماآتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ماآتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة (بالمعروف) صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف

النبى (وانتم تعلمون) انه حق (وقالت طائفة من اهل الكتاب) اليهود لبعضهم (آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا) اى القرآن (وجه النهار) اوله (واكفروا) به (آخره لعلهم) اى المؤمنين (يرجعون) عن دينهم اذيقولون مارجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم اولوعلم الاعلمهم بطلانه وقالوا ايضا (ولا تؤمنوا) تصدقوا (الا لمن) اللام زائدة (تبع) وافق (دينكم) قال تعالى (قل) لهم يامحمد (ان الهدى هدى الله) الذى هو الاسلام وماعداه ضلال والجملة اعتراض (ان) اى بأن (يؤتى احد مثل ما اوتيتم) من الكتاب والحكمة والفضائل وان مفعول تؤمنوا والمستثنى منه احد قدم عليه المستثنى المعنى لاتقروا بأن احد يؤتى ذلك الالمن تبع دينكم (او) بأن (يحاجوكم) اى المؤمنون يغلبوكم (عند ربكم) يوم القيامة لانكم اصح دينا وفى قراءة أأن بهمزة التوبيخ اى أايتاء احد مثله تقرون

به قال تعالى (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) فمن اين لكم انه لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم (والله واسع) كثير الفضل (عليم) بمن هو اهله (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار) اى بمال كثير (يؤده اليك) لامانته كعبد الله بن سلام اودعه رجل الفا ومائتى اوقية ذهبا فاداها اليه (ومنهم من تأمنه بدينار لا يؤده اليك) لخيانته (الا ما دمت عليه قائما) لا تفارقه فمتى فارقته انكره ككعب بن الاشرف استودعه قرشى دينارا فجحده (ذلك) اى ترك الاداء (بأنهم قالوا بسبب قولهم (ليس علينا فى الاميين) اى العرب (سبيل) اى اثم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم ونسبوه اليه تعالى قال تعالى (ويقولون على الله الكذب) فى نسبة ذلك اليه (وهم يعلمون) انهم كاذبون (بلى) عليهم فيهم سبيل (من اوفى بعهده) الذى عاهد الله عليه او بعهد الله

استحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ماهو الاولى والاصلح للطفل (واتقوا الله) مبالغة فى المحافظة على ماشرع فى امر الاطفال والمراضع (واعلموا ان الله بما تعملون بصير) حث وتهديد (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا) اى وازواج الذين اووالذين يتوفون منكم ويذرون ازوا جا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله تعالى * ان لبثتم الا عشرا تم ان لبثتم الا يوما * ولعل المقتضى لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ بما تضعف حركته فى المبادى فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية فيه كما قال الشافعى والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى * واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن * وعن على وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن) اى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) ايها الائمة اوالمسلمون جميعا (فيما فعلن فى انفسهن) من التعرض للخطاب وسائر ماحرم عليهن للعدة (بالمعروف) بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ماينكره فعليهم ان ينكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم عليه (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) العريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هى الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة اونافعة ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك (او اكننتم فى انفسكم او اضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا (علم الله انكم ستذكرونهن) ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ (ولكن لا تواعدوهن سرا)

استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لاتوعدوهن نكاحا اوجماعا عبر بالسر عن الوطئ لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لاتوعدوهن فى السر على ان المعنى بالمواعدة فى السر المواعدة بما يستهجن (الا ان تقولوا قولا معروفا) وهو ان تعرضوا ولاتصرحوا والمستثنى منه محذوف اى لاتواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لاتواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة التصريح بخطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف فى معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه (ولاتعزموا عقدة النكاح) ذكر العزم مبالغة فى النهى عن العقد اى ولاتعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لاتقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع (حتى يبلغ الكتاب اجله) حتى ينتهى ما كتب من العدة (واعلموا ان الله يعلم مافى انفسكم) من العزم على مالا يجوز (فاحذروه) ولاتعزموا (واعلموا ان الله غفور) لمن عزم ولم يفعل خشية من الله (حليم) لايعاجلكم بالعقوبة (لاجناح عليكم) لاتبعة من مهر وقيل من وزر لانه لابدعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر النهى عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى (ان طلقتم النساء مالم تمسوهن) اى تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائى تماسوهن بضم التاء ومد الميم فى جميع القرآن (اوتفرضوا لهن فريضة) الا ان تفرضوا اوحتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى المفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لاتبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهر اذلو كانت ممسوسة فعلية المسمى اومهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فنطوق الآية ينفى الوجوب فى الصورة الاولى ومفهومها يقتضى الوجوب على الجملة فى الاخيرتين (ومتعوهن) عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة فى ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى رأى الحاكم ويؤيده قوله (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) اى على كل من الذى له سعة والمقتر الضيق الحال مايطيقه ومايليق به اليه من اداء الامانة وغيره (واتقى) الله بترك المعاصى وعمل الطاعات (فان الله يحب المتقين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر اى يحبهم بمعنى يثيبهم * ونزل فى اليهود لما بدلو انعت النبى وعهد الله اليهم فى التوراة او فيمن حلف كاذبا فى دعوى اوفى بيع سلعة (ان الذين يشترون) يستبدلون (بعهد الله) اليهم فى الايمان بالنبى واداء الامانة (وايمانهم) حلفهم به تعالى كاذبين (ثمنا قليلا) من الدنيا (اولئك لاخلاق) نصيب (لهم فى الآخرة ولايكلمهم الله) غضبا عليهم (ولاينظر اليهم) برحمتهم (يوم القيامة ولايزكيهم) يطهرهم (ولهم عذاب اليم) مؤلم (وان منهم) اى اهل الكتاب (لفريقا) طائفة ككعب بن الاشرف (يلوون السنتهم بالكتاب) اى يعطفونها بقراءته عن المنزل الى ماحرفوه من نعت النبى ونحوه (لتحسبوه) اى المحرف (من الكتاب) الذى انزله الله (وماهو

من الكتاب ويقولون هو من عندالله وماهو من عندالله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) انهم كذبوا * ونزل لما قال نصارى نجران ان عيسى امرهم ان يتخذوه بار اولما طلب بعض المسلمين السجود له صلى الله عليه وسلم (ما كان) ينبغى (لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم) اى الفهم للشريعة (والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن) يقول (كونوا ربانيين) علماء عاملين منسوب الى الرب بزيادة الف ونون تفخيما (بما كنتم تعلمون) بالتخفيف والتشديد (الكتاب وبما كنتم تدرسون) اى بسبب ذلك فان فائدته ان تعملوا (ولا يأمركم) بالرفع استئنافا اى الله والنصب عطفا على يقول اى البشر (ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) كما اتخذت الصابئة الملائكة واليهود عزيرا والنصارى عيسى (ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) لاينبغى له هذا

ويدل عليه قوله عليه الصلاة السلام لانصارى طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابوحنيفة هى درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التى لم يمسها الزوج والحق بها الشافعى فى احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرأ حمزة وحفص وابن ذكوان بفتح الدال (متاعا) تمتيعا (بالمعروف) بالوجه الذى يستحسنه الشرع والمروءة (حقا) صفة لمتاعا اومصدر مؤكد اى حق ذلك حقا (على المحسنين) الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا (وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم) لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اى فلهن اوفالواجب نصف مافرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفى ثمة تبعة المهر وان لامتعة مع التشطير لانه قسيمها (الاان يعفون) اى المطلقات فلايأخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو فى الاول ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانى لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه (اويعفو الذى بيده عقدة النكاح) اى الزوج المالك لعقده وحله عمايعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولى الذى يلى عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعى رحمه الله (وان تعفوا اقرب للتقوى) يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو (ولاتنسوا الفضل بينكم) اى ولاتنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض (ان الله بما تعملون بصير) ولايضيع تفضلكم واحسانكم (حافظوا على الصلوات) بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها فى تضاعيف احكام الاولاد

والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها (والصلاة الوسطى) اى الوسطى بينها اوالفضلى منها خصوصا وهى صلاة العصر لقوله عليه الصلاة والسلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلاة الظهر لانها وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه الصلاة والسلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلاتى النهار والليل والواقعة فى الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين بين طرفى الليل وعن عائشة رضى الله عنها انه علية الصلاة والسلام كان يقرأ والصلاة الوسطى وصلاة العصر فتكون صلاة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص (وقوموا لله) فى الصلاة (قانتين) ذاكرين له فى القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت فى الصبح (فان خفتم) من عدو اوغيره (فرجالا اوركبانا) فصلوا راجلين اوراكبين ورجال جمع راجل اورجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلاة حال المسايفة واليه ذهب الشافعى وقال ابوحنيفة لايصلى حال المشى والمسايفة مالم يكن الوقوف (فاذا امنتم) وزال خوفكم (فاذكروا الله) صلوا صلاة الامن اواشكروه على الامن (كما علمكم) ذكرا مثل ماعلمكم من الشرائع وكيفية الصلاة حالتى الخوف والامن اوشكرا يوازيه وما مصدرية اوموصولة (مالم تكونوا تعلمون) مفعول علمكم (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية اوليوصوا وصية اوكتب الله عليهم وصية اوازم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قرآءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون اووحكمهم وصية اوالذين يتوفون اهل وصية اوكتب عليهم وصية اوعليهم وصية وقرئ متاع بدلها (متاعا الى الحول) نصب بيوصون ان اضمرت والافبالوصية اوبمتاع على قرآءة من قرأه لانه بمعنى التمتيع (غير اخراج) بدل منه اومصدر مؤكد كقولك

(و) اذكر (اذ) حين (اخذ الله ميثاق النبيين) عهدهم (لما) بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذى فى اخذ الميثاق وكسرها متعلقة بأخذ وما موصولة على الوجهين اى للذى (آتيتكم) اياه وفى قراءة آتيناكم (من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) من الكتاب والحكمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم (لتؤمنن به ولتنصرنه) جواب القسم ان ادركتموه وانهم تبع لهم فى ذلك (قال) تعالى لهم (أاقررتم) بذلك (واخذتم) قبلتم (على ذلكم اصرى) عهدى (قالوا اقررنا قال فاشهدوا) على انفسكم واتباعكم بذلك (وانا معكم من الشاهدين) عليكم وعليهم (فمن تولى) اعرض (بعد ذلك) الميثاق (فاولئك هم الفاسقون افغير دين الله يبغون) بالياء اى المتولون والتاء (وله اسلم) انقاد (من فى السموات والارض طوعا) بلا اباء (وكرها) بالسيف ومعاينة

هذا القول غير ماتقول اوحال من ازواجهم اى غير مخرجاة والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكن والنفقة وكان ذلك فى اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما فى التلاوة فهو متأخر فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابى حنيفة رحمه الله (فان خرجن) عن منزل الازواج (فلا جناح عليكم) ايها الائمة (فيما فعلن فى انفسهن) كالتطيب وترك الحداد (من معروف) مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها (والله عزيز) ينتقم ممن خالفه منهم (حكيم) راعى مصالحهم (وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لايخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بمايعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان تكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد اولتكرير القصة (كذلك) اشارة الى ماسبق من احكام الطلاق والعدة (يبين الله لكم آياته) وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام مايحتاجون اليه معاشا ومعادا (لعلكم تعقلون) لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها (الم تر) تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا فى التعجيب (الى الذين خرجوا من ديارهم) يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لامفر من قضاء الله تعالى وقدره او قوما من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم (وهم الوف) اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل متألفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال (حذر الموت) مفعول له (فقال لهم الله موتوا) اى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تخويفا وتهويلا (ثم احياهم) قيل مرحز قيل

ما يلجئ اليه (واليه ترجعون) بالتاء واليا والهمزة للانكار (قل) لهم يامحمد (آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) اولاده (وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم) بالتصديق والتكذيب (ونحن له مسلمون) مخلصون فى العبادة ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) لمصيره الى النار المؤبدة عليه (كيف) اى لا (يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا) اى وشهادتهم (ان الرسول حق و) قد (جاءهم البينات) الحجج الظاهرات على النبى (والله لايهدى القوم الظالمين) اى الكافرين (اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها) اى اللعنة او النار

حرقيل عليه السلام على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله تعالى اليه نادفيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لااله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعريض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء (ان الله لذوا فضل على الناس) حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا (ولكن اكثر الناس لايشكرون) اى لايشكرونه كماينبغى ويجوزان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار (وقاتلوا فى سبيل الله) لمابين ان الفرار من الموت غير مخلص وان المقدر لامحالة واقع امرهم بالقتال اذلوجاء اجلهم ففى سبيل الله والا فالنصر والثواب (واعلموا ان الله سميع) لما يقوله المتخلف والسابق (عليم) بما يضمر انه وهو من وراء الجزاء (من ذالذى يقرض الله) من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء واذا خبره والذى صفة ذا اوبدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه (قرضاحسنا) اقراضاحسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس اومقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله (فيضاعفه له) فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأعاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذى يقرض الله فى معنى أيقرض الله احد وقرأابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب (اضعافا كثيرة) كثرلايقدرها الاالله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب اوالمفعول الثانى لتضمن المضاعفة معنى التصيير اوالمصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع (والله يقبض ويبسط) يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ماقتضت حكمته فلاتبخلوا عليه بماوسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأنافع والكسائى والبزى وابوبكر بالصاد ومثله فى الاعراف فى قوله تعالى* وزادكم فى الخلق بصطه *(واليه ترجعون) فيجازيكم حسب ماقدمتم (الم تر الى الملأ من بنى اسرائيل) الملأجماعة يجتمعون للتشاور لاواحد له كالقوم ومن للتبعيض (من بعد موسى) اى من بعد وفاته ومن للابتداء (اذ قالوا لنبى لهم) هو يوشع اوشمعون اواشمويل عليهم السلام (ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله) اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدرفيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ

المدلول بها عليها (لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون) يمهلون (الاالذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا) عملهم (فان الله غفور) لهم (رحيم) بهم * ونزل فى اليهود (ان الذين كفروا) بعيسى (بعد ايمانهم) بموسى (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد (لن تقبل توبتهم) اذا غرغروا اوماتوا كفارا (واولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض) مقدار مايملؤها (ذهبا ولو افتدى به) ادخل الفاء فى خبران لشبه الذين بالشرط وايذانا بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر (اولئك لهم عذاب اليم) مؤلم (ومالهم من ناصرين) مانعين منه (لن تنالوا البر) اى ثوابه وهو الجنة (حتى تنفقوا) تصدقوا (مما تحبون) من اموالكم (وماتنفقوا من شئ فان الله به عليم) فيجازى عليه* ونزل لماقال اليهود انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان لايا كل لحوم الابل والبانها (كل الطعام كان حلا) حلالا (لبنى اسرائيل الا ماحرم

اسرائيل) يعقوب (على نفسه) وهو الابل لما حصل له عرق النسا بالفتح والقصر فنذران شفى لايا كلها فحرم عليهم (من قبل ان تنزل التوراة) وذلك بعد ابراهيم ولم تكن على عهده حراما كما زعموا (قل) لهم (فأتوا بالتوراة فاتلوها) ليتبين صدق قولكم (ان كنتم صادقين) فيه فبهتوا ولم يأتوا بها قال تعالى (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك) اى ظهور الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب لا على عهد ابراهيم (فاولئك هم الظالمون) المتجاوزون الحق الى الباطل (قل صدق الله) فى هذا كجميع ما اخبر به (فاتبعوا ملة ابراهيم) التى انا عليها (حنيفا) مائلا عن كل دين الى الاسلام (وما كان من المشركين) * ونزل لما قالوا قبلتنا قبل قبلتكم (ان اول بيت وضع) متعبدا (للناس) فى الارض (للذى ببكة) بالتاء لغة فى مكة سميت بذلك لانها تبك اعناق الجبابرة اى تدقها بناه الملائكة قبل خلق آدم وضع بعد الاقصى

بالرفع على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا (قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لاتقاتلوا) فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى أتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع عسيتم بكسر السين (قالوا وما لنا ان لانقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا) اى اى غرض لنا فى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بنى اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين (فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم) ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم فى ترك الجهاد (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) طالوت علم عبرى كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روى ان نبيهم عليه السلام لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت (قالوا انى يكون له علينا) من اين يكون له ذلك ويستأهل (ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) والحال انا احق بالملك منه وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا اوسقاء اودباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة فى اولاد لاوى بن يعقوب والملك فى اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق (قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم) لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه ردعليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا فى القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لاما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمديده فينال رأسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق له ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم

بمن يليق بالملك من النسب وغيره (وقال لهم نبيهم) لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم (ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت) الصندوق فعلوت من التوب وهو الرجوع فانه لايزال يرجع اليه ماتجرح منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التأنيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين (فيه سكينة من ربكم) الضمير للاتيان اى في اتيانه سكون لكم وطمانينة اوللتابوت اى مودع فيه ماتسكنون اليه وهو التورية وكان موسى عليه السلام اذاقاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولايفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد اوياقوت لهارأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتأن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليهم الصلاة والسلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة مافيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن (وبقية مماترك آل موسى وآل هرون) رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما وانفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما اوانبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما (تحمله الملائكة) قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت (ان ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي عليه السلام وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود) انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روى انه قال لهم لايخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفاوكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجرى الله لهم نهرا (قال ان الله مبتليكم بنهر) معاملكم معاملة المختبر بماقترحتموه (فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي اوليس بمتحد (ومن لم تطعمه فانه مني) اى ومن لم يذقه وبينهما أربعون سنة كما في حديث الصحيحين وفي حديث انه أول ماظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض زبدة بيضاء فدحيت الارض من تحته (مباركا) حال من الذي اى ذا بركة (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم (فيه آيات بينات) منها (مقام ابراهيم) اى الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت فأثر قدماه فيه وبقي الى الآن مع تطاول الزمان وتداول الايدي عليه ومنها تضعيف الحسنات فيه وان الطير لايعلوه (ومن دخله كان آمنا) لايتعرض اليه بقتل أو ظلم اوغير ذلك (ولله على الناس حج البيت) واجب بكسر الحاء وفتحها لغتان في مصدر حج بمعنى قصد ويبدل من الناس (من استطاع اليه سبيلا) طريقا فسره صلى الله عليه وسلم بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره (ومن كفر) بالله اوبما فرضه من الحج (فان الله غني عن العالمين) الانس والجن والملائكة وعن عبادتهم (قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) القرآن (والله

شهيد على ما تعملون) فيجازيكم عليه (قل يا اهل الكتاب لم تصدون) تصرفون (عن سبيل الله) اى دينه (من آمن) بتكذيبكم النبى وكتم نعته (تبغونها) اى تطلبون السبيل (عوجا) مصدر بمعنى معوجة اى مائلة عن الحق (وانتم شهداء) عالمون بان الدين المرضى هو القسيم دين الاسلام كما فى كتابكم (وما الله بغافل عما تعملون) من الكفر والتكذيب وانما يؤخركم الى وقتكم ليجازيكم * ونزل لما مر بعض اليهود على الاوس والخزرج فغاظه تألفهم فذكرهم بما كان بينهم فى الجاهلية من الفتن فتشاجروا وكادوا يقتتلون (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون) استفهام تعجيب وتوبيخ (وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم) يتمسك (بالله فقد هدى الى صراط مستقيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) بان يطاع فلا يعصى ويشكر

من طعم الشئ اذا ذاقه مأكولا او مشروبا قال الشاعر « وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا » وانما علم ذلك بالوحى ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبى عليه السلام (الا من اغترف غرفة بيده) استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر فى قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة فى القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم العين (فشربوا منه الا قليلا منهم) اى فكرعوا فيه اذ الاصل فى الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا فى الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلاثة آلاف وقيل الفا روى ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه وادواته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضى وهكذا الدنيا لطالب الآخرة (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) اى القليل الذين لم يخالفوه (قالوا) اى بعضهم لبعض (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) لكثرتهم وقوتهم (قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله) اى قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير فى قالوا للكثير المنخذلين عنه اعتذارا فى التخلف وتحذيرا للقليل وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الاستفهام والخبر ومن مزيدة او مبينة والفئة الفرقة من الناس من فأت رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة (والله مع الصابرين) بالنصر والاثابة (ولما برزوا لجالوت وجنوده) اى ظهروا لهم ودنوا منهم (قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) التجأوا الى الله تعالى بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر فى قلوبهم الذى هو ملاك الامر ثم ثبات القدم فى مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا (فهزموهم باذن الله) فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم (وقتل داود جالوت) قيل كان ايشا فى عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذى

يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كمله فى الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته (وآتاه الله الملك) اى ملك بنى اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك (والحكمة) اى النبوة (وعلمه مما يشاء) كالسرد وكلام الدواب والطير (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين) ولولا ان الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا فى الارض اولفسدت الارض بشومهم وقرأ نافع هنا وفى الحج فادع الله (تلك آيات الله) اشارة الى ماقص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبارة وقتل داود جالوت (نتلوها عليك بالحق) بالوجه المطابق الذى لايشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ (وانك لمن المرسلين) لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع (تلك الرسل) اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها فى التوراه اوالمعلومه للرسول صلى الله عليه وسلم اوجماعة الرسل واللام للاستغراق (فضلنا بعضهم على بعض) بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره (منهم من كلم الله) تفصيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كلم موسى ليلة الخيرة وفى الطور ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج حين كان قاب قوسين اوادنى وبينهما ون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه (ورفع بعضهم درجات) بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين وقيل ابراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التى هى اعلى المراتب وقيل ادريس عليه السلام لقوله تعالى * ورفعناه مكانا عليا * وقيل اولوا العزم من الرسل (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس) خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى فى تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره (ولو شاء الله) هدى الناس جميعا (ما اقتتل الذين من بعدهم) من بعد الرسل (من بعد فلا يكفر ويذكر فلا يأس فقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فنسخ بقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) موحدون (واعتصموا) تمسكوا (بحبل الله) اى دينه) جميعا ولا تفرقوا) بعد الاسلام (واذكروا نعمت الله) انعامه (عليكم) يامعشر الاوس والخزرج (اذ كنتم) قبل الاسلام (اعداء فألف) جمع (بين قلوبكم) بالاسلام (فأصبحتم) فصرتم بنعمته (اخوانا) فى الدين والولاية (وكنتم على شفا) طرف (حفرة من النار) ليس بينكم وبين الوقوع فيها الا ان تموتوا كفارا (فانقذكم منها) بالايمان (كذلك) كما بين لكم ماذكر (يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم امة يدعون الى الخير) الاسلام)يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك) الداعون الآمرون الناهون (هم المفلحون) الفائزون ومن للتبعيض لان ماذكر

ماجاءتهم البينات) المعجزات الواضحة لاختلافهم فى الدين وتضليل بعضهم بعضا (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن) بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا (ومنهم من كفر) لاعراضه عنه بخذلانه (ولوشاء الله ماقتتلوا) كرره للتأكيد (ولكن الله يفعل مايريد) فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيدالله تعالى تابعة لمشيئته خيرا كان اوشرا ايمانا اوكفرا (ياايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم) ماوجبنا عليكم انفاقه (من قبل ان يأتى يوم لابيع فيه ولاخلة ولا شفاعة) من قبل ان يأتى يوم لاتقتدرون فيه على تدارك مافرطتم والخلاص من عذابه اذلا بيع فيه فتحصلون ماتنفقونه اوتفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولاشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضى له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم فى خط مافى ذمتكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها فى التقدير جواب هل فيه بيع اوخلة اوشفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو اويعقوب على الاصل (والكافرون هم الظالمون) يريد التاركون للزكاة هم الذين ظلموا انفسهم اووضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه على وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله تعالى وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة (الله لااله الا هو) مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لاغير وللنحاة خلاف فى انه هل يضمر للاخبر مثل فى الوجود اويصح ان يوجد (الحى) الذى يصح ان يعلم ويقدر وكل مايصح له فهو واجب لايزول لامتناعه عن القوة والامكان (القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام والقيم (لاتأخذه سنة ولا نوم) السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع « وسنان اقصد النعاس فرنقت * فى عينه سنة وليس بنائم » والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود

فرض كفاية لايلزم كل الامة ولايليق بكل احد كالجاهل وقيل زائدة اى لتكونوا امة (ولاتكونوا كالذين تفرقوا) عن دينهم (واختلفوا) فيه (من بعد ماجاءهم البينات) وهم اليهود والنصارى (واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) اى يوم القيامة (فاما الذين اسودت وجوههم) وهم الكافرون فيلقون فى النار ويقال لهم توبيخا (كفرتم بعد ايمانكم) يوم اخذ الميثاق (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم) وهم المؤمنون (ففى رحمت) اى جنته (هم فيها خالدون تلك) اى هذه الآيات (آيات الله نتلوها عليك) يامحمد (بالحق وماالله يريد ظلما للعالمين) بان ياخذهم بغير جرم (ولله مافى السموات ومافى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (والى الله ترجع) تصير (الامور كنتم) ياامة محمد فى علم الله تعالى (خير امة اخرجت) اظهرت (للناس تأمرون

والجملة نفى للتشبيه وتأكيد لكونه حياقيوما فان من اخذه نعاس اونوم كان مأوف الحيوة قاصرا فى الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفى الجمل التى بعده له (مافى السموات ومافى الارض) تقرير لقيوميته واحتجاج به على تفرده فى الالوهية والمراد بما فيهما ماوجد فيهما داخلا فى حقيقتهما اوخارجا عنهما متمكنا فيهما فهوابلغ من قوله له ملك السموات والارض ومافيهن (من الذى يشفع عنده الا باذنه) بيان لكبرياء شأنه وانه لاحد يساويه او يدانيه ليستقل بان يدفع مايريده شفاعة واستكانة فضلا عن ان يعاوقه عناد اومناصبة اى مخاصمة (يعلم مابين ايديهم وماخلفهم) ماقبلهم وما بعدهم اوبالعكس لانك مستقبل ومستدبر الماضى اوامور الدنيا وامور الآخرة اوعكسه اومايحسونه وما يعقلونه وما يدركونه وما لايدركونه والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء اولما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء (ولا يحيطون بشئ من علمه) من معلوماته (الا بما شاء) ان يعلموا وعطفه على ماقبلها لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتى التام الدال على وحدانيته (وسع كرسيه السموات والارض) تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ ولا كرسى فى الحقيقة ولاقاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه اوملكه ماخوذ من كرسى العالم والملك وقيل جسم بين يدى العرش ولذلك سمى كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه الصلا والسلام ماالسموات السبع والارضون السبع مع الكرسى الا كحلقة فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو فى الاصل اسم لمايقعد عليه ولايفضل عن مقعد القاعد وكانه المنسوب الى الكرسى وهو المليد (ولايؤده) اى ولايثقله مأخوذ من الاود وهو الاعوجاج (حفظهما) اى حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول (وهو العلى) المتعالى عن الانداد والاشباه (العظيم) المستحقر بالاضافة اليه كل ماسواه وهذه الآية مشتملة على امهات المسائل الآلهية دالة على انه تعالى موجود واحد فى الالوهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذالقيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لايناسب الاشباح

بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولوآمن اهل الكتاب لكان) الايمان (خيرالهم منهم المؤمنون) كعبدالله بن سلام رضى الله عنه واصحابه (واكثرهم الفاسقون) الكافرون (لن يضروكم) اى اليهود يامعشر المسلمين بشئ (الا اذى) باللسان من سب ووعيد (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) مهزمين (ثم لاينصرون) عليكم بل لكم النصر عليهم (ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا) حيثما وجدوا فلاعز لهم ولااعتصام (الا) كائنين (بحبل من الله وحبل الناس) المؤمنين وهو عهدهم اليهم بالامان على اداء الجزية اى لاعصمة لهم غير ذلك (وباؤ) رجعوا (بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم) اى بسبب انهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك) تاكيد (بما عصوا) امر الله (وكانوا يعتدون) يتجاوزون الحلال الى الحرام (ليسوا) اى اهل الكتاب (سواء)

مستوين (من اهل الكتاب امة قائمة) مستقيمة ثابتة على الحق كعبدالله بن سلام رضى الله عنه واصحابه (يتلون آيات الله آناء الليل) اى فى ساعاته (وهم يسجدون) يصلون حال (يؤمنون بالله واليوم الآخر و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر و يسارعون فى الخيرات واولئك) الموصوفون بما ذكر (من الصالحين ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين (وما تفعلوا) بالتاء ايتها الامة والياء اى الامة القائمة (من خير فلن تكفروه) بالوجهين اى تعدموا ثوابه بل تجازون عليه (والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغنى) تدفع (عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله) اى من عذابه (شيأ) وخصهما بالذكر بالمذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانه بالاولاد (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل) صفة (ينفقون) اى الكفار (فى هذه الحيوة

ولايعتريه مايعترى الارواح مالك الملك والملكوت مبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذى لايشفع عنده الامن اذن له العالم وحده بالاشياء كلها جليها وخفيها كلها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل مايصح ان يملك ويقدر عليه لايأوده شاق ولايشغله شأن متعال عما يدركه وهم عظيم لايحيط به فهم ولذلك قال النبى عليه السلام ان اعظم آية فى القرآن آية الكرسى من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق اوعابد ومن قرأها اذا اخذ من مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله (لااكراه فى الدين) اذ الاكراه فى الحقيقة الزام الغير فعلا لايرى فيه خيرا بحمله عليه ولكن (قد تبين الرشد من الغى) تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غى يؤدى الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الاكراه والالجاء وقيل اخبار بمعنى النهى اى لاتكرهوا فى الدين وهو اما عام منسوخ بقوله *جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم *او خاص باهل الكتاب لما روى ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل البعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لاادعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصارى يارسول الله ايدخل بعضى النار وانا انظر اليه فنزلت فخلاهما (فمن يكفر بالطاغوت) بالشيطان او الاصنام او كل ماعبد من دون الله اوصد عن عبادة الله تعالى فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه (ويؤمن بالله) بالتوحيد وتصديق الرسل (فقد استمسك بالعروة الوثقى) طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهى مستعارة لتمسك الحق من النظر الصحيح والرأى القويم (لاانفصام لها) لاانقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته (والله سميع بالاقوال (عليم) بالنيات ولعله تهديد على النفاق (الله ولى الذين آمنوا) محبهم اومتولى امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت فى علمه انه يؤمن (يخرجهم) بهدايته وتوفيقه (من الظلمات) ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر (الى النور) الى الهدى الموصل

والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن فى الخبر او من الموصول او منهما واستئناف مبين او مقرر للولاية (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) اى الشياطين او المضلات من الهوى والشياطين وغيرهما (يخرجونهم من النور الى الظلمات) من النور الذى منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك فى الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت فى قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لايأتى تعلق قدرته تعالى وارادته به (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم (الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه) تعجيب من محاجة نمرود وحماقته (ان آتاه الله الملك) لان آتاه اى ابطره ايتاء الملك وحاله على المحاجة او حاج لاجله شكر اله على طريقة العكس كقولك عاديتنى لانى احسنت اليك اووقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة (اذ قال ابراهيم) ظرف لحاج اوبدل من ان آتاه الله على الوجه الثانى (ربى الذى يحيى ويميت) يخلق الحيوة والموت فى الاجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء (قال انا احيى واميت) بالعفو عن القتل والقتل وقرأ نافع انا بالالف (قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب) اعرض ابراهيم عليه السلام عن اعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لايقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو فى الحقيقة عدول عن مثال خفى الى مثال جلى من مقدوراته التى يعجز عن الاتيان بها غيره لاعن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم عليه السلام الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه لتحرقه فقال له من ربك الذى تدعو اليه وحاجه فيه (فبهت الذى كفر) فصار مبهوتا وقرئ فبهت اى فغلب ابراهيم الكافر (والله لايهدى القوم الظالمين) الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لايهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة (او كالذى مر على قرية) تقديره او رأيت مثل الذى فحذف الدلالة المر الى الذى حاج عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاق مدعى

الدنيا) فى عداوة النبى آو صدقة ونحوها (كمثل ريح فيها صر) حرأ وبرد شديد (اصابت حرث) زرع (قوم ظلموا انفسهم) بالكفر والمعصية (فاهلكته) فلم ينتفعوا به فكذلك نفقاتهم ذاهبة لاينتفعون بها (وما ظلمهم الله) بضياع نفقاتهم (ولكن انفسهم يظلمون) بالكفر الموجب لضياعها (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة) اصفياء تطلعونهم على سركم (من دونكم) اى غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين (لايألونكم خبالا) نصب بنزع الخافض اى لايقصرون لكم فى الفساد (ودوا) تمنوا (ماعنتم) اى عنتكم وهو شدة الضرر (قد بدت) ظهرت (البغضاء) العداوة لكم (من افواههم) بالوقيعة فيكم واطلاع المشركين على سركم (وماتخفى صدورهم) من العداوة (اكبر قد بينا لكم الآيات) على عداتهم (ان كنتم تعقلون) ذلك فلا تتولوهم (ها) للتنبيه (انتم) يا (اولاء) المؤمنين

(تحبونهم) لقرابتهم منكم وصداقتهم (ولا يحبونكم) لمخالفتهم لكم فى الدين (وتؤمنون بالكتاب كله) اى بالكتب كلها ولا يؤمنون بكتابكم (واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل) اطراف الاصابع (من الغيظ) شدة الغضب لما يرون من ائتلافكم ويعبر عن شدة الغضب بعض الانامل مجازا وان لم يكن ثم عض (قل موتوا بغيظكم) اى ابقوا عليه الى الموت فلن تروا مايسركم (ان الله عليم بذات الصدور) بما فى القلوب ومنه مايضمره هؤلاء (ان تمسسكم) تصبكم (حسنة) نعمة كنصر وغنيمة (تسؤهم) تحزنهم (وان تصبكم سيئة) كهزيمة وجدب (يفرحوا بها) وجملة الشرط قبل وما بينهما اعتراض والمعنى انهم متناهون فى عداوتكم فلم تولونهم فاجتنبوهم (وان تصبروا) على اذاهم (وتتقوا) الله فى موالاتهم وغيرها (لا يضركم) بكسر الضاد وسكون الراء وضمها

الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذى حاج او الذى مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كأنه قيل الم تر كالذى حاج او كالذى مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره اوان كنت تحيى فاحى كاحياء الله تعالى الذى مر وهو عزير بن شرحيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التى خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى وهو الجمع (وهى خاوية على عروشها) خالية ساقطة حيطانها على سقوفها (قال انى يحيى هذه الله بعد موتها) اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيى ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى فى موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف (فاماته الله مائة عام) فالبثه ميتا مائة عام او اماته الله فلبث ميتا مائة عام (ثم بعثه) بالاحياء (قال كم لبثت) القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعثة او شارف الايمان وقيل ملك او نبى (قال لبثت يوما او بعض يوم) كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب (قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء سكت ان قدرت واوا او قيل اصله لم يتسن من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازى وانما افراد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحدة قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصير العنب وكان الكل على حاله وقرأ حمزة والكسائى لم يتسن بغير الهاء فى الوصل (وانظر الى حمارك) كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده (ولنجعلك آية للناس) اى وفعلنا ذلك لنجعلك آية روى انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التوراية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة (وانظر الى العظام) يعنى عظام الحمار والاموات الذى تعجب من احيائهم (كيف ننشزها) نحييها

اوترفع بعضها الى بعض وتركبه عليه وكيف منصوب بننشرها والجملة حال من العظام اى انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمر ويعقوب ننشزها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر (ثم نكسوها لحما فلما تبين له) فاعل تبين مضمر يفسره مابعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شئ قدير (قال اعلم ان الله على كل شئ قدير) فحذف الاول لدلالة الثانى عليه اوماقبله اى فلما تبين له ماأشكل عليه وقرأ حمزة والكسائى قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه اوهو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت (واذقال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى) انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيى واميت قال له ان احياء الله تعالى بردا لروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى (قال اولم تؤمن) بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرق الناس فى الايمان ليجب بما اجاب به فيعلم السامعون غرضه (قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) اى بلى آمنت ولكن سألت ذلك لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحى والاستدلال (قال فخذ اربعة من الطير) قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذى هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وحسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمى به اوجمع كصحب (فصرهن اليك) فأملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شياتها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال * وماصيد الاعناق فيهم جبلة * ولكن اطراف الرماح تصورها * وقال « وفرع يصير الجد وحف كانه * على الليت قنوان الكروم الدوالح » وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التضرية وهى الجمع ايضا (ثم اجعل على كل جبل منهن جزؤا) اى ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التى بحضرتك قيل وتشديدها (كيدهم شيا ان الله بما تعملون) بالياء والتاء (محيط) عالم فيجازيهم به (و) اذكر يا محمد (اذ غدوت من اهلك) من المدينة (تبوئ) تنزل (المؤمنين مقاعد) من اكز يقفون فيها (للقتال والله سميع) لاقوالكم (عليم) باحوالكم (وهو يوم احد خرج صلى الله عليه وسلم بالف اوالا خمسين رجلا والمشركون ثلاثة آلاف ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفوفهم واجلس جيشا من الرماة وامر عليهم عبدالله بن جبير بسفح الجبل وقال انضحوا عنا بالنبل لايأتونا من ورائنا ولاتبرحوا غلبنا اونصرنا (اذ) بدل من اذقبله (همت طائفتان منكم) بنوسلمة وبنو حارثة جناحا العسكر (ان تفشلا) تجبنا عن القتال وترجعا لما رجع عبدالله بن ابى المنافق واصحابه وقال علام نقتل انفسنا واولادنا وقال لابى جابر السلمى القائل له انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم لو نعلم قتالا

لاتبعناكم فثبتهما الله ولم ينصرفا (والله وليهما) ناصرهما (وعلى الله فليتوكل المؤمنين) ليثقوا به دون غيره ونزل لما هزموا تذكيرا لهم بنعمة الله (ولقد نصركم الله ببدر) موضع بين مكة والمدينة (وانتم اذلة) بقلة العدد والسلاح (فاتقوا الله لعلكم تشكرون) نعمه (اذ) ظرف لنصركم (تقول المؤمنين) توعدهم تطمينا (الن يكفيكم ان يمدكم) يعينكم (بكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين) بالتخفيف والتشديد (بلى) يكفيكم ذلك وفى انفال الف لانه امدهم اولا بها ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى (ان تصبروا) على لقاء العدو (وتتقوا) الله فى المخالفة (ويأتوكم) اى المشركون (من فورهم) وقتهم (هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) بكسر الواو وفتحها اى معلمين وقد صبروا وانجز الله وعدهم بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر او بيض ارسلوها بين اكتافهم (وما جعله

كانت اربعة وقيل سبعة وقرأ ابو بكر جزأ وجزوا بضم الزاى حيث وقع (ثم ادعهن) قل لهن تعالين باذن الله (يأتينك سعيا) ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روى انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهم فعل كل جزء بطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطا وعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهد على فضل ابراهيم عليه السلام ويمن الضراعة فى الدعا وحسن الادب فى السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه فى الحال على ايسر الوجوه واراه عزيزا بعد ان اماته مائة عام (واعلم ان الله عزيز) لا يعجز عما يريده (حكيم) ذو حكمة بالغة فى كل ما يفعله ويذره (مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة) اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف (انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضى وقوعه وقد يكون فى الذرة والدخن وفى البر فى الاراضى المغلة (والله يضاعف) تلك المضاعفة (لمن يشاء) بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك تفاوتت الاعمال فى مقادير الثواب (والله واسع) لا يضيق عليه ما يتصل به من الزيادة (عليم) بنية المنفق وقدر انفاقه (الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى) نزلت فى عثمان رضى الله تعالى عنه فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبى صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان يتعد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى (لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايها ما يكن اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا (قول معروف) رد جميل

(ومغفرة) وتجاوز عن السائل الحاجه اونيل مغفرة من الله بالرد الجميل اوعفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده (خير من صدقة ينبعها اذى) خير عنها وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة (والله غنى) عن انفاق بمن وايذاء (حليم) عن معاجلة من يمن ويؤذى بالعقوبة (يا ايها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) لاتحبطوا اجرها بكل واحد منها (كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) كابطال المنافق الذى يرائى بانفاقه لايريد به رضاء الله تعالى ولاثواب الاخرة اومماثلين الذى ينفق رياء الناس فالكاف فى محل النصب على المصدر اوالحال ورياء نصب على المفعول له اوالحال بمعنى مرآئيا او المصدر اى انفاقا رياء (فمثله) اى فمثل المرآئى فى انفاق (كمثل صفوان) كمثل حجر املس (عليه تراب فاصابه وابل) مطر عظيم القطر (فتركه صلدا) املس نقيا من التراب (لايقدرون على شئ مما كسبوا) لاينتفعون بما فعلوا رياء ولايجدون له ثوابا والضمير للذى ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس اى الجمع كما فى قوله « وان الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا ام خالد » (والله لايهدى القوم الكافرين) الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفات الكفار ولابد للمؤمن ان يتجنب عنها (ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم) وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها اوتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية للنفس عن البخل وحب المال (كمثل جنة بربوة) اى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها (اصابها وابل) مطر عظيم القطر (فآتت اكلها) ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف (ضعفين) مثلى ماكانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد فى قوله تعالى من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اى مضاعفا (فان لم يصبها وابل فطل) اى فيصيبها او فالذى يصيبها طل اوفطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة الله) اى الامداد (الابشرى لكم) بالنصر (لتطمئن) تسكن (قلوبكم به) فلا تجزع من كثرة العدو وقلتكم (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) يؤتيه من يشاء وليس بكثرة الجند (ليقطع) متعلق بنصركم اى ليهلك (طرفا من الذين كفروا) بالقتل والاسر (او يكبتهم) يذلهم بالهزيمة (فينقلبوا) يرجعوا (خائبين) لم ينالوا ما راموه ونزل لما كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يوم احد وقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم (ليس لك من الامر شئ) بل الامر لله فاصبر (او) بمعنى الى ان (يتوب عليهم) بالاسلام (او يعذبهم فانهم ظالمون) بالكفر (ولله ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (يغفر لمن يشاء) المغفرة له (ويعذب من يشاء) تعذيبه (والله غفور) لاوليائه (رحيم) بأهل طاعته (يا ايها الذين آمنوا لاتأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة) بالف ودونها بان تزيدوا فى

هوآئها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لاتضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ماينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله تعالى بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين فى زلفاهم بالوابل والطل (والله بما تعملون بصير) تحذير عن الرياء وترغيب فى الاخلاص (ايود احدكم) الهمزة فيه للانكار (ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات) جعل الجنة منهما مع فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع (واصابه الكبر) اى كبر السن فان الفاقة والعالة فى الشيخوخه اصعب والواو للحال او للعطف جملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر (وله ذرية ضعفاء) صغار لاقدرة لهم على الكسب (فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت) عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفه تتعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها مايحبطها كرياء وايذآء فى الحسرة والاسف اذا كان يوم القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من حال بسره فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبه الى عالم الزور والتفت الى ماسوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) اى تتفكرون فيها فتعتبرون بها (يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم) من حلاله او جياده (ومما اخرجنا لكم من الارض) اى ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره (ولاتيمموا الخبيث) اى ولاتقصدوا الردئ (منه) اى من المال او مما اخرجنا لكم وتخصيصه لذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولاتأموا ولاتيمموا بضم التاء (تنفقون) حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق منه به ويكون الضمير للخبيث والجملة حال منه (ولستم بآخذيه) اى وحالكم انكم لاتأخذونه فى حقوقكم لرداءته (الا ان تغمضوا فيه) الا ان تتسامحوا مجازا من اغماض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اى تحملوا على اغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس

فى المال عند حلول الاجل وتؤخروا الطلب (واتقوا الله) بتركه (لعلكم تفلحون) تفوزون (واتقوا النار التى اعددت للكافرين) ان تعذبوا بها (واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا) بواو دونها (الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض) اى كعرضهما لو وصلت احداهما بالاخرى والعرض السعة (اعدت للمتقين) الله بعمل الطاعات وترك المعاصى (الذين ينفقون) فى طاعة الله (فى السراء والضراء) اليسر والعسر (والكاظمين الغيظ) الكافين عن امضائه مع القدرة (والعافين عن الناس) ممن ظلمهم اى التاركين عقوبته (والله يحب المحسنين) بهذه الافعال اى يثيبهم (والذين اذا فعلوا فاحشة) ذنبا قبيحا كالزنا (او ظلموا انفسهم) بمادونه كالقبلة (ذكروا الله) اى وعيده (فاستغفروا لذنوبهم ومن) اى لا (يغفر الذنوب الا الله

رضى الله عنه كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه (واعلموا ان الله غنى) عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم (حميد) بقبوله واثابته (الشيطان يعدكم الفقر) فى الانفاق والوعد فى الاصل شائع فى الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين (ويأمركم بالفحشاء) ويغريكم على البخل والعرب تسمى البخيل فاحشا وقيل المعاصى (والله يعدكم مغفرة منه) اى يعدكم فى الانفاق مغفرة ذنوبكم (وفضلا) خلفا افضل مما انفقتم فى الدنيا اوفى الآخرة (والله واسع) اى واسع الفضل لمن انفق (عليم) بانفاقه (يؤتى الحكمة) تحقيق العلم واتقان العمل (من يشاء) مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثانى (ومن يؤت الحكمة) بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اى ومن يؤته الله (فقد اوتى خيرا كثيرا) اى خيرا كثيرا ذخيرله خير الدارين (وما يذكر) ومايتعظ بما قص من الآيات اوما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما ودع الله فى قلبه من العلوم بالقوة (الا اولوا الالباب) ذو وا العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى (وما انفقتم من نفقة) قليلة اوكثيرة سرا اوعلانية فى حق اوباطل (اونذرتم من نذر) بشرط اوبغير شرط فى طاعة اومعصية (فان الله يعلمه) فيجازيكم عليه (وما للظالمين) الذين ينفقون فى المعاصى وينذرون فيها اويمنعون الصدقات ولايوفون بالنذور (من انصار) من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه (ان تبدوا الصدقات فنعما هى) فنعم شيئا ابدآؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح النون وكسر العين على اصل وقرأ ابوبكر وابو عمرو وقالون بكسر النون وسكون العين وروى عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس (وان تخفوها وتؤتوها الفقرآء) اى تعطوها مع الاخفاء (فهو خير لكم) وهذا فى التطوع ومن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفى التهمة عن ابن عباس صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا (ويكفر عنكم من سيئاتكم) قرأه ابن عامر وعاصم فى رواية حفص بالياء اى والله يكفر اوالاخفاء وقرأ ابن كثير وابوعمرو وعاصم فى رواية ابن عباس ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة اواسمية معطوفة على مابعد الفاء اى ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزه

ولم يصروا) يديموا (على مافعلوا) بل اقلعوا عند (وهم يعلمون) ان الذى اتوه معصية (اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) حال مقدرة اى مقدرين الخلود فيها اذا دخلوها (ونعم اجر العاملين) بالطاعة هذا الاجر * ونزل فى هزيمة احد (قدخلت) مضت (من قبلكم سنن) طرائق فى الكفار بامهالهم ثم اخذهم (فسيروا) ايها المؤمنون (فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الرسل اى آخر امرهم من الهلاك فلاتحزنوا لغلبتهم فانا امهلهم لوقتهم (هذا) القرآن (بيان للناس) كلهم (وهدى) من الضلالة (وموعظة للمتقين) منهم (ولاتهنوا) تضعفوا عن قتال الكفار (ولاتحزنوا) على ماأصابكم بأحد (وانتم الاعلون) بالغلبة عليهم (ان كنتم مؤمنين) حقا وجوابه دل

عليه مجموع ماقبله (ان يمسسكم) يصبكم بأحد (قرح) بفتح القاف وضمها جهد من جرح ونحوه (فقدمس القوم) الكفار (قرح مثله) ببدر (وتلك الايام نداولها) نصرفها (بين الناس) يوما لفرقة ويوما لاخرى ليتعظوا (وليعلم الله) علم ظهور (الذين آمنوا) اخلصوا فى ايمانهم من غيرهم (ويتخذ منكم شهداء) يكرمهم بالشهادة (والله لايحب الظالمين) الكافرين اى يعاقبهم ومانيم به عليهم استدراج (وليمحص الله الذين آمنوا) يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم (ويمحق) يهلك (الكافرين ام) بل أ (حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما) لم (يعلم الله الذين جاهدوا منكم) علم ظهور (ويعلم الصابرين) فى الشدائد (ولقد كنتم تمنون) فيه حذف احدى التاءين فى الاصل (الموت من قبل ان تلقوه) حيث قلتم ليت لنا يوما كيوم بدر

والكسائى به مجزوما على محل الفاء ومابعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات (والله بما تعملون خبير) ترغيب فى الاسرار (ليس عليك هداهم) لايجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهى عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث (ولكن الله يهدى من يشاء) صريح بان الهداية من الله تعالى وبمشيته وانما يخص بقوم دون قوم (وماتنفقوا من خير) من نفقة معروفة (فلانفسكم) فهو لانفسكم لاينتفع به غير فلاتمنوا عليه ولاتنفقوا الخبيث (ولاتنفقون الا ابتغاء وجه الله) حال وكانه قال وماتنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه اوعطف على ماقبله اى وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نزل فى معنى النهى (وماتنفقوا من خير يوف اليكم) ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة اومايخلف المنفق استجابة لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع فى اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا فى غير الواجب اما الواجب فلايجوز صرفه الى الكفار (وانتم لاتظلمون) اى لاتنقصون ثواب نفقتكم (للفقرآء) متعلق بمحذوف اى اعمدوا للفقرآء اواجعلوا ماتنفقونه للفقرآء اوصدقاتكم للفقرآء (الذين احصروا فى سبيل الله) احصرهم الجهاد (لايستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا فى الارض) ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقرآء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالعلم والعبادة وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم (يحسبهم الجاهل) بحالهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين (اغنياء من التعف) من اجل تعففهم عن السؤال (تعرفهم بسيماهم) من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اولكل احد (لايسألون الناس الحافا) الحاحا وهو ان يلازم المسؤل حتى يعطيه من قولهم لحفنى من فضل لحافه اى اعطانى من فضل ماعنده والمعنى انهم لايسألون وان سألوا للضرورة لم يلحوا وقيل هو نفى للامرين كقوله على لاحب لايهتدى بمنارة * ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال اوعلى الحاله (وماتنفقوا من خير فان الله به عليم) ترغيب فى الانفاق

وخصوصا على هؤلاء (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) اى معمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل فى امير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه لا يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل فى ربط الخيل فى سبيل الله والانفاق عليها (فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اى ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية (الذين يأكلون الربوا) اى الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شائع فى المطعومات وهو زيادة فى الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او فى العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع (لا يقومون) اذا بعثوا من قبورهم (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) الا قياما كقيام المصروع هو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء (من المس) اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذى بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى فى بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم (ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا) اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع فى سلك واحد لا فضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن (واحل الله البيع وحرم الربوا) انكار لتسويتهم وابطالهم للقياس لمعارضته النص (فمن جاءه موعظة من ربه) فمن بلغه وعظ من الله تعالى وزجر بالنهى عن الربوا (فانتهى) فاتعظ وتبع النهى (فله ما سلف) تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه ومافى موضع الرفع بالظرف ان جعل من موصولة وبالابتداء ان جعل شرطية على

من القتل والهزيمة (والله خبير بما تعملون ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة) امنا (نعاسا) بدل (يغشى) بالياء والتاء (طائفة منكم) وهم المؤمنون فكانوا يميدون تحت الجحف وتسقط السيوف منهم (وطائفة قد اهمتهم انفسهم) اى حملتهم على الهم فلا رغبة لهم الا انجاتها دون النبى واصحابه فلم يناموا وهم المنافقون (يظنون بالله) ظنا (غير) الظن (الحق ظن) اى كظن (الجاهلية) حيث اعتقدوا ان النبى قتل او لا ينصر (يقولون هل) ما (لنا من الامر) اى النصر الذى وعدناه (من) زائدة (شئ قل) لهم (ان الامر كله) بالنصب توكيدا والرفع مبتدا خبره (لله) اى القضاء له يفعل ما يشاء (يخفون فى انفسهم مالا يبدلون) يظهرون (لك يقولون) بيان لما قبله (لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا) اى لو كان الاختيار الينا لم نخرج فلم نقتل لكن اخرجنا كرها (قل) لهم

رأى سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ماقبله (وامره الى الله) يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شأنه ولا اعتراض لكم عليه (ومن عاد) الى تحليل الربو اذ الكلام فيه (فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) لانهم كفروا به (يمحق الله الربوا) يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه (ويربى الصدقات) يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربى احدكم مهره وعنه عليه الصلاة والسلام مانقصت زكاة من مال قط (والله لايحب) لايرضى ولايحب محبته للتوابين (كل كفار) مصر على تحليل المحرمات (اثيم) منهمك فى ارتكابه (ان الذين آمنوا) بالله ورسله وبماجاءهم منه (وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة) عطفهما على مايعمهما لانا فتهما على سائر الاعمال الصالحة (لهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم) من آت (ولاهم يحزنون) على فائت (ياايها الذى آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربوا) واتركوا بقايا ماشرطتم على الناس من الربوا (ان كنتم مؤمنين) بقلوبكم فان دليله امتثال ماامرتم به روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) اى فاعلموا بها من اذن بالشئ اذا علم به وقرأ حمزة وعاصم فى رواية ابن عياش فاذنوا اى فأعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى ان يقاتل المربى بعد الاستتابة حتى يفئ الى امر الله كالباغى ولايقتضى كفره روى انها لما نزلت قال ثقيف لابدى لنا بحرب الله ورسوله (وان تبتم) من الارتباء واعتقاد حله (فلكم رؤس اموالكم لاتظلمون) باخذ الزيادة (ولاتظلمون) بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فئ (وان كان ذوعسرة) وان وقع غريم ذوعسرة وقرئ ذاعسرة اى وان كان الغريم ذاعسرة (فنظرة) فالحكم نظرة اوفعليكم نظرة اوفليكن نظرة وهى الانظار وقرئ فناظره على الخبر اى فالمستحق ناظره بمعنى منتظر اوصاحب نظرته على طريق النسب اوعلى الامر اى فسامحه بالنظرة (الى ميسرة) يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين

منها) اى من ثوابها (وسنجزى الشاكرين) وكأين) كم (من نبى قتل) وفى قراءة قاتل والفاعل ضميره (معه) خبر مبتدؤه (ربيون كثير) جموع كثيرة (فما وهنوا) جبنوا (لما اصابهم فى سبيل الله) من الجراح وقتل أنبيائهم واصحابهم (وما ضعفوا) عن الجهاد (وما استكانوا) خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل قتل النبى (والله يحب الصابرين) على البلاء اى يثبتهم (وما كان قولهم) عند قتل نبيهم مع ثبتهم وصبرهم (الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا) تجاوزنا الحد (فى امرنا) ايذانا بأن ما اصابهم لسوء فعلهم وهضما لانفسهم (وثبت اقدامنا) بالقوة على الجهاد (وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا) النصر والغنيمة (وحسن ثواب الآخرة) اى الجنة وحسنه التفضل فوق الاستحقاق (والله يحب

بحذف التاء عند الاضافة كقوله * واخلفوك عد الامر الذى وعدوا *(وان تصدقوا) بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد (خير لكم) اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلاة والسلام لايحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة (ان كنتم تعلمون) مافيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) يوم القيامة او يوم الموت فتأهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو و يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم (ثم توفى كل نفس ما كسبت) جزاء ماعملت من خير او شر (وهم لايظلمون) بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعفها فى رأس المأتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات (ياايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين) اى اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذ او فائدة ذكر الدين ان لايتوهم من الداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع الضمير فاكتبوه (الى اجل مسمى) معلوم بالايام والاشهر لابالحصاد وقدوم الحاج (فاكتبوه) لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف (وليكتب بينكم كاتب بالعدل) من يكتب بالسوية لايزيد ولاينقص وهو فى الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجئ مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع (ولا يأب كاتب) ولايمتنع احد من الكتاب (ان يكتب كما علمه الله) مثل ماعلمه من كتبه الوثائق اولا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك (فليكتب) تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهى عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهى عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذى عليه الحق) وليكن المملى من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد (وليتق الله ربه) اى المملى او الكتاب (ولايبخس) ولاينقص (منه شيئا) اى من الحق اومما املى عليه (فان كان الذى عليه الحق سفيها) ناقص العقل مبذرا (اوضعيفا) صبيا اوشيخا مختلا (اويستطيع ان يمل هو) اوغير المحسنين يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) فيما يأمرونكم به (يردوكم على اعقابكم) الى الكفر (فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم) ناصركم (وهو خير الناصرين) فاطيعوه دونه (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) بسكون العين وضمها الخوف وقد عزموا بعد ارتحالهم من احد على العود واستئصال المسلمين فرعبوا ولم يرجعوا (بما اشركوا) بسبب اشراكهم (بالله مالم ينزل به سلطانا) حجة على عبادته وهو الاصنام (ومأواهم النار وبئس مثوى) مأوى (الظالمين) الكافرين هى (ولقد صدقكم الله وعده) اياكم بالنصر (اذ تحسونهم) تقتلونهم (باذنه) بارادته (حتى اذا فشلتم) جبنتم عن القتال (وتنازعتم) اختلفتم (فى الامر) اى امر الرمى فقال بعضكم نذهب فقد نصر اصحابنا و بعضكم لانخالف امر النبى صلى الله عليه وسلم (وعصيتم)

مستطيع للاملاء بنفسه لخرس اوجهل باللغة (فليملل وليه بالعدل) اى الذى يلى امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا اومختل عقل اووكيل اومترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة فى الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم اوالوكيل (واستشهدوا شهيدين) واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان (من رجالكم) من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تقبل شهادة الكفار بعضهم على بعض (فان لم يكونا رجلين) فان لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل وامرأتان فليشهد رجل اوفالمستشهد رجل وامرأتان وهذه مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابى حنيفة (ممن ترضون من الشهداء) لعلمكم بعدالتهم (ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى) علة اعتبار العدد اى لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة فى الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلة كقولهم اعددت السلاح ان يجئ عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار (ولا يأب الشهداء اذا مادعوا) لاداء الشهادة اوالتحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة (ولا تسأموا ان تكتبوه) ولا تملوا من كثرة مداينـاتكم ان تكتبـوا الذين اوالحق اوالكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت (صغيرا اوكبيرا) صغيرا كان الحق اوكبيرا اومختصرا كان الكتاب اومشبعا (الى اجله) الى وقت حلوله الذى اقربه المديون (ذلكم) اشارة الى ان تكتبوه (اقسط عند الله) اكثر قسطا (واقوم للشهادة) واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس اومن قاسط بمعنى ذى قسـط وقويم وانما صحت الواو فى اقوم كما صحت فى التعجب لجموده (وادنى ان لا ترتابوا) واقرب فى ان لا تشكوا فى جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك (الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها) استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين اوعين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اى الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا

امره فتركتم المركز لطلب الغنيمة (من بعد ما اراكم) الله (ما تحبون) من النصر وجواب اذا دل عليه ما قبله اى منعكم نصره (منكم من يريد الدنيـا) فترك المركز للغنيمـة (ومنكم من يريد الآخرة) فثبت به حتى قتل كعبد الله بن جبير واصحابه (ثم صرفكم) عطف على جـواب اذا المقدر ردكم بالهزيمة (عنهم) اى الكفار (ليبتليكم) ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره (ولقد عفا عنكم) ما ارتكبتموه (والله ذو فضل على المؤمنين) بالعفو اذكروا (اذ تصعدون) تبعدون فى الارض هاربين (ولا تلوون) تعرجون (على احد والرسول يدعوكم فى اخراكم) اى من ورائكم يقول الى عباد الله الى عباد الله (فاثابكم) فجازاكم (غما) بالهزيمة (بغم) بسبب غمكم للرسول بالمخالفة وقيل الباء بمعنى على اى مضاعفا على غم فوت الغنيمـة (لكيلا) متعلق بعفـا او باثابكم فلا زائدة (تحزنوا على ما فاتكم) من الغنيمة (ولا ما اصابكم)

بأس ان لاتكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الى ان تكون التجارة تجاره حاضرة كقوله بنى اسد هل تعلمون بلاءنا*اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا * ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة (واشهدوا اذا تبايعتم) هذا التبايع اومطلقا لانه احوط والاوامر التى فى هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف فى احكامها ونسخها (ولايضار كاتب ولاشهيد) يحتمل البنائين ويدل عليه ان قرئ ولايضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير فى الكتبة والشهادة اوالنهى عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولايعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان (وان تفعلوا) الضرار اوما نهيتم عنه (فانه فسوق بكم) خروج عن الطاعة لاحق بكم (واتقوا الله) فى مخالفة امره ونهيه (ويعلمكم الله) احكامه المتضمنة لمصالحكم (والله بكل شئ عليم) كرر لفظة الله فى الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل فى التعظيم من الكتابة وان كنتم على سفر) اى سافرين (ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة) فالذى يستوثق به رهنا وان فعليكم رهان اوفليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر فى الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك رحمهما الله لانه عليه السلام رهن درعه فى المدينة من يهودى بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتبة فى السفر الذى هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف (فان امن بعضكم بعضا) اى بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان (فاليؤد الذى أوتمن امانته)اى دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذى ايتمن بقلب الهمزة ياء والذى تمن بادغام الياء فى التاء هو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة فى حكمها فلاتدغم (وليتق الله ربه) فى الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات (ولا تكتموا الشهادة) ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) اى يأثم قلبه يأثم والجملة خبران واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه لنيال مانال شهداؤه (فقد رأيتموه) اى سببه الحرب (وانتم تنظرون)اى بصراء تتأملون الحال كيف هى فلما انهزمتم* ونزل فى هزيمتهم لما اشيع ان النبى قتل وقال لهم المنافقون ان كان قتل فارجعوا الى دينكم(وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات اوقتل) كغيره (انقلبتم على اعقابكم) رجعتم الى الكفر والجملة الاخيرة محل الاستفهام الانكارى اى ماكان معبودا فترجعوا (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) وانما يضر نفسه (وسيجزى الله الشاكرين)نعمه بالثياب (وماكان لنفس ان تموت الا باذن الله) بقضائه (كتابا) مصدر اى كتب الله ذلك (مؤجلا) موقتا لايتقدم ولايتأخر فلما انهزمتم والهزيمة لاتدفع الموت والثبات لايقطع الحياة (ومن يرد) بعمله (ثواب الدنيا) اى جزاءه منها (نؤته منها) ماقسم له ولاحظ فى الاخرة (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته

(لو كنتم فى بيوتكم) وفيكم من كتب الله القتل (لبرز) خرج (الذين) كتب) قضى(عليهم القتل) منكم (الى مضاجعهم) مصارعهم فيقتلوا ولم ينجهم قعودهم لان قضاء تعالى كائن لامحالة (و) فعل مافعل باحد (ليبتلى) يختبر(الله مافى صدوركم) قلوبكم من الاخلاص والنفاق (وليمحص) يميز (مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور) بما فى القلوب لايخفى عليه شئ وانما يبتلى ليظهر للناس (الذين تولوا منكم) عن القتال (يوم التقى الجمعان) جمع المسلمين وجمع الكفار باحدوهم المسلمون الا اثنى عشر رجلا (انما استزلهم) ازلهم (الشيطان) بوسوسته (ببعض ما كسبوا) من الذنوب وهو مخالفة امر النبى (ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور) للمؤمنين (حليم) لايعجل على العصاة (ياايها الذين امنوا لاتكونوا كالذين كفروا)

ونظيره العين زانية والاذن زانية اوللمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم فى نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه (والله بماتعملون عليم) تهديد (لله مافى السموات ومافى الارض) خلقا وملكا (وان تبدوا مافى انفسكم اوتخفوه) يعنى مافيها من المسوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه (يحاسبكم به الله) يوم القيامة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض (فيغفر لمن يشاء) مغفرته (ويعذب من يشاء) تعذيبه وهو صريح فى نفى وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله « متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا » وادغام الراء فى اللام لحن اذالراء لاتدغم الا فى مثلها (والله على كل شئ قدير) فيقدر على الاحياء والمحاسبة (آمن الرسول بماانزل اليه من ربه) شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم فى امره غير شاك فيه (والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) لايخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذى ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه اولان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائى وكتابه يعنى القرآن اوالجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع فى وحدان الجنس والجمع فى جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب (لانفرق بين احد من رسله) اى يقولون لانفرق وقرأ يعقوب لايفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لايفرقون حملا على معناه كقوله تعالى وكل اتوه داخرين واحد فى معنى الجمع لوقوعه فى سياق النفى كقوله تعالى فماتكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفى الفرق بالتصديق والتكذيب (وقالوا سمعنا) اجبنا (واطعنا) امرك (غفرانك ربنا) اغفر غفرانك اونطلب غفرانك (واليك المصير) المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث (لايكلف الله نفسا الا وسعها) الا ماتسعه قدرتها فضلا ورحمة اوما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها

ويتيسر عليها لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر فهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه (لها ما كسبت) من خير (وعليها ما اكتسبت) من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجدى في تحصيله واعمل بخلاف الخير (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا) اى لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا تمتنع المأخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدى الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطى الذنوب لا يبعدان يفضى الى العقاب وان يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتداد بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) عبأ ثقيلا يأصر صاحبه اى يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة (كما حملته على الذين من قبلنا) حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذى حاملته اياهم فيكون صفة لاصر او المراد به ما كلف به بنى اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال الزكاة او ما اصابهم من الشدائد والمحن (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) من البلاء والعقوبة او من التكاليف التى لا تفى بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى المفعول الثانى (واعف عنا) وامح ذنوبنا (واغفر لنا) واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة (وارحمنا) وتعطف بنا وتفضل علينا (انت مولانا) سيدنا (فانصرنا على القوم الكافرين) فان حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روى انه عليه الصلاة والسلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام انزل الله تعالى آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى سنة من قرأهما بعد العشاء الآخيرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام * من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغى ان يقال السورة التى يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التى يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل يا رسول الله وما البطلة قال السحرة

اى المنافقين (وقالوا لاخوانهم) اى فى شانهم (اذا ضربوا) سافروا (فى الارض) فماتوا (او كانوا غزا) جمع غاز فقتلوا (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) اى لا تقولوا كقولهم (ليجعل الله ذلك) القول فى عاقبة امرهم (حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت) فلا يمنع عن الموت قعود (والله بما تعملون) بالتاء واليا (بصير) فيجازيكم به (ولئن) لام قسم (قتلتم فى سبيل الله) اى الجهاد (او متم) بضم الميم وكسرها من مات يموت ويمات اى اتاكم الموت فيه (لمغفرة) كائنة (من الله) لذنوبكم (ورحمة) منه لكم على ذلك واللام ومدخولها جواب القسم وهو فى موضع الفعل مبتدا خبره (خير مما تجمعون) من الدنيا بالتاء واليا (ولئن) لام قسم (متم) بالوجهين (او قتلتم) فى الجهاد او غيره (لالى الله) لا الى غيره (تحشرون) فى الآخرة فيجازيكم (فبما) ما زائدة

(سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم الله لااله الاهو) انما فتح الميم فى المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها فى حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لالمدرج فان الميم فى حكم الوقت كقولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزه على الدال لالالتقاء الساكنين فانه غير محذور فى باب الوقف ولذلك لم تحرك الميم فى لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابوبكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل (الحى القيوم) روى انه عليه الصلاة والسلام قال ان اسم الله الاعظم فى ثلاث سور فى البقرة *الله لااله الاهو الحى القيوم* وفى آل عمران الله لااله الاهو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه للحى القيوم (نزل عليك الكتاب) القرآن نجوما (بالحق) بالعدل او بالصدق فى اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو فى موضع الحال (مصدقا لما بين يديه) من الكتب (وانزل التورية والانجيل) جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل وزنهما بفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان يؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب وقرأ ابوعمرو وابن ذكوان والكسائى التورية بالامالة فى جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الاقالون فانه قرأ بالفتح كقراءة الباقين (من قبل) من قبل تنزيل القرآن (هدى للناس) على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرايع من قبلنا والا فالمراد به قومهما (وانزل الفرقان) يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ماعداها كأنه قال وانزل سائر مايفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعته مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما فى كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق بين المحق والمبطل او المعجزات (ان الذين كفروا بآيات الله) من كتبه المنزله وغيرها (لهم عذاب شديد) بسبب كفرهم (والله عزيز) غالب لايمنع من التعذيب (ذوانتقام) لايقدر على منه منتقم وألنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جئ به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ماهو العمدة فى اثبات النبوة تعليق

(رحمة من الله لنت) يامحمد (لهم) اى سهلت اخلاقك اذ خالفوك (ولو كنت فظا) سيئ الخلق (غليظ القلب) جافيا فأغلظت لهم (لانفضوا) تفرقوا (من حولك فاعف) تجاوز (عنهم) ماأتوه (واستغفر لهم) ذنبهم حتى اغفر لهم (وشاورهم) استخرج آراءهم (فى امر) اى شانك من الحرب وغيره تطييبا لقلوبهم وليستن بك وكان صلى الله عليه وسلم كثير المشاورة لهم (فاذا عزمت) على امضاء ماتريد بعد المشاورة (فتوكل على الله) ثق به لا بالمشاورة (ان الله يحب المتوكلين) عليه (ان ينصركم الله) يعنكم على عدوكم كيوم بدر (فلا غالب لكم وان يخذلكم) يترك نصركم كيوم احد (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) اى بعد خذلانه اى لاناصر لكم (وعلى الله) لاغيره (فليتوكل) ليثق (المؤمنون) ونزل لما فقدت قطيفة حمراء يوم بدر فقال بعض الناس لعل النبى اخذها (وما كان)

للامر وزجرا عن الاعراض عنه (ان الله لايخفى عليه شئ فى الارض ولافى السماء) اى شئ كائن فى العالم كليا كان اوجزئيا ايمانا اوكفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذا لحس لايتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله (هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء) اى من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله فى خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اى صوركم لنفسه وعبادته (لااله الاهو) اذ لايعلم غيره جملة مايعلمه ولايقدر على مثل مايفعله (العزيز الحكيم) اشارة الى كمال قدرته وتناهى حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال والاحتمال (هن ام الكتاب) اصله ترد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة اوعلى ان الكل بمنزلة آية واحدة (واخر متشابهات) محتملات لايتضح مقصودها لاجمال اومخالفة ظاهر الابالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا فى تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح فى استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالى الدرجات واما قوله تعالى * الركتاب احكمت آياته * فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ واخر وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشتبه بعضه بعضا فى صحة المعنى وجزالة اللفظ واخرجع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولايلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لانه فى معنى المعرف اوعن اخر من (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) عدول عن الحق كالمبتدعة (فيتبعون ماتشابه منه) فيتعلقون بظاهره اوبتأويل باطل (ابتغاء الفتنة) طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه (وابتغاء تأويله) وطلب ان يؤلوه على مايشتهونه ويحتمل ان يكون الداعى الى الاتباع مجموع الطلبتين اوكل واحدة منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثانى يلائم الجاهل (ومايعلم تأويله) الذى يجب ان يحمل عليه (الا الله

ماينبغى (لنبى أن يغل) يخون فى الغنيمة فلاتظنوا به ذلك وفى قراءة بالبناء للمفعول اى ينسب الى الغلول (ومن يغلل يأت بماغل يوم القيامة) حاملا له على عنقه (ثم توفى كل نفس) الغال وغيره جزاء (ماكسبت) عملت (وهم لايظلمون) شيأ (افمن اتبع رضوان الله) فأطاع ولم يغل (كمن باء) رجع (بسخط من الله) لمعصيته وغلوله (ومأواه جهنم وبئس المصير) المرجع هى (هم درجات) أى اصحاب درجات (عند الله) اى مختلفو المنازل فلمن اتبع رضوانه الثواب ولمن باء بسخطه العقاب (والله بصير بمايعملون) فيجازيهم به (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) اى عربيا مثلهم ليفهموا عنه ويشرفوا به لاملكا ولا عجميا (يتلو عليهم آياته) القرآن (ويزكيهم) يطهرهم من الذنوب (يعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة (وان) مخففة أى انهم (كانوا من قبل) اى

قبل بعثه (لفى ضلال مبين) بين (اولما اصابتكم مصيبة) بأحد بقتل سبعين منكم (قد اصبتم مثليها) ببدر بقتل سبعين و أسر سبعين منهم (قلتم) متعجبين (انى) من اين لنا (هذا) الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا والجملة الاخيرة محل الاستفهام الانكارى (قل) لهم (هو من عند أنفسكم) لانكم تركتم المركز فخذلتم (وان الله على كل شئ قدير) ومنه النصر ومنعه وقد جازاكم بخلافكم (وما اصابكم يوم التقى الجمعان) بأحد (فباذن الله) بارادته (وليعلم) الله علم ظهور (المؤمنين) حقا (وليعلم الذين نافقوا) الذين (قيل لهم) لما انصرفوا عن القتال وهم عبد الله بن ابى واصحابه (تعالوا قاتلوا فى سبيل الله) اعداءه (اوادفعوا) عنا القوم بتكثير سوادكم ان لم تقاتلوا قالوا لو نعلم) نحسن (قتالا لاتبعناكم) قال تعالى تكذيبا لهم (هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان) بما اظهروا من خذلانهم للمؤمنين

والراسخون فى العلم) اى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد (يقولون آمنا به) استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ (كل من عند ربنا) اى كل من المتشابه والمحكم من عنده (وما يذكر الا اولوا الالباب) مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشى الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها فى تصوير الروح بالعلم و تزيينه وما قبلها فى تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى * وكلمته القاها الى مريم وروح منه * كانه جوب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو ابا بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره فى الرحم والمصور لا يكون اب المصور (ربنا لا تزغ قلوبنا) من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عليه الصلاة والسلام * قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه * وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا (بعد اذ هديتنا) الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ فى موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان (وهب لنا من لدنك رحمة) تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب (انك انت الوهاب) لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بناينع على عباده لا يجب عليه شئ (ربنا انك جامع الناس ليوم) لحساب يوم او لجزائه (لا ريب فيه) فى وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الملتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل (ان الله لا يخلف الميعاد) فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا (ان الذين كفروا) عام فى الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا) اى من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من

عذابه (واولئك هم وقود النار) حطبها وقرىء بالضم بمعنى اهل وقودها (كدأب آل فرعون) متصل بماقبله اى لن تغنى عنهم كالم تغنى عن اولئك او وقدبهم كما نو قد باولئك او استئناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم فى الكفر والعذاب وهو مصدر دأب فى العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان (والذين من قبلهم) عطف على آل فرعون وقيل استئناف (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم) حال باضمار قداو استئناف بتفسير حالهم اوخبر ان ابتدأت بالذات من قبلهم (والله شديد العقاب) تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم) اى قل لمشركى مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعدبدر فى سوق بنى قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم مانزل بقريش فقالوا لايغرنك انك اصبت اغمارا لاعلم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انانحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرا حمزة والكسائى بالياء فيهما على ان الامر بان يحكى لهم ماامره به من عيدهم بلفظه (وبئس المهاد) تمام مايقال لهم اواستئناف وتقديره وبئس المهاد جهنم اومامهدوه لانفسهم (قد كان لكم آية) الخطاب لقريش اولليهود وقيل للمؤمنين (فى فئتين التقتا) يوم بدر فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم) يرى المشركون المؤمنين مثلى عدد المشركين وكان قريب الف اومثلى عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعدماقللهم فى اعينهم حتى اجترأوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا فى اعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين اويرى المؤمنون المشركين مثلى المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذى وعدهم به فى قوله * فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين * ويؤيده قرآءة نافع ويعقوب بالتاء وقرىء بهما على البناء للمفعول اى يريهم الله اويريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص اوالحال من فاعل التقتا (رأى العين) رؤية ظاهرة معاينة (والله يؤيد بنصره من يشاء) نصره كما ايداهل بدر (ان فى ذلك) اى التقليل اوالتكثير اوغلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكى السلاح وكون الوقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وكانوا قبل اقرب الى الايمان من حيث الظاهر (يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم) ولو علموا قتالا لاتبعوكم (والله أعلم بما يكتمون) من النفاق (الذين) بدل من الذين قبله اونعت (قالوا لاخوانهم) فى الدين (و) قد (قعدوا) عن الجهاد (لو أطاعونا) اى شهداء أحداواخواننا فى القعود (ماقتلوا قل) لهم (فادرؤا) ادفعوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) فى ان القعود ينجى منه * ونزل فى الشهداء (ولاتحسبن الذين قتلوا) بالتخفيف والتشديد (فى سبيل الله) اى لاجل دينه (أمواتا بل) هم (احياء عند ربهم) أرواحهم فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت كماورد فى الحديث (يرزقون) يأكلون من ثمار الجنة (فرحين) حال من ضمير يرزقون بما آتاهم الله من فضله) و هم (يستبشرون) يفرحون (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) من اخوانهم المؤمنين ويبدل من الذين

(ان) اى بان (لاخوف عليهم) اى الذين لم يلحقوا بهم (ولاهم يحزنون) فى الآخرة المعنى يفرحون بامنهم وفرحهم (يستبشرون بنعمة) ثواب (من الله وفضل) زيادة عليه (وان) بالفتح عطفا على نعمة والكسر استئنافا (الله لايضيع اجر المؤمنين) بل يأجرهم (الذين) مبتدأ (استجابوا لله والرسول) دعاه بالخروج للقتال لما أراد ابوسفيان واصحابه العهود وتواعدوا مع النبى صلى الله عليه وسلم سوق بدر العام المقبل من يوم احد (من بعد ما اصابهم القرح) بأحد وخبر المبتدا (للذين أحسنوا منهم) بطاعته (واتقوا) مخالفة (اجر عظيم) هو الجنة (الذين) يدل من الذين قبله اونعت (قال لهم الناس) اى نعيم بن مسعود الاشجعى (ان الناس) اباسفيان واصحابه (قد جمعوا لكم) الجموع ليستأصلوكم (فاخشوهم) ولاتأتوهم (فزادهم) ذلك القول (ايمانه تصديقا

وقوع الامر على ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم (لعبرة لاولى الابصار اى لعظة لذوى البصائر وقيل لمن ابصرهم (زين للناس حب الشهوات) المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا فى محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله تعالى* احببت حب الخير* والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعى ولعله زينها ابتلاء اولانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية فى معرض الذم وفرق الجبائى بين المباح والمحرم (من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث) بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملئ مسك ثور واختلف فى انه فعلال اوفنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة والمعلمة من السومة وهى العلامة اوالمرعية من السوام الدابة وسومها اوالمطهمة والانعام الابل والبقر والغنم (ذلك متاع الحيوة الدنيا) اشارة الى ماذكر (والله عنده حسن المآب) اى المرجع وهو تحريض على استبدال ماعنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية (قل اؤنبئكم بخير من ذلكم) يريد به تقرير ان ثواب الله تعالى خير من مستلذات الدنيا (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) استئناف لبيان ماهو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير (وازواج مطهرة) مما يستقذر من النساء (ورضوان من الله) قرأه عاصم بضم الراء وهما لغتان (والله بصير بالعباد) اى باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسئ اوباحوال الذين اتقوا فلذلك اعدلهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله تعالى* لقوله تعالى ورضوان من الله اكبر* واوسطها الجنة ونعيمها (الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفرلنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) صفة للمتقين اوللعباد اومدح منصوب اومرفوع وفى ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف فى استحقاق المغفرة اوالاستعداد لها (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار) حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل

﴿ واما ﴾

واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولى وهو الصدق واما فعلى وهو القنوت الذى هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق فى سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون (شهد الله انه لااله الاهو) بين واحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها (والملائكة) بالاقرار (واولوا العلم) بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك فى البيان والكشف بشهادة الشاهد (قائما بالقسط) مقيما للعدل فى قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاءنى زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة *او من هو والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد قائما او حقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفى وفيه ضعف للفصل وهو مندرج فى المشهود به اذا جعلته صفة او حالا من الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف (لااله الاهو) كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبتنى عليه قوله (العزيز الحكيم) فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روى فى فضلها انه عليه الصلاة والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة وهى دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للاولى اى لادين مرضى عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائى بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثانى واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما (واختلف الذين

بالله ويقينا (وقالوا حسبنا الله) كافينا امرهم (ونعم الوكيل) المفوض اليه الامر وخرجوا مع النبى فوا سوق بدر والقى الله الرعب فى قلب ابى سفيان واصحابه فلم يأتوا وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا قال تعالى (فانقلبوا) رجعوا من بدر (بنعمة من الله وفضل) بسلامة وربح (لم يمسسهم سوء) من قتل او جرح (واتبعوا رضوان الله) بطاعته ورسوله فى الخروج (والله ذو فضل عظيم) على اهل طاعته (انما ذلكم) اى القائل لكم ان الناس الخ (الشيطان يخو)فكم (اولياءه) الكفار (فلا تخافوهم وخافون) فى ترك امرى (ان كنتم مؤمنين)حقا (ولا يحزنك) بضم الياء وكسر الزاى وبفتحها وضم الزاى من حزنه لغة فى احزنه (الذين يسارعون فى الكفر) يقعون فيه سريعا بنصرته وهم اهل مكة او المنافقون اى لاتهتم بكفرهم (انهم لن يضروا الله شيأ) بفعلهم

اوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى اومن ارباب الكتب المتقدمة فى دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه اخرون مطلقا اوفى التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم نصارى اختلفوا فى امر عيسى عليه السلام (الا من بعد ماجاءهم العلم) اى بعد ماعلموا حقيقة الامر اوتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج (بغيا بينهم) حسدا بينهم وطلبا للرياسة لالشبهة وخفاء فى الامر (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) وعيد لمن كفر منهم (فان حاجوك) فى الدين وجادلوك فيه بعد ماانقطعت الحجج (فقل اسلمت وجهى لله) اخلصت نفسى وجملتى له لااشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذى قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس (ومن اتبعن) عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه (وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين) الذين لاكتاب لهم كمشركى العرب (أأسلمتم) كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة اوالمعاندة (فان اسلموا فقد اهتدوا) فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال (وان تولوا فانما عليك البلاغ) اى فلم يضروك اذما عليك الاان تبلغ وقد بلغت (والله بصير بالعباد) وعد ووعيد (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم) هم اهل الكتاب الذين فى عصره عليه السلام قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله فى سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء فى خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر (اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة) كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لاتغير معنى الابتداء بخلافهما (ومالهم من ناصرين) يدفعون عنهم العذاب (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى التورية اوجنس الكتب السماوية ومن للتبعيض اوللبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير (يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) الداعى محمد عليه الصلاة والسلام وكتاب الله القرآن والتورية

وانما يضرون انفسهم (يريد الله ان لايجعل لهم حظا) نصيبا (فى الآخرة) اى الجنة فلذلك خذلهم (ولهم عذاب عظيم) فى النار (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) اى اخذوه بدله (لن يضروا الله) بكفرهم (شيأ ولهم عذاب اليم) مؤلم (ولايحسبن) بالياء والتاء (الذين كفروا انما نملى) اى املاءنا (لهم) بتطويل الاعمار وتأخيرهم (خير لانفسهم) وان ومعمولاها سدت مسد المفعولين فى قراءة التحتانية ومسد الثانى فى الاخرى (انما نملى) نمهل (لهم ليزدادوا اثما) بكثرة المعاصى (ولهم عذاب مهين) ذواهانة فى الآخرة (ماكان الله ليذر) ليترك (المؤمنين على ماانتم) ايها الناس (عليه) من اختلاط المخلص بغيره (حتى يميز) بالتخفيف والتشديد يفصل (الخبيث) المنافق (من الطيب) المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك وفعل ذلك يوم احد (وماكان الله ليطلعكم على الغيب) فتعرفوا المنافق من غيره قبل التميز (ولكن الله يجتبى)

لماروى انه عليه الصلاة والسلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت فى الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة فى الاصول (ثم يتولى فريق منهم) استبعادلتولهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب (وهم معرضون) وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة (ذلك) اشارة الى التولى والاعراض (بانهم قالوا لن تمسنا النار الا ايا ما معدودات) بسبب تسهلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزايغ والطمع الفارغ (وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل او ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم اوانه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لايعذب اولاده الا تحلة القسم (فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه) استعظام لما يحيق بهم فى الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات روى ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار (ووفيت كل نفس ما كسبت) جزآء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لاتحبط وان المؤمن لايخلد فى النار لان توفية ايمانه وعمله لاتكون فى النار ولاقبل دخولها فاذا هى بعد الخلاص منها (وهم لايظلمون) الضمير لكل نفس على المعنى لانه فى معنى كل انسان (قل اللهم) الميم عوض عن يا ولذلك لايجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخو لها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف الندأ ومتعلقا الفعل وهمزته (مالك الملك) تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية (تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) تعطى منها ما تشاء لمن تشاء وتسترد فالملك الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة نزعها نقلها من قوم الى قوم (وتعز من تشاء وتذل من تشاء) فى الدنيا وفى الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان (بيدك الخير انك على كل شئ قدير) ذكر الخير وحده لانه المقضى بالذات والشر مقضى بالعرض يختار (من رسله من يشاء) فيطلعه على غيبه كما اطلع النبى على حال المنافقين (فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا) النفاق (فلكم اجر عظيم ولايحسبن) بالياء والتاء (الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله) اى بزكاته (هو) اى بخلهم (خيرا لهم) مفعول ثان والضمير للفصل والاول بخلهم مقدرا قبل الموصول على الفوقانية وقبل الضمير على التحتانية (بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به) اى بزكاته من المال (يوم القيامة) بان يجعل حية فى عنقه تنهشه كما ورد فى الحديث (ولله ميراث السموات والارض) يرثهما بعد فناء اهلهما (والله بما يعملون) بالياء والتاء خبير) فيجازيكم به (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) وهم اليهود قالوه لما نزل من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وقالوا لو كان غنيا ما استقرضنا (سنكتب) نأمر بكتب (ما قالوا) فى صحائف اعمالهم ليجازوا عليه وفى قراءة بالياء مبنيا للمفعول (و) نكتب (قتلهم) بالنصب

والرفع (الانبياء بغير حق ونقول) بالنون والياء اى الله لهم فى الآخرة على لسان الملائكة (ذوقوا عذاب الحريق) النار ويقال لهم اذا القوا فيها (ذلك) العذاب (بما قدمت ايديكم) عبر بها عن الانسان لان اكثر الافعال تزاول بها (وان الله ليس بظلام) اى بذى ظلم (للعبيد) فيعذبهم بغير ذنب (الذين) نعت للذين قبله (قالوا) لمحمد (ان الله) قد (عهد الينا) فى التوارة (ان لانؤمن لرسول) نصدقه (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) فلانؤمن لك حتى تأتينا به وهو ما يتقرب به الى الله من نعم وغيرها فان قبل جاءت نار بيضاء من السماء فاحرقته والا بقى مكانه وعهد الى بنى اسرائيل ذلك الا فى المسيح ومحمد قال تعالى (قل) لهم توبيخا (قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات) بالمعجزات (وبالذى قلتم) كزكريا ويحيى فقتلتموهم والخطاب لمن فى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان كان الفعل لاجدادهم لرضاهم به

اذ لا يوجد شر جزئى مالم يتضمن خيرا كليا اولمراعاة الادب فى الخطاب اولان الكلام وقع فيه اذ روى انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام فاخذ المعول منه فضرب بها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها الكائن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى منها قصور صنعاء واخبرنى جبريل عليه السلام ان امتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شئ قدير (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب) عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول فى مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما فى الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحى من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر وألكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف (لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء) نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لايكون حبهم وبغضهم الا فى الله او عن الاستعانة بهم فى الغزو سائر الامور الدينية (من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة (ومن يفعل ذلك) اى اتخاذهم اولياء (فليس من الله فى شئ) من ولايته فى شئ يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين لايجتمعان قال « تودعدوى ثم تزعم انتى * صديقك ليس النوك عنك بعازب » (الا ان تتقوا منهم تقاة) الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه فى معنى تحذر واتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع من موالاتهم ظاهرا وباطنا فى الاوقات كلها الا وقت المخافة

فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا (ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهى المنهى فى القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه تعالى فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة (قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله) اى انه يعلم اضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها (ويعلم ما فى السموات وما فى الارض) فيعلم سركم وعلنكم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم لله نفسه فكأنه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتى محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضر او ما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا) يوم منصوب بتودى يتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لوان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير فى عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان يكون شرطية ولكن الحمل على الخير اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة (ويحذركم الله نفسه) كرر للتأكيد والتذكير (والله رؤف بالعباد) اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم اوانه لذو مغفرة وذو عقاب فيرجى رحمته ويخشى عذابه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى) المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه اوغيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول فى عبادته والحرص على مطاوعته (يحببكم الله ويغفر لكم) جواب للامر اى يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة (والله غفور رحيم) لمن يتحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن

(فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) فى انكم تؤمنون عند الاتيان به (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات) المعجزات (والزبر) كصحف ابراهيم (والكتاب) وفى قراءة باثبات الباء فيهما (المنير) الواضح هو التوراة والانجيل فاصبر كما صبروا (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم) جزاء اعمالكم (يوم القيامة فمن زحزح) بعد (عن النار وادخل الجنة فقد فاز) نال غاية مطلوبه (وما الحيوة الدنيا) اى العيش فيها (الا متاع الغرور) الباطل يتمتع به قليلا ثم يفنى (لتبلون) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين لتختبرن (فى اموالكم) بالفرائض فيها والجوائح (وانفسكم) بالعبادات والبلاء (ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) اليهود والنصارى (ومن الذين اشركوا) من العرب (اذى كثيرا) من السب والطعن

والتشييت بنسائكم (وان تصبروا) على ذلك (وتتقوا) الله (فان ذلك من عزم الامور) اى من معزوماتها التى يعزم عليها لوجوبها (و) اذكر (اذاخذالله ميثاق الذين اوتوا الكتاب) اى العهد عليهم فى التوراة (ليبيننه) اى الكتاب (للناس ولايكتمونه) اى الكتاب بالياء والتاء فى الفعلين (فنبذوه) طرحوا الميثاق (وراء ظهورهم) فلم يعملوا به (واشتروا به) اخذوا بدله (ثمنا قليلا) من الدنيا من سفلتهم برياستهم فى العلم فكتموه خوف فوته عليهم (فبئس مايشترون) شراؤهم هذا (لاتحسبن) بالتاء والياء (الذين يفرحون بما اتوا) فعلوا من التمسك بالحق وهم على ضلال (فلا تحسبنهم) بالوجهين تأكيد (بمفازة) بمكان ينجون فيه (من العذاب) فى الاخرة بل هم فى مكان يعذبون فيه وهو جهنم (ولهم عذاب اليم) مؤلم فيها ومفعول لايحسب الاولى

ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت فى وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل فى اقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا قولهم تصديقا من العمل (قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا) يحتمل المضى والمضارعة بمعنى فان تتولوا (فان الله لايحب الكافرين) لايرضى عنهم ولا يثنى عليهم وانما لم يقل لايحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولى كفر وانه من هذه الحيثية ينفى محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على مالم يقو عليه غيرهما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسماعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن ايعازار بن بوذ بن رب بابل بن سالثان بن يوحنا بن اوشا ابن اموزر بن ميشك بن حارقبا بن احاذ بن يوثام بن عزريا بن بورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشا بن عرند بن سلمون ابن باعر بن يحشون بن عميداد بن رام بن خضروم بن فارض بن يهوذا ابن يعقوب عليه السلام وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة (ذرية بعضها من بعض) حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اى يعنى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض فى الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت (والله سميع عليم) باقوال الناس واعمالهم فيصطفى من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها (اذقالت امرأة عمران رب انى نذرت لك مافى بطنى) فينتصب به اذ على التنازع وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون فظن انه المراد وزوجته ورده كفالة زكريا فانه كان معاصر الابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابنى خالة من الاب روى انها كانت عاقرا عجوزا فبنيما هى فى ظل شجرة اذرأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت

المقدس فيكون من خدمته فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا عندهم فى الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير وطلبت ذكرا (محررا) معتقا لخدمته لا اشغله بشئ او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال (فتقبل منى) ماندرته (انك انت السميع العليم) لقولى ونيتى (فلما وضعتها قال رب انى وضعتها انثى) الضمير لما فى بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا منه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره (والله اعلم بما وضعت) اى بالشئ الذى وضعت وهو استئناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ بما وضعت على خطاب الله تعالى لها (وليس الذكر كالانثى) بيان لقوله والله اعلم اى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت فتكون اللام للجنس (وانى سميتها مريم) عطف على ماقبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة (وانى اعيذها بك) اجيرها بحفظك (وذريتها من الشيطان الرجيم) المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسة الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة (فتقبلها ربها) فرضى بها فى النذر مكان الذكر (بقبول حسن) بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روى ان حنة لما ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين

دل عليهما مفعولا الثانية وعلى قراءة التحتانية وعلى الفوقانية حذف الثانى فقط (ولله ملك السموات والارض) خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها (والله على كل شئ قدير) ومنه تعذيب الكافرين وانجاء المؤمنين (ان فى خلق السموات والارض) وما فيهما من العجائب (واختلاف الليل والنهار) بالمجئ والذهاب والزيادة والنقصان (لآيات) دلالات على قدرته تعالى (لأولى الالباب) لذوى العقول (الذين) نعت لما قبله او بدل (يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) مضطجعين اى فى كل حال وعن ابن عباس يصلون كذلك حسب الطاقة (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) ليستدلوا به على قدرة صانعهما يقولون (ربنا ما خلقت هذا) الخلق الذى نراه (باطلا) حال عبثا بل دليلا على كمال قدرتك (سبحانك) تنزيها لك عن البعث (فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار) للخلود فيها

(فقد اخزيته) اهنته (وما للظالمين) الكافرين فيه وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بتخصيص الخزى بهم (من) زائدة (انصار) يمنعونهم من عذاب الله تعالى (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى) يدعو الناس (للايمان) اى اليه وهو محمدا والقرآن (ان) اى بأن (آمنوا بربكم) فآمنا) به (ربنا فاغفرلنا ذنوبنا وكفر) حط (عنا سيأتنا) فلا تظهرها بالعقاب عليها (وتوفنا) اقبض ارواحنا (مع) فى جملة (الابرار) الانبياء والصالحين (ربنا وآتنا) اعطنا (ماوعدتنا) به (على) السنة (رسلك) من الرحمة والفضل وسؤالهم ذلك وان كان وعده تعالى لايخلف سؤال ان يجعلهم من مستحقيه لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم له وتكرير ربنا مبالغة فى التضرع (ولا تخزنا يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد) الوعد بالبعث والجزاء (فاستجاب لهم ربهم)

فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها زكريا ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اى بذى قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقصى وتعجل اى فأخذها فى اول امرها حين ولدت بقبول حسن (وانبتها نباتا حسنا) مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها (وكفلها زكريا) شددالفاء حمزة والكسائى وعاصم وقصرها زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله تعالى وزكريا مفعول اى جعله كافلالها وضامنا بمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا (كلما دخل عليها زكريا المحراب) اى الغرفة التى بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس (وجد عندها رزقا) جواب كلما وناصبه روى انه كان لايدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس (قال يامريم انى لك هذا) من اين لك هذا الرزق الآتى فى غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه (قالت هو من عندالله) فلا تستبعد قيل بكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) يغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله تعالى روى ان فاطمة رضى الله تعالى عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمى بابنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عندالله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمدلله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فأوسعه على جيرانها (هنالك دعا زكريا ربه) فى ذلك المكان او الوقت اذ رأى هنا وثم وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله تعالى (قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة) كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل للرأى الفواكه فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لى من لدنك ذرية لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة (انك سميع الدعاء) مجيبه (فنادته الملائكة) اى

من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادى كان جبرآئيل وحده وقرأ حمزة والكسائى فنادا بالامالة والتذكير (وهو قائم يصلى فى المحراب) اى قائما فى الصلاة ويصلى صفة قائم او خبرا او حال اخرا وحال من الضمير فى قائم (ان الله يبشرك بيحيى) اى بان الله قرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول اولان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائى يبشرك ويحيى اسم اعجمى وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل (مصدقا بكلمة من الله) اى بعيسى سمى بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التى هى عالم الامر او بكتاب الله سمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته (وسيدا) يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم فى انه ماهم بمعصية (وحصورا) مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات والملاهى روى انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ماللعب خلقت (ونبيا من الصالحين) ناشئا منهم او كائنا من عدادمن لم يأت كبيرة ولا صغيرة (قال ربى انى يكون لى غلام) استبعادا من حيث العادة او استعظاما او تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه (وقد بلغنى الكبر) ادركنى كبر السن وأثر فى وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون (وامرأتى عاقر) لاتلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد (قال كذلك الله يفعل مايشاء) اى يفعل مايشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كانت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل مايشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ او خبر اى الله على مثل هذه الصفة ويفعل مايشاء بيان له او كذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر كذلك والله يفعل مايشاء بيان (قال رب اجعل لى آية) علامة اعرف بها الحبل لأستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار (قال آيتك ان لاتكلم الناس ثلاثة ايام) اى لاتقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة لتخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الاعن الشكر واحسن الجواب ماانشتق عن السؤال (الا رمزا) اشارة بنحو يد اورأس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام مادل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله * متى ماتلقنى فردين ترجف * روانف اليتيك وتستطارا * (واذكر ربك كثيرا)

دمائهم (انى) اى انى (لااضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم) كائن (من بعض) اى الذكور من الاناث وبالعكس والجملة مؤكدة لما قبلها اى هم سواء فى المجازاة بالاعمال وترك تضييعها نزلت لما قالت ام سلمة يارسول الله انى لا اسمع ذكر النساء فى الهجرة بشئ (فالذين هاجروا) من مكة الى المدينة (واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى) دينى (وقاتلوا) الكفار (وقتلوا) بالتخفيف والتشديد وماقراءة بتقديمه (لأكفرن عنهم سياتهم) استرها بالمغفرة (ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا) مصدر من معنى لأكفرن مؤكد له (من عندالله) فيه التفات عن التكلم (والله عنده حسن الثواب) الجزاء * ونزل لما قال المسلمون اعداء الله فيمانرى من الخير ونحن فى الجهد (لايغرنك تقلب الذين كفروا) تصرفهم (فى البلاد) بالتجارة

والكسب هو (منازع قليل) يتمتعون به يسيرا فى الدنيا ويفنى (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) الفراش هى (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين) اى مقدرين الخلود (فيها نزلا) هو ما يعد للضيف ونصبه على الحال من جنات والعامل فيها معنى الظرف (من عند الله وما عند الله) من الثواب (خير للابرار) من متاع الدنيا (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله) كعبد الله بن سلام واصحابه والنجاشى (وما انزل اليكم) اى القرآن (وما انزل اليهم) اى التوراة والانجيل (خاشعين) حال من ضمير يؤمن مراعى فيه معنى من اى متواضعين (لله لايشترون بآيات الله) التى عندهم فى التوراة والانجيل من نعت النبى (ثمنا قليلا) من الدنيا بان يكتموها خوفا على الرياسة كفعل غيرهم من اليهود (اولئك لهم اجرهم) ثواب اعمالهم (عند ربهم) يؤتونه مرتين كما فى القصص

فى ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين الغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لايفيد التكرار (وسبح بالعشى) من الزوال الى الغروب وقيل بالعصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل (والابكار) من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار (واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعما ان ذلك كانت معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا الهمها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريقها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثانى هداياها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابناها آية للعالمين (يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين) امرت بالصلاة فى الجماعة بذكر اركانها مبالغة فى المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع امالكونه كذلك فى شريعتهم اوللتنبيه على ان الواو اولا توجب الترتيب اوليقترن اركعى بالراكعين للايذان بان من ليس فى صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة كقوله تعالى وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات (ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك) اى ماذكرنا من القصص من الغيوب التى لم تعرفها الا بالوحى (وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم) اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التى كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على الهتكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة او السماع وعدم السماع معلوم لاشبهة فيه عندهم فبقى ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولايظن به عاقل (ايهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ليعلموا او يقولون ايهم يكفل مريم (وما كنت لديهم اذ يختصمون) تنافسا فى كفالتها (اذ قالت الملائكة) بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض اومن اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة فى زمان متسع كما تقول لقيته سنة كذا (يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى

ابن مريم) المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهر من الذنوب او مسح الارض ولم يقيم فى موضع جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لاطائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت فى سلكها ولا ينافى تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذى يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفة له وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير أب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام اذا فقد الاب (وجيها فى الدنيا والآخرة) حال مقدرة من كلمة وهى وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة فى الدنيا النبوة وفى الآخرة الشفاعة (ومن المقربين) من الله وقيل اشارة الى علو درجته فى الجنة او رفعه الى السماء وصحبته الملائكة (ويكلم الناس فى المهد وكهلا) اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمى به مايمهد للصبى من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية (ومن الصالحين) حال ثالث من كلمة او ضميرها الذى فى يكلم (قالت ربى انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) تعجب او استبعاد عادى او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره (قال كذلك الله يخلق مايشاء) القائل جبريل او الله تعالى وجبريل حكى لها قول الله تعالى (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك (ونعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل) كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما هممها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زواج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء (ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم) منسوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكانه قال وناطقا بأنى قد جئتكم وتخصيص بنى اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث

(ان الله سريع الحساب) يحاسب الخلق فى قدر نصف نهار من ايام الدنيا (يا ايها الذين آمنوا اصبروا) على الطاعات والمصائب وعن المعاصى (وصابروا) الكفار فلا يكونوا اشد صبرا منكم (ورابطوا) اقيموا على الجهاد (واتقوا الله) فى جميع احوالكم (لعلكم تفلحون) تفوزون بالجنة وتنجون من النار

(صورة النساء مدنية مائة وخمس اوست اوسبع وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها الناس) اى اهل مكة (اتقوا ربكم) اى عقابه بان تطيعوه (الذى خلقكم من نفس واحدة) آدم (وخلق منها زوجها حواء بالمد من ضلع من اضلاعه اليسرى (وبث) فرق ونشر (منهما) من آدم وحواء (رجالا كثيرا ونساء) كثيرة (واتقوا الله الذى تساءلون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى السين وفى قراءة بالتخفيف بحذفها اى تتساءلون (به) فيما

بينكم حيث يقول بعضكم لبعض اسالك بالله وآ نشدك بالله (و) اتقوا (الارحام) ان تقطعوها و فى قراءة بالجر عطفا على الضمير فى به وكانوا يتناشدون بالرحم (ان الله كان عليكم رقيبا) حافظا لاعمالكم فمجازيكم بها اى لم يزل متصفا بذلك * ونزل فى يتيم طلب من وليه ماله فمنعه (وآتوا اليتامى) الصغار الاولى لااب لهم (اموالهم) اذا بلغوا (ولاتبدلوا الخبيث) الحرام (بالطيب) الحلال اى تاخذوه بدله كما تفعلون من اخذ الجيد من مال اليتيم وجعل الردئ من مالكم مكانه (ولاتاكلوا اموالهم) مضمومة (الى اموالكم انه) اى اكلها (كان حوبا) ذنبا (كبيرا) عظيما ولما نزلت تحرجوا من ولاية اليتامى وكان فيهم من تحته العشر او الثمان من الازواج فلايعدل بينهم فنزل (وان خفتم الاتقسطوا) تعدلوا (فى اليتامى) فتحرجتم من امرهم فخافوا ايضا ان تعدلوا بين النساء اذا

غيرهم (انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير) نصب بدل من انى قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هى انى اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيأ مثل صورة الطير وقرأ نافع انى بالكسر (فانفخ فيه) الضمير الكاف اى فى ذلك الشئ المماثل (فيكون طيرا باذن الله) فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله تعالى لامنه وقرأ نافع هنا وفى المائدة طائرا بالالف والهمزة (وابرئ الاكمه والابرص) الاكمه الذى ولد اعمى او الممسوح العين روى انه ربما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداوى الابالدعاء (واحيى الموتى باذن الله) كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس افعال البشرية (وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم) بالمغيبات من احوالكم التى لاتشكون فيها (ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) موقنين للايمان فان غيرهم لاينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين (ومصدقا لما بين يدى من التورية) عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا (ولاحل لكم) مقدر باضماره او مردود على قوله انى قد جئتكم بآية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولا طيب قلبك (بعض الذى حرم عليكم) اى فى شريعة موسى عليه السلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل فى السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى عليه السلام ولايخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لايعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الازمان (وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) اى جئتكم بآية اخرى الهمنيها ربكم وهى قولى ان الله ربى وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبى والساحر او جئتكم بآية على ان الله ربى وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم بآية من ربكم اى جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله فى المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشاره الى استكمال القوة النظرية

بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العلمية فانه بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك بأبين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل امنت بالله ثم استقم (فلما احس عيسى منهم الكفر) تحقق كفرهم عنده تحقق مايدرك بالحواس (قال من انصارى الى الله) ملتجئا الى الله تعالى اوذاهبا اليه اوضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصارى مضمنا معنى الاضافة اى من الذين يضيفون انفسهم الى الله فى نصرى وقيل الى هنا بمعنى مع اوفى واللام (قال الحواريون) حوارى الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عليه السلام من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها (نحن انصار الله) اى انصار دين الله (امنا بالله واشهد بانا مسلمون) لتشهد لنا يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم (ربنا آمنا بما نزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) اى مع الشاهدين بوحدانيتك اومع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم اوامة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس (ومكروا) اى الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة (ومكر الله) حين رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه فى الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لايسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج (والله خير الماكرين) اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لايحتسب (اذ قال الله) ظرف لمكر الله اوخير الماكرين اوالمضمر مثل وقع ذلك (ياعيسى انى متوفيك) اى مستوفى اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم اوقابضك من الارض من توفيت مالى اومتوفيك نائما اذروى انه رفع نائما اومميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى (ورافعك الى) الى محل كرامتى ومقر ملائكتى (ومطهرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم اوقصدهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعلونهم بالحجة اوالسيف فى غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى

نكحتموهن (ونكحوا) تزوجوا (ما) بمعنى من (طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) اى اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا ولا تزيدوا على ذلك (فان خفتم الا تعدلوا) فيهن بالنفقة والقسم (فواحدة) انكحوها (او) اقتصروا على (ماملكت ايمانكم) من الاماء اذليس لهن من الحقوق مالزوجات (ذلك) اى نكاح الاربع فقط او الواحدة اوالتسرى (ادنى) اقرب الى (الاتعولوا) تجوزوا (وآتوا) اعطوا (النساء صدقاتهن) جمع صدقة مهورهن (نحلة) مصدر عطية عن طيب نفس (فان طبن لكم عن شئ منه نفسا) تمييز محول عن الفاعل اى طابت انفسهن لكن عن شئ من الصداق فوهبنه لكم (فكلوه هنيئا طيبا (مريئا) محمود العاقبة لاضرر فيه عليكم فى الآخرة نزل ردا على من كره ذلك (ولاتؤتوا) ايها الاولياء (السفهاء) المبذرين من الرجال

والى الان لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة (ثم الى مرجعكم) الضمير لعيسى عليه السلام ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطب على الغائبين (فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من امر الدين (فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم) تفسير للحكم وتفصيل له (والله لا يحب الظالمين) تقرير لذلك (ذلك) اشارة الى ماسبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدا خبره (نتلوه عليك) وقوله (من الآيات) حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه (والذكر الحكيم) المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) ان شأنه الغريب كشأن آدم عليه السلام (خلقه من تراب) جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا للمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب (ثم قال له كن) اى انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر وقدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخى الخبر لا للمخبر (فيكون) حكاية حال ماضية (الحق من ربك) خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اى الحق المذكور من الله تعالى (فلا تكن من الممترين) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع (فمن حاجك) من النصارى (فيه) فى عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) اى من البينات الموجبة للعلم (فقل تعالوا) هلموا بالرأى والعزم (ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم) اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم (ثم نبتهل) اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ماترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى امر صاحبكم والله ماباهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف

والنساء والصبيان (أموالكم) اى اموالهم التى فى ايديكم (التى جعل الله لكم قياما) مصدر قام اى تقوم بمعاشكم وصلاح اودكم فيضيعوها فى غير وجهها وفى قراءة قيما جمع قيمة ما تقوم به الامتعة (وارزقوهم فيها) اطعموهم منها (واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) عدوهم جميلة باعطائهم اموالهم اذا رشدوا (ابتلوا) اختبروا (اليتامى قبل البلوغ فى دينهم وتصرفهم فى احوالهم (حتى اذا بلغوا النكاح اى صاروا اهلا له بالاحتلام او السن وهو استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعى (فان آنستم) ابصرتم (منهم رشدا) صلاحا فى دينهم ومالهم (فادفعوا اليهم اموالهم ولا تأكلوها) ايها الاولياء (اسرافا) بغير حق حال (وبدارا) اى مبادرين الى انفاقها مخافة (ان يكبروا) رشداء فيلزمكم تسليمها اليهم (ومن كان) من الاولياء (غنيا فليستعفف) اى يعف عن مال اليتيم ويمتنع من اكله

دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى رضى الله عنه خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فأمنوا فقال اسقفهم يامعشر النصارى انى لأرى وجوها لو سالوا الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية الى حلة احمراء ثلاثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لو تباهلو المسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته (ان هذا) اى ماقص من نبأ عيسى ومريم (لهو القصص الحق) بجملتها خبر ان اوهو فصل يفيد أن ماذكره فى شأن عيسى ومريم حق دون ماذكروه ومابعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل على المبتدأ (ومامن اله الا الله) صرح فيه بمن المزيدة للاستغراف تأكيد اللرد على النصارى فى تثليثهم (وان الله لهو العزيز الحكيم) لاحد سواه يساويه فى القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهية (فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين) وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولى عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد النفس بل والى فساد العالم (قل ياأهل الكتاب) يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران اويهود المدينة (تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) لايختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها مابعدها (ان لانعبد الا الله) اى نوحده بالعبادة ونخلص فيها (ولانشرك به شيأ) ولانجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد (ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) ولانقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولانطيع الاحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روى انها لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يارسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك (فان تولوا) عن التوحيد (فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم

(ومن كان فقيرا فليأكل) منه (بالمعروف) بقدر اجرة عمله (فاذا دفعتم اليهم) اى الى اليتامى (اموالهم فاشهدوا عليهم) انهم تسلموها وبرئتم لئلا يقع اختلاف فترجعوا الى البينة وهذا امر ارشاد (وكفى بالله) الباء زائدة (حسيبا) حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم ❊ ونزل ردا لما كان عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار (للرجال) الاولاد والاقرباء (نصيب حظ (مما ترك الوالدان والاقربون) المتوفون) وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه) اى المال (او كثر) جعله الله (نصيبا مفروضا) مقطوعا بتسليمه اليهم (واذا حضر القسمة) للميراث (اولوا القربى) ذوو القرابة ممن لايرث) واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) شيأ قبل القسمة (وقولوا) ايها الاولياء (لهم) اذا كان الورثة صغارا (قولا معروفا جميلا بأن تعتذروا اليهم انكم لاتملكونه وانه لصغار وهذا قيل انه منسوخ وقيل لا ولكن

تهاون الناس فى تركه وعليه فهو ندب وعن ابن عباس واجب (وليخش) اى ليخف على اليتامى (الذين لو تركوا) اى قاربوا ان يتركوا (من خلفهم) اى بعد موتهم (ذرية ضعافا) اولادا صغارا (خافوا عليهم) الضياع (فليتقوا الله) فى امر اليتامى وليأتوا اليهم مايحبون ان يفعل بذريتهم من بعدهم (وليقولوا) للميت (قولا شديدا) صوابا بان يأمروه ان يتصدق بدون ثلثه ويدع الباقى لورثته ولا يتركهم عالة (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما) بغير حق (انما يأكلون فى بطونهم) اى ملأها (نارا) لانه يؤل اليها (وسيصلون) بالبناء للفاعل والمفعول يدخلون (سعيرا) نارا شديدة يحترقون فيها (يوصيكم) يأمركم (الله فى) شان (اولادكم) بمايذكر (للذكر) منهم (مثل حظ) نصيب (الانثيين) اذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما النصف فان كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان وان انفرد حاز المال

اواعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ماراعى فى هذه القصة من المبالغة فى الارشاد وحسن التدرج فى الحجاج بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالوهية ثم ذكر مايحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من اعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ماوافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لايغنى عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بأنا مسلمون (ياأهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده) تنازعت اليهود والنصارى فى ابراهيم عليه السلام وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بألفين فكيف يكون عليهما (افلا تعقلون) فتدعون المحال (هاانتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) هاحرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التى غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اى انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه فى التورية والانجيل عنادا اوتدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لاعلم لكم به ولا ذكر فى كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد من غير همزة وورش اقل مدا وقنبل بالهمزة من غير الف بعد الهاء والباقون بالمد والهمزة والبزى يقتصر على المد على اصله (والله يعلم) ماحاججتم فيه (وانتم لاتعلمون) وانتم جاهلون به (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) تصريح بمقتضى ماقرره من البرهان (ولكن كان حنيفا) مائلا عن العقائد الزائغة (مسلما) منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام (وما كان من المشركين) تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم

عليه السلام (ان اولى الناس بابراهيم) ان اخصهم به وقربهم منه من الولى وهو القرب (للذين اتبعوه) من امته (وهذا النبى والذين آمنوا) لموافقتهم له فى اكثر ماشرع لهم على الاصالة وقرئ بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم (والله ولى المؤمنين) ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم (ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم) نزلت فى اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية و لو بمعنى ان (ومايضلون الا انفسهم) ويتخطاهم الاضلال ولايعود وباله الاعليهم اذيضاعف به عذابهم اومايضلون الا امثالهم (ومايشعرون) وزره واختصاص ضرره بهم (ياأهل الكتاب لم تكفرون بايات الله) بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وانتم تشهدون) انها آيات الله او بالقرأن وانتم تشهدون نعته فى الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق (ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) بالتحريف وابراز الباطل فى صورته او بالتقصير فى الميز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تكتسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبى زور (وتكتمون الحق) نبوة محمد عليه السلام ونعته (وانتم تعلمون) عالمين بما تكتمونه (وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار) اى اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار (واكفروا آخره لعلهم يرجعون) واكفروا به آخره لعلهم يشكون فى دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من اخبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا فى الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا فى كتابنا وشاورنا علماء نا فلم نجد محمد عليه الصلاة والسلام بالنعت الذى ورد فى التورية لعل اصحابه يشكون فيه (ولاتؤمنوا الا لمن تبع دينكم) ولاتقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم اولاتظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم (قل ان الهدى هدى الله) هو يهدى من يشاء الى الايمان ويثبته (ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم) متعلق بمحذوف اى دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك اولا تؤمنوا اى ولاتظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم

(فان كن) اى الاولاد (نساء) فقط (فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك) الميت وكذا الاثنتان لانه للاختين بقوله فلهما الثلثان مماترك فهما اولى ولان البنت تستحق الثلث مع الذكر فمع الانثى اولى وفوق قيل صلة وقيل لدفع توهم زيادة النصب بزيادة العدد لما فهم استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر (وان كانت) المولودة (واحدة) وفى قراءة بالرفع فكان تامة (فلها النصف ولابويه) اى الميت ويبدل منهما (لكل واحد منهما السدس مماترك) ان كان له ولد) ذكرا اوانثى ولانكتة البدل افادة انهما لايشتركان فيه والحق بالولد ولد الابن وبالاب الجد (فان لم يكن له ولد وورثه ابواه) فقط او مع زوج (فلأمه) بضم الهمزة وكسرها فرارا من الانتقال من ضمة الى كسرة لثقله فى الموضعين (الثلث) اى ثلث المال او مايبقى بعد الزوج والباقى للاب (فان كان له اخوة) اى اثنان فصاعدا ذكورا واناثا (فلأمه

السدس) والباقى للاب ولاشئ للاخوة وارث من ذكر ما ذكر (من بعد) تنفيذ (وصية يوصى) بالبناء للفاعل والمفعول (بها او) قضاء (دين) عليه وتقديم الوصية على الدين وان كانت مؤخرة عنه فى الوفاء للاهتمام بها (آباؤكم وابناؤكم) مبتدأ خبره (لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا) فى الدنيا والآخرة فظان ان ابنه انفع له فيعطيه الميراث فيكون الاب انفع وبالعكس وانما العالم بذلك الله فقرض لكم الميراث (فريضة من الله ان الله كان عليما) بخلقه (حكيما) فيما دبره لهم اى لم يزل متصفا بذلك (ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد) منكم او من غيركم (فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين) والحق بالولد فى ذلك ولد الابن بالاجماع (ولهن) اى الزوجات تعددن اولا (الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد) منهن او من غيرهن (فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية

ولاتفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لايجدى بطائل اوخبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير ان يؤتى على الاستفهام للتقريع تؤيد الوجه الاول اى الان يؤتى احد مثل ما اوتيتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اى ولاتؤمنوا الالمن تبع دينكم وقولوا لهم مايؤتى احد مثل ما اوتيتم (اويحاجوكم عند ربكم) عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم عند ربكم والواو ضمير احد لانه فى معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة (ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك) كعبد الله بن سلام استودعه قرشى الفا ومائتى اوقية ذهبا فاداه اليه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك) كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشى آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرأ حمزة وابو بكر وابو عمر ويؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس الهاء وكذا روى عن حفص والباقون باشباع الكسرة (الا مادمت عليه قائما) الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى والترافع واقامة البينة (ذلك) اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لايؤده (بانهم قالوا) بسبب قولهم (ليس علينا فى الاميين سبيل) اى ليس علينا فى شأن من ليسوا من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ذلك (وهم يعلمون) انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم فى التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك فى كتابهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله مامن شئ فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر (بلى) اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل (من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين) استئناف مقرر للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن اوالله وعموم المتقين ناب مناب

الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهى (ان الذين يشترون) يستبدلون (بعهد الله) بما عاهدوا الله عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات (وايمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولتنصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا (اولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله) بما يسرهم او بشئ اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيامة اولا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه (ولا يزكيهم) ولا يثنى عليهم بالجميل (ولهم عذاب اليم) على ما فعلوه قيل انها نزلت فى احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت فى رجل اقام سلعة فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل نزلت فى رافع كان بين الاشعث ابن قيس ويهودى فى بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودى (وان منهم لفريقا) يعنى المحرفين ككعب ومالك وحيى بن اخطب (يلوون السنتهم بالكتاب) يقتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها (لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب) الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اى ليس هو ناز لا من عنده وهذا لا يقتضى ان لا يكون فعل الله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله) تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وقيل ان ابا رافع القرظى والسيد النجرانى قالا يا محمد اتريدان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم

توصون بها او دين) وولد الابن فى ذلك كالولد اجماعا (وان كان رجل يورث) صفة والخبر (كلالة) اى لا والد له ولا ولد (او امراة) تورث كلالة (وله) اى للمورث كلالة (اخ او اخت) اى من ام وقرأ به ابن مسعود وغيره (فلكل واحد منهما السدس) مما ترك (فان كانوا) اى الاخوة والاخوات من الام (اكثر من ذلك) اى من واحد (فهم شركاء فى الثلث) يستوى فيه ذكرهم وانثاهم (من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار) حال من ضمير يوصى اى غير مدخل الضرر على الورثة بان يوصى باكثر من الثلث (وصية) مصدر مؤكد ليوصيكم (من الله والله عليم) بما دبره لخلقه من الفرائض (حليم) بتاخير العقوبة عمن خالفه وخصت السنة توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل او اختلاف دين او رق (تلك) الاحكام المذكورة من امر اليتامى وما بعده (حدود الله) شرائعه التى حدها لعباده

بعضنا على بعض افلانسجدلك قال لاينبغى ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموانبيكم واعرفوا الحق لاهله (ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا ربانيين والربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى والرقيانى وهوالكامل فى العلم والعمل (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على الناس (ولايأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لامزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله ماكان اى ماكان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا اوغير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولايأمر باتخاذا كفائه اربابا بل ينهى عنه وهو اذنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرأ ابو بكر على اصله برواية الدورى باختلاس الضم (ايأمركم بالكفر) انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله (بعد اذانتم مسلمون) دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له (واذ اخذالله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين وامهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذاخذالله الميثاق الذى وثقه الانبياء على امهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنوا اسرائيل اوسماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام فى لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وماتحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب، ثم مجئ رسول مصدق اخذالله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه اوموصولة والمعنى اخذه للذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له

ليعملوا بها ولايعتدوها (ومن يطع الله ورسوله) فيما حكم به (يدخله) بالياء والنون التفاتا (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله) بالوجهين (نارا خالدا فيها وله) فيها (عذاب مهين) ذو اهانة روعى فى الضمائر فى الآيتين لفظ من وفى خالدين معناها (واللاتى يأتين الفاحشة) الزنا (من نساءكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم) اى رجالكم المسلمين (فان شهدوا) عليهن بها (فامسكوهن) احبسوهن (فى البيوت) وامنعوهن من مخالطة الناس (حتى يتوفاهن الموت) اى الملائكة (او) الى ان (يجعل الله لهن سبيلا) طريقا الى الخروج منها امروا بذلك اول الاسلام ثم جعل لهن سبيلا بجلد البكر مائة وتغريبها عاما ورجم المحصنة وفى الحديث لما بن الحد قال خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا رواه مسلم (واللذان) بتخفيف النون وتشديدها

له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا وقرأ نافع آتيناكم بالنون والالف جميعا (قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى) اى عهدى سمى به لانه يؤصر اى يشد وقرئ بالضم وهو امالغة فيه كبر وعبر اوجمع اصار وهو مايشد به (قالوا اقررنا قال فاشهدوا) اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة (وانا معكم من الشاهدين) وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم (فمن تولى بعد ذلك) بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة (فأولئك هم الفاسقون) المتمردون من الكفرة (افغير دين الله يبغون) عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار ومحذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابى عمرو وعاصم فى رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم (وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها) اى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة مايلجئ الى الاسلام كتنق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لايقدرون ان يمتنعوا عما قضى عليهم (واليه ترجعون) وقرئ بالياء على ان الضمير لمن (قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم) امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهى الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعروف له والعيار عليه (لانفرق بين احد منهم) بالتصديق والتكذيب (ونحن له مسلمون) منقادون او مخلصون فى عبادته (ومن يبتغ غير الاسلام دينا) اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله (فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) الواقعين فى الحسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد النفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفى قبول كل دين يغايره لاقبول كل مايغايره

(باتيانها) أى الفاحشة الزنا أو اللواط (منكم) الرجال فآذوهما) بالسب والضرب بالنعال (فان تابا) منها (وأصلحا) العمل (فاعرضوا عنهما) ولا تؤذوهما (ان الله كان توابا) على من تاب (رحيما) به وهذا منسوخ بالحدان أريد بها الزنا وكذا ان أريد اللواط عند الشافعى لكن المفعول به لايرجم عنده وان كان محصنا بل يجلد ويغرب وارادة اللواط أظهر بدليل تثنية الضمير والاول اراد الزانى والزانية وبرد تبيينهما بمن المتصلة بضمير الرجال واشتراكهما فى الاذى والتوبة والاعراض وهو مخصوص بالرجال لما تقدم فى النساء من الحبس (انما التوبة على الله) أى التى كتب على نفسه قبولها بفضله (للذين يعملون السوء) المعصية (بجهالة) حال أى جاهلين اذ عصوا ربهم (ثم يتوبون من) زمن (قريب) قبل أن يغرغروا (فأولئك يتوب الله عليهم) يقبل توبتهم (وكان الله عليما) بخلقه

(حكيما) فى صنعه بهم (وليست التوبة للذين يعملون السيآت) الذنوب (حتى اذا حضر احدهم الموت) واحذ فى النزع (قال) عند مشاهدة ماهو فيه (الى تبت الآن) فلا ينفعه ذلك ولايقبل منه (ولا الذين يموتون وهم كفار) اذا تابوا فى الاخرة عند معاينة العذاب لاتقبل منهم (اولئك اعتدنا) اعددنا (لهم عذابا اليما مولما (يأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء أى ذاتهن (كرها) بالفتح والضم لغتان اى مكرهين على ذلك كانوا فى الجاهلية يرثون نساء اقربائهم فان شاؤا تزوجوها بلا صداق أو زوجوها وأخذوا صداقها أو عضلوها حتى تفتدى بما ورثته أو تموت فيرثوها فنهوا عن ذلك (ولا) ان (تعضلوهن) أى تمنعوا ازواجكم عن نكاح غيركم بامساكهن ولارغبة لكم فيهن ضرارا (لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن) من المهر (الأن يأتين بفاحشة مبينة)

ولعل الدين ايضا للاعمال (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات) استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعدما وضح له منهمك فى الضلال بعد عن الرشاد وقيل نفى وانكار له وذلك يقتضى ان لايقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على مافى ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فأصدق واكن اوحال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان (والله لايهدى القوم الظالمين) اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه (أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفى جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لايعرف الحق بعينه (خالدين فيها) فى اللعنة والعقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما (لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك) اى من بعد الارتداد (واصلحوا) ماافسدوا ويجوز ان لايقدر له مفعول بمعنى ودخلوا فى الصلاح (فان الله غفور) يقبل توبته (رحيم) يتفضل عليه وقيل انها نزلت فى الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان اسألوا هل لى من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا) كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوارة ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد بعد ماآمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون اوترجع اليه وتنافقه باظهاره (لن تقبل توبتهم) لانهم لايتوبون اولايتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قولها تغليظا فى شانهم وابراز الحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة اولان توبتهم لاتكون الانفاقا لالارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه (وأولئك هم الضالون) الثابتون على الضلال (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملئ الارض ذهبا) لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول

الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشئ مايملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف (ولو افتدى به) محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به فى الدنيا ولو افتدى به من العذاب فى الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا مافى الارض جميعا ومثله معه والمثل بحذف ويراد كثيرا الان المثلين فى حكم شئ واحد (اولئك لهم عذاب اليم) مبالغة فى التحذير واقناط لان من لايقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرر ما (ومالهم من ناصرين) فى دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق (لن تنالوا البر) اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير اولن تنالوا برالله الذى هو الرحمة والرضى والجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) اى من المال او مما يعمه وغيره كبذل الجاه فى معاونة الناس والبذل فى طاعة الله والمهجة فى سبيله روى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يارسول الله ان احب اموالى الى بيرحى فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذلك مال رابح اورائح وانى ارى ان تجعلها فى الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال زيد انما اردت ان اتصدق بها فقال عليه السلام ان الله قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الاية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ماتحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين (وما تنفقوا من شئ) اى من اى شئ محبوب اوغيره ومن لبيان ما (فان الله به عليم) فيجازيكم بحسبه (كل الطعام) اى المطعومات والمراد اكلها (كان حلا لبنى اسرائيل) حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لاهن حل لهم (الا ماحرم اسرائيل) يعقوب (على نفسه) كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفى لم يأكل احب الطعام اليه وان كان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة الاطباء واحتج به من جواز للنبى ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء (من قبل ان تنزل التوراة) اى من قبل انزالها مشتملة على تحريم عليهم لظلمهم وبغيهم

بفتح الياء وكسرها اى بينت اوهى بينة اى زنا او نشوز فلكم ان تضاروهن حتى يفتدين منكم ويختلعن (وعاشروهن بالمعروف) أى بالاجمال فى القول والنفقة والمبيت (فان كرهتموهن) فاصبروا (فعسى أن تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) ولعله يجعل فيهن ذلك بأن يرزقكم منهن ولدا صالحا (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) أى أخذها بدلها بأن طلقتموها (و قد أتيتم احداهن) أى الزوجات (قنطارا) مالا كثيرا صداقا (فلا تأخذوا منه شيأ أتأخذونه بهتانا) ظلما (واثما مبينا) بينا ونصبهما على الحال والاستفهام للتوبيخ وللانكار فى (وكيف تأخذونه) أى باى وجه (وقد افضى) وصل (بعضكم الى بعض) بالجماع المقرر للمهر (وأخذن منكم ميثاقا) عهدا (غليظا) شديدا وهو ماامر الله به من امساكهن بمعروف اوتسريحهن باحسان (ولا تنكحوا ما)

بمعنى من (نكح آباؤكم من النساء الا) لكن (ماقدسلف) من فعلكم ذلك فانه معفوعنه (انه) اى نكاحهن (كان فاحشة) قبيحا (ومقتا) سببا للمقت من الله وهو أشد البغض (وساء) بئس (سبيلا) طريقا ذلك (حرمت عليكم امهاتكم) أن تنكحوهن وشملت الجدات من قبل الاب والام (و بناتكم) وشملت بنات الاولاد وان سفلن (وأخواتكم) من جهة الاب اوالام (وعماتكم) اى اخوات آبائكم واجدادكم (وخالا تكم) أى أخوات امهاتكم وجداتكم (وبنات الاخ وبنات الاخت) ويدخل فيهن اولادهم (وامهاتكم اللاتى ارضعتكم) قبل استكمال الحولين خمس رضعات كما بينه الحديث (واخواتكم من الرضاعة) ويلحق بذلك بالسنة البنات منها وهن من أرضعتهن موطوأته والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت منها لحديث يحرم من الرضاع مايحرم من النسب رواه البخارى ومسلم (وامهات نسائكم وبارئبكم) جمع ربيبة وهى

عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود فى دعوى البرآءة عما نعى عليهم فى قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الايتان بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم و من بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول عليه السلام موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها (قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين) امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قدحرم عليهم بسبب ظلمهم مالم يكن محرما روى انى عليه السلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته (فمن افترى على الله الكذب) ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بنى اسرائيل ومن قبلهم (من بعد ذلك) من بعد مالزمتهم الحجة (فاولئك هم الظالمون) الذين لاينصفون من انفسهم و يكابرون الحق من بعد ما وضح لهم (قل صدق الله) تعريض بتكذيبهم اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابراهيم اومثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التى اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم ومن تبعه (وما كان من المشركين) فيه اشارة الى ان اتباعه واجب فى التوحيد الصرف والاستقامة فى الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود (ان اول بيت وضع للناس) اى وضع للعبادة وجعل متعبد الهم والواضع هو الله تعالى و يدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل (للذى ببكة) للبيت الذى ببكة وهى لغة فى مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هى موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه اومن بكه اذا دقه، فانها تبك اعناق الجبابرة روى انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس فى الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان فى موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح ويطوف به الملائكة فلما اهبط آدم امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع فى الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة

السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد به اول بيت لشرف لا بالزمان (مباركا) كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال (فيه آيات بينات) كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى (مقام ابراهيم) مبتدأ محذوف خبره اى منها مقام ابراهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانه من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة ففاصت فيه قدماه (ومن دخله كان آمنا) جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اى ومنها أمن من دخله او فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الايات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والأمن من العذاب يوم القيامة قال عليه السلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند ابي حنيفه من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجأ الى الخروج (ولله على الناس حج البيت) قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد (من استطاع اليه سبيلا) بدل من الناس بدل البعض من الكل مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي رضي الله تعالى عنه انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله تعالى انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل مأتى الى الشئ فهو سبيله (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه

بنت الزوجة من غيره (اللاتي في حجوركم) تربونها صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) اى جامعتموهن (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) في نكاح بناتهن اذا فارقتموهن (وحلائل) ازواج (ابنائكم الذين من اصلابكم) بخلاف من تبنيتموهم فلكم نكاح حلائلهم (وان تجمعوا بين الاختين) من نسب او رضاع بالنكاح ويلحق بهما بالسنة الجمع بينها وبين عمتها او خالتها يحوز نكاح كل واحدة على الانفراد وملكهما معا ويطأ واحدة (الا) لكن (ما قد سلف) في الجاهلية من نكاحكم بعض ماذكر فلا جناح عليكم فيه (ان الله كان غفورا) لما سلف منكم قبل النهي (رحيما) بكم في ذلك (و) حرمت عليكم (المحصنات) اى ذوات الازواج (من النساء) ان تنكحوهن قبل مفارقة ازواجهن حرائر مسلمات كن اولا (الا ما ملكت ايمانكم) من الاماء بالسبي فلكم وطؤهن وان كان لهن ازواج في دار

الحرب بعد الاستبراء (كتاب الله) نصب على المصدر أى كتب ذلك (عليكم وأحل) بالبناء للفاعل والمفعول (لكم ماوراء ذلكم) أى سوى ماحرم عليكم من النساء (ان تبتغوا) تطلبوا النساء (باموالكم) بصداق اوثمن (محصنين) متزوجين (غير مسافحين) زانين (فما) فمن (استمتعتم) تمتعتم (به منهن) ممن تزوجتم بالوطء (فاتوهن أجورهن) مهورهن التى فرضتم لهن (فريضة ولاجناح عليكم فيما تراضيتم) أنتم وهن (به من بعد الفريضة) من حطها أو بعضها أو زيادة عليها (ان الله كان عليما) بخلقه (حكيما) فيما دبره لهم (ومن لم يستطع منكم طولا) أى غنى لـ (ان ينكح المحصنات) الحرائر (المؤمنات) هو جرى على الغالب فلامفهوم له (فمما ملكت ايمانكم) ينكح (من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم) فاكتفوا بظاهره وكلوا السرائر اليه فانه العالم بتفضيلها ورب امة تفضل الحرة فيه وهذا تأييس بنكاح الاماء (بعضكم من بعض)

وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا اونصرانيا وقد أكد امر الحج فى هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه فى الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى فى رقاب الناس وتعميم الحكم اولا ثم تخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه فى هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وانعاب البدن صرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روى انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله عليه وسلم ارباب المال فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر (قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما (والله شهيد على ماتعملون) والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فمجازيكم عليها لاينفعكم التحريف والاستسرار (قل ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) كرر الخطاب والاستفهام مبالغة فى التقريع ونفى العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح فى نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم مابينهم فى الجاهلية من التعادى والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه (تبغونها عوجا) حال من الواو اى باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تخرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم (وانتم شهداء) انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال اوانتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم فى القضايا (وماالله بغافل عما تعملون) وعيد لهم ولما كان المنكر فى الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على

ماتعملون ولما كان فى هذه الآيه صدهم للمؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفون ويختالون فيه قال ومالله بغافل عما تعملون (يا ايها الذين امنوا ان تطيعو افريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) نزلت فى نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمربهم شأس بن قيس اليهودى فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ماقيل فيه وكان الظفر فى ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال ادعون الجاهلية وانابين اظهركم بعدان اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بين قلوبكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا فامع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهار الجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم (وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله) انكار وتعجيب لكفرهم فى حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر (ومن يعتصم بالله) ومن يتمسك بدينه اويلتجئ اليه فى مجامع اموره (فقد هدى الى صراط مستقيم) فقد اهتدى لامحالة (يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته) حق تقواه ومايجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله مااستطعتم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه هوان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها او فى هذا الامر تأكيد للنهى عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما فى تؤدة وتخمة والياء الفا (ولاتموتن الاوانتم مسلمون) اى ولاتكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادركتكم الموت فان النهى عن المقيد بحال اوغيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفى (واعتصموا بحبل الله) بدين الاسلام اوبكتابه لقوله عليه السلام القران حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة من الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردى

اى أنتم وهن سواء فى الدين فلا تستنكفوا من نكاحهن (فانكحوهن باذن اهلهن) مواليهن (وآتوهن) اعطوهن (اجورهن) مهورهن (بالمعروف) من غير مطل ونقص (محصنات) عفائف حال (غير مسافحات) زانيات جهرا (ولامتخذات) اخدان) اخلاء يزنون بهن سرا (فاذا احصن زوجن وفى قراءة بالتاء للفاعل تزوجن (فان آتين بفاحشة) زنا (فعليهن نصف ماعلى المحصنات) الحرائر الابكار اذا زنين (من العذاب) الحد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة ويقاس عليهن العبيد ولم يجعل الاحصان شرطا لوجوب الحد بل لافادة انه لارجم عليهن اصلا (ذلك) اى نكاح المملوكات عند عدم الطول (لمن خشى) خاف (العنت) الزنا واصله المشقة سمى به الزنا لانه سببها بالحد فى الدنيا والعقوبة فى الاخرة (منكم) بخلاف من لايخافه من الاحرار فلا يحل له نكاحها وكذا من استطاع طول حرة وعليه الشافعى

وخرج بقوله من فتياتكم المؤمنات الكافرات فلا يحل له نكاحها ولو عدم وخاف (وأن تصبروا) عن نكاح المملوكات (خير لكم) لئلا يصير الولد رقيقا (والله غفور رحيم) بالتوسعة فى ذلك (يريد الله ليبين لكم) شرائع دينكم و مصالح امركم (ويهديكم سنن) طرائق (الذين من قبلكم) من الانبياء فى التحليل والتحريم فتتبعوهم (ويتوب عليكم) يرجع بكم عن معصية التى كنتم عليها الى طاعته (والله عليم) بكم (حكيم) فيما دبره لكم (والله يريدان يتوب عليكم) كرره ليبنى عليه (ويزيد الذين يتبعون الشهوات) اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة (ان تميلوا ميلا عظيما) تعدلوا عن الحق بارتكاب ماحرم عليكم فتكونوا مثلهم (يريد الله ان يخفف عنكم) يسهل عليكم احكام الشرع (وخلق الانسان ضعيفا) لايصبر عن النساء والشهوات (ياايها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بالحرام فى الشرع كالربا

وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز (جميعا) مجتمعين عليه (ولاتفرقوا) ولاتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب اولا تفرقوا تفرقكم فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضا اولا تذكروا مايوجب التفرق ويزيل الالفة (واذكروا نعمة الله عليكم التى) من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدى الى التألف وزوال العل (اذ كنتم اعداء) فى الجاهلية متقابلين (فالف بين قلوبكم) بالاسلام (فاصبحتم بنعمة اخوانا) متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاءها الله بالاسلام والف بينهم برسوله صلى الله عليه وسلم (وكنتم على شفا حفرة من النار) مشفين على الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذلو ادرككم الموت فى تلك الحال لوقعتم فى النار (فانقذكم منها) بالاسلام او لضمير للحفرة اوللنار اوللشفا وتأنيثه لتأنيث مااضيف اليه اولانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو فى المذكر وحذفت فى المؤنث (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم آياته) دلائله (لعلكم تهتدون) ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض من فروض الكفاية ولانه يصلح له كل احد اذ للمتصدى له شروط لايشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لوتركوه رأسا واثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ماهو فرض كفاية اوللتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون بالمعروف كقوله تعالى كنتم خيرامة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى مافيه صلاح دينى اودنيوى وعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله (واولئك هم المفلحون) المخصوصون بكمال الفلاح روى انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال امرهم بالمعروف وانهام عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب مايؤمر به والنهى عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصى يجب عليه ان ينهى عما يرتكبه

لانه يجب عليه تركه وانكاره فلايسقط بترك احدهما وجوب الآخر (ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) كاليهود والنصارى اختلفوا فى التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ماعرفت (من بعد ماجاءهم البينات الآيات والحجج المبنية للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهى فيه مخصوص بالتفرق فى الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتى رحمة ولقوله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد (واولئك لهم عذاب عظيم) وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) نصب بمافى لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسوادكنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق بياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعى النور بين يديه ويمينه واهل الباطل باضداد ذلك (فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم) على ارادة القول اى فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون اواهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه اوجميع الكفار كفروا بعدما اقروا حين اشهدهم على انفسهم اوتمكنوا من الايمان بالنظر فى الدلائل الآيات (فذوقوا العذاب) امر اهانة (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم اوجزآء لكفركم (واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) يعنى الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره فى طاعة الله تعالى لايدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم (هم فيها خالدون) اخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون (تلك آيات الله) الواردة فى وعده ووعيده (نتلوها عليك بالحق) ملتبسة بالحق لاشبهة فيها (وما الله يريد ظلما للعالمين) اذيستحيل الظلم منه لانه لايحق عليه شئ فيظلم بنقصه ولايمنع عن شئ فظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال (ولله مافى السموات ومافى الارض والى الله ترجع الامور) فيجازى كلا بما وعده واوعد (كنتم خير امة) دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله تعالى * وكان الله غفورا رحيما * وقيل كنتم فى علم الله اوفى اللوح المحفوظ اوفيما بين الامم

والغصب (الا) لكن (ان تكون) تقع (تجارة) وفى قراءة بالنصب اى تكون الاموال اموال تجارة صادرة (عن تراض منكم) وطيب نفس فلكم ان تاكلوها (ولا تقتلوا انفسكم) بارتكاب مايؤدى الى هلاكها أياكان فى الدنيا اوالآخرة بقرينة (ان الله كان بكم رحيما) فى معنه لكم من ذلك (ومن يفعل ذلك) اى مانهى عنه (عدوانا) تجاوز اللحلال حال (وظلما) تاكيد (فسوف نصليه) ندخله (نارا) يحترق فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) هينا (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) وهى ماورد عليها وعيد كالقتل والزنا والسرقة وعن ابن عباس هى الى السبعمائة اقرب (نكفر عنكم سياتكم) الصغائر بالطاعات (وندخلكم مدخلا) بضم الميم وفتحها اى ادخالا او موضعا (كريما) هو الجنة (ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض) من جهة الدنيا اوالدين لئلا

المتقدمين (اخرجت للناس) اى اظهرت لهم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) استئناف بين به كونهم خيرامة اوخبر ثان لكنتم (وتؤمنون بالله) يتضمن الايمان بكل مايجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على الاجماع حجة لانها تقتضى كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذاللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك (ولو آمن اهل الكتاب) ايمانا كما ينبغى (لكان خيرالهم) لكان الايمان خيرالهم مماهم عليه (منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام واصحابه (واكثرهم الفاسقون) المتمردون فى الكفر وهذه الجملة والتى بعدها واردتان على سبيل الاستطراد (لن يضروكم الا اذى) ضررا يسيرا كطعن وتهديد (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) ينهزموا ولايضروكم بقتل واسر (ثم لاينصرون) ثم لايكون احد ينصرهم عليكم اويدفع بأسكم عنهم نفى اضرارهم سوى مايكون بقول وقرر ذلك بانهم لوقاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبربانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان قرئ لاينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخى فى المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التى وافقها الواقع اذكان كذلك حال قريضة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر (ضربت عليهم الذلة) هدر النفس والمال والاهل اوذل التمسك بالباطل والجزية (اينماثقفوا) وجدوا (الا بحبل من الله وحبل من الناس) استثناء من اعم عام الاحوال اى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال لامعتصمين اوملتبسين بذمة الله اوكتابه الذى آتاهم وذمة المسلمين اوبدينه الاسلام واتباع سبيل المؤمنين (وباؤا بغضب من الله) رجعوا به مستوجبين له (وضربت عليهم المسكنة) فهى محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود فى غالب الامر فقرآء مساكين (ذلك) اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبؤ بالغضب (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغيرحق) بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء والتقييد بغيرحق مع انه كذلك فى نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا (ذلك) اى الكفر والقتل (بما عصوا وكانوا يعتدون) بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضى

يؤدى الى التحاسد والتباغض (للرجال نصيب) ثواب (مما اكتسبوا) بسبب ماعملوا من الجهاد وغيره (وللنساء نصيب مما اكتسبن) من طاعة ازواجهن وحفظ فرجهن نزلت لما قالت أم سلمة ليتنا كنا رجالا فجاهدنا وكان لنا مثل اجر الرجال (واسئلوا) بهمزة ودونها (الله من فضله) ما احتجتم اليه يعطكم (ان الله كان بكل شئ عليما) ومنه محل الفضل وسؤالكم (ولكل) من الرجال والنساء (جعلنا موالى) عصبة يعطون (مما ترك الوا لدان والاقربون لهم من المال (والذين عاقدت) بالف ودونها (ايمانكم) جمع يمين بمعنى القسم أواليد أى الحلفاء الذين عاهد تموهم فى الجاهلية على النصرة والارث (فآتوهم) الآن نصيبهم) حظوظهم من الميراث وهو السدس ان الله كان على كل شئ شهيدا) مطلعا ومنه حالكم وهذا منسوخ بقوله وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض (الرجال

الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة فى الدنيا واستجلاب الغضب فى الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا (ليسوا سواء) فى المساوى والضمير لاهل الكتاب (من اهل الكتاب امة قائمة) استئناف لبيان نفى الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) يتلون القرآن فى تهجدهم عبر منه بالتلاوة فى ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ فى المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى انه عليه الصلاة والسلام أخرها ثم خرج فاذ الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات) صفات أخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين فى الليل مشركون بالله ملحدون فى صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف وصفه مداهنون فى الاحتساب متباطئون عن الخيرات (واولئك من الصالحين) اى الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه (ما يفعلوا من خير فلن يكفروه) فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعدية الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائى وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء (والله عليم بالمتقين) بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ) من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا (واولئك اصحاب النار) ملازموها (هم فيها خالدون مثل ما ينفقون) ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا (فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر) برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو فى الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك بردبارد (اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم) بالكفر والمعاصى (فاهلكته) عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه بحرث كفار ضربته صرفاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما فى الدنيا والآخرة

قوامون) مسلطون (على النساء) يؤدبونهن ويأخذون على ايديهن (بما فضل الله بعضهم على بعض) اى بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك (وبما انفقوا) عليهن (من اموالهم فالصالحات) منهن (قانتات) مطيعات لازواجهن (حافظات للغيب) أى لفروجهن وغيرها فى غيبة ازواجهن (بما حفظ) هن (الله) حيث أوصى عليهن الازواج (واللاتى تخافون نشوزهن عصيانهن لكم بأن ظهرت اماراته (فعظوهن) فخوفوهن الله (واهجروهن فى المضاجع) اعتزلوا الى فراش آخر ان أظهرن النشوز (واضربوهن) ضربا غير مبرح ان لم يرجعن بالهجران (فان أطعنكم) فيما يراد منهن (فلا تبغوا) تطلبوا (عليهن سبيلا) طريقا الى ضربهن ظلما (ان الله كان عليا كبيرا) فاخذروه ان يعاقبكم ان ظلمتموهن (وان خفتم) علمتم (شقاق) خلاف

وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يقل بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث (وماظلمهم ولكن انفسهم يظلمون) اى ماظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتدبها اوماظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ماستحقوا به العقابة وقرئ ولكن اى ولكن انفسهم يظلمونها ولايجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لايحذف الافى ضرورة الشعر كقوله* لكن من يبصر جفونك يعشق* (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة) وليجة وهو الذى يعرفه الرجل اسرار ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار وقال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار الناس دثار (من دونكم) من دون المسلمين وهو متعلق بلاتتخذوا او بمحذوف وهو صفة بطانة اى بطانة اى كائنة من دونكم (لايألونكم خبالا) اى لايقصرون لكم فى الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف وعدى الى مفعولين كقولك لاآلوك نصحا عن تضمين معنى المنع او النقص (ودوا ماعنتم) تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية (قد بدت البغضاء من افواههم) اى فى كلامهم لانهم لايتمالكون انفسهم لفرط بغضهم (وماتخفى صدورهم اكبر) مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار (قد بينا لكم الآيات) الدلالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين وبمعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) مابين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان تكون الثلاث الاول صفات لبطانة (هاانتم اولاء تحبونهم ولايحبونكم) اى انتم اولاء الخاطئون فى موالاة الكفار وتحبونهم ولايحبونكم بيان لخطأهم فى موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر لأنتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل مضمر يفسره مابعده وتكون الجملة خبرا (وتؤمنون بالكتاب كله) بجنس الكتاب كله وهو حال من لايحبونكم والمعنى انهم لايحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لايؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) نفاقا وتغريرا (واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به (ان الله عليم بذات الصدور) فيعلم

(بينهما) بين الزوجين ولاضافة للاتساع اى شقاقا بينهما (فابعثوا) اليهما برضاهما (حكما) رجلا عدلا (من أهله) اقاربه (وحكما من اهلها) ويوكل الزوج حكمه فى طلاق وقبول عوض عليه وتوكل هى حكمها فى الاختلاع فيجتهدان ويأمر ان الظالم بالرجوع اويفرقان ان راياه قال تعالى (ان يريدا) أى الحكمان (اصلاحا يوفق الله بينهما) بين الزوجين اى يقدر هما على ماهو الطاعة من اصلاح أوفراق (ان الله كان عليما) بكل شئ (خبيرا) بالبواطن كالظواهر (واعبدوا الله) وحدوه (ولاتشركوا به شيأ) احسنوا (بالوالدين احسانا) بر اولين جانب (وبذى القربى) القرابة (واليتامى والمساكين والجار ذى القربى) القريب منك فى الجوار او النسب (والجار الجنب) البعيد عنك فى الجوار او النسب (والصاحب بالجنب) الرفيق فى سفر او صناعة وقيل الزوجة (وابن

مافى صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول وقل لهم ان الله عليم بماهو اخفى مما تخفون من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعى اياك على اسرارهم فانى عليم بالاخفى من ضمائرهم (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) بيان لتناهى عداوتهم الى حد حسدوا مانالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة (وان تصبروا على عداوتهم اوعلى مشاق التكاليف (وتتقوا) موالاتهم اوما حرم الله جل جلاله عليكم (لايضركم كيدهم شيأ) بفضل الله عزوجل وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد فى الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الحصم وضمة الراء للاتباع كضمة مدوقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لايضركم من ضاره يضيره (ان الله بما تعملون) من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) اى محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اى بما يعملون فى عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه (واذ غدوت) اى واذكر اذ غدوت (من اهلك) اى من حجرة عائشة رضى الله عنها (تبوئ المؤمنين) تنزلهم اوتسوى وتهيئ لهم ويؤيده القرآءة باللام (مقاعد للقتال) مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى فى مقعد صدق وقوله تعالى قبل تقوم من مقامك (والله سميع) لاقوالهم (عليم) بنياتكم روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثانى عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار الرسول عليه السلام اصحابه وقد دعا عبدالله ابن ابى بن سلول ولم يدعه من قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يارسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رأيت فى منامى بقرة مذبوحة حولى فاولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فأولته هزيمة ورأيت كانى ادخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدآئنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يارسول الله مارأيت فقال

السبيل) المنقطع فى سفره (وماملكت ايمانهم) من الارقاء (ان الله لايحب من كان مختالا) متكبرا (فخورا) على الناس بما اوتى (الذين) مبتدأ (يبخلون) بما يجب عليهم (ويأمرون الناس بالبخل) به (ويكتمون ماآتاهم الله من فضله) من العلم والمال وهم اليهود وخبر المبتدا لهم وعيد شديد (واعتدنا للكافرين) بذلك وبغيره (عذابا مهينا) ذا اهانة (والذين) عطف على الذين قبله (ينفقون أموالهم رئاء الناس) امرئين لهم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) كالمنافقين واهل مكة (ومن يكن الشيطان له قرينا) صاحبا يعمل بأمره كهؤلاء (فساء) بئس (قرينا) هو (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله) اى اى ضرر عليهم فى ذلك والاستفهام للانكار ولو مصدرية اى لاضرر فيه وانما الضرر فيما هم عليه (وكان الله عليما) فيجازيهم بما عملوا (ان الله

لاينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل بعدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفوفهم وامر عبدالله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لايأتونا من ورائنا (اذهمت) متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت (طائفتان منكم) بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر (ان تفشلا) ان تجبنا وتضعفا روى انه عليه السلام خرج في زهاء ألف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط اخذل ابن ابي في ثلاثمائة رجل وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فاتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر انه ماكانت عزيمة لقوله تعالى (والله وليهما) اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فالهما تفشلان (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) اي فليتوكلوا عليه ولايتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر (ولقد نصركم الله ببدر) تذكير ببعض ماافادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به (وانتم اذلة) حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح (فاتقوا الله) في الثبات (لعلكم تشكرون اما انعم به عليكم بتقواكم من نصرة او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه (اذتقول للمؤمنين) ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم كان يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة (الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) انكار ان لايكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر الوا لف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج (بلى) ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال (ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم) اي المشركون (من فورهم هذا) من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير

لايظلم) احدا (مثقال) وزن (ذرة) اصغر نملة بان ينقصها من حسناته او يزيدها في سيآته (ولن تك) الذرة (حسنة) من مؤمن وفي قراءة بالرفع فكان تامة (يضاعفها) من عشر الى اكثر من سبعمائة وفي قراءة يضعفها بالتشديد (ويؤت من لدنه) من عنده مع المضاعفة (اجرا عظيما) لايقدر أحد (فكيف) حال الكفار (اذا جئنا من كل امة بشهيد) يشهد عليها بعملها وهو نبيها (وجئنا بك) يامحمد (على هؤلاء شهيدا يومئذ) يوم المجيء (يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو) اي ان (تسوى) بالبناء للمفعول والفاعل مع حذف احدى التاءين في الاصل ومع ادغامها لاالسين اي تتسوى (بهم الارض) بأن يكونوا ترابا مثلها لعظم هوله كما في آية اخرى ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا (ولا يكتمون الله حديثا) عما عملوه وفي وقت آخر يكتمونه ويقولون والله ربنا ما كنا

للسرعة ثم اطلق للحال التى لاريث فيها ولا تراخى والمعنى ان يأتوكم فى الحال (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فى حال اتيانهم بلا تراخ ولاتأخير (مسومين) معلمين من التسويم الذى هو اظهار سيما الشئ لقوله عليه الصلاة والسلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قدتسومت اومرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثيروابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو (وماجعله الله) وماجعل امدادكم بالملائكة (الابشرى لكم) الابشارة لكم بالنصر (ولتطمئن قلوبكم به) ولتسكن اليه من الخوف (وما النصر الامن عندالله) لامن العدة والعدد وهو تنبيه على انه لاحاجة فى نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدلهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحيث على ان لايبالو بمن تأخر عنهم (العزيز) الذى لايغالب فى اقضيته (الحكيم) الذى ينصر ويخذل بوسط وغيروسط على مقتضى الحكمة والمصلحه (ليقطع طرفا من الذين كفروا) متعلق بنصركم اوما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم يقتل بعض واسر آخرين وهو ماكان يوم بدر من قتل سبعين واسرسبعين من صاديدهم (اويكبتهم) اويخزيهم والكبت شدة الغيظ او وهن يقع فى القلب واو للتنويع دون الترديد (فينقلبوا خائبين) فينهزموا منقطعى الآمال (ليس لك من الامر شئ) اعتراض (اويتوب عليهم اويعذبهم) عطف على قوله اويكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم اويكبتهم اويتوب عليهم انا سلموا اويعذبهم انا صروا وليس لك من امرهم شئ وانما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر اوشئ باضمار ان اى ليس لك من امرهم اومن التوبة عليهم اومن تعذيبهم شئ اوليس لك من امرهم شئ اوالتوبة عليهم اوتعذيبهم وان يكون اوبمعنى الا ان ليس لك من امرهم شئ الا ان يتوب الله عليهم فنسربه اويعذبهم فتشفى منهم وروى ان عتبة بن ابى وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن (فانهم ظالمون) قداستحقوا التعذيب بظلمهم (ولله مافى السموات ومافى الارض) خلقا وملكا فله الامر كله (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) صريح

مشركين (يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) اى لاتصلوا (وانتم سكارى) من الشراب لان سبب نزولها صلاة جماعة فى حال السكر (حتى تعلموا ماتقولون) بأن تصحوا (ولاجنبا) بايلاج او انزال ونصبه على الحال وهو يطلق على المفرد وغيره (الا عابرى) مجتازى (سبيل) طريق اى مسافرين (حتى تغتسلوا) فلكم ان تصلوا واستثناء المسافر لان له حكما آخر سيأتى وقيل المراد النهى عن قربان مواضع الصلاة اى المساجد الاعبورها من غيرمكث (وان كنتم مرضى) مرضا يضره الماء (اوعلى سفر) اى مسافرين وانتم جنب اومحدثون (اوجاء احد منكم من الغائط) هو المكان المعد لقضاء الحاجة اى احدث (اولامستم النساء) وفى قرءة بلا الف وكلاهما بمعنى اللمس وهو الجس باليد قاله ابن عمر وعليه الشافعى والحق به الجس بباقى البشرة وعن ابن عباس هو الجماع (فلم تجدوا ماء)

تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش وهو راجع الى ماعدا المرضى (فتيمموا) اقصدوا بعد دخول الوقت (صعيدا طيبا) ترابا طاهرا فاضربوا به ضربتين (فامسحوا بوجوهكم وايديكم) مع المرافقين منه ومسيح يتعدى بنفسه وبالحرف (ان الله كان عفوا غفورا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا) حظا (من الكتاب) وهم اليهود (يشترون الضلالة) بالهدى (ويريدون ان تضلوا السبيل) تخطئوا طريق الحق لتكونوا مثلهم والله اعلم باعدائكم (منكم يخبركم بهم لتجتنبوهم (وكفى بالله وليا) حافظا لكم منهم (وكفى بالله نصيرا) مانعا لكم من كيدهم (من الذين هادوا) قوم (يحرفون) يغيرون (الكلم) الذى أنزل الله فى التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم (عن مواضعه) التى وضع عليها (ويقولون) للنبى صلى الله عليه وسلم اذا امرهم بشئ (سمعنا) قولك

فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى له (والله غفور رحيم) لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم (يا ايها الذين أمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة) لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربى الى اجل ثم يزيد فيه بزيادة اخرى حتى يستغرق بالشئ الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة (واتقوا الله) فيما نهيتم عنه (لعلكم تفلحون) راجين الفلاح (واتقوا النار التى اعدت للكافرين) بالتحرز عن متابعتهم وتعاطى افعالهم وفيه تنبيه على النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة (واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة ولعل وعسى فى امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ماجعل خبر اله (وسارعوا) بادروا وأقبلوا (الى مغفرة من ربكم) الى مايستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو (وجنة عرضها السموات والارض) اى عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لان دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض (اعدت للمتقين) هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم (الذين ينفقون) صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع (فى السراء والضراء) فى حالتى الرخاء والشدة او لاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مضرة او مضرة والمعنى لا يخلون فى حال ما بانفاق ماقدروا عليه من قليل او كثير (والكاظمين الغيظ) الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملاء الله قلبه امنا وايمانا (والعافين عن الناس) التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبى عليه الصلاة والسلام ان هؤلاء فى امتى قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت (والله يحب المحسنين) يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء او العهد فتكون الاشارة اليهم (والذين اذا فعلوا فاحشة) فعلة بالغة فى القبح كالزنى (او ظلموا انفسهم) بان اذنبوا اى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة مايتعدى وظلم النفس ماليس كذلك (ذكروا الله) تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم (فاستغفروا لذنوبهم) بالندم والتوبة (ومن يغفر الذنوب الا الله) استفهام بمعنى

النفى

النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة (ولم يصروا على مافعلوا) ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة (وهم يعلمون) حال من يصروا اى ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به (اولئك جزآؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطف على المتقين اوعلى الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لايدخلها المصرون كما لايلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لايدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان مالهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله (ونعم اجر العاملين) لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض مافوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزآء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعنى المغفرة والجنات (قدخلت من قبلكم سنن) وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال « ماعاين الناس من فضل كفضلكمو * ولارأوا مثله في سالف السنن » (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) اشارة الى قوله قدخلت او مفهوم قوله فانظروا اى انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين اوالى ماالخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن (ولاتهنوا ولاتحزنوا) تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لاتضعفوا عن الجهاد بما اصابكم وتحزنوا على من قتل منكم (وانتم الاعلون) وحالكم انكم اعلى منهم شأنا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار اولانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم اوانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة

(وعصينا) امرك (واسمع غير مسمع) حال بمعنى الدعاء اى لاسمعت (و) يقولون له (راعنا) وقد نهى عن خطابه بها وهى كلمة سب بلغتهم (ليا) تحريفا (بالسنتهم وطعنا) قدحا (في الدين) الاسلام (ولوانهم قالوا سمعنا واطعنا) بدل وعصينا (واسمع) فقط (وانظرنا) انظر الينا بدل راعنا (لكان خيرا لهم) مما قالوه (و قوم) اعدل منه (ولكن لعنهم الله) ابعدهم عن رحمته (بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) منهم كعبد الله بن سلام واصحابه (ياايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا) من القرآن (مصدقا لما معكم) من التوراة (من قبل ان نطمس وجوها) نمحو مافيها من العين والانف والحاجب (فنردها على ادبارها) فنجعلها كالاقفاء لوحا واحدا (اونلعنهم) نمسخهم قردة (كما لعنا) مسخنا (اصحاب السبت) منهم (وكان امر الله) قضاؤه (مفعولا) ولما نزلت اسلم عبدالله بن سلام

لهم بالنصر والغلبة (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالنهى اى لاتهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضى قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون (ان يمسسكم قرح فقدمس القوم قرح مثله) قرأ حمزة والكسائى وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لاتضعفوا فانكم ترجون من الله مالا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم (وتلك الايام نداولها بين الناس) نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا * ويوم نساء ويوم نسر * والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشئ بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر وتداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة (وليعلم الله الذين آمنوا) عطف على علة محذوفة اى نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان لعلة فيه غير واحدة وان مايصيب المؤمن فيه المصالح مالايعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد فى امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزآء وهو العلم بالشئ موجودا (ويتخذ منكم شهداء) ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احدا ويتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد (والله لايحب الظالمين) الذين يضمرون خلاف مايظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لاينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين (وليمحص الله الذين آمنوا) ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم (ويمحق الكافرين) ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشئ قليلا قليلا (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) بل احسبتم ومعناه الانكار (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ولما تجاهدوا وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون (ويعلم الصابرين) نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كأنه قال

فقيل كان وعيدا بشرط فلما اسلم بعضهم رفع وقيل يكون طمس ومسخ قبل قيام الساعة (ان الله لايغفر ان يشرك) اى الاشراك (به ويغفر مادون) سوى (ذلك من الذنوب (لمن يشاء) المغفرة له بان يدخله الجنة بلا عذاب ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما) ذنبا (عظيما) كبيرا (الم تر الى الذين يزكون انفسهم) وهم اليهود حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه اى ليس الامر بتزكيتهم انفسهم (بل الله يزكى) يطهر (من يشاء) بالايمان (ولا يظلمون) ينقصون من اعمالهم (فتيلا) قدر قشرة النواة (انظر) متعجبا (كيف يفترون على الله الكذب) بذلك (وكفى به اثما مبينا) بينا ❊ ونزل فى كعب بن الاشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر وحرضوا المشركين على الاخذ بثاوهم ومحاربة النبى صلى الله عليه وسلم (الم تر

ولما تجاهدوا وانتم صابرون (ولقد كنتم تمنون الموت) اى الحرب فانها من اسباب الموت اوالموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا مانال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج (من قبل ان تلقوه) ماقبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتموه وانتم تنظرون) اى فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على الشهادة فان فى تمنيها تمنى غلبة الكفار (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) فيخلوا كما خلوا بالموت او القتل (أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت اوقتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روى انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبى عليه السلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه السلام يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابى يأخذ لنا امانا من ابى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس ابن النضر عم انس بن مالك ياقوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى لايموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ماقاتل عليه ثم قال اللهم انه اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) بارتداده بل يضر نفسه (وسيجزى الله الشاكرين) على نعمة الاسلام بالثبات عليه كأنس واضرابه (وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله) الا بمشيئة الله تعالى او باذنه لملك الموت عليه السلام فى قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه تعالى وقضائه لايستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال واقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتأخير الاجل (كتابا) مصدر مؤكد اذالمعنى كتب الموت الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) صنمان لقريش (ويقولون للذين كفروا) ابى سفيان واصحابه حين قالوا لهم انحن اهدى سبيلا ونحن ولاة البيت نسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك العانى ونفعل ام محمد وقد خالف دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم (هؤلاء) آى انتم (اهدى من الذين آمنوا سبيلا) اقوم طريقا (اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن (الله فلن تجد له نصيرا) مانعا من عذابه (ام) بل (لهم نصيب من الملك) اى ليس لهم شئ منه ولو كان فاذا لايؤتون الناس نقيرا) اى شيأ تافها قدر النقرة فى ظهر النواة لفرط بخلهم (ام) بل (يحسدون الناس) اى النبى صلى الله عليه وسلم (على ماآتاهم الله من فضله) من النبوة وكثرة النساء اى يتمنون زواله عنه ويقولون لو كان نبيا لاشتغل عن النساء (فقد آتينا آل ابراهيم) جده كموسى وداود وسليمان (الكتاب والحكمة

كتابا (مؤجلا) صفة له اى موقتا لا يتقدم ولا يتأخر (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهزوا المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) اى من ثوابها (وسنجزى الشاكرين) الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ عن الجهاد (وكأين) اصله اى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت فى الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ﴿ كما عن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملى فى لعمرى فصار كيأن ثم حذف الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائى (من نبى) بيان له (قاتل معه ربيون كثير) بانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربى منسوب الى ربة وهى الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيو او ضمير النبى ومعه ربيون حال منه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر (فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله) فما فتروا ولم ينكسر حدتهم لما اصابهم من قتل النبى او بعضهم (وما ضعفوا) عن العدو وفى الدين (وما استكانوا) وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان تكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند ارجاف بقتله عليه الصلاة والسلام (والله يحب الصابرين) فينصرهم ويعظم قدرهم (وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) اى وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم فى الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت فى مواطن الحرب لله والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبر الا ان قالوا عرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ

النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) فكان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان الف ما بين حرة وسرية (فمنهم من آمن به) بمحمد صلى الله عليه وسلم (ومنهم من صد) اعرض (عنه) فلم يؤمن (وكفى بجهنم سعيرا) عذابا لمن لا يؤمن (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم) ندخلهم (نارا) يحترقون فيها (كلما نضجت) احترقت (جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) بأن تعاد الى حالها الاول غير محترقة (ليذوقوا العذاب) ليقاسوا شدته (ان الله كان عزيزا) لا يعجزه شئ (حكيما) فى خلقه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة) من الحيض وكل قذر (وندخلهم ظلا ظليلا) دائما لا تنسخه شمس هو ظل الجنة (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات) اى ما اؤتمن عليه من الحقوق (الى اهلها) نزلت لما اخذ على رضى الله عنه مفتاح

الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر فى الدنيا والجنة والنعيم فى الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عند الله (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين) نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا الى سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام فى مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم (بل الله مولاكم) ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم (وهو خير الناصرين) فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) يريد ما قذف فى قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب فى قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائى ويعقوب بالضم على الاصل فى كل القرآن (بما اشركوا بالله) بسبب اشراكهم به (ما لم ينزل به سلطانا) اى آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليه به سلطانا وهو نقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان (ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) اى مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل (ولقد صدقكم الله وعده) اى وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالنبل والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم (اذ تحسونهم بأذنه) تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه (حتى اذا فشلتم) جبنتم وضعف رأيكم اوملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل (وتنازعتم فى الامر) يعنى اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم فى نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله (وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون) من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم (منكم من يريد الدنيا) وهم النار كون المركز للغنيمة (ومنكم من يريد الآخرة) الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبى سادنها قسر الما قدم النبى صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح ومنعه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بردة اليه وقال هاك خالدة تالده فعجب من ذلك فقرأ له على الآية فاسلم واعطاه عند موته لاخيه شيبة فبقى فى ولده والآية وان وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع (واذا حكمتم بين الناس) يامركم (ان تحكموا بالعدل ان الله نعما) فيه ادغام ميم نعم فى ما النكرة الموصوفة اى نعم شيأ (يعظكم به) تادية الامانة والحكم بالعدل (ان الله كان سميعا) لما يقال (بصيرا) بما يفعل (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى) اصحاب (الامر) اى الولاة (منكم) اذا امروكم بطاعة الله ورسوله (فان تنازعتم) اختلفتم (فى شئ فردوه الى الله اى الى كتابه (والرسول) مدة حياته وبعده الى سنته اى اكشفوا عليه منهما (ان كنتم تؤمنون

وهم الثابتون محافظة على امر الرسول عليه السلام (ثم صرفكم عنهم) ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم (ليبتليكم) على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها (ولقد عفا عنكم) تعضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة (والله ذو افضل على المؤمنين) يتفضل عليهم بالعفو او فى الاحوال كلها سوآء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة (اذ تصعدون) متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا لاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد) ولا يقف احد لاحد ولا ينتظره (والرسول يدعوكم) كان يقول الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله من يكرفله الجنة (فى اخراكم) فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى (فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما اصابكم) عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم او فجازاكم غما بسبب غم اذ قتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر فى الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لامزيدة والمعنى لتأسفوا على مافاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير فى فاثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اى فآساكم فى الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على مافاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة (والله خبير بما تعملون) عالم باعمالكم وبما قصدتم بها (ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا) انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابى طلحة غشينا النعاس فى المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوى امنة على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن (يغشى طائفة منكم) اى الناس وقرأ حمزة والكسائى بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا (وطائفة) هم المنافقون (قد اهمتهم انفسهم) اوقعتهم انفسهم فى الهموم او ما همهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على

بالله واليوم الآخر ذلك) اى الرد اليهما (خير) لكم من التنازع والقول بالرأى (واحسن تأويلا) مآلا * ونزل لما اختصم يهودى ومنافق فدعا الى كعب بن الاشرف ليحكم بينهما ودعا اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم فاتياه فقضى لليهودى فلم يرض المنافق واتيا عمر فذكر له اليهودى ذلك فقال للمنافق اكذلك فقال نعم فقتله (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت) الكثير الطغيان وهو كعب ابن الاشرف (وقد امروا ان يكفروا به) ولا يوالوه (ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا) عن الحق (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله) فى القرآن من الحكم (والى الرسول) ليحكم بينكم (رأيت المنافقين يصدون) يعرضون (عنك) الى غيرك (صدودا فكيف) يصنعون (اذا اصابتهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت ايديهم)

وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها (يقولون) اى الرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون (هل لنا من الامر من شئ) هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابى بقتل بنى الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيار فلم يبق لنا من الامر شئ اوهل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ (قل ان الامر كله لله) اى الغلبة الحقيقية لله تعالى واوليائه فان حزب الله هم الغالبون اذا لقضاء له يفعل مايشاء ويحكم مايريد وهو اعتراض وقرا ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء (يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك) حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصرة مبطنين الانكار والتكذيب (يقولون) اى فى انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استئناف على وجه البيان له (ولو كان لنا من الامر شئ) كما وعد محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأى ابن ابى وغيره (ما قتلنا ههنا ما غلبنا ولما قتل من قتل منا فى هذه المعركة (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) اى لخروج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفعهم الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها فى سابق قضائه لا معقب لحكمه (وليبتلى الله مافى صدوركم) وليمتحن الله مافى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اى وفعل ذلك ليبتلى او عطف على محذوف اى لبرز لنفاذ القضاء اولمصالح جمة اوللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا (وليمحص مافى قلوبكم) وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس (والله عليم بذات الصدور) بخفيا تها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمييز المؤمنين واظهار حال المنافقين (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) يعنى ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب فى انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بالمخالفة النبى صلى الله عليه وسلم بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة فمنعوا التأييد وقوة القلب من الكفر والمعاصى اى ايقدرون على الاعراض والفرار منها لا (ثم جاؤك) معطوف على يصدون (يحلفون بالله ان ما اردنا) بالمحاكمة الى غيرك (الا احسانا) صلحا (وتوفيقا) تأليفا بين الخصمين بالتقريب فى الحكم دون الحمل على مر الحق (اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق وكذبهم فى عذرهم (فاعرض عنهم) بالصفح (وعظهم) خوفهم الله (وقل لهم فى) شان (انفسهم قولا بليغا) مؤثرا فيهم اى ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع) فيما يأمر به ويحكم (باذن الله) بأمره لا ليعصى ويخالف (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) بتحاكمهم الى الطاغوت (جاؤك) تائبين (فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول) فيه التفات عن الخطاب تفخيما لشأنه (لوجدوا الله توابا) عليهم (رحيما) بهم (فلا وربك لا زائدة (لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر) اختلط (بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم

وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لايعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب (يا ايها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا) يعني المنافقين (وقالوا لاخوانهم) لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب (اذا ضربوا في الارض) اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة اوغيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية (اوكانوا غزى) جمع غاز كعاف وعفى (لوكانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا) مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا اولاتكونوا اى لاتكونوا امثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فلذلك اشارة الى مادل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى مادل عليه النهي اى لاتكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاءكونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم (والله يحيي ويميت) رد لقولهم اى هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد (والله بما تعملون بصير) تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا (ولئن قتلتم في سبيل الله اومتم) اى متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات (لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون) جواب القسم وهو ساد مسد الجزآء والمعنى ان السفر والغزآء ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فماتالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا منافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء (ولئن متم اوقتلتم) على اى وجه اتفق هلاككم (لالى الله تحشرون) لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لاالى غيره لامحالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر (فبما رحمة من الله لنت لهم) اى فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعدان خالفوه (ولوكنت فظا) سيئ الخلق جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك

حرجا) ضيقا اوشكا (مما قضيت) به (ويسلموا) يقبلوا دوالحكمك (تسليما) من غير معارضة (ولو انا كتبنا عليهم ان) مفسرة اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم) كما كتبنا على بني اسرائيل (مافعلوه) اى المكتوب عليهم (الا قليل) بالرفع على البدل والنصب على الاستثناء (منهم ولو انهم فعلوا مايوعظون به) من طاعة الرسول (لكان خيرا لهم واشد تثبيتا) تحقيقا لايمانهم (واذا) اى لو ثبتوا (لآتينا هم من لدنا) من عندنا (اجرا عظيما) هو الجنة (ولهديناهم) صراطا مستقيما) قال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم كيف نراك في الجنة وانت في الدرجات العلا ونحن اسفل منك فنزل (ومن يطع الله والرسول) فيما امر به (فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين) افاضل اصحاب الانبياء لمبالغتهم في الصدق والتصديق (والشهداء) القتلى في سبيل الله (والصالحين) غيرهم

ولم يسكنوا اليك (فاعف عنهم) فيما يختص بك (واستغفر لكم) فيما لله (وشاورهم في الامر) اى في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة (فاذا عزمت) فاذا وطنت نفسك على شئ بعد الشورى (فتوكل على الله) في امضاء امرك على ماهو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم فاذا عزمت لك على شئ وعينته لك فتوكل على ولا تشاور فيه احدا (ان الله يحب المتوكلين) فينصرهم ويهديهم الى الصلاح (ان ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا احد يغلبكم (وان يخذلكم) كما خذلكم يوم احد (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به (وما كان لنبي ان يغل) وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد منه اما برآءة الرسول عليه السلام عما اتهم به اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهى للرسول صلى الله عليه وسلم على ما روى انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يأت بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعنى تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى (وهم لا يظلمون) فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم (افمن اتبع رضوان الله) بالطاعة (كمن باء

ذكر (وحسن اولئك رفيقا) رفقاء في الجنة بان يستمتع فيها برؤيتهم والحضور معهم وان كان مقرهم في الدرجات العالية بالنسبة الى غيرهم (ذلك) اى كونهم مع من ذكر مبتدا خبره الفضل من الله) تفضل به عليهم لانهم نالوه بطاعتهم (وكفى بالله عليما) بثواب الاخرة اى فثقوا بما اخبركم به ولا ينبئك مثل خبير (يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم) من عدوكم اى احترزوا منه وتيقظوا له (فانفروا) انهضوا الى قتاله (ثبات) متفرقين سرية بعد اخرى (او انفروا جميعا) مجتمعين (وان منكم لمن ليبطئن) ليتأخرون عن القتال كعبد الله بن ابى المنافق واصحابه وجعله منهم من حيث الظاهر واللام في الفعل للقسم (فان اصابتكم مصيبة) كقتل وهزيمة (قال قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا) حاضرا فأصاب (ولئن) لام قسم (اصابكم فضل من الله) كفتح وغنيمة (ليقولن) نادما (كأن)

رجع (بسخط من الله) بسبب المعاصى (ومأواه جهنم وبئس المصير) الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع (هم درجات عند الله) شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب اوهم ذوو درجات والله بصير بما يعملون) عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها (لقد من الله على المؤمنين) انعم من امن مع رسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة الزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل منه اوبعته (اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم) من نسبهم اومن جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من أنفسهم اى من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونه. (يتلو عليهم آياته) اى القرآن بعدما كانوا جهالا لم تسمعوا الوحى (ويزكيهم) يطهرهم من دنس الطباع وسوء الاعتقاد والاعمال (ويعلمهم الكتاب والحكمة) اى القرآن والسنة (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) ان هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة اى وان الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ضلال ظاهر (اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا) الهمز للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة على ماسبق من قصة احد اوعلى محذوف مثل أفعلتم كذا وقلتم ولما طرفه المضاف الى أصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهى قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر (قل هو من عند انفسكم) اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة واختيار الخروج من المدينة وعن على رضى الله تعالى عنه باختياركم الفداء يوم بدر (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم (وما اصابكم يوم التقى الجمعان) جمع المسلمين وجمع الشركين يوم احد فباذن الله) فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذ نالانها من لوازمه (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) وليتميز المؤمنون والنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء (وقيل لهم) عطف على نافقوا داخل فى الصلة اوكلام مبتدأ (تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا) تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة اوللدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة

مخففة واسمها محذوف اى كأنه (لم يكن) بالياء والتاء (بينكم وبينه مودة) معرفة وصداقة وهذا راجع الى قوله قد أنعم الله على اعترض به بين القول ومقوله وهو (يا) للتنبيه (ليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما) آخذ حظا وافرا من الغنيمة قال تعالى (فليقاتل فى سبيل الله) لاعلاء دينه الذين يشرون) يبيعون (والحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل) يستشهد (اويغلب) يظفر بعدوه (فسوف نؤتيه اجرا عظيما) ثوابا جزيلا (ومالكم لاتقاتلون) استفهام توبيخ اولا مانع لكم من القتال (فى سبيل الله و) فى تخليص (المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وآذوهم قال ابن عباس رضى الله عنهما كنت انا وامى منهم (الذين يقولون) داعين يا (ربنا اخرجنا من هذه القرية) مكة (الظالم اهلها) بالكفر (واجعل لنا من لدنك) من

اواد فعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه (قالوا لونعلم قتالا لاتبعناكم) لونعلم مايصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ماانتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة اولو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزآء (هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان) لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذكان انخزالهم مقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين (يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم) يظهرون خلاف مايضمرون لاتواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصغير (والله اعلم بما يكتمون) من النفاق ومايخلوبه بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بأمارات (الذين قالوا) رفع بدلا من واو يكتمون اونصب على الذم اوالوصف للذين نافقوا اوجر بدلا من الضمير فى بافواههم اوقلوبهم كقوله * على جوده لضن بالماء حاتم (لاخوانهم) اى لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم اومن جنسهم (وقعدوا) حال مقدرة بقداى قالوا قاعدين عن القتال (لواطاعونا) فى العقود (ماقتلوا) كما لم نقتل وقرأ هشام ماقتلوا كما لم نقتل وقرأ هشام ماقتلوا بالتشديد فى التاء (قل فادرأوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن عن الموت فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود يكون سببا للنجاة فقديكون الامر بالعكس (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا) نزلت فى شهدآء احد وقيل فى شهدآء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اولكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول اومن يحسب اوالى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه فى الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين (بل احياء اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء (عند ربهم) ذو وازلفى منه (يرزقون) من الجنة وهو تأكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله تعالى لم تمنع بنعيم الجنة وايستبشرون) يسرون بالبشارة (بالذين لم يلحقوا بهم) اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا

عندك (وليا) يتولى امورنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يمنعنا منهم وقد استجاب الله دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج وبقى بعضهم الى ان فتحت مكة وولى صلى الله عليه وسلم عتاب بن اسيد فانصف مظلومهم من ظالمهم (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) الشيطان (فقاتلوا اولياء الشيطان) انصار دينه تغلبوهم لقوتكم بالله (ان كيد الشيطان) بالمؤمنين (كان ضعيفا) واهيا لا يقاوم كيد الله بالكافرين (الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم) عن قتال الكفار لما طلبوه بمكة لاذى الكفار لهم وهم جماعة من الصحابة (واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب) فرض (عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون) يخافون (الناس) الكفار اى عذابهم بالقتل (كخشية) هم عذاب الله اواشد خشية) من خشيتهم له ونصب اشد على الحال وجواب لما دل عليه اذا وما

فيلحقوا بهم (من خلفهم) اى الذين من خلفهم زمانا اورتبة (الا خوف عليهم ولاهم يحزنون) بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بماتبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا مانوا اوقتلوا كانوا احياء حياة لايكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لايفنى بخراب البدن ولايتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى فى آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وماروى ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال ارواح الشهداء فى اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل معلقة فى ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا به فى الحال لتحققه ودنوه اواحياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب فى الشهادة وبعث على اذياد الطاعة واجهاد لمن يتمنى لاخوانه مثل ماانعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح (يستبشرون) كرره للتأكيد وليعلق به ماهو بيان لقوله الاخوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم (بنعمة من الله) ثوابا لاعمالهم (وفضل) زيادة عليه كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لايضيع اجر المؤمنين) من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائى بالكسر على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم شعربان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة (الذين استجابوا لله والرسول من بعدما اصابهم القرح) صفة للمؤمنين اونصب على المدح اورفع مبتدأ خبره (للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم) بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روى ان اباسفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء فندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج فى طلبه وقال لايخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج عليه الصلاة والسلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهو على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لايفوتهم الاجر والقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت (الذين قال لهم الناس) يعنى الركب الذين استقبلهم من عبد قيس اونعيم بن مسعود الاشجعى واطلق

بعدها اى فاجأهم الخشية (وقالوا) جزعا من الموت (ربنا لم كتبت علينا القتال لولا) هلا (اخرتنا الى اجل قريب قل) لهم (متاع الدنيا) ما يتمتع به فيها اوالاستمتاع بها (قليل) آيل الى الفناء (والآخرة) اى الجنة (خير لمن اتقى) عقاب الله بترك معصيته (ولا تظلمون) بالتاء والياء تنقصون من اعمالكم (فتيلا) قد قشرة النواة فجاهدوا (اينما تكونوا يدرككم الموت ولوكنتم فى بروج) حصون (مشيدة) مرتفعة فلا تخشوا القتال خوف الموت (وان تصبهم) اى اليهود (حسنة) خصب وسعة (يقولون اهذه من عند الله وان تصبهم سيئة جدب وبلاء كما حصل لهم عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة (يقولوا هذه من عندك) يامحمد اى بشؤمك (قل) لهم (كل) من الحسنة والسيئة (من عند الله) من قبله (فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون) اى

عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله الافرس واحد اولانه الضم اليه ناس من المدينه واذاعوا كلامه (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) يعنى اباسفيان واصحابه روى انه نادى عند انصرافه من احد يامحمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام انشاء الله تعالى فلما كان القابل خرج فى اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب فى قلبه وبداله ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لنى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احد الاشريداً فترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فقتروفقال عليه السلام والذى نفسى بيده لاخرجن ولم يخرج معى واحد فخرج فى سبعين راكباوهم يقولون حسبنا الله (فزادهم ايمانا) الضمير المستكن للمقول اوالمصدر قال اولفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يارسول الله الايمان يريد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج (وقالوا حسبنا الله) محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لايستفيد بالاضافة تعريفا فى قولك هذا رجل حسبك (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو (فانقلبوا) فرجعوا من بدر (بنعمة من الله) عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه (وفضل) ربح فى التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا (لم يمسسهم سوء) من جراحة وكيد عدو (واتبعوا رضوان الله) الذى هو مناط الفوز بخيرالدارين بجراءتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب فى الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل مايسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه تعالى وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه مافازوا به (انما ذلكم الشيطان) يريد به المثبط نعيما واباسفيان والشيطان خبر لايقارون ان يفهموا (حديثا) يلقى اليهم وما استفهام تعجيب من فرط جهلهم ونفى مقاربة الفعل اشد من نفيه (اصابك) ايها الانسان (من حسنة) خير (فمن الله) اتاك فضلا منه (وما اصابك من سيئة) بلية (فمن نفسك) اتتك حيث ارتكبت مايستوجبها من الذنوب (وارسلناك) يامحمد (للناس رسولا) حال مؤكدة (وكفى بالله شهيدا) على رسالتك (من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى) اعرض عن طاعته فلا يهمنك (فما ارسلناك عليهم حفيظا) حافظا لاعمالهم بل نذيرا والينا امرهم فنجازيهم وهذا قبل الامر بالقتال (ويقولون) اى المنافقون اذا جاؤك امرنا (طاعة) لك (فاذا برزوا) خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم) بادغام التاء فى الطاء وتركه اى اضمرت (غير الذى تقول لك فى حضورك من الطاعة اى عصيانك (والله يكتب) يأمر بكتب (مايبيتون)

في صحائفهم ليجازوا عليه (فاعرض عنهم) بالصفح (وتوكل على الله) تق به فانه كافيك (وكفى بالله وكيلا) مفوضا اليه (افلا يتدبرون) يتأملون (القرآن) ومافيه من المعانى البديعة (ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) تناقضا فى معانيه وتباينا فى نظمه (واذا جاءهم امر) عن سرايا النبى صلى الله عليه وسلم بما حصل لهم (من الامن) بالنصر (اوالخوف) بالهزيمة (اذاعوابه) افشوه نزل فى جماعة من المنافقين اوفى ضعفاء المؤمنين كانوا يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبى (ولوردوه) اى الخبر (الى الرسول والى اولى الامر منهم) اى ذوى الراى من اكابر الصحابة اى لوسكتوا عنه حتى يخبروابه (لعلمه) هل هو مما ينبغى ان يذاع اولا (الذين يستنبطونه) يتتبعونه ويطلبون علمه وهم المذيعون (منهم) من الرسول واولى الامر (ولولا فضل الله عليكم) بالاسلام

ذلكم ومابعده بيان لشيطنته اوصفته ومابعده خبره ويجوزان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اى انماذلكم قول الشيطان يعنى ابليس عليه اللعنة (يخوف اولياءه) القاعدين عن الخروج مع الرسول اويخوفكم اولياءه الذين هم ابوسفيان او اصحابه (فلاتخافوهم) الضمير للناس الثانى على الاول والى الاولياء على الثانى (وخافون) فى مخالفة امرى فجاهدوا مع رسولى (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى ايثار خوف الله على خوف الناس (ولايحزنك الذين يسارعون فى الكفر) يقفون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين اوقوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لايحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله (انهم لن يضروا الله شيئا) اى لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاى حيث وقع ماخلا قوله فى الانبياء لايحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاى فيه والباقون كذلك فى الكل (يريد الله ان لايجعل لهم حظا فى الاخرة) نصيبا من الثواب فى الآخرة وهو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى ارادارحم الراحمين ان لايكون لهم حظ من رحمة وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ فى الآخرة (ولهم عذاب عظيم) مع الحرمان عن الثواب (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم) تكرير للتأكيد اوتعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين اوارتد من الاعراب (ولاتحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم) خطاب للرسول عليه السلام اولكل من يحسب والذين مفعول وانما نملى لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اوالمفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولاتحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولاتحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها أن تفصل فى الخط لكنها وقعت متصلة فى الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو عاصم والكسائى ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما فى خبره مفعول وفتح سينه فى جميع القرآن ابن عامر وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء

(انما نملى لهم ليزدادوا اثما استئناف) بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ويحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول فى الايمان وانما نملى لهم خير اعتراض مناه ان ملاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه مافرط منهم (ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اى ليزدادوا انما معدا لهم عذاب مهين (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) الخطاب لعامة المسلمين والمنافقين فى عصره والمعنى لا نترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التى لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا المخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس فى سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وقرأ حمزة والكسائى حتى يميز هنا وفى الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) وما كان الله ليؤتى احدكم علم الغيب فيطلع على مافى القلوب من كفر وايمان ولكن الله يجتبى لرسالته من يشاء فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له مايدل عليها (فآمنوا بالله ورسله) بصفة الاخلاص اوبان تعلموا الله وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحى اليهم روى ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منها ومن يكفر فنزلت وعن السدى انه عليه السلام قال عرضت على امتى واعلمت من يؤمن بى ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت (وان تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) النفاق (فلكم اجر عظيم) لا يقادر قدره (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) القراآت فيه ماسبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اى ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا الدلالة يبخلون عليه اى ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم (بل هو اى البخل (شر لهم) لاستجلاب العقاب عليهم (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) بيان لذلك والمعنى

(ورحمته) لكم بالقرآن (لاتبعتم الشيطان) فيما يأمركم به من الفواحش (الا قليلا) فقاتل (يا محمد (فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك) فلا تهتم بتخلفهم عنك المعنى قاتل ولو وحدك فانك موعود بالنصر (وحرض المؤمنين) حثهم على القتال ورغبهم فيه (عسى الله ان يكف) بأس حرب (الذين كفروا والله اشد بأسا) منهم (واشد تنكيلا) تعذيبا منهم فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن ولو وحدى، فخرج بسبعين راكبا الى بدر الصغرى فكف الله بأس الكفار بالقاء الرعب فى قلوبهم ومنع ابى سفيان عن الخروج كما تقدم فى آل عمران (من يشفع) بين الناس (شفاعة حسنة) موافقة للشرع (يكن له نصيب) من الاجر (منها) بسببها (ومن يشفع شفاعة سيئة) مخالفة له (يكن له كفل) نصيب من الوزر (منها) بسببها (وكان الله على كل شئ مقيتا) مقتدرا

سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله الا جعل الله له شجاعا فى عنقه يوم القيامة (والله ميراث السموات الارض) وله ما فيهما مما يتوارث فالهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه فى سبيله او أنه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقون فى سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة (والله بما يعملون) من المنع والاعطاء (خبير) فيجازيكم وقرأ نافع ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى بالتاء على الالتفات وهو ابلغ فى الوعيد (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وروى انه عليه الصلاة والسلام كتب مع ابى بكر رضى الله تعالى عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازورآء ان الله فقير حتى سأل القرض فلطمه ابو بكر رضى الله عنه على وجهه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه واعدلهم العقاب عليه (سنكتب ما قالوا و قتلهم الانبياء بغير حق) اى سنكتبه فى صحائف الكتبة او سنحفظه فى علمنا لانهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من جترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء (ونقول ذوقوا عذاب الحريق) اى ونلتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات فى الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال (ذلك) اشارة الى العذاب (بما قدمت ايديكم) من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدى عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن (وان الله ليس بظلام للعبيد) عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى اثابة المحسن ومعاقبة المسيء (الذين قالوا) هم كعب ابن الاشرف ومالك وحيى وفنحاص ووهب بن يهوذا (ان الله عهد الينا) امرنا فى التوراة

فيجازى كل احد بما عمل (واذا حييتم بتحية) كأن قيل لكم سلام عليكم (فحيوا المحيى) باحسن منها) بان تقولوا له عليك السلام ورحمة الله وبركاته (اوردوها) بأن تقولوا له كما قال اى الواجب احدهما والاول افضل (ان الله كان على كل شئ حسيبا) محاسبا فيجازى عليه ومنه رد السلام وخصت السنة الكافر والمبتدع والفاسق والمسلم على قاضى الحاجة ومن فى الحمام والاكل فلا يجب الرد عليهم بل يكره فى غير الاخير ويقال للكافر وعليك (ان لا اله الا هو) والله (ليجمعنكم من قبوركم (الى) فى (يوم القيامة ريب) شك (فيه ومن) اى لا احد (اصدق من الله حديثا قولا * ولما رجع ناس من احد اختلف الناس فيهم فقال فريق قتلهم وقال فريق لا فنزل (فما لكم) اى ما شانكم صرتم (فى المنافقين اركسهم) ردهم (بما كسبوا) من الكفر والمعاصى

واوصانا (اولانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) بان لانؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التى كانت لانبياء بنى اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اى تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الالكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع فى ذلك (قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فالهم لم يؤمنوا بمن جاء به فى معجزات اخر واجترأوا واعلى قتله (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشئ اذا حسنته والكتاب فى عرف القرآن مايتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات (كل نفس ذائقة الموت) وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله * ولا ذاكر الله الا قليلا (وانما توفون اجوركم) تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا (يوم القيامة) يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران (فمن زحزح عن النار) بعد عنها والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة (وادخل الجنة فقد فاز) بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى الى الناس مايحب ان يؤتى اليه (وما الحياة الدنيا) اى لذاتها وزخارفها (الا متاع الغرور) شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الاخرة فاما من طلب بها الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار (لتبلون) اى والله لتختبرن (فى اموالكم) بتكليف الانفاق ومايصيبه من الآفات (وانفسكم) بالجهاد والقتل والاسر والجراح

(أتريدون ان تهدوا من اضل) ه (الله) اى تعدوهم من جملة المهتدين والاستفهام فى الموضعين الانكار (ومن يضلل) ه (الله فلن تجد له سبيلا) طريقا الى الهدى (ودوا) تمنوا (لو تكفرون كما كفروا فتكونون) انتم وهم (سواء) فى الكفر (فلا تتخذوا منهم اولياء) توالونهم وان اظهروا الايمان (حتى يهاجروا فى سبيل الله) هجرة صحيحة تحقق ايمانهم (فان تولوا) واقاموا على ماهم عليه (فخذوهم) بالاسر (واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا) تتولونه (ولا نصيرا) تنتصرون به على عدوكم (الا الذين يصلون) يلجؤن (الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد بالامان لهم ولمن وصل اليهم كما عاهد النبى صلى الله عليه وسلم هلال بن عويمر الاسلمى (او) الذين (جاؤكم) وقد (حصرت) ضاقت (صدورهم) عن (ان يقاتلوكم) مع قومهم او يقاتلوا قومهم) معكم

اى ممسكين عن قتالكم وقتالهم فلاتعرضوا اليهم بأخذ ولاقتل وهذا ومابعده منسوخ بآية السيف (ولو شاء الله) تسليطهم عليكم (لسلطهم عليكم) بان يقوى قلوبهم (فلقاتلوكم) ولكنه لم يشأه فالقى فى قلوبهم الرعب (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم) الصلح اى انقادوا (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) طريقا بالاخذ والقتل (ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم) باظهار الايمان عندكم (ويأمنوا قومهم) بالكفر اذا رجعوا اليهم وهم اسد وغطفان (كلما ردوا الى الفتنة) دعوا الى الشرك (اركسوا فيها) وقعوا اشد وقوع (فان لم يعتزلوكم) بترك قتالكم (و)لم (يلقوا اليكم السلم و) لا (يكفوا ايديهم) عنكم (فخذوهم) بالاسر (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) وجدتموهم (واولئكم) جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) برهانا بينا ظاهرا على قتلهم وسبيهم لغدرهم (وماكان لمؤمن ان يقتل مؤمنا) اى

ومايرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب (ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا) من هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فى الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك وقبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدا للقائها حتى لايرهقهم نزولها (وان تصبروا) على ذلك (وتتقوا) مخالفة امر الله (فان ذلك) يعنى الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزومات الامور التى يجب عزم عليها او مما عزم الله عليه اى امر به وبالغ فيه والعزم فى الاصل ثبات الرأى على الشئ نحو امضائه (واذ اخذ الله) اى اذكر وقت اخذه (ميثاق الذين اوتوا الكتاب) يريد به العلماء (لتبيننه للناس ولاتكتمونه) حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذى ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب (فنبذوه) اى الميثاق (وراء ظهورهم) فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل فى ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه (واشتروا به) واخذوا بدله (ثمنا قليلا) من حطام الدنيا واعراضها (فبئس مايشترون) يختارون لانفسهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن على رضى الله تعالى عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا (لاتحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلاتحسبنهم بمفازة من العذاب) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين او المفعول الاول الذين يفرحون والثانى بمفازة وقوله فلاتحسبنهم تأكيد والمعنى لاتحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اى فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمر بالياء وفتح الباء فى الاول وضمها فى الثانى على ان الذين فاعل ومفعولا لايحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده فكأنه قيل ولايحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلايحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف فلاتحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول (ولهم عذاب اليم) بكفرهم وتدليسهم روى انه عليه السلام سأل اليهود عن شئ مما فى التوراة فاخبروه بخلاف ماكان فيها واروه انهم قد صدقوه

وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة التخلف واستحمد وابه وقيل نزلت فى المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة (ولله ملك السموات والارض) فهو يملك امرهم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على اعقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة الخالصه عن شوائب الحس والوهم كما سبق فى سورة البقرة ولعل الاقتصار على الثلاثة فى هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون فى ذات الشئ كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر تتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبى صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) اى يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلاة والسلام من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران ابن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومى ايماء فهو حجة للشافعى رضى الله عنه فى ان المريض يصلى مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه (ويتفكرون خلق السموات والارض) استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لاعبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله (ربنا ماخلقت هذا باطلا) على ارادة القول اى يتفكرون ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما فى معنى المخلوق والمعنى ماخلقته عبثا ضائعا من غير حكمة خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية فى جوارك

ماينبغى ان يصدر منه قتل له (الاخطا) مخطئا فى قتله من غير قصد (ومن قتل مؤمنا خطا) بان قصد رمى غيره كصيد او شجرة فاصابه او ضربه بما لايقتل غالبا (فتحرير) عتق (رقبة) نسمة (مؤمنة) عليه (ودية مسلمة) مؤداة (الى اهله) اى ورثة المقتول (الا ان يصدقوا) يتصدقوا عليه بها بان يعفوا عنها وبينت السنة انها مائة من الابل عشرون بنت مخاض وكذا بنات لبون وبنو لبون وحقاق وجذاع وانها على عاقلة القاتل وهم عصبته الا الاصل والفرع موزعة عليهم على ثلاث سنين على الغنى منهم نصف دينار والمتوسط ربع كل سنة فان لم يفوا فمن بيت المال فان تعذر فعلى الجانى (فان كان) المقتول (من قوم عدو) حرب (لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) على قاتله كفارة ولا دية تسلم الى اهله لحرابتهم (وان كان) المقتول (من قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد كأهل الذمة (فدية) له (مسلمة

الى اهله) وهى ثلث دية المؤمن ان كان يهوديا او نصرانيا وثلثا عشرها ان كان مجوسيا (وتحرير رقبة مؤمنة) على قاتله (فمن لم يجد) الرقبة بان فقدها وما يحصلها به (فصيام شهرين متتابعين) عليه كفارة ولم يذكر الله تعالى الانتقال الى الطعام كالظهار وبه اخذ الشافعى فى اصح قوليه) توبة من الله) مصدر منصوب بفعله المقدر (وكان الله عليما) بخلقه (حكيما) فيما دبره لهم (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) بان يقصد قتله بما يقتل غالبا عالما بايمانه (فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه) ابعده من رحمته (واعد له عذابا عظيما) فى النار وهذا مؤول بمن يستحله او بان هذا جزاؤه ان جوزى ولا بدع فى خلف الوعيد لقوله ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وعن ابن عباس انها على ظاهرها وانها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة وبينت آية البقرة ان قاتل العمد يقتل به وان عليه الدية ان عفا عنه وسبق

(سبحانك) تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض (فقنا عذاب النار) للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هى الدلالة على ان علمهم بالاجله خلقت السموات والارض حملهم على استعاذة (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته) غاية الاخزاء وهو نظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحانى افظع (وما للظالمين من انصار) اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم فى الخلاص منها ولا يلزم من نفى النصرة نفى الشفاعة لان النصرة دفع بقهر (ربنا انا سمعنا مناديا ينادى للايمان) اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست فى ايقاعه على نفس المسموع وفى تنكير المنادى واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص (ان آمنوا بربكم فآمنا) اى امنوا او بان آمنو فامتثلنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) كبائرنا فانها ذات تبعة (وكفر عنا سيئاتنا) صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر (وتوفنا مع الابرار) مخصوصين بصحبتهم معدودين فى زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كار باب واصحاب (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) اى ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سأل ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور فى الامتثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما عدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على ألسنة رسلك (ولا تخزنا يوم القيامة) بان تعصمنا عما يقتضيه (انك لا تخلف الميعاد) باثابة المؤمن واجابة الداعى وعن ابن عباس رضى الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة فى الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفى الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف (فاستجاب لهم ربهم) الى طلبتهم وهو اخص من اجاب يعدى بنفسه وباللام (انى لا اضيع عمل عامل منكم) اى بانى لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول (من ذكر

اوانثى) بيان عامل (بعضكم من بعض) لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر اولانهما من اصل واحد اولفرط الاتصال والاتحاد اوللاجتماع والاتفاق فى الدين وهى جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روى ان ام سلمة رضى الله عنها قالت يارسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولايذكر النساء فنزلت (فالذين هاجروا) الخ تفصيل لاعمال العمال ومااعدلهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك اوالاوطان والعشاير للدين (واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى) اى بسبب ايمانهم بالله ومن اجله (وقاتلوا) الكفار (وقتلوا) فى الجهاد وقرأ حمزة والكسائى لان الواو لاتوجب ترتيبا والثانى افضل اولان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير (لاكفرن عنهم سيئاتهم) لامحونها (ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عندالله) اى اثيبنهم بذلك اثابة من عندالله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد (والله عنده حسن الثواب) على الطاعات قادر عليه (لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد امته اوتثبيته على ماكان عليه كقوله فلاتطع المكذبين اولكل احد والنهى فى المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لاتنظر الى ماكان الكفرة عليه من السعة والحظ ولاتغتر بظاهر ماترى من تبسطهم فى مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روى ان بعض المسلمين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف اى ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته وفى جنب مااعد الله للمؤمنين قال عليه الصلاة والسلام ماالدنيا فى الآخرة الامثل مايجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) اى ماامهدوا لانفسهم (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله) النزل والنزل مايعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو السعد الضبى وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيه الظرف وقيل انه مصدر

قدرها وبينت السنة ان بين العمد والخطا قتلا يسمى شبه العمد وهو ان يقتله بمالا يقتل غالبا فلاقصاص فيه بل دية كالعمد فى الصفة والخطا فى التأجيل والحمل وهو والعمد اولى بالكفارة من الخطا * ونزل لما مر نفر من الصحابة برجل من بنى سليم وهو يسوق غنما فسلم عليهم فقالوا ماسلم علينا الاتقية فقتلوه واستاقوا غنمه (يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم) سافرتم للجهاد (فى سبيل الله فتبينوا) وفى قراءة بالثلثة فى الموضعين (ولاتقولوا لمن القى اليكم السلام) بألف ودونها اى التحية اوالانقياد بقول كلمة الشهادة التى هى امارة على الاسلام (لست مؤمنا) وانما قلت هذا تقية لنفسك ومالك فتقتلوه (تبتغون) تطلبون بذلك (عرض الحياة الدنيا) متاعها من الغنيمة (فعندالله مغانم كثيرة) تغنيكم عن قتل مثله لما له (كذلك كنتم من قبل) تعصم دماؤكم واموالكم بمجرد قولكم الشهادة (فمن الله عليكم) بالاشتهار بالايمان والاستقامه

(فتبينوا) ان تقتلوا مؤمنا وافعلو بالداخل فى الاسلام كما فعل بكم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم به (لايستوى القاعدون من المؤمنين) عن الجهاد (غير اولى الضرر) بالرفع صفة والنصب استثناء من زمانة اوعمى اونحوه (والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين لضرر (درجة) فضيلة لاستوائهما فى النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة (وكلا) من الفريقين (وعد الله الحسنى) الجنة (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) لغير ضرر (اجرا عظيما) ويبدل منه (درجات منه) منازل بعضا فوق بعض من الكرامة (ومغفرة ورحمة) منصوبان بفعلهما المقدر (وكان الله غفورا) لاوليائه (رحيما) باهل طاعته * ونزل فى جماعة اسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم) بالمقام مع الكفار وترك الهجرة (قالوا)

مؤكدو التقدير انزلوها نزلا (وماعندالله) لكثرته ودوامه (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله) نزلت فى عبدالله بن سلام واصحابه وقيل فى اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى اصحمة النجاشى لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف (وماانزل اليكم) من القرآن (وماانزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى (لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا) كما يفعله المحرفون من احبارهم (اولئك لهم اجرهم عند ربهم) ماخص بهم من الاجر ووعدوه فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين (ان الله سريع الحساب) لعلمه بالاعمال ومايستوجبه من الجزآء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزآء (ياايها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعات ومايصيبكم من الشدآئد (وصابروا) وغالبوا اعدآء الله بالصبر على شدآئد الحرب واعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته (ورابطوا) ابدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلوة وعنه عليه السلام من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لايفطر ولاينفتل عن صلاته الا لحاجة (واتقوا الله لعلكم تفلحون) فاتقوا بالتبرئ مما سواه لكى تفلحوا غاية الفلاح واتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المترتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق اترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطى بكل آية منها اماما على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة التى تذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

(سورة النساء مدنية وآيها مائة وسبعون وخمس ايات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها الناس) خطاب يعم بني آدم (اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) هى آدم (وخلق منها زوجها) عطف على خلقكم اى خلقكم من شخص واحد وخلق منها امكم حوآء من ضلع من اضلاعها او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقدير لخلقهم من نفس واحدة (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التى من حقها ان يخشى والنعمة الباهرة التى توجب طاعة موليها اولان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبنى جنسه على ما دلت عليه الآيات التى بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث (واتقوا الله الذى تساءلون به) اى يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية فى السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بطرحها (والارحام) بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وعلى الله اى اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اى مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول الا من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله (ان الله كان عليكم رقيبا) حافظا مطلعا (واتوا اليتامى اموالهم) اى اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذى مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتايم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضى وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وروده فى الآية اما للبلغ على الاصل لهم موبخين (فيم كنتم) اى فى اى شئ كنتم فى امر دينكم (قالوا) معتذرين (كنا مستضعفين) عاجزين عن اقامة الدين (فى الارض) ارض مكة (قالوا) لهم توبيخا (الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) من ارض الكفر الى بلد آخر كما فعل غيركم قال تعالى (فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) هى (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) الذين (لا يستطيعون حيلة) لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة (ولا يهتدون سبيلا) طريقا الى ارض الهجرة (فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما) مهاجرا (كثيرا وسعة) فى الرزق (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) فى الطريق كما وقع لجندع بن ضمرة الليثى (فقد وقع) ثبت (اجره على الله وكان الله غفورا رحيما واذا ضربتم) سافرتم (فى الارض

فليس عليكم جناح) فى (ان تقصروا من الصلاة بأن تردوها من اربع الى اثنتين (ان خفتم ان يفتنكم) اى ينالكم بمكروه (الذين كفروا) بيان للواقع اذ ذاك فلا مفهوم له وابينت السنة ان المراد بالسفر الطويل وهو اربعة برد وهى مرحلتان ويؤخذ من قوله فليس عليكم جناح انه رخصة لاواجب وعليه الشافعى (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) بين العداوة (واذا كنت) يامحمد حاضرا (فيهم) وانتم تخافون العدو (فاقمت لهم الصلاة) وهذا جرى على عادة القرآن فى الخطاب فلا مفهوم له (فلتقم طائفة منهم معك) وتتاخر طائفة (ولياخذوا) اى الطائفة التى قامت معك (اسلحتهم) معهم (فاذا سجدوا) اى صلوا (فليكونوا) اى الطائفة الاخرى (من ورائكم يحرسون الى أن تقضوا الصلاة وتذهب هذه الطائفة تحرس (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا

او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا اولغير البلغ والحكم مقيدو كأنه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ماروى ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير (ولاتتبدلوا الخبيث بالطيب) ولاتستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم اوالامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذى هو حفظها وقيل ولاتأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل (ولاتأكلوا اموالهم الى اموالكم) ولاتأكلوها مضمومة الى اموالكم اى تنفقوهما معا ولاتسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف (انه) الضمير للاكل (كان حوبا كبيرا) ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا (وان خفتم ان لاتقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء) اى ان خفتم ان لاتعدلوا فى يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذا كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد لايقدر على القيام بحقوقهن اوان خفتم ان لاتعدلوا فى حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لاتعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغى ان يتحرج الذنوب كلها على ماروى انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولايتحرجون من الزنى فقيل لهم ان خفتم ان لاتعدلوا فى امر اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ماحل لكم وانما عبر عنهن بماذها بالى الصفة اواجرآء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره اوما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اى وان خفتم ان تجوروا (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن اعداد مكررة هى ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهى غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها للمرتبين لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد

الجمع ان ينكح ماشاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت او لذهب تجويز الاختلاف فى العدد (فان خفتم الاتعدلوا) بين هذه الاعداد ايضا (فواحدة) فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبر مبتدا محذوف اى فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة (او ما ملكت ايمانكم) سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السرارى لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن (ذلك) اى التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسرى (ادنى الاتعولوا) اقرب من ان لاتميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام السمة وفسر بان لاتكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية و يؤيده قراءة ان لاتعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسرى مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع (وآتوا النساء صدقاتهن) مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة فى ظلمة (نحلة) اى عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلاتوقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لاالى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها فى معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اى آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة قيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فتكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اى دينا من الله تعالى شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم (فان طبن لكم عن شئ منه نفسا) الضمير للصداق حملا على المعنى او يجرى مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة فى قوله * كانه فى الجلد توليع البهق * اردت كأن ذاك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيا الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصدقات عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس

فليصلوا معك ولياخذوا حذرهم واسلحتهم) معهم الى ان تقضوا الصلاة وقد فعل صلى الله عليه وسلم كذلك ببطن نخل رواه الشيخان (ود الذين كفروا لو تغفلون) اذا قمتم الى الصلاة (عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) بان يحملوا عليكم فياخذوكم وهذا علة الامر باخذ السلاح (ولاجناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم فلاتحملوها وهذا يفيد ايجاب حملها عند عدم العذر وهو احد قولين للشافعى والثانى انه سنة ورجح (وحذوا حذركم من العدو اى احترزوا منه ما استطعتم (ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا) ذا اهانة (فاذا قضيتم الصلاة) فرغتم منها (فاذكروا الله) بالتهليل والتسبيح (قياما وقعودا وعلى جنوبكم) مضطجعين اى فى كل حال (فاذا اطمأننتم) امنتم (فاقيموا الصلاة) ادوها بحقوقها (ان الصلاة كانت

للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافى والتجاوز وقال منه بعثالهن على تقليل الموهوب (فكلوه هنيئا مريئا) فخذوه وانفقوه حلالا بلاتبعة والهنئ والمرئ صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذاساغ من غير غص اقيمتا مهام مصدر يهما اووصف بهما المصدر اوجعلتا حالا من الضمير وقيل الهنئ مايلذه الانسان والمرئ مايحمد عاقبته روى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مماساق اليها فنزلت (ولاتؤتوا السفهاء اموالكم) نهى للاولياء عن ان يؤتوا الذين لارشدلهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف الاموال الى الاولياء لانها فى تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهى لكل احد ان يعمد الى ماخوله الله تعالى من المال فيعطى امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله (التى جعل الله لكم قياما) اى تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يأول بانها التى من جنس ماجعل الله لكم قياما سمى مابه القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو مايقام به (وارزقوهم فيها واكسوهم) واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ماتحتاجون اليه (وقولوا لهم قولا معروفا) عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ماعرفه الشرع اوالعقل بالحسن والمنكر ماانكره احدهما لقبحه (وابتلوا اليتامى) اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم فى صلاح الدين والتهدى الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابى حنيفة بان يدفع اليه مايتصرف فيه (حتى اذابلغوا النكاح) حتى اذابلغو احد البلوغ بان يحتلم اويستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وماعليه واقيمت عليه الحدود وثمانى عشرة عند ابى حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده (فان آنستم منهم رشدا) فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم (فادفعوا اليهم اموالهم) من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لايدفع اليهم مالم يونس منهم الرشد وقال ابوحنيفة

على المؤمنين كتابا) مكتوبا اى مفروضا (موقوتا) اى مقدرا اوقتها فلاتؤخر عنه* ونزل لمابعث صلى الله عليه وسلم طائفة فى طلب ابى سفيان واصحابه لمارجعوا من احد فشكوا الجراحات (ولاتهنوا) تضعفوا (فى ابتغاء) طلب (القوم) الكفار لتقاتلوهم (ان تكونوا تالمون) تجدون الم الجراح (فانهم يألمون كما تألمون) اى مثلكم ولايجبنوا عن قتالكم (وترجون) انتم (من الله) من النصر والثواب عليه (مالايرجون) هم فانتم تزيدون عليهم بذلك فينبغى ان تكونوا ارغب منهم فيه (وكان الله عليما) بكل شئ (حكيما) فى صنعه* وسرق طعمة بن ابيرق درعا وخبأها عند يهودى فوجدت عنده فرماه طعمه بها وحلف انه ماسرقها فسأل قومه النبى صلى الله عليه وسلم انه يجادل عنه ويبرئه فنزل (انا انزلنا اليك الكتاب) القرآن (بالحق) متعلق بانزل (لتحكم بين الناس بما اراك) اعلمك (الله) فيه (ولاتكن للخائنين) كطعمة (خصيما)

اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير الاحوال اذا لطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يونس منه الرشد (ولاتأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا) مسرفين ومبادرين كبرهم اولاسرافكم ومبادرتكم كبرهم (ومن كان غنيا فليستعفف) من اكلها (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولى له حق فى مال الصبى وعنه عليه الصلاة والسلام ان رجلا قال له ان فى حجرى يتيما افآكل من ماله قال كل بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولاتأكلوها يدل على انه نهى للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى (فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم) بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لايصدق دعواه الابالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافا لابى حنيفة (وكفى بالله حسيبا) محاسبا فلا تخالفوا اوامره ولاتجاوزوا ماحد لكم (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) يريد بهم المتوارثين بالقرابة (مما قل منه او كثر) بدل مما ترك باعادة العامل (نصيبا مفروضا) نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله او حال اذا لمعنى ثبت لهم مفروضا نصيب او على الاختصاص بمعنى اعنى نصيبا مقطوعا واجبالها وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روى ان اوس بن صامت الانصارى خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابناعمه سويد وعرفطة اوقتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى انظر مايحدث الله فنزلت فبعث اليهما لاتفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب (واذا حضر القسمة اولوا القربى) ممن لايرث (واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبالغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف فى نسخه والضمير لما ترك او مادل

مخاصما عنهم (واستغفر الله) مما هممت به (ان الله كان غفورا رحيما ولاتجادل) عن الذين يختانون انفسهم) يخونونها بالمعاصى لان وبال خيانتهم عليهم (ان الله لايحب من كان خوانا) كثير الخيانة (اثيما) اى يعاقبه (يستخفون) اى طعمة وقومه حياء (من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم) يعلمه (اذ يبيتون) يضمرون (مالا يرضى من القول) من عزمهم على الحلف على نفى السرقة ورمى اليهودى بها (وكان الله بما يعملون محيطا) علما (ها انتم) يا (هؤلاء) خطاب لقوم طعمة (جادلتم) خاصمتم (عنهم) اى عن طعمة وذويه وقرئ عنه (فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) اذا عذبهم (ام من يكون عليهم وكيلا) يتولى امرهم ويذب عنهم اى لااحد يفعل ذلك (ومن يعمل سوأ) دنيا يسوء به غيره كرمى طعمة اليهودى (او يظلم نفسه) يعمل ذنبا قاصرا عليه (ثم يستغفر الله) منه اى يتب (يجد الله غفورا)

عليه القسمة (وقولوا لهم قولا معروفا) وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم) امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى او يتقوه فى امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الصغار بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويسفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين منصوبين انهم لو كانوا اولادهم يقوا خلفهم اضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا المورثة فلا يسرفوا فى الوصية ولو بما فى حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالفة بحال اولاد (فليتقوا الله وليقولوا قولا شديدا) امرهم بالتقوى التى هى غاية الخشية بعد ما امرهم بهما مراعاة للمبتدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثانى امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة وتذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضرى القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا فى الوصية ما لا يؤدى الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما) ظالمين او على وجه الظلم (انما يأكلون فى بطونهم) ملء بطونهم (نارا) ما يجر الى النار ويأول اليها وعن ابى بردة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا (وسيصلون سعيرا) سيدخلون نارا واى نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا اهبتها (يوصيكم الله) يأمركم ويعهد اليكم (فى اولادكم) فى شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) اى يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص

له (رحيما) به (ومن يكسب اثما) ذنبا (فانما يكسبه على نفسه) لان وباله عليها ولا يضر غيره (وكان الله عليما حكيما) فى صنعه (ومن يكسب خطيئة) ذنبا صغيرا (او اثما) ذنبا كبيرا (ثم يرم به بريئا) منه (فقد احتمل) تحمل (بهتانا) برميه (واثما مبينا) بينا يكسبه (ولولا فضل الله عليك) يا محمد (ورحمته) بالعصمة (لهمت) اضمرت (طائفة منهم) من قوم طعمة (ان يضلوك) عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك (وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من) (زائدة (شئ) لان وبال اضلالهم عليهم (وانزل الله عليك الكتاب) القرآن (والحكمة) ما فيه من الاحكام (وعلمك ما لم تكن تعلم) من الاحكام والغيب (وكان فضل الله عليك) بذلك وغيره (عظيما لا خير فى كثير من نجواهم) اى الناس اى ما يتناجون فيه ويتحدثون (الا) نجوى (من امر بصدقة او معروف) عمل بر (او اصلاح بين

الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كان للتفضيل فلا يحر من بالكلية فقد اشتركا فى الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به (فان كن نساء) اى ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تأويل المولودات (فوق اثنتين) خبر ثان او صفة للنساء اى نساء زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا ما ترك) المتوفى منكم ويدل عليه المعنى (وان كانت واحدة فلها النصف) اى وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف فى البنتين فقال ابن عباس رضى الله عنهما حكمهما حكم الواحد لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين ان كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك (ولابويه) ولابوى الميت (لكل واحد منهما) بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا (السدس مما ترك ان كان له) اى للميت (ولد) ذكرا او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقى من ذوى الفروض ايضا بالعصوبة (فان لم يكن له ولد وورثه ابواه) فحسب (فلامه الثلث) مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط عين نصيب الام علم ان الباقى للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغى ان يكون لها حيث معهما احد لزوجين ثلث ما بقى من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها فى الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع (فان كان له اخوة فلامه السدس) باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم يأخذون السدس الذى حجبوه عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائى فلامه بكسر الهمزة اتباعا لكسرة التى قبلها (من بعد وصية

الناس ومن يفعل ذلك) المذكور (ابتغاء) طلب (مرضاة الله) لا غيره من امور الدنيا (فسوف نؤتيه) بالنون والياء اى الله (اجرا عظيما ومن يشاقق) يخالف (الرسول) فيما جاء به من الحق (من بعد ما تبين له الهدى) ظهر له الحق بالمعجزات (ويتبع) طريقا (غير سبيل المؤمنين) اى طريقهم الذى هم عليه من الدين بان يكفر (نوله ما تولى) نجعله واليا لما تولاه من الضلال بان نخلى بينه وبينه فى الدنيا (ونصله) ندخله فى الآخرة (جهنم) فيحترق فيها (وساءت مصيرا) مرجعا هى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق (ان) ما (يدعون) يعبد المشركون (من دونه) اى الله اى غيره (الا اناثا) اصنا ما مؤنثة كاللات والعزى ومناة (وان) ما (يدعون) يعبدون بعبادتها (الا شيطانا مريدا) خارجا

عن الطاعة لطاعتهم له فيها وهو ابليس (لعنه الله) ابعده عن رحمته (وقال) اى الشيطان (لأتخذن) لاجعلن لى (من عبادك نصيبا) حظا (مفروضا) مقطوعا ادعوهم الى طاعتى (ولاضلنهم) عن الحق بالوسوسة (ولأمنينهم) القى فى قلوبهم طول الحياة وان لابعث ولا حساب (ولآمرنهم فليبتكن) يقطعن (آذان الانعام) وقد فعل ذلك بالبحائر (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) دينه بالكفر واحلال ماحرم وتحريم ما احل (ومن يتخذ الشيطان وليا) يتولاه ويطيعه (من دون الله) اى غيره (فقد خسر خسرانا مبينا) بينا لمصيره الى النار المؤبدة عليه يعدهم) طول العمر (ويمنيهم) نيل الآمال فى الدنيا وان لابعث ولاجزاء (ما يعدهم الشيطان) بذلك (الاغرورا) باطلا (اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا) معدلا (والذين آمنوا وعملوا

يوصى بها اودين) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية اودين وانما قال باو التى للاباحة دون الوا وللدلالة على انهما متساويان فى الوجوب متقدمان فى القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة فى الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد (آباؤكم وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا) اى لاتعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم فى عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ماوصاكم الله به ولاتعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر فى الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته اومن مورثيكم منهم امن اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة اوتنفيذ الوصية (فريضة من الله) مصدر مؤكد اومصدر يوصيكم الله لانه فى معنى يأمركم ويفرض عليكم (ان الله كان عليما) بالمصالح والرتب (حكيما) فيما قضى وقدر (ولكم نصف ماترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) اى ولد وارث من بطنها اومن صلب بنيها اوبنى بنيها وان سفل ذكرا كان اوانثى منكم اومن غيركم (من بعد وصية يوصين بها اودين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها اودين) فرض للرجل بحق الزواج ضعف ماللمرأة كما فى النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا فى الجنة والقرب ولا يستثنى منه الا الاولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن فى الربع والثمن (وان كان رجل) اى الميت (يورث) اى يورث منه من ورث صفة رجل (كلالة) خبر كان اويورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولد اولا والدا اومفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد اولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعانى الثلاثة وعلى الاول خبر اوحال وعلى الثانى مفعول وعلى الثالث مفعول به وهى فى اصل مصدر بمعنى الكلام قال الاعشى

« فآليت لا ارثى لها من كلالة »

فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذى كلالة كقولك فلان من قرابتى (او امرأة) عطف على رجل (وله) اى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه (اخ او اخت) اى من الام ويدل عليه قرآءة ابى وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام فانه ذكر فى آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو يليق باولاد الام وان ماقدر ههنا فرض الام فينسب ان يكون لاولادها (فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) سوى بين الذكر والانثى فى القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لايرثون ذلك مع الام والجدة كما لايرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع (من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار) اى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القرابة والاقرار بدين لايلزمه وهو حال من قاعل يوصى المذكور فى هذه القرآءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول فى قرآءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم (وصية من الله) مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية بالاضافة اى لايضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب (والله عليم) بالمضار وغيره (حليم) لايعاجل بعقوبته (تلك) اشارة الى الاحكام التى قدمت فى امر اليتامى والوصايا والمواريث (حدود الله) شرآئعه التى هى كالحدود المحدودة التى لايجوز مجاوزتها (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) توحيد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا او كذلك خالد او ليستا صفتين لجنات ونار اولالوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم) اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنى لزيادة قبحها وشناعتها (فاستشهدوا عليهن اربعة منكم) فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين ليشهدا عليهن (فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت) فاحبسوهن

الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعدالله حقا) اى وعدهم الله ذلك وحقه حقا (ومن) اى لااحد (اصدق من الله قيلا) اى قولا ونزل لما افتخر المسلمون واهل الكتاب (ليس) الامر منوطا (بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب) بل بالعمل الصالح (ومن يعمل سوأ يجزبه) اما فى الآخرة او فى الدنيا بالبلاء والمحن كما ورد فى الحديث (ولايجد له من دون الله) اى غيره (وليا) يحفظه (ولانصيرا) يمنعه منه (ومن يعمل) شيأ (من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون) بالبناء للمفعول والفاعل (الجنة ولايظلمون) نقيرا) قدر نقرة النواة (ومن) اى لااحد (احسن دينا ممن اسلم وجهه) اى انقاد واخلص عمله (لله وهو محسن) موحد (واتبع ملة ابراهيم) الموافقة لملة الاسلام (حنيفا) حال اى مائلا عن الاديان كلها الى الدين القيم (واتخذ الله

ابراهيم خليلا) صفيا خالص المحبة له (ولله مافى السموات ومافى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (وكان الله بكل شئ محيطا) علما وقدرة اى لم يزل متصفا بذلك (ويستفتونك) يطلبون منك الفتوى (فى (شان (النساء) و ميراثهن (قل) لهم (الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب) القرآن من آية الميراث يفتيكم ايضا (فى يتامى النساء اللاتى لاتؤتونهن ماكتب) فرض (لهن) من الميرات (وترغبون) ايها الاولياء عن تنكحو هن) لدمامتهن وتعضلو هن ان يتزوجن طمعا فى ميراثهن يفتيكم ان لاتفعلو ذلك (و) فى (المستضعفين) الصغار (من الولدان) ان تعطوهم حقوقهم (و) يامركم (ان تقوموا لليتامى بالقسط) بالعدل فى الميراث والمهر (وماتفعلوا من خير فان الله كان به عليما) فيجازيكم به (وان امراة) مرفوع بفعل يفسره (خافت) توقعت (من بعلها) زوجها

فى البيوت وجعلوها سجنا عليهن (حتى يتوفاهن الموت) يستوفى ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن فى اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجرى عليهن ماجرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله تعالى الزانية والزانى (او يجعل الله لهن سبيلا) كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغنى عن السفاح (واللذان يأتيانها منكم) يعنى الزانية والزانى وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد الالف ولباقون بالتخفيف من غير تمكين (فآذوهما) بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد (فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما) فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر (ان الله كان توابا رحيما) علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى فى السحاقات وهذه فى اللواطين والزانية والزانى فى الزناة (انما التوبة على الله) اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته (للذين يعملون السوء بجهالة) ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهلته (ثم يتوبون من قريب) من زمان قريب اى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل توبة عبده مالم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب فى قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اى يتوبون فى اى جزء من الزمان القريب الذى هو ماقبل ان ينزل بهم سلطان الموت وتزين السوء (فاولئك يتوب الله عليهم) وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله (وكان الله عليما) فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة (حكيما) والحكيم لايعاقب التائب (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار) سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون

الكفار (اولئك اعتدنالهم عذابا اليما) تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم ولايجريه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء (يا ايها الذين آمنوا لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها) كان الرجل اذامات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لايحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائى كرها بالضم فى مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح مايكره عليه (ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) عطف على ان ترثوا ولاتأكيد النفى اى ولاتمنعوهن من التزوج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة بيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل (الاان يأتين بفاحشة مبينة) كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له وتقديره لاتعضلوهن للافتدآء الاوقت ان يأتين بفاحشة اولاتعضلوهن لعلة الالان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر مبينة هنا وفى الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن (وعاشروهن بالمعروف) بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول (فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) اى فلاتفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ماهو اصلح دينا واكثر خيرا تحب ماهو بخلافه ولكن نظركم الى ماهو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى فى الاصل علة الجزآء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم (وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج اخرى (وآتيتم احديهن) اى احدى الزوجان جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس (قنطارا) مالا كثيرا (فلا تأخذوا منه شيئا) اى من القنطار (اتأخذونه بهتانا مبينا) استفهام انكار وتوبيخ اى تأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما فى قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد امرأة جديدة بهت التى تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتدآء

(نشوزا) ترفعا عليها بترك مضاجعتها والتقصير فى نفقتها لبغضها وطموح عينه الى اجمل منها (آو اعراضا) عنها بوجهه (فلاجناح عليهما ان يصالحا) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الصاد وفى قراءة يصلحا من اصلح (بينهما صلحا) فى القسم والنفقة بان تترك له شيا طلبا لبقاء الصحبة فان رضيت بذلك والافعلى الزوج ان يوفيها حقها او يفارقها (والصلح خير) من الفرقة والنشوز والاعراض قال تعالى فى بيان ماجبل عليه الانسان (واحضرت الانفس الشح) شدة البخل اى جبلت عليه فكأنها حاضرته لاتغيب عنه المعنى ان المرأة لاتكاد تسمح بنصيبها من زوجها والرجل لايكاد يسمح عليها بنفسه اذا احب غيرها (وان تحسنوا) عشر النساء (وتتقوا) الجور عليهن (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم به (ولن تستطيعوا ان تعدلوا) تسووا (بين النساء) فى المحبة (ولو حرصتم) على ذلك (فلا تميلوا كل الميل)

منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم (وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض) انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر (واخذن منكم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم فى شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم) ولا تنكحوا التى نكحها آباءكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر (من النساء) بيان ما نكح على الوجهين (الا ما قد سلف) استثناء من المعنى اللازم للنهى فكأنه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة فى التحريم والتعميم كقوله * ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * * بهن فلول من قراع الكتائب * والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوهن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لانه مقرر (انه كان فاحشة ومقتا) علة للنهى اى ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوى المروءآت ولذلك سمى ولد الرجل من زوجة ابيه المقتى (وساء سبيلا) سبيل من يراه ويفعله (حرمت عليكم امهاتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت) ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما تقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده فى النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكر اولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا او بنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى (وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمرضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذى درعليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخته

الى التى تحبونها فى القسم والنفقة (فتذروها) اى تتركوا المال عنها (كالمعلقة) التى لا هى ايم ولا ذات بعل (وان تصلحوا) بالعدل فى القسم (وتتقوا) الجور (فان الله كان غفورا) لما فى قلبكم من الميل (رحيما) بكم فى ذلك (وان يتفرقا) اى الزوجان بالطلاق (يغن الله كلا) عن صاحبه (من سعته) اى فضله بأن يرزقها زوجا غيره ويرزقه غيرها (وكان الله واسعا) خلقه فى الفضل (حكيما) فيما دبره لهم (ولله ما فى السموات وما فى الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب) بمعنى الكتب (من قبلكم) اى اليهود والنصارى (واياكم) يا اهل القرآن (ان) اى بان (اتقوا الله) خافوا عقابه بان تطيعوه (و) قلنا لهم ولكم (ان تكفروا) بما وصيتم به (فان لله ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا وعبيد افلا يضره كفركم (وكان الله غنيا) عن خلقه وعبادتهم (حميدا) محمودا فى صنعه بهم (ولله ما فى السموات

من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتها فى النسب بالمصاهرة دون النسب (وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) ذكر اولا محرمات النسب ثم محرمات الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمى به لانه يربه كما يرب ولده فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم متعلق بربائبكم واللاتى بصلتها صفة لها مقيدة للحظر الحكم بالاجماع قضية للنظم ولايجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لاتحتمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله * فانى لست منك ولست منى * على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال فى رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولايحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روى عن على رضى الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما ولايجوز ان يكون الموصول الثانى صفة للنساءين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله فى حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن فى احتضانكم او بصدده قوى الشبه بينها وبين اولادكم فصارت احقاء بان تجروها مجراهم لاتقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن على رضى الله تعالى عنه انه جعله شرطا والامهات والربائب تنتاولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اى دخلتم معهن الستر وهى كناية عن الجماع ويؤثر فى حرمة المصاهرة ماليس بزنى كالوطئ بشبهة او ملك يمين وعند ابى حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) تصريح بعد اشعار دفعا للقياس (وحلائل ابنائكم) زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج (الذين من اصلابكم) احتراز عمن المتبنين لا عن ابناء الولد (وان تجمعوا بين الاختين) فى موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هى محرمة فى النكاح فهى محرمة فى ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلى رضى الله تعالى عنهما حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه وما فى الارض) كرره تأكيد لتقرير موجب التقوى (وكفى بالله وكيلا) شهيدا بان ما فيهما له (ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين) بدلكم (وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد) بعمله (ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) لمن اراده لا عند غيره فلم يطلب احدهما الاخس وهلا طلب الاعلى باخلاصه له حيث كان مطلبه لايوجد الا عنده (وكان الله سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين) قائمين (بالقسط) بالعدل (شهداء) بالحق (لله ولو) كانت الشهادة (على انفسكم) فاشهدوا عليها بان تقروا بالحق ولاتكتموه (او) على (الوالدين والاقربين ان يكن) المشهود عليه (غنيا او فقيرا فالله اولى بهما) منكم واعلم بمصالحهما (فلا تتبعوا الهوى (فى شهادتكم بان تجابوا الغنى لرضاه او الفقير رحمة له (ان) لا (تعدلوا) تميلوا على الحق (وان تلوا) يحرفوا الشهادة وفى قراءة بحذف الواو الاولى تخفيفا

الآية وقوله اوماملكت ايمانكم فرجح على كرم الله وجهه التحريم وعثمان رضى الله عنه التحليل وقول على اظهر لان آية التحليل مخصوصة فى غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام (الا ما قد سلف) استثناء من لازم المعنى او منقطع معناه لكن ماقد سلف مغفور لقوله (ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء) ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج وقرأ الكسائى بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن (الا ماملكت ايمانكم) يريد ماملكت ايمانهم من اللاتى سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى لقول ابى سعيد رضى الله تعالى عنه اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج كفار فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللنا هن واياه عنى الفرزدق بقوله * وذات حليل انكحتها رماحنا * حلال لمن يبنى بها لم تطلق * وقال ابو حنيفة لو سبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابى واطلاق الآية والحديث حجة عليه (كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد اى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل (واحل لكم) عطف على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص على البناء للمفعول عطفا على حرمت (ماوراء ذلكم) ماسوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة مافى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها (ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين) مفعول له والمعنى احل لكم ماوراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف فى مهورهن اواثمانهن فى حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لايقدر مفعول تبتغوا فكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين اوبدل من ماوراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لابد وان يكون مالا ولاحجة فيه والاحصان العفة فانها تحصن النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنى من السفح وهو صب المنى فانه الغرض منه (فما استمتعتم به منهن) فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن (فآتوهن اجورهن) مهورهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع (فريضة) حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد (ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما يزاد على

(اوتعرضوا) عن ادائها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم به (ياايها الذين آمنوا آمنوا) داوموا على الايمان (بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (والكتاب الذى انزل من قبل) على الرسل بمعنى الكتب وقراءة البناء للفاعل فى الفعلين (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق (ان الذين آمنوا) بموسى وهم اليهود (كفروا) بعبادة العجل (ثم آمنوا) بعده (ثم كفروا) بعيسى (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد (لم يكن الله ليغفر لهم) ما اقاموا عليه (ولا ليهديهم سبيلا) طريقا الى الحق (بشر) اخبر يامحمد (المنافقين بان لهم عذابا اليما) مؤلما هو عذاب النار (الذين) بدل او نعت للمنافقين (يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) لما يتوهمون فيه من القوة (ايبتغون) يطلبون (عندهم العزة) استفهام انكار اى لايجدونها عندهم

المسمى او يحط عنه بالتراضى او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الآية فى المتعة التى كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة نسخت كما روى انه عليه الصلاة والسلام اباحها ثم اصبح يقول ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهى النكاح الموقت بوقت معلوم سمى بها اذا الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بما يعطى وجوزها ابن عباس رضى الله عنهما ثم رجع عنه (ان الله كان عليما) بالمصالح (حكيما) فيما شرع من الاحكام (ومن لم يستطع منكم طولا) غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة (ان ينكح المحصنات المؤمنات) فى موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اى ومن لم يستطع منكم ان يعتلى نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغه نكاح المحصنات يعنى الحرائر لقوله (فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات) يعنى الاماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعى رضى الله تعالى عنه فى تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة رحمه الله تعالى طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطئ وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه فى قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمل ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور فى نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج (والله اعلم بايمانكم) فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم فى الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا افضل الايمان لا فضل النسب والمراد اتأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه بؤيده (بعضكم من بعض) انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام (فانكحوهن باذن اهلهن) يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن اما يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية (وآتوهن اجورهن) اى ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى موالهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك رضى الله عنه المهر للامة ذهابا الى الظاهر (بالمعروف) بغير مطل واضرار ونقصان (محصنات) عفائف (غير مسافحات) غير مجاهرات بالسفاح (ولا متخذات اخدان) اخلاء فى السر

(فان العزة لله جميعا) فى الدنيا والاخرة ولا ينالها الا أولياؤه (وقد نزل) بالبناء للفاعل والمفعول (عليكم فى الكتاب) القرآن فى سورة الانعام (أن) مخففة واسمها محذوف اى انه (اذا سمعتم آيات الله) القرآن (يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم) اى الكافرين والمستهزئين (حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا) ان قعدتم معهم (مثلهم) فى الاثم (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) كما اجتمعوا فى الدنيا على الكفر والاستهزاء (الذين) بدل من الذين قبله (يتربصون) ينتظرون (بكم) الدوائر (فان كان لكم فتح) ظفر وغنيمة (من الله قالوا) لكم (الم نكن معكم) فى الدين والجهاد فأعطونا من الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) من الظفر عليكم (قالوا) لهم (الم نستحوذ نستول (عليكم) ونقدر على اخذكم وقتلكم فابقينا عليكم (و) الم (نمنعكم من المؤمنين ان يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم باخبارهم فلنا عليكم المنة قال تعالى

فاذا احصن) بالتزوج وقرأ ابوبكر وحمزة والكسائى بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد (فان اتين بفاحشة) زنى (فعليهن نصف ماعلى المحصنات) يعنى الحر آئر (من العذاب) من الحد لقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف (ذلك) اى نكاح الاماء (لمن خشى العنت منكم) لمن خاف الوقوع فى الزنى وهو فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء (وان تصبروا خير لكم) اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه الصلاة والسلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه (والله غفور) لمن يصبر (رحيم) بان رخص له (يريد الله ليبين لكم) ماتعبدكم به من الحلال والحرام اوما خفى عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام زيدت لتأكيد معنى استقبال اللازم للارادة كما فى قول قيس بن سعد* اردت لكيما يعلم الناس انه * سراويل قيس والوفود شهود *وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اى يريد الحق لاجله (ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم (ويتوب عليكم) ويغفر لكم ذنوبكم اويرشدكم الى ماينعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة اوالى مايكون كفارة لسيئاتكم (والله عليم) بها (حكيم) فى وضعها (والله يريد ان يتوب عليكم) كرره للتأكيد والمبالغة (ويريد الذين يتبعون الشهوات يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطى لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له فى الحقيقة لالها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت (ان تميلوا) عن الحق (ميلا) بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات (عظيما) بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها (يريد الله ان يخفف عنكم) فلذلك شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثمان آيات فى سورة النساء هى خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه ان الله لا يغفر

(فالله يحكم بينكم) بينهم (يوم القيامة) بان يدخلكم الجنة ويدخلهم النار (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) طريقا بالاستئصال (ان المنافقين يخادعون الله) باظهارهم خلاف مابطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم احكامه الدنيوية (وهو خادعهم) مجازيهم على خداعهم فيفتضحون فى الدنيا باطلاع الله نبيه على مابطنوه ويعاقبون فى الآخرة (واذا قاموا الى الصلاة) مع المؤمنين (قاموا كسالى) متثاقلين (يراؤن الناس بصلاتهم (ولا يذكرون الله) يصلون (الا قليلا) رياء (مذبذبين) مترددين (بين ذلك) الكفر والايمان (لا) منسوبين (الى هؤلاء) اى الكفار (ولا الى هؤلاء) اى المؤمنين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) طريقا الى الهدى (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم) بموالاتهم (سلطانا مبينا برهانا بينا على نفاقكم (ان المنافقين فى الدرك) المكان

ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه مايفعل الله بعذابكم (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار (الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) استثناء منقطع اى ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراضى المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التى بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب واوفق ولذى المروءات ويجوز ان يزاد بها الانتقال مطلقا وقيل المراد بالنهى المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفة فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اى الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة (ولا تقتلوا انفسكم) بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء الناس الى التهلكة ويؤيده ماروى ان عمرو بن العاص تأوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكره النبى صلى الله عليه وسلم او بارتكاب مايؤدى الى قتلها او باقتراف ماياذلها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع فى التوصية بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفى فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله (ان الله كان بكم رحيما) اى امرا ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه (ومن يفعل ذلك) اشارة الى القتل او ماسبق من المحرمات (عدوانا وظلما) افراطا فى التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب (فسوف نصليه نارا) ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب الصلى (وكان ذلك على الله يسيرا) لا عسر فيه ولا صارف عنه (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) كبائر الذنوب التى نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس (نكفر عنكم سيئاتكم) نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف فى الكبائر واقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ماعلم حرمته بقاطع وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة واكل مال (الاسفل من النار) وهو قعرها (ولن تجد لهم نصيرا) مانعا من العذاب (الا الذين تابوا) من النفاق (واصلحوا) عملهم (واعتصموا) وثقوا بالله واخلصوا دينهم لله) من الرياء (فاولئك مع المؤمنين) فيما يؤتونه (وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما) فى الآخرة هو الجنة (مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم) نعمه (وآمنتم) به والاستفهام بمعنى النفى اى لا يعذبكم (وكان الله شاكرا) لاعمال المؤمنين بالاثابة (عليما) بخلقه (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) من احد اى يعاقبه عليه (الا من ظلم) فلا يؤاخذه بالجهر به بان يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه (وكان الله سميعا) لما يقال (عليما) بما يفعل (ان تبدوا) تظهروا (خيرا) من أعمال البر (او تخفوه) تعملوه سرا (او تعفوا عن سوء) ظلم (فان الله كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله) بان يؤمنوا به دونهم (ويقولون نؤمن ببعض) من الرسل

(ونكر ببعض) منهم (ويريدون ان يتخذوا بين ذلك) الكفر والايمان (سبيلا طريقا يذهبون اليه (اولئك هم الكافرون) حقا) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) ذا اهانة هو عذاب النار (والذين آمنوا بالله ورسله) كلهم (ولم يفرقوا بين احد منهم أولئك سوف نؤتيهم) بالنون والياء (أجورهم) ثواب أعمالهم (وكان الله غفورا) لاوليائه (رحيما) بأهل طاعته (يسألك) يامحمد (اهل الكتاب) اليهود (ان تنزل عليهم كتابا من السماء) جملة كما انزل على موسى تعنتا فان استكبرت ذلك (فقد سألوا) اى آباؤهم موسى اكبر) اعظم (من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة عيانا (فأخذتهم الصاعقة) الموت عقابا لهم (بظلمهم) حيث تعنتوا فى السؤال (ثم اتخذوا العجل) الها (من بعدما جاءتهم البينات) المعجزات

اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به ههنا انواع الشرك لقوله ان الله يغفران يشرك به ويغفر مادون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى مافوقها ماتحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس ومابينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عنله امران منهما ودعت نفسه اليهما بحيث لايتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ماارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الاترى انه تعالى عاتب نبيه فى كثير من خطراته التى لم يعدها على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذه عليها (ندخلكم مدخلا كريما) الجنة وما وعد من الثواب اواد خالامع كرامة وقرأنافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر (ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض) من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضى للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادى معربة عن عدم الرضى بما قسم الله له وانه تشه لحصول الشئ له من غير طلب وهو مذموم لان تمنى مالم يقدر معارضة لحكمة القدر وتمنى ماقدر له يكسب بطالة وتضييع حظ وتمنى ماقدر له بغير كسب ضائع ومحال (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) بيان لذلك اى لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لابالحسد والتمنى كما قال عليه الصلاة والسلام ليس ايمان بالتمنى وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ماقسم الله كل منهم على حسب ماعرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له (واسألوا الله من فضله) اى لاتتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التى لاتنفد وهو يدل على ان المنهى عنه هو الحسد ولاتتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقرا ابن كثير والكسائى وسلوا الله من فضله وسلهم فسل الذين وشبهه اذا كان امر اموا جهابه وقبل السين واوا وفاء بغير همز وحمزة فى الوقف على اصله والباقون بالهمز (ان الله كان بكل شئ عليما) فهو يعلم مايستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روى ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولانغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون) اى ولكل تركة جعلنا ورثايلونها ويحرزونها

ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل اوو كل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالى لانه فى معنى الوراث وفى ترك ضمير كل و الوالدان و الاقربون استئناف مفسر للموالى وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لايتناولهم كما لايتناول الوالدين او لكل قوم جعلناهم موالى حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالى صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر (والذين عاقدت ايمانكم) موالى الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابى حنيفة رحمه الله تعالى لواسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث اوالازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره (فآتوهم نصيبهم) اومنصوب بمضمر يفسره مابعده كقولك زيدا واضربه اومعطوف على الوالدين وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها و الضمير للموالى وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف فى القرآءة الاخرى (ان الله كان على كل شئ شهيدا) تهديد على منع نصيبهم (الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبى وكسبى فقال (بما فضل الله بعضهم على بعض) بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة فى الاعمال و الطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولايه واقامة الشعائر والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم فى الميراث والاستبداد بالفراق (و بما انفقوا من اموالهم) فى نكاحهن كالمهر والنفقة روى ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنقتص منه فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير (فالصالحات قانتات) مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج (حافظات للغيب) اى يحفظن فى غيبة الازواج مايجب حفظه فى النفس والمال وعنه عليه الصلاة والسلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم (بما حفظ الله) بحفظ الله اياهن على وحدانية الله (فعفونا عن ذلك) ولم نستاصلهم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا بينا ظاهرا عليهم حيث امرهم بقتل انفسهم توبة فأطاعوه (ورفعنا فوقهم الطور) الجبل (بميثاقهم) بسبب اخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه (وقلنا لهم) وهو مظل عليهم (ادخلوا الباب) باب القرية (سجدا) سجود انحناء (وقلنا لهم لاتعدوا) وفى قراءة بفتح العين وتشديد الدال وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الدال اى لاتعدوا (فى السبت) باصطياد الحيتان فيه (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) على ذلك فنقضوه (فبما نقضهم) مازائدة والباء للسببية متعلقة بمحذوف اى لعناهم بسبب نقضهم (ميثاقهم وكفرهم بآيات الله و قتلهم الانبياء بغير حق وقولهم) للنبى صلى الله عليه وسلم (قلوبنا غلف) لاتسعى كلامك (بل طبع) ختم (الله عليها بكفرهم) فلا تعى

بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذى حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام حفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذى حفظ حق الله اوطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال (واللاتى تخافون نشوزهن) عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز (فعظوهن واهجروهن فى المضاجع) فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف اولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اى لا تبايتوهن (واضربوهن) يعنى ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مترتبة ينبغى ان يدرج فيها (فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) بالتوبيخ والايذاء والمعنى فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له (ان الله كان عليا كبيرا) فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم اوانه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم اوانه يتعالى ويكبر ان يظلم احدا اوينقص حقه (وان خفتم شقاق بينهما) خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجرى مايدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله ياسارق الليلة والفاعل كقولهم نهارك صائم (فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها) فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين اولتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان تخالعا ان وجدا الصلاح فيه (ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) الضمير الاول للحكمين والثانى للزوجين اى ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما ليتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اى ان اراد الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه (ان الله كان عليما خبيرا) بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) صنما اوغيره اوشيئا من الاشراك جليا

وعظا (فلا تؤمنون الا قليلا) منهم كعبة الله بن سلام واصحابه (ويكفرهم) ثانيا بعيسى وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) حيث رموها بالزنا (وقولهم) مفتخرين (انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) فى زعمهم اى بمجموع ذلك عذبناهم قال تعالى تكذيبا لهم فى قتلهم (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) المقتول والمصلوب وهو صاحبهم بعيسى اى القى الله عليه شبهه فظنوه اياه (وان الذين اختلفوا فيه) اى فى عيسى لفى شك منه) من قتله حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به وقال آخرون بل هو هو (مالهم به) بقتله (من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع اى لكن يتبعون فيه الظن الذى تخيلوه (وما قتلوه يقينا) حال مؤكدة لنفى القتل (بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا)

او خفيا (وبالوالدين احسانا) واحسنوا بهما احسانا (وبذى القربى) وبصاحب القرابة (واليتامى والمساكين والجار ذى القربى) اى الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب اودين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحفظه (والجار الجنب) البعيد او الذى لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب (والصاحب بالجنب) الرفيق فى امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة (وابن السبيل) المسافر او الضيف (وما ملكت ايمانكم) العبيد والاماء (ان الله لا يحب من كان مختالا) متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم (فخورا) يتفاخر عليهم (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من قوله من كان او نصب على الذم اورفع عليه اى هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به وقرأ حمزة والكسائى ههنا وفى الحديد بالبخل بفتح الحرفين هى لغة (ويكتمون ما اتاهم الله من فضله) الغنى والعلم فهم احقاء بكل ملامة (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل فى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم (والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس) عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق لا على ما ينبغى من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سوآء فى القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان له قرينا (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر) ليتخرجوا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو امكة وقيل المنافقون (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله تعالى انا المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان فى النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله

فى ملكه (حكيما) فى صنعه (وان) ما (من اهل الكتاب احد (الا ليؤمنن به) بعيسى (قبل موته) اى الكتابى حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه ايمان او قبل موت عيسى لما ينزل قرب الساعة كما ورد فى حديث (ويوم القيامة يكون) عيسى (عليهم شهيدا) بما فعلوه لما بعث اليهم (فبظلم) اى فبسبب ظلم (من الذين هادوا) هم اليهود (حرمنا عليهم طيبات احلت لهم) هى التى فى قوله حرمنا كل ذى ظفر الآية (وبصدهم) الناس (عن سبيل الله) دينه صدا (كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه) فى التوراة (اكلهم اموال الناس بالباطل) بالرشا فى الحكم (واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) مؤلما (لكن الراسخون) الثابتون (فى العلم منهم) لعبد الله بن سلام (والمؤمنون) المهاجرون والانصار (يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك) من الكتب (والمقيمين الصلاة)

نصب على المدح وقرئ بالرفع (والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الاخر أولئك سنؤتيهم) بالنون والياء (اجرا عظيما) هو الجنة (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده و) كما (اوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ابنيه (ويعقوب) بن اسحق (والاسباط) اولاده (وعيسى وايوب و يونس وهرون وسليمان وآتينا) اباه (داود زبورا) بالفتح اسم للكتاب المؤتى والضم مصدر بمعنى مزبورا اى مكتوبا (و ارسلنا (رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) روى انه تعالى بعث ثمانية آلاف نبى اربعة آلاف من بنى اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس قاله الشيخ فى سورة غافر (وكلم الله موسى) بلا واسطة (تكليما رسلا) يدل من رسلا قبله (مبشرين) بالثواب من آمن (ومنذرين) بالعقاب من كفر ارسلناهم (لئلا يكون للناس على الله حجة)

واليوم الاخر وانفقوا مما رزقناهم الله) اى ومالذى عليهم او اى تبعة تحقيق بهم بالايمان والانفاق فى سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ على خلاف ماهو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لاضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره فى الاية الاخرى لان القصد بذكره الى التحضيض ههنا والتعليل ثمة (وكان الله بهم عليما) وعيد لهم (الله لايظلم مثقال ذرة) لاينقص من اجر ولايزيد فى العقاب اصغر شئ كالذرة وهى النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفى ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه (وان تك حسنة) وان يكن مثقال الذرة حسنة وانت الضمير لتأنيث الخبر اولاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة (يضاعفها) يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بعضها وكلاهما بمعنى (ويؤت من لدنه) و يعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ماوعد فى مقابلة العمل (اجرا عظيما) عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه (فكيف اذا جئنا من كل لغة بشهيد) حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعنى نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل فى الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هو الامر وتعظيم الشأن (وجئنابك) يامحمد (على هؤلاء شهيدا) تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض) بيان لحالهم حينئذ اى يود الذين كفروا جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة فى ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى اولم يبعثوا اولم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء (ولايكتمون الله حديثا) ولايقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لايكتمون من الله حديثا ولايكذبونه بقولهم والله ربنا ماكنا مشركين

اذروى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فيشهد عليهم جوارحهم فيشتد والامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغمت التاء فى السين وقرأ حمزة والكسائى تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) اى لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنبهوا وتعلموا ما تقولون فى صلاتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم احدهم ليصلى بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلاة مواضعها وهى المساجد وليس المراد منه نهى السكران عن قربان الصلاة وانما المراد منه النهى عن الافراط فى الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح سكرى على انه جمع كهكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة للجماعة (ولا جنبا) عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة فى موضع النصب على الحال والجنب الذى اصابه الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجرى مجرى المصدر (الا عابرى سبيل) متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اى لا تقربوا الصلاة جنبا فى عامة الاحوال الا فى السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اى جنبا غير عابرى سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابرى سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعى رضى الله عنه وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه لا يجوز له المرور فى المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق (حتى تغتسلوا) غاية النهى عن القربان حال الجنابة وفى الآية تنبيه على ان المصلى ينبغى له ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكى نفسه عما يجب تطهيرها عنه (وان كنتم مرضى) مرضا يخاف معه عن استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه (او على سفر) لا تجدونه فيه (او جاء احد منكم من الغائط) فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط الموضع المطمئن من الارض (او لامستم النساء) او ماستم بشرتهن بشرتكم وبه استدل الشافعى على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل اوجامعتموهن وقرأ حمزة والكسائى ههنا وفى المائدة لمستم واستعماله كناية

تقال (بعد) ارسال (الرسل) اليهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك وتكون من المؤمنين فبعثناهم لقطع عذرهم (وكان الله عزيزا) فى ملكه (حكيما) فى صنعه ونزل لما سئل اليهود عن نبوته صلى الله عليه وسلم فانكروه (لكن الله يشهد) يبين نبوتك (بما أنزل اليك) من القرآن المعجز (انزله) ملتبسا (بعلمه) اى عالما به اووفيه علمه (والملائكة يشهدون) لك ايضا (وكفى بالله شهيدا) على ذلك (ان الذين كفروا) بالله (وصدوا) الناس (عن سبيل الله) دين الاسلام بكتمهم نعت محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الحق (ان الذين كفروا) بالله (وظلموا) نبيه بكتمان نعته (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا) من الطرق (الا طريق جهنم أى الطريق المؤدى اليها (خالدين) مقدرين الخلود (فيها) اذا دخلوها (ابدا وكان

عن الجماع اقل من الملامسة (فلم تجدوا ماء) فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث اوجنب والحالة المقتضية له فى غالب الامر مرض اوسفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره اسباب مايحدث بالذات ومايحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل احوال الجنب وبيان العذر مجملا وكأنه قيل وان كنتم جنبا مرضى اوعلى سفر اومحدثين جئتم من الغائط ولامستم النساء فلم تجدوا ماء (فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم) اى فتعمدوا شيئا من الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزأه وقال اصحابنا لابد من ان يعلق باليد شئ من التراب لقوله تعالى فى المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وماروى انه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق (ان الله كان عفوا غفورا) فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم (الم تر الى الذين اوتوا) من رؤية البصر اى الم تنظر اليهم او القلب وعدى بالى لتضمين معنى الانتهاء (نصيبا من الكتاب) حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد احبار اليهود (يشترون الضلالة) يختارونها على الهدى اويستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التوارة (ويريدون ان تضلوا) ايها المؤمنون (السبيل) سبيل الحق (والله اعلم) منكم (باعدائكم) وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وبما يريدون بكم فاحذروهم (وكفى بالله وليا) يلى امركم (وكفى بالله نصيرا يعينكم فتقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد فى فاعل كفى لتأكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال الاضافى (من الذين هادوا) بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم ومابينهما اعتراض او بيان لاعدائكم اوصلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا او يحفظكم منهم اوخبر محذوف صفة (يحرفون الكلم عن مواضعه) اى من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها باز التهعنها واثبات غيره فيها أو يؤولونه على مايشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة (ويقولون

ذلك على الله يسير) هينا (ياأيها الناس) اى اهل مكة (قد جائكم الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (بالحق من ربكم فامنوا) به واقصدوا (خيرا لكم) مما انتم فيه (وان تكفروا) به (فان لله مافى السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا فلا يضره كفركم (وكان الله عليما) بخلقه (حكيما) فى صنعه بهم (ياأهل الكتاب) الانجيل (لاتغلوا) تجاوزوا الحد (فى دينكم ولا تقولوا على الله الا) القول (الحق) من تنزيهه عن الشريك والولد (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته) القاها) اوصلها الله (الى مريم وروح) اى ذوروح (منه) اضيف اليه تعالى تشريفا له وليس كما زعمتم ابن الله اوالها معه أو ثالث ثلاثة لان ذا الروح مركب والاله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب اليه (فامنوا بالله ورسوله ولاتقولوا) الآلهة (ثلاثة) الله وعيسى وامه (انتهوا) عن ذلك

سمعنا) قولك (وعصينا) امرك (واسمع غير مسمع) اى مدعوا عليك بلا سمعت بصمم اوموت اواسمع غير مجاب الى ماتدعو اليه اواسمع غير مسمع كلا ماترضاه اواسمع كلاماغير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به اواسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذاسبه وانما قالوه نفاقا (وراعنا) انظرنا نكلمك اونفعهم كلامك (ليا بالسنتهم) فتلا بها وصرفا للكلام الى مايشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لمايتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لاسمعت مكروها اوفتلا بها وضما مايظهرون من الدعاء والتوقير الى مايضمرون من السب والتحقير نفاقا (وطعنا فى الدين) استهزاء به وسخرية (ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا) ولوثبت قولهم هذا مكان ماقالوه (لكان خيرا لهم واقوم) لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو فى مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه (ولكن لعنهم الله بكفرهم) ولكن خذلهم الله وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم (فلايؤمنون الاقليلا) اى الا ايمانا قليلا لايعبابه وهو الايمان ببعض الآيات والرسول ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله *قليل التشكى للمهم يصيبه* اوالاقليلا منهم آمنوا اوسيؤمنون (ياايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بمانزلنا مصدقا لمامعكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها) من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعنى الاقفاء اوننكسها الى ورائها فى الدنيا اوفى الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس فى ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار اونردها الى حيث جاءت منه وهى اذرعات الشام يعنى اجلاء بنى النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء اومن قبل ان نطمس وجوها بان نعمى الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها من الهداية الى الضلالة (اونلعنهم كما لعنا اصحاب السبت) اونخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت اومسخا مثل مسخهم اونلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه اوللذين على طريقة الالتفات اوللوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على المراد به ليس مسخ الصورة فى الدنيا ومن حمل الوعيد على تغير الصورة فى الدنيا قال انه بعد متربق اوكان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم واتوا (خيرا لكم) منه وهو التوحيد (انما الله اله واحد سبحانه) تنزيها له عن (ان يكون له ولد له مافى السموات ومافى الارض) خلقا وملكا والملكية تنافى النبوة (وكفى بالله وكيلا) شهيدا على ذلك (لن يستنكف) يتكبر ويأنف (المسيح) الذى زعمتم انه اله عن (ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) عند الله لايستنكفون ان يكونوا عبيدا وهذا من احسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم انها الهة او بنات الله كما رد بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك المقصود خطابهم (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) فى الآخرة (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم) ثواب اعمالهم (ويزيدهم من فضله) مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (واما الذين استنكفوا واستكبروا عن عبادته (فيعذبهم عذابا اليما) مؤلما هو عذاب النار

وقد آمن منهم طائفة (وكان امر الله) بايقاع شئ اووعيده اوماحكم به وقضاه (مفعولا) نافذا وكائنا فيقع لامحالة ماوعدتم به ان لم تؤمنوا (ان الله لايغفر ان يشرك به) لانه بت الحكم على خلود عذابه اولان ذنبه لاينمحى عنه اثره فلايستعد للعفو بخلاف غيره (ويغفر مادون ذلك) اى مادون الشرك صغيرا كان اوكبيرا (لمن يشاء) تفضلا عليه واحسانا وعلقه المعتزلة بالفعلين على معنى ان الله لايغفر الشرك لمن يشاء وهو من يتب و يغفر مادون ذلك لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافى وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هى حجة عليهم فهى حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد فى النار (ومن يشرك فقد افترى اثما عظيما) ارتكب مايستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه و بين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق (الم تر الى الذين يزكون انفسهم) يعنى اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لاقالوا والله مانحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفرعنا بالليل وماعملنا بالليل كفرعنا بالنهار وفى معناهم من زكى نفسه واثنى عليها (بل الله يزكى من يشاء) تنبيه على ان تزكيته تعالى هى المعتد بها دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوى عليه الانسان من حسن اوقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفى مايستقبح فعلا اوقولا (ولايظلمون) بالذم اوالعقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق (فتيلا) ادنى ظلم واصغره وهوالخيط الذى فى شق النواة يضرب به المثل فى الحقارة (انظر كيف يفترون على الله الكذب) فى زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده (وكفى به) بزعمهم هذا اوبالافتراء (اثما مبينا) ولايخفى كونه مأثما من بين آثامهم (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزلت فى يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعو اليه محمد وقيل فى حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف فى جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا تأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن

(ولايجدون لهم من دون الله) اى غيره (وليا) يدفعه عنهم (ولانصيرا) يمنعهم منه (يا ايها الناس قد جائكم برهان) حجة (من ربكم) عليكم وهو النبى صلى الله عليه وسلم (وانزلنا اليكم نورا مبينا) بينا وهو القرآن (فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا) طريقا (مستقيما) هو دين الاسلام (يستفتونك) فى الكلالة (قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ) مرفوع بفعل يفسره (هلك) مات (ليس له ولد) اى ولا والد وهو الكلالة (وله اخت) من ابوين اواب (فانها نصف ماترك وهو) اى الاخ كذلك (يرثها) جميع ماتركت (ان لم يكن لها ولد) فان كان لها ولد ذكر فلاشئ له اوانثى فله مافضله عن نصيبها ولوكانت الاخت اوالاخ من ام فرضه السدس كما تقدم اول السورة (فان كانتا) اى الاختان (اثنين) اى

اليكم ففعلوا والجبت فى الاصل اسم صنم فاستعمل فى كل ماعبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذى لاخير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره (ويقولون للذين كفروا) لاجلهم وفيهم (هؤلاء) اشارة اليهم (اهدى من الذين آمنوا سبيلا) اقوم دينا وارشد طريقا (اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجدله نصيرا) يمنع عنه العذاب بشفاعة اوغيرها (ام لهم نصيب من الملك) ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم (فاذا لايؤتون الناس نقيرا) اى لوكان لهم نصيب من الملك فاذا لايؤتون احدا مايوازى نقيرا وهو النقرة فى ظهر النواة وهذا هو الاغراق فى بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فاظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكتابة وانهم لايؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لاتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لايؤتوا على النصب (ام يحسدون الناس) بل ايحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كما لهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شرا الرذائل فكان بينهما تجاذبا وتلازما (على ماآتاهم الله من فضله) يعنى النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبى الموعود منهم (فقد آتينا آل ابراهيم) الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء عمه (الكتاب والحكمة) النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ماآتاهم (فمنهم) فمن اليهود (من آمن به) بمحمد صلى الله عليه وسلم وبماذكر من حديث آل ابراهيم (ومنهم من صد عنه) اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن فى ذلك توهين امره فكذلك لايؤهن كفر هؤلاء امرك (وكفى بجهنم سعيرا) نارا مسعورة يعذبون بها اى ان لم يجملوا بالعقوبة فقد كفاهم ماأعد لهم من سعير جهنم (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) كالبيان والتقرير لذلك (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال (ليذوقوا العذاب) اى ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب فى الحقيقة للنفس العاصية المدركة

فصاعدا لانها نزلت فى جابر وقد مات عن اخوات (فلهما الثلثان مما ترك) الاخ (وان كانوا) اى الورثة (اخوة رجالا ونساء فللذكر) منهم (مثل حظ الانثيين يبين الله لكم) شرائع دينكم (ان) لا (تضلوا والله بكل شئ عليم) ومنه الميراث روى الشيخان عن البراء انها آخر آية نزلت من الفرائض

(سورة المائدة مدنية مائة وعشرون او وثنتان او ثلاث آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) العهود المؤكدة التى بينكم وبين الله والناس (احلت لكم بهيمة الانعام) الابل والبقر والغنم اكلا بعد الذبح (الا مايتلى عليكم) تحريمه فى حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا والتحريم لما عرض من الموت ونحوه (غير محلى الصيد وانتم حرم) اى محرمون ونصب غير على الحال من ضمير لكم (ان الله يحكم

لالا آلة ادراكها فلامحذور (ان الله كان عزيزا) لايمتنع عليه مايريده (حكيما) يعاقب على وفق حكمته (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض (لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا) فينانا لاجوب فيه ودائما لاتنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح فى عثمان بن طلحة بن عبدالدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه فلوى على كرم الله وجهه يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضى الله عنه ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقابة والسدانة فنزلت فامره الله ان يرده اليه فامر عليا رضى الله عنه بان يرد ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزول الوحى بان السدانة فى اولاده ابدا (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) اى وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم (ان الله نعما يعظكم به) اى نعم شيئا يعظكم به ونعم الشئ الذى يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل فى الحكومات (ان الله كان سميعا بصيرا) باقوالكم واحكامكم وماتفعلون فى الامانات (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) يريد بهم امراء المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ماداموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم (فان تنازعتم) انتم واولوا الامر منكم (فى شئ) من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات (فردوه) فراجعوا فيه (الى الله

مايريد) من التحليل وغيره لااعتراض عليه (يا أيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله) جمع شعيرة اى معالم دينه بالصيد فى الاحرام (ولا الاشهر الحرام) بالقتال فيه (ولا الهدى) ماهدى الى الحرم من النعم بالتعرض له (ولا القلائد) جمع قلادة وهى ما كان يقلد به من شجر الحرم ليامن اى فلاتتعرضوا لها ولا لاصحابها (ولا) تحلوا (آمين) قاصدين (البيت الحرام) بأن تقاتلوهم (يبتغون فضلا) رزقا (من ربهم) بالتجارة (ورضوانا) منه بقصده بزعمهم الفاسد وهذا منسوخ بآية براءة (واذا حللتم) من الاحرام (فاصطادوا) امرا باحة (ولايجرمنكم) يكسبنكم (شنآن) بفتح النون وسكونها بغض (قوم) لاجل (ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا) عليهم بالقتل وغيره (وتعاونوا على البر) فعل ماامرتم به (والتقوى) بترك مانهيتم عنه (ولاتعاونوا) فيه حذف احدى التاءين فى الاصل (على الاثم)

الى كتابه (والرسول) بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان يوجب ذلك (ذلك) اى الرد (خير) لكم (واحسن تأويلا) عاقبة او احسن تأويلا من تأويلكم بلا رد (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودى ولم يرض المنافق بقضائه وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رضى الله تعالى عنه للمنافق أكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرائيل ان عمر قد فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف ومعناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله فسمى بذلك لفرط طغيانه او للتشبيه بالشيطان اولان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال (وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا) وقرئ ان يكفروا بها على الطاغوت جمع لقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول) وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) هو مصدر او اسم للمصدر الذى هو الصد والفرق بينه وبين السدانه غير محسوس والسد محسوس ويصدون فى موضع الحال (فكيف) تكون حالهم (اذا اصابتهم مصيبة) كقتل عمر المنافق او النقمة من الله تعالى (بما قدمت ايديهم) من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك (ثم جاؤك) حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض (يحلفون

المعاصى (والعدوان) التعدى فى حدود الله (واتقوا الله) خافوا عقابه بأن تطيعوه (ان الله شديد العقاب) لمن خالفه (حرمت عليكم الميتة) اى اكلها (والدم) اى المسفوح كما فى الانعام (ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به) بان ذبح على اسم غيره (والمنخنقة) الميتة خنقا (والموقوذة) المقتولة ضربا (والمتردية) الساقطة من علو الى سفل فماتت (والنطيحة) المقتولة بنطح اخرى لها وما اكل السبع) منه (الا ما ذكيتم) اى ادركتم فيه الروح من هذه الاشياء فذبحتموه (وما ذبح على) اسم (النصب) جمع انصاب وهى الاصنام (وان تستقسموا) تطلبوا القسم والحكم) (بالازلام) جمع زلم بفتح الزاى وضمها مع فتح اللام قدح بكسر القاف صغير لا ريش له ولا نصل وكانت سبعة عند سادن الكعبة عليها اعلام وكانوا يحكمونها فان امرتهم ائتمروا وان نهتهم انتهوا (ذلكم فسق) خروج عن الطاعة * ونزل بعرفة

بالله) حال (ان اردنا الا احسانا وتوفيقا) ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاءا صحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه (اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب (فاعرض عنهم) اى عن عقابهم لمصلحة فى استبقائهم او عن قبول معذرتهم (وعظهم) بلسانك وكفهم عما هم عليه (وقل لهم فى انفسهم) اى فى معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح فى السر انجع (قولا بليغا) يبلغ منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافى عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام وتعليق الطرف ببليغا على بليغا فى انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف والقول البليغ فى الاصل هو الذى يطابق مدلوله المقصود به (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) بسبب اذنه فى طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكأنه احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت (جاؤك) تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به (فاستغفروا الله) لذنوبهم بالتوبة والاخلاص (واستغفر لهم الرسول) واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشأنه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع فى كبائر الذنوب (لوجدوا الله توابا رحيما) لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه (فلا وربك) اى فو ربك ولا مزيدة لتأكيد القسم لالتظاهر لا فى قوله (لا يؤمنون) لانها تزاد ايضا فى الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك

عام حجة الوداع (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) ان ترتدوا عنه بعد طمعهم فى ذلك لما رأوا من قوته (فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم) احكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام (واتممت عليكم نعمتى) باكماله وقيل بدخول مكة آمنين (ورضيت) اى اخترت (لكم الاسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة) مجاعة الى اكل شئ مما حرم عليه فاكله (غير متجانف) مائل (لاثم) معصية (فان الله غفور) له ما اكل (رحيم) به فى اباحته له بخلاف المائل لاثم اى المتلبس به كقاطع الطريق والباغى مثلا فلا يحل له الاكل (يسالونك) يا محمد (ماذا احل لهم) من الطعام (قل احل لكم الطيبات) المستلذات (وما) صيد (ما علمتم من الجوارح) الكواسب من الكلاب والسباع والطير (مكلبين) حال من كلبت الكلب بالتشديد اى ارسلته على الصيد (تعلمونهن) حال من ضمير مكلبين اى تؤدبونهن (مما علمكم الله) من آداب

فى ضيق من امره (ويسلموا تسليما) وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم (ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم) تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنوا اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا فى معنى امرنا (او اخرجوا من دياركم) خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع فى نحو قوله تعالى ولا تنسوا الفضل وقرأ جزة وعاصم بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل (ما فعلوه الا قليل منهم) الاناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدرى الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الافعلا قليلا (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به) من متابعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومطاوعته طوعا ورغبة (لكان خيرا لهم) فى عاجلهم وآجلهم (واشد تثبيتا) فى دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفى الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضا مما نزلت فى شان المنافق واليهودى وقيل انها والتى قبلها نزلتا فى حاطب بن ابى بلتعة خاصم زبيرا فى شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخيل فقال عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك (واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وما يكون لهم بعدا التثبيت فقال واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء (ولهديناهم صراطا مستقيما) يوصلن بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم) مزيد ترغيب فى الطاعة بالوعد عليها موافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) بيان للذين او حال منه او من ضمير عليهم قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر

الصيد (فكلوا مما أمسكن عليكم) وان قتلنه بان لم ياكلن منه بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها وعلامتها ان تسترسل اذا ارسلت وتنزجر اذا زجرت وتمسك الصيد ولا تأكل منه واقل ما يعرف به ذلك ثلاث مرات فان اكلت منه فليس مما امسكن على صاحبها فلا يحل اكله كما فى حديث الصحيحين وفيه ان صيد السهم اذا ارسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح (واذكروا اسم الله عليه) عند ارساله (واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم احل لكم الطيبات) المستلذات (وطعام الذين اوتوا الكتاب) اى ذبائح اليهود والنصارى (حل) حلال (لكم وطعامكم) اياهم (حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات) الحرائر (من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) ان تنكحوهن (اذا آتيتموهن اجورهن) مهورهن (محصنين) متزوجين (غير مسافحين) معلنين

بالزنا بهن (ولا متخذى اخدان) منهن تسرون بالزنا بهن (ومن يكفر بالايمان) اى يرتد (فقد حبط عمله) الصالح قبل ذلك فلا يعتد به ولا يثاب عليه (وهو فى الآخرة من الخاسرين) اذا مات عليه (يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم) اى اردتم القيام (الى الصلوة) وانتم محدثون (فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق) اى معها كما بينه السنة (وامسحوا برؤسكم) الباء للالصاق اى الصقوا المسح بها من غير اسالة ماء وهو اسم جنس فيكفى اقل ما يصدق عليه وهو مسح بعض شعرة وعليه الشافعى (وارجلكم) بالنصب عطفا على ايديكم وبالجر على الجوار (الى الكعبين) اى معهما كما بينته السنة وهما العظمان الناتئان فى كل رجل عند مفصل الساق والقدم والفصل بين الايدى والارجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب فى طهارة هذه الاعضاء وعليه الشافعى ويؤخذ من

فى الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هى عليها ثم الشهدآء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد فى اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان اوواقفين فى مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشئ قريبا وهو الانبياء عليهم الصلاة والسلام اولا فيكونون كمن يرى الشئ من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهدآء الله فى ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون (وحسن اولئك رفيقا) فى معنى التعجب ورفيقا نصب على التميز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق اولانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روى ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بى من وجع غير انى اذا لم اركَ اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لانى عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت (ذلك) مبتدأ اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهما والى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم (الفضل) صفته (من الله) خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة (وكفى بالله عليما) بجزآء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله (يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم) تيقظوا واستعدوا للاعدآء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح (فانفروا) فاخرجوا الى الجهاد (ثبات) جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه وتجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه (او انفروا جميعا) مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت فى الحرب لكن يقتضى اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كفيما امكن قبل الفوات (وان منكم لمن ليبطئن) الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقون هم تثاقلوا تخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبطوا

غيرهم كما ثبط ابن ابى اناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر الثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن فى ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن (فان اصابتكم مصيبة) كقتل وهزيمة (قال) اى المبطى (قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا) حاضرا فى تلك الغزاة فيصيبنى ما اصابهم (ولئن اصابكم فضل من الله) كفتح وغنيمة (ليقولن) اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كأن لم يكن بينكم و بينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو (ياليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما) للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم و بينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال اوحال من الضمير فى ليقولن اوداخل فى المقول اى يقول المبطئ لمن ثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم و بين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز ياليتنى كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى فى ياليتنى محذوف اى ياقوم وقيل ياطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمنى وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز فى ذلك الوقت او العطف على كنت (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) اى الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم فى طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ماحكى عنهم (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل اويغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما) وعده الاجر العظيم غلب اوغلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغى ان يثبت فى المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين (ومالكم) مبتدأ وخبر (لا تقاتلون فى سبيل الله) حال والعامل فيها ما فى الظرف من معنى الفعل (والمستضعفين) عطف على اسم الله اى وفى سبيل

السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات (وان كنتم جنبا فاطهروا) فاغتسلوا وان كنتم مرضى) مرضا يضره الماء (اوعلى سفر) اى مسافرين (اوجاء احد منكم من الغائط) اى احدث (اولا مستم النساء) سبق مثله فى آية النساء (فلم تجدوا ماء) بعد طلبه (فتيمموا) اقصدوا (صعيدا طيبا) ترابا طاهرا (فامسحوا بوجوهكم وايديكم) مع المرفقين (منه) بضربتين والباء للالصاق وبينت السنة ان المراد استيعاب العضوين بالمسح (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم (ولكن يريد ليطهركم) من الاحداث والذنوب (وليتم نعمته عليكم) بالاسلام ببيان شرائع الدين (لعلكم تشكرون) نعمه (واذكروا نعمت الله عليكم) بالاسلام (وميثاقه) عهده (الذى واثقكم به) عاهدكم عليه (اذقلتم) للنبى

صلى الله عليه وسلم حين بايعتموه (سمعنا واطعنا) فى كل ماتأمر به وتنهى عما تحب وتكره (واتقوا الله) فى ميثاقه ان تنقضوه (ان الله عليم بذات الصدور) بما فى القلوب فبغيره اولى (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين) قائمين (لله) بحقوقه (شهداء بالقسط) بالعدل (ولا يجرمنكم) يحملنكم (شنآن) بغض (قوم) اى الكفار على (الا تعدلوا) فتنالوا منهم لعداوتهم (اعدلوا) فى العدو والولى (هو) اى العدل (اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) فيجازيكم به (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وعدا حسنا (لهم مغفرة واجر عظيم) هو الجنة (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم) هم قريش (ان يبسطوا) يمدوا (اليكم ايديهم) ليفتكوا بكم (فكف ايديهم عنكم) وعصمكم مما ارادوا

المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اى وفى خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدى الكفار اعظمها واخصها (من الرجال والنساء والولدان) بيان للمستضعفين وهم المسلمين الذين بقوا بمكة لصد المشركين اوضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة فى الحث وتنبيها على تناهى ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم فى الدعاء حتى يشاركوا فى استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد (الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل من بقى منهم خير ولى وناصر ففتح مكة على يد نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعزاء اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) فيما يصلون به الى الله (والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) فيما يبلغ بهم الى الشيطان (فقاتلوا اولياء الشيطان) لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) اى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شىء واوهنه (الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم) اى عن القتال (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) واشتغلوا بما امرتم به (فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدأ ومنهم صفته ويخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه (او اشد خشية) عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى اى كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض

اللهم الان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب) استزادة فى مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ماتفوهوا به ولكن قالوه فى انفسهم حكى الله عنهم (قل متاع الدنيا قليل) سريع التقضى (والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) ولا تنقصون ادنى شئ من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى ولا يظلمون بتقدم الغيبة (اينما تكونوا يدرككم الموت) وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله * من يفعل الحسنات الله يشكرها * او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون (ولو كنتم فى بروج مشيدة) فى قصور او حصون مرتفعة والبروج فى الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد فى الآية اى ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هى الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها (قل كل من عند الله) اى يبسط ويقبض حسب ارادته (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من عند الله او حديثا ما كيها ثم لا فهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله تعالى (ما اصابك) يا انسان (من حسنة) من نعمة (فمن الله) تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافى نعمة الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال عليه السلام ما يدخل الجنة احد الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت قال ولا انا (وما اصابك) من سيئة من بلية (فمن نفسك) لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله تعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما من مسلم يصيبه وصب بكم (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل) مما يذكر بعد (وبعثنا) فيه التفات عن الغيبة امتنا (منهم اثنى عشر نقيبا) من كل سبط نقيب يكون كفيلا على قومه بالوفاء بالعهد توثقة عليهم (وقال) لهم (الله انى معكم) بالعون والنصرة (لئن) لام قسم اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة (وآمنتم برسلى وعززتموهم) نصرتموهم (واقرضتم الله قرضا حسنا) بالانفاق فى سبيله (لاكفرن عنكم سياتكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك) الميثاق (منكم فقد ضل سواء السبيل) اخطأ طريق الحق والسواء فى الاصل الوسط فنقضوا الميثاق قال تعالى (فبما نقضهم) ما زائدة (ميثاقهم لعناهم) ابعدناهم عن رحمتنا (وجعلنا قلوبهم قاسية) لاتلين القبول الايمان (يحرفون الكلم) الذى فى التوراة من نعت محمد وغير (عن مواضعه) الى

ولانصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لاحجة فيهما لنا وللمعتزلة (وارسلناك للناس رسولا) حال قصد بها التأكيدان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اى رسولا للناس جميعا كقوله تعالى * وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله* ولا خارجا من فى زور كلام* (وكفى بالله شهيدا) رسالتك بنصب المعجزات (من يطع الرسول فقد اطاع الله) لانه عليه الصلاة والسلام فى الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روى انه عليه السلام قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه مايريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت (ومن تولى) عن طاعته (فما ارسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف (ويقولون) اذا امرتهم بامر (طاعة) اى امرنا طاعة اومنا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات (فاذا برزوا من عندك) خرجوا (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) اى زورت خلاف ماقلت لها او ماقالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت امامن البيتوتة لان الامور تدبر بالليل اومن بيت الشعر او البيت المبنى لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو ووحزة بيت طائفة بالادغام لقربهما فى المخرج (والله يكتب مايبيتون) يثبته فى صحائفهم للمجازاة اوفى جملة ماپوحى اليك لتطلع على اسرارهم (فاعرض عنهم) فلل المبالاة بهم اوتجاف عنهم (وتوكل على الله) فى الامور كلها سيما فى شأنهم (وكفى بالله وكيلا) يكفيك معرتهم و ينتقم لك منهم (افلا يتدبرون القرآن) يتأملون فى معانيه ويتبصرون مافيه واصل الدبر النظر فى ادبار الشئ (ولوكان من عند غير الله) اى ولوكان كلام البشر كما زعم الكفار (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه تسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على مادل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف مابسق من الاحكام ليس لتناقض فى الحكم بل لاختلاف الاحوال فى الحكم والمصالح (واذا جاءهم امر من الامن اوالخوف)

وضعه الله عليها اى يبدلونه (ونسوا) تركوا (حظا) نصيبا (مما ذكروا) امروا (به) فى التوراة من اتباع محمد (ولاتزال) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (تطلع) تظهر (على خائنة) اى خيانه (منهم) بنقض العهد وغيره (الا قليلا منهم) ممن اسلم (فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين) وهذا منسوخ باية السيف (ومن الذين قالوا انا نصارى) متعلق بقوله (اخذنا ميثاقهم) كما اخذنا على بنى اسرائيل اليهود (فنسوا حظا مما ذكروا به) فى الانجيل من الايمان وغيره ونقضوا الميثاق (فأغرينا) اوقعنا (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة يغرقهم واختلاف اهوائهم فكل فرقة تكفر الاخرى (وسوف ينبئهم الله) فى الآخرة (بما كانوا يصنعون) فيجازيهم عليه (ياأهل الكتاب) اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) محمد (يبين لكم

مما يوجب الامن او الخوف (اذا عوابه) افشوه كما يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او اخبرهم الرسول بما اوحى اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم جزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمين الاذاعة معنى التحدث (ولو ردوه) ولو ردوا ذلك الخبر (الى الرسول والى اولى الامر منهم) الى رأيه ورأى كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء (لعلمه) على اى وجه يذكره (الذين يستنبطونه منهم) يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم حتى سمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع او لا يذاع لعلم ذلك هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اى يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما تحفر (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بارسال الرسول وانزال الكتاب (لاتبعتم الشيطان) بالكفر والضلال (الاقليلا) الاقليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور (فقاتل فى سبيل الله) ان تثبطوا وتركوك وحدك (لا تكلف الا نفسك) الافعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روى انه عليه الصلاة والسلام دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج عليه السلام ومامعه الا سبعون لم يلو على احد وقرى لا تكلف بالجزم ولا تكلف بالنون على بناء الفاعل اى لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله (وحرض المؤمنين) على القتال اذما عليك فى شانهم الا التحريض (عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا) يعنى قريشا وقد فعل بان القى فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا (والله اشد بأسا) من قريش (واشد تنكيلا) تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه (من يشفع شفاعة حسنة) راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضررا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها الدعاء للمسلم قال صلى الله تعالى عليه وسلم ومن دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك (يكن له نصيب منها) وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها (ومن

كثيرا مما كنتم تخفون) تكتمون (من الكتاب) التوراة والانجيل كآية الرجم وصفته (ويعفو عن كثير) من ذلك فلا يبينه اذا لم يكن فيه مصلحة الا اقتضاحكم (قد جاءكم من الله نور) هو النبى صلى الله عليه وسلم (وكتاب) قرآن (مبين) بين ظاهر (يهدى به) اى بالكتاب (الله من اتبع رضوانه) بان آمن (سبل السلام) طرق السلامة (ويخرجهم من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان (باذنه) بارادته (ويهديهم الى صراط مستقيم) دين الاسلام (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) حيث جعلوه الها وهم اليعقوبية فرقة من النصارى (قل فمن يملك) ان يدفع (من) عذاب (الله شيأ ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا) اى لا احد يملك ذلك ولو كان المسيح الها لقدر عليه (ولله ملك السموات

والارض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شئ ان شاء (قدير وقالت اليهود والنصارى) اى كل منهما (نحن ابناء) الله اى كائنات فى القرب والمنزلة وهو كائبنا فى الرحمة والشفقة (واحباؤه قل) لهم يامحمد (فلم يعذبكم بذنوبكم) ان صدقتم فى ذلك ولا يعذب الاب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم فأنتم كاذبون (بل انتم بشر ممن) جملة من (خلق) من البشر لكم مالهم وعليكم ماعليهم (يغفر لمن يشاء) المغفرة له (ويعذب من يشاء) تعذيبه لااعتراض عليه (ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير) المرجع (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) محمد (يبين لكم) شرائع الدين (على فترة) انقطاع (من الرسل) اذلم يكن بينه وبين عيسى رسول ومدة ذلك خمسمائة وتسع وستون سنة (ان) لا (تقولوا) اذا عذبتم (ماجاءنا من) زائدة (بشير ولانذير فقد جاءكم بشير

يشفع شفاعة سيئة) يرد بها محرما (يكن له كفل منها) نصيب من وزرها مساو لها فى القدر (وكان الله على كل شئ مقيتا) مقتدرا من اقات على الشئ اذا قدر قال * وذى ضغن كففت الضغن عنه * وكنت على اساءته مقيتا * او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها اوردوها) الجمهور على انه فى السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهى النهاية واما بردمثله لماروى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فاين ماقال الله تعالى وتلا الاية فقال انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل او للتردد بين ان يحيى المسلم بعض التحية وبين ان يحيى بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد فى الخطبة وقراءة القرآن وفى الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية فى الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب فى السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعى رضى الله تعالى عنه (ان الله كان على كل شئ حسيبا) يحاسبكم على التحية وغيرها (الله لااله الا هو) مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر (ليجمعنكم الى يوم القيامة) اى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة او مفضين اليه او فى يوم القيامة ولااله الاهو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهى قيام الناس من القبور او للحساب (لاريب فيه) فى اليوم او الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر (ومن اصدق من الله حديثا) انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لايتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال (فمالكم فى المنافقين) فمالكم تفرقتم فى امر المنافقين (فئتين) اى فرقتين ولم تفتوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فى اسلامهم وقيل نزلت فى المتخلفين يوم

احدا وفى قوم هاجروا ثم رجعوا مختلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن اوقوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك مالك قائما وفى المنافقين حال من فئتين اى متفرقين فيهم اومن الضمير اى فمالكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين (والله اركسهم بما كسبوا) ردهم الى حكم الكفرة اونكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشئ مقلوبا (اتريدون ان تهدوا من اضل الله) اتجعلوه من المهتدين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) الى الهدى (ودوا لو تكفرون كما كفروا) تمنوا ان تكفروا ككفرهم (فتكونون سواء) فتكونون معهم سواء فى الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على وجواب التمنى لجاز (فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله) فلا توالوهم حتى يؤمنوا او يحققوا ايمانهم بهجرة هى لله ولرسوله لالاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه (فان تولوا) عن الايمان الظاهر بالهجرة اوعن اظهار الدين (فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم) كسائر الكفرة (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) اى جانبوهم رأسا ولا تقبلوا منهم ولاية ونصرة (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل هم الاسلميون فانه عليه الصلاة والسلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار ار مثل ماله وقيل بنو بكر بن زيد مناة (او جاؤكم) عطف على الصلة اى والذين جاؤكم كافين من قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين اوعلى صفة قوم وكأنه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين اوقوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقول فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة اوبيان ليصلون اواستئناف (حصرت صدورهم) حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدرهم اوبيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض (ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم) اى عن ان اولان اوكراهة ان يقاتلوكم ونذير) فلا عذر لكم اذا (والله على كل شئ قدير) ومنه تعذيبكم ان لم تتبعوه (و) اذكر (اذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمت الله عليكم اذ جعل فيكم) اى منكم (انبياء جعلكم ملوكا) اصحاب خدم وحشم (وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين) من المن والسلوى وفلق البحر وغير ذلك (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة) المطهرة (التى كتب الله لكم) امركم بدخولها وهى الشام (ولا ترتدوا على ادباركم) تنهزموا خوف العدو (فتنقلبوا خاسرين) فى سعيكم (قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين) من بقايا عاد طوال ذوى قوة (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون) لها (قال) لهم (رجلان من الذين يخافون) مخالفة امر الله وهما يوشع وكالب من النقباء الذين بعثهم موسى فى كشف احوال الجبابرة (انعم الله عليهما

(ولو شاء الله لسلطهم عليكم) بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم (فلقاتلوكم) ولم يكفوا عنكم (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم) فان لم يتعرضوا لكم (والقوا اليكم السلم) الاستسلام والانقياد (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) فما اذن لكم فى اخذهم وقتلهم (ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم) هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا (كلما ردوا الى الفتنة) دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين (اركسوا فيها) عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب (فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم) وينبذوا اليكم العهد (ويكفوا ايديهم) عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفى التعرض ! واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم فى قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له وليس من شانه (ان يقتل مؤمنا) يغير حق (الا خطأ) فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اى لا يقتله فى شئ من الاحوال الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اى الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يصاحبه القصد الى الفعل او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او ما لا يقصد به محظور كرمى المسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت فى عياش بن ابى ربيعة اخى ابى جهل من الام لقى حارث بن زيد فى طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة) اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشئ ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمى به لان الكرم فى الاحرار واللؤم فى العبيد والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس (مؤمنة) محكوم باسلامها وان كانت صغيرة (ودية مسلمة الى اهله) مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابى كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنى ان اورث امرأة اشيم الضبابى من عقل زوجها وهى على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن

بالمعظمة فكتما ما اطلعا عليه من حالهم الا عن موسى بخلاف بقية النقباء فافشوه فجبنوا (ادخلوا عليهم الباب) باب القرية ولا تخشوهم فانهم اجساد فلا قلوب (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) قالا ذلك تيقنا بنصر الله وانجاز وعده (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا) هم (انا ههنا قاعدون) عن القتال (قال) موسى حينئذ (رب انى لا املك الا نفسى و) الا (اخى) ولا املك غيرهما فاجبرهم على الطاعة (فافرق) فافصل (بيننا وبين القوم الفاسقين قال) تعالى له (فانها) اى الارض المقدسة (محرمة عليهم) ان يدخلوها (اربعين سنة يتيهون) يتحيرون فى الارض (فى الارض) وهى تسعة فراسخ قاله ابن عباس (فلا تاس) تحزن (على القوم الفاسقين) روى انهم كانوا يسيرون الليل جادين فاذا

فى ماله (الآن يصدقوا) يتصدقوا عليه بالدية سمى العفو عنها صدقه حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمه اى تجب الدية عليه اويسلمها الى اهله الاحال تصدقهم عليه اوزمانه فهو فى محل النصب على الحال من المقاتل اوالاهل اوالظرف (فان كان من قوم عدولكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) اى ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين اوفى تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذلا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة) اى وان كان من قوم كفرة معاهدين اواهل الذمة فحكمه حكم المسلم فى وجوب الكفارة والدية ولعل فيما اذا كان المقتول معاهدا اوكان له وارث مسلم (فمن لم يجد) رقبة بان لم يملكها ولا مايتوصل به اليها (فصيام شهرين متتابعين) فعليه اوفالواجب عليه صيام شهرين (توبة) نصب على المفعول له اى شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته اوعلى المصدر اى تاب الله عليكم توبة اوحال بحذف مضاف اى فعليه صيام شهرين ذاتوبة (من الله) صفتها (وكان الله عليما) بحاله (حكيما) فيما امر فى شأنه (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعدله عذابا عظيما) لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضى الله عنهما لاتقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روى عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب ونحو وهو عندنا امامخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل فى مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا والمراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لايدوم عذابهم (ياايها الذين آمنوا اذاضربتم فى سبيل الله) سافرتم وذهبتم الى الغزو (فتبينوا) فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا (ولاتقولوا لمن القى اليكم السلام) لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف اى الاستسلام وانقياد وفسر به السلام ايضا (لست مؤمنا) وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اى مبذولا له

اصبحوا اذا هم فى الموضع الذى ابتدوا منه ويسيرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم الا من لم يبلغ العشرين قيل وكانوا ستمائة الف ومات هرون وموسى فى التيه وكان رحمة لهما وعذابا لاولئك وسأل موسى ربه عندموته ان يدنيه من الارض المقدسة رمية حجر فادناه كما فى الحديث ونبئ يوشع بعد الاربعين وامر بقتال الجبارين فسار بمن بقى معه وقاتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم وروى احمد فى مسنده حديث ان الشمس لم تحبس على بشر الا ليوشع ليالى سار الى بيت المقدس (واتل) يامحمد (عليهم) على قومك (نبأ) خبر (ابنى آدم) هابيل وقابيل (بالحق) متعلق باتل (اذ قربا قربانا) الى الله وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل (فتقبل من احدهما) وهو هابيل بان نزلت نار من السماء فاكلت قربانه (ولم يتقبل من الاخر)

وهو قابيل فغضب واصمر الحسد فى نفسه الى ان حج آدم (قال) له (لاقتلنك) قال لم قال لتقبل قربانك دونى (قال انما يتقبل الله من المتقين لئن) لام قسم (بسطت) مددت (الى يدك لتقتلنى ماانا بباسط يدى اليك لتقتلنى ماانا اخاف الله رب العالمين) فى قتلك (انى اريد ان تبوء) ترجع (باثمى) باثم قتلى (واثمك) الذى ارتكبته من قبل (فتكون من اصحاب النار) ولااريدان ابوء باثمك اذاقتلتك فأكون منهم قال تعالى (وذلك جزاء الظالمين فطوعت) زينت (له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح) فصار (من الخاسرين) بقتله ولم يدر مايصنع به لانه اول ميت على وجه الارض من بنى آدم فحمله على ظهره (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض) ينبش التراب بمنقاره و برجليه ويثيره على غراب ميت معه حتى واراه (ليريه كيف يوارى) يستر (سوأة) جيفة (اخيه قال ياويلتى اعجزت) عن (ان اكون

الامان (تبتغون عرض الدنيا) تطلبون ماله الذى هو حطام الدنيا سريع النفاد وهو حال من الضمير فى تقولوا مشعر بما هو الحامل على الجرأة وترك التثبت (فعند الله مغانم كثيرة) تغنيكم عن قتل امثاله لماله (كذلك كنتم من قبل) اى اول مادخلتم فى الاسلام تفوهتم بكلمتى الشهادة فحصنت بها دماءكم واموالكم من غير ان يعلم مواطأة قلوبكم السنتكم (فمن الله عليكم) بالاشتهار بالايمان والاستقامة فى الدين (فتبينوا) وافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل الله بكم ولا يبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافرا هو من عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ماذكر من حالهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه روى ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا به وكبر وكبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت فى المقداد مر برجل فى غنيمه فاراد قتله فقال لااله الا الله فقتله اسامة وقال ودلو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر (لايستوى القاعدون) عن الحرب (من المؤمنين) فى موضع الحال من القاعدين اومن الضمير الذى فيه (غير اولى الضرر) بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم اوبدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالنصب على الحال او استثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين اوبدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولى الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلسه الوحى فوقعت فخذه على فخذى فخشيت ان ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم) اى لامساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير مابينهما من التفاوت ليرغب القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته (فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة) جملة موضحة لمانى الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اى بدرجة او على

المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوى درجة (وكلا) من القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى) المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب (وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما) نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجرا او المفعول الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء كان قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما (درجات منه ومغفرة ورحمة) كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا الحال منها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ماخولهم فى الدنيا من الغنيمة والظفر وجل الذكر والثانى ماجعل لهم فى الآخرة وقيل الدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم فى الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثانى هم الذين اذن لهم فى التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (وكان الله غفورا) لما عسى ان يفرط منهم (رحيما) بما وعدلهم الذين توفيهم الملائكة) يحتمل الماضى والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفى الملائكة انفسهم فيتوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها (ظالمى انفسهم) فى حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت فى ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة (قالوا) اى الملائكة توبيخا لهم (فيم كنتم) اى فى اى شئ كنتم من امر دينكم (قالوا كنا مستضعفين فى الارض) اعتذروا عما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته (قالوا) اى الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا لتركهم الواجب (الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة (فاولئك مأواهم جهنم) لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها

مثل هذا الغراب فاوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين) على حمله وحفره ووراه (من أجل ذلك) الذى فعله قابيل (كتبنا على بنى اسرائيل أنه) أى الشان (من قتل نفسا بغير نفس) قتلها (أو) بغير (فساد) اتاه (فى الارض) من كفر اوزنا اوقطع طريق أو ونحوه (فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها) بأن امتنع من قتلها (فكأنما أحيى الناس جميعا) قال ابن عباس من حيث انتهاك حرمتها وصونها (ولقد جاءتهم) اى بنى اسرائيل (رسلنا بالبينات المعجزات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون) مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك*

ونزل فى العرنيين لما قدموا المدينة وهم مرضى فاذن لهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا الى الابل ويشربوا من ابوالها والبانها فلما صحوا قتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم واستاقوا الابل (انما جزاء الذين يحاربون الله

مستنتجة منها (وساءت مصيرا) مصيرهم اوجهنم وفى الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثناء منقطع لعدم دخولهم فى الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة فى الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه اوحال عنه اوعن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومايتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه اوبدليل (فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم) ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو اذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه (وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا) متحو لا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يرغم قومه بسلوكه اى يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام (وسعة) فى الرزق واظهار الدين (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله * والحق بالحجاز فاستريحا * (فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما) الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله تعالى ثبوت الامر الواجب والآية الكريمة نزلت فى جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على مابايع عليه رسولك فمات فيه (واذا ضربتم فى الارض) سافرتم (فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة) بتنصيف ركعاتها ونفى الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتم فى السفر وان عائشة رضى الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يارسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت ياعائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر رضى الله تعالى عنه

ورسوله) بمحاربة المسلمين (ويسعون فى الارض فسادا) بقطع الطريق (ان يقتلوا او يصلبوا اوتقطع ايديهم وارجلهم من خلاف) اى ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى (اوينفوا من الارض) اولترتيب الاحوال فالقتل لمن قتل فقط والصلب لمن قتل واخذ المال والقطع لمن اخذ المال ولم يقتل والنفى لمن اخاف فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعى واصح قوليه ان الصلب ثلاثا بعد القتل وقيل قبله قليلا ويلحق بالنفى ماشبهه فى التنكيل من الجلس وغيره (ذلك) الجزاء المذكور (لهم خزى) ذل (فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) هو عذاب النار (الا الذين تابوا) من المحاربين والقطاع (من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور) لهم ماأتوه (رحيم) بهم عبر بذلك دون فلا تخدوهم ليفيد انه لا يسقط عنه بتوبته الاحدود الله دون حقوق الآدميين كذا ظهر لى ولم ار من تعرض له والله اعلم

صلاة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضى الله عنها اول مافرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت فى السفر و زيدت فى الحضر وظاهر هما يخالف الآية الكريمة فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام فى الصحة والاجزاء والثانى لاينفى جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الاية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتى السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفى الجناح فيه لتطيب به نفوسهم واقل سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عندابى حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف اى شيئا من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش (ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) شرطية باعتبار الغالب فى ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهو مها كما لم يعتبر قوله تعالى فان خفتم ان لايقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا فى حال الامن وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال التعرض بمايكره (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم بفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كيفيتها ليأتم به لائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك تصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو (وليأخذوا اسلحتهم) اى المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم (فاذا سجدوا) يعنى المصلين (فليكونوا) اى غير المصلين (من ورائكم) يحرسونكم يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن يصلى معه فغلب المخاطب على الغائب (ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا) لاشتغالهم بالحراسة (فليصلوا معك) ظاهره يدل على ان الامام يصلى مرتين بكل طائفة مرة كما فعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ببطن النخل وان اريد به ان يصلى بكل ركعة ان كانت الصلاة ركعتين فكيفيته ان يصلى بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتى الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة رحمة الله

فاذا قتل واخذ المال يقتل ويقطع ولايصلب وهو اصح قولى الشافعى ولاتفيد توبته بعد القدرة عليه شيأ وهو اصح قوليه ايضا (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله) خافوا عقابه بان تطيعوه (وابتغوا) اطلبوا (اليه الوسيلة) مايقربكم اليه من طاعته (وهدوا فى سبيله) لاعلاء دينه (لعلكم تفلحون) تفوزون (ان الذين كفروا لو) ثبت ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون) يتمنون (ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) دائم (والسارق والسارقة) الفيهما موصولة مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء فى خبره وهو فاقطعوا ايديهما) اى يمين كل منهما من الكوع وبينت السنة ان الذى يقطع فيه ربع دينار فصاعدا وانه اذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى وبعد

يصلى بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتى الاخرى فتصلى معه ركعة ويتم صلاتها ثم تعود الى وجه العدو وتأتى الاولى فتؤدى الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها (وليأخذوا حذرهم واسلحتهم) جعل الحذ آلة يتحصن بها الغازى فجمع بينه وبين الاسلحة فى وجوب الاخذ ونظير قوله تعالى والذين تبوأوا الدار والايمان (ودالذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) تمنوا ان ينالوا منكم غرة فى صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان مالاجله امروا باخذ السلاح (ولاجناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر اوكنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم) رخصة لهم فى وضعها اذ ثقل عليهم اخذها بسبب مطر اومرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب (وخذوا حذركم) امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو (ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا) وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم ليقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا فى الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله (فاذا قضيتم الصلاة) اديتم وفرغتم منها (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فدوموا على الذكر فى جميع الاحوال او اذا اردتم ادآء الصلاة واشتد الخوف فادوها كيف ماامكن قياما مسايفين ومفارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم متخنين (فاذا اطمأننتم) سكنت قلوبكم من الخوف (فاقيموا الصلاة) فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها وائتوا بها تامة (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) فرضا محدودا الاوقات لايجوز اخراجها عن اوقاتها فى شئ من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلاة وانها واجبة الادآء حال المسابقة والاضطراب فى المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ماامكن وقال ابو حنيفة لايصلى المحارب حتى يطمئن (ولاتهنوا) ولاتضعفوا (فى ابتغاء القوم) فى طلب الكفار بالقتال (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) الزام لهم وتقريع على التوانى فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب مالا يرجو عدوهم فينبغى ان يكونوا ارغب منهم فى الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولاتهنوا الان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهى من الوهن لاجله والآية نزلت فى بدر الصغرى (وكان الله عليما) بامالكم

ذلك يعزر (جزاء) نصب على المصدر (بما كسبا نكالا) عقوبة لهما (من الله والله عزيز) غالب على امره (حكيم) فى خلقه (فمن تاب من بعد ظلمه) رجع عن السرقة (واصلح) عمله (فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) فى التعبير بهذا ماتقدم فلا يسقط بتوبته حق الآدمى من القطع ورد المال نعم بينت السنة انه ان عفا عنه قبل الرفع الى الامام سقط القطع وعليه الشافعى (الم تعلم) الاستفهام فيه للتقرير (ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء) تعذيبه (ويغفر لمن يشاء) المغفرة له (والله على كل شئ قدير) ومنه التعذيب والمغفرة (يأيها الرسول لايحزنك) صنع (الذين يسارعون فى الكفر) يقعون فيه بسرعة اى يظهرونه اذا وجدوا فرصة (من) للبيان (الذين قالوا آمنا بأفواههم) بألسنتهم متعلق بقالوا (ولم تؤمن قلوبهم) وهم المنافقون (ومن الذين هادوا) قوم

وضمائركم (حكيما) فيما يأمر وينهى (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس) نزلت فى طعمة بن ابيرق من بنى ظفر سرق درعا من جاره قتادة ابن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودى فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودى فهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يفعل (بما اراك الله) بما عرفك الله واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والالاستدعى ثلاثة مفاعيل (ولا تكن للخائنين) اى لاجلهم والذب عنهم (خصيما) للبراء (واستغفر الله) مما هممت به (ان الله كان غفورا رحيما) لمن استغفره (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم) يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها اوجعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله اوله ولقومه فانهم شاركوه فى الاثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه (ان الله لا يحب من كان خوانا) مبالغا فى الخيانة مصرا عليها (اثيما) منهمكا فيه روى ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب خائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله (يستخفون من الناس) يستترون منهم حياء وخوفا (ولا يستخفون من الله) وهو احق بان يستحيى ويخاف منه (وهو معهم) لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه (اذ يبيتون) يدبرن ويزورون (ما لا يرضى من القول) من رمى البراء والحلف الكاذب وشهادة الزور (وكان الله بما يعملون محيطا) لا يفوت عنه شئ (ها انتم هؤلاء) مبتدأ وخبر (جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا) جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا عنه او صلة عند من يجعله موصولا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا) محاميا يحميهم من عذاب الله (ومن يعمل سوأ) قبيحا يسوء به غيره (او يظلم نفسه) بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة (ثم يستغفر الله) بالتوبة (يجد الله غفورا) لذنوبه (رحيما) متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) فلا يتعداه وباله لقوله وان اساتم فلها (وكان الله عليما حكيما) فهو عالم بفعله حكيم فى مجازاته

سماعون للكذب) الذى افترته احبارهم سماع قبول (سماعون) منك (لقوم) لاجل قوم (آخرين) من اليهود (يأتوك) وهم اهل خيبر زنى فيهم محصنا فكرهوا رجمهما فبعثوا قريظة ليسالوا النبى صلى الله عليه وسلم عن حكمها (يحرفون الكلم) الذى فى التوراة كآية الرجم (من بعد مواضعه) التى وضعه الله عليها أى يبدلونه (يقولون) لمن ارسلوهم (ان اوتيتم هذا) الحكم المحرف اى الجلد اى افتاكم به محمد (فخذوه) فاقبلوه (وان لم تؤتوه) بل افتاكم بخلافه (فاحذروا) ان تقبلوه (ومن يرد الله فتنته) اضلاله (فلن تملك له من الله شيا) فى دفعها (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) من الكفر ولو أراده لكل (لهم فى الدنيا خزى) ذل بالفضيحة والجزية (ولهم فى الاخرة عذاب عظيم) هم (سماعون للكذب اكالون للسحت) بضم الحاء وسكونها اى الحرام كالرشا (فان جاؤك) لتحكم بينهم

(فاحكم بينهم او اعرض عنهم) هذا التخيير منسوخ بقوله وان احكم بينهم الآية فيجب الحكم بينهم اذا ترافعوا الينا وهو اصح قولى الشافعى فلو ترافعوا الينا مع مسلم وجب اجماعا (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ وان حكمت) بينهم (فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل (ان الله يحب المقسطين) العادلين فى الحكم اى يثيبهم (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) بالرجم استفهام تعجيب اى لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ماهو اهون عليهم (ثم يتولون) يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم (من بعد ذلك) التحكيم (وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التوارة فيها هدى) من الضلالة (ونور) بيان للاحكام (يحكم بها النبيون) من بنى اسرائيل (الذين اسلموا) انقادوا لله (للذين هادوا والربانيون العلماء منهم (والاحبار) الفقهاء (بما) اى بسبب الذى (استحفظوا) استودعوه اى

(من يكسب خطيئة) صغيرة او مالا عمد فيه (او اثما) كبيرة او ما كان عن عمد (ثم يرم بريئا) كما رمى طعمة زيدا او وحد الضمير لمكان او (فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) بسبب رمى البرئ وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الاخر ولو لا فضل الله عليك ورحمته) باعلام ماهم عليه بالوحى والضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لهمت طائفة منهم) من بنى ظفر (ان يضلوك) عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفى همهم بل الى نفى تأثيره فيه (ومايضلون الا انفسهم) لانه مازلك عن الحق وعاد وباله عليهم (ومايضرونك من شئ) فان الله عصمك وماخطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لاميلا فى الحكم ومن شئ فى موضع النصب على المصدر اى شيأ من الضر (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم) من خفيات الامور اومن امور الدين والاحكام (وكان فضل الله عليك عظيما) اذ لا فضل اعظم من النبوة (لاخير فى كثير من نجواهم) من متناجيهم كقوله تعالى واذهم نجوى اومن تناجيهم فقوله (الا من امر بصدقة اومعروف) على حذف مضاف اى الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففى نجواه الخير والمعروف كل مايستحسنه الشرع ولاينكره العقل وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر مافسر به (او اصلاح بين الناس) او اصلاح ذات بين (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الامر فى زمرة الخير كان الفاعل ادخل فيهم فان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله تعالى لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة مافات فى جنبه من اعراض الدنيا وقرأ حمزة وابو عمرو ويؤتيه بالياء (ومن يشاقق الرسول) يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين فى شق غير شق الاخر (من بعد ماتبين له الهدى) ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين) غير ماهم عليه من اعتقاد اوعمل (نوله ماتولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلى بينه وبين ما اختاره (ونصله جهنم) وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه (وساءت مصيرا

جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثانى باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه فى مرصاد الافهام الى مبادى الاحكام (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) كرره للتأكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصى جرأة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب فما ترى حالى عند الله تعالى فنزلت (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر فى الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبنى على الله عزوجل (ان يدعون من دونه الا اناثا) يعنى اللات والعزى ومنات ونحوها كان لكل حى صنم يعبدونه ويسمونه انثى بنى فلان وذلك اما التأنيث اسمائها كما قال * وماذكر فان يسمن فانثى * شديد الازم ليس له ضروس * فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمى قرادا فاذا كبر سمى حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها او لعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهى جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد واثنا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثن بالتخفيف والتثقيل وهو جمع ثن كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو تحتها همزة (وان يدعون) وان يعبدون بعبادتها (الا شيطانا مريدا) لانه الذى امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعتة فى ذلك عبادته والمارد والمريد الذى لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء التى تناثر ورقها (لعنه الله) صفة ثانية للشيطان استحفظهم الله اياه (من كتاب الله) ان يبدلوه (وكانوا عليه شهداء) انه حق (فلا تخشوا الناس) ايها اليهود فى اظهار ما عندكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم والرجم وغيرهما (واخشونى) فى كتمانه (ولا تشتروا) تستبدلوا (بآياتى ثمنا قليلا) من الدنيا تأخذونه على كتمانها (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) به (وكتبنا) فرضنا (عليهم فيها) أى التوراة (ان النفس) تقتل (بالنفس) اذا قتلتها (والعين) تفقأ (بالعين والانف) يجدع (بالانف والاذن) تقطع (بالاذن والسن) تقلع (بالسن) وفى قراءة بالرفع فى الاربعة (والجروح) بالوجهين (قصاص) آى تقتص فيها اذا أمكن كالبد والرجل والذكر ونحو ذلك وما لا يمكن فيه الحكومة وهذا الحكم وان كتب عليهم فهو مقرر فى شرعنا (فمن تصدق به) اى بالقصاص بان مكن من نفسه (فهو كفارة له) لما أتاه (ومن لم يحكم بما انزل

الله) فى القصاص وغيره (فأولئك هم الظالمون وقفينا) اتبعنا (على آثارهم) أى النبيين (بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه) قبله (من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى) من الضلالة (ونور) بيان للاحكام (ومصدقا) حال (لما بين يديه من التوراة) لما فيها من الاحكام (وهدى وموعظة للمتقين و) قلنا (ليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه) من الاحكام وفى قراءة بنصب يحكم وكسر لامه عطفا على معمول آتيناه (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون وانزلنا اليك) يامحمد (الكتاب) القرآ (بالحق) متعلق بأنزلنا (مصدقا لما بين يديه) قبله (من الكتاب ومهيمنا) شاهدا (عليه) والكتاب بمعنى الكتب (فاحكم بينهم) بين اهل الكتاب اذا ترافعوا اليك (بما انزل الله) اليك (ولا تتبع اهواءهم) عادلا (عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم) ايها الامم (شرعة) شريعة (ومنهاجا) طريقا وضحا فى الدين

(وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) عطف عليه اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقبح رأيه سبحانه اولا على ان الشرك ضلال فى الغاية على سبيل التعليل بما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافى الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغى ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عابة الشيطان . وهى اقطع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد مهيمن فى الضلال لا يعلق بشئ من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثانى انه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه فى غاية العداوة والسعى فى اهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اى نصيبا مقدرا وفرض من قولهم فرض له فى العطاء (ولاضلنهم) عن الحق (ولأمنينهم) الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب (ولآمرنهم فليبتكن اذان الانعام) يشقونها لتحريم ما احله الله وهى عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقئ عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التى هى الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجبها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا فى خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او الهاما فعلا (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) باثار ما يدعوه اليه على ما امره الله ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته (فقد خسر خسرانا مبينا) اذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار (يعدهم) مالا ينجز (ويمنيهم) مالا يبان (ومايعدهم الشيطان الا غرورا) وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما الخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه (اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا) معدلا ومهربا من حاس يحيص اذا عدل وعنها حال منه ليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله (والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا) اى وعده وعدا

وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره مابعده ووعدالله بقوله سندخلهم لانه بمعنى ونعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر (ومن اصدق من الله قيلا) جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله (ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب) اى ليس ماوعدالله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولابامانى اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمنى ولكن ماوقر في القلب وصدقه العمل روى ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى بالله منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب المقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اى ليس الامر بامانى المشركين وهو قولهم لاجنة ولانار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا امانى اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا اونصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال (من يعمل سوء يجز به) عاجلا اوآجلا لما روى انها لما نزلت قال ابوبكر فمن ينجو مع هذا يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام اماتحزن امامرض امايصيبك اللاواء قال بلى يارسول الله قال هو ذلك (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله نصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه (ومن يعمل من الصالحات) بعضها اوشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها (من ذكر اوانثى) في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان اومن الصالحات اى كائنة من ذكر اوانثى ومن للابتداء وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لااعتداد به دونه فيه (فاؤلئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) بنقص شئ من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبا لحرى ان لا يزاد عقاب العاصى لان المجازى ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وابوعمر ويدخلون الجنة هنا وفي غافر ومريم بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء (ومن احسن دينا ممن اسلم يمشون عليه (ولوشاء الله لجعلكم امة واحدة) على شريعة واحدة (ولكن) فرقكم فرقا (ليبلوكم) ليختبركم (فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة لينظر المطيع منكم والعاصى (فاستبقوا الخيرات) سارعوا اليها (الى الله مرجعكم جميعا) بالبعث (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) من امر الدين ويجزى كلا منكم بعمله (وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم) (لبأن) لا (يفتنوك) يضلوك (عن بعض ماانزل الله اليك فان تولو) عن الحكم المنزل وارادوا غيره (فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم بالعقوبة في الدنيا (ببعض ذنوبهم) التي اتوها ومنها التولى ويجازيهم على جمعها في الاخرى (وان كثيرا من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون) بالياء والتاء يطلبون من المداهنة والميل اذا تولوا استفهام انكارى (ومن) اى لا احد (احسن من الله حكما لقوم)

عند قوم (يوقنون) به خصوا بالذكر لانهم الذين يتدبرونه (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء) توالونهم وتوادونهم (بعضهم اولياء بعض) لاتحادهم فى الكفر (ومن يتولهم منكم فانه منهم) من جملتهم (ان الله لايهدى القوم الظالمين) بموالاتهم الكفار (فترى الذين فى قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد كعبدالله بن ابى المنافق (يسارعون فيهم) فى موالاتهم (يقولون) معتذرين عنها (نخشى ان تصيبنا دائرة) يدور بها الدهر علينا من جدب او غلبة ولايتم امر محمد فلا يميرونا قال تعالى (فعسى الله ان يأتى بالفتح) بالنصر لنبيه باظهار دينه (او امر من عنده) بهتك ستر المنافقين و افتضاحهم (فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم) من الشك وموالاة الكفار (نادمين ويقول) بالرفع استئنافا بواو ودونها وبالنصب عطفا على يأتى (الذين آمنوا) لبعضهم اذا هتك

وجهه لله) اخلص نفسه لله لايعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له فى السجود وفى هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ماتبلغه القوة البشرية (وهو محسن) آت بالحسنات تارك للسيئات (واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها (حنيفا) مائلا عن سائر الاديان الى دين الاسلام وهو حال من المتبع او الملة او ابراهيم (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمره تفخيما لشأنه وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ودتخلل النفس وتخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق فى الرمل فانهما يترا فقان فى الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان فى الخصال والجملة استئناف جئ بها للترغيب فى اتباع ملته عليه السلام والايذان بانه نهاية فى الحسن وغاية كمال البشر روى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر فى ازمة اصابت الناس من يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقالت من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله عز وجل فسماه الله خليلا (ولله مافى السموات ومافى الارض) خلقا وملكا يختار منهما من يشاء ومايشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال (وكان الله بكل شئ محيطا) احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها (ويستفتونك فى النساء) فى ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانا كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلاة والسلام بذلك امرت (قل الله يفتيكم فيهن) يبين الله لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم (وما يتلى عليكم فى الكتاب) عطف على اسم الله او ضميره المستكن فى يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله تعالى والى مافى القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه

او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفى الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم فى الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور فى فيهن لاختلاله لفظا ومعنى (فى يتامى النساء) صلة يتلى ان عطف الموصول على ماقبله اى يتلى عليكم فى شأنهن والافبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم فى زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه وقرئ يامى بياءين على انه ايامى فقلبت همزته ياء (اللاتى لاتؤتونهن ما كتب لهن) اى فرض لهن من الميراث (وترغبون ان تنكحوهن) فى ان تنكحوهن او عن تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعلونهن طمعا فى ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة فى نكاحها جريان العقد فى صغرها (والمستضعفين من الولدان) عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء (وان تقوموا لليتامى بالقسط) ايضا عطف عليه اى ويفتيكم او ما يتلى فى ان تقوموا هذا اذا جعلت فى يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة فى ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة فى شأنهم (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) وعد لن آثر الخير فى ذلك (وان امرأة خافت من بعلها) توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر (نشوزا) تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها (او اعراضا) بان يقل مجالستها ومحادثتها (فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا) ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيأ تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما فى القراءة الاولى والمفعول بينهما وهو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح (والصلح خير) من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الحيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض

سترهم تعجبا (اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم) غاية اجتهادهم فيها (انهم لمعكم) فى الدين قال تعالى (حبطت) بطلت (اعمالهم) الصالحة (فاصبحوا) صاروا (خاسرين) الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب (يا ايها الذين آمنوا من يرتد) بالفك والادغام يرجع (منكم عن دينه) الى الكفر اخبار بما علم الله تعالى وقوعه وقد ارتد جماعة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم (فسوف يات الله) بدلهم (بقوم يحبهم ويحبونه) قال صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا واشار الى ابى موسى الاشعرى رواه الحاكم فى صحيحه (اذلة) عاطفين (على المؤمنين اعزة) اشداء (على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار (ذلك) المذكور من الاوصاف (فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع) كثير الفضل (عليم) بمن هو اهله * ونزل لما قال ابن سلام

وكذا قوله (واحضرت الانفس الشح) ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب فى المصالحة والثانى لتمهيد العذر فى المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير فى حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ماينبغى اذا كرهها اواحب غيرها (وان تحسنوا) فى العشرة (وتتقوا) النشوز والاعراض ونقص الحق (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والخصومة (خبيرا) عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقامه كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذى هو فى الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) لان العدل ان لايقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمى فيما املك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا املك (ولو حرصتم) على تحرى ذلك وبالغتم فيه (فلا تميلوا كل الميل) بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان مالايدرك كله لايترك كله (فتذروها كالمعلقة) التى ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل (وان تصلحوا) ماكنتم تفسدون من امورهن (وتتقوا) فيما يستقبل من الزمان (فان الله كان غفورا رحيما) يغفر لكم مامضى من ميلكم (وان يتفرقا) وقرئ وان يتفارقا اى وان يفارق كل منهما صاحبه (يغن الله كلا) منهما عن الآخر ببدل اوسلو (من سعته) غناه وقدرته (وكان الله واسعا حكيما) مقتدرا متقنا فى افعاله واحكامه (ولله مافى السموات وما فى الارض) تنبيه على كمال سعته وقدرته (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا اوبأوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر بالاخلاص (واياكم) عطف على الذين (ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية فى معنى القول (وان تكفروا فان لله مافى السموات ومافى الارض) على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لايتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لاينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لاحاجته ثم قرر ذلك بقوله (وكان الله غنيا) عن الخلق وعبادتهم (حميدا) فى ذاته حمدا ولم يحمد (ولله مافى السموات ومافى الارض) ذكره ثالثا للدلالة

ياسول الله ان قومنا هجرونا (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) خاشعون او يصلون صلاة التطوع (ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا) فيعينهم وينصرهم (فان حزب الله هم الغالبون) لنصره اياهم اوقعه موقع فانهم بيانا لانهم من حزبه اى اتباعه (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا) مهزوا به (ولعبا من) للبيان الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار) المشركين بالجر والنصب (اولياء واتقوا الله) بترك موالاتهم (ان كنتم مؤمنين) صادقين فى ايمانكم (و) الذين (اذا ناديتم) دعوتم (الى الصلاة) بالاذان (اتخذوها) اى الصلاة (هزؤا ولعبا) بان يستهزؤبها ويتضاحكوا (ذلك) الاتخاذ (بأنهم) اى بسبب انهم (قوم لايعقلون) * ونزل لما قال اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم بمن نؤمن من الرسل

على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا (وكفى بالله وكيلا) راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك (ان يشأ يذهبكم ايها الناس) يفيكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب (ويأت بآخرين) ويوجد قوما آخرين مكانكم اوخلقا آخرين مكان الانس (وكان الله على ذلك) من الاعدام والايجاد (قديرا) بليغ القدرة لايعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لماروى انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يجاهد للغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فماله يطلب احسنهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة اوليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله فى الاخرة ماهى فى جنبه كلاشئ اوفعند الله ثواب الدارين فيعطى كلا مايريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزدله فى حرثه الآية (وكان الله سميعا بصيرا) عارفا بالاغراض فيجازى كلا بحسب قصده (ياايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط) مواظبين على العدل مجتهدين فى اقامته (شهداء لله) اى بالحق يقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان اوحال (ولو على انفسكم) ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها الان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه اوعلى غيره (اوالوالدين والاقربين) ولو كانت على والديكم واقاربكم (ان يكن) اى المشهود عليه اوكل واحد منه ومن المشهود له (غنيا اوفقيرا) فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة اولا تجوروا فيها ميلا وترحما (فالله اولى بهما) بالغنى والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما اولهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير فى بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغنى والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) لان تعدلوا عن الحق اوكراهة ان تعدلو من العدل (وان تلووا) السنتكم عن شهادة الحق اوحكومة العدل قرأ نافع وابن كثير وابو بكر وابو عمر وعاصم والكسائى

فقال بالله وما انزل الينا الاية فلما ذكر عيسى قالوا لانعلم دينا شرا من دينكم (قل ياأهل الكتاب هل تنقمون) تنكرون (منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل) الا الانبياء (وان اكثركم فاسقون) عطف على ان امنا المعنى ماتنكرون الا ايماننا ومحا لفتكم فى عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه وليس هذا مما ينكر (قل هل انبئكم اخبركم (بشر من) اهل (ذلك) الذى تنقمونه (مثوبة) ثوابا بمعنى جزاء (عند الله) هو (من لعنه الله) ابعده عن رحمته (وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) بالمسخ (و) من (عبد الطاغوت) الشيطان بطاعته وراعى فى منهم معنى من وفيما قبله لفظها وهم اليهود وقراءة بعضهم ياء عبد واضافته الى مابعده اسم جمع لعبد ونصبه بالعطف على القردة (اولئك شر مكانا) تمييز لان مأواهم النار (واضل عن سواء السبيل) طريق الحق واضل السواء الوسط وذكر شر

باسكان اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة فأديتموها (اوتعرضوا) عن ادائها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم عليه (يا ايها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين او المنافقين اولمؤمني اهل الكتاب اذروى ان ابن سلام واصحابه قالوا يارسول الله انامؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بماسواه فنزلت (آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل) اثبتوا على الايمان بذلك ودوموا عليه اوآمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم اوآمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمانا والكتاب الاول القرآن والثانى الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذى نزل انزل بفتح الهمزة والنون والزاى والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاى (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر) اى ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) عن المقصد بحيث لايكاد يعود الى طريقه (ان الذين آمنوا) يعنى اليهود آمنوا بموسى (ثم كفروا) حين عبدوا العجل (ثم آمنو) بعد عوده اليهم (ثم كفروا) بعيسى (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم اوقوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا فى الغى (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) اذيستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لانهم لواخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان فى امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم (بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما) يدل على ان الآية فى المنافقين وهم قد آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر موضع انذرتهكم بهم (الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) ومحل النصب اوالرفع على الذم بمعنى اريد الذين اوهم الذين (ايبتغون عندهم العزة) ايتعززون بموالاتهم (فان العزة لله جميعا) لايتعزز الامن اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لايؤبه بعزة غيرهم بالاضافه اليهم (وقد نزل عليكم فى الكتاب) يعنى القرآن وقرأ عاصم وقد نزل والقائم مقام فاعله (ان اذا سمعتم آيات الله) وهى المخففة والمعنى انه اذسمعتم (يكفر بها ويستهزؤ بها) حالان من الآيات جئ بهما لتقييد النهى عن المجالسة فى قوله (فلا تقعدوا

واضل فى مقابلة قولهم لانعلم دينا شرا من دينكم (واذا جاؤكم) اى منافقوا ليهود (قالوا آمنا وقد دخلوا) اليكم ملتبسين (بالكفر وهم قد خرجوا) من عندكم ملتبسين (به) ولم يؤمنوا (والله اعلم بما كانوا يكتمون)ه من النفاق (وترى كثيرا منهم) اى اليهود (يسارعون) يقعون سريعا (فى الاثم)الكذب (والعدوان) الظلم (واكلهم السحت) الحرام كالرشا(لبئسما كانوا يعملون)ه علىهم هذا(لولا هلا (ينهاهم الربانيون والاخبار(منهم(عن قولهم الاثم) الكذب (واكلهم السحت (لبئسما كانوا يصنعون)ه تركنهيهم(وقالت اليهود) لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا اكثر الناس مالا (يدالله مغلولة) علينا كثوابه عن البخل تعالى الله عن ذلك قال تعالى(غلت) امسكت (ايديهم) عن فعل الخيرات دعاء عليهم(ولعنوا بماقالوا بل يداه مبسوطتان)

معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) الذى هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم الآية والضمير فى معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفربها ويستهزأ بها (انكم اذا مثلهم) فى الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفران رضيتم بذلك اولان الذين يقاعدون الخائضين فى القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) يعنى القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر اوللاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبنى كقوله مثل ماانكم تنطقون (الذين يتربصون بكم) ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون اوصفة للمنافقين والكافرين اوذم مرفوع اومنصوب اومبتدأ خبره (فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم) مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنتم (وان كان للكافرين نصيب) من الحرب فانها سجال (قالوا الم نستحوذ عليكم) اى قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل (ونمنعكم من المؤمنين) بان خذلناهم بتحبيل ماضعفت به قلوبهم وتوانينا فى مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لحسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوى سريع الزوال (فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) حينئذ اوفى الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لاينفى ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضى العدة (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) سبق الكلام فيه اول سورة البقرة (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان (يراؤون الناس) ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم اوللمقابلة فان المرائى يرى من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه (ولايذكرون الله الا قليلا) اذ المرائى لايفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله اولان ذكرهم

مبالغة فى الوصف بالجود وثنى اليد لافادة الكثرة اذ غاية مايبذله السخى من ماله ان يعطى بيديه (ينفق كيف يشاء) من توسيع وتضييق لااعتراض عليه (وليزيدن كثيرا منهم ماانزل اليك من ربك) من القرآن (طغيانا وكفرا) لكفرهم به (والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فكل فرقة منهم تخالف الاخرى (كلما اوقدوا نارا للحرب) اى لحرب النبى صلى الله عليه وسلم (اطفاها الله) اى كلما ارادوه ردهم (ويسعون فى الارض فسادا) اى مفسدين بالمعاصى (والله لايحب المفسدين) بمعنى انه يعاقبهم (ولو ان اهل الكتاب آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (واتقوا) الكفر (لكفرنا عنهم سيأتهم ولادخلناهم جنات نعيم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل) بالعمل بما فيهما ومنه الايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم (وماانزل اليهم) من الكتب (من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) بان يوسع عليهم

الرزق ويفيض من كل جهة (منهم امة) جماعة (مقتصدة) تعمل به وهم من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه (وكثير منهم ساء) بئس (ما) شيأ (يعملون يا ايها الرسول بلغ) جميع ما انزل اليك من ربك) ولا تكتم شيأ منه خوفا ان تنال بمكروه (وان لم تفعل) اولم تبلغ جميع ما انزل اليك فما بلغت رسالته) بالافراد والجمع لان كتمان بعضها ككتمان كلها (والله يعصمك من الناس) ان يقتلوك وكان صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فقال انصرفوا فقد عصمني الله رواه الحاكم (ان الله لا يهدى القوم الكافرين قل يا اهل الكتاب لستم على شئ) من الدين معتدبه (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم) بان تعملوا بما فيه ومنه الايمان بى (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك) من القرآن (طغيانا وكفرا) لكفرهم به (فلا تأس) تحزن (على

بالسان قيل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم (مذبذبين بين ذلك) حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون اى يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين اوواو يذكرون اومنصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشئ مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم اودينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة فى دبة وتارة فى دبة وهى الطريقة (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين اولا صائرين الى احد الفريقين بالكلية (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور (يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين) فانه صنيع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم (أتريدون ان يجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق اوسلطانا يسلط عليكم عقابه (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) وهى الطبقة التى فى قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ؤتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة ومتتابعة فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك (ولن تجد لهم نصيرا) يخرجهم منه (الا الذين تابوا) عن النفاق (واصلحوا) ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم فى حال النفاق (واعتصموا بالله) وثقوا به وتمسكوا بدينه (واخلصوا دينهم لله) لا يريدون بطاعتهم غير وجهه (فأولئك مع المؤمنين) ومن عدادهم فى الدارين (وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما) فيساهمونهم فيه (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) ايتشفى به غيظا اويدفع به ضرا اويستجلب به نفعا وهو الغنى المتعالى عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدى الى مرض فاذا زاله بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة

اولا فيشكر شكرا مبهما ثم بمعنى النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به (وكان الله شاكرا) مثيبا يقبل اليسير ويعطى الجزيل (عليما) بحق شكركم وايمانكم (لايحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) لاجهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روى ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اى ولكن الظالم يفعل مالا يحبه الله (وكان الله سميعا) لكلام المظلوم (عليما) بالظالم (ان تبدوا خيرا) طاعة وبرا (او تخفوه) او تفعلوه سرا (او تعفوا عن سوء) لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابدآء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) اى يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم على تمهيد العفو بعد ما رخص له فى الانتصار حملا على مكارم الاخلاق (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله) بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) نؤمن ببعض الانبياء ونكفر بعضهم (ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لايختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل فى الضلال كما قال تعالى فاذا بعد الحق الا الضلال (اولئك هم الكافرون) هم الكاملون فى الكفر لاعبرة بايمانهم هذا (حقا) مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اى يقينا محققا (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم) اضداد هم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضى متعددا لعمومه من حيث انه وقع فى سياق النفى (اولئك سوف نؤتيهم اجورهم) الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لامحالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب (وكان الله غفورا) لما فرط منهم (رحيما) عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) نزلت فى احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوى على الواح كما كانت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله (فقد سألوا موسى اكبر من ذلك القوم الكافرين) ان لم يؤمنوا بك اى لا تهتم بهم (ان الذين آمنوا والذين هادوا) هم اليهود مبتداء (والصابئون) فرقة منهم (والنصارى) ويبدل من المبتدا (من آمن) منهم (بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فى الاخرة خبر المبتدا او دال على خبر ان (لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل) على الايمان بالله ورسله (وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول) منهم (بما لاتهوى انفسهم) من الحق (كذبوه) (فريقا) منهم (كذبوا وفريقا) منهم (يقتلون) كزكريا ويحيى والتعبير به دون قتلوا حكاية للحال الماضية للفاصلة (وحسبوا) ظنوا (الا تكون) بالرفع فان مخففة والنصب فهى ناصبة اى تقع (فتنة) عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم (فعموا) عن الحق فلم يبصروه (وصموا) عن استماعه (ثم تاب الله عليهم)

لما تابوا (ثم عموا وصموا) ثانيا (كثير منهم) بدل من الضمير (والله بصير بما يعلمون) فيجازيهم به (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم سبق مثله (وقال) لهم (المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) فانى عبد ولست باله (انه من يشرك بالله) فى العبادة غيره (فقد حرم الله عليه الجنة) منعه ان يدخلها (ومأواه النار وما للظالمين من) زائدة (انصار) يمنعونهم من عذاب الله (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث) آلهة (ثلاثة) اى احدها والاخر ان عيسى وامه وهم فرقة من النصارى (وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون) من التثليث ويوحدوا (ليمس الذين كفروا) اى ثبتوا على الكفر (منهم عذاب اليم) مؤلم هو النار (افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) مما قالوه استفهام توبيخ (والله غفور) لمن تاب (رحيم) به (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت

جواب شرط مقدر اى ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى عليه السلام اكبر منه وهذا السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ فى ذلك وان ما اقترحوه عليك ليس باول جهالاتهم وحيالاتهم (فقالوا ارنا الله جهرة) عيانا اى ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له (فاخذتهم الصاعقة) نار جاءت من السماء فاهلكتهم (بظلمهم) بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) هذه الجناية الثانية التى اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة اذ لم تأتهم بعد (فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم (ورفعنا فوقهم الطور) بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليقبلوه (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) على لسان موسى والطور مظل عليهم (وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت) على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به فى زمن داود وقرأ وروش عن نافع لا تعدوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء فى الدال وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان (واخذنا منهم ميثاقا غليظا) على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا (فبما نقضهم ميثاقهم) اى فخالفوا ونقضوا فعلنا لهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما يدل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل فى جاره (وكفرهم بآيات الله) بالقرآن او بما فى كتابهم (وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف) اوعية للعلوم او فى كنة مما تدعو اليه (بل طبع الله عليها بكفرهم) فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر فى الايات والتذكر بالمواعظ (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه (ويكفرهم) بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا

وماعطف عليه على مجموع ماقبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعنى نسبتها الى الزنا (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) اى بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه اووضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح (وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) روى ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فألقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقتل وقيل دخل طيطانوس اليهودى بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التى لاتستبعد فى زمان النبوة وانما ذمهم الله تعالى بمادل عليه الكلام من جرآتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهره وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول اوفى الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس اوالى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على انهم قتيلا (وان الذين اختلفوا فيه) فى شأن عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعنى الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صعب الناسوت وصعد اللاهوت (لفى شك منه) لفى تردد والشك كما يطلق على مالا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى مايقابل العلم ولذلك اكده بقوله (مالهم به من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع اى ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه النفس جزما كان اوغيره فيتصل الاستثناء (وماقتلوه يقينا) قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح اومتيقنين وقيل معناه ماعلموه يقينا

مضت (من قبله الرسل) فهو يمضى مثلهم وليس باله كما زعموا والا لما مضى (وامه صديقة) مبالغة فى الصدق (كانا ياكلان الطعام) كغيرهما من الحيوانات ومن كان كذلك لا يكون الها لتركيبه وضعفه ومايتشأ منه من البول والغائط (انظر) متعجبا (كيف نبين لهم الآيات) على واحدانيتنا (ثم انظر آنى) كيف (يؤفكون) يصرفون عن الحق مع قيام البرهان (قل أتعبدون من دون الله) اى غيره (مالا يملك لكم ضرا ولانفعا والله هو السميع) لاقوالكم (العليم) باحوالكم والاستفهام للانكار (قل ياأهل الكتاب) اليهود والنصارى (لاتغلوا) تجاوزوا الحد (فى دينكم) غلوا (غير الحق) بأن تضعوا عيسى اوترفعوه فوق حقه (ولاتتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل) بغلوهم وهم اسلافهم (واضلوا كثيرا) من الناس (وضلوا عن سواء السبيل) طريق

كقول الشاعر ❊ كذلك يخبر عنا العالمات بها ❊ وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا
من قولهم قتلت الشيء علما وتحرته علما اذا تبالغ علمك فيه (بل رفعه الله اليه) رد
وانكار لقتله واثبات لرفعه (وكان الله عزيزا) لايغالب على مايريده (حكيما)
فيما دبر لعيسى لايعبث (وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) اى
وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة
لاحد ويعود اليه الضمير الثانى والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى
احد اليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين ان تزهق
روحه ولاينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم
النون لان احدا فى معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة
ايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير لعيسى
والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روى انه ينزل من السماء
حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى
تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع
الابل والنمور مع البقر والذأب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث
فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة
يكون عليهم شهيدا (فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم
دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا) اى فبأى ظلم منهم (حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم) يعنى ماذكره فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا (وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا) ناسا كثيرا او صدا كثيرا (واخذهم الربوا وقد نهوا
عنه) كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهى
على التحريم (واكلهم اموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة
(واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) دون من تاب وآمن (لكن الراسخون
فى العلم منهم) كعبد الله بن سلام واصحابه (المؤمنون) اى منهم او من
المهاجرين والانصار (يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك) خبر للمبتدأ
والمقيمين الصلاة) نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف
على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اى يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع
عطفا على الراسخون او على الضمير فى يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك
سنؤتيهم (والمؤتون الزكاة) رفعه لاحد الاوجه المذكورة (والمؤمنون بالله
واليوم الآخر) قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب ومايصدقه من اتباع

الحق والسواء فى الاصل
الوسط (لعن الذين كفروا
من بنى اسرائيل على لسان
داود) بأن دعا عليهم فمسخوا
قرده وهم اصحاب ايلة
(وعيسى ابن مريم) بأن دعا
عليهم فمسخوا خنازيروهم
اصحاب المائدة (ذلك)
اللعن (بما عصوا وكانوا
يعتدون كانوا لايتناهون)
اى لاينهى بعضهم بعضا
(عن) معاودة (منكر فعلوه
لبئسما كانوا يفعلون ذ)ه
فعلهم هذا (ترى) يامحمد
(كثيرا منهم يتولون الذين
كفروا) من اهل مكة بغضا
لك (لبئسما قدمت لهم
انفسهم) من العمل لمعادهم
الموجب لهم (ان سخط الله
عليهم وفى العذاب هم خالدون
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى)
محمد (وما انزل اليه ما اتخذوهم)
اى الكفار (اولياء ولكن
كثيرا منهم فاسقون) خارجون
عن الايمان (لتجدن) يامحمد
(اشد الناس عداوة للذين
امنوا اليهود والذين اشركوا)
من اهل مكة لتضاعف كفرهم
وجهلهم وانهماكهم فى اتباع
الهوى (ولتجدن اقربهم

الشرائع لانه المقصود بالآية (اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما) على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده) جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره بالوحى كسائر الانبياء (واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان) خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشراف الانبياء ومشاهيرهم (وآتينا داود زبورا) وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور (ورسلا) نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسره (قد قصصناهم عليك من قبل) اى من قبل هذه السورة او اليوم (ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) وهو منتهى مراتب الوحى خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم (رسلا مبشرين ومنذرين) نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطأ لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فيقولوا لولا ارسلت الينا رسلا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات لمصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واسلام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة (وكان الله عزيزا) لا يغلب فيما يريده (حكيما) فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبى بنوع من الوحى والاعجاز (لكن الله يشهد) استدراك عن مفهوم ماقبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره (بما انزل اليك) من القرآن المعجز الدال على نبوتك روى انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت (انزله بعلمه) انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد النبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول

مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك) اى قرب مودتهم للمؤمنين (بان) بسبب ان (منهم قسيسين) علماء (ورهبانا) عبادا (وانهم لا يستكبرون) عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود واهل مكة نزلت فى وفد النجاشى القادمين عليهم من الحبشة قرأ صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا واسلموا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى قال تعالى (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول) من القرآن (ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا) صدقنا بنبيك وكتابك (فاكتبنا مع الشاهدين) المقسرين بتصديقهما (و) قالوا فى جواب من غيرهم بالاسلام من اليهود (مالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق) القرآن اى لا مانع لنا من الايمان مع وجود مقتضيه (ونطمع) عطف على نؤمن (ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) المؤمنين الجنة قال تعالى (فاثابهم الله بما

قالوا جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك
جزاء المحسنين) بالايمان
(والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم)
ونزل لما هم قوم من الصحابة
ان يلازموا الصوم والقيام
ولايقربوا النساء والطيب
ولا ياكلوا اللحم ولاينا موا
على الفراش (ياايها الذين
آمنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم ولا تعتدوا)
تتجاوزوا امر الله (ان الله
لايحب المعتدين وكلوا مما
رزقكم الله حلالا طيبا)
مفعول والجار والمجرور
قبله حال متعلق به (واتقوا
الله الذى انتم به مؤمنون
لايؤاخذكم الله باللغو) الكائن
(فى ايمانكم) هو مايسبق
اليه اللسان من غير قصد
الحلف كقول الانسان
لا والله وبلى والله (ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم) بالتخفيف
والتشديد وفى قراءة عاقدتم
(الايمان) عليه بان حلفتم
عن قصد (فكفارته) اى
اليمين اذا حنثتم فيه (اطعام
عشرة مساكين) لكل
مسكين مد (من اوسط

والجملة كالتفسير لما قبلها (والملائكة يشهدون) ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على
انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغنى عن النظر التأمل
وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى
الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت
الملائكة وشهدوا عليها (وكفى بالله شهيدا) وكفى بما اقام من الحجج
على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
قد ضلوا ضلالا بعيدا) لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل
يكون اغرق الضلال فى الضلال وابعد من الانقلاع عنه (ان الذين كفروا
وظلموا) محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه
صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار
مخاطبون بالفروع اذا لمراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم (لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا) لجرى حكمه
السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد فى النار
وخالدين حال مقدرة (وكان ذلك على الله يسيرا) لايعسر عليه ولايستعظمه
(ياايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) لما قرر امر النبوة وبين
الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة
والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد (فامنوا خيرا لكم) اى ايمانا
خيرا لكم اوائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا
لكم ومنعه البصريون لان كان لايحذف مع اسمه الا فيما لابد منه ولانه
يؤدى الى حذف الشرط وجوابه (وان تكفروا فان لله مافى السموات
والارض يعنى وان تكفروا فهو غنى عنكم لايتضرر بكفركم كما لاينفع
بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله مافى السموات والارض وهو يم ما اشتملا
عليه ومازكيتا منه (وكان الله عليما) باحوالهم (حكيما) فيما دبر لهم
(ياهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم) الخطاب للفريقين غلت اليهود فى حط
عيسى عليه السلام حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى فى رفعه حتى
اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله (ولا تقولوا
على الله الا الحق) يعنى تنزيهه عن الصاحبة والولد (انما المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله وكلمته القاها الى مريم)او صلها اليها وحصلها فيها (وروح
منه) وذو روح صدر منه لايتوسط مايجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل

سمى روحا لانه كان يحيى الاموات او القلوب (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) اى الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى آلهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم بروح القدس الحياة (انتهوا) عن التثليث (خيرا لكم) نصبه بمضمر (انما الله اله واحد) واحد بالذات لاتعدد فيه بوجه ما (سبحانه ان يكون له) اى اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء (له مافى السموات ومافى الارض) ملكا وخلقا لايمانله شئ من ذلك فيتخذه ولدا (وكفى بالله وكيلا) تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف فى ذلك مستغن عن يخلفه او بعينه (لن يستنكف المسيح) لن يأنف من تكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كى لايرى اثره عليك (ان يكون عبدالله) من ان يكون عبداله فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبودية غيره روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال صلى الله تعالى عليه وسلم ومن صاحبكم قالوا عيسى عليه السلام قال عليه السلام واى شئ اقول قالوا تقول انه عبدالله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت (ولا الملائكة المقربون) عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقضى ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية للرد على عبده المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لايخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لايستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون

ماتطعمون) منه (اهليكم) اى اقصده واغلبه لا اعلاه ولا ادناه (او كسوتهم) بما يسمى كسوة كقميص وعمامة وازار ولا يكفى دفع ماذكر الى مسكين واحد وعليه الشافعى (او تحرير) عتق (رقبة) اى مؤمنة كما فى كفارة القتل والظهار حملا للمطلق على المقيد (فمن لم يجد) واحدا مما ذكر (فصيام ثلاثة ايام) كفارته وظاهره انه لايشترط التتابع وعليه الشافعى (ذلك) المذكور (كفارة ايمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا ايمانكم) ان تنكثوها مالم تكن على فعل بر او اصلاح بين الناس كما فى سورة البقرة (كذلك) اى مثل مابين لكم ماذكر (يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون) ه على ذلك (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر) المسكر الذى يخامر العقل (والميسر) القمار (والانصاب) الاصنام (والازلام) قدح الاستقسام (رجس) خبيث مستقذر من عمل الشيطان الذى زينه (فاجتنبوه)

اى الرجس المعبر به عن هذا الاشياء ان تفعلوه (لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) اذا آثيتموهما لما يحصل فيهما من الشر والفتن (ويصدكم) بالاشتغال بهما (عن ذكر الله وعن الصلوة) خصهما بالذكر تعظيما لهما (فهل انتم منتهون) عن اتيانهما اى انتهوا (واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا) المعاصى (فان توليتم) عن الطاعة (فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) الابلاغ البين وجزاؤكم علينا (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) اكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم (اذا ما اتقوا) المحرمات (وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا) ثبتوا على التقوى والايمان (ثم اتقوا واحسنوا) العمل (والله يحب المحسنين) بمعنى انه يثيبهم (يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم) ليختبرنكم (الله بشئ) يرسله لكم (من الصيد تناله) اى الصغار منه (ايديكم

باستحقاق (فيحشرهم اليه جميعا) فيجازيهم (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) تفضيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد المجازاة او المجازاتهم فان اثابة مقابليهم بالاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة (يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا) عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن اى قد جاءكم دلائل الفعل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الذين او رسول الله صلى الله عليه وسلم او القرآن (فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه) فى ثواب قدره باز آء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب (وفضل) احسان زآئد عليه (ويهديهم اليه) الى الله وقيل الى الموعود (صراطا مستقيما) هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة (يستفتونك) اى فى الكلالة حذفت لدلالة الجواب عليها روى ان جابر ابن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف اصنع فى مال فنزلت وهى آخر ما نزلت فى الاحكام (قل الله يفتيكم فى الكلالة) سبق تفسيرها فى اوائل السورة (ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك) ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال من المستكن فى هلك والواو فى وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لكنها لا ترث النصف (وهو يرثها) اى والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس (ان لم يكن لها ولد) ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والآية كالم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيكم فى الكلالة ان فسرت بالميت (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين)

اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر (يبين الله لكم ان تضلوا) اى يبين لكم ضلالكم الذى من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا او قيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين (والله بكل شئ عليم) فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

(سورة المائدة مدنية وهى مائة وثلاث وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعهد العهد الموثق قال الحطيئة * قوم اذا عقدوا عقد الجار هم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا * واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود مايعم العقود التى عقدها الله تعالى على عباده والزمها اياهم من التكاليف ومايعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب (احلت لكم بهيمة الانعام) تفصيل للعقود والبهيمة كل حى لا يميز وقيل كل ذات اربع قوائم واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمه من الانعام وهى الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام فى الاجتراء وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه (الا مايتلى عليكم) الا محرم مايتلى عليكم كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة او الا مايتلى عليكم آية تحريمه (غير محلى الصيد) حال من الضمير فى لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول (وانتم حرم) حال مما استكن فى محلى والحرم جمع حرام وهو المحرم (ان الله يحكم مايريد) من تحليل او تحريم (يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) يعنى مناسك الحج جمع شعيرة وهى اسم ما اشعر اى جعل شعارا اسمى به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اى دينه وقيل فرائضه التى حدها لعباده (ولا الشهر الحرام) بالقتل فيه او بالنسئ (ولا الهدى) ما اهدى الى الكعبة جمع هدية ورماحكم) الكبار منه وكان ذلك بالحديبية وهم محرمون فكانت الوحش والطير تغشاهم فى رحالهم (ليعلم الله) علم ظهور (من يخافه بالغيب) حال اى غائبا لم يره فيجتنب الصيد (فمن اعتدى بعد ذلك) النهى عنه فاصطاده (فله عذاب اليم يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم) محرمون بحج او عمرة (ومن قتله منكم متعمدا فجزاء) بالتنوين ورفع مابعده اى فعليه جزاء هو (مثل ماقتل من النعم) اى شبهه فى الخلقة وفى قراءة باضافة جزاء (يحكم به) اى بالمثل رجلان (ذوا عدل منكم) لهما فطنة يميزان بها اشبه الاشياء به وقد حكم ابن عباس وعمر وعلى فى النعامة ببدنة وابن عباس وابو عبيدة فى بقر الوحش وحماره ببقرة وابن عوف فى الظبى بشاة وحكم بها ابن عباس وعمرو غيرهما فى الحمام لانه يشبهها فى العب (هديا) حال من جزاء (بالغ الكعبة) اى يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه

ولايجوز ان يذبح حيث كان ونصبه نعتا لما قبله وان اضيف لان اضافته لفظية لاتفيد تعريفا فان لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته (او) عليه (كفارة) غير الجزاء وان وجده هى (طعام مساكين) من غالب قوت البلد مايساوى قيمة الجزاء لكل مسكين مد وفى قراءة باضافة كفارة لمابعده وهى للبيان (او) عليه (عدل) مثل (ذلك) الطعام (صياما) يصومه عن كل مديوما وان وحده وجب ذلك عليه (ليذوق وبال) ثقل جزاء (امره) الذى فعله (عفا الله عما سلف) من قتل الصيد قبل تحريمه (ومن عاد) اليه (فينتقم الله منه والله عزيز) غالب على امره (ذو انتقام) ممن عصاه والحق بقتله متعمدا فيماذكر الخطا (احل لكم) ايها الناس حلالا كنتم او محرمين (صيد البحر) ان تاكلوه وهو مالا يعيش الا فيه كالسمك بخلاف مايعيش فيه وفى البر كالسرطان (وطعامه) مايقذفه

كجدى فى جمع جدية الشرح (ولا القلائد) اى ذوات القلائد من الهدى وعطفها على الهدى للاختصاص فانها اشرف الهدى او القلائد انفسها والنهى عن احلالها مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى ونظيره قوله تعالى ولايبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ماقلد به الهدى من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له (ولا آمين البيت الحرام) قاصدين لزيارته (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة فى موضع الحال من المستكن فى آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لايعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذروى ان الآية نزلت عام القضية فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين (واذا حللتم فاصطادوا) اذن فى الاصطياد بعد زوال الاحرام ولايلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتى بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل (ويجرمنكم) اى لايحملنكم اولايكسبنكم (شنآن قوم) شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان فى النعت اكثر كعطشان وسكران (ان صدوكم عن المسجد الحرام) لان صدوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لايجرمنكم (ان تعتدوا) بالانتقام ثانى مفعولى يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى (ولاتعاونوا على الاثم والعدوان) للتشفى والانتقام (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) فانتقامه اشد (حرمت عليكم الميتة) بيان مايتلى عليكم والميتة مافارقه الروح من غير تذكية (والدم) اى الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه فى الامعاء ويشوونها (ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به)

اى رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه (والمنخنقة) التى ماتت بالخنق (والموقوذة) المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته (والمتردية) التى تردت من علو او فى بئر فماتت (والنطيحة) التى نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل (وما اكل السبع) اى وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل (الا ماذكيتم) الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقره من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة فى الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد (وما ذبح على النصب) النصب واحد الانصاب وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون وذلك قربة وقيل هى الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب (وان تستقسموا بالازلام) اى وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهى تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ماقسم لهم دون مالم يقسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد (ذلكم فسق) اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربى الله وجهالة وشرك ان اريد به صنم او الميسر المحرم او الى تناول ماحرم عليكم (اليوم) لم يربه يوما بعينه وانما المراد الزمن الحاضر ومايتل به من الامنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع (يئس الذين كفروا من دينكم) اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيره او من ان يغلبوكم عليه (فلا تخشوهم) ان يظهروا عليكم (واخشون) واخلصوا الخشية لى (اليوم اكملت لكم دينكم) بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد (واتممت عليكم نعمتى) بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية (ورضيت لكم الاسلام) اخترته لكم (دينا) من بين الاديان وهو الدين عند الله لاغير (فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات

ميتا (متاعا) تمتيعا (لكم) تاكلونه (وللسيارة) المسافرين منكم يتزودونه (وحرم عليكم صيد البر) وهو مايعيش فيه من الوحش الماكول ان تصيدوه (مادمتم حرما) فلو صاده حلال فللمحرم اكله كما بينته السنة (واتقوا الله الذى اليه تحشرون) جعل الله الكعبة البيت الحرام (المحرم (قياما للناس) يقوم به امر دينهم بالحج اليه ودنياهم بأمن داخله وعدم التعرض له وجبى ثمرات كل شئ اليه وفى قراءة قيما بلا الف مصدر قام غير معل (والشهر الحرام) بمعنى الاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب قياما لهم بامنهم القتال فيها (والهدى والقلائد) قياما لهم بأمن صاحبهما من التعرض له (ذلك) الجعل المذكور (لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شئ عليم) فان جعله ذلك لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما هو فى الوجود وما هو كائن

(اعلموا ان الله شديد العقاب) لاعدائه (وان الله غفور) لاوليائه (رحيم) بهم (ماعلى الرسول الا البلاغ) الابلاغ لكم (والله يعلم ماتبدون) تظهرون من العمل (وما تكتمون) تخفون منه فيجازيكم به (قل لايستوى الخبيث) الحرام (والطيب) الحلال (ولو اعجبك) اى سرك (كثرة الخبيث فاتقوا الله) فى تركه (يا اولى الالباب لعلكم تفلحون) تفوزون * ونزل لما اكثروا سؤاله صلى الله عليه وسلم (يا ايها الذين آمنوا لاتسألوا عن اشياء ان تبد) تظهر (لكم تسؤكم) لما فيها من المشقة (وان) تسألوا عنها حين ينزل القرآن) اى فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم (تبد لكم) المعنى اذا سألتم عن اشياء فى زمنه ينزل القرآن بابدائها ومتى ابداها ساءتكم فلا تسألوا عنها قد (عفا الله عنها) عن مسئلتكم فلا تعودوا (والله غفور رحيم قد سألها) اى الاشياء (قوم من قبلكم) انبياءهم فاجيبوا ببيان احكامها (ثم اصبحوا)

وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شئ من هذه المحرمات (فى مخمصة) مجاعة (غير متجانف لاثم) غير مائل له ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او متجاوز احد الرخصة لقوله غير باغ ولا عاد (فان الله غفور رحيم) لايؤخذه بأكله (يسألونك ماذا احل لهم) لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام فى ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ فى امثاله والمسؤل ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلى عليهم ماحرم عليهم سألوا عما احل لهم (قل احل لكم الطيبات) مالم يستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او مالم يدل نص اوقياس على حرمته (وما علمتم من الجوارح) عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير (مكلبين) معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون اكثر فيه وآثر اولان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة فى التعليم (تعلمونهن) حال ثانية او استئناف (مما علمكم الله) من الحيل وطرق التأديب فان العلم بها الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذى هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولايأكل منه (فكلوا مما امسكن عليكم) وهو مالم يأكل منه لقوله عليه الصلاة والسلام لعدى بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لايشترط ذلك فى سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لايشترط مطلقا (واذكروا اسم الله عليه) الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله اولما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته (واتقوا الله فى محرماته (ان الله سريع الحساب) فيؤاخذكم بماجل ودق (اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى على رضى الله تعالى عنه بنى تغلب وقال ليسوا

على النصرانية ولم يأخذوا منها الاشرب الخمر ولايلحق بهم المجوس
فى ذلك وان الحقوا بهم فى التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة
اهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم (وطعامكم حل لهم) فلا
حرج عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك (والمحصنات
من المؤمنات) اى الحرائر العفائف وتخصيصهن بعث على ماهو الاولى
(والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) وان كن حربيات وقال
ابن عباس رضى الله عنهما لاتحل الحربيات (اذا آتيتموهن اجورهن) مهورهن
وتقييد الحل بايتائها لتأكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد
بايتائها التزامها (محصنين) اعفاء بالنكاح (مسافحين) غير مجاهرين بالزنى
(ولامتخذى اخدان) مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى
(ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين) يريد بالايمان
شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه (ياايها الذين آمنوا اذا قمتم
الى الصلاة) اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر
عن ارادة الفعل بالفعل بالمسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة
ينبغى ان يبادر اليها بحيث لاينفك الفعل عن الارادة او قصدتم الصلاة لان
التوجه الى الشئ والقيام اليه قصده وظاهر الآية يوجب الوضوء على
كل قائم الى الصلاة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لماروى انه عليه
الصلاة والسلام صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر
رضى الله تعالى عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق
اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للندب
وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة
من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها (فاغسلوا وجوهكم)
امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك (ايديكم الى المرافق)
الجمهور على دخول المرفقين فى المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى
ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق
ولو كان كذلك لم يبق معنى للتحديد ولالذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد
يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا وامادخولها فى الحكم اوخروجها
منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن فى الآية وكانه الايدى
متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية

صاروا (بهاكافرين) بتركهم العمل بها (ماجعل) شرع (الله من بحيرة ولاسائبة
ولاوصيلة ولاحام) كما كان اهل الجاهلية يفعلونه روى البخارى عن سعيد بن المسيب
قال البحيرة التى يمنع درها للطوا غيت فلا يحلبها احد من الناس والسائبة التى
كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شئ والوصيلة الناقة البكر تبكر فى اول
نتاج الابل بأنثى ثم تثنى بعد بأنثى وكانوا يسيبونها للطواغيتهم ان وصلت احدا هما
بأخرى ليس بينهما ذكر والحام فحل الابل يضرب الضراب المعدود فاذا قضى
ضرابه ودعوه للطواغيب واعفوه من الحمل فلا يحمل عليه شئ وسموه الحامى
(ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) فى ذلك ونسبته اليه (واكثرهم
لايعقلون) ان ذلك افتراء لانهم قلدوا فيه آباءهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل
الله والى الرسول) اى الى حكمه من تحليل ماحرمتم (قالوا حسبنا) كافينا

(ما وجدنا عليه آباءنا) من الدين والشريعة قال تعالى (أ) حسبهم ذلك (ولو كان اباؤهم لايعلمون شيا ولا يهتدون) الى الحق والاستفهام للانكار (يأيها الذين آمنوا عليكم انفسكم) اى احفظوها وقوموا بصلاحها (لايضركم من ضل اذا اهتديتم) قيل المراد لايضركم من ضل من اهل الكتاب وقيل المراد غيرهم لحديث ابى ثعلبة الخشنى سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك رواه الحاكم وغيره (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (يأيها الذين آمنو اشهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت) اى اسبابه (حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) خبر بمعنى الامر اى ليشهد واضافة شهادة البين على اتساع

تقتضى خروجها والالم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم يتميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا (وامسحوا برؤسكم) الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل بالمنديل و وجهه انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح رؤسكم وذلك لايقتضى الاستيعاب بخلاف مالو قيل وامسحوا رؤوسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء فى قدر الواجب فاوجب الشافعى رضى الله تعالى عنه اقل مايقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رضى الله تعالى عنه مسح ربع الرأس لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك رضى الله عنه مسح كله اخذا بالاحتياط (وارجلكم الى الكعبين) نصبه نافع وابن عامر و حفص والكسائى ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذا المسح لم يحدد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير فى القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر فى قراءة حمزة والكسائى وقولهم جحر ضب خرب وللنجاة باب فى ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغى ان يقتصد فى صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفى الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة (وان كنتم جنبا فاطهروا) فاغتسلوا (وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام فى بيان انواع الطهارة (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج) اى مايريد الامر بالطهارة للصلاة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم (ولكن يريد ليطهركم) لينظفكم او ليطهركم من الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب وليطهركم بالتراب اذا اعوركم التطهير بالماء فعول يريد فى الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى مايريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لايرخص لكم فى التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لاتقدر بعد المزيدة (وليتم نعمته عليكم) ليتم بشرعية ماهو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم فى الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان

مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر او اكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض اوسفر وان الموعود عليها تطهير الذنوب واتمام النعمة (واذكروا نعمة الله عليهم) بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم فى شكره (وميثاقه الذى واثقكم به اذقلتم سمعنا واطعنا) يعنى الميثاق الذى اخذه على المسلمين حين بايعهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره اوميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان (واتقوا الله) فى انساء نعمه ونقض ميثاقه (ان الله عليم بذات الصدور) اى بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم (ياايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا) عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بعضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب مالا يحل كمثله وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما فى قلوبكم (اعدلوا هو اقرب للتقوى) اى العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فاظنك بالعدل مع المؤمنين (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم امالاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت فى المشركين وهذه فى اليهود اولمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة فى اطفاء نائرة الغيظ (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم) انما حذف ثانى مفعولى وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل الجملة فى موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قال وعدهم هذا القول (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم (ياايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليهم) روى ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معافلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلاة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ماروى انه عليه الصلاة والسلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستفرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو

وحين بدل من اذا اوظرف لحضر (اوآخران من غيركم) اى غير ملتكم (ان انتم ضربتم) سافرتم (فى الارض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما) توقفونهما صفة آخران (من بعد الصلوة) اى صلاة العصر (فيقسمان) يحلفان (بالله ان ارتبتم) شككتم فيهما ويقولان (لانشترى به) بالله (ثمنا) عوضا نأخذه بدله من الدنيا بأن نحلف به اونشهد كاذبا لاجله (ولو كان) المقسم له اوالمشهود له (ذا قربى) قرابة منا (ولا نكتم شهادة الله) التى امرنا بها (انا اذا) ان كتمناها (لمن الآثمين فان عثر) اطلع بعد حلفهما (على انهما استحقا اثما) اى فعلا مايوجبه من خيانة اوكذب فى الشهادة بان وجد عندهما مثلا ما انهما به واد عيا انهما ابتاعاه من الميت اووصى لهما به (فآخران يقومان مقامهما) فى توجه اليمين عليهما (من الذين استحق عليهم) الوصية وهم الورثة ويبدل من آخران (الاوليان)

بالميت اى الاقربان اليه وفى قراءة الاولين جمع اول صفة اوبدل من الذين (فيقسمان بالله) على خيانة الشاهدين ويقولان (لشهادتنا) (احق) اصدق (من شهادتهما) يمينهما (وما اعتدينا) تجاوزنا الحق بالميين (انا اذا لمن الظالمين) المعنى ليشهد المحتضر على وصيته اثنين اويوصى اليهما من اهل دينه اوغيرهم ان فقدهم لسفر ونحوه فان ارتاب الورثة فيهما فادعوا انهما خانا بأخذ شئ اودفعه الى شخص زعما ان الميت اوصى له به فيحلفا الى آخره فان اطلع على امارة تكذيبهما فادعياد افعاله حلف اقرب الورثة على كذبهما وصدق ماادعوه والحكم ثابت فى الوصيين منسوخ فى الشاهدين وكذا شهادة غيراهل الملة منسوخة واعتبار صلاة العصر للتغليظ وتخصيص الحلف فى الآية باثنين من اقرب الورثة لخصوص الواقعة التى نزلت لها وهى مارواه البخارى ان رجلا من بنى سهم

ابن امية الضمرى خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم ياابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج عليه السلام وقيل نزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابى فسل سيفه فقال من يمنعك منى فقال الله فاسقطه جبريل من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال لااحد اشهد ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت (اذهم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه (فكف ايديهم عنكم) منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فانه الكافى لايصال الخير ودفع الشر (ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها اوكفيلا يتكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روى ان بنى اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحاء ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال انى كتبتها لكم دارا وقرارا خرجوا اليها وجاهدوا من فيها فانى ناصركم وامر موسى ان يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسارهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجرا ماعظيمة وبأسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الاكالب بن يوقنا من سبط يهود ويوشع بن نون نون من سبط افرائيم بن يوسف (قال الله انى معكم) بالنصرة (لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم) اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير (واقرضتم الله قرضا حسنا) بالانفاق فى سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول (لاكفرن عنكم سيئاتكم) جواب القسم المدلول عليه باللام فى لئن سادمسد جواب الشرط (ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك) بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم (منكم فقد ضل سواء السبيل) ضلالا لاشبهة فيه ولاعذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذقد يمكن ان يكون له شبهة وبتوهم له معذرة (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) طردناهم من رحمتنا اومسخناهم اوضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية)

لاتغفل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائى قسية وهى امامبالغة قاسية اومعنى رديئة من قولهم درهم قسى اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين (يحرفون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لاقسوة اشد من تغيير كلام الله تعالى والافتراء عليه و يجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لامن القلوب اذلاضميرله فيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا وافيا (مما ذكروابه) من التوراة اومن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم روى ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) خيانة منهم اوفرقة خائنة اوخائن والهاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لاتزال ترى ذلك منهم (الا قليلا منهم) لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية (فاعف عنهم واصفح) ان تابوا وآمنوا اوان عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف (ان الله يحب المحسنين) تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن غيره (ومن الذين قالوا انا نصارا اخذنا ميثاقهم) اى واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقتل تقديره ومن الذين قالوا انانصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله (فنسوا حظا مما ذكروابه فاغرينا) فالزمنا من غرى بالشئ اذا الصق به (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكائية او بينهم و بين اليهود (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) بالجزاء والعقاب (ياأهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس (قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كنعت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وآية الرجم فى التوراة وبشارة عيسى بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى الانجيل (ويعفوعن كثير) مما تخفونه لاتخبربه اذالم يضطر اليه فى امر دينى اوعن كثير منكم فلايؤاخذه بجرمه (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) يعنى القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله تعالى

خرج مع تميم الدارى وعدى بن بذا اى وهما نصرانيان فمات السهمى بارض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب فرفعا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت فاحلفهما ثم وجد الجام بمكة فقالوا ابتعناه من تميم وعدى فنزلت الاية الثانية فقام رجلان من اولياء السهمى فحلفا وفى رواية الترمذى فقام عمرو بن العاصى ورجل آخر منهم فحلفا وكانا اقرب اليه وفى رواية فرض فاوصى اليهما وامرهما ان يبلغا ماترك اهله فلما مات اخذا الجام ودفعا الى اهله مابقى (ذلك) الحكم المذكور من رد اليمين على الورثة (ادنى) اقرب الى (ان يأتو) اى الشهود اوالاوصياء (بالشهادة على وجهها) الذى تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة (او) اقرب الى ان (يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم) على الورثة المدعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون و يغرمون فلا يكذبوا

عليه وسلم (يهدي به الله) وحد الضمير لان المراد بهما و احد اولانهما في حكم الواحد (من اتبع رضوانه) من اتبع رضاه بالايمان منهم (سبل السلام) طرق السلامة من العذاب اوسبل الله (ويخرجهم من الظلمات الى النور) من انواع الكفر الى الاسلام (باذنه) بارادته اوبتوفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم) طريق هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لامحالة (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لااله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم (قل فمن يملك من الله شيئا) فمن يمنع من قدرته شيئا (ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا) احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية (ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير) ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كادم خلقه من تراب وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حواء او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه) اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الحميون او مقربون عند قرب الاولاد من الوالد هم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) اى فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لايفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة (بل انتم بشر ممن خلق) مما خلقه الله تعالى (يغفر لمن يشاء) وهم من آمن به وبرسله (ويعذب من يشاء) وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لامزية لكم عليه (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) كلها سواء في كونه خلقا وملكا له (واليه المصير) فيجازي المحسن باحسانه والمسيئ باساءته (ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم) اى الدين وحذف لظهوره اوما كتتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع

(واتقوا الله) بترك الخيانة والكذب (واسمعوا) ماتؤمرون به سماع قبول (والله لايهدي القوم الفاسقين) الخارجين عن طاعته الى سبيل الخير اذكر (يوم يجمع الله الرسل) هو يوم القيامة (فيقول) لهم توبيخا لقومهم (ماذا) اى الذى (اجبتم) به حين دعوتم الى التوحيد (قالوا لاعلم لنا) بذلك (انك انت علام الغيوب) ماغاب عن العباد ذهب عنهم علمه لشدة هول يوم القيامة وفزعهم ثم يشهدون على اممهم لما يسكنون اذكر (اذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك) بشكرها (اذ ايدتك) قويتك (بروح القدس) جبريل (تكلم الناس) حال من الكاف في ايدتك (في المهد) اى طفلا (وكهلا) يفيد نزوله قبل الساعة لانه رفع قبل الكهولة كما سبق في آل عمران (واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة) كصورة (الطير) والكاف

الحال اى جاءكم رسولنا مبينا لكم (على فترة من الرسل) متعلق بجاءكم اى جاءكم على حين فتور من ارسال وانقطاع زمن الوحى او يبين حال من الضمير فيه (ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير) كراهة ان تقولوا ذلك وتعذروا به (فقد جاءكم بشير ولا نذير) متعلق بمحذوف اى لاتعتذروا فقد جاءكم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبى وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام بينهما ستمائة سنة اوخمسمائة وتسع وستون واربعة انبياء ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العيسى وفى الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحى وكانوا احوج مايكون اليه (واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء) فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث فى امة مابعث فى بنى اسرائيل من الانبياء (وجعلكم ملوكا) اى وجعل منكم اوفيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى عليهما الصلوة والسلام وقيل لما كانوا مملوكين فى ايدى القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا (وآتاكم مالم يؤت احدا من العالمين) من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم الله وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة) ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام (التى كتب الله لكم) قسمها لكم اوكتب فى اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ماعصوا فانها محرمة عليهم (ولاترتدوا على ادباركم) ولاترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصرا ولاترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله تعالى (فتنقلبوا خاسرين) ثواب الدارين ويجوز فى فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب (قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين) متغلبين لاتتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذى يجبر الناس على مايريد (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا

اسم بمعنى مثل مفعول (باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى) باراداتى (وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى) من قبورهم احياء (باذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك) حين هموا بقتلك (اذ جئتهم بالبينات) المعجزات (فقال الذين كفروا منهم ان) ما (هذا) الذى جئت به (الا سحر مبين) وفى قراءة ساحر اى عيسى (واذ اوحيت الى الحواريين) امرتهم على لسانه (ان) اى بان (آمنوا بى وبرسولى) عيسى (قالوا آمنا) بهما (واشهد بأننا مسلمون) اذكر (اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع) اى يفعل (ربك) وفى قراءة بالفوقانية ونصب ما بعده اى تقدر ان تسأله (ان ينزل علينا مائدة من السماء قال) لهم عيسى (اتقوا الله) فى اقتراح الايات (ان كنتم مؤمنين قالوا نريد) سؤالها من اجل (ان نأكل منها وتطمئن) تسكن (قلوبنا) بزيادة اليقين (ونعلم) نزداد علما (ان) مخففة اى انك

منها فانا اداخلون) اذلا طاقة لنابهم (قال رجلان) كالب ويوشع (من الذين يخافون) اى يخافون الله و يتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وسارا الى موسى فعلى هذا الواو لبنى اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اى من الذين يخافهم بنو اسرآئيل و يشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اى المخوفين وعلى المعنى الاول يكون من الاخافة اى من الذين يخوفون من الله بالتذكير اويخوفهم الوعيد (انعم الله عليهما) بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين اوعتراض (ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من الاصحار (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لتعسر الكر عليهم فى المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لاقلوب فيها وتجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم اومما علما من عادته تعالى فى نصره رسله وما عهدا من صنيعه لموسى فى قهر اعدائه (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) اى مؤمنين به ومصدقين لوعده (قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا) نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد (مادامو افيها) بدل من ابدا بدل البعض (فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك (قال رب انى لااملك الانفسى واخى) قاله شكوى بثه وحزنه الى الله تعالى لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليهما السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق بهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخى من يواخينى فى الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطف على نفسى اوعلى اسم ان ورفعه عطفا على الضمير فى لااملك اوعلى محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير فى نفسى (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) بان يحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا و بينهم وتخليصنا من صحبتهم (قال فانها) فان الارض المقدسة (محرمة عليهم) لايدخلونها ولايملكونها بسبب عصيانهم (اربعين سنة يتيهون فى الارض) عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلايخالف ظاهر قوله التى كتب الله لكم ويؤيد ذلك ماروى ان موسى عليه الصلاة والسلام سار بعده بمن بقى من بنى اسرائيل ففتح اريحاء واقام فيها ماشاء الله ثم قبض وقيل انه قبض

(قد صدقتنا) فى ادعاء النبوة (ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا) اى يوم نزولها (عيدا) نعظمه ونشرفه (لاولنا) بدل من لنا باعادة الجار (وآخرنا) ممن ياتى بعدنا (وآية منك) على قدرتك ونبوتى (وارزقنا) اياها (وانت خير الرازقين قال الله) مستجيبا له (انى منزلها) بالتخفيف والتشديد (عليكم فمن يكفر بعد) اى بعد نزولها (منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين) فنزلت الملائكة بها من السماء عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات فأكلوا منها حتى شبعوا قاله ابن عباس وفى حديث انزلت المائدة من السماء خبزا ولحما فامروا ان لايخونوا ولايدخروا لغد فخانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير (و) اذكر (اذ قال) اى يقول (الله) لعيسى فى القيامة توبيخا لقومه (ياعيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين

فى التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبى وان الله تعالى امره بقتال الجبارة فسار بهم يوشع وقتل الجبارة وصار الشام كله لبنى اسرائيل واما يتيهون اى يسيرون فيها متحيرين لايرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا فى التيه وانما قاتل الجبارة اولادهم روى انهم لبثوا اربعين سنة فى سنة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاداهم بحيث ارتحلوا عنه وقال الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضئ لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذى يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم فى التيه الا انه كان ذلك روحالهما وزياده فى درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى عليهما السلام بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحاء بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع (فلا تأس على القوم الفاسقين) خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم (واتل عليهم نبأ بنى آدم) قابيل وهابيل او حى الله تعالى الى آدم عليه السلام ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل يزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابنى آدم لصلبه وانهما رجلان من بنى اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بنى اسرائيل (بالحق) صفة مصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير فى اتل اومن نبأ اى ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين (اذ قربا قربانا) ظرف للنبأ او حال منه او بدل على حذف المضاف اى اتل عليهم نبأ هما ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة اوغيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اى يعطى وهو فى الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذقرب كل واحد منهما قربان قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا (فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر) لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية فى قربانه وقصد الى اخس ماعنده (قال لاقتلنك) توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك (قال انما يتقبل الله من المتقين) فى جوابه اى انما اوتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى وفيه اشارة الى الحاسد ينبغى ان يرى حرمانه من دون الله قال) عيسى وقد ارعد (سبحانك) تنزيها لك عما لا يليق بك وغيره من الشريك (مايكون) ماينبغى (لى ان اقول ما ليس لى بحق) خبر ليس ولى للتبيين (ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما) اخفيه (نفسى ولا اعلم مافى نفسك) اى ماتخفيه من معلوماتك (انك انت علام الغيوب ماقلت لهم الا اما امرتنى به) وهو (ان اعبدالله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا) رقيبا امنعهم مما يقولون (مادمت فيهم فلما توفيتنى) بالرفع الى السماء (كنت انت الرقيب عليهم) الحفيظ لاعمالهم (وانت على كل شئ) من قولى لهم وقولهم بعدى وغير ذلك (شهيد) مطلع عالم به (ان تعذبهم) اى من اقام على الكفر منهم (فانهم عبادك) وانت مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك (وان تغفر لهم) اى لمن آمن منهم (فانك انت العزيز) الغالب على امره (الحكيم) فى صنعه (قال الله هذا) اى يوم القيامة يوم ينفع

الصادقين) فى الدنيا كعيسى (صدقهم) لانه يوم الجزاء (لهم جنات تجرى من تحتها (الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم) بطاعته (ورضوا عنه) بثوابه (ذلك الفوز العظيم) ولا ينفع الكاذبين فى الدنيا صدقهم فيه كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب (لله ملك السموات والارض) خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها (ومافيهن) اتى بما تغليبا لغير العاقل (وهو على كل شئ قدير) ومنه اثابة الصادق وتعذيب الكاذب وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر

(سورة الانعام مكية الا وما قدروا الله الآيات الثلاث والا قل تعالوا الآيات الثلاث وهى مائة وخمس اوست وستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد) وهو الوصف بالجميل ثابت (لله) وعلل المراد الاعلام بذلك للايمان به او الثناء به اوهما احتمالان افيدها الثالث قاله الشيخ فى سورة الكهف (الذى خلق السموات والارض) خصهما بالذكر

من تقصيره ويجتهد فى تحصيل مابه صار المحسود محظوظا لافى ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لاتقبل الا من مؤمن متق (لئن بسطت الى يدك لتقتلنى مااانا بباسط يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين) قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج من قتله واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولاتكن عبد الله القاتل وانما قال مااانا باسط فى جواب لئن بسطت للتبرى عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفى بالباء (انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزآء الظالمين) تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلمت لك ارادة ان تحمل اثمى لو بسطت اليك يدى واثمك ببسطك يدك الى ونحوه المستبان ماقالا فعلى البادى مالم يعتد المظلوم وقيل باثمى باثم قتلى و باثمك الذى لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما فى موضع الحال اى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهم ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لامحالة واقعا فاريد ان يكون الاثم لك لالى فالمراد بالذات ان لايكون له لاان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصى جائز (فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل اوعلى ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله (فقتله فاصبح من الخاسرين) دينا ودينا اذ بقى مدة عمره مطرودا محزونا قيل وقتلها بيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حرآء وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة اخيه) روى انه لماقتله تحير فى امره ولم يدر مايصنع به اذ كان اول ميت من بنى ادم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه فى الحفرة والضمير فى ليرى لله تعالى او للغراب وكيف حال من الضمير فى يوارى والجملة ثانى مفعولى يرى والمراد بسواة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى (قال ياويلنا) كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى ياويلتى احضرى فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة (اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة اخى)

لاهتدى الى مثل ماهتدى اليه فاوارى عطف على ان اكون وليس جواب الاستفهام اذليس المعنى ان عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اوارى او على تسكين المنصوب تخفيفا (فاصبح من النادمين) قتله لما كابد فيه من التحير فى امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ماقيل وتلمذ للغراب واسوداد لونه وتبرئ ابويه منه اذروى انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه قال ماكنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لايضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله (من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل) بسببه قضينا عليهم واجل فى الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل فى تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اى من ان جررته اى جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اى ابتداء الكتب وانشاؤه من أجل ذلك (انه من قتل نفسا بغير نفس) اى بغير قتل نفس بوجب الاقتصاص (او فساد فى الارض) او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق (فكانما قتل الناس جميعا) من حيث انه هتك حرمة الدماء ومن القتل وجرأ الناس عليه اومن حيث ان قتل الواحد والجميع سواء فى استجلاب غضب الله والعذاب العظيم (ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا) اى ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو امنع عن القتل واستنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها فى القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا فى المحاماة عليها (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون) اى بعدما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كى يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون فى الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال فى الامر (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) اى يحربون اولياء هما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بالعصيان وان كانت فى مصر (ويسعون فى الارض فسادا) اى مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون فى الارض فسادا (ان يقتلوا) اى قصاصا من غير صلب

لانهما اعظم المخلوقات للنا ظرين (وجعل) خلق (الظلمات والنور) اى كل ظلمة ونور وجمعها دونه لكثرة اسبابها وهذا من دلائل وحدانيته (ثم الذين كفروا) مع قيام هذا الدليل (بربهم يعدلون) يسوون غيره فى العبادة (هو الذى خلقكم من طين) بخلق ابيكم آدم منه (ثم قضى اجلا) لكم توتون عندانتهائه (واجل مسمى) مضروب (عنده) لبعثكم (ثم انتم) ايها الكفار (تمترون) تشكون فى البعث بعد علمكم انه ابتدا خلقكم ومن قدر على الابتداء فهو على الاعادة أقدر (وهو الله) مستحق للعبادة (فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم) ماتسرون وماتجهرون به بينكم (ويعلم ماتكسبون) تعملون من خير وشر (وما تأتيهم) اى اهل مكة (من) زائدة (آية من آيات ربهم) من القرآن (الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق) بالقرآن (لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء) عواقب (ما كانوا به يستهزؤن ألم يروا) فى اسفارهم الى الشام وغيرها

ان افردوا القتل (اويصلبوا) اى يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف فى انه يقتل ويصلب اويصلب حيا ويترك اويطعن حتى يموت (اوتقطع ايديهم وارجلهم من خلاف) اى تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا (او ينفوا من الارض) اوينفوا من بلد الى بلد بحيث لايمكنون من القرار فى موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفى بالحبس واوفى الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق (ذلك لهم خزى فى الدنيا) ذل وفضيحة (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم (الاالذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم) استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى (فاعلموا ان الله غفور رحيم) اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لاجوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لاتسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية فى قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) اى مايتوسلون به والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة (وجاهدوا فى سبيله) بمحاربة اعدآئه الظاهرة والباطنة (لعلكم تفلحون) بالوصول الى الله تعالى والفوز بكرامته (ان الذين كفروا لوان لهم مافى الارض) من صنوف الاموال (جميعا ومثله معه ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيامة) واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم مافى الارض وتوحيد الضمير فى به والمذكور شيئان اما لاجرآئه مجرى اسم الاشارة فى نحو قوله تعالى عوان بين ذلك اولان الواو فى ومثله بمعنى مع (ماتقبل منهم) جواب ولو بما فى حيزه خبران والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لاسبيل لهم الى الخلاص منه (ولهم عذاب اليم) تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله (يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) وقرئ يخرجوا من اخرج اما قال وماهم بخارجين بدل ومايخرجون للمبالغة (السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) جملتان عند سيبويه اذا التقدير فيمايتلى عليكم السارق والسارقة اى حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذالمعنى والذى

(كم) خبرية بمعنى كثيرا (اهلكنا من قبلهم من قرن) امة من الامم الماضية (مكناهم) اعطيناهم مكانا (فى الارض) بالقوة والسعة (مالم نمكن) نعط (لكم) فيه التفات عن الغيبة (وارسلنا السماء) المطر (عليهم مدرارا) متتابعا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم) تحت مساكنهم (فاهلكناهم بذنوبهم) بتكذيبهم الانبياء (وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا) مكتوبا (فى قرطاس) رق كما اقترحوه (فلمسوه بايديهم) ابلغ من عاينوه لانه ادفع للشك (لقال الذين كفروا ان) ما (هذا الاسحر مبين) تعنتا وعنادا (وقالوا لولا) هلا (انزل عليه) اى على محمد صلى الله عليه وسلم (ملك) يصدقه (ولو انزلنا ملكا) كما اقترحوا فلم يؤمنوا (لقضى الامر) بهلاكهم (ثم لاينظرون) يمهلون لتوبة او معذرة كعادة الله فيمن قبلهم من اهلاكهم عند وجود مقترحهم اذا لم يؤمنوا (ولو جعلناه) اى المنزل اليهم (ملكا لجعلناه) اى الملك (رجلا) اى على صورته

سرق والتى سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار فى امثاله لان الانشاء لايقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة اخذ مال الغير فى خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار اومايساويه لقوله عليه الصلاة والسلام القطع فى ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف فى ذلك للاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه فى شرح المصابيح والمراد باليدى الايمان ويؤيده قرآءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليداسم تمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه الصلاة والسلام اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه (جزاء بما كسبا نكالا من الله) منصوبا على المفعول له اوالمصدر ودل على فعلهما فاقطعوا (والله عزيز حكيم فمن تاب) من السراق (من بعد ظلمه) اى سرقته (واصلح) امره بالتفصى عن التبعات والعزم على ان يعود اليها (فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) يقبل توبته فلايعذبه فى الآخرة اما القطع فلايسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام اولكل احد (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير) قدم التعذيب على المغفرة آتيا على ترتيب ماسبق اولان استحقاق التعذيب مقدم اولان المراد به القطع وهو فى الدنيا (يايها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر) صنيع الذين يقعون فى الكفر سريعا اوفى اظهاره اذا وجدوا منه فرصة (من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم) اى من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لابآمنا والواو تحتمل الحال والعطف (ومن الذين هادوا) عطف على من الذين قالوا (سماعون للكذب) خبر مبتدأ محذوف اى سماعون والضمير للفريقين اوللذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اى ومن اليهود قوم سماعون واللام فى الكذب اما مزيدة للتأكيد اوالتضمين السماع معنى القبول اى قابلون لما يفتريه الاخبار اوللعلة والمفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) اى لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك ويحافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء والمعنى على الوجهين اى مصغون لهم قابلون كلامهم اوسماعون منك لاجلهم وللانهاء ليتمكنوا من رؤيته اذلا قوة للبشر على رؤية الملك (و) ولو انزلناه وجعلناه رجلا (للبسنا) شبهنا (عليهم مايلبسون) على انفسهم بان يقولوا ماهذا الا بشر مثلكم (ولقد استهزئ برسل من قبلك) فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فحاق) نزل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك (قل) سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الرسل من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا (قل لمن مافى السموات والارض قل لله) ان لم يقولوه لاجواب غيره (كتب) قضى (على نفسه الرحمة) فضلا منه وفيه تلطف فى دعائهم الى الايمان (ليجمعنكم الى يوم القيامة) ليجازيكم باعمالكم (لاريب) شك (فيه الذين خسروا انفسهم) بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره (فهم لايؤمنون وله) تعالى (ماسكن) حل (فى الليل والنهار) اى كل شئ فهو ربه وخالقه ومالكه (وهو السميع) لما يقال (العليم) بما يفعل

(قل) لهم (اغير الله اتخذ وليا) اعبده (فاطر السموات والارض) مبدعهما (وهو يطعم) يرزق (ولا يطعم) يرزق لا (قل انى امرت ان اكون اول من اسلم) لله من هذه الامة (و) قيل لى (لا تكونن من المشركين) به (قل انى اخاف ان عصيت ربى) بعبادة غيره (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة (من يصرف) بالبناء للمفعول اى العذاب وللفاعل اى الله والعائد محذوف (عنه يومئذ فقد رحمه) تعالى اى اراد له الخير (وذلك الفوز المبين) النجاة الظاهرة (وان يمسسك الله بضر) بلاء كمرض وفقر (فلا كاشف) رافع (له الا هو وان يمسسك بخير) كصحة وغنى (فهو على كل شئ قدير) ومنه مسك به ولا يقدر على رده عنك غيره (وهو القاهر) القادر الذى لا يعجزه شئ مستعليا (فوق عباده وهو الحكيم) فى خلقه (الخبير) ببواطنهم كظواهرهم * ونزل لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ائتنا بمن يشهد لك بالنبوة فان اهل الكتاب انكروك

اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى مكرر للتأكيد اى سماعون ليكذبوا القوم آخرين (يحرفون الكلم من بعد مواضعه اى يميلون عن مواضعه التى وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استئناف لا موضع له او فى موضع الرفع خبر لمحذوف اى هم يحرفون وكذلك (يقولون إن اوتيتم هذا فخذوه) اى ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به (وان لم تؤتوه) بل افتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) اى فاحذروا قبول ما افتاكم به روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوها مع رهط منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واعرق آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد (ومن يرد الله فتنته) ضلالته او فضيحته (فلن تملك له من الله شيأ) فلن تستطع له من الله شيأ فى دفعها (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة (لهم فى الدنيا خزى) هوان بالجزية والخوف عن المؤمنين (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وهو الخلود فى النار والضمير للذين هادوا ان استأنفت بقوله ومن الذين والا فالفريقين (سماعون للكذب) كرره للتأكيد (اكالون للسحت) اى الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر (فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم) تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعى والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ورفع الظلم منهم والآية ليست فى اهل الذمة وعند ابى حنيفة يجب مطلقا (وان تعرض عنهم فلن يضروك

شيأ) بان يعادوك الاعراض عنهم فان الله يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) اى بالعدل الذى امر الله به (ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شأنهم (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) تعجيب من تحكيمهم من لايؤ منون به والحال ان الحكم منصوص عليه فى الكتاب الذى هو عندهم وتنبيه على انهم ماقصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به مايكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله تعالى فى زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث فى كلا مهم لفظا كوماة ودوداة (ثم يتولون من بعد ذلك) ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجيب (وما اولئك بالمؤمنين) بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا اوبك وبه (انا انزلنا التوراة فيها هدى) يهدى الى الحق (ونور) يكشف ما اشتبه من الاحكام (يحكم بها النبيون) يعنى انبياء بنى اسرآئيل اوموسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا مالم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به (الذين اسلموا) صفة اجريت على النبين مدحالهم وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم (للذين هادوا) متعلق بانزل وبيحكم اى يحكمون بها فى تحاكمهم وهو يدل على ان النبيون انبياؤهم (والربانيون والاحبار) زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون (بما استحفظوا من كتاب الله) بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ماحذوف ومن النبيين (وكانوا عليه شهداء) رقباء لايتركون ان يغيروا اوشهداء يبينون مايخفى منه كما فعل ابن صوريا (فلا تخشو الناس واخشونى) نهى للحكام ان يخشوا غير الله فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم اومراقبة كبير (ولاتشتروا بآياتى) ولاتستبدلوا باحكامى التى انزلتها (ثمنا قليلا) هو الرشوة والجاه (ومن لم يحكم بما انزل الله) مستهينا به منكرا له (فاؤلئك هم الكافرون) لاستهانتهم به تمردهم بان حكما بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم بخلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها اولطائفة كما قيل هذه

(قل) لهم (اى شئ اكبر شهادة) تمييز محول عن المبتدأ (قل الله) ان لم يقولوه لاجواب غيره هو (شهيد بينى وبينكم) على صدقى (وأوحى الى هذا القرآن لانذركم) ياأهل مكة (به ومن بلغ) عطف على ضمير انذركم اى بلغه القرآن من الانس والجن (أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى) استفهام انكار (قل) لهم (لاأشهد) بذلك قل انما هو اله واحد وانني برئ مما تشركون) معه من الاصنام (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) اى محمد ا بنعته فى كتابهم كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم) منهم (فهم لايؤ منون) به (ومن) اى لا احد (اظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (اوكذب بآياته) القرآن (انه) اى الشأن (لايفلح الظالمون) بذلك (و) اذكر (يوم نحشرهم جميعا نقول للذين اشركوا) توبيخا (اين شركاؤكم الذين كنتم ترعمون) انهم شركاء الله (ثم لم تكن) بالتاء واليا

فى المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون فى اليهود والفاسقون فى النصارى (وكتبنا عليهم) وفرضنا على اليهود (فيها) فى التوراة ان النفس بالنفس اى ان النفس تقتل بالنفس (والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن) رفعها الكسائى على انها جمل معطوفة على ان وما فى حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقرآءة تقعان على الجمل كالقول اوجمل مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن فى قوله بالنفس وانما ساغ لانه فى الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور فى فيها حال مبينة للمعنى وقرأ نافع والاذن بالاذن باسكان الذال وفى اذنيه وقع (والجروح قصاص) اى ذات قصاص قرأ الكسائى ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل (فمن تصدق) من المستحقين (به) بالقصاص اى فمن عفا عنه (فهو) فالتصدق (كفارة له) للتصدق فيكفر الله به ذنوبه وقيل للجانى تسقط عنه ملازمه وقرئ فهو كفارتة له اى فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لاينقص منها شئ (ومن لم يحكم بما انزل الله) من القصاص وغيره (فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم) اى واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه الضمير للنبيين (بعيسى ابن مريم) مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء (مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل) وقرئ بفتح الهمزة (فيه هدى ونور) فى موضع النصب بالحال (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) عطف عليه وكذا قوله (وهدى وموعظة للمتقين) ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه) عليه فى قرآءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اى وآتيناه ليحكم بما انزل الله وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقوله امرتك بان قم اى وامرنا بان ليحكم (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون) عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتملة على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وجلها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة خلاف الظاهر (وانزلنا اليك الكتاب) اى القرآن (بالحق مصدقا لما بين

(فتنتهم) النصب والرفع اى معذرتهم (الا ان قالوا) اى قولهم (والله ربنا) بالجر نعت والنصب نداء (ما كنا مشركين) قال تعالى (انظر) يا محمد (كيف كذبوا على انفسهم) بنفى الشرك عنهم (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) وعلى الله من الشركاء (ومنهم من يستمع اليك اذا قرأت) وجعلنا على قلوبهم اكنة) اغطية (ان) لا (يفقهوه) يفهموا القرآن (وفى آذانهم وقرا) صمما فلا يسمعونه سماع قبول (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان) ما (هذا) القرآن (الا اساطير) اكاذيب (الاولين) كالاضاحيك والاعاجيب جمع اسطورة بالضم (وهم ينهون) الناس (عنه) عن اتباع النبى صلى الله عليه وسلم (وينأون) يتباعدون (عنه) فلا يؤمنون به وقيل نزلت فى ابى طالب كان ينهى عن اذاه ولا يؤمن به (وان) و (يهلكون) بالنأى عنه (الا انفسهم) لان ضرره عليهم (وما يشعرون)

يديه من الكتاب) من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس (ومهيمنا عليه) ورقيبا على سائر الكتب يحفظها عن التغير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اى هو من عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ فى كل عصر (فاحكم بينهم بما انزل الله) اى بما انزل الله اليك (ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق) بالانحراف عنه الى مايشتهونه وعن صلة للاتتبع لتضمنه معنى لاتنحرف اوحال من فاعله اى لاتتبع اهؤاءهم مائلا عما جاءك (لكل جعلنا منكم) ايها الناس (شرعة) شريعة وهى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ماهو سبب الحياة الابدية وقرئ بفتح الشين (منهاجا) وطريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لوشاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لوشاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه (ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون فى العمل (فاستبقوا الخيرات) فابتدو وانتهاز الفرصة وحيازة لفضل السبل والتقدم (الى الله مرجعكم جميعا) استئناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بالجزآء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر (وان احكم بينهم بما انزل الله) عطف على الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم (ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك) اى بان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اى احذرهم فتنتهم اومفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يامحمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (فان تولوا) عن الحكم المنزل وارادوا غيره (فاعلم انما يريد الله بذلك (ولو ترى) يامحمد (اذ وقفوا) عرضوا (على النار فقالوا) يالتنبيه (ليتنا نرد) الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) برفع الفعلين استئنافا ونصبهما فى جواب التمنى ورفع الاول ونصب الثانى وجواب لو رأيت امرا عظيما قال تعالى (بل) للاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى (بدا) ظهر (لهم ما كانوا يخفون من قبل) يكتمون بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين بشهادة جوارحهم فتمنوا (ذلك (ولو ردوا) الى الدنيا فرضا (لعادوا لما نهوا عنه) من الشرك (وانهم لكاذبون) فى وعدهم بالايمان (وقالوا) اى منكرو البعث (ان) ما (هى) اى الحياة (الاحياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا) عرضوا (على ربهم) لرايت امرا عظيما (قال) لهم قال لسان الملائكة توبيخا (اليس هذا) البعث والحساب (بالحق قالوا بلى وربنا) انه لحق (قال فذوقوا العذاب بما كنتم

ان يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعنى ذنب التولى عن حكم الله تعالى فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما فى التنكير ونظيره قول لبيد * او يرتبط بعض النفوس حمامها (وان كثيرا من الناس لفاسقون) لمتمردون فى الكفر معتدون فيه (افحكم الجاهلية يبغون) الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ و يبغون خبره والراجع محذوف حذفه فى الصلة فى قوله تعالى هذا الذى بعث الله رسولا واستضعف ذلك فى غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتأء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) اى عندهم واللام للبيان كما فى قوله تعالى هيت لك اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فتعلمون الا احسن حكما من الله عزوجل (يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء) فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب (بعضهم اولياء بعض) ايماء الى علة النهى اى فانهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجتماعهم على مضادتكم (ومن يتولهم منكم فانه منهم) اى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا للتشديد فى وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلاة والسلام لاتترآ اى ناراهما اولان الموالين لهم كانوا منافقين (ان الله يهدى القوم الظالمين) اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم (فترى الذين فى قلوبهم مرض) يعنى ابن ابى واضرابه (يسارعون فيهم) اى فى موالاتهم ومعاونتهم (يقولون نخشى ان تصيبنا دآئرة) ويعذرون بانهم يحافون ان يصيبهم دآئرة من الدوائر بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم انى ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال ابن ابى انى رجل اخاف الدوائر لابرأ من ولاية مولى فنزلت (فعسى الله ان يأتى بالفتح) لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اعدآئه واظهار المسلمين (او امر

تكفرون) به فى الدنيا (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) بالبعث (حتى) غاية للتكذيب (اذا جائهم الساعة) القيامة (بغتة) فجأة (قالوا ياحسرتنا) هى شدة التأسف لمونداؤها مجازا اى هذا اوانك فاحضرى (على مافرطنا) قصرنا (فيها) اى الدنيا (وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم) بأن تأتيهم عند البعث فى اقبح شئ صورة وانتنه ريحا فتركبهم (الاساء) يئس (مايزرون) يحملونه حملهم ذلك (وما الحيوة الدنيا) اى الاشتغال بها (الا لعب ولهو) واما الطاعات وما يعين عليها فمن امور الآخرة (وللدار الآخرة) وفى قراءة ولدار الآخرة اى الجنة (خير للذين يتقون) الشرك (افلا يعقلون) بالياء والتاء اذلك فيؤمنون (قد) للتحقيق (نعلم انه) اى الشأن (ليحزنك الذى يقولون) لك من التكذيب (فانهم يكذبونك) فى السر لعلمهم انك صادق وفى قراءة بالتخفيف اى لاينسبونك الى الكذب

من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء اوالامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم (فيصبحوا) اى هؤلاء المنافقون (على ماأسروا فى انفسهم نادمين) على ماستبطنوه من الكفر والشك فى امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم (ويقول الذين امنوا) بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائى على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابى عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتى باعتبار المعنى وكأنه قال عسى ان يأتى الله بالفتح ويقول الذين آمنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتى بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به (اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم) يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص اويقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة اوعلى المصدر لانه بمعنى اقسموا (حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين) اما من جملة المقول اومن قول الله تعالى شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ماأحبط اعمالهم وماأخسرهم (ياايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) قرأه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك فى الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التى اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب فى اواخر عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى ليلة قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غدها واخبر الرسول فى تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر فى اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله امابعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب امابعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابوبكر رضى الله عنه بجند المسلمين (ولكن الظالمين) وضعه موضع المضمر (بآيات الله) القرآن (يجحدون) يكذبون (ولقد كذبت رسل من قبلك) فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فصبروا على ماكذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا) باهلاك قومهم فاصبر حتى ياتيك النصر باهلاك قومك (ولامبدل لكلمات الله) مواعيده (ولقد جاءك من نبا المرسلين) مايسكن به قلبك (وان كان كبر) عظم (عليك اعراضهم) عن اسلام لحرصك عليهم (فان استطعت ان تبتغى نفقا) سربا (فى الارض اوسلما) مصعدا (فى السماء فتاتيهم) بآية) مما اقترحوا فافعل المعنى انك لاتستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله (ولو شاء الله) هدايتهم (لجمعهم على الهدى) ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا (فلاتكونن من الجاهلين) بذلك (انما يستجيب) دعاءك الى الايمان (الذين يسمعون) سماع تفهم واعتبار (والموتى) اى الكفار شبههم بهم فى عدم السماع (يبعثهم الله)

وقتله الوحشى قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن
اسلامه وفى خلافة ابى بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة ابن
سلمة وبنو اسليم قوم الفجاة ابن عبد ياليل وبنو ايربوع قوم مالك بن نويرة وبعض
تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس
وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يده وفى امرة
عمر رضى الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام (فسوف
يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) قيل هم اهل اليمن لما روى انه عليه الصلاة والسلام
اشار الى ابى موسى الاشعرى وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام
سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين
جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة
وثلاثة آلاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتى الله
بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم فى الدنيا
وحسن الثواب فى الآخرة ومحبة العبد له ارادة طاعته والتحرز عن
معاصيه (اذلة على المؤمنين) عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل
لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله على ما التضمين معنى العطف والحنو
او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم
او للمقابلة (اعزة على الكافرين) شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه
وقرئ بالنصب على الحال (يجاهدون فى سبيل الله) صفة اخرى لقوم
او حال من الضمير فى اعزة (ولا يخافون لومة لائم) عطف على يجاهدون
بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة فى سبيل الله والتصلب فى دينه او حال
بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون فى جيش
المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيأ يلحقهم فيه لوم
من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى تنكير لائم مبالغتان (ذلك)
اشارة الى ما تقدم من الاوصاف (فضل الله يؤتيه من يشاء) يمنحه ويوفقه له
(والله واسع) كثير الفضل (عليم) بمن هو اهله (انما وليكم الله ورسوله
والذين آمنوا) لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال
وليكم الله ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله
وللمؤمنين على على التبع (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) صفة للذين

فى الآخرة (ثم اليه يرجعون
يردون فيجازيهم بما عملوا لهم
(وقالوا) اى كفار مكة
(لولا) هلا (نزل عليه آية
من ربه) كالناقة والعصا
والمائدة (قل) لهم (ان الله
قادر على ان ينزل) بالتشديد
والتخفيف (آية) مما اقترحوا
(ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان
نزولها ابلاء عليهم لوجوب
هلاكهم ان جحدوها (وما من)
زائدة (دابة) تمشى
(فى الارض ولا طائر يطير)
فى الهواء (بجناحيه الا امم
امثالكم) فى تدبير خلقها
وزرقها واحوالها (ما فرطنا)
تركنا (فى الكتاب) اللوح
المحفوظ (من) زائدة (شئ)
فلم نكتبه (ثم الى ربهم
يحشرون) فيقضى بينهم
ويقتص للجماء من القرناء ثم
يقول لهم كونوا ترابا (والذين
كذبوا بآياتنا) القرآن (صم)
عن سماعها سماع قبول
(وبكم) عن النطق بالحق
(فى الظلمات) الكفر (من
يشا الله) اضلاله (يضلله
ومن يشا) هدايته (يجعله
على صراط) طريق
(مستقيم) دين الاسلام
(قل) يا محمد لاهل مكة
(ارايتكم) اخبرونى (ان
اتاكم عذاب الله) فى الدنيا

آمنوا فانه جرى مجرى الاسم اوبدل منه ويجوز رفعه ونصبه على المدح (وهم راكعون) متخشعون فى صلاتهم وزكاتهم وقيل هوحال مخصوصة يؤتون اى يؤتون الزكاة فى حال ركوعهم فى الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه فانها نزلت فى على رضى الله تعالى عنه حين سأله سائل وهو راكع فى صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولى المتولى للامور والمستحق للتصرف فيها والظاهر ماذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جىء بلفظ الجمع لترغيب الناس فى مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل فى الصلاة لايبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكاة (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) ومن يتخذهم اولياء (فان حزب الله هم الغالبون) اى فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالى غيرهؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء) نزلت فى رفاعة ابن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهى عن موالاتهم على اتخاذ هم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعادات وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائى ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذا على ان النهى عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من كان ذادين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين (واتقوا الله) بترك المناهى (ان كنتم مؤمنين) لان الايمان حقا يقتضى ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده (واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) اى اتخذوا الصلاة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلاة روى ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمد ارسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررة فى البيت فاحرقه

(اواتتكم الساعة أالقيامة المشتملة عليه بغتة (اغير الله تدعون) الا (ان كنتم صادقين) فى ان الاصنام تنفعكم فادعوها (بل اياه) لاغيره (تدعون) فى الشدائد (فيكشف ماتدعون اليه ان يكشف عنكم من الضر ونحوه ان شاء كشفه (وتنسون) تتركون (ماتشركون) معه من الاصنام فلاتدعونه (ولقد أرسلنا الى امم من) زائدة (قبلك) رسلا فكذبوهم (فأخذناهم بالباساء) شيدة الفقر (والضراء) المرض (لعلهم يتضرعون) يتذللون فيؤمنون (فلولا) فهلا (اذجاءهم بأسنا) عذابنا (تضرعوا) اى لم يفعلوا ذلك مع قيام المقضى له (ولكن قست قلوبهم) فلم تلن للايمان (وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون) من المعاصى فأصروا عليها (فلما نسوا تركوا (ماذكروا وعظوا وخوفوا (به) من الباساء والضراء فلم يتعظوا فتحنا) بالتخفيف والتشديد (عليهم ابواب كل شئ من النعم استدرا

جالهم (حتى اذا فرحوا بما
اوتوا فرح بطر (احذناهم)
بالعذاب (بغتة) فجأة (فاذا
هم مبلسون) آيسون من كل
خير (فقطع دابر القوم الذين
ظلموا) اى آخرهم بأن
استؤصلوا (والحمد لله رب
العالمين) على نصر الرسل
واهلاك الكافرين (قل)
لاهل مكة (أرايتم) اخبرونى
(ان اخذ الله سمعكم) اصمكم
(وابصاركم) اعماكم (وختم)
طبع (على قلوبكم) فلا
تعرفون شيأ (من اله غير الله
يأتيكم به) بما اخذه منكم
بزعمكم (انظر كيف نصرف)
نبين (الآيات) الدلالات على
وحدانيتنا (ثم هم يصدفون)
يعرضون عنها فلا يؤمنون
(قل) لهم (أرايتكم ان
أتاكم عذاب الله بغتة او جهرة)
ليلا او نهارا (هل يهلك الا
القوم الظالمون) الكافرون
اى ما يهلك الا هم (وما نرسل
المرسلين الا مبشرين) من
آمن بالجنة ومنذرين من كفر
بالنار (فمن آمن) بهم (واصلح)
عمله (فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون) فى الآخرة (والذين
كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب

واهله (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) فان السفه يؤدى الى الجهل بالحق والهزؤ به
والعقل يمنع منه (قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا) هل تنكرون منا وتعيبون يقال
نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافأه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة
(الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل) الايمان بالكتب المنزلة كلها
(وان اكثركم فاسقون) عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين
وهو المخالفة اى ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم
خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف
او على ما اى وما تنقمون منا الا ايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون او على
علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم
او نصب باضمار فعل يدل عليه تنقمون اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون
او رفع على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن
حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به * فقال او من بالله وما انزل الينا الى
قوله ونحن له مسلمون * فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام لا نعلم دينا
شرا من دينكم (قل هل انبئكم بشر من ذلك) اى من ذلك المنقوم (مثوبة
عند الله) جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت
ههنا موضعها على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ونصبها على
التمييز من بشر (من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير)
بدل من بشر على حذف مضاف اى بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر
من ذلك دين من لعنه الله او خبر مبتدأ محذوف اى هو من لعنه وهم اليهود
ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد
وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير
وهم كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين فى اصحاب
السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير (وعبد الطاغوت)
عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت
وعبد كظرف بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم
ومن قرأ عابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد
الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه
على قردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت

العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه معصية الله تعالى (اولئك) اى الملعونون (شر مكانا) جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شراتهم وقيل مكانا منصرفا (واضل عن سواء السبيل) قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا باضافة الى المؤمنين فى الشرارة والضلال (واذا جاؤكم قالوا آمنا) نزلت فى يهود ناقوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او فى عامة المنافقين (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) اى يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من من التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يظنه ولذلك قال (والله اعلم بما كانوا يكتمون) اى من الكفر وفيه وعيد لهم (وترى كثيرا منهم) اى من اليهود والمنافقين (يسارعون فى الاثم) اى فى الحرام وقيل الكذب لقوله تعالى عن قولهم الاثم (والعدوان) الظلم او مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم ما تختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم (واكلهم السحت) اى الحرام خصه بالذكر للمبالغة (لبئس ما كانوا يعملون) لبئس شيئا عملوه (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت) تحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضى افاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد التحضيض (لبئس ما كانوا يصنعون) ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو وتحرى اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تستلذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم (وقالت اليهود يد الله مغلولة) اى هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله * جاد الحمى بسطا لديه بوابل * شكرت نداه تلاعه ووهاده * ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء (غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا) دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدى حقيقة يغلون اسارى فى الدنيا ومسحبين بما كانوا يفسقون) يخرجون عن الطاعة (قل) لهم لا اقول لكم عندى خزائن الله) التى منها يرزق (ولا اعلم الغيب ما غاب عنى ولم يوح الى (ولا أقول لكم انى ملك) من الملائكة (ان) ما (اتبع الا ما يوحى الى قل هل يستوى الاعمى) الكافر (والبصير) المؤمن لا (افلا تتفكرون) فى ذلك فتؤمنون (وأنذر) خوف (به) اى بالقرآن (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه) اى غيره (ولى) ينصرهم (ولا شفيع) يشفع لهم وجملة النفى حال من ضمير يحشروا وهى محل الخوف والمراد بهم المؤمنون العاصون (لعلهم يتقون) الله باقلاعهم عما هم فيه وعمل الطاعات (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون بعبادتهم (وجهه) تعالى لا شيأ من اعراض الدنيا وهم الفقراء وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا ان يطردهم ليجالسوه واراد النبى صلى الله عليه وسلم ذلك طمعا فى اسلامهم (ما عليك

من حسابهم من) زائدة (شئ) ان كان باطنهم غير مرضى (وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم) جواب النفي (فتكون من الظالمين) ان فعلت ذلك (وكذلك فتنا) ابتلينا (بعضهم ببعض) اى الشريف بالوضيع والغنى بالفقير بأن قدمناه بالسبق الى الايمان (ليقولوا) اى الشرفاء والاغنياء منكرين (اهؤلاء) الفقراء (من الله عليهم من بيننا) بالهداية اى لو كان ما هم عليه هدى ماسبقونا اليه قال تعالى (اليس الله بأعلم بالشاكرين) له فيهديهم بلى (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل) لهم (سلام عليكم كتب) قضى (ربكم على نفسه الرحمة انه اى الشان وفى قراءة بالفتح بدل من الرحمة (من عمل منكم سوا بجهالة) منه حيث ارتكبه (ثم تاب) رجع من بعده) بعد عمله عنه (واصلح) عمله (فانه) اى الله (غفور) له (رحيم) به وفى قراء بالفتح اى فالمغفرة له (وكذلك) كما بينا ماذكر (نفصل نبين (الآيات القرآن ليظهر

الى النار فى الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبنى سب الله دبره (بل يداه مبسوطتان) ثنى اليد مبالغة فى الرد ونفى البخل عنه تعالى واثباتا لغاية الجود فان غاية مايبذله السخى من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى مايعطى للاستدراج ومايعطى للاكرام (ينفق كيف يشاء) تأكيد لذلك اى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق فى ذوات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت فى فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود مابسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم واشرك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) اى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا عما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء (والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق افواههم (كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله) كلما ارادوا حرب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عند شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومى ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا اوصفة نارا (ويسعون فى الارض فسادا) اى للفساد وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين) فلا يجازيهم الاشرا (ولو ان اهل الكتاب امنوا) بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبما جاء به (واتقوا) ما عندنا معاصيهم ونحوه (لكفرنا عنهم سيئاتهم) التى فعلوها ولم نؤاخذهم بها (ولادخلناهم جنات النعيم) ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم من معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ماقبله وان جل وان الكتابى لا يدخل الجنة مالم يسلم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل) باذاعة مافيهما من نعت محمد عليه الصلاة والسلام والقيام باحكامهما (وما انزل اليهم من ربهم) يعنى سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم القرآن (لأكلوا من

فوقهم ومن تحت ارجلهم) اوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع اويرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ماتساقط على الارض بين بذلك ان ماكف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولوانهم آمنوا واقاموا ماامروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين (منهم امة مقتصدة) عادلة غير غالية ولامقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة فى عداوته (وكثير منهم ساء مايعملون) اى بئس مايعملونه وفيه معنى التعجب اى ماأسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق واعراض عنه اوالافراط فى العداوة (يا ايها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك) جميع ماانزل اليك غير مراقب احدا ولاخائف مكروها (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما امرتك (فما بلغت رسالته) فماادبت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ماادى منها كترك بعض اركان الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض به اوفكانك مابلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء فى الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وابوبكر رسالاته بالجمع وكسر التاء (والله يعصمك من الناس) عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادى واراحة لمعازيره (ان الله لايهدى القوم الكافرين) لايمكنهم مما يريدون بك وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعثنى الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الى ان لم تبلغ رسالتى عذبتك وضمن لى العصمة فقويت وعن انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس قد عصمنى الله من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ماانزل ولعل المراد تبليغ مايتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية مايحرم افشاؤه (قل ياأهل الكتاب لستم على شئ) اى دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل (حتى تقيموا التوراة والانجيل وماانزل اليكم من ربكم) ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والاذعان بحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها (وليزيدن كثيرا منهم ماانزل اليك من ربك طغيانا وكفرا

الحق فيعمل به (ولتستبين) تظهر (سبيل) طريق (المجرمين) فتجتنب وفى قراءة بالتحتانية وفى اخرى بالفوقانية ونصب سبيل خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون) تعبدون (من دون الله قل لااتبع اهواكم) فى عبادتها (قد ضللت اذا) ان اتبعتها (وماانا من المهتدين قل انى على بينة) بيان (من ربى و) قد (كذبتم به) ربى حيث اشركتم (ماعندى ماتستعجلون به) من العذاب (ان) ما (الحكم) فى ذلك وغيره (الا لله يقضى) القضاء (الحق وهو خير الفاصلين) الحاكمين) وفى قراءة يقص اى يقول (قل) لهم (لو ان عندى ماتستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم) بان اعجله لكم واستريح ولكنه عند الله (والله اعلم بالظالمين) متى يعاقبهم (وعنده) تعالى (مفاتح الغيب) خزائنه او الطرق الموصلة الى علمه (لايعلمها الاهو) وهى الخمسة التى فى قوله ان الله عنده علم الساعة

فلا تأس على القوم الكافرين) فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفى المؤمنين مندوحة لك عنهم (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) سبق تفسيره فى سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية فيه التأخير عما فى حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله * فانى وقيار بها لغريب * وقوله * والا فاعلموا انا واتم * بغاة ما بقينا فى شقاق * اى فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتات عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله * نحن بما عندنا وانت بما * عندك راض والرأى مختلف * ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير فى هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها فى موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو (من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا) فى محل الرفع بالابتداء وخبره (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والجملة خبران او خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف اى من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابئون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبابا بدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا (لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا) ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم) بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف واتى بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك دينهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الآى (وحسبوا ان لا تكون فتنة) اى وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم

الاية كما رواه البخارى (ويعلم ما) يحدث (فى البر) القفار (والبحر) القرى التى على الانهار او ما تسقط من) زائدة (ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) عطف على ورقة (الا فى كتاب مبين) هو اللوح المحفوظ والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله (وهو الذى يتوفاكم بالليل) يقبض ارواحكم عند النوم (ويعلم ما جرحتم) كسبتم (بالنهار ثم يبعثكم فيه) اى النهار برد ارواحكم (ليقضى اجل مسمى) هو اجل الحياة (ثم اليه مرجعكم) بالبعث (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (وهو القاهر) مستعليا (فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة تحصى اعمالكم (حتى اذا جاء احدكم الموت توفته) وفى قراءة توفاه (رسلنا) الملائكة الموكلون بقبض الارواح (وهم لا يفرطون) يقصرون فيما يؤمرون (ثم ردوا) اى الخلق (الى الله مولاهم) مالكهم (الحق) الثابت العدل ليجازيهم (الا له الحكم) القضاء النافذ فيهم

بلاء وعذاب يقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب ان لاتكون بالرفع على ان ان هى المخففة من الثقيلة واصله انه لاتكون فخففت وحذف ضمير الشأن وادخال فعل الحسبان عليها وهى للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم وان وان بما فى حيزها سادّ مسد مفعوليه (فعموا) عن الدين اوالدلائل والهدى (وصموا) عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل (ثم تاب الله عليهم) اى ثم تابوا فتاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) مرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم (كثير منهم) بدل من الضمير اوفاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلونى البراغيث اوخبر مبتدأ محذوف اى العمى والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله ممتنع (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم وفق اعمالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم (انه من يشرك بالله) اى فى عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال (فقد حرم الله عليه الجنة) بمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين (ومأواه النار) فانها المعدة للمشركين (وما للظالمين من انصار) اى ومالهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى عليه السلام وان يكون من كلام الله تعالى تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) اى احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وماسبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد (وما من اله الا اله واحد) وما فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف الوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق (وان لم ينتهوا عما يقولون) ولم يوحدوا (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم) اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر اوليمسن الذين كفروا من النصارى وضع موضع ليمسنهم تكرير الشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب

(وهو اسرع الحاسبين) يحاسب الخلق كلهم فى قدر نصف نهار من ايام الدنيا لحديث بذلك (قل) يامحمد لاهل مكة (من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) اهو الهما فى اسفاركم حين (تدعونه تضرعا) علانية (وخفية) سرا تقولون (لئن) لام قسم (انجيتنا) وفى قراءة انجانا اى الله (من هذه) الظلمات والشدايد (لنكونن من الشاكرين) المؤمنين (قل) لهم (الله ينجيكم) بالتخفيف والتشديد (منها ومن كل كرب) غم سواها (ثم انتم تشركون) به (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم) من السماء كالحجارة والصيحة (او من تحت ارجلكم) كالخسف (اويلبسكم) يخلطكم (شيعا) فرقا مختلفة الاهواء (ويذيق بعضكم باس بعض) بالقتال قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذا اهون وايسر ولما نزل ماقبله اعوذ بوجهك رواه البخارى وروى مسلم حديث سألت ربى ان لايجعل باس امتى بينهم فمنعنها وفى حديث لما نزلت قال اما انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد (انظر كيف نصرف)

على من دام على الكفر ولم ينقطع عنه فلذلك عقبه بقوله (افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) اى الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد (والله غفور رحيم) يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفى هذا الاستفهام تعجيب من اسرارهم (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) اى ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب (وامه صديقة) كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء (كانا يأكلان الطعام) ويفتقر ان اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى مالهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما فى مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافى الربوبية ويقتضى ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعى الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين اى ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) يعنى عيسى وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله تعالى به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فيمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان النحرز عنه اهم من تحرى النفع (والله هو السميع العليم) بالاقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان سرا فشر (قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق) اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة (ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل) يعنى اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى شريعتهم (واضلوا كثيرا) ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم (وضلوا عن سواء السبيل) عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة

تبين لهم (الآيات) الدلالات على قدرتنا (لعلهم يفقهون) يعلمون ان ما هم عليه باطل (وكذب به) بالقرآن (قومك وهو الحق) الصدق (قل) لهم (لست عليكم بوكيل) فاجازيكم انما انا منذر وامركم الى الله وهذا قبل الامر بالقتال (لكل نبأ) خبر (مستقر) وقت يقع فيه ويستقر منه عذابكم (وسوف تعلمون) تهديد لهم (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) القرآن بالاستهزاء (فأعرض عنهم) وتجالسهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره واما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (ينسينك) بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد (الشيطان) فقعدت معهم (فلا تقعد بعد الذكرى) اى تذكره (مع القوم الظالمين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر وقال المسلمون ان فنا كلما خاضوا لم نستطع ان نجلس فى المسجد وان نطوف فنزل (وما على الذين يتقون) الله (من حسابهم) اى الخائضين (من) زائدة (شئ) اذا جالسوهم (ولكن) عليهم

الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاءبه الشرع
(لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) اى
لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت
لعنهم داود عليه السلام فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا
دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف
رجل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ
بسبب عصيانهم واعتدائهم ماحرم عليهم (كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه) اى لا ينهى بعضهم بعضها عن معاودة منكر فعلوه اوعن مثل منكر
فعلوه اوعن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له ولا ينتهون عنه من قولهم تناهى
عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع (لبئس ما كانوا يفعلون) تعجيب من سوء
فعلهم مؤكد بالقسم (ترى كثيرا منهم) من اهل الكتاب (يتولون الذين
كفروا) بوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والمؤمنين (لبئس ماقدمت لهم انفسهم) اى لبئس شيأ قدموه ليردوا
عليه يوم القيامة (ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون)
هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود فى العذاب
اوعلة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيأ ذلك لان كسبهم
السخط والخلود (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى) يعنى نبيهم وان
كانت الآية فى المنافقين فالمراد نبينا عليه السلام (وما انزل اليه
مااتخذوهم اولياء) اذالايمان يمنع ذلك (ولكن كثيرا منهم فاسقون)
خارجون عن دينهم اومتمردون فى نفاقهم (لتجدن اشد الناس عداوة
للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم
وانهماكهم فى اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق
وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم (لتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا
الذين قالوا انا نصارى) للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على
الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله (ذلك بان منهم
قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون) عن قبول الحق اذا فهموه
اويتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال
فى العلم والعمل واعراض عن الشهوات محمودة وان كانت فى كافر
(واذا سمعوا ماانزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع) عطف

(ذكرى) تذكرة لهم وموعظة
(لعلهم يتقون) الخوض
(وذر) اترك (الذين اتخذوا
دينهم) الذى كلفوه (لعبا
ولهوا) باستهزائهم به
(وغرتهم الحيوة الدنيا) فلا
تتعرض لهم وهذا قبل الامر
بالقتال (وذكر) عظ (به)
بالقرآن الناس لـ (أن) لا
(تبسل نفس) تسلم الى الهلاك
(بما كسبت) عملت (ليس لها
من دون الله) اى غيره (ولى)
ناصر (ولا شفيع) يمنع عنها
العذاب (وان تعدل كل عدل)
تفد كل فداء (لا يؤخذ
منها) مايفدى به (اولئك
الذين ابسلوا بما كسبوا لهم
شراب من حميم) ماء بالغ
نهاية الحرارة (وعذاب اليم)
مؤلم (بما كانوا يكفرون)
بكفرهم (قل اندعوا) انعبد
(من دون الله مالا ينفعنا)
بعبادته (ولا يضرنا) بتركها
وهو الاصنام (ونرد على
اعقابنا) نرجع مشركين
(بعد اذ هدانا الله) الى الاسلام
(كالذى استهوته) اضلته
(الشياطين فى الارض حيران)
متحيرا لا يدرى اين يذهب
حال من الهاء (له اصحاب)

على لايستكبرون هو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها (مما عرفوا من الحق) من الاولى للابتدآء والثانية لتبيين ماعرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله (يقولون ربنا آمنا) بذلك او بمحمد صلى الله عليه وسلم (فاكتبنا مع الشاهدين) من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء الله على الامم يوم القيامة (ومالنا لانؤمن بالله وماجاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعى وهو الطمع فى الانخراط مع الصالحين والدخول فى مداخلهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولانؤمن حال من الضمير والعامل مافى اللام من معنى الفعل اى اى شئ حصل لنا غير مؤمنين بالله اى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن (فاثابهم الله بما قالوا) اى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اى معتقده (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزآء المحسنين) الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان فى الامور والآيات الاربع روى انها نزلت فى النجاشى واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكتابه فقرأ ثم دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت فى ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم فى معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب (ياايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم) اى ماطاب ولذ منه كانه لما تضمن ماقبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهى عن الافراط فى ذلك والاعتداء بما حد الله بجعل الحلال حراما فقال (ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين) ويجوز

رفقة (يدعونه الى الهدى) اى ليهدوه الطريق يقولون له (ائتنا) فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام للانكار وجملة التشبيه حال من ضمير نرد (قل ان هدى الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى) وماعداه ضلال (وامرنا لنسلم) اى بأن نسلم (لرب العالمين وان) اى بان (اقيموا الصلوة واتقوه) تعالى (وهو الذى اليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة للحساب (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) اى محقا (و) اذكر (يوم يقول) للشئ (كن فيكون) هو يوم القيامة يقول للخلق قوموا فيقوموا (قوله الحق) الصدق الواقع لامحالة (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) القرن النفخة الثانية من اسرافيل لاملك فيه لغيره لمن الملك اليوم لله (عالم الغيب والشهادة) ماغاب وماشوهد (وهو الحكيم) فى خلقه (الخبير) بباطن الاشياء كظاهرها (اذكر) اذقال ابراهيم لابيه (آزر) هو لقبه واسمه تارخ (اتتخذ اصناما

ان يراد به ولاتعتدوا حدود ماأحل لكم الى ماحرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ماأحل وتحليل ماحرم داعية الى القصد بينهما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوماوما بالغ فى انذارهم فرقوا واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لايزالوا صائمين وان لاينام اعلى الفرش وان لايأكلوا اللحم والودك ولايقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انى لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا وقانى اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ونزلت (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) اى وكلوا ماأحل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما رزقكم الله حالا منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا لكلوا وحلالا من الموصول اوالعائد المحذوف اوصفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه اولم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) هو مايبدو من المرء بلاقصد كقول الرجل لاوالله واليه ذهب الشافعى رحمه الله وقيل الحلف على مايظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابوحنيفة رحمه الله تعالى وفى ايمانكم صلة يؤاخذكم اواللغو لانه مصدر اوحال منه (ولكن يؤاخذكم بماعقدتم الايمان) بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بماعقدتم اذاحنثتم اوبنكث ماعقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائى وابن عياش عقدتم بالتخفيف وابن عامر فى رواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل (فكفارته) فكفارة نكثه اى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره وأستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذى هو خير (اطعام عشرة مساكين من اوسط ماتطعمون اهليكم) من اقصده فى النوع اوالقدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ماتطعمون اوالرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة

آلهة) تعبدها استفهام توبيخ (انى اراك وقومك) باتخاذ ها (فى ضلال) عن الحق (مبين) بين (وكذلك) كما ارياه اضلال ابيه وقومه (نرى ابراهيم ملكوت) ملك (السموات والارض) ليستدل به على وحدانيتنا (وليكون من الموقنين) بها وجملة وكذلك ومابعدها اعتراض وعطف على قال (فلما جن) اظلم (عليه الليل راى كوكبا) قيل هو الزهرة (قال) لقومه وكانوا نجامين (هذا ربى) فى زعمكم (فلما افل) غاب (قال لااحب الآفلين) ان اتخذهم اربابا لان الرب لايجوز عليه التغير والانتقال لانهما من شؤن الحوادث فلم ينجع فيهم ذلك فلما رأى القمر بازغا) (قال) لهم هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى) يثبتنى على الهدى (لأكونن من القوم الضالين) تعريض لقومه بانهم على ضلال فلم ينجع فيهم ذلك (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا) ذكره لتذكير خبره (ربى هذا اكبر) من الكوكب والقمر فلما

من يسكنها فى الاحوال الثلاثة كالالف وهو جمع اهل كالليالى فى جمع ليل والاراضى فى جمع ارض وقيل جمع اهلة (اوكسوتهم) عطف على اطعام اومن اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص اورداء وازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة وقدوة اوكاسوتهم بمعنى اوكمثل ماتطعمون اهليكم اسرافا اوتقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف فى محل الرفع وتقديره اواطعامهم كاسوتهم (اوتحرير رقبة) اواعتاق انسان وشرط الشافعى رحمه الله فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى اوايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف فى التعيين (فمن لم يجد) اى واحدة منها (فصيام ثلاثة ايام) فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم يروسنة (ذلك) اى المذكور (كفارة ايمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا ايمانكم) بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر اوبان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير اوبان تكفروها اذا حنثتم (كذلك) اى مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) اعلام شرائعه (لعلكم تشكرون) نعمة التعليم اونعمه الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه (ياايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب) اى الاصنام التى نصبت للعبادة (والازلام) سبق تفسيره فى اول السورة (رجس) قذر يعاف عنه العقول وافراده لانه للخمر وخبر المعطوف اوالمضاف المحذوف كانه قال انما تعاطى الخمر والميسر (من عمل الشيطان) لانه مسبب عن تسويله وتزيينه (فاجتنبوه) الضمير للرجس اولما ذكر اوللتعاطى (لعلكم تفلحون) لكى تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر فى هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر محت اوغالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين مافيهما من المفاسد الدينية والدنيوية المقتضية للتحريم فقال تعالى (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) وانما خصهما باعادة الذكر وشرح مافيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على

افلت) وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا (قال ياقوم انى برئ مما تشركون) بالله من الاصنام والاجرام المحتاجة الى محدث فقالوا له ماتعبد قال (انى وجهت وجهى) قصدت بعبادتى (للذى فطر) خلق (السموات والارض) اى الله (حنيفا) مائلا الى الدين القيم (وما انا من المشركين) به (وحاجه قومه) جادلوه فى دينه وهددوه بالاصنام ان تصيبه بسوء ان تركها (قال اتحاجونى) بتشديد النون وتخفيفها بحذف احدى النونين وهى نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند الفراء اتجادلوننى (فى) وحدانية (الله وقد هدان) تعالى اليها (ولا اخاف ماتشركون به) من الاصنام ان تصيبنى بسوء لعدم قدرتها على شئ (لا) لكن (ان يشاء ربى شيأ) من المكروه يصيبنى فيكون (وسع ربى كل شئ علما) اى وسع علمه كل شئ (افلا تتذكرون) هذا فتؤمنون (وكيف اخاف ماأشركتم) بالله وهى

انهما مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ماتقدم من انواع الصوارف وقال (فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت (واطيعوا الله والرسول) فيما امرا به (واحذروا) مانهيا عنه او مخالفتهما (فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) اى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول عليه السلام بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) مما لم يحرم عليهم لقوله (اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) اى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة (ثم اتقوا) ماحرم عليهم بعد كالخمر (وآمنوا) بتحريمه (ثم اتقوا) ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصى (واحسنوا) وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يارسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرار باعتبار الاوقات الثلاثة اوباعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك بدل الايمان بالاحسان فى الكرة الثالثة اشارة الى ماقاله عليه الصلاة والسلام فى تفسيره اوباعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى اوباعتبار مايتقى فانه ينبغى ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع فى الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة (والله يحب المحسنين) فلايؤاخذهم بشئ وفيه دليل ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا (ياايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله ايديكم ورماحكم) نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير فى بشئ للتنبيه على انه ليس من العظائم التى تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ماهو اشد منه (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لايخافه لضعف قلبه وقلة

لاتضر ولاتنفع (ولاتخافون) انتم من الله (انكم اشركتم بالله) فى العبادة (مالم ينزل به) بعبادته (عليكم سلطانا) حجة وبرهانا وهو القادر على كل شئ (فاى الفريقين احق بالامن) أنحن ام انتم (ان كنتم تعلمون) من الاحق به اى وهو نحن فاتبعوه قال تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا) يخلطوا ايمانهم بظلم) اى شرك كما فسر بذلك فى حديث الصحيحين (اولئك لهم الامن) من العذاب (وهم مهتدون وتلك) مبتدا ويبدل منه حجتنا) التى احتج بها ابراهيم على وحدانية الله من افول الكوكب ومابعده والخبر (آتيناها ابراهيم) ارشدناه لها حجة (على قومه نرفع درجات من نشاء) بالاضافة والتنوين فى العلم والحكمة (ان ربك حكيم) فى صنعه (عليم) بخلقه (ووهبنا له اسحق ويعقوب ابنه (كلا) منهما (هدينا ونوحا هدينا من قبل) اى قبل ابراهيم (ومن ذريته) اى نوح (داود وسليمان) ابنه (وايوب ويوسف)

ابن يعقوب (وموسى وهرون وكذلك) كما جزيناهم (نجزى المحسنين وزكريا ويحيى) ابنه (وعيسى) ابن مريم يفيدان الذرية تتناول اولا البنت (والياس) ابن اخى هرون اخى موسى (كل) منهم (من الصالحين واسمعيل) بن ابراهيم (واليسع) اللام زائدة (ويونس ولوطا) ابن هاران اخى ابراهيم (وكلا) منهم (فضلنا على العالمين) بالنبوة (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم) عطف على كلا او نوحا ومن للتبعيض لان بعضهم لم يكن له ولد وبعضهم كان فى ولده كافر (واجتبيناهم) اخترناهم (وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك) الدين الذى هدوا اليه (هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو اشركو) فرضا (لحبط عنهم ما كانوا يعملون اولئك الذين آتيناهم الكتاب) بمعنى الكتب (والحكم) الحكمة (والنبوة فان يكفر بها) اى بهذه الثلاثة (هؤلاء) اى اهل مكة (فقد وكلنا بها) ارصدنا لها (قوما ليسوا بها

ايمانه فذكر واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم (فمن اعتدى بعد ذلك) الابتلاء بالصيد (فله عذاب اليم) فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه فى مثل ذلك ولا يراعى حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه (يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم) اى محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والزكوة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام خمس يقتلن فى الحل والحرام الحداءة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفى رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من تنبيه على جواز قتل كان موذوا اختلف فى ان هذا النهى هل يلغى حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الاثنى اولا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب (ومن قتله منكم متعمدا) ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قبل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد فى ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمدا اذ روى انه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت (فجزاء مثل ما قتل من النعم) برفع الجزاء والمثل قرأة الكوفيون ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف مالم يتم بها وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقام مثل كما فى قولهم مثلى لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزى مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزى جزاء يماثل ما قتل او فجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعى والقيمة عند ابى حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدى يخير بين ان يهدى ما قيمته و بين ان يشترى بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره و بين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ يخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول اوفق (ويحكم به ذوا عدل منكم) صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره فى خبره اومنه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة فى الخلقة والهيئة

اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام (هديا) حال من الهاء فى به اوجزآء وان نون لتخصصه بالصفة اوبدل من مثل باعتبار محله اولفظه فيمن نصبه (بالغ الكعبة) وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغ الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء (اوكفارة) عطف على جزآء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف (طعام مساكين) عطف بيان اوبدل منه اوخبر محذوف اى هى طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعى ان يكفر باطعام مساكين مايساوى قيمة الهدى من غالب قوت البلد فيعطى كل مسكين مدا (اوعدل ذلك صياما) اوما ساواه من الصوم عن اطعام كل مسكين يوما وهو فى الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ماعدل بالشئ فى المقدار كعدلى الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل (ليذوق وبال امره) متعلق بمحذوف اى فعليه الجزآء اوالطعام اوالصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبته بهتكه لحرمة الاحرام اولثقل للشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل (عفا الله عما سلف) من قتل الصيد محرما فى الجاهلية اوقبل التحريم اوفى هذه المرة (ومن عاد) الى مثل هذا (فينتقم الله منه) فهو ينتقم الله منه وليس فيه مايمنع الكفارة عن العائد كما حكى عن ابن عباس وشريح (والله عزيز ذوانتقام) ممن اصر على عصيانه (احل لكم صيد البحر) ماصيد منه ممالايعيش الا فى الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك ومايؤكل نظيره فى البر (وطعامه) ماقذفه اونضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله (متاعا لكم) تمتيعا لكم نصب على الغرض (وللسيارة) اى ولسياراتكم تتزودونه قديدا (وحرم عليكم صيد البر) اى ماصيد فيها اوالصيد فيها فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ماصاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم مالم تصطادوه اولم يصد لكم (مادمتم حرما) اى محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام (واتقوا الله الذى اليه تحشرون جعل الله الكعبة) صيرها وانما سمى البيت بكافرين) هم المهاجرون والانصار (اولئك الذين) هدى) هم (الله فبهداهم) طريقهم من التوحيد والصبر (اقتده) بها السكت وقفا ووصلا وفى قراءة بحذفها وصلا (قل) لاهل مكة (لا اسألكم عليه) اى القرآن (اجرا) تعطونيه (ان هو) ما القرآن (الا ذكرى) عظة (للعالمين) الانس والجن (وما قدروا) اى اليهود (الله حق قدره) اى ماعظموه حق عظمته اوما عرفوه حق معرفته (اذ قالوا) للنبى صلى الله عليه وسلم وقد خاصموه فى القرآن (ما انزل الله على بشر من شئ قل) لهم (من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه) بالياء والتاء فى الموضع الثلاثة (قراطيس) اى يكتبونه فى دفاتر مقطعة (يبدونها) اى ما يحبون ابداءه منها (ويخفون كثيرا) مما فيها كنعت محمد صلى الله عليه وسلم (وعلمتم) ايها اليهود فى القرآن (مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم) من التوراة

ببيان ما التبس عليكم واختلفتم
فيه (قل الله) أنزله ان لم
يقولوه لاجواب غيره (ثم
ذرهم فى خوضهم) باطلهم
(يلعبون وهذا) القرآن
(كتاب أنزلناه مبارك مصدق
الذى بين يديه) قبله من الكتب
(ولتنذر) بالتاء واليا
عطف على معنى ماقبله اى
انزلناه للبركة والتصديق
ولتنذر به (ام القرى ومن
حولها) اى اهل مكة
وسائر الناس (والذين
يؤمنون بالآخرة يؤمنون به
وهم على صلاتهم يحافظون)
خوفا من عقابها (ومن) اى
لااحد (اظلم ممن افترى على
الله كذبا) بادعاء النبوة ولم
ينبأ (اوقال اوحى الى ولم
يوح اليه شئ) نزلت فى
مسيلمة (و) من (من قال
سانزل مثل ما انزل الله) وهم
المستهزؤن قالوا لو نشاء
لقلنا مثل هذا (ولو ترى)
يا محمد (اذ الظالمون)
المذكورون (فى غمرات)
سكرات (الموت والملائكة
باسطوا ايديهم (اليهم بالضرب
والتعذيب يقولون لهم تعنيفا
(اخرجوا انفسكم) الينا

كعبة لتكعبه (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثانى
(قياما للناس) انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم فى امر معاشهم ومعادهم بلوذه
الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحاج والعمار
اومايقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل
كالشبع اعل عينه كاعل فى فعله ونصبه على المصدر او الحال (والشهر
الحرام والهدى والقلائد) سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذى
يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرائه وقيل الجنس (ذلك)
اشارة الى الجعل او الى ماذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره (لتعلموا
ان الله يعلم مافى السموات ومافى الارض) فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل
وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه (وان الله
بكل شئ عليم) تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق (اعلموا
ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم) وعيد ووعد لمن انتهك محارمه
ولمن حافظ عليها اولمن اصر عليه ولمن اقلع عنه (ماعلى الرسول الا البلاغ)
تشديد فى ايجاب القيام بما امر اى الرسول اتى بما امر به من التبليغ
ولم يبق لكم عذر فى التفريط (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)
من تصديق وتكذيب وفعل وعزم (قل لا يستوى الخبيث والطيب)
حكم عام فى نفى المساواة عند الله بين الردئ من الاشخاص والاعمال
والاموال وجيدها رغب به فى صالح العمل وحلال المال (ولو اعجبك كثرة
الخبيث) فان العبرة بالرداءة والجودة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل
خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال (فاتقوا الله يا اولى
الالباب) اى فاتقوه فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل
(لعلكم تفلحون) راجين ان تبلغوا الفلاح روى انها نزلت فى حجاج اليمامة
لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين (يا ايها الذين
آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل
القرآن تبد لكم) الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها
فى زمان الوحى تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمكم
والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرناء غير انه قلبت لامه فجعلت لفاء
وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشئ على ان اصله شئ كهين او شين

كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه (عفا الله عنها) صفة اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذروى انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى ماتركتكم فنزلت او استئناف اى عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها (والله غفور حليم) لا يعاجلكم بعقوبة مايفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة مايسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شئ الا واجبت فقال رجل اين ابى فقال فى النار وقال آخر من ابى فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت (قد سألها قوم) الضمير للمسألة التى دل عليها لا تسأ لوا ولذلك لم يعد بعن او للاشياء بحذف الجار (من قبلكم) متعلق بسألها ليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا لها ولا خبرا عنها (ثم اصبحوا بها كافرين) اى بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا جودا (ماجعل من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها او شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهى لهم واذا ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر وا ذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ماجعل ماشرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) بتحريم ذلك ونسبته اليه (واكثرهم لا يعقلون) اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الامر من النهى ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا) بيان لقصور عقلهم وانهماكهم فى التقليد وان لا سند لهم سواء (اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ ولا يهتدون) الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اى احسبهم

لنقيضها (اليوم تجزون عذاب الهون) الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) بدعوى النبوة والايحاء كذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) تتكبرون عن الايمان بها وجواب لو لرايت امرا فظيعا (و) يقال لهم اذا بعثوا (لقد جئتمونا فرادى) منفردين عن الاهل والمال والولد (كما خلقناكم اول مرة) اى حفاة عراة غزلا (وتركتم ماخولناكم) اعطيناكم من الاموال (وراء ظهوركم) فى الدنيا بغير اختياركم (و) يقال لهم توبيخا (مانرى معكم شفعاءكم) الاصنام (الذين زعمتم انهم فيكم) اى فى استحقاق عبادتكم شركاء) لله (لقد تقطع بينكم) وصلكم اى تشتت جمعكم وفى قراءة بالنصب ظرف اى وصلكم بينكم (وضل) ذهب (عنكم ماكنتم تزعمون) فى الدنيا من شفاعتها (ان الله فالق) شاق (الحب) عن النبات (والنوى) عن النخل (يخرج الحى من الميت) كالانسان والطائر من النطفة

والبيضة (ومخرج الميت) النطفة والبيضة (من الحى ذلكم) الفالق المخرج (الله فانى تؤفكون) فكيف تصرفون عن الايمان مع قيام البرهان (فالق الاصباح) مصدر بمعنى الصبح اى شاق عمود الصبح وهو اول مايبدو من نور النهار عن ظلمة الليل (وجعل الليل سكنا) تسكن فيه الخلق من التعب (والشمس والقمر) بالنصب عطفا على محل الليل (حسبانا) حسابا للاوقات او الباء محذوفة وهو حال من مقدر اى يجريان بحسبان كآية الرحمن (ذلك) المذكور (تقدير العزيز) فى ملكه (العليم) بخلقه (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) فى الاسفار (قد فصلنا) بينا (الآيات) الدلالات على قدرتنا (لقوم يعلمون) يتدبرون (وهو الذى أنشأكم) خلقكم (من نفس واحدة) هى آدم (فمستقر) منكم فى الرحم (ومستودع) منكم فى الصلب وفى قراءة بفتح القاف اى مكان قرار لكم (قد فصلنا الآيات

ماوجدو عليه آباءهم ولوكانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لايعرف الا بالحجة فلا يكفى التقليد (ياايها الذين آمنوا عليكم انفسكم) اى احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لازموا والذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على ابتداء (لايضركم من ضل اذا اهتديتم) يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان بغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبلقبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك فنزلت ولامو ه ولايضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف يؤيده ان قرئ لايضيركم والجزم على الجواب او النهى لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لايضركم بالفتح ولايضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لايؤ اخذ بذنب غيره (ياايها الذين آمنوا شهادة بينكم) اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد فى الوصية واضافتها الى الظرف للاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم (اذا حضر احدكم الموت) اذا شارفه وظهرت امارته وهو ظرف للشهادة (حين الوصية) بدل منه وفى ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغى ان لايتهاون فيه او ظرف حضر (اثنان) فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف (ذواعدل منكم) اى من اقاربكم ومن المسلمين وهما صفتان لاثنان (اوآخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لاتسمع اجماعا (ان انتم ضربتم فى الارض) اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت) اى قاربتم الاجل (تحبسونهما) تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله اوآخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغى ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما فى السفر فمن غيركم او استئناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما (من بعد الصلاة) صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اى صلاة كانت (فيقسمان بالله ان ارتبتم)

ان ارتاب الوارث منكم (لانشترى به ثمنا) مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض بقيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لانستبدل بالقسم اوبالله عرضا من الدنيا اى لانحلف بالله كاذبين بالطمع (ولوكان ذاقربى) ولوكان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اى لانشترى (ولانكتم شهادة الله) اى الشهادة التى امرنا باقامتها وعن الشعبى انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغيره كقولهم الله لأفعلن (انااذالمن الآثمين) اى ان كتمنا وقرئ الاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها (فان عثر) فان اطلع (على انهما استحقا اثما) اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف (آخران) فشاهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) من الذين جنى عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو (الاوليان) الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اى هما الاوليان اوخبر آخران اومبتدأ خبره آخران او بدل منهما اومن الضمير فى يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين اوبدل منه أى من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان (فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما) اصدق منهما واولى بان تقبل (وما اعتدينا) اى وما تجاوزنا فيها الحق (انااذالمن الظالمين) الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغى ان يشهد عدلين من ذوى نسبه اودينه على وصيته او يوصى اليهما احتياطا فان لم يجد هما بان كان فى سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع اوارتياب اقسما على صدق مايقولان بالتغليظ فى الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لايحلف الشاهد ولايعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة امالظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصى باليمين لامانته اولتغيير الدعوى اذروى ان تميما الدارى وعدى بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما قدموا الشام مرض بديل فدون مامعه فى صحيفة وطرحها

لقوم يفقهون) مايقال لهم (وهوالذى انزل من السماء ماءفاخرجنا) فيه التفات عن الغيبة(به) بالماء (نبات كل شئ)ينبت(فاخرجنامنه) اى النبات شيأ (خضرا) بمعنى اخضر (نخرج منه) من الخضر (حبامتراكبا) يركب بعضه بعضا كسنابل الحنطة ونحوها (ومن النخل)خبرويبدل منه (من طلعها) اول مايخرج منها والمبتدا (قنوان) عراجين (دانية) قريب بعضها من بعض (و) اخرجنابه (جنات) بساتين (من اعناب والزيتون والرمان مشتبها) ورقمها حال (وغير متشابه) ثمرهما (انظروا) يامخاطبين نظر اعتبار (الى ثمره) بفتح الثاء والميم وبضمهما وهو جمع ثمرة كشجره وشجر وخشبة وخشب (اذا اثمر) اول مايبدوكيف هو (و) الى (ينعه) نضجه اذا ادرك كيف يعود (ان فى ذلكم لآيات) دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره (لقوم يؤمنون) خصوا

بالذكر لانهم المنتفعون بها
فى الايمان بخلاف الكافرين
(وجعلوا لله) مفعول ثان
(شركاء) مفعول اول ويبدل
منه (الجن) حيث اطاعوهم
فى عبادة الى وثان (و) قد
(خلقهم) فكيف يكونون
شركاءه (وخرقوا) بالتخفيف
والتشديد اى اختلقوا
(له بنين وبنات بغير علم)
حيث قالوا عزير ابن الله
والملائكة بنات الله (سبحانه)
تنزيها له (وتعالى عما يصفون)
بان له ولدا هو (بديع السموات
والارض) مبدعهما من غير
مثال سبق (انى) كيف
(يكون له ولد ولم تكن له صاحبة)
زوجة (وخلق كل شئ)
من شأنه ان يخلق (وهو بكل شئ
عليم ذلكم الله ربكم لا اله
الا هو خالق كل شئ فاعبدوه)
وحدوه (وهو على كل شئ
وكيل) حفيظ (لا تدركه
الابصار) اى لا تراه وهذا
مخصوص لرؤية المؤمنين له
فى الآخرة لقوله تعالى وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
وحديث الشيخين انكم
سيرون ربكم كما ترون القمر
ليلة البدر وقيل المراد لا تحيط

فى مناعه لم يخبر هما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه
واخذا منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب
اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء
فى ايديهما فاتاهما بنو سهم فى ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا
عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى رفاعة السهميان وحلفا
ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة (ذلك) اى الحكم الذى تقدم
او تحليف الشاهد (ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها) على نحو
ما تحملوها من غير تحريف وخيانة فيها (او يخافوا ان ترد ايمان بعد
ايمانهم) ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة
واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم (واتقوا الله
واسمعوا) ما توصون به سمع اجابة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) اى
ان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين
اى لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة فقوله تعالى (يوم يجمع الله
الرسل) ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل اشتمال او مفعول واسمعوا
على حذف المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر
(فيقول) اى للرسل (ماذا اجبتم) اى اجابة اجبتم على ان ماذا فى موضع
المصدر او باى شئ اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان
سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك (قالوا لا علم لنا) اى لا علم لنا بما كنت
تعلمه (انك انت علام الغيوب) فتعلم ما نعلمه مما اجابونا واظهروا وما لم نعلم
مما اضمروا فى قلوبهم وفيه التشكى عنهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم
وقيل لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا ربما احدثوا بعدنا وانما الحكم
للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اى انك
الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء
وقرأ ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع (اذ قال الله يا عيسى ابن
مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك) بدل من يوم يجمع وهو على طريقة
ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ سؤال الرسل

عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة اونصب باضمار اذكر (اذايدتك) قويتك وهو ظرف بالنعمتى اوحال منه وقرئ آيدتك (بروح القدس) بجبريل عليه السلام اوبالكلام الذى يحيى به الدين اوالنفس بحياة ابدية وتطهر من الآثام ويؤيده قوله (تكلم الناس فى المهد وكهلا) اى كائنا فى المهد وكهلا والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حال فى لطفولة بحال الكهولة فى كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل (واذا علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذتخلق من الطين كهيئة الطير بأذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى اذتخرج الموتى) سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرانافع ويعقوب طائر ويحتمل الافراد والجمع كالباقر (واذكففت بنى اسرآئيل عنك) يعنى اليهود حين هموا بقتله (اذجئتهم بالبينات) ظرف لكففت (فقال الذين كفروا منهم ان هذا الاسحر مبين) اى ماهذا الذى جئت به الاسحر وقرأ حمزة والكسائى الاساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام (واذاوحيت الى الحواريين) اى امرتهم على السنة رسلى (ان آمنوا بى وبرسولى) يجوز ان يكون مصدرية وان يكون مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) مخلصون (اذقال الحواريون ياعيسى ابن مريم) منصوب باذكر اوظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم (هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء) لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على مايقتضيه الحكمة والارادة لاعلى مايقتضيه للقدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائى هل تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك اومن ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليها ونظيرها قولهم شجرة مطعمة (فاتقوا الله من امثال هذا السؤال (ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتى اوصدقتم فى ادعائكم الايمان (قالوا نريد ان نأكل منها) تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها (وتطمئن قلوبنا) بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته

به (وهو يدرك الابصار) اى يراها ولاتراه ولايجوز فى غيره ان يدرك البصر وهو لايدركه او يحيط به علما (وهو اللطيف) باوليائه (الخبير) بهم قل يامحمد لهم (قدجاءكم بصائر) حجج (من ربكم فمن ابصر) ها فآمن (فلنفسه) ابصر لان ثواب ابصاره له (ومن عمى) عنها فضل (فعليها) وبال اضلاله (وماانا عليكم بحفيظ) رقيب لاعمالكم انما انا نذير (وكذلك) كما بينا ماذكر (نصرف) نبين (الآيات) ليعتبروا (وليقولوا) اى الكفار فى عاقبة الامر (دارست) ذكرت اهل الكتاب وفى قراءة درست اى كتب الماضين وجئت بهذا منها (ولنبينه لقوم يعلمون اتبع مااوحى اليك من ربك) اى القرآن (لااله الاهو واعرض عن المشركين ولوشاء الله ماأشركوا وماجعلناك عليهم حفيظا) رقيبا فتجازيهم باعمالهم (وما انت عليهم بوكيل) فتجبرهم على الايمان وهذا قبل الامر بالقتال (ولاتسبوا الذين يدعون) هم

(ونعلم ان قد صدقتنا) فى ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا (ونكون عليها من الشاهدين) اذا استشهدتنا اومن الشاهدين للعين دون السامعين للخبر (قال عيسى ابن مريم) لما رأى ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك اوانهم لايقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكمالها (اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا) اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم العيد اوقرئ تكن على جواب الامر (لاولنا وآخرنا) بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روى انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة اوالطائفة (وآية) عطف على عيدا (منك) صفة لها اى آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى (وارزقنا) المائدة اوالشكر عليها (وانت خير الرازقين) اى خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا غرض (قال الله انى منزلها عليكم) اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد (فمن كفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا) اى تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة (لااعذبه) الضمير للمصدر اوللعذاب ان اريد به مايعذبه على حذف حرف الجر (احدا من العالمين) اى من عالمى زمانهم اولعالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روى انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولاتجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس وشوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند زنبها خل وحولها من الوان البقول ماخلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه شئ اخترعه الله تعالى بقدرته كلوا ماسألتم واشكروا يمدكم الله ويزدكم من فضله فقالوا ياروح الله لو أريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال ياسمكة احيى باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين

(من دون الله) اى الاصنام (فيسبوا الله عدوا) اعتداء وظلما (بغير علم) اى جهلا منهم بالله (كذلك) كما زينا لهؤلاء ماهم عليه (زينا لكل امة عملهم) من الخير من الخير والشر فأتوه (ثم الى ربهم مرجعهم) فى الآخرة (فينبئهم بما كانوا يعملون) فيجازيهم به (واقسموا) اى كفار مكة (بالله جهد ايمانهم) اى غاية اجتهادهم فيها لئن (جاءتهم آية) مما اقترحوا (ليؤمنن بها قل) لهم (انما الآيات عند الله) ينزلها كما يشاء وانما انا نذير (ومايشعركم) يدريكم بايمانهم اذا جاءت اى انتم لاتدرون ذلك (انها اذا جاءت لايؤمنون) لما سبق فى علمى وفى قراءة بالتاء خطابا للكفار وفى أخرى بفتح ان بمعنى لعل اومعمولة لما قبلها (ونقلب افئدتهم) تحول قلوبهم عن الحق فلايفهمونه (وابصارهم) عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون (كما لم يؤمنوا به) اى بما انزل من الآيات (اول مرة ونذرهم) نتركهم (فى طغيانهم)

يوما غبا ويجتمع عليها الفقرآء والاغنياء والضعفاء والصغار والكبار يأكلون حتى اذفاء الفئ طارت وهم ينظرون فى ظلها ولم يأكل منها فقير الاغنى مدة عمره ولامريض الابرئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتى فى الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله تعالى انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لانريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحى المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقايق المعارف فانها غذآء الروح كما ان الاطعمة غذآء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوافيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ماهو اعلى من مقامه لعله لايحتمله ولايستقر له فيضل به ضلالا بعيدا (واذ قال الله ياعيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله) يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذونى ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما فكانه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله عزوجل وكانه قل اتخذونى وامى الهين متوصلين بنا الى الله تعالى (قال سبحانك) اى انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك (مايكون لى ان اقول ماليس لى بحق) ماينبغى لى ان اقول قولا لايحق لى ان اقوله (ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا اعلم مافى نفسك) تعلم ماأخفيه فى نفسى كما تعلم ماأعلنه ولا اعلم ماتخفيه من معلوماتك وقوله فى نفسك للمشاكلة او المراد بالنفس الذات (انك انت علام الغيوب) تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه (ماقلت لهم الاما امرتنى به) تصريح بنفى المستفهم عنه بعده تقديم مايدل عليه (ان اعبدوا الله ربى وربكم) عطف بيان للضمير فى به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر لضمير او مفعوله مثل هو او اعنى ويجوز ابداله من ما امرتنى به فان المصدر لايكون مفعول القول ولا ان يكون

ضلالهم (يعمهون) يترددون متحيرين (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى) كما قترحوا (وحشرنا) جمعنا (عليهم كل شئ قبلا) بضمتين جمع قبيل اى فوجا فوجا وبكسر القاف وفتح الباء اى معاينة فشهدوا بصدقك (ما كانوا ليؤمنوا) لماسبق فى علم الله (الا) لكن ان يشاء الله) ايمانهم فيومنون (ولكن اكثرهم يجهلون) ذلك (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا) كما جعلنا هؤلاء أعداءك ويبدل منه (شياطين) مردة (الانس والجن يوحى) يوسوس (بعضهم الى بعض زخرف القول) مموهه من الباطل (غرورا) اى ليغروهم (ولوشاء ربك مافعلوه) اى الايحاء المذكور فذرهم) دع الكفار (ومايفترون) من الكفر وغيره ممازين لهم وهذا قبل الامر بالقتال (ولتصغى) عطف على غرورا اى تميل (اليه) اى الزخرف (أفئدة) قلوب (الذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا) يكتسبوا (ماهم مقترفون)

من الذنوب فيعاقبوا عليه * ونزل لما طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل بينه وبينهم حكما قل (افغير الله ابتغى) اطلب (حكما) قاضيا بيني وبينكم (وهو الذى انزل اليكم الكتاب) القرآن (مفصلا) مبينا فيه الحق والباطل (والذين آتيناهم الكتاب) التوراة كعبدالله بن سلام واصحابه (يعلمون انه منزل) بالتخفيف والتشديد (من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) الشاكين فيه والمراد بذلك التقرير للكفار انه حق (وتمت كلمات ربك) بالاحكام والمواعيد (صدقا وعدلا) تمييز (لا مبدل لكلماته) بنقص اوخلف (وهو السميع) لما يقال (العليم) بما يفعل (وان تطع اكثر من فى الارض) اى الكفار (يضلوك عن سبيل الله) دينه (ان) ما (يتبعون الا الظن) فى مجادلتهم لك فى امر الميتة اذ قالوا ما قتل الله احق ان تأكلوه مما قتلتم (وان) ما (هم الا يخرصون) يكذبون فى ذلك (ان ربك هو اعلم) اى عالم من يضل عن سبيله

ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربى وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يأول القول بالامر فكان ما امرتهم الا مثل ما امرتنى به ان اعبدوا الله (وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم) اى رقيبا عليهم منعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان (فلما توفيتنى) بالرفع الى السماء لقوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى والتوفى اخذ الشئ وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها (كنت انت الرقيب عليهم) المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات (وانت على كل شئ شهيد) مطلع عليه مراقب له (ان تعذبهم فانهم عبادك) اى ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك (وان يغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) فلا عجز والاستقباح فانك القادر القوى على الثواب والعقاب الذى لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذى من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بنى على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق فى الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) بيان للنفع (لله ملك السموات والارض ومافيهن وهو على كل شئ قدير) تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم فى المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال ومافيهن اتباعا لهم غيرا ولى العقل فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة المعبودية واهانة لهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان مايطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى الدنيا

(سورة الانعام مكية الاست آيات او ثلاث من قوله قل تعالوا وهى مائة وخمس وستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذى خلق السموات والارض) اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق على هذه النعم الجسام حمد اولم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها (وجعل الظلمات والنور) انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وافرد النور للقصد الى الجنس وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها اولان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ماخلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق مالا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به مالا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اى يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثانى متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اى يسوونها به (هو الذى خلقكم من طين) اى ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذى هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف (ثم قضى اجلا) اجل الموت (واجل مسمى عنده) اجل القيامة وقيل الاول مابين الخلق والموت والثانى مابين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن يأتى واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف وهو أعلم بالمهتدين) فيجازى كلا منهم (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) اى ذبح على اسمه (ان كنتم بآياته مؤمنين ومالكم ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) من الذبائح (وقد فصل) بالبناء المفعول وللفاعل فى الفعلين (لكم ماحرم عليكم) فى اية حرمت عليكم الميتة (الا ما اضطررتم اليه) منه فهو أيضا حلال لكم المعنى لا مانع لكم من اكل ماذكر وقد بين لكم المحرم اكله وهذا ليس منه (وان كثيرا ليضلون) بفتح الياء وضمها (بأهوائهم) بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها (وبغير علم) يعتمدونه فى ذلك (ان ربك هو اعلم بالمعتدين) المتجاوزين الحلال الى الحرام (وذروا) اتركوا (ظاهر الاثم وباطنه) علانيته وسره والاثم قيل الزنا وقيل كل معصية (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون) فى الآخرة (بما كانوا يقترفون) يكتسبون (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) بان مات او ذبح على اسم غيره والافاذبحه المسلم ولم يسم

بانه مسمى اى مثبت معين لايقبل التغيير واخبر عنه بانه عندالله لامدخل لغيره فيه بعلم ولاقدرة ولانه المقصود بيانه (ثم انتم تمترون) استبعاد لامترائهم بعد ماثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وايداع الحيات فيها وابقائها ماشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشدة واصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع (وهو الله) الضمير لله والله خبره فى السموات وفى الارض) متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لاغير كقوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله او بقوله (يعلم سركم وجهركم) والجملة خبر ثان اوهى الخبر والله بدل ويكفى لصحة الظرفيه كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد فى الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه اوظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لاتتقدم عليه (ويعلم ماتكسبون) من خير وشر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر مايخفى ومايظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح (وماتأتيهم من آية من ايات ربهم) من الاول مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اى مايظهر لهم دليل قط من الادلة اومعجزة من معجزات اوآية من آيات القرآن (الا كانوا عنها معرضين) تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) يعنى القرآن وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم اوكالدليل عليه على انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لايعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه بالفاء (فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن) اى سيظهر لهم ماكانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم فى الدنيا والاخرة اوعند ظهور الاسلام وارتفاع امره (ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن) اى من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبى اوفائق فى العلم قلت المدة اوكثرت واشتقاقه من قرنت (مكناهم فى الارض) جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها واعطيناهم من القوى والآلات ماتمكنوا بها من انواع التصرف فيها (مالم نمكن لكم) مالم نجعل لكم فى السعة وطول المقام

فيه عمدا أو نسيانا فهو حلال قال ابن عباس وعليه الشافعى (وان) اى الاكل منه (لفسق) خروج عما يحل (وان الشياطين ليوحون) يوسوسون (الى اوليائهم) الكفار (ليجادلوكم) فى تحليل الميتة (وان اطعتموهم) فيه (انكم لمشركون) ونزل فى ابى جهل وغيره (اومن كان ميتا) بالكفر (فأحييناه) بالهدى (وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس) يتبصر به الحق من غيره وهو الايمان (كمن مثل) مثل زائدة اى كمن هو (فى الظلمات ليس بخارج منها) وهو الكافر لا (كذلك) كما زين للمؤمنين الايمان (زين للكافرين ماكانوا يعملون) من الكفر والمعاصى (وكذلك) كما جعلنا فساق مكة اكابرها (جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها) بالصد عن الايمان (ومايمكرون الا بأنفسهم) لان وباله عليهم (ومايشعرون) بذلك (واذا جاءتهم) اى اهل مكة (آية) على صدق النبى

يااهل مكة اومالم نعطكم من القوة والسعة فى المال واستظهار بالعدد والاسباب (وارسلنا السماء عليهم) اى المطر اوالسحاب اوالمظلة فان مبدأ المطر منها (مدرارا) مغزارا (وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم) فعاشوا فى الخصب والريف بين الانهار والثمار (فاهلكناهم بذنوبهم) اى لم يغن ذلك عنهم شيئا (وانشأنا) واحدثنا (من بعدهم قرنا آخرين) بدلامنهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس) مكتوبا فى ورق (فلمسوه بايديهم) فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لايقع فيه فلايمكنهم ان يقولوا انماسكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لامانع وتقييده بالايدى لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانالمسنا السماء (لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين) تعنتا وعنادا (وقالوا لولا انزل عليه ملك) هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبى كقوله تعالى لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا (ولو انزلنا ملكا لقضى الامر) جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا الحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم (ثم لاينظرون) بعد نزوله طرفة عين (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون) جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لوشاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبرائيل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى فان القوة البشرية لاتقوى على رؤية الملك فى صورته وانما آهم كذلك الافراد من الانبياء عليهم السلام بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم مايخلطون على انفسهم فيقولون ماهذا الابشر مثلكم وقرئ وليسنا بلام وللبسنا بالتشديد للمبالغة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على مايرى من قومه (فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزئون) فاحاط بهم الذى كانوا يستهزئون به حيث اهلكوا لاجله اونزل بهم وبال استهزائهم (قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال كى تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا فى الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل

صلى الله عليه وسلم (وقالوا لن نؤمن) به (حتى نؤتى مثل ماأوتى رسل الله) من الرسالة والوحى الينا لانا اكثر مالا واكبر سنا قال تعالى (الله اعلم حيث يجعل رسالاته) بالجمع والافراد وحيث مفعول به لفعل دل عليه اعلم اى يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهؤلاء ليسوا اهلالها (سيصيب الذين اجرموا) بقولهم ذلك (صغار) ذل (عندالله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) اى بسبب مكرهم (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام بان يقذف فى قلبه نورا فينفسح له ويقبله كما ورد فى حديث (ومن يرد) الله (ان يضله يجعل صدره ضيقا) بالتخفيف وتشديد عن قبوله (حرجا) شديد الضيق بكسر الراء صفة وفتحها مصدر وصف به مبالغة (كأنما يصعد) وفى قرأة يصاعد وفيهما ادغام التاء فى الاصل فى الصاد وفى اخرى بسكونها (فى السماء اذا كلف الايمان لشدته عليه (كذلك) الجعل

(يجعل الله الرجس) العذاب او الشيطان اى يسلطه على الذين لايؤمنون وهذا) الذى أنت عليه يامحمد (صراط) طريق (ربك مستقيما) لاعوج فيه ونصبه على الحال المؤكدة للجملة والعامل فيها معنى الاشارة (قدفصلنا) بينا (الآيات لقوم يذكرون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال أى يتعظون وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون (لهم دار السلام) اى السلامة وهى الجنة (عندربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون و) اذكر (يوم نحشرهم) بالنون والياء أى الله الخلق (جميعا) ويقال لهم (يامعشر الجن قداستكثرتم من الانس) باغوائكم (وقال اولياؤهم) الذين اطاعوهم (من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) انتفع الانس بتزيين الجن لهم الشهوات والجن بطاعة الانس لهم (وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) وهو يوم القيامة وهذا تحسر منهم (قال) تعالى لهم على لسان الملائكة (النار مثواكم) مأواكم (خالدين فيها الاماشاء الله)

النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر فى آثار الهالكين (قل لمن مافى السموات والارض) خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت (قل لله) تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لايمكنهم ان يذكروا غيره (كتب على نفسه الرحمة) التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة مايعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر (ليجمعنكم الى يوم القيامة) استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى ليجمعنكم فى القبور مبعوثين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم اوفى يوم القيامة والى بمعنى فى وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم (لاريب فيه) فى اليوم اوالجمع (الذين خسروا انفسهم) بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم اورفع على الخبر اى وانتم الذين اوعلى الابتداء والخبر (فهم لايؤمنون) والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد وا غفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان (وله) عطف على لله (ماسكن فى الليل والنهار) من السكنى وتعديته بفى قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم والمعنى ماشتمل عليه اومن السكون اى ماسكن فيهما اوتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر (وهو السميع) لكل مسموع (العليم) بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم (قل اغير الله اتخذ وليا) انكار لاتخاذ غير الله وليا لالاتخاذ الولى فلذلك قدم واولى الهمزة والمراد بالولى المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك (فاطر السموات والارض) مبدعهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت معنى الفاطر حتى اتانى اعرابيان يختصمان فى بئر فقال احدهما انافطرتها اى ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح (وهو يطعم ولايطعم) يرزق ولايرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولايطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ماهو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل على ان الثانى من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة

ولايطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط (قل انى امرت ان اكون اول من اسلم) لان النبى صلى الله عليه وسلم سابق امته فى الدين (ولاتكونن من المشركين) وقيل لى ولاتكونن ويجوز عطفه على قل (قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) مبالغة اخرى فى قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة (من يصرف عنه يومئذ) اى يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله تعالى وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف (فقد رحمه) نجاه وانعم عليه (وذلك الفوز المبين) اى الصرف او الرحمة (وان يمسسك الله بضر) ببلية كمرض وفقر (فلا كاشف له) فلا قادر على كشفه (الا هو وان يمسسك بخير) بنعمة الصحة وغنى (فهو على كل شئ قدير) فكان قادرا على حفظه واد امته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله (وهو القاهر فوق عباده) تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة (وهو الحكيم) فى امره وتدبيره (الخبير) بالعباد وخفايا احوالهم (قل اى شئ اكبر شهادة) نزل حين قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة (قل الله) اى الله اكبر شهادة ثم ابتدأ (شهيد بينى وبينكم) اى هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شئ شهادة (واوحى الى هذا القرآن لانذركم به) اى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة (ومن بلغ) عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر اومن الثقلين اولانذركم به ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لايؤاخذ بها من لم يبلغه (ء انكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى) تقرير لهم مع انكار واستبعاد (قل لااشهد) بما تشهدون (قل انما هو اله واحد) اى بل اشهد ان لااله الا هو (واننى برئ مما تشركون) يعنى الاصنام (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) اى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة فى التوراة والانجيل (كما يعرفون ابناءهم) بحلاهم (الذين خسروا

من الاوقات التى يخرجون فيها لشرب الحميم فانه خارجها كما قال ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وعن ابن عباس انه فيمن علم الله انهم يؤمنون فا بمعنى من (ان ربك حكيم) فى صنعه (عليم) بخلقه (وكذلك) كما متعنا عصاة الانس والجن بعضهم ببعض (نولى) من الولاية (بعض الظالمين بعضا) اى على بعض (بما كسبوا يكسبون) من المعاصى (يامعشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم اى من مجموعكم اى بعضكم الصادق بالانس اورسل الجن نذرهم الذين يسمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم (يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا هذا قالوا شهدنا على انفسنا) ان قد بلغناقال تعالى (وغرتهم الحياة الدنيا) فلم يؤمنوا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذلك) اى ارسال الرسل (ان) اللام مقدرة وهى مخففة اى لانه (لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) منها (واهلها غافلون) لم يرسل اليهم رسول يبين لهم

انفسهم) من اهل الكتاب والمشركين (فهم لايؤمنون) لتضييعهم مابه يكتسب الايمان (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله (اوكذب بآياته) كان كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر اووهم قدجمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم على النفس (انه) الضمير للشان (لايفلح الظالمون) فضلا ممن لااحد اظلم منه (يوم نحشرهم جميعا) منصوب بمضمر تهويلا للامر (ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم) اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء الله وقرأ يعقوب يحشرهم ويقول بالياء (الذين كنتم تزعمون) اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم (ثم لم يكن فتنتهم الاان قالوا) اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب اولانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمر وابو بكر بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب (والله ربنا ماكنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لاينفع من فرط الحيرة والدهشة كمايقولون ربنا اخرجنا منها وقدايقنوا بالخلود وقيل معناه ماكنا مشركين عند انفسنا وهو لايوافق قوله (انظر كيف كذبوا على انفسهم)اى بنفى الشرك عنها حمله على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء او المدح (وضل عنهم ماكانوا يفترون)من الشركاء (منهم من يستمع اليك) حين تتلو القرآن والمراد ابوسفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابوجهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ القرآن فقالوا للنضر مايقول فقال والذى جعلها بيته ماادرى مايقول الاانه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ماحدثكم وجعلنا على قلوبهم اكنة)اغطية جمع كنان وهو مايستر الشئ (ان يفقهوه) كراهة ان يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) يمنع من استماعه وقدمر تحقيق ذلك

(ولكل)من العاملين(درجات جزاء (مماعملوا) من خير وشر (وما ربك بغافل عما يعملون) بالياء والتاء(وربك الغنى) عن خلقه وعبادتهم ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم) يا اهل مكة بالاهلاك (ويستخلف من بعدكم مايشاء) من الخلق (كما انشأكم من ذرية قوم آخرين)اذهبهم ولكنه ابقاكم رحمة لكم (انما توعدون)من الساعة والعذاب (لآت) لامحالة (وما انتم بمعجزين) فائتين عذابنا (قل)لهم (ياقوم اعملوا على مكانتكم) حالتكم(انى عامل). على حالتى (فسوف تعلمون من) موصولة مفعول العلم (تكون له عاقبة الدار)اى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة انحن ام انتم (انه لايفلح) يسعد(الظالمون) الكافرون (وجعلوا) اى كفار مكة(لله مما ذرأ)خلق (من الحرث) الزرع(والانعام نصيبا) يصرفونه الى الضيفان والمساكين ولشركائهم نصيبا يصرفون الى سدنتها (فقالوا هذا لله بزعمهم) بالفتح و الضم

فى اول سورة البقرة (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم (حتى اذا جاؤك يجادلونك) اى بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل التى لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو (يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين) فان جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول تفسيره والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط (وهم ينهون عنه) اى ينهون الناس عن القرآن او الرسوله والايمان به (وينأون عنه) بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابى طالب (وان يهلكون) وما يهلكون بذلك (الا انفسهم وما يشعرون) ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم (ولو ترى اذ وقفوا على النار) جوابه محذوف اى ولو تريهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا (فقالوا يا ليتنا نرد) تمنيا للرجوع الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود اى انا لا اعود تركتنى او لم تتركنى او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم التمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثانى على الجواب (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا (ولو ردوا) اى الى الدنيا بعد الظهور والوقوف (لعادوا لما نهوا عنه) من الكفر والمعاصى (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا من انفسهم (وقالوا) عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه فى الدنيا (ان هى الا حياتنا الدنيا) الضمير للحياة (وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) مجاز عن الجنس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف

وهذا لشركائنا) فكانوا اذا سقط فى نصيب الله شئ من نصيبها التقطوه او فى نصيبها شئ من نصيبه تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا كما قال تعالى (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله) اى الجهته (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء) بئس (ما يحكمون) حكمهم هذا (وكذلك) كما زين لهم ما ذكر (زين لكثير من المشركين قتل اولادهم) بالواد (شركاؤهم) من الجن بالرفع فاعل زين وقراءة ببنائه للمفعول ورفع قتل ونصب الاولاد به وجر شركائهم باضافته وفيه الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول ولا يضر واضافة القتل الى الشركاء لامرهم به (ليردوهم) يهلكوهم (وليلبسوا) يخلطوا (عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه انعام وحرث حجر) حرام (لا يطعمها الا من نشأ) خدمة الاوثان وغيرهم (بزعمهم) اى لا حجة لهم فيه (وانعام حرمت ظهورها) فلا تركب

كالسوائب والحوامي (وانعام لايذكرون اسم الله عليها) عند ذبحها بل يذكرون اسم اصنامهم ونسبوا ذلك الى الله (افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) عليه (وقالوا ما في بطون هذه الانعام) المحرمة وهي السوائب والبحائر (خالصة) حلال (لذكورنا او محرم على ازواجنا) اى النساء (وان يكن ميتة) بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره (فهم فيه شركاء سيجزيهم) الله (وصفهم) ذلك بالتحليل والتحريم اى جزاءه (انه حكيم) في صنعه (عليم) بخلقه (قد خسر الذين قتلوا) بالتخفيف والتشديد (اولادهم بالواد (سفها) جهلا (بغير علم وحرموا مارزقهم الله) مما ذكر (افتراء على الله قد ضلوا ما كانوا مهتدين وهو الذي انشأ) خلق (جنات) بساتين (معروشات) مبسوطات على الارض كالبطيخ (وغير معروشات) بأن ارتفعت على ساق كالنخل (و) انشأ (النخل

(قال اليس هذا بالحق) كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والاشارة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث ومايتبعه من الثواب والعقاب (قالوا بلى وربنا) اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم او يبدله (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث ومايتبعه (حتى اذا جاءتهم الساعة) غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له (بغتة) فجأة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء (قالوا ياحسرتنا) اى تعالى فهذا او انك (على مافرطنا) فصرنا (فيها) في الحياة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شانها والايمان بها (وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم) تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام (الا ساء مايزرون) بئس شيئا وزرهم (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) اى وما اعمالها الا لعب ولهو يلهى الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا (ولا الدار الآخرة خير للذين يتقون) لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر والدار الآخرة (افلا يعقلون) اى الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين (قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون) معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله * لكنه قد يهلك المال نائله * والهاء في انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن (فانهم لا يكذبونك) في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ولكنهم يجحدون آيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحد والتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روى ان اباجهل كان يقول مانكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ماجئنا فنزلت (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا (فصبروا على ما كذبوا واوذوا) على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر (حتى اتاهم نصرنا) فيه ايماء بوعد النصر للصابرين (ولا مبدل لكلمات الله) لمن اعيد من قوله

ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) اى من قصصهم وما كابدوا من قومهم (وان كان كبر عليك) عظم وشق (اعراضهم) عنك وعن الايمان بما جئت به (فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض او سلما فى السماء فتأتيهم بآية) منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفى الارض صفة لنفقا وفى السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغى او حالين من المستكن وجواب الشرط الثانى محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) اى ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيئته فلا تهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة (فلا تكونن من الجاهلين) بالحرص على مالا يكون والجزع فى مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة (انما يستجيب الذين يسمعون) انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون (والموتى يبعثهم الله) فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان (ثم اليه يرجعون) للجزاء (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه) اى آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا (قل ان الله قادر على ان ينزل آية) مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد (وما من دابة فى الارض) تدب على وجهها (ولا طائر يطير بجناحيه) فى الهوى وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل (الا امم امثالكم) محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى (ما فرطنا فى الكتاب من شئ) يعنى اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجرى فى العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا

والزرع مختلفا أكله) ثمره وحبه فى الهيئة والطعم (والزيتون والرمان متشابها) ورقهما حال (وغير متشابه) طعمهما (كلوا من ثمره اذا اثمر) قبل النضج (وآتوا حقه زكاته (يوم حصاده) بالفتح والكسر من العشر او نصفه (ولا تسرفوا) باعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شئ (انه لا يحب المسرفين) المجاوزين ماحد لهم (و) أنشأ (من الانعام حمولة) صالحة للحمل عليها كالابل الكبار (وفرشا) لا تصلح له كالابل الصغار والغنم سميت فرشا لانها كالفرش للارض لدنوها منها (كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان) طرائقه فى التحريم والتحليل (انه لكم عدو مبين) بين العداوة (ثمانية ازواج) أصناف بدل من حمولة وفرشا (من الضأن) زوجين (اثنين) ذكر وأنثى (ومن المعز) بالفتح والسكون (اثنين قل) يا محمد لمن حرم ذكور الانعام تارة واناثها أخرى ونسب ذلك الى الله (آلذكرين) من الضأن والمعز (حرم)

او مجملا ومن مزيدة وشئ فى موضع المصدر لا المفعول به فانه فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدى بفى الى الكتاب وقرئ مافرطنا بالتخفيف (ثم الى ربهم يحشرون) يعنى الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها (والذين كذبوا بآياتنا صم) لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم (وبكم) لا ينطقون بالحق (فى الظلمات) خبر ثالث اى خابطون فى ظلمات الكفر او فى ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى الخبر (من يشاء الله يضلله) من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة (ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم) بان يرشد الى الهدى ويحمله عليه (قل ارأيتكم) استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ماشأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم فى الآية ان يقال ارأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع ارأيتكم وارأيت وارأيتم وافرأيتم وافرأيت وشبهه اذا كان قبل الرآء همزة بتسهيل الهمزة التى بعد الراء والكسائى يحذفها اصلا والباقون يخففونها وحزة اذا وقف يوافق نافعا (ان اتاكم عذاب الله) كما اتا من قبلكم (او اتتكم الساعة) وهولها ويدل عليه (اغير الله تدعون) وهو تبكيت لهم (ان كنتم صادقين) ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اى فادعوه (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم فى مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص (فيكشف ما تدعون اليه) اى ما تدعون الى كشفه (ان شاء) ان يتفضل عليكم ولا يشاء فى الآخرة (وتنسون ما تشركون) وتتركون آلهتكم فى ذلك الوقت لما ركز فى العقول من انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله (ولقد ارسلنا الى امم من قبلك) اى من قبلك ومن زائدة (فاخذناهم) اى فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم (بالبأساء) بالشدة والفقر (والضراء) الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم (ولكن قست قلوبهم وزين لهم

الله عليكم (ام الانثيين) منهما (اما اشتملت عليه ارحام الانثيين) ذكرا كان او انثى (نبؤنى بعلم) عن كيفية تحريم ذلك (ان كنتم صادقين) فيه المعنى من اين جاء التحريم فان كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام او الانوثة فجميع الاناث او اشتمال الرحم فالزوجان فمن اين التخصيص والاستفهام للانكار (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام) بل (كنتم شهداء) حضورا (اذ وصاكم الله) بهذا التحريم فاعتمدتم ذلك لا بل انتم كاذبون فيه (فمن) اى لا احد (اظلم ممن افترى على الله كذبا) بذلك (ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحى الى) شيأ (محرما على طاعم) يطعمه الا ان يكون) بالياء والتاء (ميتة) بالنصب وفى قراءة بالرفع مع التحتانية (او دما مسفوحا) سائلا بخلاف غيره كالكبد والطحال (او لحم خنزير فانه رجس) حرام

الشيطان ما كانوا يعلمون) استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لامانع لهم الاقساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التى زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ماذكروا به) من البأساء والضراء ولم يتعظوا به (فتحنا عليهم ابواب كل شئ) من انواع النعم مراوحة عليهم واستدراجا بين نوبتى الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة اومكرا بهم لماروى انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد فى جميع القرآن واقفه يعقوب فيما عدا هذا والذى فى الاعراف (حتى اذا فرحوا) اعجبوا (بما اوتوا) من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه (اخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون) متحسرون آيسون (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) اى اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه (والحمد لله رب العالمين) على اهلاكهم فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة بحق ان يحمد عليها (قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم) اصمكم واعماكم (وختم على قلوبكم) بان يغطى عليها مايزول به عقلكم وفهمكم (من اله غير الله يأتيكم به) اى بذلك اوبما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات (انظر كيف نصرف الآيات) نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين (ثم هم يصدفون) يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها (قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة) من غير مقدمة (اوجهرة) يتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا اونهارا وقرئ بغتة وجهرة (هل يهلك) اى مايهلك به هلاك سخط وتعذيب (الا القوم الظالمون) ولذلك صح استثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء (ومانرسل المرسلين الا مبشرين) المؤمنين بالجنة (ومنذرين) الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم (فمن آمن واصلح) مايجب اصلاحه على ما شرع لهم (فلا خوف عليهم) من العذاب (ولاهم يحزنون) بفوات الثواب (والذين كذبوا بآياتنا) يمسهم العذاب) جعل العذاب ماسالهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف (بما كانوا يفسقون) بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة (قل لا اقول (او) الا ان يكون (فسقا اهل لغير الله به) اى ذبح على اسم غيره (فمن اضطر) الى شئ مما ذكر فاكله (غير باغ ولا عاد فان ربك غفور) له ما اكل (رحيم) به ويلحق بما ذكر بالسنة كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير (وعلى الذين هادوا) اى اليهود (حرمنا كل ذى ظفر) وهو مالم تفرق اصابعه كالابل والنعام (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) الثروب وشحم الكلى (الا ماحملت ظهورهما) اى ماعلق بهامنه (او) حملته (الحوايا) (الامعاء جمع حاوياء او حاوية (اوما اختلط بعظم) منه وهو شحم الالية فانه احل لهم (ذلك) التحريم (جزيناهم) به (ببغيهم) بسبب ظلمهم بما سبق فى سورة النساء (وانا لصادقون) فى اخبارنا ومواعيدنا (فان كذبوك) فيما جئت به (فقل) لهم (ربكم ذو رحمة واسعة) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة وفيه تلطف بدعائهم الى الايمان (ولا يرد بأسه) عذابه اذا جاء (عن القوم

لكم عندى خزآئن الله) مقدور انه او خزآئن رزقه (ولا اعلم الغيب) مالم يوح الى ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول (ولا اقول لكم انى ملك) اى من جنس الملائكة او اقدر على مايقدرون عليه (ان اتبع الا ما يوحى الى) تبرآ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه (قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل للضال والمهتدى او الجاهل والعالم او مدعى المستحيل كالالوهية والملكية ومدعى المستقيم كالنبوة (افلا تتفكرون) فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحى مما لامحيص عنه (وانذر به) الضمير لما يوحى الى (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) هم المؤمنون المفرطون فى العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته (ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) فى موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون) لكى يتقوا (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) بعدما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لايطردهم ترضية لقريش روى انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان رضى الله عنهم جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئناك قال نعم وروى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلى رضى الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفى الكهف (يريدون وجهه) حال من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهى عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم (ماعليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) اى ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله كان اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا فى ايمانهم لو امنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غير مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لايتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لايتعداك اليهم وقيل ماعليك من حساب رزقهم اى من فقرهم وقيل الضمير

المجرمين سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا) نحن (ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) فاشركنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به قال تعالى (كذلك) كما كذب هؤلاء (كذب الذين من قبلهم) رسلهم (حتى ذاقوا بأسنا) عذابنا (قل هل عندكم من علم) بأن الله راض بذلك (فتخرجوه لنا) أى لاعلم عندكم (ان) ما (تتبعون) فى ذلك (الا الظن وان) ما (أنتم الا تخرصون) تكذبون فيه (قل) ان لم تكن لكم حجة (فلله الحجة البالغة) التامة (فلو شاء) هدايتكم (لهداكم أجمعين قل هلم) أحضروا (شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا) الذى حرمتموه (فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لايؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) يشركون (قل تعالوا أتل) اقرأ (ماحرم ربكم عليكم أن) مفسرة (لاتشركوا به شيأ) احسنوا (بالوالدين احسانا

للمشركين والمعنى لاتؤاخذ بحسابهم ولاهم بحسابك حتى يلزمك امرهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا ايمانهم (فتطردهم) فتبعدهم وهو جو (فتكون من الظالمين) جواب النهى ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبيب وفيه نظر (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس فى امور الدنيا فتناى ابتلينا بعضهم ببعض فى امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان (ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) اى أهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لوكان خيرا ماسبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا (اليس الله باعلم بالشاكرين) بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لايقع منه فيخذله (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله بعد النهى عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغى ان يقرب ولايطرد ويعز ولايذل ويبشر من الله بالسلامة فى الدنيا والرحمة فى الآخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت (انه من عمل منكم سوأ) استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها (بجهالة) فى موضع الحال اى من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة مايتبعه من المضار والمفاسد كعمر رضى الله تعالى عنه فيما اشار اليه اوملتبسا بفعل الجهلة فان ارتكاب مايؤدى الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل (ثم تاب من بعده) من بعد العمل او السوء (واصلح) بالتدارك والعزم على ان لايعود اليه (فانه غفور رحيم) فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اى فامره او فعله غفران (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) آيات القرآن فى صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين (ولتستبين سبيل المجرمين) قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى

لاتقتلوا أولادكم) بالوأد (ن) أجل (املاق) فقر نخافونه (نحن نرزقكم واياهم ولاتقربوا الفواحش) الكبائر كالزنا (ماظهر منها وما بطن) أى علانيتها وسرها (ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) كالقود وحد الردة ورجم المحصن (ذلكم) المذكور (وصاكم به لعلكم تعقلون) تتدبرون (ولاتقربوا مال اليتيم) (الا بالتى) أى بالخصلة التى (هى أحسن) وهى مافيه صلاحه (حتى يبلغ أشده) بان يحتلم (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل وترك البخس (لانكلف نفسا الا وسعها) طاقتها فى ذلك فان أخطأ فى الكيل والوزن والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذة عليه كما ورد فى حديث (واذا قلتم) فى حكم أوغيره (فاعدلوا) بالصدق (ولوكان) المقول له أوعليه (ذاقربى) قرابة (وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) بالتشديد تتعظون والسكون (وان) بالفتح على تقدير

ولتستوضح يامحمد سبيلهم فتعامل كلامنهم بمايحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثيروابن عامروابوعمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوزان يعطف على علة مقدرة اى نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين (قل انى نهيت) صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل على من الآيات فى امر التوحيد (ان اعبدالذين تدعون من دون الله) عن عبادة ماتعبدون من دون الله اوماتدعونها آلهة اى تسمونها (قل لاأتبع اهواءكم) تأكيدلقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنبى وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم و بيان لمبدأ ضلالهم وان ماهم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولايقلد (قدضللت اذا) اى ان اتبعت اهواءكم فقدضللت (وماانامن المهتدين) اى وماانا فى شئ من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك (قل انى على بينة) تنبيه على مايجب إتباعه بعدمابين مالايجوز اتباعة والبينة الدلالة الواضحة التى تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحى اوالحجج العقلية اومايعمهما (من ربى) من معرفته انه لامعبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة (وكذبتم به) الضمير لربى اى كذبتم به حيث اشركتم به غيره اوللبينة باعتبار المعنى (ماعندى ماتستعجلون به) يعنى العذاب الذى استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء اوائتنا بعذاب اليهم (ان الحكم الا لله) فى تعجيل العذاب وتأخيره (يقص الحق) اى القضا الحق اويصنع الحق ويديره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيمايقضى من تعجيل وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر اوقص الخبر (وهو خير الفاصلين) القاضين (قل لوان عندى) اى فى قدرتى ومكنتى (ماتستعجلون به) من العذاب (لقضى الامر بينى وبينكم) لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى وانقطع مابينى وبينكم (والله اعلم بالظالمين) فى معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله تعالى وهو اعلم بمن ينبغى ان يؤخذ وبمن ينبغى ان يمهل منهم (وعنده مفاتح الغيب) خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن اومايتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتيح التى هوجمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده ان قرئ مفاتيح والمعنى انه

اللام والكسر استئنافا (هذا) الذى وصيتكم به (صراطى مستقيما) حال) فاتبعوه ولاتتبعوا السبل) الطرق المخالفة له (فتفرق فيه حذف احدى التاءين تميل (بكم عن سبيله) دينه (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب) التوراة وثم لترتيب الاخبار (تماما) للنعمة (على الذى احسن) بالقيام به (وتفصيلا) بيانا (لكل شئ) يحتاج اليه فى الدين (وهدى ورحمة لعلهم) اى بنى اسرائيل (بلقاء ربهم) بالبعث (يؤمنون وهذا) القرآن (كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه) ياأهل مكة بالعمل بمافيه (واتقوا) الكفر (لعلكم ترحمون) انزلناه (ان) لا (تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين) اليهود والنصارى (من قبلنا وان) مخففة واسمها محذوف اى انا (كنا عن دراستهم) قراءتهم (لغافلين) لعدم معرفتنا لها اذليست بلغتنا (اوتقولوا لوانا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم) لجودة

المتوصل المغيبات المحيط علمها (لايعلمها الاهو) فيعلم اوقاتها ومافى تعجيلها اوتأخيرها من الحكم فيظهرها على ماقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها (ويعلم مافى البر والبحر) عطف الاخبار عن تعلق علمه تعالى بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به (وماتسقط من ورقة الايعلمها) مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات (ولاحبة فى ظلمات الارض ولارطب ولايابس) معطوفات على ورقة وقوله (الافى كتاب مبين) بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله اوبدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة اوللابتداء والخبر الافى كتاب مبين (وهوالذى يتوفاكم بالليل) ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفى من الموت للنوم لمابينهما من المشاركة فى زوال الاحساس والتميز فان اصله قبض الشئ بتمامه (ويعلم ماجرحتم بالنهار) كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد (ثم يبعثكم) يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفى (فيه) فى النهار (ليقضى اجل مسمى) ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له فى الدنيا (ثم اليه مرجعكم) بالموت (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى يطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى شأن ذلك الذى قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزآئهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزآء (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين عليه) حتى اذاجاء احدكم الموت توفته رسلنا) ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة (وهم لايفرطون) بالتوانى والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لايجاوزون ماحد لهم بزيادة اونقصان (ثم ردوا الى الله) الى حكمه وجزآئه (مولاهم) الذى يتولى امرهم (الحق) العدل الذى لايحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح (الاله الحكم) يومئذ لاحكم لغيره فيه (وهو اسرع الحاسبين) يحاسب الخلق فى مقدار حلب شاة لايشغله

اذهاننا (فقد جاءكم بينة بيان (من ربكم وهدى ورحمة) لمن اتبعه (فمن اى لااحد (اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف) اعرض (عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) اى اشده (بما كانوا يصدفون هل ينظرون) ماينتظر المكذبون (الاان تأتيهم) بالتاء والياء (الملائكة) لقبض ارواحهم) اويأتى ربك) اى امره بمعنى عذابه (اويأتى بعض آيات ربك) اى علاماته الدالة على الساعة (يوم يأتى بعض آيات ربك) وهى طلوع الشمس من مغربها كما فى حديث الصحيحين (لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل) الجملة صفة نفس (او) نفسا لم تكن (كسبت فى ايمانها خيرا) طاعة اى لاتنفعها توبتها كما فى الحديث (قل انتظروا) احد هذه الاشياء (انا منتظرون) ذلك (ان الذين فرقوا دينهم) باختلافهم فيه فأخذوا بعضه وتركوا بعضه (وكانوا شيعا) فرقا

حساب عن حساب (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) من شدائدهما استعيرت الظلمات للشدة لمشارتها في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد (تدعونه تضرعا وخفية) معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر (لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) على ارادة القول اى تقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة (قل الله ينجيكم منها) شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون (ومن كل كرب) غم سواها (ثم انتم تشركون) تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشركون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله تعالى فكانه لم يعبده رأسا (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل (او من تحت ارجلكم) كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم (او يلبسكم) يخلطكم (شيعا) فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال * وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدى * (ويذيق بعضكم بأس بعض) يقاتل بعضكم بعضا (انظر كيف نصرف الآيات) بالوعد والوعيد (لعلهم يفقهون وكذب به قومك) اى بالعذاب وبالقرآن (وهو الحق) الواقع لا محالة او الصدق (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ (لكل نبأ) خبر يديه اما العذاب او الا يعاد به (مستقر) وقت استقرار ووقوع (وسوف تعلمون) عند وقوعه في الدنيا او في الآخرة (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها (فاعرض عنهم) فلا تجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا في حديث غيره) اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن (واما ينسينك الشيطان) بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد ان تذكره (مع القوم الظالمين) اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام (وما على الذين يتقون) وما يلزم المتقين من قبايح اعمالهم واقوالهم الذين يخالسونهم (من حسابهم من شئ) شئ

في ذلك وفي قراءة فارقوا ى تركوا دينهم الذى أمروا به وهم اليهود والنصارى (لست منهم في شئ) فلا تتعرض لهم (انما أمرهم الى الله) يتولاه (ثم ينبئهم) في الآخرة (بما كانوا يفعلون) فيجازيهم به وهذا منسوخ بآية السيف (من جاء بالحسنة) أى لا اله الا الله (فله عشر أمثالها) أى جزاء عشر حسنات (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) أى جزاءه (وهم لا يظلمون) ينقصون من جزائهم شيا (قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم) ويبدل من محله (دينا قيما) مستقيما (ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي) عبادتي من حج وغيره (ومحياى) حياتي (ومماتي) موتي (لله رب العالمين لا شريك له) في ذلك (وبذلك) أى التوحيد (أمرت وأنا أول المسلمين) من هذه الامة (قل أغير الله ابغي ربا) الها اى لا اطلب غيره (وهو رب) مالك (كل شئ ولا تكسب كل نفس) ذنبا (الا عليها ولا تزر) تحمل نفس (وازرة)

مما يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم واقوالهم (ولكن ذكرى) ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولايجوز عطفه على محل من شئ لان من حسابهم يأباه ولاعلى شئ لذلك ولان من لاتزاد بعد الاثبات (لعلهم يتقون) يجتنبون ذلك حياء وكراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولاتثلم بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس فى المسجد ونطوف فنزلت (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) اى بنوا امر دينهم على التشهى وتدينوا بمالايعود عليهم ينفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به اوجعلوا عيدهم الذى جعل ميقيات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولاتبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا من جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم (وغرتهم الحياة الدنيا) حتى انكروا البعث (وذكر به) اى بالقرآن (ان تبسل نفس بما كسبت) مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لاتفلت منه الباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام (ليس لها من دون الله ولى ولاشفيع) يدفع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل) وان تفدكل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر (لايؤخذ منها) الفعل مسند الى منها لاالى ضميره بخلاف قوله ولايؤخذ منها عدل فانه المفدى به (اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا) اى سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة (لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون) تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم (قل اندعوا) انعبد (من دون الله مالاينفعنا ولايضرنا) مالايقدر على نفعنا وضرنا (ونرد على اعقابنا) ونرجع الى الشرك (بعد اذهدانا الله) فانقذنا منه ورزقنا الاسلام (كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهبت به مردة الجن الى المهامه استفعال من

آثمة (وزر) نفس (اخرى) ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذى جعلكم خلائف الارض) جمع خليفة أى يخلف بعضكم بعضا فيها (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) بالمال والجاه وغير ذلك (ليبلوكم) ليختبركم (فيما آتاكم) اعطاكم ليظهر المطيع منكم والعاصى (ان ربك سريع العقاب) لمن عصاه (وانه لغفور) للمؤمنين (رحيم) بهم سورة الاعراف مكية الا واسألهم عن القرية الثمان او الخمس آيات مائتان وخمس اوست آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المص) الله اعلم بمراده بذلك هذا (كتاب انزل اليك) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (فلايكن فى صدرك حرج) ضيق (منه) ان تبلغه مخافة أن تكذب (لتنذر) متعلق بانزل اى للانذار (به وذكرى) تذكرة (للمؤمنين) به قل لهم (اتبعوا ماانزل اليكم من ربكم) اى القرآن (ولاتتبعوا) تتخذوا (من دونه)

هوى يهوى هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواء بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نردای مشبهين بالذی استهوته او على المصدر ای ردا مثل ردالذی استهوته (فی الارض حیران) متحیرا ضا لاعن الطریق (له اصحاب) لهذا المستهوی رفقة (یدعونه الی الهدی) الی ان یهدوه الطریق المستقیم او الی الطریق المستقیم وسماه هدی تسمیة للمفعول بالمصدر (ائتنا) یقولون له ائتنا (قل ان هدی الله) الذی هو الاسلام (هو الهدی) وحده وما عداه ضلال (وامرنا لنسلم لرب العالمین) من جملة المقول عطف علی ان هدی الله واللام لتعلیل الامر ای امرنا بذلك لنسلم وقیل هی بمعنی الباء وقیل هی زائدة (وان اقیموا الصلاة واتقوه) عطف علی لنسلم ای للاسلام واقامة الصلاة او علی موقعه كانه قیل وامرنا ان نسلم وان اقیموا روی ان عبدالرحمن بن ابی بكر دعا اباه الی عبادة الاوثان فنزلت وعلی هذا كان امر الرسول صلی الله تعالی علیه وسلم بهذا القول اجابة عن الصدیق تعظیما لشأنه واظهار اللاتحاد الذی كان بینهما (وهو الذی الیه تحشرون) یوم القامة (وهو الذی خلق السموات والارض بالحق) قائما بالحق والحكمة (ویوم یقول كن فیكون قوله الحق) جملة اسمیة قدم فیها الخبر ای قوله الحق یوم یقول كقولك القتال یوم الجمعة والمعنی انه الخالق السموات والارض وقوله الحق نافذ فی الكائنات وقیل یوم منصوب بالعطف علی السموات او علی الهاء فی واتقوه او بمحذوف دل علیه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل یكون علی معنی وحین یقوله لقوله الحق ای لقضائه كن فیكون والراد به حین یكون الاشیاء ویحدثها او حین تقوم القیامة فیكون التكوین حشر الاموات واحیاءها (وله الملك یوم ینفخ فی الصور) كقوله لمن الملك الیوم لله الواحد القهار (عالم الغیب والشهادة) ای هو عالم الغیب (وهو الحكیم الخبیر) كالفذلكة للآیة (واذ قال ابراهیم لابیه آزر) هو عطف بیان لابیه وفی كتب التواریخ ان اسمه تارح فقیل هما علمان له كاسرائیل ویعقوب وقیل العلم تارح وآزر وصف معناه الشیخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمی حمل علی موازنه او نعت مشق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمی علی فاعل كعابر وشالخ وقیل اسم صنم یعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق علیه بحذف المضاف وقیل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر یفسره مابعده ای اتعبد آزرا ثم قال (أتتخذ اصناما آلهة) تفسیر او تقریر ویدل علیه ان قرئ

ای الله ای غیره (اولیاء) تطیعونهم فی معصیته تعالی (قلیلا ماتذكرون) بالتاء والیاء تتعظون وفیه ادغام التاء فی الاصل فی الدال وفی قراءة بسكونها وما زائدة لتاكید القلة (وكم) خبریة مفعول (من قریة) ارید اهلها (اهلكناها) اردنا اهلاكها (فجاءها باسنا) عذابنا (بیاتا) لیلا (اوهم قائلون) نائمون بالظهیرة والقیلولة استراحة نصف النهار وان لم یكن معها نوم ای مرة جاءها لیلا ومرة نهارا (فما كان دعواهم) قولهم (اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمین فلنسألن الذین ارسل الیهم) ای الامم عن اجابتهم الرسل وعملهم فیما بلغهم (ولنسألن المرسلین) عن الابلاغ (فلنقصن علیهم بعلم) لنخبرنهم عن علم بما فعلوه (وما كنا غائبین) عن ابلاغ الرسل والامم الخالیة فیما عملوا (والوزن) للاعمال او لصحائفها بمیزان له لسان وكفتان كما ورد فی حدیث كائن (یومئذ) ای یوم السوال المذكور وهو یوم القیامة

آزر اتتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم (انى اراك وقومك فى ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر الضلالة (وكذلك نرى ابراهيم) ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية (ملكوت السموات والارض) ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة (وليكون من الموقنين اى ليستدل وليكون او فعلنا ذلك ليكون (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى) تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره لظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه (فلما افل) اى غاب (قال لا احب الآفلين) فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث وينا فى الالوهية (فلما رأى القمر بازغا) مبتدأ فى الطلوع (قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لا كونن من القوم الضالين) استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى) ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث (هذا اكبر) كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم (فلما افلت قال ياقوم انى برئ مما تشركون) من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه فقال (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات وارض حنيفا وما انا من المشركين) وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال (وحاجه قومه) وخاصموه فى التوحيد (قال اتحاجونى فى الله) فى وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون (وقد هدانى)

(الحق) العدل صفة الوزن (فمن ثقلت موازينه) بالحسنات (فاولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن خفت موازينه) بالسيات (فاولئك الذين خسروا انفسهم) بتصييرها الى النار (بما كانوا بآياتنا يظلمون) يجحدون (ولقد مكناكم) يابنى آدم (فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش) بالياء اسبابا تعيشون بها جمع معيشة (قليلا ما) لتأكيد القلة (تشكرون) على ذلك (ولقد خلقناكم) اى اباكم آدم (ثم صورناكم) اى صورناه او انتم فى ظهره (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم) سجود تحية بالانحناء (فسجدوا الا ابليس) ابا الجن كان بين الملائكة (لم يكن من الساجدين قال) تعالى (منعك ان لا) زائدة (تسجد اذ) حين (امرتك قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها) اى من الجنة وقيل من السموات (فما يكون) ينبغى (لك ان تتكبر فيها فاخرج) منها (انك من الصاغرين) الدليلين (قال انظرنى)

اخرنى (الى يوم يبعثون) اى الناس (قال انك من المنظرين) وفى آية آخرى الى يوم الوقت المعلوم اى وقت النفخة الاولى (قال فبما اغويتنى) اى باغوائك لى والباء للقسم وجوابه (لاقعدن لهم) اى لبنى آدم (صراطك المستقيم) اى على الطريق الوصل اليك (ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم) اى من كل جهة فامنعهم عن سلوكه قال ابن عباس ولايستطيع ان يأتى من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى (ولاتجد اكثرهم شاكرين) مؤمنين (قال اخرج منها مذؤما) بالهمزة معيبا او ممقوتا (مدحورا) مبعدا عن الرحمة (لمن تبعك منهم) من الناس واللام للابتداء اوموطئة للقسم وهو (لأملأن جهنم منكم اجمعين) اى منك بذريتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفى الجملة معنى جزاء من الشرطية اى من تبعك اعذبه (و) قال (يادام اسكن انت تاكيد

الى توحيده (ولا اخاف ماتشركون به) اى لااخاف معبوداتكم فى وقت لانها لاتضر بنفسها ولاتنفع (الاان يشاء ربى شيئا) ان يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديدلهم بعذاب الله (وسع ربى كل شئ علما) كانه علة الاستثناء اى احاط به علما فلا يعدان يكون فى علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها (افلا تتذكرون) فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز (وكيف اخاف ماأشركتم) ولايتعلق به ضر (ولاتخافون انكم اشركتم بالله) وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع (مالم ينزل به عليكم سلطانا) مالم ينزل باشراكه كتابا اولم ينصب عليه دليلا (فاى الفريقين احق بالامن) اى الموحدون اوالمشركون وانما لم يقبل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه (ان كنتم تعلمون) مايحق ان يخاف منه (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون) استئناف منه عليه السلام اومن الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم بنفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ماتظنون انما هو ماقال لقمان لابنه يابنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية (وتلك) اشارة الى مااحتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون اومن قوله اتحاجون اليه (حجتنا آتيناها ابراهيم) ارشدناه اليها اوعلمناه اياها (على قومه) متعلق بحجتنا اى جعل خبر تلك ومحذوف ان جعل بدله اى اتيناها ابراهيم حجة على قومه (نرفع درجات من نشاء) فى العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين (ان ربك حكيم) فى رفعه وخفضه (عليم) بحال من يرفعه واستعداده له (ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا) اى كلا منهما (ونوحا هدينا من قبل) اى من قبل ابراهيم عد هذه نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد (ومن ذريته) الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين فى تلك الآية والتى بعدها والمذكورون فى الآية الثالثة عطف على نوحا (داود وسليمان وايوب) ايوب بن آموص من اسباط عيصا بن اسحق (ويوسف وموسى وهرون

(وكذلك نجزى المحسنين) اى ونجزى المحسنين جزاء مثل ماجزينا ابراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم (وزكريا ويحيى وعيسى) هو ابن مريم وفى ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت (والياس) قيل هو ادريس جد نوح عليهما السلام فيكون البيان مخصوصا بمن فى الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخى موسى عليهما السلام (كل من الصالحين) الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان ماينبغى والتحرز عما لاينبغى (واسمعيل واليسع) هو اليسع ابن اخطوب وقرأ حمزة والكسائى واليسع وعلى القرأتين علم اعجمى ادخل عليه اللام كما ادخل اليزيد فى قوله * رأيت الوليد بن اليزيد مباركا * شديدا باعباء الخلافة كاهله * (ويونس) هو يونس بن متى (ولوطا) هو لوط بن هاران ابن اخى ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) النبوة وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من الخلق (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم) عطف على كلا اونوحا اى فضلنا كلا منهم اوهدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا (واجتبيناهم) عطف على فضلنا اوهدينا (وهديناهم الى صرط مستقيم) تكرير لبيان ماهدوا اليه (ذلك هدى الله) اشارة الى ماداناوابه (يهدى به من يشاء من عباده) دليل على انه تعالى متفضل بالهداية (ولو اشركوا) اى ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم (لحبط عنهم ما كانوا يعملون) لكانوا كغيرهم فى حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها (اولئك الذين آتيناهم الكتاب) يريد به الجنس (والحكم) الحكمة اوفصل الامر على مايقتضيه الحق (والنبوة) والرسالة (فان يكفر بها) اى بهذه الثلاثة (هؤلاء) يعنى قريشا (فقد وكلنا بها) اى بمراعاتها (قوما ليسوا بها بكافرين) وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار اواصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوكل من آمن به اوالفرس وقيل الملائكة عليهم السلام (اولئك الذين هدى الله) يريد الانبياء المتقدم ذكرهم (فبهداهم اقتده) فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم ماتوا فقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانهم ليست هدى مضافا الى الكل ولايمكن التأسى بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه الصلاة والسلام متعبد بشرع من قبله والنهاء فى اقتده للوقف ومن اثبتها فى الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابى عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف ويحذف الهاء فى الوصل خاصة حمزة والكسائى

للضمير فى اسكن لعطف عليه (وزوجك) حواء بالمد (الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه) بالاكل منها وهى الحنطة (فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان) ابليس (ليبدى) يظهر (لهما ماووارى) فوعل من المواراة (عنهما من سوآتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا) كراهة (ان تكونا ملكين) وقرئ بكسر اللام (اوتكونا من الخالدين) اى وذلك لازم عن الاكل منها كما آية اخرى هل ادلك على شجرة الخلد وملك لايبلى (وقاسمهما) اى اقسم لهما بالله (انى لكما لمن الناصحين) فى ذلك (فدلاهما) حطهما عن منزلتهما (بغرور) منه (فلما ذاقا الشجرة) اى اكلا منها (بدت لهما سوآتهما) اى ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمى كل منهما سواة لان انكشافه يسوء صاحبه (وطفقا يخصفان) اخذا يلزقان (عليهما من ورق الجنة) ليستترا به (وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما

الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) بين العداوة والاستفهام للتقرير (قالا ربنا ظلمنا انفسنا) بمعصيتنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من من الخاسرين قال اهبطوا) اى آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما (بعضكم) بعض الذرية (لبعض عدو) من ظلم بعضهم بعضا (ولكم فى الارض مستقر) مكان استقرار (ومتاع) تمتع (الى حين) تنقضى فيه آجالكم (قال فيها) اى الارض (تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) بالبعث والبناء للفاعل والمفعول (يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا) اى خلقنا لكم (يوارى) يستر سوآتكم وريشا) هو مايتجمل به من الثياب (ولباس التقوى) العمل الصالح والسمت الحسن بالنصب عطف على لباسا والرفع مبتدأ خبره جملة (ذلك من آيات الله) دلائل قدرته (لعلهم يذكرون) فيؤمنون فيه التفات عن الخطاب (يابنى آدم لايفتننكم) يضلنكم (الشيطان) اى لا تتبعوه

واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان ويكسر الهاء بغير اشباع برواية هشام على انها كناية المصدر (قل لا اسألكم عليه) اى على التبليغ او القرآن (اجرا) اى جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلى من النبيين وهذا من جملة ماامر بالاقتداء بهم فيه (ان هو) اى التبليغ او القرآن او الغرض (الا ذكرى للعالمين) الا تذكير وعظة لهم (وماقدروا الله حق قدره) وما عرفوا حق معرفته فى الرحمة والانعام على العباد (اذ قالوا ماانزل الله على بشر من شئ) حين انكروا الوحى وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته اوجلائل نعمته اوفى السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله (قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) وقرأة الجمهور بالتاء وانما قرأ باليـاء ابن كثير وابو عمر وحملا على قالوا ماقدروا وتضمين ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة وذمهم على تجزئتها بابداء بعض ماانتخبوه وكتبوه فى ورقات متفرقة واخفاء بعض لايشتهونه روى ان مالك ابن الصيف قاله لما اغضبه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله انشدك بالذى انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لانه كانه من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم (وعلمتم) على لسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم) زيادة على مافى التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش (قل الله) اى انزل الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لايمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لايقدرون على الجواب (ثم ذرهم فى خوضهم) فى اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة (يلعبون) حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعول او فاعل يلعبون او من هم الثانى والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع (مصدق الذى بين يديه) يعنى التوراة او الكتب التى قبله (ولتنذر ام القرى) عطف على مادل عليه

مبارك اى للبركات ولتنذر اوعلة محذوف اى ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها اولانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابوبكر عن عاصم بالياء اى ولينذر الكتاب (ومن حولها) اهل الشرق والغرب (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون) فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله عن النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبى والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسى او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحى ومتابعيه (او قال اوحى الى ولم يوح اليه شئ) كعبدالله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا آخر قال عبدالله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال (ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله) كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولو ترى اذ الظالمون) حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين (فى غمرات الموت) شدائده من غمرة الماء اذا غشيه (والملائكة باسطوا ايديهم) بقبض ارواحهم كالمتقاضى الملط اوبالعذاب (اخرجوا انفسكم) اى يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم اواخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا (اليوم) يريد به وقت الاماتة اوالوقت الممتد من الاماتة الى مالانهاية له (تجزون عذاب الهون) اى الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحى كاذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها (ولقد جئتمونا) للحساب والجزاء (فرادى) منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا اوعن الاعوان والاوثان التى زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى (كما خلقناكم فتفتنوا (كما اخرج ابويكم) بفتنته (من الجنة ينزع) حال (عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه) اى الشيطان (يراكم هو وقبيله) جنوده (من حيث لا ترونهم) للطافة اجسادهم اوعدم الوانهم (انا جعلنا الشياطين اولياء) اعوانا وقرناء (للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة) كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنهوا عنها (قالوا وجدنا عليها آباءنا) فاقتدينا بهم (والله امرنا بها) ايضا (قل) لهم (ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون) انه قاله استفهام انكار (قل امر ربى بالقسط) العدل (واقيموا) معطوف على معنى بالقسط اى قال اقسطوا او اقيموا اوقبله فاقبلوا مقدرا (وجوهكم) لله (عند كل مسجد) اى اخلصوا له سجودكم) (وادعوه) اعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (كما بدأكم خلقكم ولم تكونوا شيأ (تعودون) اى يعيدكم احياء يوم القيامة (فريقا) منكم

(هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله) اى غيره (ويحسبون انهم مهتدون يابنى آدم خذوا زينتكم) مايستر عورتكم (عند كل مسجد) عند الصلاة والطواف (وكلوا واشربوا) ماشئتم (ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين قل) انكارا عليهم (من حرم زينة الله التى اخرج لعباده من اللباس (والطيبات) المستلذات (من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا) بالاستحقاق وان شاركهم فيها غيرهم (خالصة) خاصة بهم بالرفع والنصب حال (يوم القيامة كذلك نفصل الآيات) نبينها مثل ذلك التفصيل (لقوم يعلمون) يتدبرون فانهم المنتفعون بها (قل انما حرم ربى الفواحش) الكبائر كالزنا (ماظهر منها وما بطن) اى جهرها وسرها (والاثم) المعصية (والبغى) على الناس (بغير الحق) هو الظلم (وان تشركوا بالله مالم ينزل به) باشراكه (سلطانا) حجة

اول مرة) بدل منه اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد اوحال ثانية ان جواز التعدد فيها اوحال من الضمير فى فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما اوصفة مصدر جئتمونا اى مجيئا كما خلقناكم (وتركتم ماخولناكم) ماتفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) ماقدمتموه منه شيأ ولم تحملوا نقيرا (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) اى شركاء الله فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم (ولقد تقطع بينكم) اى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائى وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ماقبله عليه واقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع مابينكم وقد قرئ به (وضل عنكم) ضاع وبطل (ماكنتم تزعمون) انها شفعاءكم او ان لابعث ولاجزاء (ان الله فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر وقيل المراد به الشق الذى فى الحنطة والنواة (يخرج الحى) يريد به مايغو من الحيوان والنبات ليطابق ماقبله (من الميت) مما لايغو كالنطف والحب (ومخرج الميت من الحى) ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان له (ذلكم الله) اى ذلكم المحى والمميت هو الذى يحق له العبادة (فانى تؤفكون) تصرفون عنه الى غيره (فالق الاصباح) شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل اوعن بياض النهار اوشاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصباح سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح (وجاعل الليل سكنا) يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به اويسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لابه فانه فى معنى الماضى ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به على ان المراد منه جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون (والشمس والقمر) عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدر اوقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى مجعولان (حسبانا) اى على ادوار مختلفة تحسب بها

الاوقات ويكونان علمى الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان (ذلك) اشارة الى جعلها حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص (العليم) بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما (وهو الذى جعل لكم النجوم) خلقها لكم (لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) فى ظلمات الليل فى البحر واضافتها اليهما لملابسة اوفى مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم (قد فصلنا الآيات) بيناها مفصلا فصلا (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون به (وهو الذى انشأكم من نفس واحدة) وهو آدم عليه السلام (فمستقر ومستودع) اى فلكم استقرار فى الاصلاب اوفوق الارض واستيداع فى الارحام اوتحت الارض اوموضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول اى فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار ينادون الاستيداع (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر (وهو الذى انزل من السماء ماء) من السحاب او من جانب السماء (فاخرجنا) على تلوين الخطاب (به) بالماء (نبات كل شئ) نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع المفتنة المسقية بماء واحد كما فى قوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل (فاخرجنا منه) من النبات او الماء (خضرا) شيأ اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل (ومن النخل من طلعها قنوان) اى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيأ من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذليس فعلان من ابنية الجمع (دانية) قريبة من المتناول اوملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها (وجنات من اعناب)

(وان تقولوا على الله مالا تعلمون) من تحريم مالم يحرم وغيره (ولكل امة اجل) مدة (فاذا جاء اجلهم لايستأخرون) عنه (ساعة ولايستقدمون) عليه (يابنى آدم اما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى) الشرك (واصلح) عمله (فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون) فى الآخرة (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا) تكبروا (عنها) فلم يؤمنوا بها (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن) اى لا احد (اظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك والولد اليه (اوكذب بآياته) القرآن (اولئك ينالهم) يصيبهم (نصيبهم) حظهم (من الكتاب) مما كتب لهم فى اللوح المحفوظ من الرزق والاجل وغير ذلك (حتى اذا جاءتهم رسلنا) اى الملائكة (يتوفونهم قالوا) لهم تبكيتا (اين ماكنتم تدعون) تعبدون (من دون الله قالوا ضلوا) غابوا (عنا) فلم نرهم (وشهدوا

على انفسهم) عند الموت (انهم كانوا كافرين قال) تعالى لهم يوم القيامة (ادخلوا فى) جملة (امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار) متعلق بادخلوا (لعنت اختها) التى قبلها لضلالها بها (حتى اذا ادارکوا) تلاحقوا (فيها جميعا قالت اخراهم) وهم الاتباع (لاولاهم) اى لاجلهم وهم المتبوعون (ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا) مضعفا (من النار قال) تعالى (لكل) منكم ومنهم (ضعف) عذاب مضعف (ولكن لايعلمون) بالياء والتاء مالكل فريق (وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل) لانكم لم تكفروا بسببنا فنحن وانتم سواء قال تعالى لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا) تكبروا (عنها) فلم يؤمنوا بها (لاتفتح لهم ابواب السماء) اذا عرج بارواحهم اليها بعد الموت فيهبط بها الى سجين بخلاف المؤمن

عطف على نبات كل شئ وقرئ بالرفع على الابتداء اى ولكم اوثم جنات اومن الكرم جنات ولايجوز عطفه على قنوان اذالعنب لايخرج من النخل (والزيتون والرمان) ايضا عطف على نبات اونصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم (مشتبها وغير متشابه) حال من الرمان اومن الجميع اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة والقدر والطعم واللون (انظروا الى ثمره) اى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب اوثمار ككتاب وكتب (اذا اثمر) اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لايكاد ينتفع به (وينعه) والى حال نضجه اوالى نضجه كيف يعود ضخيما ذا نفع ولذة وهو فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع بالغ كتاجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه (ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون) اى لايات دالة على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل واحد وتقلها من حال الى حال لايكون الا باحداث عالم قادر يعلم تفصيلها ويرجح مايقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولايعوقه عن فعله ندّ يعارضه اوضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال (وجعلوا لله شركاء الجن) اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم اوالشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى اوعبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم اوقالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء اوشركاء الجن ولله متعلق بشركاء اوحال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين (وخلقهم) حال بتقدير قدوا المعنى وقد علموا ان الله تعالى خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لايخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اى ومايحلقونه من الاصنام اوعلى شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه (وخرقوا له) افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اى وزوروا (بنين وبنات) فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله (بغير علم) من غير ان يعلموا حقيقة ماقالوا ويروا عليه دليلا وهو فى موضع الحال من الواو اوالمصدر اى خرقا بغير علم (سبحانه وتعالى عما يصفون) وهو ان له شريكا وولدا (بديع السموات

والارض) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اوالى الظرف كقولهم
ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقدسبق الكلام فيه
ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف اوعلى الابتداء وخبره (انى يكون له ولد)
اى من اين اوكيف يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) يكون منها الولد
وقرئ بالياء للفصل اولان الاسم ضمير الله اوضمير الشان (وخلق كل شئ
وهو بكل شئ عليم) لايخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص
الى الاول وفى الاية استدلال على نفى الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته
السموات والارضون وهى مع انها من جنس مايوصف بالولادة مبرأة عنها
لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثانى ان المعقول
من الولد مايتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة
والثالث ان الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له بوجهين الاول ان كل ماعداه
مخلوقه فلا يكافئه والثانى انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره
بالاجماع (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ
(الله ربكم لااله الاهو خالق كل شئ) اخبار مترادفة ويجوز ان يكون
البعض بدلا اوصفة والبعض خبرا (فاعبدوه) حكم مسبب عن مضمونها
فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة (وهو على كل شئ وكيل)
اى وهو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى
انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها (لاتدركه) اى لاتحيط
به (الابصار) جمع بصر وهى حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها
محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك
مطلق الرؤية ولا النفى فى الاية عاما فى الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات
ولا فى الاشخاص فانه فى قولنا لاكل بصر يدركه مع ان النفى لايوجب
الامتناع (وهو يدرك الابصار) يحيط علما بها (وهو اللطيف الخبير) فيدرك
مالاتدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لاتدركه
الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف
مستعارا من مقابل الكثيف لمالايدرك بالحاسة ولاينطبع فيها (وقد جاءكم
بصائر من ربكم) البصائر جمع بصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت
بها الدلالة لانها تجلى لها به الحق وتبصرها (فمن ابصر) اى ابصر الحق
وآمن به (فلنفسه) ابصر لان نفعه لها (ومن عمى) عن الحق وضل
فتفتح له ويصعد بروحه
الى السماء السابعة كما ورد
فى حديث (ولايدخلون الجنة
حتى يلج) يدخل فى سم الخياط)
ثقب الابرة وهو غير ممكن فكذا
دخولهم (وكذلك) الجزاء
نجز المجرمين) بالكفر
(لهم من جهنم مهاد) فراش
(ومن فوقهم غواش) اغطية
من النار جمع غاشية وتنوينه
عوض من الياء المحذوفة
(وكذلك نجزى الظالمين
والذين آمنوا وعملوا الصالحات
مبتدا وقوله (لانكلف نفسا
الا وسعها) طاقتها من العمل
اعتراض بينه وبين خبره
وهو (اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون ونزعنا
مافى صدورهم من غل) حقد
كان بينهم فى الدنيا (تجرى
من تحتهم) تحت قصورهم
(الانهار وقالوا) عند
الاستقرار فى منازلهم (الحمد لله
الذى هدانا لهذا) العمل
الذى هذا جزاؤه (وما كنا
لنهتدى لولا ان هدانا الله)
حذف جواب لولا لدلالة
ماقبله عليه (لقد جاءت رسل
ربنا بالحق ونودوا ان)
مخففة اى انه او مفسرة

(فعليها) وباله (وما انا عليكم بحفيظ) وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وكذلك نصرف الآيات) ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال (وليقولوا درست) اى وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اى قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودرست بمعنى درست اودارست اليهود محمد اوجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اى عفون ودرس اى درس محمد ودارسات اى قديمات اوذات درس كقوله تعالى * في عيشة راضية * (ولنبينه) اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون به (اتبع ما يوحى اليك من ربك) بالتدين به (لا اله الا هو) اعتراض اكد به ايجاب الاتباع اوحال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية (واعرض عن المشركين) ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم (ولو شاء الله) توحيدهم وعدم اشراكهم (ما اشركوا) وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافرون مراده واجب الوقوع (وما جعلناك عليهم حفيظا) رقيبا (وما انت عليهم بوكيل) تقوم بامورهم (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) اى لا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح (فيسبوا الله عدوا) تجاوزا عن الحق الى الباطل (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا بفتح العين والدال وعدوا وعدوانا روى انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر (كذلك زينا لكل امة عملهم) من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا

في المواضع الخمسة (تلكموها الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار) تقريرا وتبكيتا (ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا) من الثواب (حقا فهل وجدتم ما وعد) كم (ربكم) من العذاب (حقا قالوا نعم فأذن مؤذن) نادى مناد (بينهم) بين الفريقين اسمعهم (ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون) الناس (عن سبيل الله دينه (ويبغونها) اى يطلبون السبيل (عوجا) معوجة (وهم بالآخرة كافرون وبينهما) اى اصحاب الجنة والنار (حجاب) حاجز قيل هو سور الاعراف (وعلى الاعراف) وهو سور الجنة (رجال) استوت حسناتهم وسياتهم كما في الحديث (يعرفون كلا) من اهل الجنة والنار (بسيماهم) بعلامتهم وهي بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم اذ موضعهم عال (ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم) قال تعالى (لم يدخلوها) اى اصحاب الاعراف الجنة (وهم

وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم (ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون) بالمحاسبة والمجازاة عليه (واقسموا بالله جهد ايمانهم) مصدر فى موقع الحال والداعى لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول عليه الصلاة والسلام فى طلب الايات واستحقار مارأوا منها (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله) هو قادر عليها يظهر منها مايشاء وليس شئ منها بقدرتى وارادتى (ومايشعركم) ومايدريكم استفهام انكار (انها) اى ان الاية المقترحة (اذا جاءت لايؤمنون) اى لاتدرون انهم لايؤمنون انكر السبب مبالغة فى نفى المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لايؤمنون بها وقيل لامزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذقرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابوبكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال ومايشعركم مايكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجئ الاية طمعا فى ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذا قرأ ابن عامر وحمزة لاتؤمنون بالتاء وقرئ ومايشعرهم انها اذاجاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اى ومايشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الايات فيؤمنون بها (ونقلب افئدتهم وابصارهم) عطف على يؤمنون اى ومايشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلايفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلايؤمنون بها كما لم يؤمنوا به) اى بما انزل من الايات (اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) وندعهم متحيرين لانهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة (ولو اننا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا) كما اقترحوا فقالوا لوانزل علينا الملائكة فاتوا بابائنا اوتأتى بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اى كفلاء بما بشروا وانذروا به اوجمع قبيل الذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات اومصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قرأة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه (ماكانوا ليؤمنوا) لماسبق عليهم القضاء بالكفر (الا ان يشاء الله) استثناء من اعم الاحوال اى لايؤمنون فى حال الاحوال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة (ولكن اكثرهم يجهلون) انهم

يطمعون) فى دخولها قال الحسن لم يطمعهم الا لكرامة يريدها بهم وروى الحاكم عن حذيفة قال بينماهم كذلك اذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم (واذا صرفت ابصارهم) اى اصحاب الاعراف (تلقاء) جهة (اصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا) فى النار (مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الاعراف رجالا) من اصحاب النار (يعرفونهم بسيماهم قالوا ماأغنى عنكم) من النار (جمعكم) المال اوكثرتكم (وماكنتم تستكبرون) اى واستكباركم عن الايمان ويقولون لهم مشيرين الى ضعفاء المسلمين (اهؤلاء الذين اقسمتم لاينالهم الله برحمة) قد قيل لهم (ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاانتم تحزنون) وقرئ ادخلوا بالبناء للمفعول ودخلوا فجملة النفى حال اى مقولا لهم ذلك (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اومما رزقكم الله) من الطعام (قالوا

لواوتوا بكل آية لم يومنوا فيقسمون جهد ايمانهم على مايشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم اولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لايؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا فى ايمانهم (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا) اى كما جعلنالك عدوا جعلنا لكل نبى سبقك عدوا وهو دليل على ان عدواة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه (شياطين انس والجن) مردة الفريقين وهو بدل من عدوا ومفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى ولكل متعلق به اوحال منه (يوحى بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس اوبعض الجن الى بعض اوبعض الانس الى بعض (زخرف القول) الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه (غرورا) مفعول له اومصدر فى موقع الحال (ولوشاء ربك) ايمانهم (مافعلوه) اى مافعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء اوالزخرف اوالغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة (فذرهم ومايفترون) وكفرهم (ولتصغى اليه افئدة الذين لايؤمنون بالآخرة) عطف على غرورا ان جعل علة اومتعلق بمحذوف اى وليكون ذلك جعلنا لكل نبى عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة اولام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون اولام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير فى فعلوه (وليرضوه) لانفسهم (وليقترفوا) وليكتسبوا (ماهم مقترفون) من الآثام (افغير الله ابتغى حكما) على ارادة القول اى قل لهم يامحمد افغير الله اطلب من يحكم بينى وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لايوصف به غير العادل (وهو الذى انزل اليكم الكتاب) لقرآن المعجز (مفصلا) مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجاز وتقريره مغن عن سائر الآيات (والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب لتصديقه ماعندهم مع انه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل وقيل المراد مؤمنون اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد (فلا تكونن من الممترين) فى انهم يعلمون ذلك اوفى انه منزل

ان الله حرمهما) منعهما (على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم) نتركهم فى النار (كما نسوا لقاء يومهم هذا) بتركهم العمل له (وما كانوا بآياتنا يجحدون) اى وكما جحدوا (ولقد جئناهم) اى اهل مكة (بكتاب) قرآن (فصلناه) بيناه بالاخبار والوعد والوعيد (على علم) حال اى عالمين بما فصل فيه (هدى) حال من الهاء (ورحمة لقوم يؤمنون) به (هل ينظرون) ماينتظرون (الا تاويله) عاقبة (يوم يأتى تأويله) هو يوم القيامة (يقول الذين نسوه من قبل) تركوا الايمان به (قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او) هل (نرد) الى الدنيا (فنعمل غير الذى كنا نعمل) نوحد الله ونترك الشرك فيقال لهم لا قال تعالى (قد خسروا انفسهم) اى صاروا الى الهلاك (وضل) ذهب (عنهم ماكانوا يفترون) من دعوى الشريك (ان ربكم

بجحودا كثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين اوخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم كخطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغى لاحد ان يمترى فيه (وتمت كلمات ربك) بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده (صدقا) فى الاخبار والمواعيد (وعدلا) فى الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له (لامبدل لكلماته) لااحد يبدل شيئا منها بما هوا صدق واعدل اولا احد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله تعالى بالحفظ كقوله وانا له لحافظون اولانبى ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اى ماتكلم به اوالقرآن (وهو السميع لما يقولون (العليم) بما يضمرون فلا يهملهم (وان تطع اكثر من فى الارض) اى اكثر الناس يريد الكفار اوالجهال اوتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة (يضلوك عن سبيل الله) عن الطريق الموصل اليه فان الضال فى غالب الامر لايأمر الا بما فيه ضلال (ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق اوجهلا لاتهم وآراءهم الفاسدة فان الظن يطلق على مايقابل العلم (وان هم الا يخرصون) يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر اويقدرون انهم على شئ وحقيقته مايقال عن ظن وتخمين (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) اى اعلم بالفريقين ومن موصولة اوموصوفة فى محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لاينصب الظاهر فى مثل ذلك اواستفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اى يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر اومجرورة باضافة اعلم اليه اى اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله اومن اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل فى العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التى يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لابالغير (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لامما ذكر عليه اسم غيره اومات حتف انفه (ان كنتم بآياته مؤمنين) فان الايمان بها يقتضى استباحة ماأحله الله واجتناب ماحرمه (ومالكم ان لاتأكلوا

الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) من ايام الدنيا اى فى قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولوشاء وخلقهن فى لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (ثم استوى على العرش) هو فى اللغة سرير الملك استواء يليق به (يغشى الليل النهار) مخففا ومشددا اى يغطى كل منهما بالآخر (يطلبه) يطلب كل منهما الآخر طلبا (حثيثا) سريعا (والشمس والقمر والنجوم) بالنصب عطفا على السموات والرفع مبتدا خبره (مسخرات) مذللات (بأمره) بقدرته (الا له الخلق) جميعا (والامر) كله (تبارك) تعاظم (الله رب) مالك (العالمين ادعوا ربكم تضرعا) حال تذللا (وخفية) سرا (انه لايحب المعتدين) فى الدعاء بالتشدق ورفع الصوت (ولا تفسدوا فى الارض بالشرك والمعاصى (بعد اصلاحها) ببعث الرسل (وادعوه خوفا) من عقابه (وطمعا) فى رحمته (ان رحمة الله قريب من المحسنين) المطيعين وتذكير قريب لانه خبر

عن رحمة لاضافتها الى الله (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) اى متفرقة قدام المطر وفى قراءة بسكون الشين تخفيفا او فى اخرى بسكونها وفتح النون مصدرا وفى أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون اى مبشرا ومفردالاولى نشور كرسول والاخيرة بشير (حتى اذا اقلت) حملت الرياح (سحابا ثقالا) بالمطر (سقناه) اى السحاب وفيه التفات عن الغيبة (لبلد ميت لانبات به اى لاحياتها (فانزلنا به) بالبلد (الماء فاخرجنا به) بالماء (من كل الثمرات كذلك) الاخراج (نخرج الموتى) من قبورهم بالاحياء (لعلكم تذكرون) فتؤمنون (والبلد الطيب) العذب التراب (يخرج نباته) حسنا (باذن ربه) هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها (والذى خبث) ترابه (لايخرج) نباته (الا نكدا) عسرا بمشقة وهذا مثل للكافر (كذلك) كما بينا ماذكر (نصرف) نبين (الآيات لقوم يشكرون)

مما ذكر اسم الله عليه) واى غرض لكم فى ان تحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه (وقد فصل لكم ماحرم عليكم) مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل (الا ما اضطررتم اليه) مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة (وان كثيرا ليضلون) بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح (باهوآئهم بغير علم) بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم (ان ربك هو اعلم بالمعتدين) بالمتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) مايعلن به ومايسر اوما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنى فى الحوانيت واتخاذ الاخدان (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون) يكتسبون (ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ظاهر فى تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعى بخلافه لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليها وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واولوه بالميتة او بما ذكر غيره اسم عليه لقوله (وانه لفسق) فان الفسق ماأهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذى دل عليه لاتأكلوا (وان الشياطين ليوحون) ليوسوسون (الى اوليائهم) من الكفار (ليجادلوكم) بقولهم تأكلون ماقتلتم انتم وجوار حكم وتدعون ماقتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة (وان اطعتموهم) فى استحلال ماحرم (انكم لمشركون) فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه فى دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضى او من كان ميتا فاحييناه) وجعلناله نورا يمشى به فى الناس) مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نورا لحجج والآيات يتأمل بها فى الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل (كمن مثله) صفته وهو مبتدأ خبره (فى الظلمات) وقوله (ليس بخارج منها) حال من المستكن فى الظرف لا من الهاء فى مثله للفصل وهو مثل لمن بقى على الضلالة لايفارقها بحال (كذلك) كما زين للمؤمنين ايمانه (زين للكافرين ماكانوا يعملون) والآية نزلت فى حمزة وابى جهل وقيل فى عمر وعمار وابى جهل (وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها) اى كما جعلنا فى مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا

فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثانى اوفى كل قرية اكابر مجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم (ومايمكرون الا بانفسهم) لان وباله يحيق بهم (ومايشعرون) ذلك (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ماأوتى رسول الله) يعنى كفار قريش لما روى ان اباجهل قال زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لانرضى به الا ان يأتينا وحى كما يأتيه فنزلت (والله اعلم حيث يجعل رسالاته) استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هى بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبى لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذى فيه يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته (سيصيب الذين اجرموا صغار) ذل وحقارة بعد كبرهم (عند الله) يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) بسبب مكرهم اوجزآء على مكرهم (فمن يرد الله ان يهديه) يعرفه طريق الحق ويوفقه الى يمان (يشرح صدره للاسلام) فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله (ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اى شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر (كانما يصعد فى السماء) شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول مالايقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عنه التصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعد فى الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد (كذلك) اى كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق (يجعل الله الرجس على الذين

لقومه أتأتون الفاحشة) اى ادبار الرجال (ماسبقكم بها من احد من العالمين) الانس والجن (انكم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الالف بينهما على الوجهين لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون) متجاوزون الحلال الى الحرام (وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم) اى لوطا واتباعه (من قريتكم انهم اناس يتطهرون) من ادبار الرجال فأنجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين) الباقين فى العذاب (وامطرنا عليهم مطرا) هو حجارة السجيل فأهلكتهم (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين و) ارسلنا (الى مدين اخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة) معجزة (من ربكم) على صدقى (فأوفوا) اتموا (الكيل والميزان ولاتبخسوا) تنقصوا (الناس اشياءهم ولاتفسدوا فى الارض) بالكفر والمعاصى (بعد اصلاحها) ببعث الرسل (ذلكم)

المذكور (خير لكم ان كنتم مؤمنين) مريدى الايمان فبادروا اليه (ولاتقعدوا بكل صراط) طريق (توعدون) تخوفون الناس بأخذ سيابهم اوالمكس منهم (وتصدون) تصرفون (عن سبيل الله) دينه (من آمن به) بتوعدكم اياه بالقتل (وتبغونها) تطلبون الطريق (عوجا) معوجة (واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) قبلكم بتكذيبهم رسلهم اى آخر امرهم من الهلاك (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا) به (فاصبروا) انتظروا (حتى يحكم الله بيننا) وبينكم بانجاء المحق واهلاك المبطل (وهو خير الحاكمين) اعدلهم (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) عن الايمان (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا اولتعودن) ترجعن (فى ملتنا) ديننا وغلبوا فى الخطاب الجمع على الواحد لان شعيبا لم يكن فى ملتهم قط وعلى نحوه اجاب

لايؤمنون) بجعل العذاب اوالخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل (وهذا) اشارة الى البيان الذى جاءبه القرآن اوالى الاسلام اوالى ماسبق من التوفيق والخذلان (صراط ربك) الطريق الذى ارتضاه اوعادته وطريقه الذى اقتضته حكمته (مستقيما) لاعوج فيه اوعادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا اومقيدة والعامل فيها معنى الاشارة (قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) فيعلمون ان القادر هو الله تعالى وان كل مايحدث من خير اوشر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم (لهم دار السلام) دارالله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها اودار السلامة من المكاره اودار تحيتهم فيها سلام (عند ربهم) فى ضمانه اوذخيرة لهم عنده لايعلم كنهها غيره (وهو وليهم) مواليهم اوناصرهم (بما كانوا يعملون) بسبب اعمالهم اومتوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم (ويوم يحشرهم جميعا) نصب باضمار اذكر اونقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب يحشرهم بالياء (يامعشر الجن) يعنى الشياطين (قد استكثرتم من الانس) اى من اغوائهم واضلالهم اومنهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود (وقال اولياؤهم من الانس) الذين اطاعوهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) اى انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات ومايتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم فى المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم (وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا) اى البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم (قال النار مثواكم) منزلكم اوذات مثواكم (خالدين فيها) حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدر اومعنى الاضافة ان جعل مكانا (الاماشاء الله) الا الاوقات التى يقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ماشاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ماامهلكم (ان ربك حكيم) فى افعاله (عليم) باعمال الثقلين واحوالهم (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) نكل بعضهم الى بعض اونجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم اواولياء بعض وقرناءهم فى العذاب كما كانوا فى الدنيا (بما كانوا يكسبون)

من الكفر والمعاصى (يامعشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم) الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن فى الخطاب اصح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله تعالى * ولوا الى قومهم منذرين * (يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعنى يوم القيامة (قالوا) جوابا (شهدنا على انفسنا) بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب (وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذير اللسامعين من مثل حالهم (ذلك) اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اى الامر ذلك (ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون) تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اى الامر ذلك لانتفاء كون ربك اولان الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك (ولكل) من المكلفين (درجات) مراتب (مما عملوا) من اعمالهم او من جزآئها اومن اجلها (وما ربك بغافل عما يعملون) فيخفى عليه عمل او قدر مايستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة (وربك الغنى) عن العباد والعبادة (ذو الرحمة) يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصى وفيه تنبيه على ان ماسبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله (ان يشأ يذهبكم) اى مابه اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة (ويستخلف من بعدكم مايشاء) الخلق (كما انشأكم من ذرية قوم آخرين) اى قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم (انما توعدون) من البعث واحواله (لآت) لكائن لامحالة (وما انتم بمعجزين) طالبكم به (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن اوعلى ناحيتكم وجهتكم وحالتكم التى انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع فى كل القرآن وهو امر تهديد

(قال أ) نعود فيها (ولو كنا كارهين) لها استفهام انكار (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون) ينبغى (لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا) ذلك فيخذلنا (وسع ربنا كل شئ علما) اى وسع علمه كل شئ ومنه حالى وحالكم (على الله توكلنا ربنا افتح) احكم (بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين) الحاكمين (وقال الملاء الذين كفروا من قومه) اى قال بعضهم لبعض (لئن) لام قسم (اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) بارکين على الركب ميتين (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كأن) مخففة واسمها محذوف اى كأنهم (لم يغنوا) يقيموا (فيها) فى ديارهم (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) التأكيد باعادة الموصول وغيره للرد عليهم فى قولهم السابق (فتولى) اعرض (عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربى

ونصحت لكم) فلم تؤمنوا (فكيف آسى) احزن (على قوم كافرين) استفهام بمعنى النفى (وما ارسلنا فى قرية من نبى) فكذبوه (الا اخذنا) عاقبنا (اهلها بالبأساء) شدة الفقر (والضراء) المرض (لعلهم يضرعون) يتذللون فيؤمنون (ثم بدلنا) اعطيناهم (مكان السيئة) العذاب (الحسنة) الغنى والصحة (حتى عفوا) كثروا (وقالوا) كفرا للنعمة (قد مس آباء نا الضراء والسراء) كما مسنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله فكونوا على ما انتم عليه قال تعالى (فاخذناهم) بالعذاب (بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون بوقت مجيئة قبله (ولو ان اهل القرى) المكذبين (آمنوا) بالله ورسلهم (واتقوا) الكفر والمعاصى (لفتحنا) بالتخفيف والتشديد (عليهم بركات من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (ولكن كذبوا) الرسل (فأخذناهم) عاقبناهم (بما كانوا يكسبون افأمن اهل القرى) المكذبون (ان يأتيهم بأسنا) عذابنا

والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم (انى عامل) ما كنت عليه من المصابرة والثبات على اسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة فى الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضى به اليه وتسحيل بان المهدد لا يأتى منه الا الشر كالمأمور به الذى لا يقدر ان يتفصى عنه (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون او فسوف تعرفون الذى يكون له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقى (انه لا يفلح الظالمون) وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة (وجعلوا) اى مشركو العرب (لله مما ذرأ) خلق (من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) روى انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لالهتهم وان راوا مالآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفى قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لا يقدر على شئ ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكى له وفى قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائى بالضم فى الموضعين وهو لغة فيه وفد جاء فى الكسر ايضا كالولد (ساء ما يحكمون حكمهم هذا (وكذلك) ومثل ذلك التزيين فى قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم) بالوأد نحرهم لآلهتهم (شركاؤهم) من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف فى العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله* فزججتها بمزجة* زج القلوص ابى مزاده* وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم بضمار فعل دل عليه زين (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة

(ولو شاء الله مافعلوه) مافعل المشركون مازين لهم اولشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك (فذرهم ومايفترون) افتراءهم اومايفترونه من الافك (وقالوا هذه) اشارة الى ماجعل لآلهتهم (انعام وحرث حجر) حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اى مضيق (لايطعمها الامن نشاء) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء (بزعمهم) من غير حجة (وانعام حرمت ظهورها) يعنى البحائر والسوائب والحوامى (وانعام لايذكرون اسم الله عليها) فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لايحجون على ظهورها (افتراء عليه) نصب على المصدر لان ماقالوه تقول على الله تعالى والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له اوعلى الحال اوعلى المفعول له والجار متعلق بمحذوف (سيجزيهم بما كانوا يفترون) بسببه اوبدله (وقالوا مافى بطون هذه الانعام) يعنون اجنة البحائر والسوائب (خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا) حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) فالذكور والاناث فيه سواء وتأنيث الخاصة للمعنى فان مافى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية ابى بكر ابن عامر فى تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما فى رواية الشعرا وهو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا اوحال من الضمير الذى فى الظرف لامن الذى فى ذكورنا ولا من الذكور لانها لاتقدم على العامل المعنوى ولاعلى صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من او مبتدأ ثان والمراد به ماكان حيا والتذكير فى فيه لان المراد بالميتة مايعم الذكر والانثى فغلب الذكر (سيجزيهم وصفهم) اى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب (انه حكيم عليم) فدخسر الذين قتلوا اولادهم) يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبى والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير (سفها بغير علم) لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لاهم ويجوز نصبه على الحال اوالمصدر (وحرموا مارزقهم الله) من البحائر ونحوها (افتراء على الله) يحتمل الوجوه المذكورة فى مثله (قد ضلوا وكانوا

(بياتا) ليلا (وهم نائمون) غافلون عنه (او من اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى) نهارا (وهم يلعبون افأمنوا مكر الله) استدراجه اياهم بالنعمة واخذهم بغتة (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اولم يهد) يتبين (للذين يرثون الارض) بالسكنى (من بعد) هلاك (اهلها ان) فاعل مخففة واسمها محذوف اى انه (لونشاء اصبناهم) بالعذاب (بذنوبهم) كما اصبنا من قبلهم والهمزة فى الموضع الاربعة للتوبيخ والفاء والواو الداخلة عليها للعطف وفى قراءة بسكون الواو فى الموضع الاول عطفا باو (و) نحن (نطبع) نختم (على قلوبهم فهم لايسمعون) الموعظة سماع تدبر (تلك القرى) التى مر ذكرها (نقص عليك) يامحمد (من انبائها) اخبار اهلها (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) المعجزات الظاهرات (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيئهم (بما كذبوا) كفروا به (من قبل) قبل مجيئهم بل استمروا

على الكفر (كذلك) الطبع (يطبع الله على قلوب الكافرين و ما وجدنا لاكثرهم) اى الناس (من عهد) اى وفاء بعهد هم يوم اخذ الميثاق (وان) مخففة (وجدنا اكثر هم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم) اى الرسل المذكورين (موسى بآياتنا) التسع (الى فرعون وملئه) قومه (فظلموا) كفروا (بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) بالكفر من اهلاكهم (وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين) اليك فكذبه فقال انا (حقيق) جدير (على ان) اى بأن (لا اقول على الله الا الحق) وفى قراءة بتشديد الياء فحقيق مبتدأ خبره ان ان ومابعده (قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى) الى الشام (بنى اسرائيل) وكان استعبدهم (قال) فرعون له (ان كنت جئت بآية) على دعواك (فأت بها ان كنت من الصادقين) فيها

مهتدين) الى الحق والصواب (وهو الذى انشأ جنات) من الكروم (معروشات) مرفوعات مايحملها (وغير معروشات) ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ماغرسه الناس فعرشوه وغير معروشات مانبت فى الجبال والبرارى (والنخل والزرع مختلفا اكله) ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقى مقيس عليه او للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك اوكل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء (والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما فى اللون والطعم ولا يتشابه بعضها (كلوا من ثمره) من ثمر كل واحد من ذلك (اذا اثمر) وان لم يدرك ولم ينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك فى الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) يريد به ماكان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة لانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لايؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه (ولا تسرفوا) فى التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط (انه لا يحب المسرفين) لا يرتضى فعلهم (ومن الانعام حمولة وفرشا) عطف على جنات او انشأ من الانعام مايحمل الاثقال ومايفرش للذبح او مايفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها (كلوا مما رزقكم الله) كلوا مما احل لكم منه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فى التحليل والتحريم من عند انفسكم (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه كلوا او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج مامعه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول (من الضأن اثنين) زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضأن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه (ومن المعز اثنين) التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى (قل آلذكرين) ذكر

الضأن وذكر المعز (حرم ام الانثيين) ام انثييهما ونصف الذكرين والانثيين يحرم (اما اشتملت عليه ارحام الانثيين) او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى (نبئونى بعلم) بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئا من ذلك (ان كنتم صادقين) فى دعوى التحريم عليه (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين) كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم شيئا من الاجناس الاربعة ذكرا كان او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة اخرى واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها (ام كنتم شهداء) بل اكنتم حاضرين مشاهدين (اذ وصاكم الله بهذا) حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبى فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحى بن قمعة المؤسس لذلك (ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحى الى) اى فى القرآن او فيما اوحى الى مطلقا وفيه تنبيه على التحريم انما يعلم بالوحى لا بالهوى (محرما) طعاما محرما (على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة) الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هى التامة وقوله (او دما مسفوحا) عطف على ان مع ما فى حيزه اى الا وجود ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا كالدم فى العروق لا كالكبد والطحال (او لحم خنزير فانه رجس) فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث (او فسقا) عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل (اهل لغير الله به) صفة له موضحة وانما سمى ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله فى الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على ما يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن فى يكون (فمن اضطر) فمن دعته الضرورة الى تناول شئ من ذلك (غير باغ) على مضطر مثله (ولا عاد) قدر الضرورة (فان ربك غفور رحيم) لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحى الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافى ورود التحريم فى شئ آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب

(فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) حية عظيمة (ونزع يده) اخرجها من جيبه (فاذا هى بيضاء) ذات شعاع (للناظرين) خلاف ما كانت عليه من الادمة (قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم) فائق فى علم السحر وفى الشعراء انه من قول فرعون نفسه فكانهم قالوه معه على سبيل التشاور (يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه) اخر امرهما (وارسل فى المدائن حاشرين) جامعين (يأتوك بكل ساحر) وفى قراءة سحار (عليم) يفضل موسى فى علم السحر فجمعوا (وجاء السحرة فرعون قالوا أئن) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين (لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما ان تلقى) عصاك (واما ان نكون نحن

بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الامع الاستصحاب (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) كل ماله اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذى مخلب وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط (الا ماحملت ظهورهما) الا ماعلقت بظهورهما (او الحوايا) اوما اشتمل على الامعاء جمع حاوية اوحاوياء كقاصعاء وقواصع اوحوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو (اوما اختلط بعظم) هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص (ذلك) التحريم اوالجزاء (جزيناهم ببغيهم) بسبب ظلمهم (وانا لصادقون) فى الاخبار والوعد والوعيد (فان كذبوك فقل ربكم ذورحمة واسعة) يمهلكم على التكذيب فلاتغتروا بامهاله فانه لايهمل (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) حين ينزل اوذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لايمكن رده عنهم (سيقول الذين اشركوا) اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه (لوشاء الله مااشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) اى ولو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلوشاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولاآباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضى عندالله لالاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله (كذلك كذب الذين من قبلهم) اى مثل هذا التكذيب لك فى ان الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ماحرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير فى اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا (حتى ذاقوا بأسنا) الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم (قل هل عندكم من علم) من امر معلوم يصح الاحتجاج به على مازعمتم (فتخرجوه لنا) فتظهروه لنا (ان تتبعون الا الظن) ماتتبعون فى ذلك الا الظن (وان انتم الا تخرصون) تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذالآية فيه (قل فلله الحجة البالغة) البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات اوبلغ بها صاحبها صحة دعواه وهى من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات

الملقين) مامعنا (قال القوا) امر للاذن بتقديم القائهم توسلا به الى اظهار الحق (فلما القوا) حبالهم وعصيهم (سحروا اعين الناس) صرفوها عن حقيقة ادراكها (واسترهبوهم) خوفوهم حيث خيلوها حيات تسعى (وجاؤا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هى تلقف) بحذف احدى التاءين فى اصل تبتلع (مايأفكون) يقلبون بتمويههم (فوقع الحق) ثبت (وبطل ماكانوا يعملون) من السحر (فغلبوا) اى فرعون وقومه (هنالك وانقلبوا صاغرين) صاروا اذليلين (والقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) لعلمهم بان ماشاهدوه من العصا لايتأتى بالسحر (قال فرعون أآمنتم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا (به) بموسى (قبل ان آذن) اتا (لكم ان هذا) الذى صنعتموه

الحكم وتطلبه (فلو شاء لهداكم اجمعين) بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين (قل هلم شهداءكم احضروهم وهلم اسم فعل لايتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث و يجمع عند بنى تميم واصله عندالبصريين هالم من اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام فانه الاصل وعندالكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لاتدخل الامر ويكون متعديا كما فى الآية ولازما كقوله هلم الينا (الذين يشهدون ان الله حرم هذا) يعنى قدرتهم فيه استحضر هلم ليلزمهم الحجة و يظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لامتمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بمايقتضى العهد بهم (فان شهدوا فلاتشهد معهم) فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده بل تسليمهم موافقة لهم فى الشهادة الباطلة (ولاتتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهواء لاغير وان متبع الحجة لايكون الامصدقا بها (والذين لايؤمنون بالاخرة) كعبدة الاوثان (وهم بربهم يعدلون) يجعلون له عديلا (قل تعالوا) امر من التعالى واصله ان يقوله من كان فى علو لمن كان فى سفل فاتسع فيه بالتعميم (اتل) اقرأ (ماحرم ربكم) منصوب بأتل ومانحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اتل اى شئ حرم ربكم (عليكم) متعلقة بحرم اواتل (ان لاتشركوا به) اى لاتشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولايمنعه تعليق الفعل المفسر بماحرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلهما النصب بعليكم على انه للاغراء اوبالبدل من مااومن عائده المحذوف على ان لا زائدة اوالجر بتقدير اللام اوالرفع على تقدير المتلو ان لاتشركوا او المحرم ان تشركوا (شيئا) يحتمل المصدر والمفعول (و بالوالدين احسانا) اى واحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهى عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ان ترك الاساءة فى شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما (ولاتقتلوا اولادكم من املاق) من اجل فقر وخشيته كقوله خشية املاق (نحن نرزقكم واياهم) منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه (ولاتقربوا الفواحش) كبائر الذنوب اوالزنى (ماظهر منها ومابطن) بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه (ولاتقتلوا النفس

(لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون) ماينالكم منى (لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) اى يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى (ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا) بعد موتنا باى وجه كان (منقلبون) راجعون فى الاخرة (وماتنقم) تنكر (منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا) عند فعل ماتوعده بنا لئلا نرجع كفارا (وتوفنا مسلمين وقال الملاء من قوم فرعون) له (أتذر) تترك (موسى وقومه ليفسدوا فى الارض) بالدعاء الى مخالفتك (ويذرك وآلهتك) وكان صنع لهم اصناما صغارا يعبدونها وقال انا ربكم وربها ولذا قال انا ربكم الاعلى (قال سنقتل) بالتشديد والتخفيف (ابناءهم) المولودين (ونستحيى) نستبقى (نساءهم) كفعلنا بهم

من قبل (وانا فوقهم قاهرون) قادرون ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو اسرائيل (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) على اذاهم (ان الارض لله يورثها) يعطيها (من يشاء من عباده والعاقبة) المحمودة (للمتقين) الله قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ماجئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون) فيها (ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين) بالقحط (ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون) يتعظون فيؤمنون (فاذا جاءتهم الحسنة) الخصب والغنى (قالوا لنا هذه) اى نستحقها ولم يشكروا عليها (وان تصبهم سيئة) جدب وبلاء (يطيروا) يتشاءموا (بموسى ومن معه) من المؤمنين (الا انما طائرهم) شؤمهم (عند الله) يأتيهم به (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان مايصيبهم من عنده

التى حرم الله الا بالحق) كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن (ذلكم) اشارة الى ماذكر مفصلا (وصاكم به) يحفظه (لعلكم تعقلون) ترشدون فان كمال العقل هو الرشد (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن) الا بالفعلة التى هى احسن مايفعل بماله كحفظه وتثميره (حتى يبلغ اشده) حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم اوشد كصروا صروقيل مفرد كانك (واوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل والسوية (لا نكلف نفسا الا وسعها) الا مايسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ايفاء الحق عسير فعليكم بما فى وسعكم وماوراءه معفو عنكم (واذا قلتم) فى حكومة ونحوها (فاعدلوا) فيها (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقول له اوعليه من ذوى قرابتكم (وبعهد الله اوفوا) يعنى ماعهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) تتعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائى تذكرون بتخفيف الذال وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها (وان هذا صراطى مستقيما) الاشارة فيه الى ماذكر فى السورة فانها باسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائى ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف وقرأ الباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله (فاتبعوه) وقرأ ابن عامر صراطى بفتح الياء وقرئ وهذا صراطى وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك (ولا تتبعوا السبل) الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبايع والعادات (فتفرق بكم) فتفرقكم وتزيلكم (عن سبيله) الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان (ذلكم) الاتباع (وصاكم به لعلكم تتقون) الضلال والتفرق عن الحق (ثم آتينا موسى الكتاب) عطف على وصاكم به وثم للتراخى فى الاخبار او للتفاوت فى الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك اتا اتينا موسى الكتاب (تماما) للكرامة والنعمة (على الذى احسن) على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذى احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ماحسنه اى اجاده من العلم والشرائع اى زيادة على علمه اتما ماله وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى على الذى هو احسن او على الوجه هو احسن مايكون عليه الكتب (وتفصيلا لكل شئ) وبيانا مفصلا لكل مايحتاج اليه

فى الدين وهو عطف على تماما و نصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر (وهدى ورحمة لعلهم) لعل بنى اسرائيل (بلقاء ربهم يؤمنون) اى بلقائه للجزاء (وهذا كتاب) يعنى القرآن (انزلناه مبارك) كثير النفع (فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) بواسطة اتباعه وهو العمل بمافيه (ان تقولوا) كراهة ان تقولوا علة لانزلناه (انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) اليهود والنصارى ولعل الاختصاص فى انما لان الباقى المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم (وان كنا) ان هى المخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اى وانه كنا (عن داستهم) قراءتهم (لغافلين) لا ندرى ماهى اولا نعرف مثلها (اوتقولوا) عطف على الاول (انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم) لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون (فقد جاءكم بينة من ربكم) حجة واضحة تعرفون بها (وهدى ورحمة) لمن تأمل فيه وعمل به (فمن اظلم ممن كذب بآيات الله) بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها (وصدف) اعرض اوصد (عنها) فضل واضل (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) شدته (بما كانوا يصدفون) باعراضهم وصدهم (هل ينظرون) اى ما ينتظرون يعنى اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين (الا ان تأتيهم الملائكة) ملائكة الموت اوالعذاب وقرأ حمزة والكسائى بالياء هنا وفى النحل (اويأتى ربك) اى امره بالعذاب اوكل آية يعنى آيات القيامة والهلاك الكل لقوله (او يأتى بعض آيات ربك) يعنى اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب رضى الله تعاعنهما كنا نتذاكر الساعة اذاشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لاتقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن (يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها) كالمحتضر اذاصار الامر عيانا والايمان برهانى وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا (اوكسبت فى ايمانها خيرا) عطف على آمنت والمعنى انه لاينفع ايمان حينئذ نفسا

وقالوا) لموسى (مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) فدعا عليهم (فارسلنا عليهم الطوفان) وهو ماء دخل بيوتهم ووصل الى حلوق الجالسين سبعة ايام (والجراد) فاكل زرعهم وثمارهم كذلك (والقمل) السوس او هو نوع من القراد فتتبع ماتركه الجراد (والضفادع) فملأت بيوتهم وطعامهم (والدم) فى مياههم (آيات مفصلات) مبينات (فاستكبروا) عن الايمان بها (وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز) العذاب (قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) من كشف العذاب عنا ان آمنا (لئن) لام قسم (كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا) بدعاء موسى (عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم

غير مقدمة ايمانها او مقدمة غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لاينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لاينفع نفسا ايمانها الذى احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا (قل انتظروا انا منتظرون) وعيد لهم اى انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل (ان الذين فرقوا دينهم) بددوه فامنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الروم فارقوا اى باينوا (وكانوا شيعا) فرقا يشيع كل فرقة اماما (لست منهم فى شئ) اى فى شئ من السؤال عنهم وعن تفرقهم او عن عقابهم او انت برئ منهم وقيل هو نهى عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف (انما امرهم الى الله) يتولى جزاءهم (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) بالعقاب (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) اى عشر حسنات امثالها فضلا من الله تعالى وقرأ يعقوب عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ماوعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) قضية للعدل (وهم لايظلمون) بنقص الثواب وزيادة العقاب (قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم) بالوحى والارشاد الى ماتنصب من الحجج (دينا) بدل من محل الى صراط اذ المعنى هدانى صراطا كقوله ويهديك صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ (قيما) فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار لزنة والمستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قواما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام (ملة ابراهيم) عطف بيان لدينا (حنيفا) حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) عطف عليه (قل ان صلاتى ونسكى) عبادتى كلها او قربانى او حجى (ومحياى ومماتى) وما انا عليه فى حياتى واموت عليه من الايمان

(فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم) البحر الملح (بأنهم) بسبب انهم (كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) لايتدبرونها (واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بالاستعباد وهم بنو اسرائيل (مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها) بالماء والشجر صفة للارض وهى الشام (وتمت كلمت ربك الحسنى) وهى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض الخ (على بنى اسرائيل بما صبروا) على اذى عدوهم (ودمرنا) اهلكنا (ماكان يصنع فرعون وقومه) من العمارة (وماكانوا يعرشون) بكسر الراء وضمها يرفعون من البنيان (وجاوزنا) عبرنا (ببنى اسرائيل البحر فأتوا) فمروا (على قوم يعكفون) بضم الكاف وكسرها (على اصنام لهم) يقيمون على عبادتها (قالوا ياموسى اجعل لنا الها) صنما نعبده (كما لهم

والطاعة او طاعات الحيات والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحياة والممات انفسهما وقرأ نافع محياى باسكان الياء اجرآ للوصل مجرى الوقف (لله رب العالمين لاشريك له) خالصة له لاشرك فيها غيرا (وبذلك) القول والاخلاص (امرت وانا اول المسلمين) لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام امته (قل اغير الله ابغى ربا) فاشركه فى عبادتى وهو جواب عن دعائهم له عليه السلام الى عبادة آلهتهم (وهو رب كل شئ) حال فى موقع العلة للانكار والدليل له اى وكل ماسواه مربوب مثلى لايصلح للربوبية (ولاتكسب كل نفس الا عليها) فلا ينفعنى فى ابتغاء رب غيره ماانتم عليه من ذلك (ولاتزر وازرة وزر اخرى) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (ثم الى ربكم مرجعكم) يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بتبيين الرشد من الغى وتمييز المحق من المبطل (وهو الذى جعلكم خلائف الارض) يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله فى الارض تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) فى الشرف والغنى (ليبلوكم فيما آتاكم) من الجاه والمال (ان ربك سريع العقاب) لان ماهو آت قريب اولانه يسرع اذا اراده (وانه لغفور رحيم) وصف العقاب ولم يضف الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى بناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قيل العقوبة مسامح فيها * عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى الله عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة (سورة الاعراف مكية الا ثمان آيات من قوله واسألهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكم وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس اوست آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المص) سبق الكلام فى مثله (كتاب) خبر مبتدأ محذوف اى هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرء آن (انزل اليك) صفته (فلايكن فى صدرك حرج منه) اى شك فان الشاك حرج الصدر اوضيق قلب من

آلهة قال انكم قوم تجهلون) حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه (ان هؤلاء متبر) هالك (ما هم فيه وباطل ماكانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها) معبودا واصلة ابغى لكم (وهو فضلكم على العالمين) فى زمانكم بماذكره فى قوله (و) اذكروا (اذ انجيناكم) وفى قراءة انجاكم (من آل فرعون يسومونكم) يكلفونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) اشده وهو (يقتلون ابناءكم ويستحيون) يستبقون (نساءكم وفى ذلكم) الانجاء او العذاب (بلاء) انعام او ابتلاء (من ربكم عظيم) أفلا تتعظون فتتنهون عما قلتم (وواعدنا) بألف ودونها (موسى ثلاثين ليلة) نكلمه عند انتهائها بان يصوم فيها وهى ذوالقعدة فصامها فلما تمت انكر خلوف فمه فاستاك فامره الله بعشرة اخرى ليكلمه بخلوف

تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر فى القيام بحقه وتوجيه النهى اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكأنه قيل اذا نزل اليك لتنذر به فلا يخرج صدرك منه (لتنذر به) متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه (وذكرى للمؤمنين) يحتمل النصب باضمار فعلها اى لتنذر ولتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم) يعم القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (ولا تتبعوا من دونه اولياء) يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير فى من دونه لما انزل اى ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا (قليلا ما تذكرون) اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قلبلا يتذكرون وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبى صلى الله عليه وسلم (وكم من قرية) وكثيرا من القرى (اهلكناها) اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان (فجاءها) فجاء اهلها (بأسنا) عذابنا (بياتا) بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال (او هم قائلون) عطف عليه اى قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفى عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لاكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفى التعبيرين مبالغة فى غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع (فما كان دعواهم) اى دعاؤهم او استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم (اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين) الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه (فلنسأل الذين ارسل اليهم) عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل (ولنسألن المرسلين) عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفى فى قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول فى موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة (فلنقصن عليهم) على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه (بعلم) عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلوم منا منهم (وما كنا غائبين) عنهم فيخفى

فه كما قال تعالى (واتممناها بعشر) من ذى الحجة (فتم ميقات ربه) وقت وعده بكلامه اياه (اربعين) حال (ليلة) تمييز (وقال موسى لاخيه هرون) عند ذهابه الى الجبل للمناجاة (اخلفنى) كن خليفتى (فى قومى واصلح) امرهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) بموافقتهم على المعاصى (ولما جاء موسى لميقاتنا) اى للوقت الذى وعدناه بالكلام فيه (وكلمه ربه) بلا واسطة كلاما سمعه من كل جهة (قال رب ارنى) نفسك (انظر اليك قال لن ترانى) اى لا تقدر على رؤيتى والتعبير به دون لن ارى يفيد امكان رؤيته تعالى (ولكن انظر الى الجبل) الذى هو اقوى منك (فان استقر) ثبت (مكانه فسوف ترانى) اى تثبت لرؤيتى والا فلا طاقة لك (فلما تجلى ربه) اى ظهر من نوره قدر نصف انملة الخنصر كما فى حديث صححه الحاكم (للجبل جعله دكا) بالقصر والمد اى مدكوكا مستويا بالارض

علينا شئ من احوالهم (والوزن) اى القضاء اووزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهار للعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم ويشهد بها جوارحهم ويؤيده ماروى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فتنشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مدالبصر فتخرج له بطاقة فيها كلمة الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما روى انه عليه السلام قال ليأتى العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة (يومئذ) خبر المبتدأ الذى هو الوزن (الحق) صفة اوخبر محذوف ومعناه العدل السوى (فمن ثقلت موازينه) حسناته اومايوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون اوميزان (اولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والثواب (ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم) بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها وافتراف ماعرضها للعذاب (بما كانوا بآياتنا يظلمون) فيكذبون بدل التصديق (ولقد مكناكم فى الارض) اى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزة تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف (قليلا ماتشكرون) فيما صنعت اليكم (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورنا (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وقيل ثم قلنا لتأخير الاخبار (فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) ممن سجد لآدم (قال مامنعك ان لاتسجد) اى ان تسجد ولاصلة مثلها فى لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشئ مضطر الى خلافه فكانه قيل ماالجأك الى ان لاتسجد (اذ امرتك) دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور (قال انا خير منه) جواب من حيث المعنى استأنف به استبعاد الان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كانه قال المانع انى خير منه ولايحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا (خلقتنى من نار

(وخر موسى صعقا) مغشيا عليه لهول مارأى (فلما افاق قال سبحانك) تنزيها لك (تبت اليك) من سؤال مالم اومر به (وانا اول المؤمنين) فى زمانى (قال) تعالى له (ياموسى انى اصطفيتك) اخترتك (على الناس) اهل زمانك (برسالاتى) بالجمع والافراد (وبكلامى) اى تكليمى اياك (فخذ ماآتيتك) من الفضل (وكن من الشاكرين) لانعمى (وكتبنا له فى الالواح) اى الواح التوراة وكانت من سدر الجنة اوزبرجد اوزمرد سبعة اوعشرة (من كل شئ) يحتاج اليه فى الدين (موعظة وتفصيلا) تبيينا (لكل شئ) بدله من الجار والمجرور قبله (فخذها) قبله قلنا مقدرا (بقوة) بجد واجتهاد (وامر قومك ياخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين) فزعون واتباعه وهى مصر لتعتبروا بهم (سأصرف عن آياتى) دلائل قدرتى من المصنوعات وغيرها (الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق) بان اخذلهم فلا

يتفكرون فيها (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل) طريق (الرشد) الهدى الذى جاء من عند الله (لا يتخذوه سبيلا) يسلكوه (وان يروا سبيل الغى) الضلال (يتخذوه سبيلا ذلك) الصرف (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) تقدم مثله (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) البعث وغيره (حبطت) بطلت (اعمالهم) ما عملوه فى الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه (هل) ما (يجزون الا) جزاء (ما كانوا يعملون) من التكذيب والمعاصى (واتخذ قوم موسى من بعده) اى بعد ذهابه الى المناجاة (من حليهم) الذى استعاروه من قوم فرعون بعلة عرس فبقى عندهم (عجلا) صاغه لهم منه السامرى (جسدا) بدل لحما ودما (له خوار) اى صوت يسمع نقلب كذلك بوضع التراب الذى اخذه من حافر فرس جبريل فى فمه فان اثره الحياة فيما يوضع فيه ومفعول اتخذ الثانى محذوف اى الها (الم يروا انه لا يكلمهم

وخلقته من طين) تعليل لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار بقوله تعالى * مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى * اى بغير واسطة وباعتبار الصورة كنايه عليه بقوله ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والسفاد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزاء الغالب (قال فاهبط منها) من السماء او الجنة (فما يكون لك) فما يصح (ان تتكبر فيها) وتعصى فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه (فاخرج انك من الصاغرين) ممن اهانه الله لكبره قال عليه الصلاة والسلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله (قال انظرنى الى يوم يبعثون) امهلنى الى يوم القيامة فلا تمتنى او لا تعجل عقوبتى (قال انك من المنظرين) يقتضى الاجابة الى ماسأله ظاهرا لكنه محمول على ماجاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى اروقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته (قال فبما اغويتنى) اى بعد ان امهلتنى لاجتهدن فى اغوائهم باى طريق يمكننى بسبب اغوائك اياى بواسطتهم تسمية اوجعلا على الغى او تكليفا بما اغويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لاباقعدن قال اللام تصدعنه وقيل الباء للقسم (لاقعدن لهم) ترصدا لهم كما يفعد القاطع للسابلة (صراطك المستقيم) طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله * كما عسل الطريق الثعلب * وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضربت زيدا الظهر والبطن (ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم) اى من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل واضلال من اى وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش الناس وعن ابن عباس رضى الله عنهما من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم

من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لايعلمون ولايقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخيرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه (ولاتجد اكثرهم شاكرين) مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لمارأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة (قال اخرج منها مذؤما) مذموما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول فى مسؤل اوكمكول فى مكيل من ذامه يذيمه ذيما (مدحورا) مطرودا (لمن تبعك منهم) اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه (لأملان جهنم منكم اجمعين) وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد اوعلة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب (ويآآدم) اى وقلنا ياآدم (اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة) وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء (فتكونا من الظالمين) فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب (فوسوس لهما الشيطان) اى فعل الوسوسة لاجلهما وهى فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق فى سورة البقرة كيفية وسوسته (ليبدى لهما) ليظهر لهما واللام للعاقبة اوللغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوء هما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع (ماووارى عنهما من سوءآتهما ماغطى عنهما من عوراتهما وكانا لايريانها من انفسهما ولااحدهما من الآخر وانما لم يقلب الواو المضمومة همزة فى المشهور كما قلبت فى اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها (قال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا) الا كراهة ان تكونا (ملكين اوتكونا من الخالدين) الذين لايموتون اويخلدون فى الجنة واستدل به على ولايهديهم سبيلا) فكيف يتخذالها (اتخذوه) الها (وكانوا ظالمين) باتخاذه (ولما سقط فى ايديهم) اى ندموا على عبادته (ورأو) علموا (انهم قد ضلوا) بها وذلك بعد رجوع موسى (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) بالياء والتاء فيهما (لنكونن من الخاسرين ولمارجع موسى الى قومه غضبان) من جهتهم (اسفا) شديد الحزن (قال) لهم (بئسما) اى بئس خلافة (خلفتمونى) ها (من بعدى) خلافتكم هذه حيث اشركتم (اعجلتم امر ربكم والقى الالواح) الواح التوراة غضبا لربه فتكسرت (واخذ برأس اخيه) اى بشعره بيمينه ولحيته بشماله (يجره اليه) غضبا (قال) يا (ابن ام) بكسر الميم وفتحها اراد امر وذكرها اعطف لقلبه (ان القوم استضعفونى وكادوا) قاربوا (يقتلوننى فلاتشمت) تفرج (بى الاعداء) باهانتك اياى (ولاتجعلنى مع القوم الظالمين) بعبادة العجل فى المؤاخذة (قال رب اغفرلى) ماصنعت باخى (ولأخى) شركه فى الدعاء

فضل الملائكة على انبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقايق لاتنقلب انما كانت رغبتهما فى ان يحصل لهما ايضا ماللملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لايدل على فضلهم مطلقا (وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين) اى اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسماله بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمه (فدلاهما) فنزلهما الى الاكل من الشجرة نسبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من اعلى الى اسفل (بغرور) بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لايحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما) اى فلما وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف فى ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا (وطفقا يخصفان) اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة (عليهما من ورق الجنة) قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان واصله يختصفان (وانادا هما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم (قالا ربنا ظلمنا انفسنا) اصررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة (وان لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لاتجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات (قال اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم مفترقا (بعضكم لبعض عدو) فى موضع الحال اى متعادين (ولكم فى الارض مستقر) استقرار او موضع استقرار (ومتاع) وتمتع (الى حين) الى تقضى آجالكم (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) للجزاء وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون وفى الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء (يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا) اى خلقناه

ارضاء له ودفعا للشماتة به (وادخلنا فى رحمتك وانت ارحم الراحمين) قال تعالى (ان الذين اتخذوا العجل) الها (سينالهم غضب) عذاب (من ربهم وذلة فى الحيوة الدنيا) فعذبوا بالامر بقتل انفسهم وضربت عليهم الذلة الى يوم القيامة (وكذلك) كما جزيناهم (نجزى المفترين) على الله بالاشراك وغيره (والذين عملوا السيأت ثم تابوا) رجعوا عنها (من بعدها وآمنوا) بالله (ان ربك من بعدها) اى التوبة (لغفور) لهم (رحيم) بهم (ولما سكت) سكن (عن موسى الغضب اخذ الالواح) التى القاها (وفى نسختها) اى ما نسخ فيها اى كتب (هدى) من الضلالة (ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) يخافون وادخل اللام على المفعول لتقدمه (واختار موسى قومه) اى من قومه (سبعين رجلا) ممن لم يعبد العجل بامره تعالى (لميقاتنا) اى للوقت الذى وعدناه باتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة اصحابهم العجل

لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله تعالى وانزل لكم من الانعام وقوله تعالى وانزلنا الحديد (يوارى سوآتكم التى قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة يقولون لانطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم فى ذلك كما اغوى ابويهم (وريشا) ولباسا تجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب (ولباس التقوى) خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره (ذلك خير) او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس بالنصب عطفا على لباسا (ذلك) اى انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته (لعلهم يذكرون) فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح (يابنى آدم لايفتننكم الشيطان) لايمحننكم بمنعكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم (كما اخرج ابويكم من الجنة) كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهى فى اللفظ الشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب (انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم تعليل للنهى وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا حيث لانراهم فى الجملة لاتقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا (انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لايؤمنون) بما اوجدنا بينهم من التناسب اوبارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ماسولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية (واذا فعلوا فاحشة) فعلة متناهية فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى الطواف (قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها) اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء ولاافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثانى بقوله (قل ان الله لايأمر بالفحشاء) لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولادلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلى فان المراد بالفاحشة ماينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لمافعلتموها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا

فخرج بهم (فلما اخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة قال ابن عباس لانهم لم يزايلوا قومهم حين عبد العجل قال وهم غير الذين سألوا الرؤية واخذتهم الصاعقة (قال) موسى (رب لو شئت اهلكتهم من قبل) اى قبل خروجى بهم ليعاين بنو اسرائيل ذلك ولايتهموني (واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا) استفهام استعطاف اى لاتعذبنا بذنب غيرنا (ان) ما (هى) اى الفتنة التى وقعت فيها السفهاء (الا فتنتك) ابتلاؤك (تضل بها من تشاء) اضلاله (وتهدى من تشاء هدايته (انت ولينا) متولى امورنا (فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب) اوجب (لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة) حسنة (انا هدنا) تبنا (اليك قال) تعالى (عذابى اصيب به من اشاء) تعذيبه (ورحمتى وسعت) عمت (كل شئ) فى الدنيا (فسأكتبها) فى الآخرة (للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الامى (محمدا

فقيل ومن اين اخذ اباؤكم فقالوا الله امر نابها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لامطلقا (اتقولون على الله مالاتعلمون انكار يتضمن النهى عن الافتراء على الله (قل امر ربى بالقسط) بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافى عن طرفى الافراط والتفريط (واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة (عندكل مسجد) فى كل وقت سجود اومكانه وهو الصلاة او فى اى مسجد حضرتكم الصلاة ولاتؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) اى الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم) كما انشأكم ابتداء (تعودون) باعادته فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم (فريقا هدى) بان وفقهم للايمان (وفريقا حق عليهم الضلالة) بمقتضى القضاء السابق واتصابه بفعل يفسره مابعده اى وخذل فريقا (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله) تعليل لحذلانهم او تحقيق لضلالتهم (ويحسبون انهم مهتدون) يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء فى استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر فى النظر (يابنى آدم خذوا زينتكم) ثيابكم لمواراة عوراتكم (عندكل مسجد) لطواف اوصلاة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلاة (وكلوا واشربوا) ماطاب لكم روى ان بنى عامر فى ايام حجهم كانوا لايأكلون الطعام الاقوتا ولايأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت (ولاتسرفوا) بتحريم الحلال اوبالتعدى الى الحرام اوبافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ماشئت والبس ماشئت مااخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال على ابن الحسنين واقدبن قدجمع الله الطب فى نصف آية فقال وكلوا واشربوا ولاتسرفوا (انه لايحب المسرفين) اى لايرتضى فعلهم (قل من حرم زينة الله) من الثياب وسائر مايتجمل به (التى اخرج لعباده) من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع (والطيبات من الرزق) المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة

صلى الله عليه وسلم (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) باسمه وصفته (يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات) مماحرم فى شرعهم (ويحرم عليهم الخبائث) من الميتة ونحوها (ويضع عنهم اصرهم) ثقلهم (والاغلال) الشدائد (التى كانت عليهم) كقتل النفس فى التوبة وقطع اثر النجاسة (فالذين آمنوا به) منهم (وعزروه) وقروه (ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه) اى القرآن (اولئك هم المفلحون قل) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لااله الاهو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته) القرآن (واتبعوه لعلكم تهتدون) ترشدون (ومن قوم موسى امة) جماعة (يهدون) الناس (بالحق وبه يعدلون) فى الحكم (وقطعناهم) فرقنا بنى اسرائيل (اثنتى عشرة) حال (اسباطا)

لان الاستفهام فى من للانكار (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا) بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع (خالصة يوم القيامة) لايشاركهم فيها غيرهم وانتصار بها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم (قل انما حرم ربى الفواحش) مانزايد قبحه وقيل مايتعلق بالفروج (ماظهر منها ومابطن) جهرها وسرها (والاثم) ومايوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر (والبغى) الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة (بغير الحق) متعلق بالبغى مؤكدله معنى (وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع مالم يدل عليه برهان (وان تقولوا على الله مالا تعلمون) بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها (ولكل امة اجل) مدة اووقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة (فاذا جاء اجلهم) انقرضت مدتهم اوحان وقتهم (لايستأخرون ساعة ولايستقدمون) اى لايتأخرون ولايتقدمون اقصر وقت اولايطلبون التاخر والتقدم لشدة الهول (يابنى آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى) شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه (فمن اتقى واصلح فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفا فى خبر الاول دون الثانى للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته) ممن تقول على الله مالم يقله او كذب ماقاله (اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح المحفوظ اى مما ثبت لهم فيه (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) اى يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية ينالهم وهى التى يبتدأ بعدها الكلام (قالوا) جواب اذا (اينما كنتم تدعون من دون الله) اين الآلهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت باين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة (قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا (وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه (قال ادخلوا

بدل منه اى قبائل (امما) بدل مما قبله (واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه) فى التيه (ان اضرب بعصاك الحجر) فضربه (فانبجست) انفجرت (منه اثنتا عشرة عينا) بعدد الاسباط (قد علم كل اناس) سبط منهم (مشربهم وظللنا عليهم الغمام) فى التيه من حر الشمس (وانزلنا عليهم المن والسلوى) هما الترنجبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر وقلنا لهم كلوا من طيبات مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون) واذكر (اذقيل لهم اسكنوا هذه القرية) بيت المقدس (وكلوا منها حيث شئتم وقولوا) امرنا (حطة وادخلوا الباب) اى باب القرية (سجدا) سجود انحناء (نغفر) بالنون والتاء مبنيا للمفعول (لكم خطاياكم سنزيد المحسنين) بالطاعة ثوابا (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم) فقالوا حبة فى شعرة ودخلوا يرحفون على آستاههم (فارسلنا عليهم رجزا) عذابا (من السماء بما كانوا يظلمون واسألهم)

اى قال الله لهم يوم القيامة او احد من الملائكة (فى امم قد خلت من قبلكم اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم يوم القيامة (من الجن والانس) يعنى كفار الامم الماضية من النوعين (فى النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت امة اى فى النار (لعنت اختها) التى ضلت بالاقتداء بها (حتى اذا ادركوا فيها جميعا) اى تداركوا وتلاحقوا فى النار (قالت اخراهم) دخولا او منزلة وهم الاتباع (لاولاهم) اى لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم (ربنا هؤلاء اضلونا) سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم (فآتهم عذابا ضعفا من النار) مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا (قال لكل ضعف) اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم (ولكن لا تعلمون) مالكم اوما لكل فريق وقرأ عاصم برواية ابى بكر بالياء على الانفصال (وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) من قول القادة اومن قول الفريقين (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها) اى عن الايمان بها (لا تفتح لهم ابواب السماء) لادعيتهم واعمالهم اولارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التأنيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للايات وبالياء على ان الفعل لله (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) اى حتى يدخل ماهو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالجبل وهى الحبل الغليظ من القنب وقيل جبل السفينة وسم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو الخياط ما يخلط به كالحزام والمحزم (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف (وكذلك نجزى الظالمين) عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم

يا محمد توبيخا (عن القرية التى كانت حاضرة البحر) مجاورة بحر القلزم وهى ايلة ماوقع باهلها (اذ يعدون) يعتدون (فى السبت) بصيد السمك المامورين بتركه فيه (اذ) ظرف ليعدون (تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) ظاهرة على الماء (ويوم لا يسبتون) لا يعظمون اى سائر الايام (لا تأتيهم) ابتلاء من الله (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) ولما صادوا السمك افترقت القرية اثلاثا ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث امسكوا عن الصيد والنهى (واذ) عطف على اذ قبله (قالت امة منهم) لم تصدو لم تنه لمن نهى (لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا) موعظتنا (معذرة) نعتذر بها (الى ربكم) لئلا تنسب الى تقصير فى ترك النهى (ولعلهم يتقون) الصيد (فلما نسوا) تركوا (ما ذكروا) وعظوا (به) فلم يرجعوا (انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء بعذاب بئيس) شديد (بما كانوا يفسقون) فلما عتوا)

بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا الاوسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) على عادته -بحانه وتعالى في ان يشفع الوعد بالوعيد ولانكلف نفسا الاوسعها اعتراض بين المبتدأ وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لاتكلف نفس (ونزعنا مافي صدورهم من غل) اى نخرج من قلوبهم اسباب الغلى او نظهرها منه حتى لايكون بينهم الاالتواد وعن على كرم الله وجهه انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تجرى من تحتهم الانهار) زيادة في لذتهم وسرورهم (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) لما جزاؤه هذا (وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله) لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتأكيد النفى وجواب لولا محذوف دل عليه ماقبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتعجبا بان ماعلموه يقينا في الدنيا صار لهم عن اليقين في الآخرة (ونودوا ان تلكم الجنة) اذا رأوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات (اورثتموها بما كنتم تعملون) اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة اوخبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع الخمسة هى المخففة اوالمفسرة لان المناداة والتأذين من القول (ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا) انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ماوعدكم كما قال ماوعدنا لان ماساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا وعدة بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة (قالوا نعم) وقرأ الكسائى بكسر العين وهما لغتان (فأذن مؤذن) قيل هو صاحب الصور (بينهم) بين الفريقين (ان لعنة الله على الظالمين) وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال (الذين يصدون عن سبيل الله) صفة للظالمين مقررة اوذم مرفوع او منصوب (ويبغونها عوجا) زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعانى والاعيان مالم تكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح

تكبروا (عن) ترك مانهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) صاغرين فكانوها وهذا تفصيل لماقبله قال ابن عباس ما ادرى مافعل بالفرقة الساكنة وقال عكرمة لم تهلك لانها كرهت مافعلوه وقالت لم تعظون الخ وروى الحاكم عن ابن عباس انه رجع اليه وأعجبه (واذ تأذن) اعلم (ربك ليبعثن عليهم) اى اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) بالذل وأخذ الجزية فبعث عليهم سليمان وبعده بختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث نبينا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم (ان ربك لسريع العقاب) لمن عصاه (وانه لغفور) لاهل طاعته (رحيم) بهم (وقطعناهم) فرقناهم (في الارض امما) فرقا (منهم الصالحون ومنهم) ناس (دون ذلك) الكفار الفاسقون (وبلوناهم بالحسنات) بالنعم (والسيآت) النقم (لعلهم يرجعون) عن فسقهم (فخلف من بعدهم

(وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب) اى بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور اوبين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى (وعلى الاعراف) وعلى اعراف الحجاب اى على اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ماارتفع من الشئ فانه يكون بظهوره اعرف من غيره (رجال) طائفة من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله فيهم مايشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء اوالشهداء اوخيار المؤمنين وعلمائهم اوملائكة يرون فى صورة الرجال (يعرفون كلا) من اهل الجنة والنار (بسيماهم) بعلامتهم التى اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها فى المرعى معلمة امن وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام اوتعليم الملائكة (ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم) اى اذانظروا اليهم سلموا عليهم (لم يدخلوها وهم يطمعون) حال من الواوعلى الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه (واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا) نعوذ بالله (ربنالاتجعلنا مع القوم الظالمين) اى فى النار (ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم) من رؤساء الكفرة (قالوا ماأغنى عنكم جمعكم) كثرتكم اوجمعكم المال (وما كنتم تستكبرون) عن الحق اوعلى الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة (اهؤلاء الذين اقسمتم لاينالهم الله برحمة) من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحقرونهم فى الدنيا ويحلفون ان الله لايدخلهم الجنة (ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاانتم تحزنون) اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهواوفق للوجوه الاخيرة اوقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ماتقدم اوقيل لماعيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لايدخلون الجنة فقال الله اوبعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لاخوف عليكم (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء) اى صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار (اوممارزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة اومن الطعام كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) منعهما عنهم منع المحرم عن المتكلف

خلف ورثوا الكتاب) التوراة عن آبائهم (يأخذون عرض هذا الادنى) اى حطام هذا الشئ لدنئ اى الدنيا من حلال وحرام (ويقولون سيغفر لنا مافعلناه (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) الجملة حال اى يرجون المغفرة وهم عائدون الى مافعلوه مصرون عليه وليس فى التوراة وعد المغفرة مع الاصرار (ألم يؤخذ) استفهام تقرير (عليهم ميثاق الكتاب) الاضافة بمعنى فى (ان لايقولوا على الله الا الحق ودرسوا) عطف على يؤخذ قرؤا (مافيه) فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة اليه مع الاصرار (والدار الاخرة خير للذين يتقون) الحرام (افلايعقلون) بالياء والتاء انها خير فيؤثرونها على الدنيا (والذين يمسكون) بالتشديد والتخفيف (بالكتاب) منهم (واقاموا الصلوة) كعبدالله بن سلام واصحابه (انالانضيع اجر المصلحين) الجملة خبر الذين وفيه وضع لظاهر موضع المضمر اى اجرهم

(الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) كتحريم البحيرة والتصدية والمكاء حول البيت واللهو صرف الهم بمالا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بمالا يحسن ان يطلب به (وغرتهم الحيـاة الدنيا فاليوم ننساهم) نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم فى النار (كما نسوا لقاء يومهم هذا) فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له (وما كانوا بآياتنا يجحدون) وكما كانوا منكرين انها من عند الله (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة (على علم) عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اى على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) حال من الهاء (هل ينظرون)هل ينتظرون (الا تأويله)الا مايؤل اليه امره من تبين صدقه بظهور مانطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل) تركوه ترك الناسى (قد جاءت رسل ربنا بالحق)اى قد تبين انهم جاؤا بالحق (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) اليوم (او نرد) او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا اولان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين الشفاعة اوردهم الى الدنيا وعلى الثانى ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين اولامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذى كنا نعمل)جواب الاستفهام الثانى وقرئ بالرفع اى فنحن نعمل (قد خسروا انفسهم)بصرف اعمارهم فى الكفر (وضل عنهم ما كانوا يفترون)بطل عنهم فلم ينفعهم (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام)اى فى ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او فى مقدار ستة ايام فان المتعارف اليوم فى زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختبار واعتبار للنظار وحث على التأنى فى الامور (ثم استوى على العرش) استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك (يغشى الليل النهار) يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به اولان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب

(و) اذكر (اذ نتقنا الجبل) رفعناه من اصله (فوقهم كأنه ظلة وظنوا) ايقنوا انه واقع بهم) ساقط عليهم بوعد الله اياهم بوقوعه ان لم يقبلوا احكام التوراة وكانوا ابوها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم بقوة) بجد واجتهاد (واذكروا مافيه) العمل به (لعلكم تتقون و) اذكر (اذ) حين (اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم) بدل اشتمال مما قبله باعادة الجار (ذرياتهم) بان اخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلا بعد نسل كنحو مايتوالدون كالذر بنعمان يوم عرفة و نصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا (واشهدهم على انفسهم) قال (الست بربكم قالوا بلى) انت ربنا (شهدنا) بذلك والاشهاد (ان) لا (يقولوا) بالياء والتاء فى الموضعين اى الكفار (يوم القيامة انا كنا عن هذا) التوحيد (غافلين) لانعرفه (او يقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل) اى قبلنا (وكنا

ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم (افتهلكنا) تعذبنا (بما فعل المبطلون) من آبائنا بتأسيس الشرك المعنى لايمكنهم لاحتجاج بذلك مع اشهادهم على انفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره فى النفوس (وكذلك نفصل الآيات) نبينها مثل مابينا الميثاق ليتدبروها (ولعلهم يرجعون) عن كفرهم (واتل) يامحمد (عليهم) اى اليهود (نبأ) خبر (الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بنى اسرائيل سئل ان يدعو على موسى واهدى اليه شئ فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره (فأتبعه الشيطان) فادركه فصار قرينة (فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه) الى منازل العلماء (بها) بان نوفقه للعمل (ولكنه اخلد) سكن (الى الارض) اى الدنيا ومال اليها (واتبع هواه) فى دعائه اليها فوضعناه (فمثله) صفته (كمثل الكلب ان تحمل عليه)

وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفى الرعد للدلالة على التكرير (يطلبه حثيثا) يعقبه سريعا كالطالب له لايفصل بينهما شئ والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره) بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر (ألا له الخلق والامر) فانه الموجد والمتصرف (تبارك الله رب العالمين) تعالى بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذى له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض فى يومين اى مافى جهة السفل فى يومين ثم انشأ انواع الموالد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله وخلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام اى اليومين الاولين لقوله تعالى فى سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكرير الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص (انه لايحب المعتدين) المجاوزين ماامروا به فى الدعاء وغيره نبه به على ان الداعى ينبغى ان لايطلب مالايليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وماقرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لايحب المعتدين (ولاتفسدوا

فى الارض)بالكفر والمعاصى (بعد اصلاحها) ببعث الانبياء وشرع الاحكام (وادعوه خوفا وطمعا) ذوى خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع فى اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته (ان رحمة الله قريب من المحسنين) ترجيح للطمع وتنبيه على مايتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم اولانه صفة محذوف اى امر قريب اوعلى تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول اوالذى هو مصدر كالنقيض اوللفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره (وهو الذى يرسل الرياح)وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على الوحدة (بشرا) جمع نشور بمعنى ناشر وقرا ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائى نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر فى موضع الحال بمعنى ناشرات اومفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات اوللبشارة و بشرى (بين يدى رحمته) قدام رحمته يعنى المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه (حتى اذا اقلت سحابا) اى حملته واشتقاقه من القلة فان المقل للشئ يستقله (ثقالا) بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب (سقناه) اى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ (لبلد ميت)اى لاجله اولاحيائه اولسقيه وقرئ ميت(فانزلنا به الماء)بالبلد اوبالسحاب اوبالسوق اوبالريح وكذلك(فاخرجنا به) ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق فى الاول وللظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببية فيهما(من كل الثمرات)من كل انواعها (كذلك نخرج الموتى) الاشارة فيه الى اخراج الثمرات اوالى احياء البلد الميت اى كما تحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث وتحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس (لعلكم تذكرون) فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا (والبلد الطيب) الارض الكريمة التربة (يخرج نباته باذن ربه) بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة (والذى خبث) كالحرة والسبخة (لايخرج الا نكدا) قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذى خبث لايخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه بالطرد والزجر (يلهث) يدلع لسانه (او)ان(تتركه يلهث) وليس غيره من الحيوان كذلك وجملتا الشرط حال اى لاهثا ذليلا بكل حال والقصد التشبيه فى الوضع والخسة بقرينة الفاء المشعرة بترتيب مابعدها على ماقبلها من الميل الى الدنيا واتباع الهوى وبقرينة قوله (ذلك) المثل (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص) على اليهود (لعلهم يتفكرون) يتدبرون فيها فيؤمنون (ساء) بئس (مثلا القوم) اى مثل القوم (الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون) بالتكذيب (من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها) الحق (ولهم اعين لايبصرون بها) دلائل قدرة الله بصر اعتبار (ولهم آذان لايسمعون بها) الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ (اولئك كالانعام) فى عدم الفقه والبصر والاستماع

مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرجه اى يخرجه البلد فيكون الانكدا مفعولا و نكدا على المصدر اى ذانكد و نكدا بالاسكان للتخفيف (كذلك نصرف الآيات) نرددها و نكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله فيتفكرون فيها و يعتبرون بها والآية مثل تدبر الآيات وانتفع لها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها (لقد ارسلنا نوحا الى قومه) جواب قسم محذوف ولايكاد تطلق هذه اللام الامع قدلانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ماصدربها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبى بعده بعث وهو ابن خمسين سنة اواربعين (فقال ياقوم اعبدوا الله) اى اعبدوه وحده لقوله تعالى (مالكم من اله غيره) وقرئ الكسائى غيره بالكسر نعتا اوبدلا على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من التى تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء (انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) اى ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعى الى عبادته واليوم يوم القيامة اويوم نزول الطوفان (قال الملأ من قومه) اى الاشراف فانهم يملأون العيون روآء (انا لنراك فى ضلال) فى زوال عن الحق (مبين) بين (قال ياقوم ليس بى ضلالة) اى شئ من الضلال بالغ فى النفى كما بالغا فى الاثبات وعرض لهم به (ولكنى رسول من رب العالمين) استدراك باعتبار مايلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكنى على هدى فى الغاية لانى رسول من الله (ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله مالاتعلمون) صفات لرسول اواستئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابوعمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها اوالتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام اولان المراد بها ماوحى اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام فى لكم للدلالة على المحاض النصح لهم وفى اعلم من الله تقرير ولماوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه اومن جهته بالوحى اشياء لاعلم لكم بها (اوعجبتم) الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اى اكذبتم وعجبتم (ان جاءكم) من ان جاءكم (ذكر من ربكم) رسالة اوموعظة (على رجل) على لسان رجل (منكم) من جملتكم اومن جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لوشاء الله لانزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين (لينذركم) عاقبة الكفر والمعاصى (ولتتقوا) منهما بسبب الانذار (ولعلكم ترحمون) بالتقوى وفائدة حرف الترجى التنبيه

(بل هم أضل) من الانعام لانها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة (اولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الاحسن (فادعوه) سموه (بها وذروا) تركوا (الذين يلحدون) من الحد ولحد يميلون عن الحق (فى اسمائه) حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم كاللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان (سيجزون) فى الآخرة جزاء (ماكانوا يعملون) وهذا قبل الامر بالقتال (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما فى حديث (والذين كذبوا بآياتنا) القرآن من اهل مكة (سنستدرجهم) ناخذهم قليلا قليلا (من حيث لايعلمون واملى لهم) امهلهم (ان كيدى متين شديد لايطاق (أولم يتفكروا) فيعلموا (مابصاحبهم) محمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) جنون (ان) ما (هو الانذير

على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقى ينبغى ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله (فكذبوه فانجيناه والذين معه) وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به (فى الفلك) متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او من الضمير فى معه (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (انهم كانوا قوما عمين) عمى القلوب غير مستبصرين واصله عمين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالة على الثبات (والى عاد اخاهم) عطف على نوحا الى قومه (هودا) عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب للواحد منهم فانه هود بن عبدالله بن رياح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هو هود بن شالخ بن فخشد بن سام ابن عم ابى عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله واعرف فى اقتفائه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) استأنف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فماقال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم (افلا تتقون) عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال (قال الملأ الذين كفروا من قومه) اذ كان اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد (انا لنراك فى سفاهة متمكنا من خفة عقل وراسخا فيها حيث فارقت دين قومك (وانا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) سبق تفسيره وفى اجابة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغى لكل ناصح وفى قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين وقرأ ابو عمرو ابلغكم فى الموضعين فى هذه السورة والاحقاف مخففا (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) اى فى مساكنهم او فى الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شجر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه (وزادكم فى الخلق بسطة) قامة وقوة (فاذكروا آلاء الله) وهو تعميم بعد تخصيص (لعلكم تفلحون) لكى يقضى بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدى الى الفلاح (قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا

مبين) بين الانذار (اولم ينظروا فى ملكوت) ملك (السموات والارض و)فى (ماخلق الله من شئ) بيان لما فيستدلوا به على قدرة صانعة ووحدانيته (و) فى (ان) اى انه (عسى ان يكون قد اقترب) قرب (اجلهم) فيموتوا كفارا فيصيروا الى النار فيبادروا الى الايمان (فبأى حديث بعده) اى القرآن (يؤمنون من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم) بالياء والنون مع الرفع استئنافا والجزم عطفا على محل ما بعد الفاء (فى طغيانهم يعمهون) يتردد دون تحيرا (يسألونك) اى اهل مكة (عن الساعة) القيامة (ايان) متى (مرساها قل) لهم (انما علمها) متى تكون (عند ربى لا يجليها) يظهرها (لوقتها) اللام بمعنى فى (الا هو ثقلت) عظمت (فى السموات والارض) على اهلها لهولها (لا تأتيكم الا بغتة) فجأة (يسألونك كانك حفى) مبالغ فى السؤال (عنها) حتى علمتها (قل

انما علمها عندالله) تأكيد (ولكن اكثر الناس لايعلمون) ان علمها عنده تعالى (قل لا املك لنفسي نفعا) أجلبه (ولا ضرا) ادفعه (الا ماشاء الله ولو كنت اعلم الغيب) ماغاب عني (لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) من فقر المضار (ان) ما (انا الا نذير) بالنار للكافرين (وبشير) بالجنة (لقوم يؤمنون هو) اى الله (الذى خلقكم من نفس واحدة) اى آدم (وجعل) خلق (منها زوجها) حواء (ليسكن اليها) ويألفها (فلما تغشاها) جامعها (حملت حملا خفيفا) هو النطفة (فمرت به) ذهبت وجاءت الخفة (فلما اثقلت) بكبر الولد فى بطنها واشفقا ان يكون بهيمة (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا) ولدا (صالحا) سويا (لنكونن من الشاكرين) لك عليه (فلما آتاهما) ولدا (صالحا جعلا له شركاء) وقراءة بكسر الشين والتنوين اى شريكا (فيما آتاهما) بتسميته

استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهما كا فى التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء فى اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني (فائتنا بما تعدنا) من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون (ان كنت من الصادقين) فيه (قال قد وقع عليكم) قد وجب او حق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع (من ربكم رجس) عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (وغضب) ارادة انتقام (اتجادلونني فى اسماء سميتموها انتم وآباؤكم مانزل الله بها من سلطان) اى فى اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لايؤبه بقوله اظهار الغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توفيقية اذ لو لم تكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفها ظاهر (فانتظروا) لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب (انى معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه) فى الدين (برحمة منا) عليهم (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) اى استأصلناهم (وما كانوا مؤمنين) تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روى انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وادادوا عتوا فامسك القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وظلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد فى سبعين من اعيانهم وكان اذذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهر يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مجافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين * الا ياقيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا الغماما * فيسقى ارض عاد ان عادا * قد امسوا لا يبينون الكلاما * حتى غنتا به فازعجهم

ذلك فقال مرثد والله لاتسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لايقدم معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ماكنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء ياقيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادى المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منهاريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود عليه السلام والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا (والى ثمود) قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحى اوباعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى (اخاهم صالحا) صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قدجاءتكم بينة من ربكم) معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتى وقوله (هذه ناقة الله لكم آية) استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هى له آية ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا اوعطف بيان ولكم خبرا عاملا فى آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلاوسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية (فذروها تأكل فى ارض الله) العشب (ولاتمسوها بسوء) نهى عن المس الذى هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة فى الامر وازاحة للعذر (فيأخذكم عذاب اليم) جواب للنهى (واذكروا اذجعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض) ارض الحجر (تتخذون من سهولها قصورا) اى تبنون فى سهولها اومن سهولة الارض بماتعملون منها كاللبن والآجر (وتنحتون الجبال بيوتا) وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة اوالمفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال اوتنحتون بمعنى تتخذون (فاذكروا آلاء الله ولاتعثوا فى الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا) اى للذين استضعفوهم واستذلوهم (لمن آمن منهم) بدل من للذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملو بالواو (أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه) قالوه

عبدالحرث ولاينبغى ان يكون عبدا الا لله وليس باشراك فى العبودية لعصمة آدم وروى سمره عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لايعيش لها ولد فقال سميه عبدالحرث فانه يعيش فسمته فعاش فكان ذلك من وحى الشيطان وامره رواه الحاكم وقال صحيح والترمذى وقال حسن غريب (فتعالى الله عما يشركون) اى اهل مكة به من اصنام والجملة مسببة عطف على خلقكم وما بينهما اعتراض (أيشركون) به فى العبادة (مالايخلق شيأ وهم يخلقون ولايستطيعون لهم) اى لعابديهم (نصرا ولا انفسهم ينصرون) يمنعها ممن ارادبها سوأ من كسر وغيره والاستفهام للتوبيخ (وان تدعوهم) اى الاصنام (الى الهدى لايتبعوكم) بالتخفيف والتشديد (سواء عليكم ادعوتموهم) اليه (ام انتم صامتون) عن دعائهم لايتبعوه لعدم سماعهم (ان الذين تدعون) تعبدون (من دون الله عباد) مملوكة

على الاستهزآء (قالوا انا بما ارسل به مؤمنون) عدلوا به عن الجواب السوى الذى هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذى رأى وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال (قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون) على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به رد الما جعلوه معلوما مسلما (فعقروا الناقة) فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة اولانه كان برضاهم (وعتوا عن امر ربهم) واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام بقوله فذروها (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة) الزلزلة (فاصبحوا فى دارهم جاثمين) خامدين ميتين روى انهم من بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا يفى بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوا آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو آلهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع ابن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له ان خرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبرآء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشرآء جوفاء وبرآء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع فى جماعة ومنع الباقين من الايمان ذواب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب ابن صمعر كاهنهم فكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فاترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل مافيها ثم تنفجج فيحلبون ماشاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال لهم صالح ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذا انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات

(امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم) دعاءكم (ان كنتم صادقين) فى انها آلهة ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال (ألهم ارجل يمشون بها أم) بل (لهم ايد) جمع يد (يبطشون بها أم) بل (لهم اعين يبصرون بها أم) بل (لهم آذان يسمعون بها) استفهام انكار أى ليس لهم شئ من ذلك مما هو لكم فكيف تعدونهم وانتم اتم حالا منهم (قل) لهم يا محمد (ادعوا شركاءكم) الى هلاكى (ثم كيدون فلا تنظرون) تمهلون فانى لا ابالى بكم (ان ولى الله) متولى امورى (الذى نزل الكتاب) القرآن (وهو يتولى الصالحين) بحفظه (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون) فكيف ابالى بهم (وان تدعوهم) اى الاصنام (الى الهدى لا يسمعوا وتراهم) اى الاصنام يا محمد (ينظرون اليك) اى يقابلونك كالناظر (وهم لا يبصرون خذ العفو) اليسر من اخلاق الناس

طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تخبطوا بالصبر او تكفوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا (فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين) ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصر هم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا وذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم (ولوط) اى وارسلنا لوطا (اذقال لقومه) وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذبدل منه (أتأتون الفاحشة) توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح (ماسبقكم بها من احد من العالمين) مافعلها قبلكم احدقط والباء للتعدية ومن الاولى التأكيد النفى والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ (انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) بيان لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ فى الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له او مصدر فى موقع الحال وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان يكون الداعى له الى المباشره طلب الولد وبقاء النوع لاقضاء الوطر (بل انتم قوم مسرفون) اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التى ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ اوعن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم اوعن محذوف مثل لاعذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف (وما كان جواب قومه الا ان قالوا خرجوهم من قريتكم) اى ماجاؤا بمايكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا (انهم اناس يتطهرون) اى من الفواحش (فانجيناه واهله) اى من آمن به (الا امرأته استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر (كانت من الغابرين) من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور (وامطرنا عليهم مطرا) اى نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) روى ان لوط بن هاران ابن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الى اهل سدوم ليدعوهم ولاتبحث عنها (وأمر بالعرف) المعروف (وأعرض عن الجاهلين) فلاتقابلهم بسفههم (واما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (ينزغنك من الشيطان نزغ) اى ان يصرفك عما امرت به صارف (فاستعذ بالله) جواب الشرط وجواب الامر محذوف اى يدفعه عنك (انه سميع) للقول (عليم) بالفعل (ان الذين اتقوا اذا مسهم) اصابهم (طيف) وفى قراءة طائف اى شئ ألم بهم (من الشيطان تذكروا) عقاب الله وثوابه (فاذا هم مبصرون) الحق من غيره فيرجعون (واخوانهم) اى اخوان الشياطين من الكفار (يمدونهم) اى الشياطين (فى الغى ثم) هم (لايقصرون) يكفون عنه بالتبصر كما تبصر المتقون (واذا لم تأتهم) اى اهل مكة (بآية) مما اقترحوا (قالوا لولا) هلا (اجتبيتها) انشأتها من قبل نفسك (قل) لهم (انما اتبع مايوحى الى من ربى) وليس لى ان آتى من عند نفسى بشئ (هذا) القرآن (بصائر) حجج (من

الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم امطرت الحجارة على مسافريهم (والى مدين اخاهم شعيبا) اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين ابن ابراهيم شعب بن مكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) يريد المعجزة التى كانت له وليس فى القرآن انها ماهى وماروى من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة من اولادها ووقوع عصا آدم عليه السلام على يده فى المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة ويحتمل ان تكون كرامة لموسى اوارهاصا لنبوته (فاوفوا الكيل) اى الة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله (والميزان) كما قال فى سورة هود اوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه (ولا تفسدوا فى الارض) بالكفر والحيف (بعد اصلاحها) بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها ولا اضافة اليها كاضافة فى بل مكر الليل والنهار (ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين) اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او فى الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا واحدا يسعى فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون من آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق (وتصدون عن سبيل الله) يعنى الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم مايصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله (من آمن به) اى بالله وبكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل تصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال من الضمير فى تقعدوا

ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا) عن الكلام (لعلكم ترحمون) نزلت فى ترك الكلام فى الخطبة وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه وقيل فى قراءة القرآن مطلقا (واذكر ربك فى نفسك) اى سرا (تضرعا) تذللا (وخيفة) خوفا منه (و) فوق السر (دون الجهر من القول) اى قصدا بينهما (بالغدو والآصال) اوائل النهار وأواخره (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله (ان الذين عند ربك) اى الملائكة (لا يستكبرون) (عن عبادته ويسبحونه) ينزهونه عما لا يليق به (وله يسجدون) اى يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم

(سورة الانفال مدنية او الا واذ يمكر بك الآيات السبع فمكية خمس اوست اوسبع وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لما اختلف المسلمون فى غنائم بدر فقال الشبان هى لنا لانا باشرنا القتال وقال

(ويبغونها عوجا) وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه اووصفها للناس بانها معوجة (واذكروا اذ كنتم قليلا) عددكم او عددكم (فكثركم) بالبركة فى النسل او المال (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) من الامم قبلكم واعتبروا بهم (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فتربصوا (حتى يحكم الله بيننا) اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين (وهو خير الحاكمين) اذلا معقب لحكمه ولاحيف فيه (قال الملاء الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا اولتعودن فى ملتنا) اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية اوعودكم فى الكفر وشعيب عليه السلام لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء عليهم السلام لايجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب فى قوله (قال اولوكنا كارهين) اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها اوانعيدوننا فى حال كراهتنا (قد افترينا على الله كذبا) قداختلفنا عليه (ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) شرط جوابه محذوف دليله قدافترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه لتقربه من الحال اى قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان الله تعالى نداوانه قد تبين لنا اذما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقدافترينا (ومايكون لنا) ومايصح لنا (ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا) خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وقيل اراد به حسم طمعهم فى العود بالتعليق على مالايكون (وسع ربنا كل شىء علما) اى احاط علمه بكل شىء مما كان ومايكون منا ومنكم (على الله توكلنا) فى ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضى والفتاحة الحكومة اواظهر امرنا حتى ينكشف مابيننا وبينهم ويتميز الحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه (وانت خير الفاتحين) على المعنيين (وقال الملاء الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا) وتركتم دينكم (انكم اذا لخاسرون) لاستبدالكم ضلالته بهداكم اولفوات مايحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو سادمسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام (فاخذتهم الرجفة) الزلزلة وفى سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها (فاصبحوا

الشيوخ كنار دألكم تحت الرايات ولوانكشفتم لفئتم الينافلاتستأثروا بها نزل (يسألونك) يامحمد (عن الانفال) الغنائم لمن هى (قل) لهم (الانفال لله وللرسول) يجعلانها حيث شا آقسمها صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء رواه الحاكم فى المستدرك (فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم) اى حقيقة مابينكم بالمودة وترك النزاع (واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) حقا (انما المؤمنون) الكاملون الايمان (الذين اذا ذكر الله) اى وعيده (وجلت) خافت (قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) تصديقا (وعلى ربهم يتوكلون) به يثقون لابغيره (الذين يقيمون الصلوة) يأتون بها بحقوقها (ومما رزقناهم) اعطيناهم (ينفقون) فى طاعة الله (اولئك) الموصوفون بما ذكر (هم المؤمنون حقا) صدقا بلاشك (لهم درجات) منازل فى الجنة (عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) فى الجنة

(كما اخرج ربك من بيتك بالحق) متعلق باخرج (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) الخروج والجملة حال من كاف اخرجك وكما مبتدأ محذوف اى هذه الحال فى كراهتهم لها مثل اخراجك فى حال كراهتهم وقد كان خيرا لهم فكذلك ايضا وذلك ان اباسفيان قدم بعير من الشام فخرج النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج ابو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا عنها وهم النفير واخذ ابو سفيان بالعير طريق الساحل فنجت فقيل لابى جهل ارجع فأبى وسار الى بدر فشاور صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ان الله وعدنى احدى الطائفتين فوافقوه على قتال النفير وكره بعضهم ذلك وقالوا لم نستعد له كما قال تعالى (يجادلونك فى الحق) القتال (بعد ما تبين) ظهر لهم (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) اليه عيانا فى كراهتهم له (و) اذكر (اذ يعدكم الله احدى الطائفتين) العير او النفير (انها لكم وتودون) تريدون (ان

فى دارهم جاثمين) اى فى مدنيتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره (كأن لم يغنوا فيها) اى استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمعنى المنزل (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون فى الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين (فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم) قال تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال (فكيف آسى على قوم كافرين) ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم مانزل عليهم بكفرهم اوقاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولى فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين (وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء) بالبؤس والضر (لعلهم يضرعون) كى يتضرعوا ويتذللوا (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين (حتى عفوا) حتى كثروا عددوا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر منه اعفاء اللحى (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقاد ابانه من عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا (فاخذناهم بغتة) فجأة وهم (لايشعرون) بنزول العذاب (ولو ان اهل القرى) يعنى قرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا فى قرية من نبى وقيل مكة وما حولها (آمنوا واتقوا) مكان كفرهم وعصيانهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد (ولكن كذبوا) الرسل (فاخذناهم بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصى (افأمن اهل القرى) عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لايشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن القرى (ان يأتيهم بأسنا بياتا) تبيتنا اووقت بيات اومبيتا اومبيتين وهو فى الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجئ بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم (وهو نائمون) حال من ضميرهم البارز اوالمستتر فى بياتا (اوامن اهل القرى) وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر اوبالسكون على التزيد (ان يأتيهم باسنا ضحى) ضحوة النهار وهو فى الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت (وهم يلعبون) يلهون

من فرط الغفلة او يشتغلون بما لاينفعهم (افامنوا مكر الله) تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لايحتسب فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار (اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها) اى يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عد يهد باللام لانه بمعنى يبين (ان لونشاء اصبناهم بذنوبهم) ان الشأن لونشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهدو من قرأ بالنون جعله مفعولا (ونطبع على قلوبهم) عطف على مادل عليه اولم يهدى اى يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه فى سياقه جواب لولا فضائه الى نفى الطبع عنهم (فهم لايسمعون) سماع تفهم واعتبار (تلك القرى) يعنى قرى الامم المار ذكرهم (نقص عليك من انبائها) حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اى نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لانقصها (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيئهم بها (بما كذبوا من قبل) بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب اوفما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المطاولة والايات المتتابعة واللام لتأكيد النفى والدلالة على انهم ماصلحوا للايمان لمنافاته لحالهم فى التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) فلا تلين شكيمتهم بالايات والنذر (وماوجدنا لاكثرهم) لاكثر الناس والآية اعتراض اولاكثر الامم المذكورين (من عهد) من وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ماعهد الله اليهم فى الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج اوعهدوا اليه حين كانوا فى ضر ومخافه مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (وان وجدنا اكثرهم) اى علمناهم (لفاسقين) من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لايسوغ الا فى المبتدأ او الخبر او الافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفى واللام بمعنى الا (ثم بعثنا من بعدهم موسى) الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم اوللامم (بآياتنا) يعنى المعجزات (الى فرعون وملائه فظلموا بها) بان كفروا بها مكان الايمان

غير ذات الشوكة) اى البأس اوالسلاح وهى العير (تكون لكم) لقلة عددها وعددها بخلاف النفير (ويريد الله ان يحق الحق) يظهره (بكلماته) السابقة بظهور الاسلام (ويقطع دابر الكافرين) آخرهم بالاستئصال فامركم بقتال النفير (ليحق الحق ويبطل) يمحق (الباطل) الكفر (ولوكره المجرمون) المشركون ذلك اذكر (اذتستغيثون ربكم) تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم (فاستجاب لكم انى) اى بانى (ممدكم) معينكم (بالف من الائكة مردفين) متتابعين يردف بعضهم بعضا وعدهم بها اولا ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما فى آل عمران وقرئ بآلف كافلس جمع (وما جعله الله) اى الامداد (الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) اذكر (اذيغشاكم النعاس امنة) امنا مما حصل لكم من الخوف (منه) تعالى (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) من الاحداث والجنابات (ويذهب

عنكم رجز الشيطان) وسوسته اليكم بانكم لوكنتم على الحق ما كنتم ظمأى محدثين والمشركون على الماء (وليربط) يحبس (على قلوبكم) باليقين والصبر (ويثبت به الاقدام) ان تسوخ فى الرمل (اذ يوحى ربك الى الملائكة) الذين امديهم المسلمين (انى) اى بانى (معكم) بالعون والنصر (فثبتوا الذين آمنوا) بالاعانة والتبشير (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) الخوف (فاضربوا فوق الاعناق) اى الرؤس (واضربوا منهم كل بنان) اى اطراف اليدين والرجلين فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل ان يصل اليه سيفه ورماهم صلى الله عليه وسلم بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك الا دخل فى عينيه منها شئ فهزموا (ذلك) العذاب الواقع بهم (بانهم شاقوا الله) خالفوا الله (ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) له (ذلكم) العذاب (فذوقوه) ايها الكفار

الذى هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين) اليك وقوله (حقيق على ان لااقول على الله الا الحق) لعله جواب لتكذيبه اياه فى دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق على ان لااقول كما قرءه نافع فقلب لامن الالتباس كقوله * وتشقى الرماح بالضيا طرة الحمر * اولان ملازمك فقد لزمته اوللاغراق فى الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق انا اكون انا قائله ولا يرضى الا بمثلى ناطقا به اوضمن حقيق معنى حريض اووضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابى بالباء وقرئ حقيق ان لااقول بدون على (قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل) فخلهم حتى يرجعوا معى الى الارض المقدسة التى هى وطن آبائهم وكان قداستعبدهم واستخدمهم فى الاعمال (قال ان كنت جئت بآية) من عند من ارسلك (فائت بها) فاحضرها عندى ليثبت بها صدقك (ان كنت من الصادقين) فى الدعوى (فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) ظاهر امره لايشك فى انه ثعبان وهى الحية العظيمة روى انه لما القاها وصارت ثعبانا اشعر فاغرافاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون ياموسى انشدك بالذى ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بنى اسرائيل فاخذه فعاد عصا (ونزع يده) من جيبه اومن تحت ابطه (فاذا هى بيضاء للناظرين) اى بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لانها كانت بيضاء فى جبلتها روى عليه السلام كان ادم شديد الادمة فادخل يده فى جيبه اوتحت ابطه ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس (قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم) قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور فى امره فحكى عنه فى سورة الشعراء وعنهم ههنا (يريد ان يخرجكم من ارضكم فاذا تأمرون) تشيرون فى ان نفعل (قالوا ارجه واخاه وارسل فى المدآئن حاشرين يأتوك بكل

ساحر عليم) كانه اتفقت عليه اراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التأخير اى اخر امره واصله ارجئه كما قرأ ابو بكر و يعقوب من ارجات وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر على الاصل فى الضمير وارجهى من ارجيب كما قرأ نافع فى رواية ورش واسماعيل والكسائى واما قراءته فى رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قرآءة حمزة وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل فى اسكان وسطه واما قرآءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا ترتضيه النحاة فان الهاء لاتكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرا حمزة والكسائى بكل سحار فيه وفى يونس و يؤيده اتفاقهم عليه فى الشعرآء (وجاء السحرة فرعون) بعدما ارسل الشرط فى طلبهم (قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين) استأنف به كانه جواب سائل قال ماقالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا لأجرا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لابد لنا من اجر والتنكير للتعظيم (قال نعم) ان لكم لاجرا (وانكم لمن المقربين) عطف ماسد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم (قالوا ياموسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين) خيروا موسى مراعاة للادب اواظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم فى ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ماهو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال (قال القوا) كرما وتسامحا اوازدراء بهم ووثوقا على شأنه (فلما القوا سحروا اعين الناس) بان خيلوا اليها ماالحقيقة بخلافه (واسترهبوهم) وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم (وجاؤ بسحر عظيم) فى فنه روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا (واوحينا الى موسى ان الق عصاك) فالقاها فصارت حية (فاذا هى تلقف مايأفكون) مايزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه ويجوز ان تكون ما مصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقفت ههنا وفى طه والشعرآء فى الدنيا (وان للكافرين) فى الآخرة (عذاب النار يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) اى مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون (فلا تولوهم الادبار) منهزمين (ومن يولهم يومئذ) اى يوم لقائهم (دبره الا متحرفا) منعطفا (لقتال) بأن يريهم الفرة مكيدة وهو يريد الكرة (او متحيزا) منضما (الى فئة) جماعة من المسلمين يستنجد بها (فقد باء) رجع (بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) المرجع هى وهذا مخصوص بما اذا لم يزد الكفار على الضعف (فلم تقتلوهم) ببدر بقوتكم (ولكن الله قتلهم) بنصره اياكم ومارميت) يامحمد اعين القوم (اذ رميت) بالحصى لان كفا من الحصى لايملأ عيون الجيش الكثير رميه بشر (ولكن الله رمى) بايصال ذلك اليهم فعل ذلك ليقهر الكافرين (وليبلى المؤمنين منه بلاء) عطاء (حسنا) هو الغنيمة (ان الله سميع) لاقوالهم (عليم) بأحوالهم (ذلكم) الابلاء حق (وان

(فوقع الحق) فثبت لظهور امره (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر والمعارضة (فغلبوا هناك وانقلبوا صاغرين) صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه (والقي السحرة ساجدين) جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى ويتقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته (قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون) ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون (قال فرعون آمنتم به) بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار (قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه) اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى (في المدينة) في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد (لتخرجوا منها اهلها) يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل (فسوف تعلمون) عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله (لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) من كل شق طرفا (لاصلبنكم اجمعين) تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله رسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته (قالوا انا الى ربنا منقلبون) بالموت لامحالة فلا نبالي بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا (وما تنقم منا) وما تنكر منا (الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا (ربنا افرغ علينا صبرا) افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى اتتما ومن اتبعكما الغالبون (وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض) بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك (ويذرك) عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة * الم اك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودة والاخاء * على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون منه

الله موهن) مضعف (كيد الكافرين ان تستفتحوا) ايها الكفار اى تطلبوا الفتح اى القضاء حيث قال ابو جهل متكم اللهم اينا كان اقطع للرحم واتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة اى اهلكه (فقد جاءكم الفتح) القضاء بهلاك من هو كذلك وهو ابو جهل ومن قتل معه دون النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (وان تنتهوا) عن الكفر والحرب (فهو خيرا لكم وان تعودوا) لقتال النبي صلى الله عليه وسلم (نعد) لنصره عليكم (ولن تغني) تدفع (عنكم فئتكم) جماعتكم (شيأ ولو كثرت وان الله مع المؤمنين) بكسر ان استئنافا وفتحها على تقدير اللام (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا) تعرضوا (عنه) بمخالفة امره (وانتم تسمعون) القرآن والمواعظ (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) سماع تدبر واتعاظ وهم المنافقون او المشركون (ان شر الدواب عند الله الصم)

تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن (وآلهتك) معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقوله اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الهتك اى عبادتك (قال) فرعون (سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم) كما كنا نفعل من قبل ليعلم اناعلى ماكنا عليه من القهر والغلبة ولايتوهم انه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف (وانا فوقهم قاهرون) غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) لما سمعوا قول فرعون تضجروا منه تسكينا لهم (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده) تسلية لهم وتقريرا للامر بالاستعانة بالله والتثبت فى الامر (والعاقبة للمتقين) وعدلهم بالنصرة وتذكيرا لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام فى الارض يحتمل العهد والجنس (قالوا) اى بنو اسرائيل (اوذينا من قبل ان تأتينا) بالرسالة بقتل الابناء (ومن بعد ماجئتنا) باعادته (قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض) تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم اواولادهم وقد روى ان مصر انما فتح لهم فى زمن داود عليه السلام (فينظر كيف تعملون) فيرى ماتعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب مايوجب منكم (ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين) بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ماذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا اقحطوا (ونقص من الثمرات) بكثرة العاهات (لعلهم يذكرون) لكى يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا اوترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده (فاذا جاءتهم الحسنة) من الخصب والسعة (قالوا لناهذه) لاجلنا ونحن مستحقوها (وان تصبهم سيئة) جدب وبلاء (يطيروا بموسى ومن معه) يتشأموا بهم ويقولوا ماأصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق فى وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهى لم تؤثر فيهم

عن سماع الحق (اليكم) عن النطق به (الذين لايعقلون ولو علم الله فيهم خيرا) صلاحا بسماع الحق (لاسمعهم) سماع تفهم (ولواسمعهم) فرضا وقد علم ان لاخير فيهم (لتولوا) عنه (وهم معرضون) عن قبوله عنادا وجحودا (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) بالطاعة (اذا دعاكم لما يحييكم) من امر الدين لانه سبب الحياة الابدية (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) فلا يستطيع ان يؤمن او يكفر الا بارادته (وانه اليه تحشرون) فيجازيكم باعمالكم (واتقوا فتنة) ان اصابتكم (لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) بل تعمهم وغيرهم واتقاؤها بانكار موجبها من المنكر (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن خالفه (واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض) ارض مكة (تخافون ان يتخطفكم الناس) يأخذكم الكفار بسرعة (فآواكم) الى المدينة (وايدكم) قواكم (بنصره) يوم بدر بالملائكة

بل زادوا عندها عتوا وانهما كا فى الغى وانما عرف الحسنة وذكرها معاداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع (الا انما طائرهم عند الله) اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته اوسبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التى ساقت اليهم مايسؤهم وقرئ انماطيرهم وهواسم جمع وقيل هو جمع (ولكن اكثرهم لايعلمون) ان مايصيبهم من الله اومن شؤم اعمالهم (وقالوا مهما) اصلها ماالشرطية ضمت اليها ما الزائدة للتأكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذى يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره (تأتنا به) اى ايما شئ تحضرنا تأتنا به (من آية) بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا (لتسحرنا بها فمانحن لك بمؤمنين) اى لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير فى به وبها لما ذكره قبل النبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى (فارسلنا عليهم الطوفان) ماطاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر اوسيل وقيل الجدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون (والجراد والقمل) قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها (والضفادع والدم) روى انهم مطروا ثمانية ايام فى ظلمة شديدة لايقدر احدان يخرج من بيته ودخل الماء فى بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلاء والزرع مالم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فأكل ماابقاه الجراد وكان يقع فى اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لايكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى وافواههم عند التكلم فزعوا اليه

(ورزقكم من الطيبات) الغنائم (لعلكم تشكرون) نعمه ونزل فى ابى لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة ليزلوا على حكمه فاستشاروه فأشار اليهم انه الذبح لان عياله وماله فيهم (يا ايها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول و) لا (تخونوا اماناتكم) ما ائتمتم عليه من الدين وغيره (وانتم تعلمون واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة) لكم صادة عن امور الآخرة (وان الله عنده اجر عظيم) فلا تفوتوه بمراعاة الاموال والاولاد والخيانة لاجلهم * ونزل فى توبته (يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله) بالأنابة وغيرها (يجعل لكم فرقانا) بينكم وبين ماتخافون فتنجون (ويكفر عنكم سيأتكم ويغفر لكم) ذنوبكم (والله ذو الفضل العظيم و) اذكر يا محمد (اذ يمكر بك الذين كفروا) وقد اجتمعوا للمشاورة فى شأنك بدار الندوة (ليثبتوك) يوثقوك ويحبسوك (او يقتلوك) كلهم قتله رجل واحد (او يخرجوك)

وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهود ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطى مع الاسرائيلى على اناء فيكون مايليه دما ومايلى الاسرائيلى ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلى فيصير دما فى فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف (آيات) نصب على الحال (مفصلات) مبينات لاتشكل على عاقل انها آيات ونقمته عليهم او منفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات على مهل (فاستكبروا) عن الايمان (وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز) يعنى العذاب المفصل او الطاعون الذى ارسله الله عليهم بعد ذلك (قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك وهو النبوة او بالذى عنده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك فى آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بماعهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى مانطلب منك بحق ماعهد عندك او قسم مجاب بقوله (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل) اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن (فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه) الى حد من الزمان هم بالغوه فعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم (اذا هم ينكثون) جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير تأمل وتوقف فيه (فانتقمنا منهم) فاردنا الانتقام منهم (فاغرقناهم فى اليم) اى فى البحر الذى لايدرك قعره وقيل لجته (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا (واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم (مشارق الارض ومغاربها) يعنى ارض الشام ومصر ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها (التى باركنا فيها) بالخصب وسعة العيش (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل) ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى *ونريد ان نمن* الى قوله ماكانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد (بما صبروا) بسبب صبرهم على

من مكة (ويمكرون) بك (ويمكر الله) بهم بتدبير امرك بان اوحى اليك ما دبروه وامرك بالخروج (والله خير الماكرين) اعلمهم به (واذا تتلى عليهم آياتنا) القرآن (قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) قاله النضر بن الحرث لانه كان يأتى الحيرة يتجر فيشترى كتب اخبار الاعاجم ويحدث بها اهل مكة (ان) ما (هذا) القرآن (الا اساطير) اكاذيب (الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا) الذى يقرؤه محمد (هو الحق) المنزل (من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) مؤلم على انكاره قاله النضر او غيره استهزاء وايهاما انه على بصيرة وجزم ببطلانه قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم) بما سألوه (وانت فيهم) لان العذاب اذا نزل عم ولم تعذب امة الا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) حيث يقولون فى طوافهم غفرانك غفرانك وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم

لشدائد (ودمرنا) وخربنا (ماكان يصنع فرعون وقومه) من القصور والعمارات (وماكانوا يعرشون) من الجنات اوماكانوا يرفعون من البنيان كصرحهامان وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) مابعده ذكر ماأحدثه بنواسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ممارأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لايغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى ان موسى عليه السلام عبربهم يوما عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا (فاتوا على قوم) فمروا عليهم (يعكفون على اصنام لهم) يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائى يعكفون بالكسر (قالوا ياموسى اجعل لنا آلها) مثالا نعبده (كمالهم آلهة) يعبدونها وماكافة للكاف (قال انكم قوم تجهلون) وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ماصدر عنهم بعد مارأوا من الآيات الكبرى عن العقل (ان هؤلاء) اشارة الى القوم (متبر) مكسر مدمر (ماهم فيه) يعنى ان الله يهدم دينهم الذى هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا (وباطل) مضمحل (ماكانوا يعملون) من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ فى هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عماهم فيه بالتبادر وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين فى الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لماهم فيه لامحالة وان الاحباط الكلى لازب لامضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا (قال اغير الله ابغيكم الها) اطلب لكم معبودا (وهو فضلكم على العالمين) والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم عن امثالهم بمالم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شئ من مخلوقاته (واذ انجيناكم من آل فرعون) واذكروا صنيعه معكم فى هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم (يسومونكم سوء العذاب) استئناف لبيان ماانجاهم اوحال من المخاطبين اومن آل فرعون اومنهما (يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم) بدل منه مبين (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) وفى الانجاء اوالعذاب نعمة اومحنة عظيمة (وواعدنا موسى ثلاثين

كماقال لوتزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما (ومالهم ان لايعذبهم الله) بالسيف بعد خروجك والمستضعفين وعلى القول الاول هى ناسخة لماقبلها وقدعذبهم الله ببدر وغيره (وهم يصدون) يمنعون النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين (عن المسجد الحرام) ان يطوفوا به (وما كانوا اولياءه) كمازعموا (ان) ماأولياؤه (الا المتقون ولكن اكثرهم لايعلمون) ان لاولاية لهم عليه (وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء) صفيرا (وتصدية) تصفيقا اى جعلوا ذلك موضع صلاتهم التى امروا بها (فذوقوا العذاب) ببدر (بماكنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون اموالهم) فى حرب النبى صلى الله عليه وسلم (ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون) فى عاقبة الامر (عليهم حسرة) ندامة لفواتها وفوات ماقصدوه (ثم يغلبون) فى الدنيا (والذين كفروا) منهم (الى جهنم) فى الآخرة (يحشرون) يساقون (ليميز)

ليلة) ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا (واتممناها بعشر) من ذى الحجة (فتم ميقات ربه اربعين ليلة) بالغا اربعين ليلة روى انه عليه السلام وعد بنى اسرائيل بمعصران يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان مايأتون ومايدرون فلما هلك سأل موسى عليه السلام ربه فامره بصوم ثلاثين يوما فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التوراة فى العشر وكلمه فيها (وقال موسى لاخيه هارون اخلفنى فى قومى) كن خليفتى فيهم (واصلح) مايجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا (ولاتتبع سبيل المفسدين) ولاتتبع من سلك سبيل الافساد ولاتطع من دعاك اليه (ولما جاء موسى لميقاتنا) لوقتنا الذى وقتناه واللام للاختصاص اى اختص مجيئه بميقاتنا (وكلمه ربه) من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روى ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين (قال رب ارنى انظر اليك) ارنى نفسك بان تمكننى من رؤيتك او تجلى لى فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة فى الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا مايقتضى الجهل بالله ولذلك رده بقوله تعالى لن ترانى دون لن ارى او لن اريك او لن تنظر الى تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد فى الرائى ولم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيل شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا آلها ولاتتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولاتتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لايدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لايراه ابدا وان لايراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية (قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) استدراك يريد ان يبين به انه لايطيقه وفى تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير (فلما تجلى ربه للجبل) ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة ورؤية حتى رأه (جعله دكا) مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك

متعلق بتكون بالتخفيف والتشديد اى يفصل (الله الخبيث) الكافر (من الطيب) المؤمن (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) يجمعه متراكما بعضه على بعض (فيجعله فى جهنم اولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا) كابى سفيان واصحابه (ان ينتهوا) عن الكفر وقتال النبى صلى الله عليه وسلم (يغفر لهم ماقد سلف) من اعمالهم (وان يعودوا) الى قتاله (فقد مضت سنت الاولين) اى سنتنا فيهم بالاهلاك فكذا نفعل بهم (وقاتلوهم حتى لاتكون) توجد (فتنة) شرك (ويكون الدين كله لله) وحده ولايعبد غيره (فان انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) فيجازيهم به (وان تولوا) عن الايمان (فاعلموا ان الله مولاكم) ناصركم ومتولى اموركم (نعم المولى) هو (ونعم النصير) اى الناصر لكم (واعلموا انما غنمتم) اخذتم من الكفار قهرا (من شئ فان لله خمسه) يأمر فيه بما شاء

(وللرسول ولذى القربى) قرابة النبى صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وبنى المطلب (واليتامى) اطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء (والمساكين) ذوى الحاجة من المسلمين (وابن السبيل) المنقطع فى سفره من المسلمين اى يستحقه النبى صلى الله عليه وسلم والاصناف الاربعة على ما كان يقسمه من ان لكل خمس الخمس والاخماس الاربعة الباقية للغانمين (ان كنتم آمنتم بالله) فاعلموا ذلك (وما) عطف على بالله (انزلنا على عبدنا) محمد صلى الله عليه وسلم من الملائكة والآيات (يوم الفرقان) اى يوم بدر الفارق بين الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) المسلمون والكفار (والله على كل شئ قدير) ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم (اذ) بدل من يوم (انتم) كائنون (بالعدوة الدنيا) القربى من المدينة وهى بضم العين وكسرها جانب الوادى (وهم بالعدوة القصوى) البعدى منها (والركب) العير كائنون فكان (اسفل منكم) بما يلى

والشق وقرأ حمزة والكسائى دكاء اى ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتى لا سنام لها وقرئ دكا اى قطعا دكا جمع دكاء بالتشديد (وخر موسى صعقا) مغشيا عليه من هول ما رأى (فلما افاق قال) تعظيما لما رأى (سبحانك تبت اليك) من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن (وانا اول المؤمنين) من تفسيره وقيل معناه انا اول من آمن بانك لا ترى فى الدنيا (قال يا موسى انى اصطفيتك) اخترتك (على الناس) اى الموجودين فى زمانك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع (برسالاتى) يعنى اسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع برسالتى (وبكلامى) وبتكلمى اياك (فخذ ما آتيتك) اعطيتك من الرسالة (وكن من الشاكرين) على النعمة فيه روى ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة يوم النحر (وكتبنا له فى الالواح من كل شئ) مما يحتاجون اليه من امر الدين (موعظة وتفصيلا لكل شئ) بدل من الجار والمجرور اى كتبنا كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى عليه السلام فقطعها بيده او شققها باصابعه وكان فيها التوراة او غيرها (فخذها) على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح او لكل شئ فانه بمعنى الاشياء او الرسالات (بقوة) بجد وعزيمة (وأمر قومك يأخذوا باحسنها) اى باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بوا جباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف احر من الشتاء (سأريكم دار الفاسقين) دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم فى الآخرة وهى جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم الذين استضعفوا (سأصرف عن آياتى) المنصوبة فى الآفاق والانفس (الذين يتكبرون فى الارض) بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم (بغير الحق) صلة يتكبرون اى يتكبرون بما ليس بحق وهو

دينهم الباطل او حال من فاعله (وان يروا كل اية) منزلة اومعجزة (لايؤمنوابها) لعنادهم اختلال عقلهم بسبب انهماكهم فى الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه والاول (وان يرواسبيل الرشد لايتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائى الرشد بفتحتين وقرأ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقام (وان يرواسبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينتصب ذلك على المصدر اى سأصرف ذلك الصرف بسببهما (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) اى ولقائهم الدار الآخرة اوماوعدالله فى الاخرة (حبطت اعمالهم) لاينتفعون بها (هل يجزون الاماكانوا يعملون) الاجزاء اعمالهم (واتخذقوم موسى من بعده) من بعد ذهابه للميقات (من حليهم) التى استعاروها من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت فى ايديهم اوملكوها بعدهلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى وقرأ حمزة والكسائى بالكسر للاتباع كدلى ويعقوب على الافراد (عجلا جسدا) بدناذا لحم ودم اوجسدامن الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل (له خوار) صوت البقرروى ان السامرى لماصاغ العجل القى فى فمه من تراب اثرفرس جبريل فصارحياقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهوفعله امالانهم رضوابه اولان المراد اتخاذهم اياه الهاوقرئ بجؤاراى صياح (اولم يروا انه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا) تقريع على فرط ضلالتهم واخلا لهم بالنظر والمعنى الم يرواحين اتخذوه الها انه لايقدر على كلام ولاعلى ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر (اتخذوه) تكرير للذم اى اتخذوه الها وكانوا ظالمين) واضعين الاشياء فى غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعامنهم (ولماسقط فى ايديهم) كناية عن اشتدادندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غمافتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم فى انفسهم (ورأوا) وعلموا (انهم قدضلوا) باتخاذ العجل (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا) بانزال التوبة (ويغفرلنا) بالتجاوزعن الخطيئة (لنكونن من الخاسرين) وقرأ هما حمزة والكسائى بالتاء وربنا على النداء (ولمارجع موسى الى قومه غضبان اسفا) شديد الغضب

البحر (ولوتواعدتم) أنتم والنفير للقتال (لاختلفتم فى الميعادولكن) جمعكم بغير ميعاد (ليقضى الله امراكان مفعولا) فى علمه وهونصر الاسلام ومحق الكفر فعل ذلك (ليهلك) يكفر (من هلك عن بينة) اى بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهى نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير (ويحيى) يؤمن (من حى عن بينة وان الله لسميع عليم) اذكر (واذيريكم الله فى منامك) اى نومك (قليلا) فأخبرت به اصحابك فسروا (ولواراكهم كثيرا لفشلتم) جبنتم (ولتنازعتم) اختلفتم (فى الامر) امر القتال (ولكن الله سلم) من الفشل والتنازع (انه عليم بذات الصدور) بمافى القلوب (واذيريكموهم) ايها المؤمنون (اذالتقيتم فى اعينكم قليلا) نحوسبعين اومائة وهم الف لتقدموا عليهم (ويقللكم فى اعينهم ليقدموا ولايرجعوا عن قتالكم وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم اراهم اياهم مثليهم كما فى آل عمران (ليقضى الله امراكان مفعولا والى الله

وقيل حزينا (قال بئسما خلفتمونى من بعدى) فعلتم بعدى حيث عبدتم العجل والخطاب العبدة او قتم مقامى فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه ومانكرة موصوفة تفسر المستكن فى بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى من بعد انطلاقى او من بعد مارأيتم منى من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه (أعجلتم امر ربكم) اتركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى سبق فعدى تعدى تعديته او أعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقد رتم موتى وغيرتم بعدى كما غيرت الامم بعد انبيائهم (والقى الالواح) اى طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حية للدين روى ان التوراة كانت سبعة اسباع فى سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شئ وبقى سبع كان فيه المواعظ والاحكام (واخذ برأس اخيه) بشعر رأسه (يجره اليه) توهما بانه قصر فى كفهم وهرون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بنى اسرائيل (قال يا ابن ام) ذكر الام ليرقه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم هنا وفى طه ابن أم بالكسر واصله يا ابن امى فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة فى التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى) ازاحة لتوهم التقصير فى حقه والمعنى بذلت وسعى فى كفهم حتى قهرونى واستضعفونى وقاربوا قتلى (فلا تشمت بى الاعداء) فلا تفعل بى مايشمتون بى لاجله (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) معدودا فى عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير (قال رب اغفر لى) ماصنعت باخى (ولاخى) ان فرط فى كفهم ضمه الى نفسه فى الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه (وادخلنا فى رحمتك بمزيد الانعام علينا (وانت ارحم الراحمين) وانت ارحم بنا منا على انفسنا (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم) وهو ما امرهم به من قتل انفسهم (وذلة فى الحياة الدنيا) وهو خروجهم من ديارهم وقيل الجزية (وكذلك نجزى المفترين) على الله ولا فرية اعظم من فريتهم وهى قولهم وهذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات) من الكفر والمعاصى (ثم تابوا من بعدها) من بعد السيئات (وآمنوا) واشتغلوا بالايمان وماهو مقتضاه من الاعمال الصالحة

ان

ترجع) تصير (الامور يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) جماعة كافرة (فاثبتوا) لقتالهم ولا تنهزموا (واذكروا الله كثيرا) ادعوه بالنصر (لعلكم تفلحون) تفوزون (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتختلفوا فيما بينكم (فتفشلوا) تجبنوا (وتذهب ريحكم) قوتكم ودولتكم (واصبروا ان الله مع الصابرين) بالنصر والعون (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) ليمنعوا غيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها (بطرا ورئاء الناس) حيث قالوا لا نرجع حتى نشرب الخمور ونحر الجزور ونضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك الناس (ويصدون) الناس (عن سبيل الله والله بما يعملون) بالياء والتاء (محيط) علما فيجازيهم به (و) اذكر (اذ زين لهم الشيطان) ابليس (أعمالهم) بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من أعدائهم بنى بكر (وقال) لهم (لا غالب لكم اليوم من الناس وانى

(ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور رحيم) وان عظم الذنب كجريمة عبده بالعجل وكثر كجرأة بني اسرائيل (ولما سكت) سكن وقد قرئ به (عن موسى الغضب) باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغرى عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت على ان المسكت هو الله تعالى او اخوه او الذين تابوا (اخذ الالواح) التي القاها (وفي نسختها) وفيما نسخ فيها اى كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اى من الالواح المنكسرة (هدى) بيان للحق (ورحمة) ارشاد الى الصلاح والخير) للذين هم لربهم يرهبون) دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم (واختار موسى قومه) اى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه (سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة) روى انه تعالى امره ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال لينخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اى الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها (قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى) تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرها فترجمت عليهم بالانقاذ منها فان ترجمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك (اتهلكنا بما فعل السفهاء منا) من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة فلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم (ان هي الا فتنتك) ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به (تضل بها من تشاء) ضلالة بالتجاوز عن حده وباتباع المخايل (وتهدي من تشاء) هداه فيقوى بها ايمانه (انت ولينا) العالم بامرنا (فاغفر لنا) بمغفرة ما قارفنا

جار لكم) من كنانة وكان اتاهم في صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية (فلما تراءت الفئتان) المسلمة والكافرة ورأى الملائكة وكان يده في يد الحرث بن هشام (نكص) رجع (على عقبيه) هاربا (وقال) لما قالوا له اتخذ لنا على هذا الحال (اني بريء منكم) من جواركم (اني ارى مالا ترون) من الملائكة (اني اخاف الله) ان يهلكني (والله شديد العقاب) اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (غر هؤلاء) اى المسلمين (دينهم) اذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهما انهم ينصرون بسببه قال تعالى في جوابهم (ومن يتوكل على الله) يثق به يغلب (فان الله عزيز) غالب على امره (حكيم) في صنعه (ولو ترى) يا محمد (اذ يتوفى) بالياء والتاء (الذين كفروا الملائكة يضربون) حال (وجوههم وادبارهم) بمقامع من حديد (و) يقولون لهم (ذوقوا عذاب

(وارحمنا انت خير الغافرين) تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة) حسن معيشة وتوفيق طاعة (وفي الآخرة) الجنة (انا هدنا اليك) تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض (قال عذابي اصيب به من اشاء) تعذيبه (ورحمتي وسعت كل شئ) في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره (فسأكتبها) فسأثبتها في الآخرة اوفاكتبها كتبة خاصة منكم يابني اسرائيل (للذين يتقون) الكفر والمعاصي (ويؤتون الزكاة) خصها بالذكر لانافتها اولانها كانت اشق عليهم (والذين هم بآياتنا يؤمنون) فلا يكفرون بشئ منها (الذين يتبعون الرسول النبي) مبتدأ خبره يأمرهم اوخبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين اوبدل من الذين يتقون بدل البعض اوالكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد (الامي) الذي لايكتب ولايقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) اسما وصفة (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات) مما حرم عليهم كالشحوم (ويحرم عليهم الخبائث) كالدم ولحم الخنزير اوكالربا والرشوة (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) ويخفف عنهم ماكلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم (فالذين آمنوا به وعزروه) وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير (ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه) اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه باعجاز ظاهر امره مظهر غيره اولانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة (اولئك هم المفلحون) الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الاية جواب دعاء موسى عليه السلام (قل ياايها الناس اني رسول الله اليكم) الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوثا الى

الحريق) اى النار وجواب لو رأيت امرا عظيما (ذلك) التعذيب (بما قدمت ايديكم) عبر بها دون غيرها لان اكثر الافعال تزاول بها (وان الله ليس بظلام) اى بذى ظلم (للعبيد) فيعذبهم بغير ذنب داب هؤلاء (كدأب) كعادة (آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله) بالعقاب (بذنوبهم) جملة كفروا وما بعدها مفسرة لما قبلها (ان الله قوى) على مايريده (شديد العقاب ذلك) اى تعذيب الكفرة (بأن) اى بسبب ان (الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم) مبدلا لها بالنقمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) يبدلوا نعمتهم كفرا كتبديل كفار مكة اطعامهم من جوع وامنهم من خوف وبعث النبي صلى الله عليه وسلم اليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين (وان الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون) قومه معه (وكل) من الامم المكذبة (كانوا ظالمين)

كافة الثقلين وسائر الرسل الى قوامهم (جميعا) حال من اليكم (الذى له ملك السموات والارض) صفة الله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف الذى اضيف اليه لانه كالتقدم عليه اومدح منصوب اومرفوع اومبتدأ خبره (لااله الاهو) وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هوا لاله لاغيره وفى (يحيى ويميت) مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية (فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته) ماانزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس اوالقرآن اوعيسى عليه السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عنا لتكلم الى الغيبة لاجرآء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له (واتبعوه لعلكم تهتدون) جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد فى خطط الضلالة (ومن قوم موسى) يعنى بنى اسرآئيل (امة يهدون بالحق) يهدون الناس محقين اوبكلمة الحق (وبه) وبالحق (يعدلون) بينهم فى الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون وبالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضداد هم على ماهو عادة القرآن تنبيها عن ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم ورآء الصين رءاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به (وقطعناهم) وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض (اثنتى عشرة) مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صيرا وحال وتأنيثه للحمل على الامة اوالقطعة (اسباطا) بدل منه ولذلك جمع اوتمييز له على ان كل واحدة من اثنتى عشرة اسباط وكانه قيل اثنتى عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها (امما) على الاول بدل بعد بدل اونعت لاسباطا وعلى الثانى بدل من اسباطا (واوحينا الى موسى اذاستسقاه قومه) فى التيه (ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست) اى فضرب فانبجست وحذفه الايماء على ان موسى عليه السلام لم يتوقف فى الامتثال وان اضربه لم يكن مؤثر يتوقف عليه الفعل فى ذاته (منه اثنتا عشرة عينا قدعلم كل اناس) كل سبط (مشربهم وظللنا عليهم الغمام) ليقيهم حر الشمس (وانزلنا عليهم المن والسوى كلوا) اى وقلنا لهم كلوا (من طيبات مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا انفسهم

ونزل فى قريظة (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لايؤمنون الذين عاهدت منهم) ان لايعينوا المشركين (ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) عاهدوا فيها (وهم لايتقون) الله فى غدر هم (فاما) فيه ادغام نون ان الشرطيه فى ما المزيدة (تثقفنهم) تجدنهم فى (الحرب فشرد) فرق (بهم من خلفهم) من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة (لعلهم) اى الذين خلفهم (يذكرون) يتعظون بهم (واما تخافن من قوم) عاهدوك (خيانة) فى عهد بأمارة تلوح لك (فانبذ) اطرح عهدهم (اليهم على سواء) حال اى مستويا انت وهم فى العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر (ان الله لايحب الخائنين)* ونزل فيمن افلت يوم بدر (ولاتحسبن) يامحمد (الذين كفروا سبقوا) الله اى فاتوه (انهم لايعجزون) لايفوتونه وفى قراءة بالتحتانية فالمفعول اول محذوف اى انفسهم وفى اخرى بفتح ان على تقدير

يظلمون) سبق تفسيره فى سورة البقرة (واذاقيل لهم اسكنوا هذه القرية) باضمار اذكروا القرية بيت المقدس (وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا) مثل مامر فى سورة البقرة معنى غيران قوله فكلوا فيها بالفأ افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له فى المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما (نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين) وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثانى مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس فى مقابلة ماامروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ ابو عمرو خطاياكم (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون) مضى تفسيره فيها (واسألهم) للتقرير والتقريع كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التى لاتعلم الا بتعليم اووحى ليكون معجزة لك عليهم (عن القرية) عن خبرها وماوقع باهلها (التى كانت حاضرة البحر) قريبة منه وهى ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية (اذ يعدون فى السبت) يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال (اذ تأتيهم حيتانهم) ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون و يعدون من الاعداد اى يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة (يوم سبتهم شرعا) يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله (ويوم لايسبتون لاتأتيهم) وقرئ لايسبتون من اسبت ولايسبتون على البناء للمفعول بمعنى لايدخلون فى السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء فمن شرع علينا اذا دنا واشرف (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بماقبله اى لاتأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون (واذ قالت) عطف على اذ يعدون (امة منهم) جماعة من اهل القرية يعنى صلحاءهم الذين اجتهدوا فى موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم) مخترمهم (او معذبهم عذابا

اللام (وأعدوا لهم) لقتالهم (مااستطعتم من قوة) قال صلى الله عليه وسلم هى الرمى رواه مسلم (ومن رباط الخيل) مصدر بمعنى حبسها فى سبيل الله (ترهبون) تخوفون (به عدو الله وعدوكم) اى كفار مكة (وآخرين من دونهم) اى غيرهم وهم المنافقون او اليهود (لاتعلمونهم الله يعلمهم وماتنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم) جزاؤه (وانتم لاتظلمون) تنقصون منه شيأ (وان جنحوا) مالوا (للسلم) بكسر السين وفتحها الصلح (فاسنح لها) وعاهدهم قال ابن عباس هذا منسوخ بآية السيف ومجاهد مخصوص بأهل الكتاب اذ نزلت فى بنى قريظة (وتوكل على الله) ثق به (انه هو السميع) للقول (العليم) بالفعل (وان يريدوا ان يخدعوك) بالصلح ليستعد والك (قال حسبك) كافيك (الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والف) جمع (بين قلوبهم) بعد الاحن (لو انفقت مافى

شديدا فى الآخرة لتماديهم فى العصيان قالوه مبالغة فى ان الوعظ لا ينفع فيهم اوسؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم اوقول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم (قالوا معذرة الى ربكم) جواب للسؤال اى موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ينسب الى تفريط فى النهى عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به معذرة اووعظناهم لعلهم يتقون معذرة (ولعلهم) اذا ليأس لا يحصل الا بالهلاك (فلما نسوا) تركوا ترك الناسى (ماذكروا به) ماذكرهم به صلحاؤهم (انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء ومخالفة امر الله (بعذاب بئيس) شديد فعيل من بؤس يبؤس بؤسا اذا اشتد وقرأ ابوبكر بيئس على وزن فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ به فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد فى كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلت فى ذيب اوعلى انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس كفاعل (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم (فلما عتوا عما نهوا عنه)تكبروا عن ترك مانهوا عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) كقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضى ان الله تعالى عذبهم ولا بعذاب شديد فعتوا ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روى ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تأتى انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم (واذ تأذن ربك) اى اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد اوعزم لان العازم على الشئ يؤذن نفسه بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو (ليبعثن عليهم الى يوم القيامة) والمعنى واذا وجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود (من يسومهم سوء العذاب) كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم) بقدرته (انه عزيز) غالب على امره (حكيم) لا يخرج شئ عن حكمته (يا أيها النبى حسبك الله و) حسبك (من اتبعك من المؤمنين يا أيها النبى حرض)حث (المؤمنين على القتال) للكفار (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) منهم (وان يكن) بالياء والتاء (منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بأنهم) اى بسبب انهم (قوم لا يفقهون) وهذا خبر بمعنى الامر اى ليقاتل العشرون منكم المائتين والمائة الالف ويثبتوا لهم ثم نسخ لما كثروا بقوله (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) بضم الضاد وفتحها عن قتال عشرة امثالكم (فان يكن) بالياء والتاء (منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) منهم (وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله) بارادته وهو خبر بمعنى الامر اى لتقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم (والله مع الصابرين) بعونه * ونزل لما اخذوا الفداء من اسرى بدر

(ماكان لنبى ان تكون) بالتاء والياء (له اسرى حتى يثخن فى الارض) يبالغ فى قتل الكفار (تريدون) ايها المؤمنون (عرض الدنيا) حطامها بأخذ الفداء (والله يريد) لكم (الآخرة) اى ثوابها بقتلهم (والله عزيز حكيم) وهذا منسوخ بقوله فاما منا بعد واما فداء (لولا كتاب من الله سبق) باحلال الغنائم والاسرى لكم (لمسكم فيما اخذتم) من الفداء (عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا ايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسارى) وقراءة الاسرى (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) ايمانا واخلاصا (يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء بان يضعفه لكم فى الدنيا ويثيبكم فى الآخرة (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور رحيم وان يريدوا) اى الاسرى (خيانتك) بما اظهروا من القول (فقد خانوا الله من قبل) قبل بدر بالكفر (فأمكن منهم) ببدر قتلا واسرا فليتوقعوا مثل ذلك ان عادوا (والله

بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم لوقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ففعل مافعل بهم ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر (ان ربك لسريع العقاب) عاقبهم فى الدنيا (وانه لغفور رحيم) لمن تاب وآمن (وقطعناهم فى الارض امما) وفرقناهم فيها بحيث لايكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لايكون لهم شوكة قط وانما مفعول ثان اوحال (منهم الصالحون) صفة اوبدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظرآؤهم (ومن دون ذلك) تقديره ومنهم ناس دون ذلك اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم (لعلهم يرجعون) ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه (فخلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع فى الشر والخلف بالفتح فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورثوا الكتاب) التوراة من اسلافهم يقرأونها ويقفون على مافيها (يأخذون عرض هذا الادنى) حطام هذا الشئ الادنى يعنى الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ماكانوا يأخذون من الرشى فى الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو (ويقولون سيغفر لنا) لايؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) حال من الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه (الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) اى فى الكتاب (ان لايقولوا على الله الا الحق) عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لايقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب (ودرسوا مافيه) عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير اوعلى ورثوا وهو اعتراض (والدار الآخرة خير للذين يتقون ممايأخذ هؤلاء (افلا يعقلون) فيعلموا ذلك ولايستبدلوا الادنى الدنيئ المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين (والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة) عطف على للذين يتقون وقوله افلا يعقلون اعتراض اومبتدأ خبره (انا لانضيع اجر المصلحين)

على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابوبكر بسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات (واذ نتقنا الجبل فوقهم) اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب (كأنه ظلة) سقيفة وهى كل ما اظلك (وظنوا) وتيقنوا (انه واقع بهم) ساقط عليهم لان الجبل لايثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لما يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور وقيل لهم ان قبلتم مافيها والا ليقعن عليكم (خذوا) على اضمار القول اى وقلنا خذوا او قائلين خذوا (ماآتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد عزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو (واذكروا مافيه) بالعمل به ولاتتركوه كالمنسى (لعلكم تتقون) قبائح الاعمال ورزائل الاخلاق (واذاخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) اى اخرج من اصلابهم نسلهم على مايتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم (واشهدهم على انفسهم الست بربكم) اى ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم مايدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريق التمثيل ويدل عليه قوله (قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة) اى كراهة ان تقولوا (انا كنا عن هذه غافلين) لم ننبه عليه بدليل (اوتقولوا) عطف على ان تقولوا وقرأ ابوعمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة (انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لايصلح عذرا (افتهلكنا بمافعل المبطلون) يعنى آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك الحديث رواه عمر رضى الله تعالى عنه وقد حققت الكلام فيه فى شرحى لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ماالزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال (وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون) اى عن التقليد واتباع الباطل (واتل عليهم) اى على

عليم) بخلقه (حكيم) فى صنعه (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله) وهم المهاجرون (والذين آووا) النبى صلى الله عليه وسلم (ونصروا) وهم الانصار (اولئك بعضهم اولياء بعض) فى النصرة والارث (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم) بكسر الواو وفتحها (من شئ) فلا ارث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم فى الغنيمة (حتى يهاجروا) وهذا منسوخ بآخر السورة وان استنصروكم فى الدين فعليكم (النصر) لهم على الكفار (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد فلاتنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) فى النصرة والارث فلا ارث بينكم و بينهم (الا تفعلوه) اى تولى المسلمين وقطع الكفار (تكن فتنة فى الارض وفساد كبير) بقوة الكفر وعطف الاسلام (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله

والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) فى الجنة (والذين آمنوا من بعد) اى بعد السابقين الى الايمان والهجرة (وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) ايها المهاجرون والانصار (وأولوا الارحام) ذوو القرابات (بعضهم اولى ببعض) فى الارث من التوارث بالايمان والهجرة المذكور فى الآيات السابقة (فى كتاب الله) اللوح المحفوظ (ان الله بكل شئ عليم) ومنه حكمة الميراث

*(سورة التوبة مدنية او الا الايتين آخرها مائة وثلاثون او الآية) *

ولم تكن فيها البسملة لانه صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بذلك، كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم واخرج فى معناه عن على ان البسملة امان وهى نزلت لرفع الامن بالسيف وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وهى سورة العذاب وروى البخارى عن البراء انها آخر سورة نزلت * هذه (براءة من الله ورسوله) واصلة (الى الذين عاهدتم من المشركين) عهدا

اليهود (نبأ الذى آتيناه آياتنا) هو احد علماء بنى اسرآئيل او امية بن ابى الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فى ذلك الزمان ورجا ان يكون هو نفسه فلما بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حسد وكفر به او بلغه باعورآء من الكنعانيين اوتى علم بعض كتب الله (فانسلخ منها) من الآيات بان كفر بها واعرض عنها (فاتبعه الشيطان) حتى لحقه وادركه قرينا له وقيل استتبعه (فكان من الغاوين) فصار من الضالين روى ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا فى التيه (ولو شئنا لرفعناه) الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها (ولكنه اخلد الى الارض) مال الى الدنيا او الى السفالة (واتبع هواه) فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقى هو المشية وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة فى حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة وبذر كل بلية (فمثله) فصفته التى هى مثل فى الخسة (كمثل الكلب) كصفته فى اخس احواله وهو (ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث) اى يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك لم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده والهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية فى موضع الحال والمعنى لاهثا فى الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذى هو نفى الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص) المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم (لعلهم يتفكرون) تفكرا يؤدى بهم الى الاتعاظ (ساء مثلا القوم) اى مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم حذف المخصوص بالذم (الذين كذبوا بآياتنا) بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها (وانفسهم كانوا يظلمون) اما ان يكون داخلا فى الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين

بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول (من يهد الله فهو المهتدى من يضلل فاولئك هم الخاسرون) تصريح بان الهدى والضلال من الله تعالى وان هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد فى الاول والجمع فى الثانى باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار فى الاخبار عمن هداه الله بالمهتدى تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على انه فى نفسه كمال جسيم ونفع عظيم اولم يحصل له غيره لكفاه وانه مستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها (ولقد ذرأنا) خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس) يعنى المصرين على الكفر فى علمه تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها) اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر فى دلائله (ولهم اعين لا يبصرون بها) اى لا ينظرون الى ماخلق الله نظر اعتبار (ولهم اذان لا يسمعون بها) الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر (اولئك كالانعام) فى عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر اوفى ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها (بل هم اضل) فانها تدرك مايمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد فى جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار (اولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة (ولله الاسماء الحسنى) لانها دالة على معان هى احسن المعانى واراد بها الالفاظ وقيل الصفات (فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء (وذروا الذين يلحدون فى اسمائه) واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه اولا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامه اوذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال (سيجزون ما كانوا يعملون) وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد وألحد اذا مال عن القصد (وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون) ذكر ذلك بعد مابين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق ادلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين فى الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان فى كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تزال طائفة من امتى على الحق الى

مطلقا اودون اربعة اشهر اوفوقها ونقض العهد بما يذكر فى قوله (فسيحوا) سيروا آمنين ايها المشركون (فى الارض اربعة اشهر) اولها شوال بدليل ماسيأتى ولا امان لكم بعدها (واعلموا انكم غير معجزى الله) اى فائتى عذابه (وان الله مخزى الكافرين) مذلهم فى الدنيا بالقتل والاخرى بالنار (واذان) اعلام (من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر) يوم النحر (ان) اى بأن (الله برئ من المشركين) وعهودهم (ورسوله) برئ ايضا وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم عليا من السنة وهى سنه تسع فأذن يوم النحر بمنى بهذه الآيات وان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان رواه البخارى (فان تبتم) من الكفر (فهو خير لكم وان توليتم) عن الايمان (فاعلموا انكم غير معجزى الله وبشر) اخبر (الذين كفروا بعذاب اليم) مؤلم وهو القتل والاسرى فى الدنيا والنار فى الآخرة الا الذين عاهدتم من المشركين

ثم لم ينقصوكم شيأ) من شروط العهد (ولم يظاهروا) يعاونوا (عليكم احدا) من الكفار (فاتموا اليهم عهدهم الى) انقضاء (مدتهم) التى عاهدتم عليها (ان الله يحب المتقين) باتمام العهود (فاذا انسلخ) خرج (الاشهر الحرم) وهى آخر مدة التأجيل (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) فى حل او حرم (وخذوهم) بالاسر (واحصروهم) فى القلاع والحصون حتى يضطروا الى القتل او الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض (فان تابوا) من الكفر (واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم) (ولا تتعرضوا لهم (ان الله غفور رحيم) لمن تاب (وان احد من المشركين) مرفوع بفعل يفسره (استجارك) استأمنك من القتل (فأجره) امنه (حتى يسمع كلام الله) القرآن (ثم ابلغه مامنه) اى موضع امنه وهو دار قومه ان لم يؤمن لينظر فى امره (ذلك) المذكور (بانهم

ان يأتى امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول عليه السلام او عيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم (والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم) سنسند نيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة (من حيث لا يعلمون) ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا فى الغى حتى يحق عليهم كلمة العذاب (واملى لهم) وامهلهم عطف على سنستدرجهم (ان كيدى متين) ان اخذى شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان (اولم يتفكروا مابصاحبهم) يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام (من جنة) من جنون روى انه عليه الصلاة والسلام صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت (ان هو الا نذير مبين) موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظر استدلال (فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ) مما يقع عليه الشئ من الاجناس التى لا يمكن حصرها لهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها وتولى امرها ليظهر لهم صحة مايدعوهم اليه (وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اوينظر وافى اقتراب آجالهم ونوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ماينجيهم قبل معاجلة الموت ونزول العذاب (فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اذ لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد اتزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فبابالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله (من يضلل الله فلا هادى له) كالتقرير والتعليل له (ونذرهم فى طغيانهم) بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائى به وبالجزم عطفا على محل فلا هادى له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم (يعمهون) حال منهم (يسألونك عن الساعة) اى عن القيامة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة (ايان مرساها) متى ارساؤها

اى اثباتها واستقرارها ورسو الشئ ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتاق ايان من اى لان معناه اى وقت وهو من اويت اليه لان البعض آوى الى الكل (قل انما علمها عند ربى) استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا (لا يجليها لوقتها) لا يظهر امرها فى وقتها (الا هو) والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام فى قوله *اقم الصلاة لدلوك الشمس (ثقلت فى السموات والارض) عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهول لها وكانه اشارة الى الحكمة فى اخفائها (لا تأتيكم الا بغتة) فجاءة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (يسألونك كانك حفى عنها) عالم بها فعيل من حفى عن الشئ اذا سأل عنه فان من بالغ فى السؤال عن الشئ والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدى بعن وقيل هى صلة يسألونك وقيل هى من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كانك حفى تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفى من حفى بالشئ اذا فرح ومعناه كانك حفى بالسؤال عنها تحبه اى وانت تكرهه لانه من الغيب الذى استأثر الله بعلمه (قل انما علمها عند الله) كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ان علمها عند الله لم تؤته احدا من خلقه (قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا) جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبرى عن ادعاء العلم بالغيوب (الا ماشاء الله) من ذلك فيلهمنى اياه ويوفقنى له (ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) ولو كنت اعلمه لخالفت حالى ماهى عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسنى سوء (ان انا الا نذير وبشير) وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة (لقوم يؤمنون) فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) هو آدم (وجعل منها) من جنسها من ضلع من اضلاعها او من جنسها لقوله تعالى وجعل لكم من انفسكم ازواجا (زوجها) حوآء (ليسكن اليها) ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشئ الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب (فلما تغشاها) اى جامعها (حملت حملا خفيفا) خف

قوم لا يعلمون) دين الله فلا يدلهم من سماع القرآن ليعلموا (كيف) اى لا (يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) وهم كافرون بها غادرون (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) يوم الحديبية وهم قريش المستثنون من قبل (فما استقاموا لكم) اقاموا على العهد ولم ينقضوه (فاستقيموا لهم) على الوفاء به وما شرطية (ان الله يحب المتقين) وقد استقام صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوا باعانة بنى بكر على جزاعة (كيف) يكون لهم عهد (وان يظهروا عليكم) يظفروا بكم (لا يرقبوا) يراعوا (فيكم الا) قرابة ولا ذمة) عهدا بل يؤذونكم ما استطاعوا وجملة الشرط حال (يرضونكم بأفواههم) بكلامهم الحسن (وتأبى قلوبهم) الوفاء به وا (كثرهم) فاسقون) ناقضون للعهد (اشتروا بايات الله) القران (ثمنا قليلا) من الدنيا اى تركوا اتباعها للشهوات والهوى (فصدوا عن سبيله) دينه (انهم ساء) بئس (ما كانو

يعملون) علمهم هذا (لا يرقبون فى مؤمن اولا ولا ذمة واولئك هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم (فى الدين ونفصل) نبين (اى فهم اخوانكم (الآيات لقوم يعلمون) يتدبرون (وان نكثوا) نقضوا (ايمانهم) مواثيقهم (من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم) عابوه (فقاتلوا ائمة الكفر) رؤساءه فيه وضع الظاهر موضع المضمر (انهم لا ايمان) عهود (لهم) وفى قراءة بالكسر (لعلهم ينتهون) عن الكفر (الا) للتحضيض (تقاتلون قوما نكثوا) نقضوا (ايمانهم) عهودهم (وهموا باخراج الرسل) من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة (وهم بدؤكم) بالقتال (اول مرة) حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم من بنى بكر فما يمنعكم ان تقاتلوهم (اتخشونهم) اتخافونهم (فالله احق ان تخشوه) فى ترك قتالهم

عليها ولم تلق منه ما تلق منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا هو النطفة (فمرت به) فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت ومارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اى فظنت الحمل وارتابت به (فلما اثقلت) صارت ذا ثقل بكبر الولد فى بطنها وقرئ على البناء للمفعول اى اثقلها حملها (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا) ولدا سويا قد صلح بدنه (لنكونن من الشاكرين) لك على هذه النعمة المجددة (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) اى جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وبدل عليه قوله تعالى (فتعالى الله عما يشركون ايشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون) يعنى اصناما وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك ما فى بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال انى من الله تعالى بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا بين الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء عليهم السلام ويحتمل ان يكون الخطاب فى خلقكم لآل قصى من قريش فانهم خلقوا من نفس قصى وكان لها زوج من جنسها عربية قرشية فطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار ويكون الضمير فى يشركون لهما ولاعقاد بهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اى شركة بان اشركا فيه غيره او ذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة (ولا يستطيعون لهم نصرا) اى لعبدتهم (ولا انفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يعتريها (وان تدعوهم) اى المشركين (الى الهدى) الى الاسلام (لا يتبعوكم) وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله (سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون) وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة فى عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات ولانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم (انا الذين تدعون من دون الله) اى تعبدونهم

وتسمونهم آلهة (عباد امثالكم) من حيث انها مملوكة مسخرة (فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسى قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال (الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها) وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا والقصص والدخان (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم فى عداوتى (ثم كيدون) فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهى انتم وشركاؤكم (فلا تنظرون) فلا تمهلونى فانى لا ابالى بكم لوثوقى على ولاية الله وحفظه (ان ولى الله الذى نزل الكتاب) القرآن (وهو يتولى الصالحين) اى ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون) من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم (وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه (خذ العفو) اى خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذى هو الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة (وأمر بالعرف) المعروف المستحسن من الافعال (واعرض عن الجاهلين) فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) ينخسنك منه نخس اى وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكرة والنزغ والنسغ والغرز شبه وسوسته للناس اغراءهم على المعاصى وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه (فاستعذ بالله انه سميع) يسمع استعاذتك (عليم) يعلم ما فيه اصلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجاريه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان) لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا او قرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب طيف على

(ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله) بقتلهم (بأيديكم ويخزيهم) يذلهم بالاسر والقهر (وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) بما فعل بهم هم بنو خزاعة (ويذهب غيظ قلوبهم) كربها (ويتوب الله على من يشاء) بالرجوع الى الاسلام كأبى سفيان (والله عليم حكيم ام) بمعنى همزة الانكار (حسبتم ان تتركوا ولما) لم (يعلم الله) علم ظهور (الذين جاهدوا منكم) باخلاص (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) بطانة واولياء المعنى ولم يظهر المخلصون وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم (والله خبير بما تعملون ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله) بالافراد والجمع بدخوله ولقعود فيه (شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت) بطلت (اعمالهم) لعدم شرطها (وفى النار هم

خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش) احدا (الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) اى اهل ذلك (كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لايستوون عند الله) فى الفضل (والله لايهدى القوم الظالمين) الكافرين نزلت ردا على من قال ذلك وهو العباس او غيره (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة) رتبة (عند الله) من غيرهم (واولئك هم الفائزون) الظافرون بالخير (يبشرهم ربهم برحمته منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) دائم (خالدين) حال مقدرة (فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم) ونزل فمن ترك الهجرة لاجل اهله وتجارته (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا

انه مصدر او تخفيف طيف كليل وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره (تذكروا) ما امرالله به ونهى عنه (فاذا هم مبصرون) بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولايتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله (واخوانهم يمدونهم) اى واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان (فى الغى) بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امدو يمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال (ثم لايقصرون) لايمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لايكفون عن الغى ولايقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير فى اخوانهم الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هو له (واذا لم تأتهم بآية) من القرآن او مما اقترحوه (قالوا لواجتبيتها) هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ماتقرأه او هلا طلبتها من الله (قل انما اتبع مايوحى الى من ربى) لست بمختلق للآيات اولست بمقترح لها (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) سبق تفسيره (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) نزلت فى الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قرآءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لايرى القرآءة على المأموم وهو ضعيف (واذكر ربك فى نفسك) عام فى الاذكار من القرآءة والدعاء وغيرهما اوامر للمأموم بالقرآءة سرا بعد فراغ الامام عن قرآءته كما هو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى عنه (تضرعا وخفية) متضرعا وخائفا (ودون الجهر من القول) ومتكلما كلا مافوق السر دون الجهر فانه ادخل فى الخشوع والاخلاص (بالغدو والآصال) باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر اصل اذا دخل فى الاصيل مطابق للغدو (ولاتكن من الغافلين) عن ذكر الله (ان الذين عند ربك) يعنى ملائكة الملاء الاعلى (لايستكبرون عن عبادة ويسبحونه) وينزهونه (وله يسجدون) ويخصونه بالعبادة والتذلل لايشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقرآءته وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول ياويلة

امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه عليه الصلات والسلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعاله يوم القيامة

(سورة الانفال مدنية وهى ست وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسألونك عن الانفال) اى الغنائم يعنى حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمى به مايشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه (قل الانفال لله والرسول) اى امرها مختص بهما يقسمها الرسول على مايأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن كان له عناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لايلزم الامام ان يفى بما وعد وهو قول الشافعى رحمه الله تعالى وعن سعد ابن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخى عمير وقلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وبى مايعلمه الا الله من قتل اخى واخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذه وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها وقرئ يسألونك الانفال اى يسألك الشبان ماشرط لهم (فاتقوا الله) فى الاختلاف والمشاجرة (واصلحوا ذات بينكم) الحال التى بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول (واطيعوا الله ورسوله) فيه (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى ذلك او ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والانتهاء عن المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان (انما المؤمنون) اى الكاملون فى الايمان (الذين

اختاروا (الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم) اقرباؤكم وفى قراءة عشيراتكم (واموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) عدم نفاقها (ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله) فقعدتم لاجله عن الهجرة والجهاد (فتربصوا) انتظروا (حتى يأتى الله بأمره) تهديد لهم (والله لايهدى القوم الفاسقين لقد نصركم الله فى مواطن) للحرب (كثيرة) كبدر وقريظة والنضير (و) اذكر (يوم حنين) واد بين مكة والطائف اى يوم قتالكم فيه هوازن وذلك فى شوال سنة ثمان (اذ) بدل من يوم (اعجبتكم كثرتكم) فقلتم لن تغلب اليوم من قلة كانوا اثنى عشر الفا والكفار اربعة آلاف (فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض

اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهل بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة وفرقت اى خافت (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) لزيادة المؤمن به اولاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة اوبالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه (وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون) لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التى هى العيار عليها الصلاة والصدقة وخصا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقولهم عبد الله حقا (لهم درجات عند ربهم) كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم (ومغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم) اعد لهم فى الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهى امده (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق) خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال فى كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب فى كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله لله والرسول اى الانفال ثبتت لله والرسول عليه السلام مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعنى المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) فى موقع الحال اى اخراجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابوسفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابوجهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول غير كم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت فى مكة الا اصابه شئ منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك اباجهل فقال ما رضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تنبأت نساؤهم فخرج ابوجهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما فى السنة وكان رسول الله

بما رحبت) ما مصدرية اى مع رحبها اى سعتها فلم تجدوا مكانا تطمئنون اليه لشدة ما لحقكم من الخوف (ثم وليتم مدبرين) منهزمين و ثبت النبى صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس وابوسفيان آخذ بركابه (ثم انزل الله سكينته) طمانينته (على رسوله و على المؤمنين) فردوا الى النبى صلى الله عليه وسلم لما ناداهم العباس باذنه وقاتلوا (وانزل جنودا لم تروها) ملائكة (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالاسلام (والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قذر لخبث باطنهم (فلا يقربوا المسجد الحرام) اى لايدخلوا الحرام (بعد عامهم هذا) عام تسع من الهجرة (وان خفتم عيلة) فقرا بانقطاع تجارتهم عنكم (فسوف يغنيكم

صلى الله عليه وسلم بوادى ذفران فنزل جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نأهب له انا خرجنا للعير فرد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابوجهل قد اقبل فقالوا يارسول الله عليك بالعير ودع العد وفغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لوسرت الى عدن ابين ماتخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث ماأحببت لانا لانقول لك كما قالت بنوا اسرآئيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برءآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لايروا نصرته الاعلى عدودهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لواستعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد ومانكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ماتقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله تعالى قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه عباس وهو فى وثاقه لايصلح فقال له لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ماوعدك فكره بعضهم قوله (يجادلونك فى الحق) فى ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقى العير عليه (بعد ماتبين) انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول عليه الصلاة والسلام (كأنما يساقون الى الموت وهو يشاهد ينظرون) اى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذروى انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم

الله من فضله ان شاء) وقد اغناهم بالفتوح والجزية (ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) والا آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم (ويحرمون ماحرم الله ورسوله) كالخمر (ولايدينون دين الحق) الثابت الناسخ لغيره من الاديان وهو دين الاسلام (من) بيان للذين (الذين اوتوا الكتاب) اى اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية) الخراج المضروب عليهم كل عام (عن يد) حال اى منقادين او بايديهم لا يوكلون بها (وهم صاغرون) اذلاء منقادون لحكم الاسلام (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح) عيسى (ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) لامستندلهم عليه بل (يضاهؤن) يشابهون به (قول الذين كفروا من قبل) من آبائهم تقليدا لهم (قاتلهم) لعنهم (الله انى) كيف

(يؤفكون) يصرفون عن الحق مع قيام الدليل (اتخذوا احبارهم) علماء اليهود (ورهبانهم) عباد النصارى (اربابا من دون الله) حيث اتبعوهم فى تحليل ماحرم وتحريم ما احل (والمسيح ابن مريم وما امروا) فى التوراة والانجيل (الاليعبدوا) اى بأن يعبدوا (الهاواحدا لااله الاهو سبحانه) تنزيها له عما يشركون يريدون ان يطفئوا نور الله (شرعه و براهينه (بافواههم) باقوالهم فيه (ويأبى الله الا ان يتم) يظهر (نوره ولوكره الكافرون) ذلك (هوالذى ارسل رسوله) محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى ودين الحق ليظهره) يعليه (على الدين كله) جميع الاديان المخالفة له (ولوكره المشركون) ذلك (يأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون) ياخذون (اموال الناس بالباطل) كالرشى فى الحكم (ويصدون) الناس (عن سبيل الله) دينه (والذين)

ورعبهم (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) على اضمار اذكر واحدى الطائفتين ثانى مفعول يعدكم وقد ابدل عنها (انها لكم) بدل الاشتمال (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) يعم العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك (ويريد الله ان يحق الحق) ان يثبته ويعليه (بكلماته) الموحى بها فى هذه الحال اوباوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته (ويقطع دابر الكافرين) ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا اما لاولاتلقوا مكروا والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق ومايحصل لكم فوز الدارين (ليحق الحق ويبطل الباطل) اى يفعل مافعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد ومابينه وبين مرادهم من التفاوت والثانى لبيان الداعى الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها (ولوكره المجرمون) ذلك (اذتستغيثون ربكم) بدل من اذيعدكم اومتعلق بقوله ليحق الحق اوعلى اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لامحيص من القتال اخذوا يقولون اى رب انصرنا على عدوك اغثنا ياغياث المستغيثين وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى الصحابة وهم ثلاثمائة فاستقبل لقبله ومديديه يدعو اللهم انجزلى ماوعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لاتعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط ردآؤه فقال ابوبكر يانبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجزلك ماوعدك (فاستجاب لكم انى ممدكم) بأنى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول اواجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول (بالف من الملائكة مردفين) متبعين المؤمنين اوبعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده اومتبعين بعضهم بعضا المؤمنين اوانفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اى متبعين اومتبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش اوساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء فى الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل اوبالضم على الاتباع وقرئ بآلاف من الملائكة ليوافق مافى سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة اوالساقة اووجوههم واعيانهم اومن قاتل منهم واختلف فى مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل عليها (وماجعله الله)

اى الامداد (الابشرى لكم)الابشارة لكم بالنصر (لتطمئن به قلوبكم) فيزول مابها من الوجل لقلتكم وذلتكم (وماالنصر الامن عند الله ان الله عزيز حكيم) وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائطلاتأثير لها فلاتحسوا النصر منها ولاتيأسوامنه بفقدها (اذيغشكم النعاس) بدل ثان من اذيعدكم لاظهار نعمة ثالثة اومتعلق بالنصر اوبما فى عندالله من بمعنى الفعل اوبجعله اوباضمارا ذكروقرأنافع يغشيكم بالتخفيف من اغشيته الشئ اذا غشيته اياه والفاعل على القرآءتين هوالله تعالى وقرأ ابن كثيروا بوعمرو يغشاكم النعاس بالرفع (امنة منه) أمنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس يتضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان ان يراد بها الايمان فتكون فعل المغشى وان تجعل على القرآءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه اولانه كان من حقه ان لايغشاهم لشدة الخوف فلما غشاهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله *يهاب النوم ان يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرورد وقرئ امنة كرحمة وهى لغة (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) من الحدث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعنى الجنابة لانه من تخييله اووسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماءونا موا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فطروا ليلا حتى جرى الوادى واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضأو اوتلبد الرمل الذى بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة (وليربط على قلوبكم) بالوثوق على لطف الله بهم (ويثبت به الاقدام) اى بالمطر حتى لاتسوخ فى الرمل اوبالربط على القلوب حتى تثبت فى المعركة (اذيوحى ربك) بدل ثالث اومتعلق بيثبت (الى الملائكة انى معكم) فى اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحى وقرئ بالكسر على ارادة القول اواجراء الوحى مجراه (فثبتوا الذين آمنوا) بالبشارة وبتكثير سوادهم اوبمحاربة اعدائهم (فيكون قوله (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) كالتفسير لقوله انى معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب مبتدأ و يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها) اى الكنوز (فى سبيل الله)اى لايؤدون منها حقه من الزكاة والخير (فبشرهم) اخبرهم (بعذاب اليم) مؤلم (يوم يحمى عليها فى نارجهنم فتكوى)تحرق (بهاجباههم وجنوبهم وظهورهم)وتوسع جلودهم وحتى توضع عليها كلها ويقال لهم (هذا ماكنزتم لانفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون) اى جزاءه (ان عدة الشهور) المعتد بها للسنة (عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله) اللوح المحفوظ (يوم خلق السموات والارض منها) اى الشهور (اربعة حرم) محرمة ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب (ذلك) اى تحريمها (الدين القيم) المستقيم (فلا تظلموا فيهن) اى الاشهر الحرم (انفسكم) بالمعاصى فانها فيها اعظم وزرا وقيل فى الاشهر كلها (وقاتلوا المشركين كافة) جميعا فى كل الشهور (كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين)

فيه مع المؤمنين اما على تعبير الخطاب او على ان قوله سألقى الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قولى هذا (فاضربوا فوق الاعناق) اعاليها التى هى المذابح او الرؤس (اضربوا منهم كل بنان) اصابع اى جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم (ذلك) اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول عليه الصلاة السلام او لكل احد من المخاطبين (بانهم شاقوا الله ورسوله) بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعادين فى شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم فى الآخرة بعد ما حاق بهم فى الدنيا (ذلكم) الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اى الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه (فذوقوه) او غيره مثل باشروا او عليكم لتكون الفاء عاطفة (وان للكافرين عذاب النار) عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم فى الاخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف (ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبى اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمى به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال (فلا تولوهم الادبار) بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول اى اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال) يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب (او متحيزا الى فئة) او متحازا الى احرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه كان فى سرية بعثهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقروا الى المدينة فقلت يارسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اى الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفعيل لا متفعل

بالعون والنصر (انما النسىء) اى التاخير لحرمة شهر الى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم اذا هل وهم فى القتال الى صفر (زيادة فى الكفر) لكفرهم بحكم الله فيه (يضل) بضم الياء وفتحها (به الذين كفروا يحلونه) اى النسى (عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا) يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله (عدة) عدد (ماحرم الله) من الاشهر فلا يريدون على تحريم اربعة ولا ينقصون ولا ينظرون الى اعيانها (فيحلوا ماحرم الله زين لهم سوء أعمالهم) فظنوه حسنا (والله لا يهدى القوم الكافرين) * ونزل لما عاد صلى الله عليه وسلم الناس الى غزوة تبوك وكانوا فى عسرة وشدة حر فشق عليهم (يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم) بادغام التاء فى الاصل فى الثلثة واجتلاب همزة الوصل اى تباطأتم وملتم عن الجهاد (الارض) والقعود فيها

والالكان متجوزا لانه من حاز يحوز (فقدباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) هذا اذالم يزد العدو على الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه فى الحرب (فلم تقتلوهم) بقوتكم (ولكن الله قتلهم) بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم روى انه لما اطلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسألك ماوعدتنى فاتاه جبريل عليه السلام وقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الاشغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم (وما رميت) يامحمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه (اذ رميت) اى اتيت بصورة الرمى (ولكن الله رمى) اتى بماهو غاية الرمى فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ماهو كماله والمقصود منه وقيل معناه مارميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بارعب فى قلوبهم وقيل نزل فى طعنة طعن بها ابى بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات اورمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب لبابة بن الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع مابعده فى الموضعين (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات (ان الله سميع) لاستغاثتهم ودعائهم (عليم) بنياتهم واحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن اوالقتل اوالرمى ومحله الرفع اى المقصود اوالامر ذلكم وقوله (وان الله موهن كيد الكافرين) معطوف عليه اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابوعمر وموهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين (وان تنتهوا) عن الكفر ومعاداة

والاستفهام للتوبيخ (ارضيتم بالحيوة الدنيا) ولذاتها (من الاخرة) اى بدل نعيمها (فامتاع الحيوة الدنيا فى) جنب متاع (الاخرة الاقليل) حقير (الا) بادغام لافى نون ان الشرطية فى الموضعين (تنفروا) تخرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم للجهاد (يعذبكم عذابا اليما) مؤلما (ويستبدل قوما غيركم) اى يأت بهم بدلكم (ولا تضروه) اى الله او النبى صلى الله عليه وسلم (شيأ) بترك نصره فان الله ناصر دينه (والله على كل شئ قدير) ومنه نصر دينه ونبيه (الا تنصروه اى النبى صلى الله عليه وسلم (فقد نصره الله اذ) حين (اخرجه الذين كفروا) من مكة اى الجؤه الى الخروج لما ارادوا قتله اوحبسه اونفيه بدار الندوة (ثانى اثنين) حال اى احد اثنين والاخر ابوبكر المعنى نصره الله فى مثل تلك الحالة فلا يخذله فى غيرها (اذ) بدل من اذقبله (هما فى الغار) نقب فى جبل ثور (اذ) بدل ثان (يقول

الرسول (فهو خير لكم) لتضمنه سلامة الدارين و خير المنزلين (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته (ولن تغنى) ولن تدفع (عنكم فئتكم) جماعتكم (شيئا) من الاغناء او المضار (ولو كثرت) فئتكم (وان الله مع المؤمنين) بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين ايمانهم ويؤكد ذلك (ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولاتولوا عنه) اى تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله فى طاعة الرسول لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذى دل عليه الطاعة (وانتم تسمعون) القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق (ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا) كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع (وهم لايسمعون) سماعا ينتفعون به فكانهم لايسمعون رأسا (ان شر الدواب عند الله) شر مايدب على الارض او شر البهائم الصم) عن الحق (البكم الذين لايعقلون) اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ماميزوا به وفضلوا لاجله (ولو علم الله فيهم خيرا) سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات (لاسمعهم) سماع تفهم (ولو اسمعهم) وقد علم ان لاخير فيهم (لتولوا) ولم ينتفعوا به اوارتدوا بعد التصديق والقبول (وهم معرضون) لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم احى لناقصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصى (ياايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) بالطاعة (اذا دعاكم) وحد الضمير فيه لماسبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروى انه عليه السلام مر على ابى وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلاته ثم جاء فقال مامنعك عن اجابتى قال كنت اصلى قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لاتقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاه كان لامر لايحتمل التأخير وللمصلى ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر

لصاحبه) ابى بكر وقد قال له لما راى اقدام المشركين لو نظر احدهم تحت قدميه لأبصرنا (لاتحزن ان الله معنا) بنصره (فانزل الله سكينته) طمانينته (عليه) قيل على النبى صلى الله عليه وسلم وقيل على أبى بكر (وايده) النبى صلى الله عليه وسلم (بجنود لم تروها) ملائكة فى الغار وموطن قتاله (وجعل كلمة الذين كفروا) اى دعوة الشرك (السفلى) المغلوبة (وكلمة الله) اى كلمة الشهادة (هى العليا) الظاهرة الغالبة (والله عزيز) فى ملكه (حكيم) فى صنعه (انفروا خفافا وثقالا) نشاطا وغير نشاط وقيل اقوياء وضعفاء او اغنياء وفقراء وهى منسوخة بآية ليس على الضعفاء (وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) انه خير لكم فلا تثاقلوا * ونزل فى المنافقين الذين تخلفوا (لوكان) مادعوتهم اليه (عرضا) متاعا من الدنيا (قريبا) سهل الماخذ (وسفرا قاصدا)

الحديث يناسب الاول (لما يحييكم) من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال * لاتعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن * اوما يورثكم الحياة الابدية فى النعيم الدائم من العقائد والاعمال اومن الجهاد فانه سبب بقائكم اذلو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) تمثيل لغاية قربه من البعد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ماعسى يغفل عنه صاحبها اوحث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت اوغيره اوتصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرى بين المرء بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه (وانه اليه تحشرون) فيجازيكم باعمالكم (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة فى الامر بالمعروف وافتراف الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله لاتصيبن اماجواب الامر على معنى ان اصابتكم لاتصيب الظالمين منكم خاصة بل تعمكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلايليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان النون لاتدخل المنفى فى غير القسم اوللنهى على ارادة القول كقوله * حتى اذا جن الظلام واختلط * جاؤ بمذق هل رأيت الذئب قط * واما جواب قسم محذوف لقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا فى المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم (واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذانتم قليل مستضعفون فى الارض) ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء فى ايدى فارس والروم (تخافون ان يتخطفكم الناس) كفار قريش اومن عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم (فآواكم) الى المدينة او جعل لكم مأوى وسطا (لاتبعوك) طلبا للغنيمة (ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة فتخلفوا (وسيحلفون بالله) اذا رجعتم اليهم (لواستطعنا) الخروج (لخرجنا معكم يهلكون انفسهم) بالحلف الكاذب (والله يعلم انهم لكاذبون فى قولهم ذلك وكان صلى الله عليه وسلم اذن لجماعة فى التخلف باجتهاد منه فنزل عتابا له وقدم العفو تطمينا لقلبه (عفا الله عنك لم اذنت لهم) فى التخلف وهلا تركهم (حتى يتبين لك الذين صدقوا) فى العذر (وتعلم الكاذبين) فيه (لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) فى التخلف عن (ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك) فى التخلف (الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت) شكت (قلوبهم) فى الدين (فهم فى ريبهم يترددون) يتحيرون (ولو ارادوا الخروج) معك (لاعدوا له عدة) اهبة من الآلة وازاد (ولكن كره الله انبعاثهم) اى لم يرد

تحصنون به عن اعدائكم (وايديكم بنصره) على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلكم تشكرون) هذه النعم (يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) بتعطيل الفرائض والسنن او بأن تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في المغانم وروى انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان منا صحالفهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ماترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما وشرابا حتى اموت او يتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذي يحلني فجاء فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه (وتخونوا اماناتكم) فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو (وانتم تعلمون) انكم تخونون او انتم علماء تميزون الحسن من القبيح (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة) لانهم سبب الوقوع في الاثم وفي العقاب او محنة من الله تعالى ليبلوكم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة (وان الله عنده اجر عظيم) لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانبطوا هممكم بما يؤديكم اليه (يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة مما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح (ويكفر عنكم سيئاتكم) ويسترها (ويغفر لكم) بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفر هما الله

خروجهم (فثبطهم) كسلهم (وقيل) لهم (اقعدوا مع القاعدين) المرضى والنساء والصبيان اى قدر الله تعالى ذلك (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) فساد بتخذيل المؤمنين (ولأوضعوا خلالكم) اى اسرعوا بينكم بالمشى بالنميمة (يبغونكم) يطلبون لكم (الفتنة) بالقاء العداوة (وفيكم سماعون لهم) مايقولون سماع قبول (والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا) لك (الفتنة من قبل) اول ماقدمت المدينة (وقلبوا لك الامور) اى اجالوا الفكر في كيدك وابطال دينك (حتى جاء الحق) النصر (وظهر) عز (امر الله) دينه (وهم كارهون) له فدخلوا فيه ظاهرا (ومنهم من يقول ائذن لى) في التخلف (ولا تفتنى) وهو الجد بن قيس قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل لك في جلاد بني الاصفر فقال انى مغرم بالنساء واخشى ان ارايت نساء بني الاصفر ان لا اصبر عنهن فافتتن قال تعالى (الا في الفتنة سقطوا) بالتخلف

لهم (والله ذو الفضل العظيم) تنبيه على ان ماوعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل (واذ يمكر بك الذين كفروا) تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك (ليثبتوك) بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لاحراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك (اويقتلوك) يسيوفهم (اويخرجوك) من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم فزعوا فاجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى امره فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقال ابو البحترى رأيى ان تحبسوه فى بيت وتشدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ماصنع فقال بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضى الله تعالى عنه فى مضجعه وخرج مع ابى بكر رضى الله تعالى عنه الى الغار (ويمكرون ويمكر الله) رد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين فى اعينهم حتى جلوا عليهم فقتلوا (والله خير الماكرين) اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا الى الله انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجمع لاسناد مافعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاضيهم او قول الذين ائتمروا فى امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفهم وفرط استنكافهم

وقرئ سقط (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) لامحيص لهم عنها (ان تصبك حسنة) كنصر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) شدة (يقولوا قد اخذنا امرنا) بالجزم حين تخلفنا (من قبل) قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) بما اصابك (قل) لهم (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) اصابته (هو مولانا) ناصرنا ومتولى امورنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون) فيه حذف احدى التاءين من الاصل اى تتنظرون ان يقع (بنا الا احدى) العاقبتين (الحسنيين) تثنية حسنى تأنيث احسن النصر او الشهادة (ونحن نتربص) ننتظر (ربكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده) بقارعة من السماء (او بأيدينا) بان يؤذن فى قتالكم (فتربصوا) بنا ذلك (انا معكم متربصون) عاقبتكم (قل انفقوا) فى طاعة الله (طوعا او كرها لن يتقبل منكم) ما انفقتموه (انكم كنتم قوما فاسقين) والامر هنا بمعنى الخبر (وما منعهم ان تقبل) بالتاء

ان يغلبوا خصوصا فى باب البيان (ان هذا الا اساطير الاولين) ماسطره الاولون من القصص (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) هذا ايضا من كلام ذاك القائل ابلغ فى الجحود روى انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القرآن حقا منزلا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذى يدعيه النبى وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف لاجابة دعائهم واللام لتأكيد النفى والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبى عليه السلام بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم فى قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقى فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم اغفر او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون (ومالهم ان يعذبهم الله) ومالهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون (وهم يصدون عن المسجد الحرام) وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية (وما كانوا اولياءه) مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (ان اولياؤه الا المتقون) من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير ان لله (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر على ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم (وما كان صلاتهم عند البيت) اى دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها (الا مكاء) صفير افعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا (وتصدية) تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال احد حرفى التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق

والياء (منهم نفقاتهم الا انهم) فاعل وان تقبل مفعول (كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى) متثاقلون (ولا ينفقون الا وهم كارهون) النفقة لانهم يعدونها مغرما (فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم) اى لا تستحسن نعمنا عليهم فهى استدراج (انما يريد الله ليعذبهم) اى ان يعذبهم (بها فى الحيوة الدنيا) بما يلقون فى جمعها من المشقة وفيها من المصائب (وترهق) تخرج (انفسهم وهم كافرون) فيعذبهم فى الآخرة اشد العذاب (ويحلفون بالله انهم لمنكم) اى مؤمنون (وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخافون ان تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية (لو يجدون ملجأ) يلجؤن اليه (او مغارات) سراديب (او مدخلا) موضعا يدخلونه (لولوا اليه وهم يجمحون) يسرعون فى دخوله والانصراف عنكم اسراعا لا يرده شئ كالفرس الجموح (ومنهم من يلزك) يعيبك (فى) قسم (الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم

بمن هذه صلاته روى انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا (فذوقوا العذاب) يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام تحتمل ان تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم (بما كنتم تكفرون) اعتقادا وعملا (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله) نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزرا او في ابي سفيان استأجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله (فسينفقونها) بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد (ثم تكون عليكم حسرة) ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة (ثم يغلبون) آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك (والذين كفروا) اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذا سلم بعضهم (الى جهنم يحشرون) يساقون (ليميز الله الخبيث من الطيب) الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كالمكافرين (فيجعله في جهنم) كله (اولئك) اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين (هم الخاسرون) الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم (قل للذين كفروا) يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم (ان ينتهوا) معاداة الرسول عليه الصلاة والسلام بالدخول في الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) من ذنوبهم وقرئ يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) من الغنائم ونحوها وقالوا حسبنا) كافينا (الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) من غنيمة اخرى ما بكفينا (انا الى الله راغبون) ان يغنينا وجواب لو كان خيرا لهم (انما الصدقات) الزكوات مصروفة (للفقراء) الذين لا يجدون ما يقع موقعا من كفايتهم (والمساكين) الذين لا يجدون ما يكفيهم (والعاملين عليها) اي الصدقات من جاب وقاسم وكاتب وعاشر (والمؤلفة قلوبهم) ليسلموا او يثبت اسلامهم او يسلم نظراؤهم او يذبوا عن المسلمين اقسام والاول والاخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لعز الاسلام بخلاف الآخرين فيعطيان على الاصح (وفي) فك (الرقاب) اي المكاتبين (والغارمين) اهل الدين ان استدانوا لغير معصية او تابوا وليس لهم وفاء او لاصلاح ذات البين ولو اغنياء (وفي سبيل الله) اي

بالتاء والكاف على انه خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى (وان يعودوا) الى قتاله (فقد مضت سنة الاولين) الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) لايوجد فيهم شرك (ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم الاديان الباطلة (فان انتهوا) من الكفر (فان الله بما يعملون بصير) فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم فيكون تعليله بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعى اثابتهم للمباشرة يستدعى اثابة مقاتليهم للتسبب (وان تولوا) ولم ينتهوا (فاعلموا ان الله مولاكم) ناصركم فثقوا به ولاتبالوا بمعاداتهم (نعم المولى) لايضيع من تولاه (ونعم النصير) لايغلب من نصره (واعلموا انما غنمتم) اى الذى اخذتموه من الكفار قهرا (من شئ) مما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط (فان لله خمسه) مبتدأ خبره محذوف اى فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما فى قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على خمسة المعطوفين وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) فكانه قال فان لله خمسه يصرفه الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضى الله تعالى عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك رضى الله تعالى عنه الامر فيه مفوض الى رأى الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الكعبة لما روى انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذو والقربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روى انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوى القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لانكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم ارأيت اخواننا من بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه الصلاة والسلام انهم

القائمين بالجهاد ممن لافئ لهم ولوأ غنياء (وابن السبيل) المنقطع فى سفره (فريضة) نصب يفعله المقدر (من الله والله عليم بخلقه (حكيم) فى صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولامنع صنف منهم اذا وجد فيقسمها الامام عليهم على السوأ وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وافادت اللام وجوب استغراق افراده لكن لا يجب على صاحب المال اذا قسم لعسره بل يكفى اعطاء ثلاثة من كل صنف ولايكفى دونها كما افادته صيغة الجمع وبينت السنة ان شرط المعطى منها الاسلام وان لا يكون هاشميا ولا مطلبيا (ومنهم) اى المنافقين الذين يؤذون النبى) بعيبه وبنقل حديثه (ويقولون) اذا نهوا عن ذلك لئلا يبلغه (هو اذن) اى يسمع كل قبل ويقبله فاذا حلفنا له انا نقل صدقنا (قل) هو (اذن) مستمع (خير لكم لامستمع شر (يؤمن بالله ويؤمن) يصدق (للمؤمنين) فيما اخبروه به

لم يفارقونا فى جاهلية ولا فى اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنوها شم وحدهم وقيل جميع قريش والغنى والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرآئهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة (ان كنتم آمنتم بالله) متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملى اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل (وما انزلنا على عبدنا) محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اى الرسول والمؤمنين (يوم الفرقان) يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) المسلمون والكفار (والله على كل شئ قدير) فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة (اذ انتم بالعدوة الدنيا) بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادى وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قرآءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب (وهم بالعدوة القصوى) البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعلياء تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا (والركب) اى العير اوقوادها (اسفل منكم) فى مكان اسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم و يبذلوا منتهى جهدهم وضعت شأن المسلمين والتياث امرهم واستعباد غلبتهم عادة ولذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله (ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد) اى لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا (ولكن) جمع بينكم على هذه الحالة من غير

لا غيرهم واللام زائدة للفرق بين ايمان التسليم وغيره (ورحمة) بالرفع عطفا على اذن والجر عطفا على خير (للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم) ايها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من اذى الرسول انهم ما اتوه (ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه) بالطاعة (ان كانوا مؤمنين حقا وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين او خبر الله ورسوله محذوف (الم يعلموا انه) اى الشان (من يحادد) يشاقق الله (ورسوله فان نار جهنم) جزاء (خالدا فيها ذلك الخزى العظيم يحذر) يخاف (المنافقون ان تنزل عليهم) اى المؤمنين (سورة تنبئهم بما فى قلوبهم) من النفاق وهم مع ذلك يستهزؤن (قل استهزؤا) امر تهديد (ان الله مخرج) مظهر (ما يحذرون) اخراجه من نفاقكم (ان) لام قسم (سالتهم) عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك الى تبوك (ليقولن معذرين (انما كنا نخوض

ميعـاد (ليقضى الله امرا كان مفعولا) حقيقـا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله (ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حى عن بينة) بدل منه اومتعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة اوليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن المشـارف للهلاك وللحياة اومن هذا حاله فى علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابوبكر ويعقوب من حيى بفك الادغام للحمل على المستقبل (وان الله لسميع عليم) بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقـاد (اذ يريكم الله فى منامك قليلا) مقدر باذكر اوبدل ثان من يوم الفرقان اومتعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك فى رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم (ولو اراكهم كثيرا لفشلتم) لجبتم (ولتنازعتم فى الامر) امر القتال وتفرقت اراؤكم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) انعم بالسـلامة من القتل والتنازع (انه عليم بذات الصدور) يعلم ماسيكون فيها ومايغير احوالها (واذ يريكموهم اذا التقيتم و اعينكم قليلا) الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثانى وانما قللهم فى اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله تعـالى عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله تعـالى عليه وسـلم (و يقللكم فى اعينهم) حتى ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور قللهم فى اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يسـتعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظـائم آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن على هذا الوجه ولا الى هـذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوى فى الشروط (ليقضى الله امرا كان مفعولا) كرره لاختلاف الفعل المعلل به اولان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المحكى وههنـا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه (والى الله ترجع الامور ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب فى القتال (فاثبتوا) للقائهم (واذكروا الله كثيرا)

و نلعب) فى الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك (قل) لهم (ابالله وآياته ورسوله كنتم يستهزؤن لا تعتذروا) عنه (قد كفرتم بعد ايمانكم) اى ظهر كفركم بعد اظهار الايمان (ان نعف) بالياء مبنيا للمفعول والنون مبنيا للفاعل (عن طائفة منكم) باخلاصها وتوبتها كجحش ابن جبر (تعذب) بالتاء والنون (طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق الاستهزاء (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض)اى متشابهون فى الدين كابعاض الشئ الواحد (يأمرون بالمنكر) الكفر والمعاصى (و ينهون عن المعروف) الايمان والطاعة (و يقبضون ايديهم) عن الانفاق فى الطاعة (نسوا الله) تركوا طاعته (فنسيهم) تركهم من لطفه ان المنافقين هم الفـاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم) جزاء وعقابا (ولعنهم الله) ابعد هم عن رحمته (ولهم عذاب مقيم) دائم انتم ايها المنافقون (كالذين

في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره (لعلكم تفلحون) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شئ عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شئ من الاحوال (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا) باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر اواحد (فتفشلوا) جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ (وتذهب ريحكم) بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور (واصبروا ان الله مع الصابرين) بالكلاءة والنصر (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير (بطرا) فخرا واشرا (ورئاء الناس) ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابوجهل لا والله حتى تقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل التقوى والاخلاص من حيث النهي عن الشئ امر بضده (ويصدون عن سبيل الله) معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر (والله بما يعملون محيط) فيجازيكم عليه (واذ زين لهم الشيطان) مقدر باذكر (اعمالهم) في معاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرها بأن وسوس اليهم (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم) مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضارب يزيدا عندنا (فلما تراءت الفئتان) اى تلاقى الفريقان (نكص على عقبيه) رجع القهقرى اى بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجير هم سبب هلاكهم (وقال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله) اى تبرأ منهم وخاف عليهم من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا (بخلاقهم) نصيبهم من الدنيا (فاستمتعتم) ايها المنافقون (بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم) في الباطل والطعن في النبي صلى الله عليه وسلم (كالذى خاضوا) اى كخوضهم (اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون الم يأتهم نبأ) خبر (الذين من قبلهم قوم نوح وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح (وقوم ابراهيم واصحاب مدين) قوم شعيب (والمؤتفكات) قرى قوم لوط اى اهلها (اتتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات فكذبوهم فاهلكوا (فما كان الله ليظلمهم بان يعذبهم بغير ذنب (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بارتكاب الذنب (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز) لا يعجزه شئ عن انجاز وعده ووعيده (حكيم) لا يضع

وايس من حالهم لمارأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكان ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكنانى وقال لاغالب لكم اليوم وانى مجيركم من بنى كنانة فلمارأى الملائكة تنزل نكص وكان يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى ارى مالاترون ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة قبلغه ذلك فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وهلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى اخاف الله انى اخافه ان يصيبنى مكروها من الملائكة او يهلكنى ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذرأى فيه مالم يرقبله والاول ماقاله الحسن واختاره ابن بحر (والله شديد العقاب) يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا (اذيقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقى فى قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين (غرهؤلاء) يعنون المؤمنين (دينهم) حتى تعرضوا للايدى لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف (ومن يتوكل على الله) جواب لهم (فان الله عزيز) غالب لايذل من استجار به وان قل (حكيم) يفعل بحكمته البالغة مايستبعده العقل ويعجز عن ادراكه (ولوترى) ولورأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان ان (اذيتوفى الذين كفروا الملائكة) بدر واظرف ترى والمفعول محذوف اى ولوترى الكفرة اولهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره (يضربون وجوههم) والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم اومن الملائكة اومنهما لاشتماله على الضميرين (وادبارهم) ظهورهم اواستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اى يضربون ماقبل منهم ومادبر (وذوقوا عذاب الحريق) عطف على يضربون باضمار القول اى ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله (ذلك) الضرب والعذاب (بماقدمت ايديكم) بسبب ماكسبتم من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك (وان الله ليس

شيأ الا فى محلة (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن) اقامة (ورضوان من الله اكبر) اعظم من ذلك كله (ذلك هو الفوز العظيم يا ايها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) باللسان والحجة (واغلظ عليهم) بالانتهار والمقت (ومأواهم جهنم وبئس المصير) المرجع هى (يحلفون) اى المنافقون (بالله ماقالوا) مابلغك عنهم من السب (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) اظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام (وهموا بمالم ينالوا) من الفتك بالنبى ليلة العقبة عند عوده من تبوك وهم بضعة عشر رجلا فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردوا (ومانقموا انكروا (الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله) بالغائم بعد شدة حاجتهم المعنى لم ينلهم منه الا هذا وليس مما ينقم (فان يتوبوا) عن النفاق ويؤمنوا بك (يك خيرا لهم وان يتولوا) عن الايمان

بظلام للعبيد) عطف على ماللدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لان لايعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفى الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد (كدأب آل فرعون) اى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذى دأبوا فيه اى داموا عليه (والذين من قبلهم) من قبل آل فرعون (كفروا بآيات الله) تفسير لدأبهم (فاخذهم الله بذنوبهم) كما اخذ هؤلاء (ان الله قوى شديد العقاب) لايغلبه فى دفعه شئ (ذلك) اشارة الى ماحل بهم (بان الله) بسبب ان الله (لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم) مبدلا اياها بالنقمة (حتى لايغيروا مابانفسهم) يبدلوا مابهم من حال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم فى صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعى فى اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد البعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ماهو المفهوم له وهو جرى عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا (والله سميع) لمايقولون (عليم) بمايفعلون (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون) تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بايات ربهم وبيان مااخذبه آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذبه والثانى لتشبيه التغيير فى النعمة بسبب تغييرهم مابانفسهم (وكل) من الفرق المكذبة اومن غرق القبط وقتلى قريش (كانوا ظالمين) انفسهم بالكفر والمعاصى (ان شرالدواب عندالله الذين كفروا) اصروا على الكفر ورسخوا فيه (فهم لايؤمنون) فلايتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لايؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعى تحقق المعطوف وقوله (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لايمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالأوهم عليه يوم الخندق وركب

يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا) بالقتل (والآخرة) بالنار (ومالهم فى الارض من ولى) يحفظهم منه (ولانصيرا) يمنعهم (ومنهم من عاهدالله لئن آتانا من فضله لنصدقن) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الصاد (ولنكونن من الصالحين) وهو ثعلبة بن حاطب سأل النبى صلى الله عليه وسلم ان يدعو له ان يرزقه الله مالايؤدى منه كل ذى حق حقه فدعاله فوسع عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة كما قال تعالى (فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا عن طاعة الله (وهم معرضون فاعقبهم)اى فصير عاقبتهم (نفاقا) ثابتا فى قلوبهم (الى يوم يلقونه) اى الله وهو يوم القيامة (بما اخلفوا الله ماوعدوه بما كانوا يكذبون) فيه فجاء بعد ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم بزكاته فقال ان الله منعنى ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه جاء بها الى ابى بكر فلم يقبلها ثم الى عمر فلم يقبلها ثم الى عثمان فلم يقبلها ومات فى زمانه

كعب بن الاشرف الى مكة فخالفهم ومن التضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة اوالمحاربة (وهم لايتقون) سبة الغدر ومغبته اولا يتقون الله فيه اونصره للمؤمنين وتسلية عليهم (فاما تثقفنهم) فاما تصادفنهم وتظفرون بهم (فى الحرب فشرد بهم) فرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم (من خلفهم) من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذار ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذاشرد من وراءهم فقد فعل التشريد فى الورآء (لعلهم يذكرون) لعل المشردين يتعظون (واماتخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نقض عهد بامارات تلوح لك (فانبذاليهم) فاطرح اليهم عهدهم (على سواء) على عدل وطريق قصد فى العداوة ولاتناجزهم فى الحرب فانه يكون خيانة منك اوعلى سواء فى الخوف اوالعلم بنقض العدوهو فى موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اى ثابتا على طريق سوى اومنه اومن المنبوذاليهم اومنهما على غيره وقوله (ان الله لايحب الخائنين) تعليل للامر بالنبذ والنهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف (ولاتحسبن) خطاب للنبى عليه الصلاة والسلام وقوله (الذين كفروا سبقوا) مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على الفاعل ضمير احدا ومن خلفهم اوالذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار اوعلى تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف اوعلى ايقاع الفعل على (انهم لايعجزون) بالفتح على قراءة ابن عامر وان لاصلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين والاظهر انه تعليل للنهى اى لاتحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لايفوتون الله اولايحدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين (واعدوا) ايها المؤمنين (لهم) لناقضى العهد اوللكفار (ماستطعتم من قوة) من كل مايتقوى به فى الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر الاان القوة الرمى قالها ثلاثا ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه (ومن رباط الخيل) اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فقال بمعنى مفعول اومصدر سمى به يقال ربط ربطا

﴿ ورباطا ﴾

(الم يعلموا) اى المنافقون (ان الله يعلم سرهم) ماأسروه فى انفسهم (ونجواهم) ماتناجوابه بينهم (وان الله علام الغيوب) ماغاب عن العيان* ولما نزلت اية الصدقة جاء رجل فتصدق بشئ كثير فقال المنافقون مراء وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله غنى عن صدقة هذا فنزل (الذين) مبتدأ (يلمزون) يعيبون (المطوعين) المتنفلين من المؤمنين فى الصدقات والذين لايجدون الاجهدهم) طاقتهم فيأتون به (فيسخرون منهم) والخبر (سخر الله منهم) جازاهم على سخريتهم (ولهم عذاب اليم استغفر لهم) يامحمد اولاتستغفر لهم) تخيير له فى الاستغفار وتركه قال صلى الله عليه وسلم انى خيرت يعنى استغفار رواه البخارى (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) قيل المراد بالسبعين المبالغة فى كثرة الاستغفار وفى البخارى حديث لو اعلم انى لوزدت على السبعين غفر لزدت عليها وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه ايضا وسأزيد على

ورباطا ورابط مرابطة ورباطا اوجمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الياء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة (ترهبون به) تخوفون به وعن يعقوب ترهبون به بالتشديد والضمير لما استطعتم اوللاعداد (عدو الله وعدوكم) يعنى كفار مكة (وآخرين من دونهم) من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس (لاتعلونهم) لاتعرفونهم باعيانهم (الله يعلمهم) بعرفهم (وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم) جزآؤه (وانتم لاتظلمون) بتضييع العمل اونقص الثواب (وان جنحوا) مالوا اومنه الجناح وقد يعدى باللام والى (للسلم) للصلح والاستسلام وقرأ ابوبكر بالكسر (فاجنح لها) وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال * السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من انفاسها جزع * وقرئ فاجنح بالضم (وتوكل على الله) ولاتخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم (انه هو السميع) لاقوالهم (العليم) بياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف (وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله) فان حسبك الله وكافيك قال جرير * انى وجدت من المكارم حسبكم * ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا * (هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين) جميعا (والف بين قلوبهم) مع مافيهم من العصبية والضغينة فى ادنى شئ والتهالك على الانتقام بحيث لايكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صار واكنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وبيانه (لوانفقت مافى الارض جميعا ماالفت بين قلوبهم) اى تناهى عدواتهم الى حدلو انفق منفق فى اصلاح ذات بينهم مافى الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح (ولكن الله الف بينهم) بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء (انه عزيز) تام القدرة والغلبة لايعصى عليه مايريده (حكيم) يعلم انه كيف ينبغى ان يفعل مايريده وقيل الآية فى الاوس والخزرج كان بينهم احن لاامد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا (ياايها النبى حسبك الله) كافيك (ومن اتبعك من المؤمنين) اما فى محل النصب على المفعول معه كقوله * اذا كانت الهيجاء واستجر القنا * فحسبك والضحاك سيف مهند * اوالجر عطفا على المكنى

السبعين فبين له حسم المغفرة بآية سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لايهدى القوم الفاسقين فرح المخلفون) عن تبوك (بمقعدهم) اى بعقودهم (خلاف) اى بعد (رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله وقالوا) اى قال بعضهم لبعض (لاتنفروا) تحرجوا الى الجهاد (فى الحر قل نار جهنم اشد حرا) من تبوك فالاولى ان يتقوها بترك التخلف (لوكانوا يفقهون) يعلمون ذلك ماتخلفوا (فليضحكوا قليلا) فى الدنيا (وليبكوا) فى الآخرة (كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون خبر عن حالهم بصيغة الامر (فان رجعك) ردك (الله) من تبوك (الى طائفة منهم) ممن تخلف بالمدينة من المنافقين (فاستأذنوك للخروج) معك الى غزوة اخرى (فقل) لهم (لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين)

عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اى كفاك الله والمؤمنين والاية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر وقيل اسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضى الله تعالى عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نزلت فى اسلامه (يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال) بالغ فى حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرض من الحرص (وان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا) شرط فى معنى الامر بمصابرة الواحد للعشره والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء فى الآيتين ووافقهم الصريان فى فان تكن منكم مائة صابرة (بانهم قوم لا يفقهون) بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخرة لا يثبتون ثبات المؤمنين وجاء الثواب وعوالى الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله) لما اوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو وقرأة عاصم وحمزة والضم وهو قرأة الباقين (والله مع الصابرين) بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون (ما كان لنبى) وقرئ للنبى على العهد (ان يكون له اسرى) وقرأ البصريان بالتاء (حتى يثخن فى الارض) يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة (تريدون عرض الدنيا) حطامها بأخذكم الفداء (والله يريد الآخرة) يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله أكل امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا * (والله عزيز) يغلب اولياءه على اعدائه (حكيم) يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كالامر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما

المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان فى غيرهم * ولما صلى النبى صلى الله عليه وسلم على ابن ابى نزل (ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره) لدفن او زيارة (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) كافرون (ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا تزهق) تخرج (انفسهم وهم كافرون واذا انزلت سورة) اى طائفة من القرآن (أن) اى بان (آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولو الطول) ذوو الغنى (منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف) جمع خالفة اى النساء اللاتى تخلفن فى البيوت (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) الخير (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات) فى الدنيا والآخرة (واولئك هم المفلحون) اى الفائزون (اعد الله لهم جنات تجرى

تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روى انه عليه السلام اتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل ابن ابى طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه قومك اهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضى الله تعالى عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفدآء مكنى من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابابكر مثل ابراهيم عليه السلام قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح عليه السلام قال لاتذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فأخذوا الفدآء فنزلت فدخل عمر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرنى فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال لابكى على اصحابك فى اخذهم الفدآء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لايقرون عليه (لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم من الله سبق اثباته فى اللوح وهو ان لايعاقب المخطئ فى اجتهاده اولا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهى عنه او ان الفدية التى اخذوها ستحل لهم (لكم) لنا لكم (فيما اخذتم) من الفدآء (عذاب عظيم) روى انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان (فكلوا مما غنمتم) من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلو او بنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة (حلالا) حال من المغنوم او صفة للمصدر اى اكلا حلالا وفائدته ازاحة ماوقع فى نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله (طيبا واتقوا الله) فى مخالفته (ان الله غفور) عفر لكم ذنبكم (رحيم) اباح لكم ماأخذتم (ياايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى) وقرأ ابو عمر ومن الاسارى (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) ايمانا واخلاصا (يؤتيكم خيرا مما اخذ منكم) من الفداء من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وجاء المعذرون) بادغام التاء فى الاصل فى الذال أى المعذورين وقرئ به (من الاعراب) الى النبى صلى الله عليه وسلم (ليؤذن لهم) فى العقود لعذرهم فاذن لهم (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) فى ادعاء الايمان من منافقى الاعراب عن المجئ للا عتذار (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ليس على الضعفاء) كالشيوخ (ولاعلى المرضى كالعمى والزمنى (ولا على الذين لايجدون ماينفقون) فى الجهاد (حرج) اثم فى التخلف عنه (اذانصحوا لله ورسوله) فى حال قعودهم بعدم الارجاف والتثبيط والطاعة (ماعلى المحسنين) بذلك (من سبيل) طريق بالمؤاخذة (والله غفور) لهم (رحيم) بهم فى التوسعة فى ذلك ولاعلى الذين اذا ماأتوك لتحملهم) معك الى الغزو وهم سبعة من الانصار وقيل بنو مقرن (قلت لاأجد ماأحملكم عليه) حال (تولوا)

روى انها نزلت فى العباس رضى الله عنه كلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يفدى نفسه وابنى اخويه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال يامحمد تركتنى اتكفف قريشا مابقيت قال فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها انه لاادرى مايصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهولك ولعبد الله وعبيدالله والفضل وقثم فقال ومايدريك قال اخبرنى به ربى قال فاشهد انك صادق وان لااله الاالله وانك رسول الله والله لم يطلع عليه احد الاالله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل قال العباس فابدلنى الله خيرا من ذلك لى الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب فى عشرين الفا واعطانى زمزم ما احب ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعنى الموعود بقوله (ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا) يعنى الاسرى (خيانتك) نقض ماعاهدوك (فقد خانوا) بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل (من قبل فامكن منهم) اى فامكنهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم (والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا) اوطانهم وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبالله ولرسوله (وجاهدا باموالهم) فصر فوها فى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج (وانفسهم فى سبيل الله) بمباشرة القتال (والذين آووا ونصروا) هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم (اولئك بعضهم اولياء بعض) فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمطاهرة (والذين امنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا) اى من توليهم فى الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا (وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر) فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد فانه لاينقض عهدهم بنصرهم عليهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) فى الميراث او الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين (الا تفعلوه) ان لاتفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم لبعض حتى فى التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار (تكن فتنة فى الارض) تحصل فتنة

جواب اذا أى انصر فوا (واعينهم تفيض) تسيل (من) للبيان (الدمع حزنا) لاجل (ألا يجدوا ماينفقون) فى الجهاد (انما السبيل على الذين يستاذنونك) فى التخلف (وهم أغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لايعلمون) تقدم مثله (يعتذرون اليكم) فى التخلف (اذا رجعتم اليهم) من الغزو (قل) لهم (لاتعتذروا لن نؤمن لكم) نصدقكم (قد نبأنا الله من أخباركم) أى أخبرنا باحوالكم (وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون) بالبعث (الى عالم الغيب والشهادة) اى الله (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم عليه (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم) رجعتم (اليهم) من تبوك انهم معذورون فى التخلف (لتعرضوا عنهم) بترك المعاتبة (فاعرضوا عنهم انهم رجس) قذر خبث باطنهم (ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لايرضى عن القوم

فيها عظيمة وهى ضعف الايمان وظهور الكفر (وفساد كبير) فى الدين وقرئ كثير (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا) لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين فى الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعدلهم الموعد الكريم فقال (لهم مغفرة ورزق كريم) لاتبعة له ولامنة فيه ثم الحق بهم فى الامرين من سيلحق بهم وينسم بسمتهم فقال (والذين آمنوا من بعد وها جرو اوجاهدوا معكم فاولئك منكم) اى من جملتكم ايها المهاجرون والانصار (واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) فى التوارث من الاجانب (فى كتاب الله) فى حكمه اوفى اللوح اوفى القرآن واستدل به على توريث ذوى الارحام (ان الله بكل شئ عليم) من ألمواريث والحكمة فى اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولاواعتبار القرابة ثانيا * عن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فاناشفيع له يوم القيامة وشاهدانه برئ من النفاق واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

(سورة برآءة)

مدنية وقيل الآيتين من قوله لقدجاءكم رسول وهى آخر مانزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة وسورة العذاب لمافيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهى التبرئ منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها واحفر عنها ومايخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم ويذكر عذابهم وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة اوآية بين موضعها وتوفى ولم يبين وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان فى الانفال ذكر العهود وفى برآءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلف الصحابة فى انهما سورة واحدة هى سابعة السبع الطوال اوسورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله (برآءة من الله ورسوله) اى هذه برآءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله

الفاسقين) اى عنهم ولاينفع رضاكم مع سخط الله (الاعراب) اهل البدو (اشد كفرا ونفاقا) من اهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن سماع القرآن (واجدر) اولى (ان) اى بان (لايعلموا حدود ماانزل الله على رسوله) من الاحكام والشرائع (والله عليم) بخلقه (حكيم) فى صنعه بهم (ومن الاعراب من يتخذ ماينفق) فى سبيل الله (مغرما) غرامة وخسرانا لانه لايرجو ثوابه بل ينفقه خوفا وهم بنو اسد وغطفان (ويتربص) ينتظر (بكم الدوائر) دوائر الزمان ان تنقلب عليكم فيتخلص (عليهم دائرة السوء) بالضم والفتح اى يدور العذاب والهلاك عليهم لاعليكم (والله سميع) لاقوال عباده (عليم) يافعالهم (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) كجهينة ومزينة (ويتخذ ماينفق) فى سبيله (قربات) تقربه (عند الله و) وسيلة الى (صلوات) دعوات

(الرسول) له (الانها اى نفقتهم (قربة) بضم الراء وسكونها (لهم) عنده (سيدخلهم الله فى رحمته) جنته (ان الله غفور) لاهل طاعته (رحيم) بهم (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) وهم من شهد بدرا اوجميع الصحابة (والذين اتبعوهم) الى يوم القيامة (باحسان) فى العمل (رضى الله عنهم) بطاعته (ورضوا عنه) بثوابه (اعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار) وفى قراءة بزيادة من (خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم) يا اهل المدينة (من الاعراب منافقون) كاسلم واشجع وغفار (ومن اهل المدينة) منافقون ايضا (مردوا على النفاق) لجوا فيه واستمروا (لاتعلمهم) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين) بالفضيحة اوالقتل فى الدنيا وعذاب القبر (ثم يردون) فى الآخرة الى عذاب عظيم) هو النار (و) قوم (آخرون) مبتدأ

ورسوله ويجوز ان يكون برآءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر (الى الذين عاهدتم من المشركين) وقرئ بنصبها على اسمعوا برآءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى واتفاق الرسول فانهما بريئان منها وذلك انهم عاهدوا مشركى العرب فنكثوا الا ناسا منهم بنى ضمرة وبنى كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين واجل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال (فسيحوا فى الارض اربعة اشهر) شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم لانها نزلت فى شوال وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابابكر رضى الله عنه اميرا على الموسم فقيل له لو بعث بها الى ابى بكر فقال لايؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا على سمع ابو بكر رضى الله تعالى عنهما الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال اميرام مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابوبكر رضى الله تعالى عنه وحثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة وقال ياايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت بأربع ان لايقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولايطوف بالبيت عريان ولايدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وانتم الى ذى عهد عهده ولعل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لايؤدى عنى الا رجل منى ليس على العموم فانه عليه السلام بعث لان لايؤدى عليه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان يتولى العهد ونقضه على القبيله الا رجل منها ويدل عليه انه فى بعض الروايات لاينبغى لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلى (واعلموا انكم غير معجزى الله) لاتفوتونه وان امهلكم (وان الله مخزى الكافرين) بالقتل والاسر فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (واذان من الله ورسوله الى الناس) اى اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع برآءة على الوجهين (يوم الحج الاكبر) يوم العيد لان فيه تمام الحج

ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روى انه عليه الصلاة والسلام
قف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر
وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة وصف الحج بالاكبر لان
العمرة تسمى الحج الاصغر اولان المراد بالحج مايقع فى ذلك اليوم من اعماله
فانه اكبر من باقى الاعمال اولان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون
ووافق عيده اعياد اهل الكتاب اولانه ظهر فيه عن المسلمين وذل المشركين
(ان الله) اى بأن الله (برئ من المشركين) اى من عهودهم (ورسوله)
عطف على المستكن فى برئ اوعلى محل ان واسمها فى قرأة من كسرها
اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان اولان
الواو بمعنى مع ولاتكرير فيه فان برآءة من الله اخبار بثبوت البراءة
وهذا اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص
بالمعاهدين (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو) فالتوب (خير لكم وان
توليتم) عن التوبة اوثبتم على التولى عن الاسلام والوفاء (فاعلموا انكم
غير معجزى الله) لاتفوتونه طلبا ولاتعجزونه هربا فى الدنيا (وبشر الذين
كفروا بعذاب اليم) فى الآخرة (الا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء
من المشركين اواستدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى
الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم (ثم لم ينقصوكم شيئا) من شروط
العهد ولم ينكثوه اولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط (ولم يظاهروا
عليكم احد) من اعدائكم (فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم) الى تمام
مدتهم ولاتجروهم مجرى الناكثين (ان الله يحب المتقين) تعليل وتنبيه
على ان اتمام عهدهم من باب التقوى (فاذا نسلخ) انقضى واصل الانسلاخ
خروج الشئ مما لابسه من سلخ الشاة (الاشهر الحرم) التى ابيح للناكثين
ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل
بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم اذليس فيما نزل
بعد ماينسخها (فاقتلوا المشركين) الناكثين (حيث وجدتموهم) من حل
وحرم (وخذوهم) واسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم)
واحبسوهم اوحيلوا بينهم وبين المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد)
كل ممر لئلا ينبسطوا فى البلاد وانتصابه على الظرف (فان تابوا) عن
الشرك بالايمان (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) تصديقا لتوبتهم وايمانهم

(اعترفوا بذنوبهم) من
التخلف نعته والخبر (خلطوا
عملا صالحا) وهو جهادهم
قبل ذلك او اعترافهم
بذنوبهم اوغير ذلك (وآخر
سيئا) وهو تخلفهم (عسى
الله ان يتوب عليهم ان الله
غفور رحيم) نزلت فى ابى
لبابة وجماعة اوثقوا انفسهم
فى سوارى المسجد لما بلغهم
مانزل فى المتخلفين وحلفوا
لايحلهم الا النبى صلى الله
عليه وسلم فحلهم لما نزلت
(خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها)
من ذنوبهم فاخذ ثلث اموالهم
وتصدق بها (وصل عليهم)
اى ادع لهم (ان صلواتك
سكن) رحمة (لهم) وقيل
طمانينة بقبول توبتهم (والله
سميع عليم الم يعلموا ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده
ويأخذ) يقبل (الصدقات
وان الله هو التواب) على عباده
بقبول توبتهم (الرحيم) بهم
والاستفهام للتقرير والقصد به
تهييجهم الى التوبة والصدقة
(وقل) لهم اوللناس (اعملوا)
ماشئتم (فسيرى الله عملكم
ورسوله والمؤمنون وستردون)

(فخلوا سبيلهم) فدعوهم ولاتعرضوا لهم بشئ من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لايخلى سبيله (ان الله غفور رحيم) تعليل للامر اى فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ماقد سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة (وان احد من المشركين) المأمور بالتعرض لهم (استجارك) استأمنك وطلب منك جوارك (فاجره) فامنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم ابلغه مأمنه) موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره مابعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل (ذلك) الامن او الامر (بانهم قوم لايعلمون) ماالايمان وماحقيقة ماتدعوهم اليه فلابد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون (كيف يكون للمشركين عهد عندالله وعند رسوله) استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولاينكثوه مع وغرة صدورهم اولان يفى الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين اوعند الله وهو على الاولين صفة للعهد اوظرف له اوليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين (الاالذين عاهدتم عند المسجد الحرام) هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء اوالجر على البدل اوالرفع على ان الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام (فاستقاموا لكم فاستقيموا لهم) اى فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد ومايحتمل الشرطية والمصدرية (ان الله يحب المتقين) سبق بيانه (كيف) تكرار الاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما فى قوله * وخبر تماني انما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب * اى كيف مات (وان يظهروا عليكم) اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم (لايرقبوا فيكم) لايراعوا فيكم (الا) حلفا وقيل قرابة قال حسنان * لعمرك ان لك من قريش * كال السقب من رأل النعام * وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الاول وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الارقاب مالايعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشئ اذا حدده اومن ال البرق اذا لمع وقيل انه عبرى بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرال وجبريل (وذمة) عهدا اوحقا يعاب على اغفاله (يرضونكم

بالبعث (الى عالم الغيب والشهادة) اى الله (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (وآخرون) من المتخلفين (مرجؤن) بالهمزة وتركه مؤخرون عن التوبة (لامر الله) فيهم بمايشاء (امايعذبهم) بان يميتهم بلاتوبة (وامايتوب عليهم والله عليم) بخلقه (حكيم) فى صنعه بهم وهم الثلاثة الاتون بعد مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن امية تخلفوا كسلا وميلا الى الدعة لانفاقا ولم يعتذروا الى النبى صلى الله عليه وسلم كغيرهم فوقف امرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد (و) منهم (الذين اتخذوا مسجدا) وهم اثنا عشر من المنافقين (ضرارا) مضارة لاهل مسجد قباء (وكفرا) لانهم بنوه بامر ابى عامر الراهب ليكون معقلا له يقدم فيه من ياتى من عنده وكان ذهب ليأتى بجنود من قيصر لقتال النبى صلى الله عليه وسلم (وتفريقا بين المؤمنين) الذين يصلون بقباء بصلاة

بأفواههم استئناف بيان جالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولايجوز جعله حالا من فاعل لايرقبوا فانهم بعد ظهورهم لايرضون ولان المراد اثبات ارصائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد فى الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث انظفر والم يبقوا عليهم والحالية تنافيه (وتابى قلوبهم) مايتفوه به افواههم (واكثرهم فاسقون) متمردون لاعقيدة تزعمهم ولامروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما فى بعض الكفرة من التفادى عن الغدر والتعفف عما يجزى احدوثة السوء (اشتروا بآيات الله) استبدلوا بالقرآن (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا وهو اتباع الاهوآء والشهوات (فصدوا عن سبيله) دينه الموصل اليه اوسبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشترآءهم اداهم الى الصد (انهم ساء ماكانوا يعملون) عملهم هذا اومادل عليه قوله (لايرقبون فى مؤمن الاولاذمة فهو تفسير لاتكرير وقيل الاول عام فى المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم ابوسفيان واطعمهم (واولئك هم المتعدون) فى الشرارة (فان تابوا) عن الكفر (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم) فهم اخوانكم (فى الدين) لهم مالكم وعليهم ماعليكم (ونفصل الايات لقوم يعلمون) اعتراض للحث على تأمل مافصل من احكام المعاهدين اوخصال التائبين (وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم) وان نكثوا مابايعوا عليه من الايمان اوالوفاء بالعهود (وطعنوا فى دينكم) بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام (فقاتلوا ائمة الكفر) اى فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صار وابذلك ذوى الرياسة والتقدم فى الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص امالان قتلهم اهم وهم احق به اوللمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن (انهم لاايمان لهم) اى لايمان لهم على الحقيقة والالماطعنو اولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمى اذاطعن فى الاسلام فقدنكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليست يمينا وهوضعيف لان المراد نفى الوثوق عليها لانها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لاايمان بمعنى لاامان

بعضهم فى مسجدهم (وارصادا) ترقبا (لمن حارب الله ورسوله من قبل) اى قبل بنائه وهو ابوعامر المذكور (وليحلفن ان) ما (اردنا) ببنائه (الا) الفعلة (الحسنى) من الرفق بالمسكين فى المطر والحر والتوسعة على المسلمين (والله يشهدانهم لكاذبون) فى ذلك وكانوا سألوا النبى صلى الله عليه وسلم ان يصلى فيه فنزل (لاتقم) تصل (فيه ابدا) فارسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف (لمسجد اسس) بنيت قواعده (على التقوى من اول يوم) وضع يوم حلت بدار الهجرة وهو مسجد قباء كما فى البخارى (احق) منه (ان) اى بأن (تقوم) تصلى (فيه فيه رجال) هم الانصار (يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين) اى يثيبهم وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الطاء روى ابن خزيمة فى صحيحه عن عويمر ابن ساعدة انه صلى الله عليه

وسلم اتاهم فى مسجد قباء فقال
ان الله تعالى قد احسن عليكم
الثناء فى الطهرور فى قصة
مسجدكم فما هذا الطهور
الذى تطهرون به قالوا
والله يارسول الله مانعلم شيأ
الا انه كان لنا جيران من
اليهود وكانوا يغسلون
ادبارهم من الغائط فغسلنا
كما غسلوا وفى حديث رواه
البزار فقالوا نتبع الحجارة
بالماء فقال هو ذاك فعليكموه
(افمن اسس بنيانه على تقوى)
مخافة (من الله و) رجاء
(رضوان) منه (خير ام
من اسس بنيانه على شفا)
طرف (جرف) بضم الراء
وسكونها جانب (هار)
مشرف على السقوط (فانهار
به) سقط مع بانيه (فى
نار جهنم) خير تمثل للبناء
على ضد التقوى بما يؤول اليه
والاستفهام للتقرير اى
الاول خير وهو مثال
مسجد قباء والثانى مثال
مسجد الضرار (والله لايهدى
القوم الظالمين لايزال بنيانهم
الذى بنوا ريبة) شكا
(فى قلوبهم الآن تقطع)
تنفصل (قلوبهم) بان يموتوا

اولا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتدين وهو ضعيف لجواز ان يكون
بمعنى لايؤمنون على الاخبار عن قوم معينين اوليس لهم ايمان فيراقبوا
لاجله (لعلهم ينتهون) متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم فى المقاتلة
ان ينتهوا عما هم عليه لاايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين
(الاتقاتلون قوما) تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفى للانكار
فافادت المبالغة فى الفعل (نكثوا ايمانهم) التى حلفوها مع الرسول عليه السلام
والمؤمنين على ان لايعاونوا عليهم فاعانوا بنى بكر على خزاعة (وهموا
باخراج الرسول) حين تشاوروا فى امره بدار الندوة على مامر ذكره فى قوله
واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا
باخراجه من المدينة (وهم بدأوكم اول مرة) بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه
الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدى به فعدلوا
عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم
(اتخشونهم) اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم (فالله احق
ان تخشوه) فقاتلوا اعداءه ولاتتركوا امره (ان كنتم مؤمنين) فان قضية
الايمان ان لايخشى الا منه (قاتلوهم) امره بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ
على تركه والتوعيد عليه (يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم
وعدلهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم (ويشف
صدور قوم مؤمنين) يعنى بنى خزاعة وقيل بطونا من اليمن وساقد موامكة
فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال ابشر وافان الفرج قريب (ويذهب غيظ قلوبهم)
لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات (ويتوب الله
على من يشاء) ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا
وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ماأجيب به الامر
فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين (والله عليم)
بما كان وما سيكون (حكيم) لايفعل ولايحكم الا على وفق الحكمة
(ام حسبتم) خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان (ان تتركوا ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم) ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم نفى العلم وارادة نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث

ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه (ولم يتخذوا) عطف على جاهدوا داخل فى الصلة (من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما فى لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع (والله خبير بما تعملون) يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله (ما كان للمشركين) ماصح لهم (ان يعمروا مساجد الله) شيأ من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع وتدل عليه قراءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب بالتوحيد (شاهدين على انفسهم بالكفر) باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روى انه لما اسر العباس غيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له على رضى الله تعالى عنه فى القول فقال تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا فقال ألنا نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى فنزلت (اولئك حبطت اعمالهم) التى يفتخرون بها بما قارنها من الشرك (وفى النار هم خالدون) لاجله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة) اى انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لا يبنى له كحديث الدنيا وعن النبى عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ان بيوتى فى ارضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلاة وآتى الزكاة عليه (ولم يخش الا الله) اى فى ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد الرجل العاقل يتمالك عنها (فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين) ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين فى اهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومعنا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها (اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله) السقاية والعمارة مصدر اسقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لابد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن (والله عليم) بخلقه (حكيم) فى صنعه بهم (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم) بان يبذلوها فى طاعته كالجهاد (بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) جملة استئناف بيان للشراء وفى قراءة بتقديم المبنى للمفعول اى فيقتل بعضهم ويقاتل الباقى (وعدا عليه حقا) مصدران منصوبان بفعلها المحذوف (فى التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله) اى لا احدا وفى منه (فاستبشروا فيه التفات عن الغيبة (ببيعكم الذى بايعتم به وذلك) البيع (هو الفوز العظيم) المنيل غاية المطلوب (التائبون) رفع على المدح بتقدير مبتدا من الشرك والنفاق (العابدون) المخلصون العبادة لله (الحامدون) له على كل حال (السائحون) الصائمون (الراكعون الساجدون) اى المصلون (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) لاحكامه بالعمل

بها (وبشر المؤمنين) بالجنة * ونزل فى استغفاره صلى الله عليه وسلم لعمه ابى طالب واستغفار بعض الصحابة لابويه المشركين (ماكان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى) ذوى قرابة من بعد ماتبين لهم انهم اصحاب الجحيم) النار بأن ماتوا على الكفر (وماكان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه) بقوله سأستغفر لك ربى رجاء ان يسلم (فلما تبين له انه عدو لله) بموته على الكفر (تبرأ منه) وترك استغفاره له (ان ابراهيم لاواه) كثير التضرع والدعاء (حليم) صبور على الاذى (وماكان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم) للاسلام (حتى يبين لهم مايتقون) من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الاضلال (ان الله بكل شئ عليم) ومنه مستحق الاضلال والهداية (ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت ومالكم) ايها الناس (من دون الله) اى غيره (من ولى) يحفظكم منه

اواجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله (لايستوون عند الله) وبعدم تساويهم بقوله (والله لايهدى القوم الظالمين) اى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم منهمكون فى الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله) اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم تستجمع هذه الصفات فيه اومن اهل السقاية والعمارة عندكم (واولئك هم الفائزون) بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها) فى الجنات (نعيم مقيم) دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه ورآء التعيين والتعريف (خالدين فيها ابدا) اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل (ان الله عنده اجر عظيم) يستحقرون ما استوجبوه لاجله اونعيم الدنيا (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء) نزلت فى المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لاتتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله (ان استحبوا الكفر على الايمان) ان اختاروه وحرضوا عليه (ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) بوضعهم الموالاة فى غير محلها (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم) اقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم (واموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) فوات وقت نفاقها (ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله) الحب الاختيارى دون الطبعى فانه لايدخل تحت التكليف والتحفظ عنه (فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة اوآجلة وقيل فتح مكة (والله لايهدى القوم الفاسقين) لايرشدهم وفى الآية تشديد عظيم وقل من

يتخلص عنه (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) يعنى مواطن الحرب هى مواقعها (ويوم حنين) ومواطن يوم حنين ويجوز ان يقدر فى ايام مواطن اويفسر المواطن بالوقت كمقتل الحين ولايمنع ابدال قوله (اذ اعجبتكم كثرتكم) منه ان يعطف على موضع فى مواطن فانه لايقتضى تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضى كثرتهم واعجابهم اياهم فى جميع المواطن وحنين وادبين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثنى عشر الفا العشر الذين حضروا فتح مكة وألفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبى صلى الله عليه وسلم او ابو بكر رضى الله عنه او غير من المسلمين لن تغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مركزه ليس معه الا عمه العباس رضى الله عنه آخذ ابلجامه وابن عمه ابوسفيان ابن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهى شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى ياعباد الله ياأصحاب الشجرة ياأصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا جبين حمى الوطيس واخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا (فلم تغن عنكم) اى الكثرة (شيئا) من الاغناء اومن امر العدو (وضاقت عليكم الارض بمارحبت) برحبها اى سعتها لاتجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب اولا تثبتون فيها كمن لايسعه مكانه (ثم وليتم) الكفار ظهوركم (مدبرين) منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال (ثم انزل الله سكينته) رحمته التى سكنوبها وامنوا (على رسوله وعلى المؤمنين) الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يفروا (وانزل جنودا لم تروها) باعينكم يعنى الملائكة وكانوا خمسة آلاف اوثمانية اوستة عشر على اختلاف الاقوال (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر والسبى (وذلك جزاء الكافرين) اى مافعل بهم جزاء كفرهم فى الدنيا (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالتوفيق للاسلام (والله غفور رحيم) يتجاوز

(ولا نصير) يمنعكم عن ضرره (لقد تاب الله) اى ادام توبته (على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) اى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كان الرجلان يقتسمان تمرة والعشرة يعتقبون البعير الواحد واشتد الحر حتى شربوا الفرث (من بعد ماكاد تزيغ) بالتاء واليا تميل (قلوب فريق منهم) من اتباعه الى التخلف لماهم فيه من شدة (ثم تاب عليهم) بالثبات (انه بهم رؤف رحيم و) تاب (على الثلاثة الذين خلفوا) عن التوبة عليه بقرينة (حتى اذا ضاقت عليهم الارض رحبت) اى مع رحبها اى سعتها فلا يجدون مكانا يطمئنون اليه (وضاقت عليهم انفسهم) قلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولاانس (وظنوا) ايقنوا (ان) مخففة (لاملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم) وفقهم للتوبة (ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يأيها

عنهم وينفضل عليهم روى ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسلموا وقالوا يارسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبى اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبى يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم مالا يحصى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلو بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبى وطاب نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا اليتا فرفعوا انهم قد رضوا (يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس) لخبث باطنهم اوانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس اولانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان اعيانهم نجسته كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد من كبدوا كثر ما جاء تابعا رجس (فلا يقربوا المسجد الحرام) لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة اوللمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهى عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك رحمه الله سائر المساجد على المسجد الحرام فى المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع (بعد عامهم هذا) يعنى سنة براءة وهى التاسعة وقيل سنة حجة الوداع (وان خفتم عيلة) فقر بسبب منهم عن الحرام وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارزاق (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه او تفضيله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال (ان شاء) قيد بالمشيئة لينقطع الآمال الى الله تعالى ولينبه على انه تعالى متفضل فى ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفى عام دون عام (ان الله عليم) باحوالكم (حكيم) فيما يعطى ويمنع (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) اى لا يؤمنون بهما على ما ينبغى كما ينبىء

الذين آمنوا اتقوا الله) بترك معاصيه (وكونوا مع الصادقين) فى الايمان والعهود بان تلزموا الصدق (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله) اذا غزا (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) بان يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد وهو نهى بلفظ الخبر (ذلك) اى النهى عن التخلف (بانهم) بسبب انهم (لا يصيبهم ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا مخمصة) جوع (فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا) مصدر بمعنى وطأ (يغيظ) يغضب (الكفار ولا ينالون من عدو) لله (نيلا) قتلا او اسرا او نهبا (الا كتب لهم به عمل صالح) ليجازوا عليه (ان الله لا يضيع اجر المحسنين) اى اجرهم بل يثيبهم (ولا ينفقون) فيه (نفقة صغيرة) ولو تمرة (ولا كبيرة ولا يقطعون واديا بالسير (الا كتب لهم) ذلك (ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون) اى جزاء * ولما ونحوا على التخلف وارسل

في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم مخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا (ولا يدينون دين الحق) الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها (من الذين اوتوا الكتاب) بيان للذين لا يؤمنون (حتى يعطوا الجزية) ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه (عن يد) حال من الضمير في يعطوا اى عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة (وهم صاغرون) اذلاء عن ابن عباس رضي الله عنهما تؤخذ الجزية من الذمي ويرجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضي الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه انه عليه السلام اخذها مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا يؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى يؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه عليه الصلاة والسلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك رحمه الله تعالى تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب (وقالت اليهود عزير ابن الله) انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمية والتعريف او لالتقاء

النبي صلى الله عليه وسلم سرية نفروا جميعا فنزل (وما كان المؤمنون لينفروا) الى الغزو (كافة فلولا) فهلا (نفر من كل فرقة) قبيلة (منهم طائفة) جماعة ومكث الباقون (ليتفقهوا) اى الماكثون (في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الاحكام (لعلهم يحذرون) عقاب الله بامتثال امره ونهيه قال ابن عباس فهذه مخصوصة بالسرايا والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيما اذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) اى الاقرب فالاقرب منهم (وليجدوا فيكم غلظة) شدة اى اغلظوا عليهم (واعلموا ان الله مع المتقين) بالعون والنصر (واذا ما انزلت سورة) من القرآن (فمنهم) اى المنافقين (من يقول) لاصحابه استهزاء (ايكم زادته هذه ايمانا) تصديقا قال تعالى (فاما الذين آمنوا فزادتهم

ايمانا) لتصديقهم بها (وهم يستبشرون) يفرحون بها (واما الذين في قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا الى كفرهم لكفرهم بها (وماتوا وهم كافرون اولا يرون) بالياء اى المنافقون والتاء ايها المؤمنون (انهم يفتنون) يبتلون (في كل عام مرة اومرتين) بالقحط والامراض (ثم لا يتوبون) من نفاقهم (ولاهم يذكرون) يتعظون (واذا ما انزلت سورة) فيها ذكرهم وقرأها النبي صلى الله عليه وسلم (نظر بعضهم الى بعض) يريدون الهرب يقولون (هل يراكم من احد) اذا قمتم فان لم يرهم احد قاموا والا ثبتوا (ثم انصرفوا) على كفرهم (صرف الله قلوبهم) عن الهدى (بانهم قوم لا يفقهون) الحق لعدم تدبرهم (لقد جاءكم رسول من انفسكم) اى منكم محمد صلى الله عليه وسلم (عزيز) شديد (عليه ماعنتم) اى عنتكم اى مشقتكم

الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين اولان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا اوصاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر (وقالت النصارى المسيح ابن الله) هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلاب اولان يفعل مافعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها (ذلك قولهم بافواههم) اماتأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها واشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان (يضاهؤن قول الذين كفروا) اى يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (من قبل) اى من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيا على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض (قاتلهم الله) دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم (انى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق الى الباطل (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم (والمسيح ابن مريم) بان جعلوه ابنا لله (وما امروا) اى وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ (الا ليعبدوا) ليطيعوا (الها واحدا) وهو الله واما طاعة الرسل وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله (لا اله الا هو) صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد (سبحانه عما يشركون) تنزيه له عن ان يكون له شريك (يريدون ان يطفئوا) يخمدوا (نور الله) حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (بافواههم) بدفعهم او تكذيبهم (ويأبى الله) اى لا يرضى (الا ان يتم نوره) باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يريده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي (ولو كره الكافرون) محذوف الجواب لدلالة ماقبله عليه (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر

(ولو كره المشركون) غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير فى ليظهره للدين الحق او للرسول عليه السلام واللام فى الدين للجنس اى على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم (يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل) يأخذونها بالرشى فى الاحكام سمى اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه (ويصدون عن سبيل الله) دينه (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله) يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة فى وصفهم بالحرص على المال والضن به وان يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضى الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقى من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادى زكاته فليس بكنز اى بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان يتقى فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد منه من لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره (فبشرهم بعذاب اليم) هو الكى بهما (يوم يحمى عليها فى نار جهنم) اى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال على رضى الله تعالى عنه اربعة آلاف ومادونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول اوللفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية اولانهم ازوروا عن السائل ولقاؤكم المكروه (حريص عليكم) ان تهتدوا (بالمؤمنين رؤف) شديد الرحمة (رحيم) يريد لهم الخير (فان تولوا) عن الايمان بك (فقل حسبى) كافى (الله لا اله الا هو عليه توكلت) به وثقت لا بغيره (وهو رب العرش) الكرسى (العظيم) خصه بالذكر لانه اعظم المخلوقات وروى الحاكم فى المستدرك عن ابى بن كعب قال آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول الى آخر السورة (سورة يونس مكية الا ان كنت فى شك الآيتين او الثلاث اوو منهم من يؤمن به الآية مائة وتسع او عشر آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) الله اعلم بمراده بذلك (تلك) اى هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (الحكيم) المحكم (اكان للناس) اى اهل مكة استفهام انكار والجار والمجرور حال من قوله (عجبا) بالنصب خبر كان وبالرفع اسمها والخبر وهو اسمها على الاول (ان اوحينا) اى ايحاؤنا (الى رجل منهم)

واعرضوا عنه وولوه ظهورهم اولانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التى هى الدماغ والقلب والكبد اولانها اصول الجهات الاربع التى هى مقاديم البدن وما اخره وجنباته (هذا ما كنزتم) على ارادة القول (لانفسكم) لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها (فذوقوا ما كنتم تكنزون) اى وبال كنزكم او ماتكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون (ان عدة الشهور) اى مبلغ عددها (عندالله) معمول عدة لانها مصدر (اثناعشر شهرا فى كتاب الله) فى اللوح المحفوظ وفى حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله (يوم خلق السموات والارض) متعلق بمافيه من معنى الثبوت اوبالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت فى نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة (منها اربعة حرم) واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم (ذلك الدين القيم) اى تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما (فلاتظلموا فيهن انفسكم) بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصى فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها فى الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لايحل للناس ان يغزوا فى الحرم والاشهر الحرم الاان يقاتلوا ويؤيد الاول ماروى انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين فى شوال وذى القعدة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) جميعا وهى مصدر كف عن الشئ فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال (واعلموا ان الله مع المتقين) بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم (انما النسيئ) اى تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسى بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسى بحذفها والنسئ والنساء وثلاثتها مصادر نسأه اذا اخره (زيادة فى الكفر) لانه تحريم ماأحله الله وتحليل ماحرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم (يضل به الذين كفروا) ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائى وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله تعالى (يحلونه عاما) يحلون النسئ من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر (ويحرمونه عاما)

محمد صلى الله عليه وسلم (ان) مفسرة (انذر) خوف (الناس) الكافرين بالعذاب (وبشر الذين آمنوا ان) اى بان (لهم قدم) سلف (صدق عند ربهم) اى اجرا حسنا بما قدموه من الاعمال (قال الكافرون ان هذا) القرآن المشتمل على ذلك (لسحر مبين) بين وفى قراءة لساحر والمشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) من ايام الدنيا اى فى قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولاقمر ولو شاء لخلقهن فى لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (استوى على العرش) استواء يليق به (يدبر الامر) بين الخلائق (مامن) زائدة (شفيع) يشفع لاحد (الامن بعد اذنه) رد لقولهم ان الاصنام تشفع لهم (ذلكم) الخالق المدبر (الله ربكم فاعبدوه) وحدوه (افلا تذكرون) بادغام التاء فى الاصل فى الذال (اليه) تعالى (مرجعكم جميعا وعد الله حقا) مصدر ان

فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى ان آلهتكم قداحلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادى فى القابل ان آلهتكم قدحرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال اوحال (ليواطئوا عدة ماحرم اب) اى ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه اوبمادل عليه مجموع الفعلين (فيحلوا ماحرم الله) بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت (زين لهم سوء اعمالهم) وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا (والله لايهدى القوم الكافرين) هداية موصلة الى الاهتداء (ياايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم) تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ (الى الارض) متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدى بالى وكان ذلك فى غزوة تبوك امروابها بعد رجوعهم من الطائف فى وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم (ارضيتم بالحياة الدنيا) وغرورها (من الاخرة) بدل الاخرة ونعيمها (فامتاع الحياة الدنيا) فالتمتع بها (فى الاخرة) فى جنب الاخرة (الاقليل) مستحقر (الاتنفروا) ان لاتنفروا الى ماستنفرتم اليه (يعذبكم عذابا اليما) بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو (ويستبدل قوما غيركم) ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس (ولاتضروه شيئا) اذلا يقدح تثاقلكم فى نصرة دينه شيئا فانه الغنى عن كل شئ وفى كل امر وقيل الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام اى ولاتضروه فان الله وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق (والله على كل شئ قدير) فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلامدد كما قال تعالى (الاتنصروه فقد نصره الله) اى ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره الله (اذاخرجه الذين كفروا ثانى اثنين) ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ماهو كالدليل عليه مقامه اوان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى فى مثل ذلك الوقت فلن يخذله فى غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه اوقتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثانى اثنين بالسكون على لغة من يجرى المنقوص مجرى المقصور فى الاعراب ونصبه على الحال (اذهما فى الغار) بدل من اذاخرجه بدل البعض اذالمراد به زمان متسع والغار نقب فى اعلى ثور وهو جبل منصوبان بفعلهما المقدر (انه) بالكسر استئنافا والفتح على تقدير اللام (يبدؤ الخلق) اى بدأة بالانشاء (ثم يعيده) بالبعث (ليجزى) يثيب (الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم) ماء بالغ نهاية الحرارة (وعذاب اليم) مؤلم (بما كانوا يكفرون) اى بسبب كفرهم (هوالذى جعل الشمس ضياء) ذات ضياء اى نور (والقمر نورا وقدره) من حيث سير (منازل) ثمانية وعشرين منزلا فى ثمان وعشرين ليلة ان كان تسعة وعشرين يوما (لتعلموا) بذلك (عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك) المذكور (الا بالحق) لاعبثا تعالى عن ذلك (يفصل) بالياء والنون يبين (الآيات لقوم يعلمون) يتدبرون (ان فى اختلاف الليل والنهار) بالذهاب والمجئ والزيادة والنقصان (وماخلق الله فى السموات) من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك (و) فى (الارض)

من حيوان وجبال وبحار
وانهار واشجار وغيرها
(لآيات) دلالات على قدرته
تعالى (لقوم يتقون)
فيؤمنون خصهم بالذكر
لانهم المنتفعون بها (ان
الذين لايرجون لقاءنا)
بالبعث (ورضوا بالحياة الدنيا)
بدل الاخرة لانكارهم لها
(واطمأنوا بها) سكنوا
اليها (والذين هم عن اياتنا)
دلائل واحد آيتنا (غافلون)
تاركون للنظر فيها (اولئك
مأواهم النار بما كانوا يكسبون)
من الشرك والمعاصى (ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات
يهديهم) يرشدهم (ربهم
بايمانهم) به بان يجعل لهم
نورا يهتدون به يوم القيامة
(تجرى من تحتهم الانهار
فى جنات النعيم دعواهم فيها)
طلبهم لمايشتهونه فى الجنة ان
يقولوا (سبحانك اللهم)
اى ياالله فاذا ماطلبوه بين
ايديهم (تحيتهم) فيما بينهم
(فيها سلام وآخر دعواهم
ان) مقصرة (الحمدلله رب
العالمين) ونزل لما استعجل
المشركون العذاب (ولو يعجل
الله للناس الشر استعجالهم)

فى يمنى مكة مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذيقول) بدل ثان اوظرف
لثانى (لصاحبه) وهو ابو بكر رضى الله تعالى عنه (لاتحزن ان الله معنا)
بالعصمة والمعونة روى ان المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق ابوبكر
رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه
السلام ماظنك باثنين الله ثالثهما فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون
حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى اسفله
والعنكبوت فنسجت عليه (فانزل الله سكينته) امنته التى تسكن عندها
القلوب (عليه) على النبى او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا
(وايده بجنود لم تروها) يعنى الملائكة انزلهم ليحرسوه فى الغار اوليعينوه
على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله
نصره الله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يعنى الشرك اودعوة الكفر
(وكلمة الله هى العليا) يعنى التوحيد اودعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك
بتخليص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من ايدى الكفار الى المدينة
فانه المبدأ له اوبتأييده اياه بالملائكة فى هذه المواطن اوبحفظه ونصره له
حيث حصر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع
ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية فى نفسها وان فاق غيرها فلاثبات
لتوفقه والاعتبار ولذلك وسط الفصل (والله عزيز حكيم) فى امره
وتدبيره (انفروا خفافا) لنشاطكم له (وثقالا) عنه لمشقته عليكم اولقلة
عيالكم ولكثرتها اوركبانا ومشاة اوخفافا وثقالا من السلاح اوصحاحا
ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اعلى ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج (وجاهدوا باموالكم
وانفسكم فى سبيل الله) بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما (ذالكم
خير لكم) من تركه (ان كنتم تعلمون) الخير علتم انه خير او ان كنتم تعلمون
انه خير اذا خبار الله به صدق فبادروا اليه (لو كان عرضا قريبا) اى لو كان
ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ (وسفرا قاصدا) متوسطا
(لاتبعوك) لوافقوك (ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة التى تقطع
بمشقة وقرئ بكسر العين والشين (وسيحلفون بالله) اى المتخلفون اذا
رجعت من تبوك معذرين (لواستطعنا) يقولون لو كان لنا استطاعة العدة
او البدن وقرئ لواستطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير فى قوله اشتروا

الضلالة (لخرجنا معكم) ساد مسد جوابى القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما قبل وقوعه (يهلكون انفسهم) بايقاعها فى العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس فى الهلاك اوحال من فاعله (والله يعلم انهم لكاذبون) فى ذلك لانهم كانوا مستطيعين بالخروج (عفا الله عنك) كناية عن خطأه فى الاذن فان العفو من روادفه (لم اذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاى شئ اذنت لهم فى القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت (حتى يتبين لك الذين صدقوا) فى الاعتذار (وتعلم الكاذبين) فيه قبل انما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما (لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم) اى ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك فى ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوفقونه على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوا فى التخلف عنه او ان يستأذنوك فى التخلف كراهة ان يجاهدوا (والله عليم بالمتقين) شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بالثواب (انما يستأذنك) فى التخلف (الذين لايؤمنون بالله واليوم الاخر) تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر فى الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد واللوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما (وارتابت قلوبهم) فهم فى ريبهم يترددون) اى يتحيرون (ولو ارادوا الخروج لاعدوا له) للخروج (عدة) هبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عدالامر الذى وعدوا * وعده بكسر العين باضافة وبغيرها (ولكن كره الله انبعاثهم) استدراك عن مفهوم قوله ولوارادوا الخروج كانه قال ماخرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اى نهوضهم للخروج (فثبطهم) فحبسهم بالجبن والكسل (وقيل اقعدوا مع القاعدين) تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود اوحكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول عليه السلام لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لايخلوا عن ذم (لوخرجوا فيكم مازادوكم) بخروجهم شيئا (الاخبالا) فسادا اوشرا ولايستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لوخرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذى وقع الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء

اى كاستعجالهم (بالخير لقضى) بالبناء للمفعول وللفاعل (اليهم اجلهم) بالرفع والنصب بان يهلكهم ولكن يمهلهم (فنذر) نترك (الذين لايرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون) يترددون متحيرين (واذا مس الانسان) الكافر (الضر) المرض والفقر (دعانا لجنبه) اى مضطجعا (اوقاعدا اوقائما) اى فى كل حال (فلما كشفنا عنه ضره مر) على كفره (كأن) مخففة واسمها محذوف اى كأنه (لم يدعنا الى ضر مسه كذلك) كما زين له الدعاء عند الضر والاعراض عند الرخاء (زين للمسرفين) المشركين (ما كانوا يعملون ولقد اهلكنا القرون) الامم (من قبلكم) ياأهل مكة (لما ظلموا) بالشرك (و) قد (جاءتهم رسلهم بالبينات) الدالات على صدقهم (وما كانوا ليؤمنوا) عطف على ظلموا (كذلك) كما اهلكنا اولئك (نجزى القوم المجرمين) الكافرين (ثم جعلناكم) ياأهل مكة (خلائف) جمع

منقطعا وليس كذلك لانه لايكون مفرغا (ولاوضعوا خلالكم) ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع (يبغونكم الفتنة) يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى اوضعوا (وفيكم سماعون لهم) ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم (والله عليم بالظالمين) فيعلم ضمائرهم ومايتأتى منهم (لقد ابتغوا الفتنة) تشتيت امرك وتفريق اصحابك (من قبل) يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ماخرجوا مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد (وقلبوا لك الامور) ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء فى ابطال امرك (حتى جاء الحق) النصر والتأييد الالهى (وظهر امر الله) علا دينه (وهم كارهون) اى على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ماثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول عليه الصلاة والسلام بالمبادرة الى اذن ولذلك عوتب عليه (ومنهم من يقول ائذن لى) فى القعود (ولاتفتنى) ولاتوقعنى فى الفتنة اى العصيان والمخالفة بان لاتأذن لى وفيه اشعار بانه لامحالة متخلف اذن له اولم يأذن اوفى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذلا كافل لهم بعدى اوفى الفتنة بنساء الروم لماروى ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار انى مولع بالنساء فلاتفتنى ببنات الاصفر ولكنى اعينك بمالى فاتركنى (الافى الفتنة سقطوا) اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف اى ظهور النفاق لاما احترزوعنه (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) جامعة لهم يوم القيامة لوالان لاحاطة اسبابها بهم (وان تصبك) فى بعض غزواتك (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم) لفرط حسدهم (وان تصبك) فى بعضها (مصيبة) كسر اوشدة كما اصاب يوم احد (يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل) تيجحوا بانصرافهم واستحمدوا اراءهم فى التخلف (ويتولوا) على متحدثهم بذلك ومجتمعهم له اوعن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) الا ماخصنا باثباته وايجابه من النصرة والشهادة اوما كتب لاجلنا فى اللوح المحفوظ

خليفة (فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون) فيها وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا (واذا تتلى عليهم آياتنا) القرآن (بينات) ظاهرات حال (قال الذين لايرجون لقاءنا) لايخافون البعث (ائت بقرآن غير هذا) ليس فيه عيب آلهتنا (أوبدله) من تلقاء نفسك (قل) لهم (مايكون) ينبغى (الى ان ابدله من تلقاء) قبل (نفسى ان) ما (اتبع الا مايوحى الى انى اخاف ان عصيت ربى) بتبديله (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة (قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولاادراكم) اعلمكم (به) ولانافية عطف على ماقبله وفى قراءة بلام جواب لواى لاعلمكم به على لسان غيرى (فقد لبثت) مكثت (فيكم عمرا) سنينا اربعين (من قبله) لااحد ثكم بشئ (افلا تعقلون) انه ليس من قبلى (فمن) اى لااحد (اظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (اوكذب بآياته) القرآن (انه) اى الشان (لايفلح)

لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ فيما قصد به وقيل من الصوب (هو مولانا) ناصرنا متولى امرنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره (قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الا احدى الحسنيين) الاحدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة (نحن نتربص بكم) ايضا احدى السوءيين (ان يصيبكم الله بعذاب من عنده) بقارعة من السماء (او بايدينا) او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر (فتربصوا) ماهو عاقبتنا (انا معكم متربصون) ماهو عاقبتكم (قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم) امر فى معنى الخبر اى لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة فى تساوى الانفاقين فى عدم القبول كانهم امروا بان يتحنوا فينفقوا وينظروا هل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله (انكم كنتم قوما فاسقين) تعليل له على سبيل الاستئناف ومابعده بيان وتقرير له (ومامنعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله) اى ومامنهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائى ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقى وقرئ يقبل على ان الفعل لله (ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى) متثاقلين (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم) فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال (انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا) بسبب مايكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب ومايرون فيها من الشدائد والمصائب (وتزهق انفسهم وهو كافرون) فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة (ويحلفون بالله انهم لمنكم) لمن جملة المسلمين (وماهم منكم) لكفر قلوبهم (ولكنهم قوم يفرقون) يخافون منكم ان تفعلوا بهم ماتفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية (لو يجدون ملجأ) حصنا يلجأون اليه (او مغارات) غيرانا (او مدخلا) نفقا يجحرون فيه مفتعل من الدخول

يسعد (المجرمون) المشركون (ويعبدون من دون الله) اى غيره (مالا يضرهم) ان لم يعبدوه (ولا ينفعهم) ان عبدوه وهو الاصنام (ويقولون) عنها (هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل) لهم (اتنبئون الله) تخبرونه (بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض) استفهام انكار اذ لو كان له شريك لعلمه اذ لا يخفى عليه شئ (سبحانه) تنزيها له (وتعالى عما يشركون) معه (وما كان الناس الا امة واحدة) على دين واحد وهو الاسلام من لدن آدم الى نوح وقيل من عهد ابراهيم الى عمرو بن لحى (فاختلفوا) بأن ثبت بعض وكفر بعض (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الجزاء الى يوم القيامة (لقضى بينهم) اى الناس فى الدنيا (فيما فيه يختلفون) من الدين بتعذيب الكافرين (ويقولون) اى اهل مكة (لولا) هلا (انزل عليه) على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) كما كان للانبياء من الناقة والعصا واليد (فقل) لهم

(انما الغيب) ماغاب عن العباد اى امره (لله) ومنه الآيات فلا يأتى بها الاهو وانما على التبليغ (فانتظروا) العذاب ان لم تؤمنوا (انى معكم من المنتظرين واذا اذقنا الناس) اى كفار مكة (رحمة) مطرا وخصبا (من بعد ضراء) يؤس وجدب (مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا) بالاستهزاء والتكذيب (قل) لهم (الله اسرع مكرا) مجازاة (ان رسلنا) الحفظة (يكتبون ماتمكرون) بالتاء والياء (هو الذى يسيركم) وفى قراءة ينشركم (فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك) السفن (وجرين بهم) فيه التفات عن الخطاب (بريح طيبة) لينة (وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف) شديدة الهبوب تكسر كل شئ (وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم) اى اهلكوا (دعوا الله مخلصين له الدين) الدعاء (لئن) لام قسم (انجيتنا من هذه الاهوال (لنكونن من

وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اى مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا من تدخل واندخل (لولوا اليه) لاقبلوا نحوه (وهم يجمحون) يسرعون اسراعا لايردهم شئ كالفرس الجموح وقرئ يحمزون ومنه الجمازة (ومنهم من يلزك) يعيبك وقرأ ابن كثير يلمزك وقرأ يعقوب يلزك بالضم (فى الصدقات) فى قسمها (فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون) قيل انها نزلت فى ابى الجواظ المنافق قال الاترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل فى ابن ذى الخو يصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يارسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للفاجأة نائب مناب الفاء الجزآئية (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) مااعطاهم الرسول عليه السلام من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان مافعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بأمره (وقالوا حسبنا الله) كفانا فضله (سيؤتينا الله من فضله) صدقة او غنيمة اخرى (ورسوله) فيؤتينا اكثر مما آتانا (انا الى الله راغبون) فى ان يغنينا من فضله والآية بأسرها فى حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام فقال (انما الصدقات للفقراء والمساكين) اى الزكوة لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم فى قسم الزكوة دون الغنائم والفقير من لامال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لايكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة (والعاملين عليها) الساعين فى تحصيلها وجمعها (والمؤلفة قلوبهم) قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه عليه الصلاة والسلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس

الذى كان خاص ماله وقد عدمنهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار ومانعى الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط (وفى الرقاب) وللصرف فى فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشئ منها على اداء النجوم وقيل بان تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد اوبان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى فى للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها (والغارمين) المديونين لانفسهم فى غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه الصلاة والسلام لاتحل الصدقة لغنى الا لخمسة لغاز فى سبيل الله اولغارم اورجل اشتراها بماله اورجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغنى اولعامل عليها (وفى سبيل الله) وللصرف فى الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل فى بناء القناطير والمصانع (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله (فريضة من الله) مصدر لما دل عليه الآية اى فرض لهم الصدقات فريضة اوحال من الضمير المستكن فى للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة (والله عليم حكيم) يضع الاشياء فى مواضعها وظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية الاشتراك واليه ذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلاثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتى شيخى ووالدى رحمهما الله تعالى على ان الآية بيان ان الصدقة لاتخرج منهم لايجاب قسمها عليهم (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن) يسمع كل مايقال له ويصدقه سمى بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمى الجاسوس عينا لذلك واشتق له فعل من اذن اذا استمع كانف وشلل روى انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ماشئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول (قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذى ذموابه بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله (يؤمن بالله) يصدق به لما قام عنده من الادلة (ويؤمن للمؤمنين) ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام

الشاكرين) الموحدين (فلما انجاهم اذاهم يبغون فى الارض بغير الحق) بالشرك (يأيها الناس انما بغيكم) ظلمكم (على انفسكم) لان اثمه عليها هو (متاع الحيوة الدنيا تمتعون بها قليلا (ثم الينا مرجعكم) بعد الموت (فننبئكم بما كنتم تعملون) فنجازيكم عليه وفى قراءة بنصب متاع اى تمتعون (انما مثل) صفة (الحيوة الدنيا كماء) مطر (انزلناه من السماء فاختلط به) بسببه (نبات الارض) واشتبك بعضه ببعض (مما يأكل الناس) من البر والشعير وغيرهما (والانعام) من الكلا (حتى اذا اخذت الارض زخرفها) بهجتها من النبات (وازينت) بالزهر واصله تزينت ابدلت التاء زايا وادغمت فى الزاى (وظن اهلها انهم قادرون عليها) تمكنون من تحصيل ثمارها (اتاها امرنا) قضاؤنا اوعذابنا (ليلا اونهارا فجعلناها) اى زرعها (حصيدا) كالمحصود بالمناجل (كائن) مخففة اى كانها (لم تغن) تكن (بالامس كذلك نفصل) نبين (الآيات

مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان (ورحمة اى وهو رحمة للذين آمنوا منكم) لمن اظهر الايمان حيث يقبله لايكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل وقفا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اى يأذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان صفة له او خبر ثان (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) بايذائه (يحلفون بالله لكم) عله معاذيرهم فيما قالوا او يحلفون (ليرضوكم) لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين (والله ورسوله احق ان يرضوه) احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين اولان الكلام فى ايذاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وارضائه اولان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك (ان كانوا مؤمنين) صدقاء (الم يعلموا انه) ان الشأن وقرئ بالتاء (من يحاد الله ورسوله) يشاقق الله مفاعلة من الحد (فان له نار جهنم خالدا فيها) على حذف الخبر اى فحق ان له او على تكرير ان للتأكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحاد الله ورسوله يهلك وقرئ فان له بالكسر (ذلك الخزى العظيم) يعنى الاهلاك الدائم (يحذر المنافقون ان تنزل عليهم) على المؤمنين (سورة تنبئهم بما فى قلوبهم) وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرؤ ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا فى كفرهم وانهم لم يكونوا على بت فى امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بشئ وقيل انه خبر فى معنى الامر وقيل كانوا يقولون فيما بينهم استهزاء لقوله (قل استهزؤا ان الله مخرج) مبرزا ومظهر (ما تحذرون) اى ما يحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) روى ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا فى شئ من امرك وامر اصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر (قل ابالله وآياته ورسوله كنتم

لقوله يتفكرون والله يدعو الى دار السلام) اى السلامة وهى الجنة بالدعاء الى الايمان (ويهدى من يشاء) هدايته (الى صراط مستقيم) دين الاسلام (للذين احسنوا) الايمان (الحسنى) الجنة (وزيادة) هى النظر اليه تعالى كما فى حديث مسلم (ولا يرهق) يغشى (وجوههم قتر) سواد (ولا ذلة) كما آية (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين) عطف على للذين احسنوا اى وللذين (كسبوا السيئات) عملوا الشرك (جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من) زائدة (عاصم) مانع (كأنما اغشيت) البست (وجوههم قطعا) بفتح الطاء جمع قطعة واسكانها اى جزأ (من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) واذكر (يوم نحشرهم) اى الحق جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم) نصب بالزموا مقدرا (انتم) تأكيد للضمير المستتر فى الفعل المقدر ليعطف عليه (وشركاؤكم) اى الاصنام

تستهزئون) توبيخا على استهزائهم بمن لايصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولايعبأ باعتذارهم الكاذب (لاتعتذروا) لاتشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب (قدكفرتم) قداظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والطعن فيه (بعد ايمانكم) بعد اظهاركم الايمان (ان يعطف عن طائفة منكم) لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء (تعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء فاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) اى متشابهة فى النفاق والبعد عن الايمان كأبعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيبهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وماهم منكم ومابعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله (يأمرون بالمنكر) بالكفر والمعاصى (وينهون عن المعروف) عن الايمان والطاعة (ويقبضون ايديهم) عن انبار وقبض اليد كناية عن الشح (نسوا الله) اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته (فنسيهم) فتركهم من فضله ولطفه (ان المنافقين هم الفاسقون) الفاسقون الكاملون فى التمرد والفسوق عن دائرة الخير (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود (هى حسبهم) عقابا وخزاء وفيه دليل على عظم عذابها (ولعنهم الله) ابعدهم من رحمته واهانهم (ولهم عذاب مقيم) لاينقطع والمراد به ماوعدوه اومايقاسونه من تعب النفاق (كالذين من قبلكم) اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل مافعل الذين من قبلكم (كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا) بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم (فاستمتعوا بخلاقهم) نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ماقدر لصاحبه (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذات الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمثل بهتهم واقتفاء أثرهم (وخضتم) ودخلتم فى الباطل (كالذى خاضوا) كالذين خاضوا اوكالفوج الذى خاضوا او كالخوض الذى خاضوه (اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة) لم يستحقوا عليها (فزيلنا) ميزنا (بينهم) وبين المؤمنين كما فى آية وامتازوا ايها المجرمون (وقال) لهم (شركاؤهم ماكنتم ايانا تعبدون) مانافية وقدم المفعول للمفاصلة (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان) مخففة اى انا (كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك) اى ذلك اليوم (تبلو) من البلوى وفى قراءة بتأين من التلاوة (كل نفس ماأسلفت) قدمت من العمل (وردوا الى الله مولاهم الحق) الثابت الدائم (وضل) غاب (عنهم ماكانوا يفترون (عليه من الشركاء (قل) لهم (من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (امن يملك السمع) بمعنى الاسماع اى خلقها (والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر) بين الخلائق (فسيقولون) هو (الله فقل) لهم (افلا تتقون) ه فتؤمنون (فذلكم) الفعال لهذه الاشياء (الله ربكم الحق الثابت (فماذا بعد الحق الا الضلال) استفهام تقريرأى ليس بعده غير فمن اخطأ

ثوابا فى الدارين (واولئك هم الخاسرون) الذين خسروا فى الدنيا والآخرة (الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) اغرقوا بالطوفان (وعاد) اهلكوا بالريح (وثمود) اهلكوا بالرجفة (قوم ابراهيم) اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه (واصحاب مدين) واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة (والمؤتفكات) قريات قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت بهم فصارت عاليها سافلها وامطر واحجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر (اتتهم (رسلهم) يعنى الكل (بالبينات فما كان الله ليظلمهم) اى لم يكن من عادته مايشابه ظلم الناس كالعقوبة بلاجرم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) فى مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله) فى سائر الامور (اولئك سيرحمهم الله) لامحالة فان السين مؤكدة للوقوع (ان الله عزيز) غالب على كل شئ لايمتنع عليه مايريده (حكيم) يضع الاشياء مواضعها (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة) تستطيبها النفس اويطيب فيها العيش وفى الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر (فى جنات عدن) اقامة وخلود وعنه عليه الصلاة والسلام عدن دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لايسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد اوللجميع على سبيل التوزيع اوالى تغاير وصفه وكانه وصفه اوبانه من جنس ماهوا بهى الاماكن التى يعرفونها لتميل اليه طباعهم اويقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التى لاتخلو عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار العليين لايعتريهم فيها فناء ولاتغير ثم وعدهم بماهو اكبر من ذلك فقال (ورضوان من الله اكبر) لانه المبتدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لانرضى وقد اعطيتنا

الحق وهو عبادة الله وقع فى الضلال (فأنى) كيف (تصرفون) عن الايمان مع قيام البرهان (كذلك) كما صرف هؤلاء عن الايمان (حقت كلمة ربك على الذين فسقوا) كفروا وهى لأملان جنهم الآية اوهى (أنهم لايؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون) تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) بنصب الحجج وخلق الاهتداء (قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق) وهو الله (احق ان يتبع أمن لايهدى) يهتدى (الا ان يهدى) احق ان يتبع استفهام تقرير وتوبيخ اى الاول احق (فمالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد من اتباع مالا يحق اتباعه (ومايتبع اكثرهم) فى عبادة الاصنام (الا ظنا) حيث قلدوا فيه اباءهم (ان الظن لايغنى من الحق شيأ) فيما المطلوب منه العلم (ان الله عليم بما يفعلون)

مالم تعط احـدا من خلقك فيقـول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا (ذلك) اى الرضوان اوجميع ماتقدم (هو الفوز العظيم) الذى يستحقر دونه الدنيا ومافيها (ياايها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالزام الحجة واقام الحدود (واغلظ عليهم) فى ذلك ولاتحابهم (ومأواهم جهنم وبئس المصير) مصيرهم (يحلفون بالله ماقالوا) روى انه عليـه الصلاة والسلام اقام فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان مايقول محمد لاخواننـا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ماقاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام (وهموا بمالم ينالوا) من قتل الرسول وهوان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن ظهر راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسـوقها فبينا هما كذلك اذ سمع حـذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السـلاح فقال اليكم اليكم ياأعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة اوبان يتوجوا عبدالله بن ابى وان لم يرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وماتقموا) وانكروا وماوجدوا مايورث نقمتهم (الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله) فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج فى ضنك من العيش فلمـا قدمهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل (فان يتوبوا يك خيرا لهم) هو الذى حمل الجلاس على التوبة والضمير فى يك للتوب (وان يتولوا) بالاصرار على النفاق (يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (ومالهم فى الارض من ولى ولانصير) فينجيهم من العـذاب (ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) نزلت فى ثعلبة بن حاطب اتى رسـول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقنى مالا فقـال عليه الصلام والسـلام ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه فراجعـه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لاعطـين كل ذى

فيجازيهم عليه (وماكاهذا القرآن ان يفترى) اى افتراء (من دون الله) اى غيره (ولكن) انزل (تصديق الذى بين يديه) من الكتب (وتفصيل الكتاب) تبيين ماكتبه الله من الاحكام وغيرهـا (لاريب) شك (فيه من رب العالمين) متعلق بتصديق اوبأ نزل المحـذوف وقرئ برفع تصديق وتفصيل بتقـدير هو (ام) بل أ (يقولون افتراه اختلقه محمد (قل فأتوا بسورة مثله) فى الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فانكم عربيون فصحاء مثلى (وادعوا) للاعانة عليه (من استطعتم من دون الله) اى غيره (ان كنتم صادقين) فى انى افتراء فلم تقدروا على ذلك قال تعـالى (بل كـذبوا بمـا لم يحيطوا بعلمه) اى القرآن ولم يتدبره (ولما) لم (يأتهم تأويله) عاقبة مافيه من الوعيد (كذلك) التكذيب (كذب الذين من قبلهم) رسلهم (فانظر كيف كان عاقبـة الظالمين) بتكذيب الرسل اى آخر امرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء (ومنهم)

حق حقه فدعاله فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الذى فيه الفرائض فقال ماهذه الاجزية ماهذه الااخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على رأسه فقال هذا جزاء عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاءها الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاءها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله عنه (فلما آتيهم من فضله بخلوا به) منعوا حق الله منه (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) وهم قوم عادتهم الاعراض عنها (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) اى فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم (الى يوم يلقونه) يلقون الله بالموت او يلقون عمله اى جزاءه وهو يوم القيامة (بما اخلفوا الله وعده) بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح (وبما كانوا يكذبون) وبكونهم كاذبين فيه وان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد (الم يعلموا) اى المنافقون او من عاهدوا الله وقرئ بالتاء على الالتفات (ان الله يعلم سرهم) ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكاة جزية (وان الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه ذلك (الذين يلمزون) ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم (المطوعين) المتطوعين (من المؤمنين في الصدقات) روى انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عشوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق

اى اهل مكة (من يؤمن به) لعلم الله ذلك منه (ومنهم من لا يؤمن به) ابدا (وربك اعلم بالمفسدين) تهديد لهم (وان كذبوك فقل) لهم (لي عملي ولكم عملكم) اى لكل جزاء عمله انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون) وهذا منسوخ بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن (افأنت تسمع الصم) شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم (ولو كانوا) مع الصمم (لا يعقلون) يتدبرون (ومنهم من ينظر اليك افأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون) شبههم بهم في عدم الاهتداء بل اعظم فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس انفسهم يظلمون ويوم نحشرهم كأن) اى كأنهم (لم يلبثوا) في الدنيا او القبور (الا ساعة من النهار) لهول ما رأوا او جملة التشبيه حال من الضمير (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا اذا بعثوا

وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق تمر جاء ابو عقيل الانصارى بصاع فقال بت ليلتى اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ينثره على الصدقاب فلزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبدالرحمن وعاصم الارياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابى عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت (والذين لايجدون الاجهدهم) الاطاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه (فيسخرون منهم) يستهزئون بهم (سخر الله منهم) جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم (ولهم عذاب اليم) على كفرهم (استغفر لهم اولا تستغفر لهم) يريد به التساوى بين الامرين فى عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) روى ان عبدالله بن ابى وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لأزيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ماوراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها فى التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنه العدد بامره (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله) اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولاقصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها (والله لايهدى القوم الفاسقين) المتمردين فى كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك فى كفره المطبوع عليه لاينقلع ولايهتدى والتنبيه على عذر الرسول فى استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم مالم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ماكان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولوكانوا اولى قربى من بعد ماتبين لهم انهم اصحاب الجحيم (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحى اى بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال

ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال والجملة حال مقدرة اومتعلق الظرف (فدخسر الذين كذبوا بلقاء الله) بالبعث (وماكانوا مهتدين واما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (نرينك بعض الذى نعدهم) به من العذاب فى حياتك وجواب الشرط محذوف اى فذاك (اونتوفينك) قبل تعذيبهم (فالينا مرجعهم ثم الله شهيد) مطلع (على مايفعلون) من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم اشد العذاب (ولكل أمة) من الامم (رسول فاذا جاء رسولهم) اليهم فكذبوه (قضى بينهم بالقسط) بالعدل فيعذبوا وينجى الرسول ومن صدقه (وهم لايظلمون) بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء (ويقولون متى هذا الوعد) بالعذاب (ان كنتم صادقين) فيه (قل لاأملك لنفسى ضرا) ادفعه (ولانفعا) اجلبه (الاماشأ الله) ان يقدرنى عليه فكيف املك لكم حلول العذاب (لكل امة اجل) مدة معلومة لهلاكهم (اذاجاء اجلهم فلا

يستأخرون) يتاخرون عنه (ساعة ولايستقدمون) يتقدمون عليه (قل ارايتم) اخبرونى (ان اتاكم عذابه) اى الله (بياتا) ليلا (اونهارا ماذا) اى شئ (يستعجل منه) اى العذاب (المجرمون) المشركون فيه وضع الظاهر موضع المضمر وجملة الاستفهام جواب الشرط كقولك اذا اتيتك ماذا تعطينى والمراد به التهويل اى ما اعظم ماستعجلوه (اثم اذا ماوقع) حل بكم (آمنتم به) اى الله او العذاب عند نزولة والهمزة لانكار التأخير فلا يقبل منكم ويقال لكم (آلآن) تؤمنون (وقد كنتم به تستعجلون) استهزاء (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد) اى الذى تخلدون فيه (هل) ما (تجزون الا) جزاء (بما كنتم تكسبون ويستنبئونك) يستخبرونك (احق هو) اى ماوعدتنا به من العذاب والبعث (قل اى) نعم (وربى انه لحق وماانتم بمعجزين)

(وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله) ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله فيه وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاء ببذل الاموال والمهج (وقالوا لاتنفروا فى الحر) اى قاله بعضهم لبعض اوقالوه للمؤمنين تثبيطا (قل نار جهنم اشد حرا) وقد آثروها بهذه المخالفة (لو كانوا يفقهون) ان مآبهم اليها اوانها كيف هى ماختار وهابايثار الدعة على الطاعة (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزآء بما كانوا يكسبون) اخبار عما يؤل اليه حالهم فى الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم (فان رجعك الله الى طائفة منهم) فان ردك الله الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعنى منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين اومن بقى منهم وكان المتخلفون اثنى عشر رجلا (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة اخرى بعد تبوك (فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا) اخبار فى معنى النهى للمبالغة (انكم رضيتم بالقعود اول مرة) تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هى الخرجة الى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) اى المتخلفين لعدم طاقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين (ولاتصل على احد منهم مات ابدا) روى ان ابن ابى دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه فى شعاره الذى يلى جسده ويصلى عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلى عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين فى قميصه ونهى عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص كانت مخلة بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع فى حق الكفار ولذلك رتب النهى على قوله مات ابدا يعنى الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحى (ولاتقم على قبره) ولاتقف عند قبره للدفن اوالزيارة (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) تعليل للنهى اولتأبيد الموت (ولاتعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون) تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال

والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه فى فريق غير الاول (واذا انزلت سورة) من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها (ان آمنوا بالله) بان آمنو بالله ويجوز ان تكون المفسرة (وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولو الطول منهم) ذوو الفضل والسعة (وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) الذين قعدوا العذر (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخوالفة للذى لاخير فيه (وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون) مافى الجهاد وموافقة الرسول من السعادة ومافى التخلف عنه من الشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم) اى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم (واولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة وقيل الحور لمقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة (واولئك هم المفلحون) الفائزون بالمطالب (اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان لما لهم من الخيرات الاخروية (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم) يعنى اسد وغطفان استأذنوا فى التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر ابن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طى على اهالينا ومواشينا والمعذر امامن عذر فى الامر اذا قصر فيه موهما انه عذر له اومن اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب معذرون من اعذر اذا اجتهد فى العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لاتدغم فى العين وقد اختلف فى انهم كانوا معتذرين بالتصنع اوبالصحة فيكون قوله (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) فى غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار (سيصيب الذين كفروا منهم) من الاعراب اومن المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لالكفره (عذاب اليم) بالقتل والنار (ليس على الضعفاء وعلى المرضى) كالهرمى والزمنى (ولاعلى الذين لايجدون ماينفقون) لفقرهم بحيث ومزينة وبنى عذرة (حرج) اثم فى لتأخر (اذا نصحوا لله ورسوله) بالايمان والطاعة فى السر والعلانية كايفعل الموالى الناصح اوبما قدروا عليه فعلا اوقولا يعود على الاسلام بفائدين العذاب (ولو ان لكل نفس ظلمت) كفرت (مافى الارض) جميعا من الامور (لافتدت به) من العذاب يوم القيامة (واسروا الندامة) على ترك الايمان (لما راوا العذاب) اى اخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين اضلوهم مخافة التعيير (وقضى بينهم) بين الخلائق (بالقسط) بالعدل (وهم لايظلمون) شيئا (الا ان لله مافى السموات والارض الا ان وعد الله) بالبعث والجزاء (حق) ثابت (ولكن اكثرهم) اى الناس (لايعلمون) ذلك (هو يحيى ويميت واليه ترجعون) فى الآخرة فيجازيكم باعمالكم (يا ايها الناس) اى اهل مكة (قد جاءتكم موعظة من ربكم) كتاب فيه مالكم وعليكم وهو القرآن (وشفاء) دواء (لما فى الصدور) من العقائد الفاسدة والشكوك (وهدا) من الضلال (ورحمة للمؤمنين) (قل بفضل الله)

والمسلمين بالصلاح (ماعلى المحسنين من سبيل) اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين لذلك (والله غفور رحيم) لهم او للمسئ فكيف المحسن (ولاعلى الذين اذاماأتوك لتحملهم) عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبدالله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعتد الله بن مغفل وعلبة ابن زيد اتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزمعك فقال عليه السلام لااجد فتولوا وهم يبكون وقيل لهم بنو مقرن بن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه (قلت لااجد ماأحملكم عليه) حال من الكاف فى اتوك باضمار قد (تولوا) جواب اذا (واعينهم تفيض) تسيل (من الدمع) اى دمعها فان من للبيان وهى مع المجرور فى محل النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا (حزنا) نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ماقبله (ان لايجدوا) اى لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض (ماينفقون) فى مغزاهم (انما السبيل بالمعاتبة (على الذين يستأذنونك وهم اغنياء) واجدون للاهبة (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) استئناف ببيان ماهو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ايثارا للدعة (وطبع الله على قلوبهم) حتى غفلوا عن وخامة العاقبة (فهم لايعلمون) مغبته (يعتذرون اليكم) فى التخلف (اذا رجعتم اليهم) من هذه السفرة (قل لاتعتذروا) بالمعاذير الكاذبة لانه (لن نؤمن لكم) نصدقكم لانه (قد نبأنا الله من اخباركم) اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض اخباركم وهو مافى ضمائركم من الشر والفساد (وسيرى الله عملكم ورسوله) اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه فكأنه استنابة وامهال للتوبة (ثم تردون الى عالم الغيب والشهدة) اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لايفوت عن علمه شئ من ضمائرهم واعمالهم (فينبئكم بما كنتم تعملون) بالتوبيخ والعقاب عليه (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) فلاتعاتبوهم (فاعرضوا عنهم) ولاتوبخوهم (انهم رجس) لاينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لاتقبل

الاسلام (وبرحمته) القرآن (فبذلك) الفضل والرحمة (فليفرحوا هو خير مما يجمعون) من الدنيا بالياء والتاء (قل ارايتم) اخبرونى (ما انزل الله) خلق (لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا) كالبحيرة والسائبة والميتة (قل الله اذن لكم) فى ذلك التحريم والتحليل لا (أم) بل (على الله تفترون) تكذبون بنسبة ذلك اليه (وماظن الذين يفترون على الله الكذب) اى اى شئ ظنهم به (يوم القيامة) ايحسبون انه لايعاقبهم لا (ان الله لذو فضل على الناس) بامهالهم والانعام عليهم (ولكن اكثرهم لايشكرون وماتكون) يامحمد (فى شأن) امر (وماتتلو منه) اى من الشان او الله (من قرآن) انزله عليك (ولاتعملون) خاطبه وامته (من عمل الاكنا عليكم شهودا) رقباء (اذ تفيضون) تأخذون (فيه) اى العمل (وما يعزب) يغيب (عن ربك من مثقال) وزن

التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة (ومأواهم جهنم) من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لاينفع فيهم التوبيخ فى الدنيا والآخرة اوتعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عقابا فلاتتكلفوا عتابهم (جزاء بما كانوا يكسبون) يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة (يحلفون لكم لترضوا عنهم) بحلفهم فيستدعيوا عليهم ماكنتم تفعلون بهم (فان ترضوا عنهم فان الله لايرضى عن القوم الفاسقين) اى فان رضاكم لايستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لاينفع اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه اوان امكنهم ان يلبسوا عليكم لايمكنهم ان يلبسوا على الله فلايهتك سترهم وينزل الهوان بهم والمقصود من الاية النهى عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم (الاعراب) اهل البدو (اشد كفرا ونفاقا) من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة (واجدر ان لايعلموا) واحق بان يعلموا (حدود ماانزل الله على رسوله) من الشرائع فرائضها وسننها (والله عليم) يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر (حكيم) فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا (ومن الاعراب من يتخذ) بعد (ماينفق) يصرفه فى سبيل الله ويتصدق به (مغرما) غرامة وخسرانا اذلايحتسبه عندالله ولايرجوا عليه ثوابا واتماينفق رياء اوتقية (ويتربص بكم الدوائر) دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق (عليهم دائرة السوء) اعتراض بالدعاء عليهم بنحو مايتربصونه اوالاخبار عن وقوع مايتربصون عليهم والدائرة فى الاصل مصدر اواسم فاعل من دار يدور وسمى بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابو عمرو وابن كثير السوء هنا وفى الفتح بضم السين (والله سميع) لمايقولون عندالانفاق (عليم) بمايضمرون (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ماينفق قربات عند الله) سبب قربات وهى ثانى مفعولى يتخذو عندالله صفتها اوظرف ليتخذ (وصلوات الرسول) وسبب صلواته لانه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقه لكن ليس له ان يصلى عليه كماقال عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل ابى اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره (الا انها قربة لهم) شهادة من الله

(ذرة) اصغر نملة (فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ (الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) فى الآخرة هم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) الله بامتثال امره ونهيه ولهم البشرى فى الحيوة الدنيا) فسرت فى حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة تراها الرجل اوترى له (وفى الآخرة) بالجنة والثواب (لاتبديل لكلمات الله) لاخلف لمواعيده (ذلك) المذكور (هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم) لك لست مرسلا وغيره (ان) استئناف (العزة) القوة (لله جميعا هو السميع) للقول (العليم) بالفعل فيجازيهم وينصرك (الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) عبيدا وملكا وخلقا (ومايتبع الذين يدعون) يعبدون (من دون الله) اى غيره اصناما (شركاء) له على الحقيقة

تعالى عن ذلك (ان) ما (يتبعون) فى ذلك (الاالظن) اى ظنهم انها آلهة تشفع لهم (وان) ما (هم الا يخرصون) يكذبون فى ذلك (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) اسناد الابصار اليه مجاز لانه يبصر فيه (ان فى ذلك لآيات) دلالات على وحدانيته تعالى (لقوم يسمعون) سماع تدبر اتعاظ (قالوا) اى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله (اتخذ الله ولدا) قال تعالى لهم (سبحانه) تنزيها له عن الولد (هو الغنى عن كل احد وانما يطلب الولد من يحتاج اليه (له مافى السموات ومافى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (ان) ما (عندكم من سلطان) حجة (بهذا) الذى تقولونه (اتقولون على الله مالاتعلمون) استفهام توبيخ (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) بنسبة الولد اليه (لايفلحون) لايسعدون

يصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورس بضم الراء (سيدخلهم الله فى رحمته) وعدلهم باحاطة الرحمة عليهم السين لتحقيقه وقوله (ان الله غفور رحيم) لتقريره قيل الاولى فى اسد وغطفان وبنى تميم والثانية فى عبد الله ذى البجادين وقومه (السابقون الاولون من المهاجرين) هم الذين صلوا الى القبلتين اوالذين شهدوا بدرا اوالذين اسلموا قبل الهجرة (والانصار) اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابوزرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون (والذين اتبعوهم باحسان) اللاحقون بالسابقين من القبيلتين اومن الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة (رضى الله عنهم) بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم (ورضوا عنه) بما نالوا من النعمة الدينية والدنيوية (واعدلهم جنات تجرى تحتها الانهار) وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو فى سائر المواضع (خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم ومن حولكم) اى ومن حول بلدتكم يعنى المدينة (من الاعراب منافقون) وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانوا نازلين حولها (ومن اهل المدينة) عطف على ممن حولكم اوخبر لمحذوف صفته (مردوا على النفاق) ونظيره فى حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله * انا ابن جلا وطلاع الثنايا * وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم فى النفاق (لاتعلمهم) لاتعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم فى تحامى مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك (نحن نعلمهم) ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا (سنعذبهم مرتين) بالفضيحة والقتل اوباحدهما وعذاب القبر اوباخذ الزكاة ونهك الابدان (ثم يردون الى عذاب عظيم) الى عذاب النار (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم مانزل فى المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لايحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لااحلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) خلطوا

العمل الصالح الذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما فى قولهم بعت الشاء شاة ودرهما اوللدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر (عسى الله ان يتوب عليهم) ان يقبل توبتهم وهى مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم (ان الله غفور رحيم) يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه (خذ من اموالهم صدقة) روى انهم لما اطلقوا قالوا يارسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا وتصدق بها وطهرنا فقال ماامرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت (تطهرهم) من الذنوب اوحب المال المؤدى بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهر بمعنى طهر وتطهرهم بالجزم جوابا للامر (وتزكيهم بها) وتنمى بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين (وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم (ان صلوتك سكن لهم) تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتوحيد (والله سميع) باعترافهم (عليم) بندامتهم (الم يعلموا) الضمير اما للتوب عليهم والمراد ان يمكن فى قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التخضيض عليهما (ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز (ويأخذ الصدقات) يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدى بدله (وان الله هو التواب الرحيم) وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم (وقل اعملوا) ماشئتم (فسيرى الله عملكم) فانه لايخفى عليه خيرا كان اوشرا (ورسوله والمؤمنون) فانه تعالى لايخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم (وستردون الى عالم الغيب والشهادة) بالموت (فينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة عليه (وآخرون) من المخلفين (مرجون) مؤخرون اى موقوف امرهم من ارجأته اذا آخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص مرجون بالواو وهما لغتان (لامر الله) فى شانهم (اما يعذبهم) ان اصروا على النفاق (واما يتوب عليهم) ان تابوا والترديد لتعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه ان لايسلموا عليهم ولايكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله لهم (متاع) قليل (فى الدنيا) يتمتعون به مدة حياتهم (ثم الينا مرجعهم) بالموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد) بعد الموت (بما كانوا يكفرون واتل) يامحمد (عليهم) اى كفار مكة (نبأ) خبر (نوح) وبدل منه (اذقال لقومه يا قوم ان كان كبر) شق (عليكم مقامى) لبثى فيكم (وتذكيرى) وعظى اياكم (بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم) اعزموا على امر تفعلونه بى (وشركاءكم) الواو بمعنى مع (ثم لايكن امركم عليكم غمة) مستورا بل اظهروه وجاهرونى به (ثم اقضوا الى) امضوا فى ما اردتموه (ولاتنظرون) تمهلون فانى لست مبالیا بكم (فان توليتم) عن تذكيرى (فماسألتكم من اجر) ثواب عليه فتولوا (ان) ما (اجرى) ثوابى (الاعلى الله وامرت ان اكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك) السفينة (وجعلناهم) اى من معه (خلائف) فى الارض

فرحمهم الله (والذين اتخذوا مسجدا) عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اى فيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو (ضرارا) مضارة للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن ابن عدى وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا واتخذ مكانه كناسة (وكفرا) وتقوية للكفر الذى يضمرونه (وتفريقا بين المؤمنين) يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة فى مسجد قباء (وارصادا) ترقبا (لمن حارب الله ورسوله من قبل) يعنى الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين وانهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتى من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روى انه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كر عليه فنزلت (وليحلفن ان اردنا الا الحسنى) ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهى الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى حلفهم (لا تقم فيه ابدا) للصلاة (لمسجد اسس على التقوى) يعنى مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقول ابى سعيد رضى الله تعالى عنه سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنه وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة (من اول يوم) من ايام وجوده ومن يوم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر * اقوين من حجج ومن دهر *

(واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) من اهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذبك (ثم بعثنا من بعده) اى نوح (رسلا الى قومهم) كابراهيم وهود وصالح (فجاؤهم بالبينات) المعجزات (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) اى قبل بعث الرسل اليهم (كذلك نطبع) نختم (على قلوب المعتدين) فلا تقبل الايمان كما طبعنا على قلوب اولئك (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه) قومه (بآياتنا) التسع (فاستكبروا) عن الايمان بها (وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين) بين ظاهر (قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم) انه لسحر (اسحر هذا) وقد افلح من اتى به وابطل سحر السحرة (ولا يفلح الساحرون) والاستفهام فى الموضعين للانكار (قالوا اجئتنا لتلفتنا) لترددنا (عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء) الملك

(احق ان تقوم فيه) اولى بان تصلى فيه (فيه رجال يحبون ان يتطهروا) من المعاصى والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها (والله يحب المطهرين) يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه تعالى ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال عليه الصلاة والسلام امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام ارضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يامعشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا (افمن اسس بنيانه) بنيان دينه (على تقوى من الله ورضوان خير) على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة (ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار) على قاعدة هى اضعف القواعد وارخاها (فانهار به فى نار جهنم) فأدى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط فى النار وانما وضع شفا الجرف وهو ماجرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم فى البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به فى النار ووضعه فى مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التى الجنة ادناها وتأسيس هذا على ماهم بسببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لامحالة وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ آساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس وآساس بالفتح والمد واساس بالكسر وثلاثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف (والله لا يهدى القوم الظالمين) الى مافيه صلاحهم ونجاتهم (لا يزال بنيانهم الذى بنوا) بناؤهم الذى بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجميع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله (ريبة فى قلوبهم) اى شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله

(فى الارض) ارض مصر (ومانحن لكما بمؤمنين) مصدقين (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم) فائق فى علم السحر (فلما جاء السحرة قال لهم موسى) بعد ما قالوا له اما ان تلقى واما ان يكون نحن الملقين (القوا ما انتم ملقون فلما القوا) حبالهم وعصيهم (قال موسى ما) استفهامية مبتدأ خبره (جئتم به السحر) بدل وفى قراءة بهمزة واحدة اخبار فما موصول مبتدأ (ان الله سيبطله) اى سيمحقه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق) يثبت ويظهر (الله الحق بكلماته) بمواعيده (ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الا ذرية) طائفة (من) اولاد (قومه) اى فرعون (على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم) يصرفهم عن دينه بتعذيبه (وان فرعون لعال) متكبر (فى الارض) ارض مصر (وانه لمن المسرفين) المتجاوزين الحد يادعاء الربوبية (وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا

ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين) اى لاتظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق فيفتتنوا بنا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ) اتخذا (لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة) مصلى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف وكان فرعون منعهم من الصلاة (واقيموا الصلاة) اتموها (وبشر المؤمنين) بالنصر والجنة (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا فى الحيوة الدنيا ربنا) آتيتهم ذلك (ليضلوا) فى عاقبة (عن سبيلك) دينك (ربنا اطمس على اموالهم) امسخها (واشدد على قلوبهم) اطبع عليها واستوثق (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) المؤلم دعا عليهم وامن هرون على دعائه (قال) تعالى (قد اجيبت دعوتكما) مسخت اموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى ادركه الغرق (فاستقيما) على الرسالة والدعوة الى ان يأتيهم

تعالى عليه وسلم رسخ ذلك فى قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم (الا ان تقطع قلوبهم) قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو فى غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ماهو كائن بالقتل اوفى القبر اوفى النار وقيل التقطيع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول اوكل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل او المفعول (والله عليم) بنياتهم (حكيم) فيما امر بهدم بنائهم (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم وأموالهم فى سبيله (يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) استئناف ببيان مالاجله الشرى وقيل يقاتلون فى معنى الامر وقرا حمزة والكسائى بتقديم المبنى للمفعول وقد عرفت ان الواو لاتوجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل (وعدا عليه حقا) مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه فى معنى الوعد (فى التوراة والانجيل والقرآن) مذكورا فيهما كما اثبت فى القرآن (ومن اوفى بعهده من الله) مبالغة فى الانجاز وتقرير لكونه حقا (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال (وذلك هو الفوز العظيم التائبون) رفع على المدح اى هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى اوخبره مابعده اى التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح اجرا صفة للمؤمنين (العابدون) الذين عبدوا الله مخلصين له (الحامدون) لنعمائه اولما نالهم من السراء والضراء (السائحون) الصائمون لقوله عليه الصلاة والسلام سياحة امتى الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات اولانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت اوالسائحون للجهاد اولطلب العلم (الراكعون الساجدون) فى الصلاة (الآمرون بالمعروف) بالايمان والطاعة (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصى والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه فى حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين

وفى قوله تعالى (والحافظون لحدوده والله) اى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع التنبيه على ان ماقبله مفصل الفضائل وهذا مجملها اوقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية (وبشر المؤمنين) يعنى به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان عنوانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام (ماكان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين) روى انه عليه الصلاة والسلام قال لابى طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عندالله فأبى فقال عليه السلام لازال استغفرلك مالم انه عنه فنزلت وقيل لما فتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر امى فاذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وانزل على الآيتين (ولوكانوا اولى قربى من بعد ماتبين لهم انهم اصحاب الجحيم) بأن ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال (وماكان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه) وعدها ابراهيم اباه بقوله لاستغفرلك اى لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ماقبله ويدل عليه قرأة من قرأ اباه اووعدها ابراهيم ابوه وهو الوعد بالايمان (فلما تبين له انه عدو لله) بأن مات على الكفر اواوحى فيه بانه لن يؤمن (تبرأ منه) قطع استغفاره (ان ابراهيم لاواه) يكثر التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه (حليم) صبور على الاذى والجملة لبيان ماحمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه (وماكان ليضل قوما) اى ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم (بعد اذهداهم) للاسلام (حتى يتبين لهم مايتقون) حتى يبين لهم حظر مايجب اتقاؤه وكانه بيان عذر للرسول فى قوله لعمه اولمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقبل انه فى قوم مضوا على الامر الاول فى القبلة والخمر ونحو ذلك فى الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف (ان الله بكل شئ عليم) فيعلم امرهم فى الحالين (ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت ومالكم من دون الله من ولى ولانصير) لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وتضمن العذات (ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون) فى استعجال قضائى روى انه مكث بعدها اربعين سنة (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم) لحقهم (فرعون وجنوده بغيا وعدوا) مفعول له (حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه) اى بأنه وفى قراءة بالكسر استئنافا (لااله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) كرره ليقبل منه فلم يقبل ودس جبريل فى فيه من حماة البحر مخافة ان تناله الرحمة وقال له (آلآن) تؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) بضلالك واضلالك عن الايمان (فاليوم ننجيك) تخرجك من البحر (ببدنك) جسدك الذى لاروح فيه (لتكون لمن خلفك) بعدك (آية) عبرة فيعرفوا عبوديتك ولايقدموا على مثل فعلك وعن ابن عباس ان بعض بنى اسرائيل شكوا فى موته فاخرج لهم ليروه (وان كثيرا من الناس) اى اهل مكة (عن آياتنا لغافلون) لايعتبرون بها (ولقد بوأنا) انزلنا (بنى اسرائيل مبوأ

صدق) منزل كرامة وهو الشام ومصر (ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا) بان آمن بعض وكفر بعض (حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من امر الدين بانجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين (فان كنت) يامحمد (فى شك مما انزلنا اليك) من القصص فرضا (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب) التوراة (من قبلك) فانه ثابت عندهم يخبروك بصدقه قال صلى الله عليه وسلم لااشك ولا اسأل (لقد جاءك الحق من ربك فلاتكونن من الممترين) الشاكين فيه (ولاتكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت) وجبت (عليهم كلمة ربك) بالعذاب (لايؤمنون ولوجاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) فلاينفعهم حينئذ (فلولا) فهلا (كانت قرية) اريد اهلها (آمنت) قبل نزول العذاب بها (فنفعها ايمانها الا) لكن (قوم يونس لما آمنوا) عند رؤية أمارة العذاب ولم

ذلك وجوب التبرئ عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولى امره والغالب عليه ولايتأتى لهم ولاية ولانصرة الامنه ليتوجهوا اليه بشراشرهم ويتبرؤا عماعداه حتى لايبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار) من اذن المنافقين فى التخلف اوبرأهم عن علقة الذنوب كقوله ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى مامن احد لاوهو محتاج الى التوبة حتى النبى والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذما من احد الاوله مقام يستنقص دونه ماهو فيه والترقى اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده (الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) فى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة الظهر تعتقب العشرة على بغير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الغيظ (من بعدما كاد تزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الايمان اواتباع الرسول وفى كاد ضمير الشان اوضمير القوم والعائد عليه الضمير فى منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقى وقرئ من بعد مازاغت قلوب فريق منهم يعنى المتخلفين (ثم تاب عليهم) تكرير للتأكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ماكابدوا من العسرة اوالمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم (انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة) وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع (الذين خلفوا) تخلفوا عن الغزوا وخلف امرهم فانهم المرجؤن (حتى اذاضاقت عليهم الارض بما رحبت) اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الخيرة (وضاقت عليهم انفسهم) قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لايسعها انس وسرور (وظنوا) وعلموا (ان لاملجأ من الله) من سخطه (الااليه) الاالى استغفاره (ثم تاب عليهم) بالتوفيق للتوبة (ليتوبوا) اوازل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين اورجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم (ان الله هو التواب) لمن تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرة (الرحيم) المتفضل عليه بالنعم (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله) فيما لايرضاه (وكونوا مع الصادقين) فى ايمانهم وعهودهم اوفى دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اى فى توبتهم واثابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم (ماكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب

ان يتخلفوا عن رسول الله) عن حكمه نهى عبر عنه بصيغة النفى للمبالغة (ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه) ولا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه مايكابده من الاهوال روى ان اباخيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الضح والريح ماهذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه هو فقرح به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستغفرله وفى لايرغبوا يجوز النصب والجزم (ذلك) اشارة الى مادل عليه قوله ماكان من النهى عن التخلف اووجوب المشايعة (بانهم) بسبب انهم (لايصيبهم ظمأ) شئ من العطش (ولا نصب) تعب (ولا مخمصة) مجاعة (فى سبيل الله ولايطأون موطئا) ولايدوسون مكانا (يغيظ الكفار) يغضبهم وطؤه (ولاينالون من عدو نيلا) كالقتل والاسر والنهب (الا كتب لهم به عمل صالح) الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة (ان الله لايضيع اجر المحسنين) على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما فى حق الكفار فلانه سعى فى تكميلهم باقصى مايمكن كضرب المداوى للمجنون واما فى حق المؤمنين فلانه صيانة لهم من سطوة الكفار واستيلائهم (ولاينفقون نفقة صغيرة) ولو علاقة ولا كبيرة) مثل ما انفق عثمان رضى الله تعالى عنه فى جيش العسرة (ولايقطعون واديا) فى مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض (الا كتب لهم) اثبت لهم ذلك (ليجزيهم الله) بذلك (احسن ما كانوا يعملون) جزاء احسن اعمالهم اواحسن جزاء اعمالهم (وماكان المؤمنون لينفروا كافة) وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة (ليتفقهوا فى الدين) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة يؤخروا الى حلوله (كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين) انقضاء آجالهم (ولو شاء لآمن من فى الارض كلهم جميعا افأنت تكره الناس) بما لم يشأ الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين) لا (وماكان لنفس ان تؤمن الا باذن الله) بارادته (ويجعل الرجس) العذاب (على الذين لا يعقلون) يتدبرون آيات الله (قل) لكفار مكة (انظروا ماذا) اى الذى (فى السموات والارض) من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى (وما تغنى الآيات والنذر) جمع نذير اى الرسل (عن قوم لايؤمنون) فى علم الله اى ماتنفعهم (فهل) فما (ينتظرون) بتكذيبك (الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم) من الامم اى مثل وقائعهم من العذاب (قل فانتظروا) ذلك (انى معكم من المنتظرين ثم ننجى) المضارع لحكاية الحال الماضية (رسلنا والذين آمنوا) من العذاب (كذلك) الانجاء (حقا علينا ننج المؤمنين) النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه

حين تعذيب المشركين (قل يا ايها الناس) اى اهل مكة ان كنتم فى شك من دينى) انه حق (فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله) اى غيره وهو الاصنام لشككم فيه (ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم) بقبض ارواحكم (وامرت ان) اى بان (اكون من المؤمنين و) قيل لى (ان اقم وجهك للدين حنيفا) مائلا اليه (ولاتكونن من المشركين ولا تدع) تعبد (من دون الله مالاينفعك) ان عبدته (ولايضرك) ان لم تعبده (فان فعلت) ذلك فرضا (فانك اذا من الظالمين وان يمسسك) يصبك (الله بضر) كفقر ومرض (فلا كاشف) رافع (له الاهو وان يردك بخير فلاراد) رافع (لفضله) الذى ارادك به (يصيب به) اى بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا ايها الناس) اى اهل مكة (قدجاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لان ثواب اهتدائه له (ومن ضل فانما يضل عليها) لان وبال ضلاله عليها (وماانا

ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقة والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغى ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد (لعلهم يحذرون) ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدبه على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضى ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى النفقه لتنذر فرقتها كى يتذكروا ويحذروا فلولم يعتبر اخبار الاحاد مالبتوا ترلم بعد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا فى كتابى المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل فى المتخلفين مانزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن النفقه فامر ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لاينقطع النفقه الذى هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير فى ليتفقهوا ولينذر والبواقى الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوائف اى ولينذر البواقى قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بماحصلوا ايام غيبتهم من العلوم (ياايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولا بانذار عشيرته الاقربين فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالى المدينة كقريضة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها (واعلموا ان الله مع المتقين) بالحراسة والاعانة (واذاما انزلت سورة فمنهم) فمن المنافقين (من يقول) انكارا واستهزاء (ايكم زادته هذه) السورة (ايمانا) وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته (فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها فيها الى ايمانهم (وهم يستبشرون) بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم (واما الذين فى قلوبهم مرض) كفر (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرابها مضموما الى الكفر بغيرها (وماتوا وهم كافرون) واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه (اولا يرون) يعنى المنافقين وقرأ حمزة بالتاء (انهم يفتنون) يبتلون باصناف البليات اوبالجهاد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيعاينون مايظهر عليه من الآيات (فى كل عام مرة

او مرتين ثم لا يتوبون) ثم لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم (ولا هم يذكرون) ولا يعتبرون (واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية اوغيظا لما فيها من عيوبهم (هل يراكم من احد) اى يقولون هل يراكم احدان قمتم من حضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا (ثم انصرفوا) عن حضرته مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء (بانهم) بسبب انهم (قوم لا يفقهون) لسوء فهمهم اوعدم تدبرهم (لقد جاءكم رسول من انفسكم) من جنسكم عربى مثلكم وقرئ من انفسكم اى من اشرفكم (عزيز عليه) شديد شاق (ما عنتم) عنتكم ولقاؤكم المكروه (حريص عليكم) اى على ايمانكم و صلاح شأنكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل (فان تولو) عن الايمان بك (فقل حسبى الله) فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم (لا اله الا هو) كالدليل عليه (عليه توكلت) فلا ارجو ولا اخاف الا منه (وهو رب العرش العظيم) الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذى ينزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابى رضى الله تعالى عنه انه آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما نزل القرآن على الآية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

(سورة يونس مكية وهى مائة وتسع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء (تلك آيات الكتاب الحكيم) اشارة الى ما تضمنه السورة او القرآن من الآى والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم اولانه كلام حكيم اومحكم آياته لم ينسخ شئ منها (اكان للناس عجبا) استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه (ان اوحينا) وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس اوعلى ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم (الى رجل منهم) من اقناء رجالهم دون عظيم

عليكم بوكيل) فاجبركم على الهدى (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على الدعوة واذاهم (حتى يحكم الله) فيهم بامره (وهو خير الحاكمين) اعدلهم وقد صبر حتى حكم على المشركين بالقتال واهل الكتاب بالجزية

(سورة هود مكية الا اقم الصلوة الآية او الا فلعلك تارك الآية واولئك يؤمنون به الآية مائة واثنتان اوثلاث وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) الله اعلم بمراده بذلك هذا (كتاب احكمت آياته) بعجيب النظم وبديع المعانى (ثم فصلت) بينت بالاحكام والقصص والمواعظ (من لدن حكيم خبير) اى الله (ان) اى بان (لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير) بالعذاب ان كفرتم (وبشير) بالثواب ان آمنتم (وان استغفروا ربكم من الشرك (ثم توبوا) ارجعوا (اليه) بالطاعة (يمتعكم) فى الدنيا (متاعا حسنا) بطيب عيش وسعة رزق (الى اجل مسمى) هو الموت (ويؤت) فى الآخرة

من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى النبوة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا فى المال وخفة الحال اعون شئ فى هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام (ان انذر الناس) ان هى المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون فى موقع مفعول اوحينا (وبشر الذين آمنوا) عم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ماينبغى ان ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين اذ ليس للكفار مايصح ان يبشروا به (ان لهم) بان لهم (قدم صدق عند ربهم) سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية (قال الكافرون ان هذا) يعنون الكتاب وماجاء به الرسول عليه الصلاة والسلام (لسحر مبين) وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ماهذا الا سحر مبين (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض) التى هى اصول الممكنات (فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر) يقدر امر الكائنات على مااقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر فى ادبار الامور لتجئ محمودة العاقبة (مامن شفيع الا من بعد انه) تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له (ذلكم الله) اى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية (ربكم) لاغيره اذ لايشاركه احد فى شئ من ذلك (فاعبدوه) وحدوه بالعبادة (افلا تذكرون) تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لامانعبدونه (اليه مرجعكم جميعا) بالموت او النشور لا الى غيره فاستعد للقائه (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله (حقا) مصدر آخر مؤكد لغيره وهو مادل عليه وعد الله (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد بدئه واهلاكه (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط)

(كل ذو فضل) فى العمل (فضله) جزاءه (وان تولوا) فيه حذف احد التاءين اى تعرضوا (فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير) ومنه الثواب والعذاب * ونزل كما رواه البخارى عن ابن عباس فيمن كان يستحيى ان يتخلى او يجامع فيفضى الى السماء وقيل فى المنافقين (الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه) اى الله (الا حين يستغشون ثيابهم) يتغطون بها (يعلم) تعالى (مايسرون ومايعلنون) فلا يخفى استخفاؤهم (انه عليم بذات الصدور) اى بما فى القلوب (ومامن) زائدة (دابة فى الارض) هى مادب عليها (الا على الله رزقها) تكفل به فضلا منه تعالى (ويعلم مستقرها) مسكنها فى الدنيا او الصلب (ومستودعها) بعد الموت او فى الرحم (كل) مما ذكر (فى كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) اولها الاحد

اى بعدله اوبعدالتهم و قيامهم على العدل فى امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلته قوله (والذين كفروالهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوايكفرون) فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة فى استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بمايليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لامحالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اى لانه ويجوز ان يكون منصوبا اومرفوعا بما نصب وعدالله اوبما نصب حقا (هوالذى جعل الشمس ضياء) اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام اوجمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين فى كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين (والقمر نورا) اى ذانور اوسمى نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها (وقدره منازل) الضمير لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل اوللقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علل بقوله (لتعلموا عدد السنين والحساب) وحساب الاوقات من الاشهر والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم (ماخلق الله ذلك الا بالحق) الاملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة (نفصل الآيات لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص بفصل بالياء (ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض) من انواع الكائنات (لآيات) على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه و قدرته (لقوم يتقون) العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر (ان الذين لايرجون لقاءنا) لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها (و رضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة لغفلتهم عنها (و اطمأنوا بها) وسكنوا اليها قصرين همهم على لذائذها وزخارفها اوسكنوا فيها اوسكون من

وآخرها الجمعة (وكان عرشه) قبل خلقهما (على الماء) وهو على متن الريح (ليبلوكم) متعلق بخلق اى خلقهما وما فيهما منافع لكم ومصالح ليختبركم (ايكم احسن عملا) اى اطوع لله (ولئن قلت) يامحمد لهم (انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان) ما (هذا) القرآن الناطق بالبعث آو الذى تقوله (الاسحر مبين) بين وفى قراءة ساحر و المشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم (ولئن اخرنا عنهم العذاب الى) مجئ (امة) اوقات معدودة (ليقولن) استهزاء (مايحبسها) مايمنعه من النزول قال تعالى (الايوم يأتيهم ليس مصروفا) مدفوعا (عنهم وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب (ولئن اذقنا الانسان) الكافر (منا رحمة) غنى وصحة (ثم نزعناها منه انه ليؤس) قنوط من رحمة الله (كفور) شديد الكفر به (ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء) فقر وشدة (مسته ليقولن ذهب السيئات) المصائب (عنى)

لا يزعج عنها (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يتفكرون فيها لانهما كهم فيما يصادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك فى الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا واما التغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحياة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل فى الآجل والاعتداد له (اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الجنة اولادراك الحائق كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم اولما يريدونه فى الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له (تجرى من تحتهم الانهار) استئناف وخبر ثان اوحال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله (فى جنات النعيم) خبر اوحال آخر منه او من الانهار او متعلق بتجرى او يهدى (دعواهم فيها) اى دعاؤهم (سبحانك اللهم) اللهم انا نسبحك تسبيحا (وتحيتهم) مايحيى به بعضهم بعضا اوتحية الملائكة اياهم (فيها سلام وآخر دعواهم) وآخر دعائهم (ان الحمد لله رب العالمين) اى ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز باصناف الكرامات اوالله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هى المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد (ولو يعجل الله للناس الشر) ولو يسرعه اليهم (استعجالهم بالخير) وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم اوبان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ماحذف لدلالة الباقى عليه (لقضى اليهم اجلهم) لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا (فنذر الذين لا يرجعون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون) عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضى فنذرهم امهالا لهم ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها (انه لفرح) بطر (فخور) على الناس بما اوتى (الا) لكن (الذين صبروا) على الضراء (وعملوا الصالحات (فى النعماء (اولئك لهم مغفرة واجر كبير) هو الجنة (فلعلك) يامحمد (تارك بعض مايوحى اليك) فلا تبلغهم اياه لتهاونهم به (وضائق به صدرك) بتلاوته عليهم لاجل (ان يقولوا لولا) هلا (انزل عليه كنز اوجاء معه ملك) يصدقه كما اقترحنا (انما انت نذير) فلا عليك الا البلاغ لا الاتيان بما اقترحوه (والله على كل شئ وكيل) حفيظ فيجازيهم (ام) بل أ (يقولون افتراه) اى القرآن (فل فأتوا بعشر سور مثله) فى الفصاحة والبلاغة (مفتريات) فانكم عربيون فصحاء مثلى تحداهم بها اولائم بسورة (وادعوا) للمعاونة على ذلك (من استطعتم من دون الله) اى غيره (ان كنتم صادقين) فان لم يستجيبوا لكم) اى من دعوتموهم للمعاونة (فاعلموا خطاب للمشركين (انما

استدراجا (واذا مس الانسان ضر دعانا) لازالته مخلصا فيه (لجنبه) اى ملقيا لجنبه اى مضطجعا (اوقاعدا اوقائما) وفائدة التردید تعميم الدعاء بجميع لاحوال اولاصناف المضار (فلما كشفنا عنه ضره مر) مضى على طريقته واستمر على كفره اومر عن موقف الدعاء لايرجع اليه (كأن لم يدعنا) كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان (الى ضر مسه) الى كشف ضر (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين ماكانوا يعملون) من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم) يا اهل مكة (لما ظلموا) حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لاعلى ماينبغى (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد اوعطف على ظلموا (وماكانوا ليؤمنوا) وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفى (كذلك) مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة فى امهالهم (نجزى القوم المجرمين) نجزى كل مجرم اونجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم) استخلفناكم فيها بعد القرون التى اهلكناها استخلاف من يختبر (لننظر كيف تعملون) تعملون خيرا اوشرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ماقبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر فى الجزاء جهات الافعال وكيفيتها لاهى من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا) يعنى المشركين (ائت بقرآن غير هذا) بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه مانستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت اومانكرهه من معايب آلهتنا (اوبدله) بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كى يسعفهم اليه فيلزموه (قل مايكون لى) مايصح لى (ان ابدله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر (ان اتبع الا مايوحى الى) تعليل لما يكون فان المتبع لغيره فى امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب

انزل) ملتبسا (بعلم الله) وليس افتراء عليه (وان) مخففة اى انه (لااله الاهو فهل انتم مسلمون) بعد هذه الحجة القاطعة اى اسلموا (من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها) أصر على الشرك وقيل هى فى المرائين (نوف اليهم اعمالهم) اى جزاء ماعملوه من خير كصدقة وصلة رحم (فيها) بأن نوسع عليهم رزقهم (وهم فيها) اى الدنيا (يبخسون) ينقصون شيئا (اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط) بطل (ماصنعوا) ء (فيها) اى الآخرة فلا ثواب له (وباطل ماكانوا يعملون افمن كان على بينة) بيان (من ربه) وهو النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وهى القرآن (ويتلوه) يتبعه (شاهد) له بصدقه (منه) اى من الله وهو جبريل (ومن قبله) اى القرآن (كتاب موسى) التوراة شاهد له ايضا (اماما ورحمة) حال كمن ليس كذلك لا (اولئك) اومن كان على بينة (يؤمنون به) اى بالقرآن

للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل فى الجواب وسماه عصيانا فقال (انى اخاف ان عصيت ربى) اى بالتبديل (عذاب يوم عظيم) وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح (قل لو شاء الله) غير ذلك (ماتلوته عليكم ولا ادراكم به) ولا اعلمكم به على لسانى وعن ابن كثير ولادراكم به بلام التأكيد اى لو شاء الله ماتلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيرى والمعنى انه الحق الذى لامحيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيرى وقرئ ولا ادراكم ولاادرأتكم بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اى ولاجعلتكم بلاوته خصماء تدرؤننى بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله تعالى لابمشيئتى حتى اجعله على نحو ماتشتهونه ثم قرر ذلك بقوله (فقد لبثت فيكم عمرا) مقدار عمر اربعين سنة (من قبله) من قبل القرآن لاتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما لم ينشئ قريضا ولاخطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمى الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين على ماهى عليه علم انه معلم به من الله تعالى (افلا تعقلون) اى افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله تعالى فى قولهم انه لذو شريك وذو ولد (او كذب بآياته) فكفر بها (انه لايفلح المجرمون ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم) لانه جماد لايقدر على نفع ولاضر والمعبود ينبغى ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى يعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر (ويقولون هؤلاء) الاوثان (شفعاؤنا عند الله) تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او فى الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة مايعلم قطعا انه لايضر ولاينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده (قل اتنبئون الله) اتخبرونه (بمالايعلم) وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا عنده ومالا يعلم العالم بجميع المعلومات لايكون له تحقق ما (فى السموات ولا فى الارض) حال

فلهم الجنة (ومن يكفر به من الاحزاب) جميع الكفار (فالنار موعده فلا تك فى مرية) شك (منه) من القرآن (انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس) اى اهل مكة (لايؤمنون ومن) اى لااحد اظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك والولد اليه (اولئك يعرضون على ربهم) يوم القيامة فى جملة الخلق (ويقول الاشهاد) جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين) المشركين (الذين يصدون عن سبيل الله) دين الاسلام (ويبغونها) يطلبون السبيل (عوجا) معوجة (وهم بالآخرة هم) تأكيد (كافرون اولئك لم يكونوا معجزين) الله (فى الارض وما كان لهم من دون الله) اى غيره (من اولياء) انصار يمنعونهم من عذابه (يضاعف لهم العذاب) باضلالهم غيرهم (ماكانوا يستطيعون السمع) للحق (وما كانوا يبصرون)

من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على انما يعبدون دون الله اما سماوى واما ارضى ولاشئ من الموجودات فيهما الاوهو حادث مقهور مثلهم لايليق ان يشرك به (سبحانه وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم وعن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الموضعين فى اول النحل والروم بالتاء (وماكان الناس الا امة واحدة) موجودين على الفطرة اومتفقين على الحق وذلك فى عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال فى فترة من الرسل (فاختلفوا) باتباع الهوى والاباطيل اوببعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء (لقضى بينهم) عاجلا (فيما فيه يختلفون) باهلاك المبطل وابقاء المحق (ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه) اى من الآيات التى اقترحوها (فقل انما الغيب لله) هو المختص بعلمه فلعله يعلم فى انزال الآيات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها (فانتظروا) لنزول مااقترحتموه (انى معكم من المنتظرين) لمايفعل الله بكم بجحودكم مانزل عليه من الآيات العظام واقتراحكم غيره (واذا اذقنا الناس رحمة) صحة وسعة (من بعد ضراء مستهم) كقحط ومرض (اذا لهم مكر فى آياتنا) بالطعن فيها والاحتيال فى دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون فى آيات الله ويكيدون رسوله (قل الله اسرع مكرا) منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج اوالجزاء على المكر (ان رسلنا يكتبون ماتمكرون) تحقيق للانتقام وتنبيه على ان مادبروا فى اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ماقبله (هو الذى يسيركم) يحملكم على السير ويمكنكم منه (فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك) فى السفن (وجرين بهم) بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم (بريح طيبة) لينة الهبوب (وفرحوا بها) تلك الريح (جاءتها) جواب لاذا والضمير للفلك اوالريح الطيبة بمعنى تلقتها (ريح عاصف) ذات عطف شديدة الهبوب (وجاءهم الموج من كل

اى لفرت كراهتهم له كانهم لم يستطيعوا ذلك (اولئك الذين خسروا انفسهم) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (وضل) غاب (عنهم ماكانوا يفترون) على الله من دعوى الشريك (لاجرم) حقا (انهم فى الآخرة هم الاخسرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا) سكنوا واطمأنوا او انابوا (الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل) صفة (الفريقين) الكفار والمؤمنين (كالاعمى والاصم) هذا مثل الكافر (والبصير والسميع) هذا مثل المؤمن (هل يستويان مثلا) لا (افلا تذكرون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال تتعظون (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى) اى بانى وفى قراءة بالكسر على حذف القول (لكم نذير مبين) بين الانذار (ان) اى بان (لاتعبدوا الا الله انى اخاف عليكم) ان عبدتم غيره (عذاب يوم اليم) مؤلم فى الدنيا والآخرة (فقال الملاء الذين كفروا من قومه (وهم الاشراف) ما

مكان) يجيء الموج منه (وظنوا انهم احيط بهم) اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم (لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول (فلما انجاهم) اجابة لدعائهم (اذاهم يبغون فى الارض) فاجاؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه (بغير الحق) مبطلين فيه وهو احتراز عن تحريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق (يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم) فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم (متاع الحياة الدنيا) منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اى تتمتعون متاع الحياة الدنيا او مفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغى وعلى انفسكم خبره (ثم الينا مرجعكم) فى القيامة (فننبئكم بما كنتم تعملون) بالجزاء عليه (انما مثل الحياة الدنيا) حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها (كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (مما يأكل الناس والانعام) من الزروع والبقول والحشيش (حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت) تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزينة وتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينت وازيانت كابياضت (وظن اهلها انهم قادرون عليها) متمكنون من حصدها ورفع غلتها (اتاها امرنا) ضرب زرعها ما يحتاجه (ليلا او نهارا فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما حصد من اصله (كأن لم تغن) ان كأن لم يغن زرعها اى لم تنبت والمضاف محذوف فى الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل (بالامس) فيما قبيله وهو مثل فى الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة

مانراك الا بشرا مثلنا) ولا فضل لك علينا (وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) أسافلنا كالحاكة والاساكفة (بادى الرأى) بالهمزة وتركه أى ابتداء من غير تفكر فيك ونصبه على الظرف أى وقت حدوث أول رأيهم (وما نرى لكم علينا من فضل) فتستحقون به الاتباع منا (بل نظنكم كاذبين) فى دعوى الرسالة أدرجوا قومه معه فى الخطاب (قال يا قوم أرأيتم) أخبرونى (ان كنت على بينة) بيان (من ربى وآتانى رحمة نبوة (من عنده فعميت) خفيت (عليكم) وفى قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول (أنلزمكموها) أنجبركم على قبولها (وأنتم لها كارهون) لانقدر على ذلك (ويا قوم لا أسألكم عليه) على تبليغ الرسالة (مالا) تعطونيه (ان) ما (أجرى) ثوابى (الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) كما أمرتمونى (انهم ملاقوا ربهم) بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) عاقبة أمركم (ويا

النبات فجأة وذهابه حطا مابعد ماكان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قدسلم من الحوايج لا الماء وان وليه حرف التشبيه المركب لانه من التشبيه المركب (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) فانهم المنتفعون به (والله يدعو الى دار السلام) دار السلامة من التقضى والآفة اودار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك اودار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة (ويهدى من يشاء) بالتوفيق (الى صراط مستقيم) هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده (للذين احسنوا الحسنى) المثوبة الحسنى (وزيادة) وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء (ولا يرهق وجوههم) لايغشاها (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) هوان والمعنى لا يرهقهم مايرهق اهل النار اولا يرهقهم مايوجب ذلك من حزن وسوء حال (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون لازوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) هو عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز فى الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزآء سيئة على تقدير وجزآء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اى ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لايزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هى الفضل اولتضعيف اوكانما اغشيت اواولئك اصحاب النار ومابينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اى فجزاء سيئة بمثلها واقع اوبمثلها على زيادة الباء اوبتقدير مقدر بمثلها (وترهقهم ذلة) وقرئ بالياء (مالهم من الله من عاصم) مامن احد يعصمهم من سخط الله اومن جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين (كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة اومعنى الفعل فى من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له اوحالا منه (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) مما يحتج به الوعيدية

قوم من ينصرنى) يمنعنى (من الله) اى عذابه (ان طردتهم) اى لاناصر لى (افلا) فهلا (تذكرون) بادغام التاء الثانية فى الاصل فى الذال تتعظون (ولا اقول لكم عندى خزائن الله ولا) انى (اعلم الغيب ولا اقول انى ملك) بل انا بشر مثلكم (ولا اقول للذين تزدرى) تحتقر (اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى انفسهم) قلوبهم (انى اذا) ان قلت ذلك (لمن الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا) به من العذاب (ان كنت من الصادقين) فيه (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) تعجيله لكم فان امره اليه لا الى (وما انتم بمعجزين) بفائتين الله (ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم) اى اغواءكم وجواب الشرط دل عليه ولا ينفعكم نصحى (هو ربكم واليه ترجعون) قال تعالى (ام) بل (يقولون) اى كفار مكة (افتراه) اختلق محمد القرآن (قل ان افتريته فعلى اجرامى) اثمى اى عقوبته وانا برئ مما تجرمون) من

اجرامكم فى نسبة الافتراء الى (واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس) تحزن (بما كانوا يفعلون) من الشرك فدعا عليهم بقوله رب لاتذر على الارض الخ فاجاب الله تعالى دعاءه وقال (واصنع الفلك) السفينة (باعيننا) بمرأى منا وحفظنا (ووحينا) امرنا (ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا) كفروا بترك اهلاكهم (انهم مغرقون ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلما مر عليه ملأ) جماعة (من قومه سخروا منه) استهزؤا به (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) اذا نجونا وغرقتم (فسوف تعلمون من) موصولة مفعول العلم (يأتيه عذاب يخزيه ويحل) ينزل (عليها عذاب مقيم) دائم (حتى) غاية للصنع (اذا جاء امرنا) باهلاكهم (وفار التنور) للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح (قلنا احمل فيها) فى السفينة (من كل زوجين) اى ذكر وانثى اى من كل انواعهما (اثنين ذكرا وانثى وهو مفعول

والجواب ان الآية فى الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمة (ويوم نحشرهم جميعا) يعنى الفريقين جميعا (ثم نقول للذين اشركوا مكانكم) الزموا مكانكم حتى تنظروا مايفعل بكم (انتم) تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم (وقال شركاؤهم ماكنتم ايانا تعبدون) مجاز عن برآءة ماعبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا فى الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لاما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) فانه العالم بكنه الحال (ان كنا عن عبادتكم لغافلين) ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (هنالك) فى ذلك المقام (تبلو كل نفس ما اسلفت) تختبر ماقدمت من عمل فعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائى تتلو من التلاوة اى تقرأ ذكر ماقدمت اومن التلو اى تتبع عمله فيقودها الى الجنة اوالى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال مامنه والمعنى تختبرها اى نفعل بها فعل المختبر بحالها المتعرف بسعادتها وشقاوتها بتعرف ماسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اى لعذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون مامنصوبة بنزع الخافض (وردوا الى الله) الى جزائه اياهم بما سلفوا (مولاهم الحق) ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لا ماتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح اوالمصدر المؤكد (وضل عنهم) وضاع عنهم (ماكانوا يفترون) من ان آلهتهم تشفع لهم اوما كانوا يدعون انها آلهة (قل من يرزقكم من السماء والارض) اى منهما جميعا توسعة عليكم تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية اومن كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض (ام من يملك السمع والابصار) ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شئ (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) ومن يحيى ويميت اومن ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه (ومن يدبر الامر) ومن يلى تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص (فسيقولون الله) اذلا يقدرون على المكابرة والعناد

فى ذلك لفرط وضوحه (فقل افلاتتقون) انفسكم عقابه باشراككم اياه مالايشاركه فى شئ من ذلك (فذلكم الله ربكم الحق) اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر امركم فماذا بعد الحق الا الضلال) استفهام انكارى اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله تعالى وقع فى الضلال (فانى تصرفون) عن الحق الى الضلال (كذلك حقت كلمة ربك) اى كماحقت الربوبية لله اوان الحق بعده الضلال اوانهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه (على الذين فسقوا) تمردوا فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح (انهم لايؤمنون) بدل من الكلمة اوتعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب (قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول عليه الصلاة والسلام بان ينوب عنهم فى الجواب فقال (قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) لان لجاجهم لايدعهم ان يعترفوا بها (فانى تؤفكون) تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كايعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ماسند الى الله (قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لايهدى الاان يهدى) ام الذى لايهتدى الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذااهتدى اولا يهدى غيره الاان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء اوكسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر هدى باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمر وبالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى للمبالغة (فمالكم كيف تحكمون) بما يقتضى صريح العقل بطلانه (وما يتبع اكثرهم) فيمايعتقدون (الا ظنا) مستند الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد

وفى القصة ان الله حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب يديه فى كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الانثى فيحملهما فى السفينة (واهلك) اى زوجته واولاده (الا من سبق عليه القول) اى منهم بالاهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة (ومن آمن وما آمن معه الا قليل) قيل كانوا ستة رجال ونساءهم وقيل جميع من كان فى السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء (وقال) نوح (اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) بفتح الميمين وضمهما مصدر ان اى جريها ورسوها اى منتهى سيرها (ان ربى لغفور رحيم) حيث لم يهلكنا (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال) فى الارتفاع والعظم (ونادى نوح ابنه) كنعان (وكان فى معزل) عن السفينة (يا بنى اركب معنا

بالاكثر الجميع اومن ينتمى منهم الى تمييز ونظر ولايرضى بالتقليد الصرف (ان الظن لايغنى من الحق) من العلم والاعتقاد الحق (شيئا) من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز (ان الله عليم بما يفعلون) وعيد على اتباعهم للظن و اعراضهم عن البرهان (وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله) افتراء من الخلق (ولكن تصديق الذى بين يديه) مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهودة على صدقها ولايكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدر اوعلة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق (وتفصيل الكتاب) وتفصيل ماحقق واثبت من العقائد والشرائع (لاريب فيه) منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل فى حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول فى المعنى وان يكون أستئنافا (من رب العالمين) خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق اوبتفصيل ولاريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب اوالضمير فى فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان مايجب اتباعه والبرهان عليه (ام يقولون) بل ايقولون (افتراه) محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار (قل فأتوا بسورة مثله) فى البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة واشد تمرنا فى النظم والعبارة (وادعوا من استطعتم) ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به (من دون الله) سوى الله فانه وحده قادر على ذلك (ان كنتم صادقين) انه اختلقه (بل كذبوا) بل سارعوا الى التكذيب (بما لم يحيطوا بعلمه) بالقرآن اول ماسمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه اوبما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر مايخالف دينهم (ولما يأتهم تأويله) ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه اولم يأتهم بعد تأويل مافيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق اوكذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم

ولا تكن مع الكافرين قال ساوى الى جبل يعصمنى) يمنعنى (من الماء قال لاعاصم اليوم من امر الله) عذابه (الا) لكن (من رحم) الله فهو المعصوم قال تعالى (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا ارض ابلعى ماءك) الذى نبع منك فشربته دون مانزل من السماء فصار انهارا وبحارا (ويا سماء اقلعى) امسكى عن مطر فامسكت (وغيض) نقص (الماء وقضى الامر) ثم امر هلاك قوم نوح (واستوت) وقفت السفينة (على الجودى) جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وقيل بعدا) هلاكا (للقوم الظالمين) الكافرين (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى) كنعان (من اهلى) وقد وعدتنى بنجاتكم (وان وعدك الحق) الذى لاخلف فيه (وانت احكم الحاكمين) اعلمهم واعدلهم (قال) تعالى (يانوح انه ليس من اهلك) الناجين اومن اهل دينك (انه) اى سؤالك اياى بنجاته (عمل غير صالح)

التحدى فرازوا قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها اولما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا (كذلك كذب الذين من قبلهم) انبياءهم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) فيه وعيدلهم بمثل ماعاقب به من قبلهم (ومنهم) ومن المكذبين (من يؤمن به) من يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند اومن سيؤمن به ويتوب عن كفره (ومنهم من لايؤمن به) فى نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره اوفيما يستقبل بل يموت على الكفر (وربك اعلم بالمفسدين) بالمعاندين او المصرين (وان كذبوك) وان اصروا على تكذيبك بعدالزام الحجة (فقل لى عملى ولكم عملكم) فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان اوباطلا (انتم بريئون مما اعمل وانا برىء مما تعملون) لاتؤاخزون بعملى ولااؤآخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن وغلت الشرائع ولكن لايقبلون كالاصم الذى لايسمع اصلا (افانت تسمع الصم) تقدر على اسماعهم (ولوكانوا لايعقلون) ولوانضم الى سمعهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لايوصف به البهائم وهو لايتأتى الا باستعمال العقل السليم فى تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر البهائم الحكم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ماينتفع به البهائم من كلام الناعق (ومنهم من ينظر اليك) ويعاينون دلائل نبوتك ولكن لايصدقونك (افانت تهدى العمى) تقدر على هدايتهم (ولوكانوا لايبصرون) وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لايدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبرى والاعراض عنهم (ان الله لايظلم الناس شيئا) بسلب حواسهم وعقولهم (ولكن الناس انفسهم يظلمون) بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان مايحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لايظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه (ويوم نحشرهم

فانه كافر ولانجاة للكافرين وفى قراءة بكسر ميم عمل فعل ونصب غير فالضمير لابنه (فلاتسألن) بالتشديد والتخفيف (ماليس لك به علم) من انجاء ابنك (انى أعظك أن تكون من الجاهلين) بسؤالك مالم تعلم (قال رب انى أعوذ بك) من (ان أسألك ماليس لى به علم والاتغفرلى) مافرط منى (وترحمنى أكن من الخاسرين قيل يانوح اهبط) انزل من السفينة (بسلام) بسلامة اوبتحية (منا وبركات) خيرات (عليك وعلى أمم ممن معك) فى السفينة اى من اولادهم وذريتهم وهم المؤمنون (وأمم) بالرفع ممن معك (سنمتعهم) فى الدنيا (ثم يمسهم منا عذاب اليم) فى الآخرة وهم الكفار (تلك) اى هذه الآيات المتضمنة قصة نوح (من انباء الغيب) اخبار ماغاب عنك (نوحيها اليك) يامحمد (ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) القرآن (فاصبر) على التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح (ان

العاقبة) المحمومة (للمتقين و) ارسلنا (الى عاد اخاهم) من القبيلة (هودا قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من) زائدة (اله غيره ان) ما (انتم) فى عبادتكم الاوثان (الا مفترون) كاذبون على الله (ياقوم لا اسالكم عليه) على التوحيد (اجرا ان) ما (اجرى الا على الذى فطرنى) خلقنى (افلا تعقلون و ياقوم استغفروا ربكم) من الشرك (ثم توبوا) ارجعوا (اليه) بالطاعة (يرسل السماء) المطر وكانوا قد منعوه (عليكم مدرارا) كثيرا لدرور (و يزدكم قوة الى) مع (قوتكم) بالمال والولد (ولا تتولوا مجرمين) مشركين (قالوا ياهود ماجئتنا ببينة) برهان على قولك (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) اى لقولك (وما نحن لك بمؤمنين ان) ما (نقول) فى شانك (الا اعتراك) اصابك (بعض آلهتنا بسوء) فخبلك لسبك اياها فانت تهذى (قال انى اشهد الله) على (واشهدوا انى برئ مما تشركون به) به

كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية فى موقع الحال اى تحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اى حشرا كان لم يلبثوا قبله (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) للشهادة على خسرانهم والتعجب منه و يجوز ان يكون حالا من الضمير فى يتعارفون على ارادة القول (وما كانوا مهتدين) لطرق استعمال ما منحوا من المعاون فى تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم (وامانرينك) نبصرنك (بعض الذى نعدهم) من العذاب فى حياتك كما اراه يوم بدر (او نتوفينك) قبل ان نريك (فالينا مرجعهم) فنريكه فى الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نريك محذوف مثل فذلك (ثم الله شهيد على مايفعلون) مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤدى شهادته على افعالهم يوم القيامة (ولكل امة) من الامم الماضية (رسول) بعث اليهم ليدعوهم الى الحق (فاذا جاء رسولهم) بالبينات فكذبوه (قضى بينهم) بين الرسول ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فانجى الرسول واهلك المكذبون (وهم لايظلمون) اوقيل معناه لكل امة رسول يوم القيامة تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم (ويقولون متى هذا الوعد) استبعاد له واستهزاء به (ان كنتم صادقين) خطاب منهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين (قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا) فكيف املك لكم فاستعجل فى جلب العذاب اليكم (الا ماشاء الله) ان املكه او ولكن ماشاء الله من ذلك كائن (لكل امة اجل) مضروب لهلاكهم (اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيجىء وقتكم وينجز وعدكم (قل ارايتم ان اتاكم عذابه) الذى تستعجلون به (بياتا) وقت بيات واشتغال بالنوم (او نهارا) حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم

(ماذا يستعجل منه المجرمون) اى شئ من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لايلائم الاستعجال وهو متعلق باراايتم لانه بمعنى اخبرونى والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغى ان يفزعوا من مجئ الوعيد لان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاءه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطينى وتكون الجملة متعلقة باراايتم او قوله (اثم اذا ماوقع آمنتم به) بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لاينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير (الآن) على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقا حركتها على اللام (وقد كنتم به تستعجلون) تكذيبا واستهزاء (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المقدر (ذوقوا عذاب الخلد) المؤلم على الدوام (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) من الكفر والمعاصى (ويستنبؤنك) ويستخبرونك (احق هو) احق ماتقول من الوعد اوادعاء النبوة تقوله بجدام باطل تهزل به قاله حين اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبؤنك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر اوخبر مقدم والجملة فى موضع النصب بيستنبؤنك (قل اى وربى انه لحق) ان العذاب لكائن اوماادعيه لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واى بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه فى التصديق فيقال اى والله ولايقال اى وحده (وما انتم بمعجزين) فائتين العذاب (ولو ان لكل نفس ظلمت) بالشرك اوالتعدى على الغير (مافى الارض) من خزائنها واموالها (لافتدت به) لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه (واسروا الندامة لمارأوا العذاب) لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها اولانه يقال سر الشئ خالصته من حيث انها تخفى وتضن بها وقيل اظهروها من قولهم اسر الشئ واسره اذا اظهره (وقضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون) ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء و تكذيبهم والثانى مجازاة للمشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين و المظلومين والضمير (من دونه فكيدونى) احتالوا فى هلاكى (جميعا) انتم واوثانكم (ثم لاتنظرون) تمهلون (انى توكلت على الله ربى وربكم مامن) زائدة (دابة) نسمة تدب على الارض (الاهو آخذ بناصيتها) اى مالكها وقاهرها فلا نفع ولاضرر الا باذنه وخص الناصية بالذكر لان من اخذ بناصيته يكون فى غاية الذل (ان ربى على صراط مستقيم) اى طريق الحق والعدل (فان تولوا) فيه حذف احدى التاءين اى تعرضوا (فقد ابلغتكم ماارسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولاتضرونه شيئا) باشراككم (ان ربى على كل شئ حفيظ) رقيب (ولما جاء امرنا) عذابنا (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة) هداية (منا ونجيناهم من عذاب غليظ) شديد (وتلك عاد) اشارة الى آثارهم اى فسيحوا فى الارض وانظروا اليها ثم وصف احوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) جمع لان من عصى

انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم (الا ان لله مافى السموات والارض) تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب (الا ان وعدالله حق) ماوعده من الثواب والعقاب كائن لاخلف فيه (ولكن اكثرهم لايعلمون) لانهم لايعلمون لقصور عقولهم الاظاهرا من الحياة الدنيا (هو يحى ويميت) فى الدنيا فهو يقدر عليهما فى الاخرى لان القادر لذاته لايزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما ابدا (واليه ترجعون) بالموت او النشور (ياايها الناس قدجاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) اى قدجاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة فى المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التى هى شفاء لما فى الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين من حيث انزلت عليهم فبحوابها من ظلمة الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنات والتنكير فيها للتعظيم (قل بفضل الله وبرحمته) بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله (فبذلك فليفرحوا) فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا اوفليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعدالاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح اوبفعل دل عليه قدجاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا والفاء الاولى بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشئ فيهما فليفرحوا اوللربط بما قبلها والدلالة على ان مجيئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله * واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى * وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقدروى مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا (هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون (قل رأيتم ماانزل الله لكم من رزق) جعل الرزق منزلا لانه مقدر فى السماء محصل باسباب منها ومافى موضع النصب بانزل اوبارأيتم فانه بمعنى اخبرونى ولكم دل على ان المراد منه ماحل ولذلك وبخ على التبعيض فقال (فجعلتم منه حراما وحلالا) مثل هذه انعام وحرث حجر مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا (قل آلله اذن لكم) فى التحريم والتحليل

رسولا عصى جميع الرسل لاشتراكهم فى اصل ماجاؤابه وهو التوحيد (واتبعوا) أى السفلة (أمر كل جبار عنيد) معاند للحق من رؤسائهم (وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة) من الناس (ويوم القيامة) لعنة على رؤس الخلائق (ألا ان عادا كفروا) بجحدوا (ربهم ألا بعدا) من رحمة الله (لعاد قوم هودو) أرسلنا (الى ثمود أخاهم) من القبيلة (صالحا قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من اله غيره هو انشاكم) ابتدأ خلقكم (من الارض) بخلق أبيكم آدم منها (واستعمركم فيها) جعلكم عمارا تسكنون بها (فاستغفروه) من الشرك (ثم توبوا) ارجعوا (اليه) بالطاعة (ان ربى قريب) من خلقه بعلمه (مجيب) لمن سأله (قالوا ياصالح قدكنت فينا مرجوا) نرجو أن تكون سيدا (قبل هذا) الذى صدر منك (أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا) من الاوثان (واننالفى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد (مريب) موقع فى الريب (قال ياقوم أرأيتم

فتقولون ذلك بحكمه (ام على الله تفترون) فى نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بار أيتم وقيل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله (وماظن الذين يفترون على الله الكذب) اى شئ ظنهم (يوم القيامة) ايحسبون ان لايجازوا عليه وهو منصوب بالظن و يدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى لانه كائن وفى ايهام الوعيد تهديد عظيم (ان الله لذو فضل على الناس) حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب (ولكن اكثرهم لايشكرون) هذه النعمة (وماتكون فى شأن) ولاتكون فى امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير فى (وماتتلومنه) له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول عليه الصلاة والسلام اولان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو (من قرآن) على ان من تبعيضية اومزيدة لتأكيد النفى اوللقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيما له اولله (ولاتعملون من عمل) تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص مافيه فخامة وذكر حيث عم مايتناول الجليل والحقير (الا كنا عليكم شهودا) رقباء مطلعين عليه (اذتفيضون فيه) تخوضون فيه وتندفعون (ومايعزب عن ربك) ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائى بكسر الزاى (من مثقال ذرة) موازن نملة صغيرة اوهباء (فى الارض ولافى السماء) اى فى الوجود والامكان فان العامة لاتعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولامتعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها (ولااصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين) كلام برأسه مقرر لماقبله ولانافية واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف اوعلى محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (الاان اولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة (لا خوف عليهم) من لحوق مكروه (ولاهم يحزنون) بفوات مأمول والآية كجمل يفسره قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه (لهم البشرى فى الحياة الدنيا) وهو مابشر به المتقين فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومايريهم فى الرؤيا الصالحة ومايسخ لهم من

ان كنت على بينة) بيان (من ربى وآتانى منه رحمة) نبوة (فمن ينصرنى) يمنعنى (من الله) اى عذابه (ان عصيته فاتزيدوننى) بامركم لى بذلك (غير تخسير) تضليل (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) حال عامله الاشارة (فذروها تأكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء) عقر (فيأخذكم عذاب قريب) ان عقرتموها (فعقروها) عقرها قدار بامرهم (فقال) صالح (تمتعوا) عيشوا (فى داركم ثلاثة ايام) ثم تهلكون (ذلك وعد غير مكذوب) فيه (فلماجاء امرنا) باهلاكهم (نجينا صالحا والذين آمنوا معه) وهم اربعة آلاف (برحمة منا) نجيناهم (من خزى يومئذ) بكسر الميم اعرابا وفتحها بناء لاضافته الى مبنى وهو الاكثر (ان ربك هو القوى العزيز) الغالب (واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين (باركين على الركب ميتين (كائن) مخففة و اسمها محذوف اى كأنهم (لم يغنوا) يقيموا

المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع (وفى الآخرة) بتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليهم ومحل الذين آمنوا النصب اوالرفع على المدح اوعلى وصف الاولياء اوعلى الابتداء وخبره لهم البشرى (لاتبديل لكلمات الله) اى لاتغيير لافواله ولاخلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين (هو الفوز العظيم) هذه الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بماقبله (ولا يحزنك قولهم) اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى (ان العزة لله جميعا) استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لاتحزن بقولهم ولاتبال بهم لان الغلبة لله جميعا لايملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) بعزماتهم فيكافيهم عليها (الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشراف الممكنات عبيدا لايصلح احد منهم للربوبية فالايعقل منها احق ان لايكون له نداو شريكا فهو كالدليل على قوله (ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) اى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه (ان يتبعون الا الظن) اى مايتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع اوموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اى انهم لايتبعون الا الله ولايعبدون غيره فالكم لاتتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم (وانهم الا يخرصون) يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا (وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر واعتبار (قالوا اتخذ الله ولدا) اى تبناه (سبحانه) تنزيه له عن التبنى فانه لايصح الا ممن يتصور له الولد وتعجيب من كلتهم الحمقاء

(فيها) فى دارهم (الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود) بالصرف وتركه على معنى الحى والقبيلة (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) باسحق ويعقوب بعده (قالوا سلاما) مصدر (قال سلام) عليكم (فمالبث ان جاء بعجل حنيذ) مشوى (فلما رأى ايديهم لاتصل اليه نكرهم) بمعنى انكرهم (واوجس) اضمر فى نفسه (منهم خيفة) خوفا (قالوا لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط) لنهلكهم (وامرأته) اى امرأة ابراهيم سارة (قائمة) تخدمهم (فضحكت) استبشارا بهلاكهم (فبشرناها باسحق ومن وراء) بعد (اسحق يعقوب) ولده تعيش الى ان تراه (قالت ياويلتى) كلمة تقال عند امر عظيم والالف مبدلة من ياء الاضافة (أألدوانا عجوز) لى تسع وتسعون سنة (وهذا بعلى شيخا) له مائة او وعشرون سنة ونصبه على الحال والعامل فيه مافى ذا من الاشارة (ان هذا لشئ عجيب)

(هو الغنى) علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة (مافى السموات ومافى الارض) تقرير لغناه (ان عندكم من سلطان بهذا) نفى لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة فى تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم فى هذا سلطان (اتقولون على الله مالاتعلمون) توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لابد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) باتخاذا لولد واضافة التشريك اليه (لايفلحون) لاينجون من النار ولايفوزون بالجنة (متاع فى الدنيا) خبر مبتدأ محذوف اى افترآؤهم متاع فى الدنيا يتمتعون به رياستهم فى الكفر اوحياتهم اوتقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اى لهم تمتع فى الدنيا (ثم الينا مرجعهم) بالموت فيلقون الشقاء المؤبد (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) بسبب كفرهم (واتل عليهم نبأ نوح) خبره مع قومه (اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم) عظم عليكم وشق (مقامى) نفسى كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كونى واقامتى بينكم مدة مديدة او قيامى على الدعوة (وتذكيرى) ياكم (بايات الله فعلى الله توكلت) وثقت به (فاجمعوا امركم) فاعزموا عليه (وشركاءكم) اى مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركائكم وقرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاحتمال على قصده والسعى فى اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم (ثم لايكن امركم) فى قصدى (عليكم غمة) مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره اوثم لاتكن حالكم علىّ غما اذا اهلكتمونى وتخلصتم من ثقل مقامى وتذكيرى (ثم اقضوا) ادوا (الى) ذلك الامر الذى تريدون بى وقرئ ثم افضوا بالفاء اى انتهوا الى بشركم اوابرزوا الى من افضى اذا خرج الى الفضاء (ولاتنظرون) ولاتمهلونى (فان توليتم) اعرضتم عن تذكيرى (فما سالتكم من اجر ى) يوجب توليكم لثقله علىّ واتهامكم اياى لاجله او يفوتنى لتوليكم (ان اجرى) ماثوابى على الدعوة والتذكير (الا على الله) لاتعلق له بكم يثيبنى به آمنتم اوتوليتم (وامرت ان اكون من المسلمين) المنقادين لحكمه لااخالف امره ولاارجو ان يولد ولد لهرمين (قالوا اتعجبين من امر الله) قدرته (رحمت الله وبركاته عليكم) يا (اهل البيت) بيت ابراهيم (انه حميد) محمود (مجيد) كريم (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الخوف (وجاءته البشرى) بالولد اخذ (يجادلنا) يجادل رسلنا (فى) شأن (قوم لوط ان ابراهيم لحليم) كثير الاناة (او اه منيب) رجاع فقال لهم اتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال افتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال افتهلكون قرية فيها اربعون مؤمنا قالوا لا قال افتهلكون قريه فيها اربعة عشر مؤمنا قالوا لا قال افرايتم ان كان فيها مؤمن واحد قالوا لا قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها الخ فلما اطال مجادلتهم قالوا (يا ابراهيم اعرض عن هذا) الجدال (انه قد جاء امر ربك) بهلاكهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم) حزن بسببهم (وضاق

غيره (فكذبوه) فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لاجرم حقت عليهم كلمة العذاب (فنجيناه) من الغرق (ومن معه فى الفلك) وكانوا ثمانين (وجعلناهم خلائف) من الهالكين به (واغرقنا الذين كذبوا باياتنا) بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما اجرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتسلية له (ثم بعثنا) ارسلنا (من بعده) من بعد نوح (رسلا الى قومهم) كل رسول الى قومه (فجاؤهم بالبينات) بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم فى الكفر وخذلان الله اياهم (بما كذبوا به من قبل) اى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) بخذلانهم لانهماكهم فى الضلال واتباع المألوف وامثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملأه باياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن اتباعهما (وكانوا قوما مجرمين) معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيحة للشك (قالوا) من فرط تمردهم (ان هذا لسحر مبين) ظاهر انه سحر اوفائق فى فنه واضح فيما بين اخوانه (قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم) انه لسحر فحذف المحكى المقول لدلالة ماقبله عليه ولا يجوز ان يكون (اسحر هذا) لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ماقالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكى مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف المقالة كقولهم سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المقول (ولا يفلح الساحرون) من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون (قالوا أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا واللفت والقتل اخوان (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام (وتكون لكما الكبرياء فى الارض) الملك فيها سمى بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على

بهم ذرعا) صدر الانهم حسان الوجوه فى صورة اضياف فخاف عليهم قومه (وقال هذا يوم عصيب) شديد (وجاءه قومه) لما علموا بهم (يهرعون) يسرعون (اليه ومن قبل) قبل مجيئهم (كانوا يعملون السيئات) وهى اتيان الرجال فى الادبار (قال) لوط (ياقوم هؤلاء بناتى) فتزوجوهن (هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون) تفضحونى (فى ضيفى) اضيافى (اليس منكم رجل رشيد) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) حاجة (وانك لتعلم مانريد) من اتيان الرجال (قال لو ان لى بكم قوة) طاقة (اوآوى الى ركن شديد) عشيرة تنصرنى لبطشت بكم فلما رات الملائكة ذلك (قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) بسوء (فأسر بأهلك بقطع) طائفة (من الليل ولا يلتفت منكم احد) لئلا يرى عظيم ماينزل بهم (الا امرأتك) بالرفع بدل

الناس باستتباعهم (ومانحن لكما بمؤمنين) بمصدقين فيما جئتمابه (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر) وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار (عليم) حاذق فيه (فلما جاء السحرة قال لهم موسى القواما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ماجئتم به السحر) اى الذى جئتم به هو السحر لاما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو السحر على ان ماالاستفهامية مرفوعة بالابتدآء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه اوخبر مبتدأ محذوف تقديرا هو السحر اومبتدأ خبره محذوف اى السحر هو ويجوز ان ينتصب مايفعل يفسره مابعده تقديره اى شئ اتيتم (ان الله سيبطله) سيمحقه اوسيظهر بطلانه (ان الله لايصلح عمل المفسدين) لايثبته ولايقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لاحقيقة له (ويحق الله الحق) ويثبته (بكلماته) باوامره وقضاياه وقرئ بكلماته (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى) فى مبتدأ امره (الاذرية من قومه) الاالاولادمن اولادقومه بنى اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الاطائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية اطائفة من شبانهم آمنوابه اومؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته (على خوف من فرعون وملأهم) اى مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ماهو المعتاد فى ضمير العظماء اوعلى ان المراد بفرعون اله كما يقال ربيعة ومضراوللذرية اوللقوم (ان يفتنهم) ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه اومفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه (وان فرعون لعال فى الارض) لغالب فيها (وانه لمن المسرفين) فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء (وقال موسى) لما رأى تخوف المؤمنين به (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) فثقوابه واعتمدوا عليه (ان كنتم مسلمين) مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لايوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت (فقالوا على الله توكلنا) لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم (ربنا لاتجعلنا فتنة) موضع فتنة (للقوم الظالمين) اى لاتسلطهم علينا فيفتنونا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفى تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعى

من احد وفى قراءة بالنصب استثناء من اهل اى فلا تسربها (انه مصيبها ماأصابهم) فقيل لم يخرج بها وقيل خرجت والتفتت فقالت واقوماه فجاءها حجر فقتلها وسألهم هن وقت هلاكهم فقالوا (ان موعدهم الصبح) فقال اريد اعجل من ذلك قالوا (اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا) باهلاكهم (جعلنا عاليها) اى قراهم (سافلها) اى بأن رفعها جبريل الى السماء واسقطها مقلوبة الى الارض (وامطرنا عليها حجارة من سجيل) طين طبخ بالنار (منضود) متتابع (مسومة) معلمة عليها اسم من يرمى بها (عند ربك) ظرف لها (وما هى) الحجارة اوبلادهم (من الظالمين) اى اهل مكه (ببعيد) ارسلنا (الى مدين اخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من اله غيره ولاتنقصوا المكيال والميزان انى اراكم بخير) نعمة تغنيكم عن التطفيف (وانى

اخاف عليكم) ان لم تؤمنوا (عذاب يوم محيط) بكم يهلككم ووصف اليوم به مجاز لوقوعه فيه (ياقوم اوفوا المكيال والميزان) اتموهما (بالسقط) بالعدل (ولاتبخسوا الناس اشياءهم) لاتنقصوهم من حقهم شيأ (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) بالقتل وغيره من عثى يكسر المثلثة افسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها تعثوا (بقيت الله) رزقه الباقى لكم بعد ايفاء الكيل والوزن (خير لكم) من البخس (ان كنتم مؤمنين وماانا عليكم بحفيظ) رقيب اجازيكم باعمالكم انما بعثت نذيرا (قالوا) له استهزاء (ياشعيب اصلواتك تامرك) بتكليف (ان نترك مايعبد آباؤنا) من الاصنام (او) نترك (ان نفعل فى اموالنا مانشاء) المعنى هذا امر باطل لايدعو اليه داع بخير (انك لانت الحليم الرشيد) قالوا ذلك استهزاء (قال ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا) حلالا آفاشوبه

ينبغى ان يتوكل اولا لايجاب دعوته (واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ) ان اتخذا مباءة (لقومكما بمصر بيوتا) يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة (واجعلوا) انتما وقومكما (بيوتكم) تلك البيوت (قبلة) مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة وكان موسى يصلى اليها (واقيموا الصلاة) فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم (وبشر المؤمنين) بالنصرة فى الدنيا والجنة فى العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبؤ للقوم اتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة مما ينبغى ان يفعله كل واحد ثم وحد لان البشارة فى الاصل وظيفة صاحب الشريعة (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاءه زينة) مايتزين به من الملابس والمراكب ونحوهما (واموالا فى الحياة الدنيا) وانواعا من المال (ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لايكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول وتأكيدا اوتنبيها على ان المقصود عرض ضلالتهم وكفرانهم تقدمة لقوله (ربنا اطمس على اموالهم) اى اهلكها والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم (واشدد على قلوبهم) اى واقسها واطبع عليها حتى لاتنشرح للايمان (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) جواب للدعاء اودعاء بلفظ النهى اوعطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض (قال قداجيبت دعوتكما) يعنى موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن (فاستقيما) فاثبتا على ماانتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولاتستعجلا فان ماطلبتما كائن ولكن فى وقته روى انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة (ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون) طريق الجهلة فى الاستعجال اوعدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولاتتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولاتتبعان من تبع يتبع وتتبعان ايضا (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) اى جوزناهم فى البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف الفاعل كضعف وضاعف (فاتبعهم) فادركهم يقال تبعه حتى اتبعته (فرعون وجنوده بغيا

وعدوا) باغين وعادين اوللبغى والعدو وقرئ وعدوا (حتى اذا ادركه الغرق) لحقه (قال آمنت انه) اى بانه (لااله الذى آمنت به بنو اسرآئيل وانا من المسلمين) قرأ حمزة والكسائى انه بالكسر على اضمار القول اوالاستئناف بدلا وتفسيرا لا منت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لايقبل (آلآن) اتؤمن الآن وقدايست من نفسك ولم يبق لك اختيار (وقدعصيت قبل) قبل ذلك مدة عمرك (وكنت من المفسدين) الضالين المضلين عن الايمان (فاليوم ننجيك) نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا اونلقيك على نجوة من الارض لير الك بنو اسرآئيل وقرأ يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننجيك بالحاء اى نلقيك بناحية الساحل (ببدنك) فى موضع الحال اى ببدنك عاريا عن الروح اوكاملا سويا اوعريانا من غير لباس اوبدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اى باجزآء البدن كلها كقولهم هوبا جرامه اوبدروعك كانه كان مظاهرا بينها (لتكون لمن خلفك آية) لمن ورآءك علامة وهم بنوا اسرآئيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ماخيل اليهم انه لايهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا ممرهم من الساحل اولمن يأتى بعدك من القرون اذا سمعوا ما آل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان اوحجة تدلهم على ان الانسان على ماكان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اى لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة فى امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) لايتفكرون فيها ولايعتبرون بها (ولقد بوأنا) انزلنا (بنى اسرآئيل مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر (ورزقناهم من الطيبات) من اللذآئذ (فاختلفوا حتى جاءهم العلم) فاختلفوا فى امر دينهم الامن بعد ماقرؤ التوراة وعلموا احكامها اوفى امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الامن بعد ماعلموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز المحق عن المبطل بالانجاء والاهلاك (فان كنت فى شك مما انزلنا اليك) من القصص على سبيل الفرض والتقدير (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) فانه

بالحرام من البخس والتطفيف (وما اريد ان اخالفكم) واذهب (الى ما انهاكم عنه) فارتكبه (ان) ما (أريد الا الاصلاح) لكم بالعدل (ما استطعت وما توفيقى) قدرتى على ذلك وغير من الطاعات (الا بالله عليه توكلت واليه انيب) ارجع (ويا قوم لايجرمنكم) يكسبنكم (شقاقى) خلافى فاعل يجرم والضمير مفعول اول والثانى (ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح اوقوم هود اوقوم صالح) من العذاب (وما قوم لوط) اى منازلهم اوزمن هلاكهم (منكم ببعيد) فاعتبروا (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم) بالمؤمنين (ودود) محب لهم (قالوا) ايذانا بقلة المبالاة (ياشعيب مانفقه) نفهم (كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا) ذليلا (ولولا رهطك) عشيرتك (لرجمناك) بالحجارة (وما انت علينا بعزيز) كريم عن الرجم وانما رهطك هم الاعزة (قال ياقوم أرهطى

محقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ماالقينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة فان القرآن مصدق لما فيها اووصف اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة ماانزل اليه اوتهييج الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة تثبيته لاامكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لااشك ولااسأل وقيل الخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمرادبه امته اولكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى العلم (لقد جاءك الحق من ربك) واضحاانه لامدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة (فلاتكونن من الممترين) بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلاتكونن ظهيرا للكافرين (ان الذين حقت عليهم) ثبتت عليهم (كلمة ربك) بانهم يموتون على الكفر اويخلدون فى العذاب (لايؤمنون) اذلايكذب كلامه ولاينتقض قضاؤه (ولوجاءتهم كل آية) فان السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود (حتى يروا العذاب الاليم) وحينئذ لاينفعهم كما لاينفع فرعون (فلولا كانت قرية آمنت) فهلا كانت قرية من القرى التى اهلكنا ها آمنت قبل معاينة العذاب ولم يؤخر اليها كما اخر فرعون (فنفعها ايمانها) بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها (الاقوم يونس) لكن قوم يونس عليه السلام (لما آمنوا) اول مارأوا امارة العذاب ولم يؤخره الى حلوله (كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا) ويجوز ان تكون الجملة فى معنى النفى لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ماآمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الاقوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل (ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى ثلاثين وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذادخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن

اعز عليكم من الله) فتتركوا قتلى لأجلهم ولاتحفظونى لله (واتخذتموه) اى الله (وراءكم ظهريا) منبوذا خلف ظهوركم لاتراقبونه (ان ربى بما تعملون محيط) علما فيجازيكم (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) حالتكم (انى عامل) على حالتى (سوف تعلمون من) موصولة مفعول العلم (يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا) انتظروا عاقبة امركم (انى معكم رقيب) منتظر (ولما جاء امرنا) باهلاكهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبريل (فاصبحوا فى ديارهم جاثمين) بار كين على الركب ميتين (كأن) مخففة اى كأنهم لم يغنوا) تقيموا (فيها الا تعد المدين كما بعدت ثمود ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) برهان بين ظاهر (الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد) سديد (يقدم) يقدم (قومه يوم القيامة)

بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا البوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم بحيث لايشذ منهم احد (جميعا) مجتمعين على الايمان لايختلفون فيه وهو دليل القدرية فى انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين فان من شاء ايمانه يؤمن لامحالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر (أفانت تكره الناس) بمالم يشأ الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين) وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلائها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذروى انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله (وما كان لنفس ان تؤمن) بالله (الا باذن الله) الا بارادته واطلاقه وتوفيقه فلا تجهد نفسك فى هدا ها فانه الى الله (ويجعل الرجس) العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاى وقرأ ابوبكر ونجعل بالنون (على الذين لايعقلون) لايستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والآيات اويعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله (قل انظروا) اى تفكروا (ماذا فى السموات والارض) من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل (وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون) فى علم الله وحكمه ونافية واستفهامية فى موضع النصب (فهل ينتظرون الامثل ايام الذين خلوا من قبلهم) مثل وقايعهم ونزول باس الله بهم اذلا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها (قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين) لذلك اوفانتظروا هلاكى انى معكم من المنتظرين هلاككم (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا) عطف على محذوف دل عليه الامثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية (كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين) كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجى محمدا عليه الصلاة والسلام وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من ذلك وقرأ حفص والكسائى ننج المؤمنين مخففا (قل يا ايها الناس) خطاب لاهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) وصحته (فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم) فهذا خلاصة دينى اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظر وافيها بعين الانصاف لتعلموا

فيتبعونه كما اتبعوه فى الدنيا (فأوردهم) ادخلهم (النار وبئس الورد المورود) هى (واتبعوا فى هذه) اى الدنيا (لعنة ويوم القيامة) لعنة (بئس الرفد) العون (المرفود) رفدهم (ذلك) المذكور مبتدأ خبره (من انباء القرى نقصه عليك) يا محمد (منها) اى القرى (قائم) هلك اهله دونه (و) منها (حصيد) هلك باهله فلا اثر له كالزرع المحصود بالمناجل (وما ظلمناهم) باهلاكهم بغير ذنب (ولكن ظلموا انفسهم) بالشرك (فما اغنت) دفعت (عنهم آلهتهم التى يدعون) يعبدون (من دون الله) اى غيره (من) زائدة (شئ لما جاء امر ربك) عذابه (وما زادوهم) بعبادتهم لها (غير تتبيب) تخسير (وكذلك) مثل ذلك الاخذ (اخذ ربك اذا أخذ القرى) اريد اهلها (وهى ظالمة) بالذنوب اى فلا يغنى عنهم من اخذه شئ (ان اخذه اليم شديد) روى الشيخان عن ابى موسى

الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك اخذ ربك الآية (ان فى ذلك المذكور من القصص (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة ذلك) اى يوم القيامة (يوم مجموع له) فيه (الناس وذلك يوم مشهود) يشهده جميع الخلائق (وما نؤخره الا لاجل معدود) لوقت معلوم عند الله (يوم يأت) ذلك اليوم (لا تكلم) فيه حذف احدى التاءين (نفس الا باذنه) تعالى (فمنهم) اى الخلق (شقى و) منهم (سعيد) كتب كل فى الازل (فاما الذين شقوا) فى علمه تعالى (ففى النار لهم فيها زفير) صوت شديد (وشهيق) صوت ضعيف (خالدين فيها ما دامت السموات والارض) اى مدة دوامهما فى الدنيا (الا) غير (ماشاء ربك) من الزيادة على مدتهما مما لا منتهى له والمعنى خالدين فيها ابدا (ان ربك فعال لما يريد واما

صحتها وهو انى لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذى هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد (وامرت ان اكون من المؤمنين) بما دل عليه العقل ونطق به الوحى وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان يكون من غيره كقوله * امرتك الخير فافعل ما امرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نسب (وان اقم وجهك للدين) عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما فى الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل عليه معه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة فى الدين والاسناد فيه بادآء الفرائض والانتهاء عن القبائح او فى الصلاة باستقبال القبلة (حنيفا) حال من الدين او الوجه (ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) بنفسه ان دعوته او خذلته (فان فعلت) فان دعوته (فانك اذا من الظالمين) جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء (وان يمسسك الله بضر) وان يصبك به (فلا كاشف له) يرفعه (الا هو) الا الله (وان يردك بخير فلا راد) فلا دافع (لفضله) الذى اراد به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات والضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا ستحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية (قل ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر (فمن اهتدى) بالايمان والمتابعة (فانما يهتدى لنفسه) لان نفعه لها (ومن ضل) بالكفر بهما (فانما يضل عليها) لان وبال الضلال عليها (وما انا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك) بامتثال والتبليغ (واصبر) على دعوتهم وتحمل اذيتهم (واتبع ما يوحى يحكم الله) بالنصرة او بالامر بالقتال (وهو خير الحاكمين) اذ لا يمكن الخطأ فى حكمه لاطلاعه على السر آثر اطلاعه على الظواهر وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب وبعدد من غرق مع فرعون

(سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر كتاب) مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف (احكمت آياته) نظمت نظما محكما لايعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية (ثم فصلت) بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما او فصل فيها وخلص مايحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت فى الحكم او للتراخى فى الاخبار (من لدن حكيم خبير) صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر وصلة لاحكمت او فصلت وهو تقدير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ماينبغى باعتبار ماظهر امره وماخفى (ان لاتعبدوا الا الله) لان لاتعبدوا وقيل ان مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبرى عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا (انني لكم منه) من الله (نزير وبشير) بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد (وان استغفروا ربكم) عطف على ان لاتعبدوا (ثم توبوا اليه) ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لابد له من الرجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت مابين الامرين (يمتعكم متاعا حسنا) يعشكم فى امن ودعة (الى اجل مسمى) هو آخر اعماركم المقدرة اولا يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلاتتغير (ويؤت كل ذى فضل فضله) ويعط كل ذى فضل فى دينه جزاء فضله فى الدنيا او فى الآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين (وان تولوا) وان تتولوا (فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير) يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى (الى الله مرجعكم) رجوعكم فى ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس (وهو على كل شئ قدير) فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب فكانه تقرير لكبر اليوم (الا انهم يثنون صدورهم) يثنونها

الذين سعدوا) بفتح السين وضمها (فى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا) غير (ماشاء ربك) كما تقدم ودل عليه فيهم قوله (عطاء غير مجذوذ) مقطوع وماتقدم من التأويل هو الذى ظهر وهو خال من التكليف والله اعلم بمراده (فلاتك) يامحمد (فى مرية) شك (مما يعبد هؤلاء) من الاصنام انا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم وهذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم) اى كعبادتهم (من قبل) وقد عذبناهم) وانا لموفوهم) مثلهم (نصيبهم) حظهم من العذاب (غير منقوص) اى تاما (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) بالتصديق والتكذيب كالقرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الحساب والجزاء للخلائق الى يوم القيامة (لقضى بينهم) فى الدنيا فيما اختلفوا فيه (وانهم) اى المكذبين به (لفى شك منه مريب) موقع الريبة (وان) بالتخفيف والتشديد (كلا)

عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ يثنونى بالياء والتاء من اثنونى وهو بناء المبالغة ويثنون واصله يثنونن من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثنى و يثنئن من اثنأن كابيأض بالهمزة ويثنوى (ليستخفوا منه) من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت فى طائفة من المشركين قالوا اذا رخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يعلم وقيل نزلت فى المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة (الا حين يستغشون ثيابهم) الاحين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم (يعلم مايسرون) فى قلوبهم (ومايعلنون) بافواههم يستوى فى علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ماعسى يظهرونه (انه عليم بذات الصدور) بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها) غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه (ويعلم مستقرها ومستودعها) اما كنها فى الحياة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة (كل) كل واحد من الدواب واحوالها (فى كتاب مبين) مذكور فى اللوح المحفوظ وكانه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) اى خلقهما ومافيهما كما مر بيانه فى الاعراف او فى جهتى العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات (وكان عرشه على الماء) قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كائن الماء على متن الريح والله اعلم بذلك (ليبلوكم ايكم احسن عملا) متعلق بخلق اى خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب وموادلوجودكم ومعشكم ومايحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه

اى كل الخلائق (لما) مازائدة واللام موطئة لقسم مقدر اوفارقة وفى قراءة بتشديد لما بمعنى) الافان نافية اى جزاءها (انه بما يعملون خبير) عالم ببواطنه كظواهره (فاستقم) على العمل بامر ربك والدعاء اليه (كما امرت و) ليستقم (من تاب) آمن (معك ولاتطغوا) تجاوزوا حدود الله (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم به (ولاتركنوا) تميلوا (الى الذين ظلموا) بمودة اومداهنة اورضا باعمالهم (فتمسكم) تصيبكم (النار ومالكم من دون الله) اى غيره (من) زائدة (اولياء) يحفظونكم منه (ثم لاتنصرون) تمنعون من عذابه (واقم الصلاة طرفى النهار) الغداة والعشى اى الصبح والظهر والعصر (وزلفا) جمع زلفة اى طائفة (من الليل) اى المغرب والعشاء (ان الحسنات كالصلوات الخمس (يذهبن السيآت) الذنوب الصغائر نزلت فيمن قبل اجنبية فاخبره صلى الله عليه وسلم فقال الى هذا فقال لجميع امتى

من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقى دائما فى مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل مايعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) اى ماالبعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر فى الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى على اى ولئن قلت عليكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل مالا حقيقة مبالغة فى انكاره (لئن اخرنا عنهم العذاب) الموعود (الى امة معدودة) الى جماعة من الاوقات قليلة (ليقولن) استهزاء (مايحبسه) مايمنعه من الوقوع (الا يوم يأتيهم) كيوم بدر (ليس مصروفا عنهم) ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها (وحاق بهم) واحاط بهم وضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التهديد (ماكانوا به يستهزؤن) اى العذاب الذى كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء (ولئن اذقنا الانسان منا رحمة) ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة منه (انه ليؤوس) قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به (كفور) مبالغ فى كفران ماسلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته) كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفى اختلاف الفعلين نكتة لاتخفى (ليقولن ذهب السيئات عنى) اى المصائب التى ساءتنى (انه لفرح) بطر بالنعم مغتر بها (فخور) على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها ولفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان مايجده الانسان فى الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده فى الآخرة وانه يقع فى الكفران والبطر بادنى شئ لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول (الا الذين صبروا) على الضراء ايمانا بالله تعالى واستسلاما لقضائه (وعملوا الصالحات) شكرا لالائه سابقها ولاحقها كلهم رواه الشيخان (ذلك ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين (واصبر) يامحمد على أذى قومك او على الصلاة (فان الله لايضيع اجر المحسنين) بالصبر على الطاعة (فلولا) فهلا (كان من القرون) الامم الماضية (من قبلكم أولوا بقية) اصحاب دين وفضل (ينهون عن الفساد فى الارض) المراد به النفى اى ماكان فيهم ذلك (الا) لكن (قليلا ممن انجينا منهم) نهوا فنجوا ومن للبيان (واتبع الذين ظلموا) بالفساد وترك النهى (ماأترفوا) نعموا (فيه وكانوا مجرمين وماكان ربك ليهلك القرى بظلم) منه لها (واهلها مصلحون)مؤمنون (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) اهل دين واحد (ولا يزالون مختلفين) فى الدين (الا من رحم ربك) اراد لهم الخير فلا يختلفون فيه (ولذلك خلقهم) اى اهل الاختلاف له واهل الرحمة لها وتمت كلمة ربك) وهى (لاملأن جهنم من الجنة) الجن (والناس اجمعين وكلا نصب بنقص وتنوينه عوض

(اولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر كبير) اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكفار لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا (فلعلك تارك بعض مايوحى اليك تترك تبليغ بعض مايوحى اليك وهو مايخالف رأى المشركين مخافة ردهم واستهزائهم ولايلزم من توقع الشئ لوجود مايدعواليه وقوعه لجواز ان يكون مايصرف عنه وهو عصمة الرسل من الخيانة فى الوحى والتقية فى التبليغ مانعا (وضائق به صدرك) وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة (ان يقولوا لولا انزل عليه كنز) ينفعه فى الاستتباع كالملوك (اوجاء معه ملك) يصدقه وقيل الضمير فى به مبهم يفسره ان يقولوا (انما انت نذير) ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك ولا عليك ردوا اوقترحوا فما بالك بضيق به صدرك (والله على كل شئ وكيل) فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم (ام يقولون افتراه) ام منقطعة والهاء لمايوحى (قل فأتوا بعشر سور مثله) فى البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد (مفتريات) مختلفات من عند انفسكم ان صح انى اختلقته من عند نفسى فانكم عرب فصحاء مثلى تقدرون على مثل ماأقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم (وادعوا من استطعتم من دون الله) الى المعاونة على المعارضة (ان كنتم صادقين) انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) باتيان مادعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اولان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم متنا ولالهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم فى امر الا ماخصه الدليل وللتنبيه على ان التحدى مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلايغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله (فاعلموا انما انزل بعلم الله) ملتبسا بما لايعلمه الا الله ولايقدر عليه سواه (وان لا اله الا هو) واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لايعلم ويقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقة باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجبرهم من يأس الله الله آلهتهم (فهل انتم مسلمون) ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا

عن المضاف اليه اى كل ما يحتاج اليه (نقص عليك من انباء الرسل ما) بدل من كلا (نثبت) نطمن (به فؤادك) قلبك (وماجاءك فى هذه) انباء اوالآيات (الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) خصوا بالذكر لانتفاعهم بها فى الايمان بخلاف الكفار (وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم) حالتكم (انا عاملون) على حالتنا تهديد لهم (وانتظروا) عاقبة امركم (انا منتظرون) ذلك (ولله غيب السموات والارض) اى علم ماغاب فيهما (واليه يرجع) بالبناء للفاعل نعود وللمفعول يرد (الامر كله) فينتقم ممن عصى (فاعبده) وحده (وتوكل عليه) ثق به فانه كافيك (وماربك بغافل عما يعملون) انما يؤخرهم لوقتهم وفى قراءة بالفوقانية

* (سورة يوسف مكية مائة واحدى عشر آية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) الله اعلم بمراده بذلك (تلك) هذه الآيات (آيات) الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (المبين) المظهر

ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير فى لم يستجيبوا لكم لمن استطعتم اى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه لايعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان مادعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون فى الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفى مثل هذا الاستفهام ايجاب بلغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) باحسانه وبره (نوف اليهم اعمالهم فيها) نوصل اليهم جزاء اعمالهم فى الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اى يوف الله ويوف على البناء للمفعول وتوفى بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله * وان اتاه خليل يوم مسغبة * يقول لاغاب مالى ولاحرم * (وهم فيها لايبخسون) لاينقصون شيئا من اجورهم والآية فى اهل الرياء وقيل فى المنافقين وقيل فى الكفرة بربهم (اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار) مطلقا فى مقابلة ماعملوا لانهم استوفوا ماتقضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة (وحبط ماصنعوا فيها) لانهم لم يبق لهم ثواب فى الآخرة اولم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله تعالى والعمدة فى اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا (وباطل) فى نفسه (ما كانوا يعملون) لانه لم يعمل على ماينبغى وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او فى معنى المصدر كقوله * ولا خارجا من فى زور كلام * وبطل على الفعل (افمن كان على بينة من ربه) برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم فى المنزلة وهو الذى اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكيم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان الذى هو دليل العقل (شاهد منه) شاهد من الله يشهد بحقيته وهو القرآن (وقبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التوراة فانها ايضا تتلوه فى التصديق وقيل البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على ان الضمير له للحق من الباطل (انا انزلناه قرآنا عربيا) بلغة العرب (لعلكم) ياأهل مكة (تعقلون) تفهمون معانيه (نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا) بايحائنا (اليك هذا القرآن (وان) مخففة اى وانه (كنت من قبله لمن الغافلين) اذ كر (اذ قال يوسف لابيه) يعقوب (ياابت) بالكسر دلالة على ياء الاضافة المحذوف والفتح دلالة على الف محذوفة قلبت عن الباء (انى رأيت) فى المنام (احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم) تأكيد (لى ساجدين) جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذى هو من صفات العقلاء (قال يابنى لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) يحتالوا فى هلاكك حسدا لعلمهم بتأويلها من انهم الكواكب والشمس امك والقمر ابوك (ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة (وكذلك كما رأيت (يجتبيك) يختارك (ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث) تعبير الرؤيا

(ويتم نعمته عليك) بالنبوة (وعلى آل يعقوب) اولاده (كما اتمها) بالنبوة (على ابويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم) بخلقه (حكيم) فى صنعه بهم (لقد كان فى) خبر (يوسف واخوته) وهم احد عشر (آيات) عبر (للسائلين) عن خبرهم اذ كر (اذ قالوا) اى بعض اخوة يوسف لبعضهم (ليوسف) مبتدا (واخوه) شقيقه بنيامين (احب) خبر (الى ابينا منا ونحن عصبة) جماعة (ان ابانا لفى ضلال) خطاء (مبين) بين بايثارهما علينا (اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا) اى بارض بعيدة (يخل لكم وجه ابيكم) بان يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم (وتكونوا من بعده) اى بعد قتل يوسف او طرحه (قوما صالحين) بان تتوبوا (قال قائل منهم) هو يهودا (لا تقتلوا يوسف والقوه) اطرحوه (فى غيابت الجب) مظلم البئر وفى قراءة بالجمع (يلتقطه بعض السيارة) المسافرين (ان كنتم فاعلين) ما اردتم من التفريق فاكتفوا

اومن التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير فى يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير فى يتلوه اى يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة (اماما) كتابا مؤتما به فى الدين (ورحمة) على المنزل عليهم لانها الوصلة الى الفوز بخير الدارين (اولئك) اشارة الى من كان على بينة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به من الاحزاب) من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فالنار موعده) يردها لا محالة (فلا تك فى مرية منه) من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك (انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم (ومن اظلم من افترى على الله كذبا) كان اسند اليه مالم ينزله او نفى عنه ما انزله (اولئك) يعرضون على ربهم) فى الموقف بان يحبسوا او تعرض اعمالهم (ويقول الاشهاد) من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف جمع شريف (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين) تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله) عن دينه (ويبغونها عوجا) ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة (وهم بالآخرة هم كافرون) والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به (اولئك لم يكونوا معجزين فى الارض) اى ما كانوا معجزين الله فى الدنيا ان يعاقبهم (وما كان لهم من دون الله من اولياء) يمنعونهم من العقاب ولكنه آخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم (يضاعف لهم العذاب) استيناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد (ما كانوا يستطيعون السمع) لتصامهم عن الحق وبعضهم له (وما كانوا يبصرون) لتعاميهم عن آيات الله وكانه العلة فى مضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض (اولئك الذين خسروا انفسهم) باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة

(لاجرم انهم فى الآخرة هم الاخسرون) لااحدا بين واكثر خسرانا منهم (ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم) اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهى الارض المطمئنة (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون (مثل الفريقين) الكافر والمؤمن (كالاعمى والاصم والبصير والسميع) يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله * الصابح فالغانم فالآيب * وهذا من باب اللف والطباق (هل يستويان) هل يستوى الفريقان (مثلا) اى تمثيلا او صفة او حالا (افلا تذكرون) يضرب الامثال والتأمل فيها (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم) بانى لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول (نذير مبين) ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص (ان لاتعبدوا الا الله) بدل من انى لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقه بارسلنا او بنذير (انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم) مؤلم وهو فى الحقيقة صفة المعذب لكن وصف به العذاب وزمانه على طريق جدجده ونهاره صائم للمبالغة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك الا بشرا مثلنا) لامزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة (ومانراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا) اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر اوارذل جمع رذل (بادى الراى) ظاهر الرأى من غير تعمق من البدو اوالرأى من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ماقبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة واتصابا بالظرف على حذف المضاف اى وقت حدوث بادئ الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك اولفقرهم فانهم لمايعلموا الاظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل (ومانرى لكم) لك ولمتبعيك (علينا من فضل) يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة (بل نظنكم كاذبين) اياك فى دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين (قال ياقوم ارايتم) اخبرونى (ان كنت على بينة من ربى) حجة شاهدة بصحة دعواى (وآتانى رحمة من عنده) بايتاء البينة بذلك (قالوا ياأبانا مالك لاتأمنا على يوسف واناله لناصحون) لقائمون بمصالحه ارسله معنا غدا) الى الصحراء (نرتع ونلعب) بالنون والياء فيهما نتنشط ونتسع (واناله لحافظون قال انى ليحزننى ان تذهبوا) اى ذهابكم (به) لفراقه (واخاف ان يأكله الذئب) المراد به الجنس وكانت ارضهم كثيرة الذئاب (وانتم عنه غافلون) مشغولون (قالوا لئن) لام قسم (اكله الذئب ونحن عصبة) جماعة (انا اذا لخاسرون) عاجزون فارسله معهم (فلما ذهبوا به واجمعوا) عزموا (ان يجعلوه فى غيابة الجب) وجواب لما محذوف اى فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه واهانته وارادة قتله وادلوه فلما وصل الى نصف البئر القوه ليموت فسقط فى الماء ثم اوى الى صخرة فنادوه فاجابهم يظن رحمتهم فارادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهودا (واوحينا اليه) فى الجب وحى حقيقة وله سبع عشرة سنة اودونها تطمينا لقلبه (لتنبئنهم) بعد اليوم (بأمرهم) بصنيعهم (هذا وهم

او النبوة (فعميت عليكم) فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها هى الرحمة اولان خفاءها يوجب خفاء النبوة اوعلى تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار اولانه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائى وحفص فعميت اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله (انلزمكموها) انلزمكم على الاهتداء بها (وانتم لها كارهون) لاتختارونها ولاتتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز فى الثانى الفصل والوصل (ويا قوم لا اسألكم عليه) على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر (مالا) جعلا (ان اجرى الا على الله) فانه المأمول منه (وما انا بطارد الذين آمنوا) جواب لهم حين سألوا طردهم (انهم ملاقوا ربهم) فيخاصمون طاردهم عنده اوانهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم (ولكنى اراكم قوما تجهلون) بلقاء ربكم اوباقدارهم اوفى التماس طردهم اوتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل (ويا قوم من ينصرنى من الله) يدفع انتقامه (ان طردتهم) وهم بتلك الصفة والمثابة (افلا تذكرون) لعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب (ولا اقول لكم عندى خزائن الله) خزائن رزقه اواموله حتى جحدتم فضلى (ولا اعلم الغيب) عطف على عندى خزائن الله اى ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا اوحتى اعلم ان هؤلاء اتبعونى بادى الرأى من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثانى يجوز عطفه على اقول (ولا اقول انى ملك) حتى يقولوا ما انت الا بشر مثلنا (ولا اقول للذين تزدرى اعينكم) ولا اقول فى شأن من استرذلتموهم لفقرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) فان ما اعد الله لهم فى الآخرة خير مما آتاكم فى الدنيا (الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين) ان قلت شيأ من ذلك والازدراء افتعال من زرى اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاى فى الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادئ الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل فى معانيهم وكما لاتهم (قالوا يا نوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فاكثرت جدالنا) فاطلته اواتيت بانواعه (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) فى الدعوى والوعيد فان مناظرتك لاتؤثر فينا (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) عاجلا اوآجلا (وما انتم بمعجزين) بدفع العذاب اوالهرب منه

لايشعرون) بك حال الانباء (وجاؤا اباهم عشاء) وقت المساء (يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق) نرمى (وتركنا يوسف عند متاعنا) ثيابنا (فأكله الذئب وما انت بمؤمن) بمصدق (لنا ولو كنا صادقين) عندك لاتهمتنا فى هذه القصة لمحبة يوسف فكيف وانت تسئ الظن بنا (وجاؤا على قميصه) محله نصب على الظرفية اى فوقه (بدم كذب) اى بان ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا انه دمه (قال) يعقوب لما رآه صحيحا وعلم كذبهم (بل سولت) زينت (لكم انفسكم امرا) فعلتموه به (فصبر جميل) لاجزع فيه وهو خبر مبتدأ محذوف اى امرى (والله المستعان) المطلوب منه العون (على ما تصفون) تذكرون من امر يوسف (وجاءت سيارة) مسافرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من جب يوسف (فارسلوا واردهم) الذى يرد الماء ليستقى منه (فادلى)

(ولاينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم) شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم) وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لاينفعكم نصحى ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعليقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشر فهلك (هو ربكم) خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته (واليه ترجعون) فيجازيكم على اعمالكم (ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى) وباله وقرئ اجرامى على الجمع (وانا برئ مما تجرمون) اجرامكم فى اسناد الافتراء الى (واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء (واصنع الفلك) ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذى يحفظ به الشئ ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل (ووحينا) اليك كيف تصنعها (ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا) ولاتزاجعنى فيهم ولاتدعنى باستدفاع العذاب عنهم (انهم مغرقون) محكوم عليهم بالاغراق فلاسبيل الى كفه (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها فى برية بعيدة من الماء او ان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) اذا اخذكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) يعنى به اياهم وبالعذاب الغرق (ويحل عليه) وينزل اويحل عليه حلول الدين الذين لاانفكاك عنه (عذاب مقيم) دائم وهو عذاب النار (حتى اذا جاء امرنا) غاية لقوله ويصنع الفلك ومابينهما حال من الضمير فيه اوحتى هى التى يبتدأ بعدها الكلام (وفار التنور) نبع الماء فيه وارتفع كالقدر يفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على حرق العادة وكان فى الكوفة فى موضع مسجدها او فى الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها (قلنا احمل فيها) فى السفينة (من كل) من كل ارسل (دلوه) فى البئر فتعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه (قال يابشراى) وفى قراءة بشرى ونداؤها مجاز اى اخصرى فهذا وقتك (هذا غلام) فعلم به اخوته فاتوهم (واسروه) اى اخفوا امره جاعليه (بضاعة) بان قالوا هذا عبدنا أبق وسكت يوسف خوفا ان يقتلوه (والله عليم بما يعملون وشروه) باعوه منهم (بثمن بخس) ناقص (دراهم معدودة) عشرين اواثنين وعشرين (وكانوا) اى اخوته (فيه من الزاهدين) فجاءت به السيارة الى مصر فباعه الذى اشتراه بعشرين دينار وزوجى نعل وثوبين (وقال الذى اشتراه من مصر) وهو قطفير العزيز (لامرأته) زليخا (اكرمى مثواه) مقامه عندنا (عسى ان ينفعنا اونتخذه ولدا) وكان حصورا (وكذلك) كما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه قلب العزيز (مكنا ليوسف فى الارض) ارض مصر حتى بلغ مابلغ (ولنعلمه من

نوع من الحيوانات المنتفع بها (زوجين اثنين) ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اى من كل صنف ذكر وصنف انثى (واهلك) عطف على زوجين اواثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم (الامن سبق عليه القول) بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين (ومن آمن) والمؤمنين من غيرهم (وما آمن معه الاقليل) قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روى انه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة فى سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعلها ثلاثة بطون فحمل فى اسفلها الدواب والوحش وفى اوسطها الانس وفى اعلاها الطير (وقال اركبوا فيها) اى صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها فى الماء كالمركوب فى الارض (بسم الله مجراها ومرساها) متصل باركبوا حال من الواو اى اركبوا فيها مسمين الله اوقائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها اومكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت اوالمكان اوالمصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر اوجملة من مبتدأ وخبر اى اجراؤها بسم الله على ان الله خبره اوصلته والخبر محذوف وهى اما جملة مقتضية لاتعلق لها بما قبلها اوحال مقدرة من الواو والهاء روى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائى وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله (ان ربى لغفور رحيم) اى لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لمانجاكم (وهى تجرى بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اى فركبوا مسمين وهى تجرى وهم فيها (فى موج كالجبال) فى موج من الطوفان ومايرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل فى تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق مابين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك

تأويل الاحاديث) تعبير الرؤيا عطف على مقدر متعلق بمكنا اى لنملكه اوالواو زائدة (والله غالب على امره) تعالى لايعجزه شئ (ولكن اكثر الناس) وهم الكفار (لايعلمون) ذلك (ولما بلغ اشده) وهو ثلاثون سنة اوو ثلاث (آتيناه حكما) حكمة (وعلما) فقها فى الدين قبل ان يبعث نبيا (وكذلك) كما جزيناه (نجزى المحسنين) لانفسهم (وراودته التى هو فى بيتها) هى زليخا (عن نفسه) اى طلبت منه ان يواقعها (وغلقت الابواب) للبيت (وقالت) له (هيت لك) اى هلم واللام للتبيين وفى قراءة بكسر الهاء واخرى بضم التاء (قال معاذالله) اعوذ بالله من ذلك (انه) اى الذى اشترانى (ربى) سيدى (احسن مثواى) مقامى فلا اخونه فى اهله (انه) اى الشان (لايفلح الظالمون) الزناة (ولقد همت به) قصدت منه الجماع (وهم بها) قصد ذلك (لولا ان رأى برهان ربه) قال ابن عباس

قبل التطبيق (ونادى نوح ابنه) كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عليهم السلام عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة فى الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف (وكان فى معزل) عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده (يابنى اركب معنا) فى السفينه والجمهور كسروا الياء لتدل على ياء الاضافة المحذوفة فى جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها فى لقمان فى الموضع الاول باتفاق الرواة والثالث فى رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه فى سائر المواضع وقداد غم الباء فى الميم ابو عمرو والكسائى وحفص لتقاربهما (ولا تكن مع الكافرين) فى الدين او الاعتزال (قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء) ان يغرقنى (قال لاعاصم اليوم من امر الله الا من رحم) الا الراحم وهو الله تعالى والامكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لاعاصم بمعنى لاذا عصمة كقوله تعالى فى عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اى لكن من رحمة الله يعصمه (وحال بينهما الموج) بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل (فكان من المغرقين) فصار من المهلكين بالماء (وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى) نودى بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذى يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك (وغيض الماء) نقص (وقضى الامر) وانجز ماوعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودى) جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بأرمينية وروى انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة (وقيل بعدا للقوم الظالمين) هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعدا بعيدا بحيث لايرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية فى غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع ايجاز الخالى عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء

مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من انامله وجواب لولا لجامعها (كذلك) اريناه البرهان (لنصرف عنه السوء) الخيانة (والفحشاء) الزنا (انه من عبادنا المخلصين) فى الطاعة وفى قراءة بفتح اللام اى المختارين (واستبقا الباب) بادر اليه يوسف للفرار وهى للتشبث به فامسكت ثوبه وجذبته اليها (وقدت) شقت (قميصه من دبر والفيا) وجدا (سيدها) زوجها (لدى الباب) فنزهت نفسها ثم (قالت ما جزاء من اراد باهلك سوأ) زنا (الا ان يسجن) محبس اى سجن (او عذاب اليم) مؤلم بان يضرب (قال) يوسف مبرئا (هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من اهلها) ابن عمها روى انه كان فى المهد فقال (ان كان قميصه قد من قبل) قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر) خلف (فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى)

للمفعول دلالة على تعظيم لفاعل و انه متعين فى نفسه مستغنى عن ذكره اذلايذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لايقدر عليه سوى الواحدالقهار (ونادى نوح ربه) وارادنداءه بدليل عطف قوله (فقال) رب ان ابنى من اهلى) فانه النداء (ان وعدك الحق) وان كل وعد تعده حق لايتطرق اليه الخلف وقدو عدت ان تنجى اهلى فاحاله اوفاله لم تنجح ويجوزان يكون هذا النداء قبل غرقه (وانت احكم الحاكمين) لانك اعلمهم واعدلهم اولانك اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع (قال يانوح انه ليس من اهلك) لقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين واشار اليه بقوله (انه عمل غير صالح) فانه تعليل لنفى كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع * ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت * فانما هى اقبال وادبار * ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمنا قضة بين وصفيهما وانتفاء مااوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائى ويعقوب انه عمل اى عمل عملا غير صالح (فلاتسألن مالیس لك به علم) مالاتعلم اصواب هوام ليس بصواب وانما سمى نداؤه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه فى شأن ولده واستفسار المانع للانجاز فى حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله (انى اعظك ان تكون من الجاهلين) لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قددله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسر النون على ان اصله تسئلنن فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات، وكسرت الشديدة للياثم حذفتا اكتفاء بالكسرة وعن نافع برواية ورش اثباتها فى الوصل (قال رب انى اعوذ بك ان اسألك) فيما يستقبل (مالیس لى به علم) مالاعلم الى بصحته (والاتغفر لى) وان لم تغفر لى مافرط منى من السؤال (وترحمنى) بالتوبه والفضل على (اكن من الخاسرين) اعمالا (قيل يا نوح اهبط بسلام منا) انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا اومسلما عليك (وبركات عليك) ومباركا عليك اوزيادات فى نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهوالخير النامى (وعلى امم ممن معك) وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحز بهم اولتشعب الامم منهم اوعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله

زوجها (قميصه قد من دبر قال انه) اى قولك ماجزاء من اراد الخ (من كيد كن ان كيد كن) ايها النساء (عظيم) ثم قال يا (يوسف اعرض عن هذا) الامر وتذكره لئلا يشيع (واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين) الآثمين واشتهر الخبر وشاع (وقال نسوة فى المدينة) مدينة مصر (امرات العزيز تراود فتاها) عبدها (عن نفسه قد شغفها حبا) تمييز اى دخل حبه شغاف قلبها اى غلافه (انا لنراها فى ضلال) خطا (مبين) بين بحبها ياه (فلما سمعت بمكرهن) غيبتهن لها (ارسلت اليهن واعتدت) اعدت (لهن متكاء) طعاما يقطع بالسكين للاتكاء عنده وهو الاترج (وآتت) اعطت (كل واحدة منهن سكينا وقالت) ليوسف (اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه) اعظمنه (وقطعن ايديهن) بالسكاكين ولم يشعرن بالالم لشغل قلبهن بيوسف (وقلن حاش لله) تنزيها له (ماهذا)

(وانم سنمتعهم) اى وممن معك امم سنمتعهم فى الدنيا (ثم يمسهم منا عذاب اليم) فى الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام والعذاب مانزل بهم (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها (من انباء الغيب) اى بعضها (نوحيها اليك) خبر ثان والضمير لها اى موحاة اليك اوحال من الانباء اوهو الخبر ومن انباء متعلق به اوحال من الهاء (ما كنت تعلمها انت ولاقومك من قبل هذا) خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك اوحال من الهاء فى نوحيها اوالكاف فى اليك اى جاهلا انت وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذلم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم (فاصبر) على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح عليه السلام (ان العاقبة) فى الدنيا بالظفر والآخرة بالفوز (للمتقين) عن الشرك والمعاصى (والى عاد اخاهم هودا) عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان (قال ياقوم اعبدالله)وحده (مالكم من اله غيره) وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده (ان انتم الا مفترون) على الله باتخاذالاوثان شركاء وجعلها شفعاء (ياقوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى) خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لاتنجع مادامت مشوبة بالمطامع (أفلا تعقلون) افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ (وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرء عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده (يرسل السماء عليكم مدرارا) كبير الدار (ويزدكم قوة الى قوتكم) ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل (ولا تتولوا) ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم (قالوا ياهود ماجئتنا ببينة) بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاء هم من المعجزات (ومانحن بتاركى الهتنا) بتاركى عبادتهم (عن قولك) صادرين عن قولك حال من الضمير فى تاركى (ومانحن لك بمؤمنين) اقناط له من الاجابة

اى يوسف (بشرا ان) ما (هذا الاملك كريم) لما حواه من الحسن الذى لايكون عادة فى النسمة البشرية وفى الصحيح انه اعطى شطر الحسن (قالت) امرأة العزيز لما رأت ماحل بهن (فذالكن) فهذا هو (الذى لمتننى فيه) فى حبه بيان لعذرها (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) امتنع (ولئن لم يفعل ما آمره) به (ليسجنن وليكونا من الصاغرين) الذليلين فقلن له اطع مولاتك (قال رب السجن احب الى مما تدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن اصب)امل (اليهن واكن) اصر (من الجاهلين) المذنبين والقصد بذلك الدعاء فلذا قال تعالى (فاستجاب له ربه) دعاءه (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) للقول (العليم) بالفعل (ثم بدا) ظهر (لهم من بعد مارأوا الآيات) الدالات على براءة يوسف ان يسجنوه دل على هذا (ليسجننه حتى) الى (حين) ينقطع فيه كلام الناس فسجن ودخل معه السجن فتيان) غلامان للملك احدهما ساقيه والآخر

صاحب طعامه فرأياه يعبر الرؤيا فقالا لنختبرنه (قال احدهما) وهو الساقي (انى ارانى اعصر خمرا) اى عنبا (وقال الآخر) صاحب الطعام (انى ارانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا) خبرنا (بتأويله) بتعبيره (انا نراك من المحسنين قال) لهما مخبرا انه عالم بتعبير الرؤيا (لا يأتيكما طعام ترزقانه) فى منامكما (الا نبأتكما بتأويله) فى اليقظة (قبل ان يأتيكما) تأويله (ذلكما مما علمنى ربى) فيه حث على ايمانهما ثم قواه بقوله (انى تركت ملة) دين (قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم) تأكيد (كافرون واتبعت ملة آبائى ابرهيم واسحق ويعقوب ما كان) ينبغى (لنا ان نشرك بالله من) زائدة (شئ) لعصمتنا (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس) وهم الكفار (لا يشكرون) الله فيشركون ثم صرح بدعائهما الى الايمان فقال (يا صاحبى) ساكن (السجن أأرباب متفرقون خير

والتصديق (ان تقول الا اعتريك) ما نقول الا قولنا اعتريك اى اصابك من عراه يعروه اذا اصابه (بعض آلهتنا بسوء) بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذى وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول والا لغو والاستثناء مفرغ (قال انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون) اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفرغه من اضرارهم تأكيدا لذلك وتنبيها له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة لان آلهتهم التى هى جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله (انى توكلت على الله ربى وربكم) تقرير له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضرونى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكى ومالككم لا يحيق بى مالم يرده ولا تقدرون على مالم يقدره ثم برهن عليه بقوله (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) اى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك (ان ربى على صراط مستقيم) اى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم (فان تولوا) فان تتولوا (فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم) فقد اديت ما على من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط منى ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم (ويستخلف ربى قوما غيركم) استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين فى ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع فكأنه قيل وان تتولوا يعذرنى ربى ويستخلف (ولا تضرونه) بتوليكم (شيئا) من الضرر وجزم يستخلف اسقط النون منه (ان ربى على كل شئ حفيظ) رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شئ (ولما جاء امرنا) عذابنا او امرنا بالعذاب (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا) وكانوا اربعة آلاف (ونجيناهم من عذاب غليظ) تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف

الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا فى الدنيا بالسموم فهم معذبون فى الاخرة بالعذاب العليظ (وتلك عاد) انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة اولان الاشارة الى قبورهم وآثارهم (جحدوا بآيات ربهم) كفروا بها (وعصوا رسله) لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول (واتبعوا امر كل جبار عنيد) يعنى كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنود اذا طغا والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان ومايجيبهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر ومايرديهم (واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) اى جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم فى العذاب (الا ان عادا كفروا ربهم) جحدوه اوكفروا نعمه اوكفروا به فحذف الجار (الا بعدا لعاد) دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ماحكى عنهم وانما كرر الاواعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم (قوم هود) عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عادارم والايماء الى استحقاقهم للبعد بماجرى بينهم وبين هود (والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو انشأكم من الارض) هو كونكم منها لاغيره فانه خلق آدم ومواد النطف التى خلق نسله منها من التراب (واستعمركم فيها) عمركم فيها واستقباكم من العمر اواقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم اوجعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم (فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب) قريب الرحمة (مجيب) لداعيه (قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) لما ترى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا ومستشارا فى الامور اوان توافقنا فى الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك (اتنهانا ان نعبد مايعبد آباؤنا) على حكاية الحال الماضية (وانا لفى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد والتبرئ عن الاوثان (مريب) موقع فى الريبة من ارابه اوذى ريبة على الاسناد المجازى من ارابه فى الامر (قال ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى) بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين (وآتانى منه رحمة) نبوة ام الله الواحد القهار) خير استفهام تقرير (ماتعبدون من دونه) اى غيره (الا اسماء سميتموها) سميتم بها اصناما (انتم وآباؤكم ما انزل الله بها) بعبادتها (من سلطان) حجة وبرهان (ان) ما (الحكم) القضاء (الا لله) وحده امر أن لاتعبدوا الا اياه ذلك التوحيد (الدين القيم) المستقيم (ولكن اكثر الناس) وهم الكفار (لايعلمون) مايصيرون اليه من العذاب فيشركون (ياصاحبى السجن اما احدكما) اى الساقى فيخرج بعد ثلاث (فيسقى ربه) سيده (خمرا) على عادته (واما الآخر) فيخرج بعد ثلاث (فيصلب فتأكل لطير من رأسه) هذا تأويل رؤياكما فقالا ما رأينا شيا فقال (قضى) تم (الامر الذى فيه تستفتيان) سألتما عنه صدقتما ام كذبتما (وقال للذى ظن) ايقن (انه ناج منهما) وهو الساقى (اذكرنى عند ربك) سيدك فقل له ان فى السجن غلاما محبوسا ظلما فخرج (فانساه) اى الساقى (الشيطان ذكر)

(فمن ينصرنى من الله) فمن يمنعنى من عذابه (ان عصيته) فى تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به (فما تزيدوننى) اذا باستتباعكم اياى (غير تخسير) غير ان تخسرونى بابطال مامنحنى الله به والعرض لعذابه او فما تزيدوننى بما تقولون لى غير ان انسبكم الى الخسران (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها (فذروها تأكل فى ارض الله) ترع نباتها وتشرب ماءها (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسير او هو ثلاثة ايام (فعقروها فقال تمتعوا فى داركم) عيشوا فى منازلكم او فى داركم الدنيا (ثلاثة ايام) الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون (ذلك وعد غير مكذوب) اى غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قاله افى بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول (فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ) اى ونجيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة اوذلهم وفضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف لبناء من المضاف اليه ههنا وفى المعارج فى قوله من عذاب يومئذ (ان ربك هو القوى العزيز) القادر على كل شئ والغالب عليه (واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين) قد سبق تفسيره فى سورة الاعراف (كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم) نونه ابوبكر ههنا وفى النجم والكسائى فى جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو فى قوله (الا بعدا لثمود) ذهابا الى الحى او الاب الاكبر (ولقد جاءت رسلنا براهيم) يعنى الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام (بالبشرى) ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكر واسلاما (قال سلام) اى امركم او جوابى سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائى سلم وكذلك فى الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام قيل المراد به الصلح (فما لبث ان جاء بعجل حنيذ) فما ابطأ مجيئه به او فما بطأ فى المجيء به او فما تأخر عنه والجار فى ان مقدر او محذوف والحنيذ المشوى بالرضف وقيل

يوسف عند (ربه فلبث) مكث يوسف (فى السجن بضع سنين) قيل سبعا وقيل اثنتى عسرة (وقال الملك) ملك مصر الريان بن الوليد (انى ارى) اى رأيت (سبع بقرات سمان يأكلهن) يبتلعهن (سبع) من البقر (عجاف) جمع عجفاء (وسبع سنبلات خضر واخر) اى سبع سنبلات (يابسات) قد التوت على الخضر وعلت عليها (يا أيها الملأ افتونى فى رؤياى) بينوا الى تعبيرها (ان كنتم للرؤيا تعبرون) فاعبروها (قالوا) هذه (اضغاث) اخلاط (احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) وقال الذى نجا منهما) اى من الفتيين وهو الساقى (وادكر) فيه ابدال التاء فى الاصل دالا وادغامها فى الدال اى تذكر (بعد امة) حين حال يوسف (انا انبئكم بتأويله فأرسلون) فأرسلوه فأتى يوسف فقال يا (يوسف ايها الصديق) الكثير الصدق (افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف

الذى يقطرودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين (فلما رأى ايديهم لاتصل اليه) لايمدون اليه ايديهم (نكرهم واوجس منهم خيفة) انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكروانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار (قالوا) له لما احسوا منه اثر الخوف (لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط) انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لاناكل (وامرأته قائمة) ورآء الستر تسمع محاورتهم اوعلى رؤسهم للخدمة (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة اوبهلاك اهل الفساد اوباصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فانى اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال ❊ وعهدى بسلمى ضاحكا فى لبابة ❊ ولم تعد حقا ثديها ان تحلما ❊ ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره مادل عليه الكلام وتقديره ووهبناها من ورآء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق اوعلى لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ماعطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اى ويعقوب مولود من بعده وقيل الورآء ولد الولد ولعله سمى به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه ورآء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما فى البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما فى الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليهما للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد (قالت ياويلتا) يا عجبا واصله فى الشر فاطلق فى كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل (أألد وانا عجوز) ابنة تسعين اوتسع وتسعين (وهذا بعلى) زوجى واصله القائم بالامر (شيخا) ابن مائة اومائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاثارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى هو شيخ اوخبر بعد خبر اوهو الخبر وبعلى بدل (ان هذا لشئ عجيب) يعنى الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك (قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت) منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات

وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى ارجع الى الناس اى الملك واصحابه (لعلهم يعلمون) تعبيرها (فان تزرعون) اى ازرعوا (سبع سنين دأبا) متتابعة وهى تأويل السبع السمان (فما حصدتم فذروه) اتركوه (فى سنبله) لئلا يفسد (الا قليلا مما تأكلون) فادرسوه (ثم يأتى من بعد ذلك) اى السبع المخصبات (سبع شداد) مجدبات صعاب وهى تأويل السبع العجاف (يأكلن ماقدمتم لهن) من الحب المزروع فى السنين المخصبات اى تأكلونه فيهن (الا قليلا مما تحصنون) تدخرون (ثم ياتى من بعد ذلك) اى السبع المجدبات (عام فيه يغاث الناس) بالمطر (وفيه يعصرون) الاعناب وغيرها لخصبه (وقال الملك) لما جاءه الرسول واخبره بتأويلها (ائتونى به) اى بالذى عبرها (فلما جاءه) اى يوسف (الرسول) وطلبه للخروج (قال) قاصدا اظهار براءته (ارجع الى ربك فاسأله)

وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغرب
عاقل فضلا عمن نشأت وشايت فى ملاحظة الآيات واهل البيت نصب
على المدح اوالنداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفرلنا ايتها
العصابة (انه حميد) فاعل ما يستوجب به الحمد (مجيد) كثير الخير
والاحسان (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) اى ماوجس من الخيفة
واطمأن قلبه بعرفانهم (وجاءته البشرى) بدل الروع (يجادلنا فى قوم لوط)
يجادل رسلنا فى شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب
لما جئ به مضارعا على حكاية الحال اولانه فى سياق الجواب بمعنى الماضى
كجواب لواو دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا اوشرع فى جدالنا
اومتعلق به اقيم مقامه مثل اخذا واقبل يجادلنا (ان ابراهيم لحليم) غير عجول
على الانتقام من المسيئ اليه (اواه) كثير التأوه من الذنوب والتأسف
على الناس (منيب) راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له
على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه (يا ابراهيم) على ارادة القول
اى قالت الملائكة ياابراهيم (اعرض عن هذا) الجدال (انه قد جاء امر ربك)
قدره بمقتضى قضائه الازلى بعذابهم وهو اعلم بحالهم (وانهم اتيهم
عذاب غير مردود) مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك (ولما
جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم) ساءه مجيئهم لانهم جاؤا فى صورة غلمان
فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم
(وضاق بهم ذرعا) وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض لعجز
عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه (وقال هذا يوم عصيب) شديد من عصبه
اذا شده (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب
الفاحشة من اضيافه (ومن قبل) ومن قبل ذلك الوقت (كانوا يعملون السيئات)
الفاحشة فتمرنوا بها يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين (قال
ياقوم هؤلاء بناتى) فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتى تزوجوهن
وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لاحرمة المسلمات
على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة فى تناهى خبث مايرومونه حتى ان ذلك
اهون منه او اظهار الشدة امتعاضه من ذلك كى يرقوا له وقيل المراد بالبنات
نساؤهم فان كل نبى ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفى حرف ابن مسعود
وازواجه امهاتهم وهو اب لهم (هن اطهر لكم) انظف فعلا او اقل فحشا

ان يسال (مابال) حال
(النسوة اللاتى قطعن ايديهن
ان ربى) سيدى (بكيدهن
عليم) فرجع فأخبر الملك
فجمعهن (قال ماخطبكن)
شأنكن (اذ راودتن يوسف
عن نفسه) هل وجدتن
منه ميل اليكن (قلن حاش لله
ما علمنا عليه من سوء قالت
امرات العزيز الآن حصحص)
وضح (الحق انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين)
فى قوله هى راودتنى عن نفسى
فأخبر يوسف بذلك فقال
(ذلك) اى طلب البراءة
(ليعلم) العزيز (انى لم اخنه)
فى اهله (بالغيب) حال
(وان الله لا يهدى كيد
الخائنين) ثم توضع لله فقال
(وما ابرئ نفسى) من الزلل
ان النفس) الجنس
لامارة) كثيرة الامر
(بالسوء الا ما) بمعنى من
رحم ربى) فعصمه (ان
ربى غفور رحيم وقال الملك
ائتونى به استخلصه لنفسى)
اجعله خالصا لى دون شريك
فجاءه الرسول وقال اجب
الملك فقام وودع اهل
السجن ودعا لهم ثم اغتسل

كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو لافصل فانه لايقع بين الحال وصاحبها (فاتقوا الله) بترك الفواحش اوبايثار هن عليهم (ولا تخزون) وتفضحوني من الخزى اوو لاتخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء (في ضيفي) في شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزآءه (اليس منكم رجل رشيد) يهتدي الى الحق ويرعوى عن القبيح (قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق) من حاجة (وانك لتعلم ما نريد) وهو اتيان الذكران (قال لوان لي بكم قوة) لوقويت بنفسي على دفعكم (اوآوي الى ركن شديد) الى قوى اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ اوآوى بالنصب على اضمار ان كانه قال لوان لي بكم قوة اواويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم وروى انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ماعلى لوط من الكرب (قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم اندخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة (فاسر باهلك) بالقطع من الاسرآء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى (بقطع من الليل) بطائفة منه (ولايلتفت منكم احد) ولايتخلف اوولاينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط (الا امرأتك) استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الورآء في الذهاب ناقض ذلك قرآءة ابن كثير وابي عمر وبالرفع على البدل من احد ولايجوز حمل القرآءتين على الروايتين في انه خلفهامع قومها اواخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت ياقوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لايصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القرآءتين من قوله لايلتفت مثله في قوله تعالى مافعلوه الاقليل ولابعد ان يكون اكثر القرآء على غير الافصح ولايلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله (انه مصيبها ماأصابهم) ولايحسن وليس ثبابا حسانا ودخل عليه (فلما كلمه قال) له (انك اليوم لدينا مكين امين) ذو مكانة وامانة على امرنا فاذا ترى ان نفعل قال اجمع الطعام وازرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وادخر الطعام في سنبله فتأتي اليك الخلق ليمتاروا منك فقال ومن لي بهذا (قال) يوسف (اجعلني على خزائن الارض) ارض مصر (اني حفيظ عليم) ذو حفظ وعلم بامرها وقيل كاتب حاسب (وكذلك) كما نعمنا عليه بالخلاص من السجن (مكنا ليوسف في الارض) ارض مصر (يتبوأ) ينزل (منها حيث يشاء) بعد الضيق والحبس وفي القصة ان الملك توجه وختمه وولاه مكان العزيز وعزله ومات بعد فزوجه امرأته فوجدها عذراء وولدت له ولدين واقام العدل بمصر ودانت له الرقاب (نصيب برحمتنا من نشاء ولانضيع اجر المحسنين ولاجر الآخرة خير) من اجر الدنيا (للذين آمنوا وكانوا يتقون) ودخلت سنو القحط واصاب

جعل الاستثناء منقطعا على قرأة الرفع (ان موعدهم الصبح) كانه علة الامر بالاسراء (أليس الصبح بقريب) جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب (فلما جاء امرنا) عذابنا اوامرنا به ويويده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله (جعلنا عاليها سافلها) فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اى الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبريل عليه الصلاة والسلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم (وامطرنا عليها) على المدن او على شذاذها (حجارة من سجيل) من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله اوادرعطيته والمعنى من مثل الشئ المرسل او من مثل العطية فى الادرار او من السجل اى مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت نونه لاما (منضود) نضد معدا لعذابهم اونضد فى الارسال بتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار اونضد بعضه على بعض والصق به (مسومة) معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة اوبسيماء يتميز بها عن حجارة الارض اوباسم من يرمى بها (عند ربك) فى خزائنه (وماهى من الظالمين ببعيد) فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى امتك مامن ظالم منهم الاوهو بمعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها فى اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان (والى مدين اخاهم شعيبا) اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام اواهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان) امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافى للعدل المخل بحكمة التعاوض (انى اراكم بخير) بسعة تغنيكم عن البخس اوبنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لاان تنقصوا حقوقهم وبسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو فى الجملة علة النهى (وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط) لايشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة اوعذاب الاستئصال وتوصيف اليوم

ارض كنعان والشام (وجاء اخوة يوسف) الابنيامين ليمتار والما بلغهم ان عزيز مصر يعطى الطعام بثمنه (فدخلوا عليه فعرفهم) انهم اخوته (وهم له منكرون) لايعرفونه لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه فكلموه بالعبرانية فقال كالمنكر عليهم ماافدمكم بلادى فقالوا للميرة فقال لعلكم عيون قالوا معاذالله قال فمن اين انتم قالوا من بلاد كنعان وابونا يعقوب نبى الله قال وله اولاد غيركم قالوا نعم كنا اثنى عشر فذهب أصغرنا هلك فى البرية وكان احبنا اليه وبقى شقيقه فاحتبسه ليتسلى به عنه فامر بانزالهم واكرامهم (ولما جهزهم بجهازهم) وفى لهم كيلهم (قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم) اى بنيامين لاعلم صدقكم فيما قلتم (الاترون انى اوفى الكيل) اتمه من غير بخس (وانا خير المنزلين فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى) اى ميرة (ولا تقربون) نهى اوعطف على محل فلا كيل اى تحرموا اولا تقربوا

بالا حاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه (وياقوم اوفوا المكيال والميزان) صرح الامر بالايفاء بعد النهى عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لايكفيهم الكف تعمد التطفيف بل يلزمهم السعى فى الايفاء ولو بزيادة لايتأتى دونها (بالقسط) بالعدل والتسوية من غيرزيادة ولانقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقديكون محظورا (ولاتبخسوا الناس اشياءهم) تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون فى المقدار وفى غيره وكذا قوله (ولاتعثوا فى الارض مفسدين) فان العثويم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذا العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج مايقصدبه اصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولاتعثوا فى الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم (بقيةالله) ماابقاءالله لكم من الحلال بعد التنزه عماحرم عليكم (خيرلكم) مماتجمعون بالتطفيف (ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان وان كنتم مصدقين لى فى قولى لكم وقيل البقية الطاعة لقوله الباقيات الصالحات وقرئ تقيةالله بالتاء وهى تقواه التى تكف عن المعاصى (وماانا عليكم بحفيظ) احفظكم عن القبائح اواحفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقداعذرت حين انذرت اولست بحافظ عليكم نعم الله لولم تتركوا سواء صنيعكم (قالوا ياشعيب اصلواتك تأمرك ان نترك مايعبد آباؤنا) من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزآء به والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله لايدعو اليه داع عقلى انما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ماتواظب عليه وكان شعب كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالمذكر وقرأ حمزة والكسائى وحفص على الافراد والمعنى أصلواتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لايؤمر بفعل غيره (اوان نفعل فى اموالنا مانشاء) عطف على ماى وان نترك فعلنا مانشاء فى اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهى عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك (انك لانت الحليم الرشيد) تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك اوعللوا انكر ماسمعوا منه واستبعاده بانه (قالوا سنراود عنه اباه) سنجتهد فى طلبه منه (وانا لفاعلون) ذلك (وقال لفتيانه) وفى قراءة لفتياته غلمانه (اجعلوا بضاعتهم) التى اتوابها ثمن الميرة وكانت دراهم (فى رحالهم) اوعيتهم (لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم) وفرغوا اوعيتهم (لعلهم يرجعون) الينا لانهم لايستحلون امساكها (فلما رجعوا الى ابيهم قالوا ياأبانا منع منا الكيل) بالنون والياء (وانا له لحافظون قال هل)ما(آمنكم عليه الاكما أمنتكم على اخيه) يوسف (من قبل) وقد فعلتم به مافعلتم (فالله خير حافظا) وفى قراءة حافظا تمييز كقولهم لله دره فارسا (وهو ارحم الراحمين) فأرجوان يمن بحفظه (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا ياأبانا مانبغى) ما استفهامية اى أى شئ نطلب من اكرام الملك اعظم من هذا وقرئ بالفوقانية خطابا ليعقوب وكانوا ذكروا له اكرامه لهم (هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير

موسوم بالحلم والرشد الما نعين عن المبادرة الى امثال ذلك (قال ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى) اشارة الى ماآتاه الله من العلم والنبوة (ورزقنى منه رزقا حسنا) اشارة الى ماآتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون فى وحيه واخالفه فى امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهى عن ادين الاباء والضمير فى منه لله اى من عنده وباعانته بلا كدمنى فى تحصيله (وما اريد ان اخالفكم الى ماانهاكم عنه) اى وما اريد ان آتى ماانهاكم عنه لاستبد به دونكم فلو كان صوابا لآثرته ولم أعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس (ان اريد الا الاصلاح ماستطعت) ماريد الا ان اصلحكم بامرى بالمعروف ونهيى عن المنكر مادمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعى فى كل مايأتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضى ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف (وماتوفيقى الا بالله) وما توفيقى لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته (عليه توكلت) فانه القادر المتمكن من كل شئ وماعداه عاجز فى حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ (واليه انيب) اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الله وفى هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله تعالى والاستعانة به فى مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء (ويا قوم لايجرمنكم) لايكسبنكم (شقاقى) معاداتى (ان يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح) من الغرق (او قوم هود) من الريح (او قوم صالح) من الرجفة وان بصلتها ثانى مفعولى جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من

اهلنا) نأتى بالميرة لهم وهى الطعام (ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير) لاخينا (ذلك كيل يسير) سهل على الملك لسخائه (قال لن ارسله معكم حتى تؤتونى موثقا) عهدا (من الله) بأن تحلفوا (لتاتننى به الا ان يحاط بكم) بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطيقوا الاتيان به فاجابوه الى ذلك (فلما آتوه موثقهم) بذلك (قال الله على ماتقول) نحن وأنتم (وكيل) شهيد وارسله معهم (وقال يابنى لاتدخلوا) مصر (من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة) لئلا تصيبكم العين (وما اغنى) ادفع (عنكم) بقولى ذلك (من الله من) زائد (شئ) قدره عليكم وانما ذلك شفقة (ان) ما (الحكم الا لله) وحده (عليه توكلت) به وثقت (وعليه فليتوكل المتوكلون) قال تعالى (ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) اى متفرقين (ما كان يغنى عنهم من الله) اى قضائه (من) زائدة (شئ الا) لكن (حاجة فى نفس يعقوب

المتعدى الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دور اناعلى السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبنى كقوله * لم يمنع الشراب منها غير ان نطقت * حمامة فى غصون ذات اوقال (وماقوم لوط منكم ببعيد) زمانا اومكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروابهم او ليسوا ببعيد منكم فى الكفر والمساوى فلايبعد عنكم ماأصابهم وافراد البعيد لان المراد وماأهلاكهم اوماهم بشئ بعيد ولايبعد ان يسوى فى امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) عما انتم عليه (ان ربى رحيم) عظيم الرحمة للتائبين (ودود) فاعل بهم من اللطف والاحسان مايفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار (قالوا ياشعيب مانفقه) مانفهم (كثيرا مما تقول) كوجوب التوحيد وحرمة التبخيس وماذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه اولانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه (وانا لنراك فينا ضعيفا) لاقوة لك فتمنع منا ان اردنابك سوأ اومهينا لاعزلك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين (ولولا رهطك) قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لاخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة (لرجمناك) لقتلناك برمى الاحجار اوباصعب وجه (وماانت علينا بعزيز) فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا يدين السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفى ايلاء ضميره حرف النفى تنبيه على ان الكلام فيه لافى ثبوت العزة وان المسامع لهم من ايذائه عزة قومه ولذلك (قال ياقوم أرهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا) وجعلتموه كالمنسى المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلاتبقون على الله وتبقون على لرهطى وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والردو التكذيب وظهريا منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب (ان ربى بما تعملون محيط) فلايخفى عليه شئ منها فيجازى عليها (وياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) سبق مثله فى سورة الانعام والفاء فى فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيماهم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب

قضاها) وهى ارادة دفع العين شفقة (وانه لذو علم لما علمناه) لتعليمنا اياه (ولكن اكثر الناس) وهم الكفار (لايعلمون) الهام الله لأصفيائه (ولما دخلوا على يوسف آوى) ضم (اليه اخاه قال انى اناأخوك فلاتبتئس) تحزن (بما كانوا يعملون) من الحسد لناوامره ان لايخبرهم وتوا طأمعه على انه سيحتال على ان يبقيه عنده (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) هى صاع من ذهب مرصع بالجوهر (فى رحل اخيه) بنيامين (ثم اذن مؤذن) نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف (ايتها العير) القافلة (انكم لسارقون قالوا) قد (اقبلوا عليهم ماذا) ماالذى (تفقدون) ه (قالوا نفقد صواع) صاع (الملك ولمن جاء به حمل بعير) من الطعام (وانا به) بالحمل (زعيم) كفيل (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب (لقد علتم ماجئنا لنفسد فى الارض وماكنا سارقين) ماسرقنا قط (قالوا) اى المؤذن واصحابه

سائل قال فاذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ فى التهويل (ومن هو كاذب) عطف على من يأتيه لالانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب منى ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثانى اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم (وارتقبوا) وانتظروا ماأقول لكم (انه معكم رقيب) منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع (ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) انما ذكره بالواو كما فى قصة عاد اذلم يسبقه ذكر وعد يجرى مجرى السبب له بخلاف قصتى صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية (واخذت الذين ظلموا الصيحة) قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا (فاصبحوا فى ديارهم جاثمين) ميتين واصل الجثوم اللزوم فى المكان (كان لم يغنوا فيها) كان لم يقيموا فيها (الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) شبههم به لان عذابهم ايضا كان بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) بالتوراة او المعجزات (وسلطان مبين) وهو المعجزات القاهرة او العصا وافردها لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحدا ى ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع والمبين يخص بما فيه جلاء (الى فرعون وملئه فاتبعوا امر فرعون) فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى مالا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم (وما امر فرعون برشيد) مرشد او ذى رشد وانما هو غى محض وضلال صريح (يقدم قومه يوم القيامة) الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم (فاوردهم النار) ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى

(فما جزاؤه) اى السارق (ان كنتم كاذبين) فى قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم (قالوا جزاؤه) مبتدا خبره (من وجد فى رحله) يسترق ثم اكد بقوله (فهو) اى (السارق) (جزاؤه) اى المسروق لاغير وكانت سنة آل يعقوب (كذلك) الجزاء (نجزى الظالمين) بالسرقة فصرفوا ليوسف لتفتيش اوعيتهم (فبدأ بأوعيتهم) ففتشها (قبل وعاء اخيه) لئلا يتهم (ثم استخرجها) اى السقاية (من وعاء اخيه) قال تعالى (كذلك) الكيد (كدنا ليوسف) علمناه الاحتيال فى اخذ اخيه (ما كان) يوسف (ليأخذ اخاه) رقيقا عن السرقة (فى دين الملك) حكم ملك مصر لان جزاءه عنده الضرب وتغريم مثلى المسروق لاالاسترقاق (الا ان يشاء الله) اخذه بحكم ابيه اى لم يتمكن من اخذه الا بمشيئة الله بالهامه سؤال اخوته وجوابهم بسنتهم (نرفع درجات من نشاء) بالاضافة والتنوين فى العلم كيوسف (وفوق كل ذى

اتيانها مورداثم قال (وبئس الورد المورود) اى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله ومامر فرعون برشيد فان من هذه عاقبته لم يكن فى امره رشد اوتفسير له على ان المراد بالرشيد مايكون مأمون العاقبة حميدها (واتبعوا فى هذه) فى هذه الدنيا (لعنة ويوم القيامة) اى يلعنون فى الدنيا والآخرة (بئس الرفد المرفود) بئس العون المعان اوالعطاء المعطى واصل الرفد مايضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو العنة فى الدارين (ذلك) اى ذلك النبأ (من انباء القرى) المهلكة (نقصه عليك) مقصوص عليك (منها قائم) من تلك القرى باق كالزرع القائم (وحصيد) ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء فى نقصه وليس بصحيح اذلا واو ولاضمير (وماظلمناهم) باهلاكنا اياهم (ولكن ظلموا انفسهم) بان عرضوها له بارتكاب ماوجبه (فما اغنت عنهم) فما نفعتهم ولاقدرت ان تدفع عنهم (الهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء امر ربك) حين جاءهم عذابه ونقمته (وما زادوهم غير تتبيب) هلاك اوتخسير (وكذلك) مثل ذلك الاخذ (اخذ ربك) وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر (اذا اخذ القرى) اى اهلها وقرئ اذلان المعنى على المضى (وهى ظالمة) حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه اوغيره من وخامة العاقبة (ان اخذه اليم شديد) وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير (ان فى ذلك) اى فيما نزل بالامم الهالكة اوفيما قصه الله من قصصهم (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) يعتبر به عظة لعلمه بان ماحاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين فى الآخرة اوينزجر بها عن موجباته لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية اتفقت فى تلك الايام لالذنوب المهلكين بها (ذلك) اشارة الايوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) اى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لامحالة وان الناس لاينفكون

علم) من المخلوقين (عليم) اعلم منه حتى ينتهى الى الله تعالى (قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل) اى يوسف وكان سرق لابى امه صنما من ذهب فكسره لئلا يعبده (فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها) يظهرها (لهم) والضمير للكلمة التى فى قوله (قال) فى نفسه (انتم شر مكانا) من يوسف واخيه لسرقتكم اخاكم من ابيكم وظلمكم له (والله اعلم) عالم (بما تصفون) تذكرون فى امره (قالوا يا ايها العزيز ان له اباشيخا كبيرا) يحبه اكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه (فخذ احدنا) استعبده (مكانه) بدلا منه (انا نراك من المحسنين) فى افعالك (قال معاذ الله) نصب على المصدر حذف فعله واضيف الى المفعول اى نعوذ بالله من (ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) لم يقبل من سرق تحرزا من الكذب (انا اذا) ان اخذنا غيره (لظالمون فلما استيأسوا) يئسوا (منه خلصوا) اعتزلوا (نجيا) مصدر يصلح

عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له لما فيه من المحاسبة والمجازاة (وذلك يوم مشهود) اى مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله * فى محفل من نواصى الناس مشهود * اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك (وما نؤخره) اى اليوم (الا لاجل معدود) الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لامنتهاها فانه غير معدود (يوم يأت) اى الجزآء او اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عزوجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة (لا تكلم نفس) لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف (الا باذنه) الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر او المأذون فيه هى الجوابات الحقة والممنوع عنه هى الاعذار الباطلة (فمنهم شقى) وجبت له النار بمقتضى الوعيد (وسعيد) وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس (فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق) الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى اول النهيق وآخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم (خالدين فيها مادامت السموات والارض) ليس لارتباط دوامهم فى النار بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل للتعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه

للواحد وغيره اى يناجى بعضهم بعضا ر قال كبيرهم) سنار وبيل اورايا يهودا (ألم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا) عهدا (من الله) فى اخيكم (ومن قبل ما) زائدة (فرطتم فى يوسف) وقيل ما مصدرية مبتدأ خبره من قبل (فلن ابرح) افارق (الارض) ارض مصر (حتى يأذن لى ابى) بالعود اليه (او يحكم الله لى) بخلاص اخى (وهو خير الحاكمين) اعدلهم (ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا) عليه (الا بما علمنا) تيقنا من مشاهدة الصاع فى رحله (وما كنا للغيب) لما غاب عنا حين اعطاء الموثق (حافظين) ولو علمنا انه يسرق لم نأخذه (واسئل القرية التى كنا فيها) هى مصر اى ارسل الى اهلها فاسألهم (والعير) اى اصحاب العير (التى اقبلنا فيها) وهم قوم من كنعان (وانا لصادقون) فى قولنا فرجعوا اليه وقالوا له ذلك (قال بل سولت) زينت (لكم انفسكم امرا) فعلتموه

بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلايحدى له التشبية (الاماشاء ربك) استثناء من الخلود فى النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف فى صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثانى فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينتقص باعتبار الابتداء كما ينتقص باعتبار والانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم لايقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقى وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط من حيث التقسيم لانفصال حقيقى اومانع من الجمع وههنا المراد اهل الموقف لايخرجون عن القسمين وان حالهم لايخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لايمنع اجتماع الامرين فى شخص باعتبارين اولان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه اومن اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم فى الموقف للحساب لان ظاهره يقتضى ان يكونوا فى النار حين يأتى اليوم اومدة لبثهم فى الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم على هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ماعرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الاههنا بمعنى سوى كقولك على الف الاالالفان القديمان والمعنى سوى ماشاء ربك من الزيادة التى لاآخر لها على مدة بقاء السموات والارض (ان ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض (واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لاينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء فى الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب فى التأبيد وقرأ حمزة والكسائى وحفص سعدوا على البناء المفعول من سعدالله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اى اعطوا عطاء اوالحال من الجنة (فلاتك فى مرية) شك بعدما انزل عليك من مآل الناس (مما يعبد هؤلاء) من عبادة هؤلاء المشركين فى انها ضلال مؤد الى مثل ماحل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم اومن حال مايعبدونه فى انه يضر ولاينفع (مايعبدون الا كما يعبد

انهم لماسبق منهم من امر يوسف (فصبر جميل) صبرى (عسى الله ان يأتينى بهم) بيوسف واخوه (جميعا انه هو العليم) بحالى (الحكيم) فى صنعه (وتولى عنهم) تاركا خطابهم (وقال ياأسفى) الالف بدل من ياء الاضافة اى ياحزنى (على يوسف وابيضت عيناه) انمحق سوادهما وبدل بياض من بكائه (من الحزن) عليه (فهو كظيم) مغموم مكروب لايظهر كربه (قالوا تالله) لا (تفتؤ) تزال (تذكر يوسف حتى تكون حرضا) مشرفا على الهلاك لطول مرضك وهو مصدر يستوى فيه الواحد وغيره (اوتكون من الهالكين) الموتى (قال) لهم (انما اشكوبثى) هوعظيم الحزن الذى لايصبر عليه حتى يبث الى الناس (وحزنى الى الله) لاالى غيره فهو الذى تنفع الشكوى اليه (واعلم من الله مالاتعلمون) من ان رؤيا يوسف صدق وهو حى ثم قال (يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه) اطلبوا خبرهما (ولاتيأسوا)

آباؤهم من قبل) استئناف معناه تعليل النهى عن المرية اى هم وآباؤهم سواء من الشرك اى مايعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم اوما يعبدون شيأ الامثل ماعبدوه من الاوثان وقد بلغك ماخلق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل فى الاسباب يقتضى التماثل فى المسببات ومعنى كما يعبدكما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه (وانا لموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كما بائهم اومن الرزق فيكون عذر التأخير العذاب عنهم مع قيام مايوجبه (غير منقوص) حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء فى القرأن (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى كلمة الانظار الى يوم القيامة (لقضى بينهم) بانزال مايستحقه المبطل ليتميز به عن المحق (وانهم) وان كفار قومك (لفى شك منه) من القرأن (مريب) موقع للريبة (وان كلا) وان كل مختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع ابوبكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبار اللاصل (لما ليوفينهم ربك اعمالهم) اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اى جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به (انه بما يعملون خبير) فلا يفوت عنه شئ منه وان خفى (فاستقم كما امرت) لما بين امر المختلفين فى التوحيد والنبوة واطنب فى شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهى شاملة للاستقامة فى العائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين واعمال من تبليغ الوحى وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهى فى غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتنى سورة هود (ومن تاب معك) اى ومن تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن فى استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عما حد لكم (انه بما تعملون بصير) فهو مجازيكم عليه وهو فى معنى التعليل للامر والنهى وفى الآية دليل على وجوب اتباع

نقنطوا (من روح الله) رحمته (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) فانطلقوا نحو مصر ليوسف (فلما دخلوا عليه قالوا يأيها العزيز مسنا واهلنا الضر) الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل من رآها لردائها وكانت دراهم زيوفا او غيرها (فاوف) اتم (لنا الكيل وتصدق علينا) بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا (ان الله يجزى المتصدقين) يثيبهم فرق عليهم وادركته الرحمة ورفع الحجاب بينه وبينهم ثم (قال) لهم توبيخا (هل علمتم مافعلتم بيوسف) من الضرب والبيع وغير ذلك (واخيه) من هضمكم له بعد فراق اخيه (اذ انتم جاهلون) مايؤل اليه امر يوسف (قالوا) بعد ان عرفوه لما ظهر من شمائله متثبتين (أئنك) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين (لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخى قد من) انعم (الله علينا) بالاجتماع (انه

النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم (فتمسكم النار) بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه مايسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اى الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية ابلغ مايتصور فى النهى عن الظلم او التهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التى العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفى افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم فى نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم النار بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه (ولكم من دون الله من اولياء) من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال (ثم لا تنصرون) اى ثم لاينصركم الله اذ سبق فى حكمه ان يعذبكم ولا يبقى عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لايقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لاينصرون اصلا (واقم الصلاة طرفى النهار) غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه (وزلفا من الليل) وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لانها اقرب الصلات من اول النهار وصلاة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان مابعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر فى بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة (ان الحسنات يذهبن السيئات) يكفرنها وفى الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة مابينهما مااجتنبت الكبائر وفى سبب النزول ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى قد اصبت من امرأة غير انى لم آتها فنزلت (ذلك) اشارة الى قوله فاستقم ومابعده وقيل الى القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين (واصبر) على الطاعات وعن المعاصى (فان الله لا يضيع اجر المحسنين) عدل عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصبر والصلاة احسان وايماء بانه لايعتد بهما دون الاخلاص (فلولا كان) فهلا كان (من القرون من قبلكم اولوا بقية) من الرأى والعقل اواولوا فضل وانما سمى بقية لان الرجل يستبقى افضل من يتقى) يخفف الله (ويصبر على ماينالـه (فان الله لا يضيع اجر المحسنين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر (قالوا تالله لقد آثرك) فضلك (علينا) بالملك وغيره (وان) مخففة اى انا (كنا لخاطئين) آثمين فى امرك فأذلنا لك (قال لاتثريب) عتب (عليكم اليوم) خصه بالذكر لانه مظنة التثريب فغيره اولى (يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين) وسألهم عن ابيه فقالوا ذهبت عيناه فقال (اذهبوا بقميصى هذا) وهو قميص ابراهيم الذى لبسه حين القى فى النار كان فى عنقه حين الجب وهو من الجنة امره جبريل بارساله وقال ان فيه ريحها ولا يلقى على مبتلى الا عوفى (فالقوه على وجه ابى يأت) يصر (بصيرا وائتونى بأهلكم اجمعين ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر (قال ابوهم) لمن حضر من بنيه واولاده (انى لأجد ريح يوسف) اوصلته اليه الصبا باذنه تعالى من مسيرة ثلاثة ايام

مايجرحه ومنه يقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اى ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهى المرة من مصدر بقاء يبقيه اذا راقبه (ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم) لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولايصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفى اللازم للتحضيض (واتبع الذين ظلموا ماترفوا فيه) اى ماانعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك (وكانوا مجرمين) كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصالهم الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهى عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرأ واتبع اى واتبعوا جزاء ماترفوا فتكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضد تقدم الانجاء (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) بشرك (واهلها مصلحون) فيما بينهم لايضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته وسماحته فى حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل واحد وان ماارادة يجب وقوعه (ولا يزالون مختلفين) بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لاتكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا (الا من رحم ربك) الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ماهو اصول دين الحق والعمدة فيه (ولذلك خلقهم) ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف اللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن قال الرحم (وتمت كلمة ربك) وعيده او قوله للملائكة (لأملأن جهنم من الجنة والناس) اى من عصاتهما (اجمعين) او منهما اجمعين لا من احدهما (وكلا) كل نبأ (نقص عليك من انباء الرسل) نخبرك به (ماتثبت به فؤادك) بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ماتثبت به فؤادك من انباء الرسل (وجاءك فى هذه) السورة او الانباء المقتصة عليك (الحق) ماهو

او ثمانية او اكثر (لولا ان تفندون) تسفهون لصدقتمونى (قالوا) له (تالله انك لفى ضلالك) خطئك (القديم) من افراطك فى محبته ورجاء لقائه على بعد العهد (فلما ان) زائدة (جاء البشير) يهودا بالقميص وكان قد حمل قميص الدم فاحب ان يفرحه كما احزنه (القاه) طرح القميص (على وجهه فارتد) رجع (بصيرا قال ألم اقل لكم انى اعلم من الله مالا تعلمون قالوا ياابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) اخر ذلك الى السحر ليكون اقرب الى الاجابة او الى ليلة الجمعة ثم توجهوا الى مصر وخرج يوسف والاكابر لتلقيهم (فلما دخلوا على يوسف) فى مضربة (آوى) ضم (اليه ابويه) اباه وامه او خالته (وقال) لهم (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) فدخلوا وجلس يوسف على سريره (ورفع ابويه) اجلسهما معه (على

حق (وموعظة وذكرى للمؤمنين) اشارة الى سائر فوائده العامة (وقل للذين لايؤمنون اعملو على مكانتكم) على حالكم (انا عاملون) على حالنا (وانتظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون) ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم (ولله غيب السموات والارض) خاصة لايخفى عليه خافية مما فيهما (واليه يرجع الامر كله) فيرجع لاعجالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وفى تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد (وما ربك بغافل عما تعملون) انت وهم فيجازى كلا ما يستحقه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء هنا وفى آخر النمل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى

(سورة يوسف عليه السلام مكية وآيها مائة واحدى عشر)
(قيل الا ثلث آيات من اولها)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر تلك آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات السورة وهى المراد بالكتاب اى تلك الايات السورة الظاهر امرها فى الاعجاز اوالواضحة معانيها اوالمبينة لمن تدبرها انها من عند الله اولليهود ماسألوا اذروى ان علماء هم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا عليه السلام لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت (انا انزلناه) اى الكتاب (قرآنا عربيا) سمى البعض قرآنا لانه فى الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو فى نفسه اما توطئة للحال التى هى عربيا اوحال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له اوحال من الضمير فيه اوحال بعد حال وفى كل ذلك خلاف (لعلكم تعقلون) علة لانزاله بهذه الصفة اى انزلناه مجموعا اومقروا بلغتكم كى تفهموه وتحيطوا بمعانيه اوتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لايتصور الا بالايحاء (نحن نقص عليك احسن القصص) احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب اواحسن مايقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا تبعه (بما اوحينا) اى بايحائنا (اليك هذا القرآن

العرش السرير (وخروا) اى ابواه واخوته (له سجدا) سجودا تحناء لاوضع جبهة وكان تحيتهم فى ذلك الزمان (وقال يا ابت هذا تأويل رويای من قبل قد جعلها ربی حقا وقد احسن بی) الى (اذ اخرجنی من السجن) لم يقل من الجب تكرما لئلا تخجل اخوته (وجاء بكم من البدو) البادية (من بعد ان نزغ) افسد (الشيطان بينی وبين اخوتی ان ربی لطيف لما يشاء انه هو العليم) بخلقه (الحكيم) فى صنعه واقام عنده ابوه اربعا وعشرين سنة اوسبع عشرة سنة وكانت مدة فراقه ثمانی عشرة اواربعين اوثمانين سنة وحضره الموت فوصى يوسف ان يحمله ويدفنه عند ابيه فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر واقام بعده ثلاثا وعشرين سنة ولما تم امره وعلم انه لايدوم تاقت نفسه الى الملك الدائم فقال (رب قد آتيتنی من الملك وعلمتنی من تأويل الاحاديث) تعبير الرؤيا (فاطر) خالق (السموات

يعنى السورة و يجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر (وان كنت من قبله لمن الغافلين) عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (اذقال يوسف) بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال اومنصوب باضمار اذكر و يوسف عبرى ولوكان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين و كسرها على التغلب به لاعلى انه مضارع بنى للمفعول اوالفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته (لابيه) يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وعنه عليه الصلاة والسلام الكريم ابن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام (ياابت) اصله يابى فعوض الياء تاء التأنيث لتناسبهما فى الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسروها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر فى كل القرآن لانها حركة اصلها اولانه كان يابتا فحذف الالف و بقى الفتحة وانما جازيابتا ولم يجز يابتى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب (انى رأيت) من الرؤيا من الرؤية لقوله لاتقصص رؤياك ولقوله هذا تأويل رؤياى من قبل (احد عشر كوكبا والشمس والقمر) روى عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اخبرنى يامحمد عن النجوم التى رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك فهل تسلم قال نعم قال جربان والطارق والذيال وقانس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذوالكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها (رأيتهم لى ساجدين) استئناف لبيان حالهم التى رآهم عليها فلاتكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم (قال يابنى) تصغير ابن صغره للشفقة اولصغر السن لانه كان ابن اثنتى عشرة سنة وقرأ حفص هنا وفى الصافات بفتح الياء (لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه

والارض انت ولى) متولى مصالحى (فى الدنيا والاخرة (توفنى مسلما والحقنى بالصالحين) من آبائى فعاش بعد ذلك اسبوعا اواكثر ومات وله مائة وعشرون سنة وتشاح المصريون فى قبره فجعلوه فى صندوق من مرمر ودفنوه فى اعلى النيل لتعم البركة جانبيه فسبحان من لاانقضاء لملكه (ذلك) المذكور من امر يوسف (من انباء الغيب) اخبار ماغاب عنك يامحمد (نوحيه اليك وما كنت لديهم) لدى اخوة يوسف (اذاجمعوا امرهم) فى كيده اى عزموا عليه (وهم يمكرون) به اى لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها وانما حصل لك علمها من جهة الوحى (وما اكثر الناس) اى اهل مكة (ولو حرصت) على ايمانهم (بمؤمنين وماتسألهم عليه) اى القرآن (من اجر) تأخذه (ان) ما (هو) اى القرآن (الا ذكر) عظة (للعالمين وكأين) وكم (من آية) دالة على وحدانية الله

على اخوته فيخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون فى النوم ففرق بينهما بحرفى التأنيث كالقربة والقربى وهى انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعانى الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لايكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تأكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله (ان الشيطان للانسان عدو مبين) ظاهر العداوة كما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يألوا جهدا فى تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد (وكذلك) اى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعزو كمال نفس (يجتبيك ربك) للنبوة والملك اولامور عظام والاجتباء من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك (ويعلمك) كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث) من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة اومن تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل (ويتم نعمته عليك) بالنبوة اوبان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة (وعلى آل يعقوب) يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب اونسله (كما اتمها على ابويك) بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم (من قبل) اى من قبلك اومن قبل هذا الوقت (ابراهيم واسحق) عطف بيان لابويك (ان ربك عليم) بمن يستحق الاجتباء (حكيم) يفعل الاشياء على ماينبغى (لقد كان فى يوسف واخوته) اى فى قصتهم (آيات) دلائل قدرة الله وحكمته اوعلامات نبوتك وقرأ ابن كثير آية (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وريالون ويشجر ودبنة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما

(فى السموات والارض يمرون عليها) يشاهدونها (وهم عنها معرضون) لايتفكرون فيها (ومايؤمن اكثرهم بالله) حيث يقرون بأنه الخالق الرازق (الا وهم مشركون) به بعبادة الاصنام ولذا كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لاشريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك يعنونها (أفامنوا ان تأتيهم غاشية) نقمة تغشاهم (من عذاب الله اوتأتيهم الساعة بغتة) فجاة (وهم لايشعرون) بوقت اتيانها قبله (قل) لهم (هذه سبيلى) وفسرها بقوله (ادعو الى) دين الله على بصيرة) حجة واضحة (انا ومن اتبعنى) آمن بى عطف على انا المبتدا المخبر عنه بما قبله (وسبحان الله) تنزيها له عن الشركاء (وما انا من المشركين) من جملة سبيله ايضا (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى) وفى قراءة بالنون وكسر الحاء (اليهم) لاملائكة (من اهل القرى) الامصار لانهم اعلم واحلم بخلاف اهل البوادى لجفائهم وجهلهم (أفلم يسيروا)

حينئذ واربعة اخرون دان ويغثالى وحادوا شر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه) بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين (احب الى ابينامنا) وحده لان افعل من لايفرق فيه بين الواحد ومافوقه والمذكر ومايقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب فى المحلى جائز فى المضاف (ونحن عصبة) والحال اناجماعة اقوياء احق بانحبة من صغيرين لاكفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم (ان اباناً لفى ضلال مبين) لتفضيله المفضول اولترك التعديل فى المحبة روى انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلمارأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له (اقتلوا يوسف) من جملة المحكى بعد قوله اذقالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامن قال لاتقتلوا يوسف وقيل انما قاله شمعون اودان ورضى به الاخرون (اواطرحوه ارضا) منكورة بعيد امن العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة (يخل لكم وجه ابيكم) جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولايلتفت عنكم الى غيركم ولاينازعكم فى محبته احد (وتكونوا) جزم بالعطف على يخل اونصب باضماران (من بعده) من بعد يوسف والفراغ من امره اوقتله اوطرحه (قوما صالحين) تائبين الى الله تعالى عما جنيتم اوصالحين مع ابيكم يصلح مابينكم وبينه بعذر تمهدونه اوصالحين فى امور دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم (قال قائل منهم) يعنى يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل (لاتقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (والقوه فى غيابة الجب) فى قعر سمى بها لغيبته عن اعين الناظرين وقرأ نافع فى غيابات الجب فى الموضعين على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد (يلتقطه) يأخذه (بعض السيارة) بعض الذى يسيرون فى الارض (ان كنتم فاعلين) بمشورتى او ان كنتم على ان تفعلوا مايفرق بينه وبين ابيه (قالوا ياابانا مالك لاتأمنا على يوسف) لم تخافنا عليه (وانا له لنا صحون) ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رأيه فى حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهورة تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتثمنا

اى اهل مكة (فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) اى آخر امرهم من اهلاكهم بتكذيبهم رسلهم (ولدار الآخرة) اى الجنة (خير للذين اتقوا) الله (أفلا يعقلون) بالياء والتاء اى يا اهل مكة هذا فتؤمنون (حتى) غاية لما دل عليه وما ارسلنا من قبلك الا رجالا اى فتراخى نصرهم حتى (اذا استيأس) يئس (الرسل وظنوا) ايقن الرسل (انهم قد كذبوا) بالتشديد تكذيبا لا ايمان بعده والتخفيف اى ظن الامم ان الرسل اخلفوا ماوعدوا به من النصر (جاءهم نصرنا فنجى) بنونين مشددا ومخففا وبنون مشددا ماض (من نشاء ولايرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) المشركين (لقد كان فى قصصهم) اى الرسل (عبرة لاؤلى) الالباب) اصحاب العقول (ماكان) هذا القرآن (حديثا يفترى) يختلف (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه)

بكسر التاء (ارسله معنا غدا) الى الصحرآء (نرفع) نتسع فى اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهى الخصب (ونلعب) بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفى يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته وبرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتدآء (وانا له لحافظون) ان يناله مكروه (قال انى ليحزننى ان تذهبوا به) لشدة مفارقته على وقلة صبرى عنه (واخاف ان يأكله الذئب) لان الارض كانت مذابة وقيل رأى فى المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همز ها على الاصل ابن كثير ونافع رواية قالون وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذأبت الريح اذا هبت من كل جهة (وانتم عنه غافلون) لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه (قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة) اللام موطئة للقسم وجوابه (انا اذا لخاسرون) ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو فى ونحن للحال (فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب) وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى الصحرآء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتمونى ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكى فجاءه جبرآئيل عليه السلام بالوحى كما قال (واوحينا اليه) وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحى اليه فى صغره كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهم السلام وفى القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار وجرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله فى تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل عليه السلام والبسه اياه (لتنبئنهم بامرهم هذا) لتحدثنهم بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) انك يوسف لعلو شأنك وبعده

قبله من الكتب (وتفصيل) تبيين (كل شئ) يحتاج اليه فى الدين (وهدى) من الضلالة (ورحمة لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم (سورة الرعد مكية الا ولا يزال الذين كفروا الآية ويقول الذين كفروا لست مرسلا الآية او مدنية الا ولو ان قرآنا الآيتين ثلاث او اربع او خمس او ست واربعون آية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (المر) الله اعلم بمراده بذلك (تلك) هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (والذى انزل اليك من ربك) اى القرآن مبتدأ خبره (الحق) لاشك فيه ولكن اكثر الناس) اى اهل مكة (لا يؤمنون) بانه من عنده تعالى (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) اى العمد جمع عماد وهو الاسطوانة وهو صادق بان لا عمد اصلا (ثم استوى على العرش) استواء يليق به (وسخر) ذلل (الشمس والقمر كل) منهما (يجرى)

عن اوهامهم وطوال العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ماقال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتازين فعرفهم وهم له منكرون بشره بمايؤول اليه امره اياناساله وتطييبا لقلبه وقيل وهم لايشعرون متصل باوحينا اى آنسناه بالوحى وهم لايشعرون ذلك (وجاؤا اباهم عشآء) آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اى عشوا من البكاء (يبكون) متباكين روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال مالكم يابنى واين يوسف (قالوا يااباانا ذهبنا نستبق) تتسابق فى العدو او فى الرمى وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل (وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وماانت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف (وجاؤا على قميصه بدم كذب) اى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرى بالنصب على الحال من الواو اى جاؤا كاذبين وكذب بالدال غير المعجمة اى كدر اوطرى وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه فى موضع النصب على الظرف اى فوق قميصه اوعلى الحال الدم ان جوز تقديمه على المجرور روى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال مارأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه ولذلك (قال بل سولت لكم انفسكم امرا) اى سهلت لكم انفسكم وهونت فى اعينكم امرا عظيما من السؤال وهو الاسترخاء (فصبر جميل) اى فامرى صبر جميل اوفصبر جميل اجمل وفى الحديث الصبر الجميل الذى لاشكوى فيه اى الى الخلق (والله المستعان على ماتصفون) على احتمال ماتصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح (وجاءت سيارة) رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلو اقريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاثة ايام من القائه فيه (فارسلوا واردهم) الذى يرد الماء ويستسقى لهم ومكان مالك بن ذعر الخزاعى (فادلى دلوه) فارسلها فى الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه (قال يابشرى هذا غلام) نادى البشرى بشارة لنفسه اولقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يابشرا اى بالاضافة وقرئ يابشرى بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد

فى فلكه (لاجل مسمى) يوم القيامة (يدبر الامر) يقتضى امر ملكه (يفصل) يبين (الآيات) دلالات قدرته (لعلكم) ياأهل مكة (بلقاء ربكم) بالبعث (توقنون وهو الذى مد) بسط (الارض وجعل) خلق (فيها رواسى) جبالا ثوابت (وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) من كل نوع (يغشى) يغطى (الليل) بظلمته (النهار ان فى ذلك) المذكور (لآيات) دلالات على وحدانيته تعالى (لقوم يتفكرون) فى صنع الله (وفى الارض قطع) بقاع مختلفة (متجاورات) متلاصقات فمنها طيب وسبخ وقليل الريع وكثيره وهو من دلائل قدرته تعالى (وجنات) بساتين (من اعناب وزوع) بالرفع عطفا على جنات والجر على اعناب وكذا قوله (ونخيل صنوان) جمع صنو وهى النخلات يجمعها اصل واحد وتتشعب فروعها (وغير صنوان) منفرده (تسقى) بالتاء اى

الوقف (واسروه) اى الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك لان يهوذا كان يأتيه بالطعام كل يوم فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه (بضاعة) نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه مابضع من المال للتجارة (والله عليم بما يعملون) لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم (وشروه) وباعوه وفى مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته (بثمن بخس) مبخوس لزيفه او نقصانه (دراهم) بدل من الثمن (معدودة) قليلة فانهم كانوا يزنون مابلغ الاوقية ويعدون مادونها قيل كان عشرين درهما وقيل كان اثنين وعشرين (وكانوا فيه) فى يوسف (من الزاهدين) الراغبين عنه والضمير فى كانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بالعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف عن انتزاعه مستعجل فى بيعه وان كانوا متبايعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذى فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لايتقدم على الموصول (وقال الذى اشتراه من مصر) وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العليق وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات فى حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث فى منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملأوه فضة وقيل ذهبا (لامرأته) راعيل او زليخا (اكرمى مثواه) اجعلى مقامه عندنا كريما اى حسنا والمعنى احسنى تعهده (عسى ان ينفعنا) فى ضاعنا واموالنا ونستظهر به فى مصالحنا (او نتخذه ولدا) نتبناه وكان عقيما لما نفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز الجنات وما فيها والياء اى المذكور (بماء واحد ونفضل) بالنون والياء (بعضها على بعض فى الاكل) بضم الكاف وسكونها فمن حلو وحامض وهو من دلائل قدرته تعالى (ان فى ذلك) المذكور (لآيات لقوم يعقلون يتدبرون (وان تعجب) يامحمد من تكذيب الكفار لك (فعجب) حقيق بالعجب (قولهم) منكرين للبعث (أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد) لان القادر على انشاء الخلق وماتقدم على غير مثال قادر على اعادتهم وفى الهمزتين فى الموضعين التحقيق وتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين وتركهما وفى قراءة بالاستفهام فى الاول والخبر فى الثانى واخرى عكسه (اولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال فى اعناقهم وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) * ونزل فى استعجالهم العذاب استهزاء (ويستعجلونك بالسيئة) العذاب (قبل الحسنة)

لرحمة (وقد خلت من قبلهم المثلات) جمع المثله يوزن السمرة اى عقوبات امثالهم من المكذبين أفلا يعتبرون بها (وان ربك لذو مغفرة للناس على) مع (ظلمهم) والالم يترك على ظهرها دابة (وان ربك شديد العقاب) لمن عصاه (ويقول الذين كفروا لولا) هلا (انزل عليه) على محمد (آية من ربه) كالعصا واليد والناقة قال تعالى (انما انت منذر) مخوف الكافرين وليس عليك اتيان الآيات (ولكل قوم هاد) نبى يدعوهم الى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يقترحون (الله يعلم ماتحمل كل انثى) من ذكر وانثى وواحد ومتعدد وغير ذلك (وما تغيض) تنقص (الارحام) من مدة الحمل (وما تزداد) منه (وكل شئ عنده بمقدار) بقدر واحد لايتجاوزه (عالم الغيب والشهادة) ماغاب وماشوهد (الكبير) العظيم (المتعال) على خلقه بالقهر بياء ودونها (سواء منكم) فى علمه

مصر وابنة شعيب التى قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضى الله تعالى عنهما (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) وكما مكنا محبته فى قلب العزيز او كما مكنا فى منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكناه له فيها (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اى كان القصد فى انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس وليعلم معانى كتب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنينه (والله غالب على امره) لايرده شئ ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده (ولكن اكثر الناس لايعلمون) ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه (ولما بلغ اشده) منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف مابين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدأه بلوغ الحلم (اتيناه حكما) اى حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس (وعلما) يعنى علم تأويل الاحاديث (وكذلك نجزى المحسنين) تنبيه على انه تعالى انما اتاه ذلك جزاء على احسانه فى عمله واتقائه فى عنفوان امره (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) طلبت منه وتحملت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شئ ومنه الرائد (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة والتشديد التكثير او للمبالغة فى الايثاق (وقالت هيت لك) اى اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كاين واللام للتبيين كالتى فى سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهى لغة فيه وقرأ هشام كذلك الا انه يهمزها وقد روى عنه ضم التاء وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيئ اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته (قال معاذ الله) اعوذ بالله معاذا (انه) اى الشأن (ربى احسن مثواى) سيدى قطفير احسن تعهدى اذ قال لك فى اكرمى مثواه فاجز آؤه ان اخونه فى اهله وقيل الضمير لله تعالى اى انه خالقى واحسن منزلتى بان عطف على قلبه فلا اعصيه (انه لايفلح الظالمون) المجازون الحسن بالسيئ وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزانى والمزنى باهله (ولقد همت به وهم بها) قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشئ قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بشئ امضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل

الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختيارى وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله (لولا ان رأى برهان ربه) فى قبح الزنى وسوء مغبته لخالطها الشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها فى حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه السلام وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودى يا يوسف انت مكتوب فى الانبياء وتعمل عمل السفهاء (كذلك) اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنى (انه من عبادنا المخلصين) الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كل القران اذا كان فى اوله الالف واللام اى الذين اخلصوا دينهم الله (واستبقا الباب) اى تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها لتخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من وراء فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا (والفيا سيدها) وصادفا زوجها (لدى الباب قالت ماجزاء من اراد باهلك سوأ الا ان يسجن او عذاب اليم) ايها ما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه ومانافية او استفهامية بمعنى اى شئ جزاؤه الا السجن (قال هى راودتنى عن نفسى) طالبتنى بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله (وشهد شاهد من اهلها) قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها وكان صبيا فى المهد وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم اربعة صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام وانما القى الشهادة على لسان اهلها لتكون الزم عليها (ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه (وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من المقول وتسميتها شهادة

تعالى (من اسر القول ومن جهر ومن هو مستخف) مستتر (بالليل) بظلامه (وسارب) ظاهر بذهابه فى سربه اى طريقه (بالنهار له) للانسان (معقبات) ملائكة تعتقبه (من بين يديه) قدامه (ومن خلفه) وراءه (يحفظونه من امر الله) اى بامره من الجن وغيرهم (ان الله لا يغير ما بقوم) لا يسلبهم نعمته (حتى يغيروا ما بانفسهم) من الحالة الجميلة بالمعصية (واذا اراد الله بقوم سوأ) عذابا (فلا مرد له) من المعقبات ولا غيرها (ومالهم) لمن اراد الله بهم سوأ (من دونه) اى غير الله (من) زائدة (وال) يمنعه عنهم (هو الذى يريكم البرق خوفا) للمسافرين من الصواعق (وطمعا) للمقيم فى المطر (وينشئ) يخلق (السحاب الثقال) بالمطر (ويسبح الرعد) هو ملك موكل بالسحاب يسوقه ملتبسا (بحمده) اى يقول سبحان الله وبحمده (و) يسبح (الملائكة من خيفته) اى الله (ويرسل

الصواعق) وهى نار تخرج من السحاب (فيصيب بها من يشاء) فتحرقه نزل فى رجل بعث اليه النبى صلى الله عليه وسلم من يدعوه فقال من رسول الله وما الله أمن ذهب هو أم فضة أم نحاس فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه (وهم) اى الكفار (يجادلون) يخاصمون النبى صلى الله عليه وسلم (فى الله وهو شديد المحال) القوة او الاخذ (له) تعالى (دعوة الحق) اى كلمته وهى لا اله الا الله (والذين يدعون) بالياء والتاء يعبدون (من دونه) اى غيره وهم الاصنام (لا يستجيبون لهم بشئ) مما يطلبونه (الا) استجابة (كباسط) اى كاستجابة باسط (كفيه الى الماء على شفير البئر يدعوه (ليبلغ فاه) بارتفاعه من البئر اليه (وما هو ببالغه) اى فاه ابدا فكذلك ما هم بمستجيبين لهم (وما دعاء الكافرين) عبادتهم الاصنام او حقيقة الدعاء (الا فى ضلال) ضياع (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا) كالمؤمنين (وكرها)

لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الى فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن على باحسانك امنن عليك باحسانى لك السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد بالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين (فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه) اى ان قولك ماجزاء من اراد باهلك سوأ او ان السوء او ان هذا الامر (من كيدكن) من حيلتكن والخطاب لها ولا مثالها ولسائر النساء (ان كيدكن عظيم) فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا فى النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة (يوسف) حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث (اعرض عن هذا) اكتمه ولا تذكره (واستغفرى لذنبك) يا راعيل (انك كنت من الخاطئين) من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة) هى اسم جمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقى ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها (فى المدينة) ظرف لقال اى اشعن الحكاية فى مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقى والخباز والسجان وصاحب الدواب (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة (قد شغفها حبا) شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه (انا لنراها فى ضلال مبين) فى ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب (فلما سمعت بمكرهن) باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفوه كما يخفى الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف اولانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها (ارسلت اليهن) تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات (واعتدت لهن متكأ) ما يتكئن عليه من الوسائد (وآتت كل واحدة منهن سكينا) حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسها فتقع ايديهن على اسكينهن فيقطعنها فيكبتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين نسوة فى ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكؤن للطعام والشراب تترفا ولذلك نهى عنه قال جميل * فظللنا بنعمة واتكأنا *

وشربنا الحلال من قلله * وقيل المتكاء طعام يحز حزا كأن القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكأ باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكاوهو الاترج او مايقطع من متك الشئ اذا بتكه ومتكاء من تكئ يتكاء اذا اتكئ (وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه) عظمته وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للصدر اوليوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام اى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي * خف الله واسترذا الجمال يبرقع * فان لحت حاضت فى الخدور العواتق * (وقطعن ايديهن) جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة (وقلن حاش لله) تنزيها لله من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمر وفى الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التبرئة فى باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما قولك سقيالك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى برآءة الله وحاشا الله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اى صار فى ناحية لله مما يتوهم فيه (ماهذا بشرا) لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز فى اعمال ماعمل ليس لمشاركتها فى نفى الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لئيم (ان هذا الاملك كريم) فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة اولان جماله فوق جمال البشر ولايفوقه فيه الا الملك (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) اى فهو ذلك العبد الكنعانى الذى لمتننى فيه بالافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنى او فهذا هو الذى لمتننى فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كى يعاونها على الانة عريكته (ولئن لم يفعل ما آمره) اى ما آمره به فحذف الجار او امرى اياه بمعنى موجب امرى فيكون الضمير ليوسف عليه السلام (ليسجنن وليكونا من الصاغرين) من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف

كالمنافقين ومن اكره بالسيف (و) يسجد (ظلالهم بالغدو) البكر (والآصال) العشايا (قل) يامحمد لقومك (من رب السموات والارض قل الله) ان لم يقولوه لاجواب غيره (قل) لهم (أفاتخذتم من دونه) اى غيره (اولياء اصناما تعبدونها) لايملكون لانفسهم نفعا ولاضرا) وتركتم مالكهما استفهام توبيخ (قل هل يستوى الاعمى والبصير) الكافر والمؤمن (أم هل تستوى الظلمات) الكفر (والنور) الايمان (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق) اى خلق الشركاء بخلق الله (عليهم) فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم استفهام انكار اى ليس الامر كذلك ولايستحق العبادة الا الخالق (قل الله خالق كل شئ) لاشريك له فى العبادة (وهو الواحد القهار) لعباده ثم ضرب مثلا للحق والباطل فقال (انزل) تعالى (من السماء ماء) مطرا (فسالت اودية بقدرها) بمقدار ملئها (فاحتمل السيل زبدا رابيا) عالما على

هو ماعلى وجهه من قذر ونحوه (ومماتوقدون) بالتاء والياء (عليه فى النار) من جواهر الارض كالذهب والفضة والنحاس (ابتغاء) طلب (حلية) زينة (اومتاع) ينتفع به كالاوانى اذاذيبت (زبد مثله) اى مثل زبد السيل وهو خبثه الذى ينفيه الكير (كذلك) المذكور (يضرب الله الحق والباطل) اى مثلهما (فأما الزبد) من السيل وما او قد عليه من الجواهر (فيذهب جفاء) باطلا مرميا به (واما ما ينفع الناس) من الماء والجواهر (فيمكث) يبقى (فى الارض) زمانا كذلك الباطل يضمحل وينمحق وان علا على الحق فى بعض الاوقات والحق ثابت باق (كذلك) المذكور (يضرب) يبين (الله الامثال للذين استجابوا لربهم) اجابوه بالطاعة (الحسنى) الجنة (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفار (لوان لهم مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) من العذاب (اولئك لهم سوء الحساب)

خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك فى الخفيفة لشبهها بالتنوين (قال رب السجن) وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر (احب الى مما يدعوننى اليه) اى آثر عندى من مواتاتها نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها اودعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على من كان يسأل الصبر (والاتصرف) وان لم تصرف (عنى كيدهن) فى تحبيب ذلك الى وتحسينه عندى بالتثبيت على العصمة (اصب اليهن) امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعى ومقتضى شهوتى والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهو الشوق (واكن من الجاهلين) من السفهاء بارتكاب مايدعوننى اليه فان الحكيم لايفعل القبيح اومن الذين لايعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء (فاستجاب له ربه) فاجاب الله دعاءه الذى تضمنه قوله والاتصرف (فصرف عنه كيدهن) فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن واثرها على اللذة المضمنة للعصيان (انه هو السميع) لدعاء المتجئين اليه (العليم) باحوالهم ومايصلحهم (ثم بدالهم من بعد مارأوا الآيات) ثم ظهر للعزيز واهله من بعد مارأوا الشواهد الدالة على برآءة يوسف كشهادة الصبى وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره (ليسجننه حتى حين) وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر مايكون منه اويحسب الناس انه المجرم فلبث فى السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم اوالعزيز ومن يليه وعنى بلغة هذيل (ودخل معه السجن فتيان) اى ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه (قال احدهما) يعنى الشرابى (انى ارانى) اى ارى فى المنام هى حكاية حال ماضية (اعصر خمرا) اى عنبا وسماه بمايؤل اليه (وقال الآخر) اى الخباز (انى ارانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه) لانهما تهس منه (نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين) من الذين يحسنون تأويل الرؤيا اومن العالمين وانما قالا ذلك

لانهما رأياه فى السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم اومن المحسنين اهل السجن فاحسن الينا بتأويل مارأينا ان كنت تعرفه (قال لايأتيكما طعام ترزقانه الانبأتكما بتأويله) اى بتأويل ماقصصتما على اوبتأويل الطعام يعنى بيان ماهية و كيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه ارادان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ماسألامنه كماهو طريقة الانبياء عليه السلام والنازلين منازلهم من العلماء فى الهداية والارشاد فقدم مايكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه فى الدعوة والتعبير (قبل ان يأتيكما ذلكما) اى ذلك التأويل (مما علمنى ربى) بالالهام والوحى وليس من قبيل التكهين اوالتنجيم (انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) تعليل لماقبله اى علمنى ذلك لانى تركت ملة اولئك (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة ليقوى رغبتها فى الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للحامل العالم ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة (ماكان لنا) ماصح لنا معشر الانبياء (ان نشرك بالله من شئ) اى شئ كان (ذلك) اى التوحيد (من فضل الله علينا) بالوحى (وعلى الناس) وعلى سائر الناس ببعثتنا لارشادهم وتثبيتهم عليه (ولكن اكثر الناس) المبعوث اليهم (لايشكرون) هذا الفضل فيعرضون عنه ولايتنبهون اومن فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لاينظرون اليها ولايستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولايشكرها (ياصاحبى السجن) اى ياساكنيه اوياصاحبى فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله ياسارق الليلة اهل الدار (ءارباب متفرقون) شتى متعددة متساوية الاقدام (خير أم الله الواحد) المتوحد بالألوهية (القهار) العالب الذى لايعادله ولايقاومه غيره (ماتعبدون من دونه) خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر (الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ماانزل الله بها من سلطان) اى الاشياء باعتبار اسامى اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لاتعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم مالم يدل على استحقاقه الألوهية عقل ولانقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ماتطلقون عليها (ان الحكم) فى امر العبادة وهو المؤاخذه بكل ماعملوه لايغفر منه شئ (ومأواهم جهنم وبئس المهاد) الفراش هى * ونزل فى حمزة وابى جهل (أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق) فآمن به (كمن هو اعمى) لايعلمه ولايؤمن به لا (انما يتذكر) يتعظ (اولوا الالباب) اصحاب العقول (الذين يوفون بعد الله) الماخوذ عليهم وهم فى عالم الذر اوكل عهد (ولاينقضون الميثاق) بترك الايمان او الفرائض (والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل) من الايمان والرحم وغير ذلك (ويخشون ربهم) اى وعيده (ويخافون سوء الحساب) تقدم مثله (والذين صبروا) على الطاعة والبلاء وعن المعصية (ابتغاء) طلب (وجه ربهم) لاغيره من اعراض الدنيا (واقاموا الصلاة وانفقوا) فى الطاعة (مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن) يدفعون (بالحسنة السيئة) كالجهل بالحلم والاذى بالصبر (اولئك لهم عقبى الدار)

(الالله) لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره (امر) على لسان انبيائه (ان لاتعبدوا الاایاه) الذى دلت عليه الحجج (ذلك الدين القيم) الحق وانتم لاتميزون المعوج من القويم وهذا من التدرج فى الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان مايسمونها آلهة ويعبدونها لاتستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ماهو الحق القويم والدين المستقيم الذى لايقتضى العقل غيره ولايرتضى العلم دونه (ولكن اكثر الناس لايعلمون) فيخبطون فى جهالاتهم (ياصاحبى السجن اما احدكما) يعنى الشرابى (فيسقى ربه خمرا) كما كان يسقيه قبل ويعود الى ماكان عليه (واما الآخر) يريد الخباز (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) فقالا كذبنا فقال (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) اى قطع الامر الذى تستفتيان فيه وهو مايؤل اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا فى امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة مانزل بهما (وقال للذى ظن انه ناج منهما) الظان يوسف عليه السلام ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحى فهو الناجى الا ان يأول الظن باليقين (اذكرنى عند ربك) اذكر حالى عند الملك كى يخلصنى (فانساه الشيطان ذكر ربه) فانسى الشرابى ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له اوعلى تقدير ذكر اخبار ربه وانسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله اخى يوسف لولم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد فى كشف الشدائد وان كانت محمودة فى الجملة لكنها لاتليق بمنصب الانبياء (فلبث فى السجن بضع سنين) البضع مابين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع (وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان (وسبع سنبلات خضر) قد انعقد حبها (واخر يابسات) وسبعا خر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بماقص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثانى بالعجاف

اى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة هى (جنات عدن) اقامة (يدخلونها) هم (ومن صلح) آمن (من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) وان لم يعملوا بعملهم يكونون فى درجاتهم تكرمة لهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من ابواب الجنة او القصور اول دخولهم للتهنئة يقولون (سلام عليكم) هذا الثواب (بما صبرتم) بصبركم فى الدنيا (فنعم عقبى الدار) عقبا كم (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض) بالكفر والمعاصى (اولئك لهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) العاقبة السيئة فى الدار الآخرة وهى جهنم (الله يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء ويقدر) يضيقه لمن يشاء (وفرحوا) اى اهل مكة فرح بطر (بالحياة الدنيا) اى بما نالوه فيها (وما الحياة الدنيا فى) جنب حياة (الآخرة الا متاع) شئ قليل يتمتع به ويذهب (ويقولون الذين

لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفا لكنه حمل على سمان لانه نقيضه (ياايها الملأ افتونى فى رؤياى) عبروها (ان كنتم للرؤيا تعبرون) ان كنتم عالمين بعقارة الرويا وهى الانتقال من الصور الخيالية الى المعانى النفسانية التى هى مثالها من العبور وهى المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان اولتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل اولتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا (قالوا اضغاث احلام) اى هذه اضغاث احلام وهى تخاليطها جمع ضغث واصله ماجمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة فى وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل اولتضمنه اشياء مختلفة (ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين) يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اى ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة فهو كانه مقدمة ثانية للعذر فى جهلهم بتأويله (وقال الذى نجا منهما) من صاحبى السجن وهو الشرابى (واذكر بعد امة) وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة طويلة وقرئ امة بكسرة الهمزة وهى النعمة اى بعدما انعم عليه بالنجاة وامه اى نسيان يقال امه يأمه امها اذا نسى والجملة اعتراض ومقول القول (انا انبئكم بتأويله فارسلون) اى الى من عنده علمه اوالى السجن (يوسف ايها الصديق) اى فارسل الى يوسف عليه السلام فجاءه وقال يايوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ فى الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه (افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات) اى فى رؤيا ذلك (لعلى ارجع الى الناس) اعود الى الملك ومن عنده اوالى اهل البلد اذقيل ان السجن لم يكن فيه (لعلهم يعلمون) تأويلها اوفضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولامن علمهم (قال تزرعون سبع سنين دأبا) اى على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين اوالمصدر باضمار فعله اى تدأبون دأبا ويكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة كلاهما مصدر دأب فى العمل وقيل تزرعون امر اخرجه فى صورة الخبر مبالغة لقوله (فما حصدتم فذروه فى سنبله) لئلا يأكله السوس

كفروا) من اهل مكة (لولا) هلا (انزل عليه) على محمد (آية من ربه) كالعصا واليد والناقة (قل) لهم (ان الله يضل من يشاء) اضلاله (فلا تغنى عنه الآيات شيأ) (ويهدى) يرشد (اليه) الى دينه (من اناب) رجع اليه ويبدل من من (الذين آمنوا وتطمئن) تسكن (قلوبهم بذكر الله) اى وعده (الا بذكر الله تطمئن القلوب) اى قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدء خبره (طوبى) مصدر من الطيب اوشجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام مايقطعها (لهم وحسن مآب) مرجع (كذلك) كما ارسلنا الانبياء قبلك (ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم لتتلو) تقرأ (عليهم الذى اوحينا اليك) اى القرآن (وهم يكفرون بالرحمن) حيث قالوا لما امروا بالسجود له وما الرحمن (قل) لهم يامحمد (هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب) * ونزل لما قالوا له ان كنت نبيا فسير عنا جبال مكة

واجعل لنا فيها انهارا وعيونا لنغرس ونزرع وابعث لنا آباءنا الموتى يكلمونا انك نبي (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال) نقلت عن اماكنها (اوقطعت) شققت (به الارض اوكلم به الموتى) بان يحيوا لما آمنوا (بل لله الامر جميعا) لالغيره فلا يؤمن الا من شاء ايمانه دون غيره (وان اوتوا مااقترحوا * ونزل لما اراد الصحابة اظهار ماقترحوا طمعا في ايمانهم (أفلم ييأس) يعلم (الذين آمنوا ان) مخففة اى انه (لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) الى الايمان من غير آية (ولايزال الذين كفروا) من اهل مكة (تصيبهم بما صنعوا) بصنعهم اى كفرهم (قارعة) داهية تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والاسر والحرب والجدب (او تحل) يا محمد بجيشك (قريبا من دارهم) مكة (حتى يأتي وعدالله) بالنصر عليهم (ان الله لايخلف الميعاد) وقد حل بالحديبية وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة (الاقليلا مما تأكلون) في تلك السنين (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن) اى يأكل اهلهن ماادخرتم لاجلهن فاسد اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به (الاقليلا مما تحصنون) تحرزون لبذور الزراعة (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس) يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث (وفيه يعصرون) مايعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرا حمزة والكسائي بالتاء على تغلب المستقبل وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا اومن اعصرت السحابة عليهم فعدى بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعدان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان يأكل ماجمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم بالوحي اوبان انتهاء الجدب بالخصب اوبان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعدماضيق عليهم (وقال الملك ائتوني به) بعد ماجاءه الرسول بالتعبير (فلما جاءه الرسول) ليخرجه (قال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتي قطعن ايديهن) انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وتفحص حاله ليظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلايقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لوكنت مكانه ولبثت في السجن مالبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله مابال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ماصنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون (ان ربي بكيدهن عليم) حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه برئ مما قرف به والوعيد لهن على كيدهن (قال ماخطبكن) قال الملك لهن ماشأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه (اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله) تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله (ماعلمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناح قال شعر فحصحص في صم

الصفا ثفناته * وناء بسلمى نوءة ثم صمما * اوظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول (انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) فى قوله هى راودتنى عن نفسى (ذلك ليعلم) قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اى ذلك التثبيت ليعلم العزيز (انى لم اخنه بالغيب) وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عنى اوظرف اى بمكان الغيب ورآء الاستار والابواب المغلقة (وان الله لايهدى كيد الخائنين) لا ينفذه ولا يسدده اولايهدى الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل فى خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله (وما ابرئ نفسى) اى لاانزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه لما قال ليعلم انى لم اخنه قال له جبريل ولاحين همممت فقال ذلك (ان النفس لامارة بالسوء) من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح فى اثرها كل الاوقات (الا مارحم ربى) الاوقت رحمة ربى اوالا مارحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام (ان ربى غفور رحيم) يغفرهم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة اويغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه (وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى) اجعله خالصا لنفسى (فلما كلمه) فلما اتوا به فكلمه وشاهد فيه الرشد والدهاء (قال انك اليوم لدينا مكين) ذو مكانة ومنزلة (امين) مؤتمن على كل شئ روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسألك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه بالعربية فقال الملك ماهذا اللسان فقال لسان عمى اسماعيل ودعاله بالعبرية فقال ماهذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياى منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على مارأها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره

حتى أتى فتح مكة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) كما استهزئ بك وهذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فامليت) أمهلت (للذين كفروا ثم اخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان عقاب) أى هو واقع موقعه فكذلك أفعل بمن استهزأ بك (أفمن هو قائم) رقيب (على كل نفس بما كسبت) عملت من خير وشر وهو الله كمن ليس كذلك من الاصنام لادل على هذا (وجعلوا لله شركاء قل سموهم) له من هم (أم) بل أ (تنبؤنه) تخبرون الله (بما) أى بشريك (لا يعلمه فى الارض) استفهام انكار أى لاشريك له اذ لو كان لعلمه تعالى عن ذلك (أم) بل تسمونهم شركاء (بظاهر من القول) يظن باطل لا حقيقة له فى الباطن (بل زين للذين كفروا مكرهم) كفرهم وصدوا عن السبيل) طريق الهدى (من يضلل الله فماله من هاد لهم عذاب فى الحيوة الدنيا) بالقتل والاسار (ولعذاب الاخرة

اشق) اشدمنه (ومالهم من الله) اى عذابه (من واق) مانع (مثل) صفة (الجنة التى وعد المتقون) مبتدأ خبره محذوف اى فيما نقص عليكم (تجرى من تحتها الانهار اكلها) مايؤكل فيها (دائم) لايفنى (وظلها) دائم لاتنسخه شمس لعدمها فيها (تلك) اى الجنة (عقبى) عاقبة (الذين اتقوا) الشرك (وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب) كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمنى اليهود (يفرحون بما انزل اليك) لموافقته ماعندهم (ومن الاحزاب) الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود (من ينكر بعضه (كذكر الرحمن وماعدا القصص (قل انما امرت) فيما انزل الى (ان) اى بأن (اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب)مرجعى (وكذلك) الانزال (انزلناه) اى القرآن (حكما عربيا) بلغة العرب تحكم به بين الناس (ولئن اتبعت اهواء هم)اى الكفار فيما يدعونك اليه من ملتهم

وقيل توفى قطفير فى تلك الليالى فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولدله منها افرائيم وميشا (قال اجعلنى على خزائن الارض ولنى امرها والارض ارض مصر (انى حفيظ) لها ممن لايستحقها (عليم) بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لمارأى انه يستعمله فى امره لامحالة آثر مايعم فوائده ويجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعدلها والتولى من يد الكافر اذا علم انه لاسبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) ارض مصر (يتبوأ منها حيث يشاء) ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون (نصيب برحمتنا من نشاء) فى الدنيا والآخرة (ولانضيع اجر المحسنين) بل نوفى اجورهم عاجلا وآجلا (ولاجر الآخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون) المشرك والفواحش لعظمه ودوامه (وجاء اخوة يوسف) روى انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد فى تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعها اولا بالدارهم والدنانير حتى لم يبق معهم شئ منهما ثم بالحلى والجواهر بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأى رأيك فاعتقهم وردعليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان مااصاب سائر البلاد فارسل يعقوب عليه السلام بنيه غير بنيامين اليه للميرة (فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) اى عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه فى سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التى رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم فى حلاه من التهيب والاستعظام (ولما جهزهم بجهازهم) اصلحهم بعدتهم واوقر ركابهم بما جاؤا لاجله واصل الجهاز مايعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر ومايحمل من بلدة الى اخرى وتزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر (قال ائتونى باخ لكم من ابيكم) روى انهم لما دخلوا عليه قال من انتم ومامركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله انما نحن بنواب واحد وهو شيخ كبير صديق نبى من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا

عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لايعرفنا ههنا من يشهدلنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وأتونى باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف عليه السلام يعطى لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم (الاترون انى اوفى الكيل) انمه (وانا خير المنزلين) للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم (فان لم يأتونى به فلا كيل لكم عندى ولاتقربون) اى لاتقربونى ولاتدخلوا ديارى وهو امانهى اونفى معطوف على الجزاء (قالوا سنراود عنه اباه) سنجتهد فى طلبه من ابيه (وانا لفاعلون) ذلك لا نتوانى فيه (وقال لفتيانه) لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائى وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) فانه وكل بكل رجل واحدا يعنى فيه بضاعتهم التى شروابها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لايكون عندابيه مايرجعون به (لعلهم يعرفونها) لعلهم يعرفون حق ردها اولكى يعرفوها (اذا انقلبوا) انصرفوا ورجعوا (الى اهلهم) وفتحوا اوعيتهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع (فلما رجعوا الى ابيهم قالوا ياابانا منع منا الكيل) حكم بمنعه بعدهذا ان لم يذهب بنيامين (فارسل معنا اخانا نكتل) رفع المانع من الكيل ونكتل مانحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائى بالياء على اسناده الى الاخ اى يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا (وانا له لحافظون) عن ان يناله مكروه (قال) يعقوب لهم (هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل) وقد قلتم فى يوسف وانا له لحافظون (فالله خير حافظا) فأتوكل عليه وافوض امرى اليه (وهو ارحم الراحمين) فارجوان يرحمنى بحفظه ولايجمع على مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا فى قراءة حمزة والكسائى وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها فى بيع وقيل (قالوا ياابانا مانبغى) ماذانطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا

فرضا (بعدماجاءك من العلم بالتوحيد (مالك من الله من) زائدة (ولى) ناصر (ولاواق) مانع من عذابه * ونزل لما عيروه بكثرة النساء (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنالهم ازواجا وذرية) اولادا وانت مثلهم (وما كان لرسول) منهم (ان يأتى بآية الا باذن الله) لانهم عبيد مربوبون (لكل اجل) مدة (كتاب) مكتوب فيه تحديده (يمحو الله) منه (مايشاء ويثبت) بالتخفيف او التشديد فيه مايشاء من الاحكام وغيرها (وعنده ام الكتاب) اصله الذى لا يتغير منه شئ وهو ماكتبه فى الازل (واما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (نرينك بعض الذى نعدهم) به من العذاب فى حياتك وجواب الشرط محذوف اى فذاك (اونتوفينك) قبل تعذيبهم (فانما عليك البلاغ) لاعليك الا التبليغ (وعلينا الحساب) اذا صاروا الينا فنجازيهم (اولم يروا) اى اهل مكة (اناتأت الارض) نقصد ارضهم (ننقصها

من اطرافها) بالفتح على النبى صلى الله عليه وسلم (والله يحكم) فى خلقه بما يشاء (لا معقب) لاراد لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم) من الامم بانبيائهم كما مكروا بك (فلله المكر جميعا) وليس مكرهم بمكره لانه تعالى (يعلم ما تكسب كل نفس) فيعد لها جزاء وهذا هو المكر كله لانه يأتيهم به حيث لايشعرون (وسيعلم الكافر) المراد به الجنس وفى قراءة الكفار (لمن عقبى الدار) اى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة ألهم أم للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه (ويقول الذين كفروا) لك (لست مرسلا قل) لهم (كفى بالله شهيدا بينى وبينكم على صدقى (ومن عنده علم الكتاب) من مؤمنى اليهود والنصارى

* (سورة ابراهيم مكية الا الم ترالى الذين بدلوا الآيتين احدى او ثنتان او اربع او خمس وخمسون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الر) الله اعلم بمراده بذلك

وباع منا ورد علينا متاعنا اولا نطلب وراء ذلك احسانا اولا نبغى فى القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ مانبغى على الخطاب اى اى شئ تطلب وراء هذا من الاحسان اومن الدليل على صدقنا (هذه بضاعتنا ردت الينا) استئناف موضح لقوله مانبغى ونمير اهلنا) معطوف على محذوف اى ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك (ونحفظ اخانا) عن المخاوف فى ذهابنا وايابنا (ونزداد كيل بعير) وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على مانبغى اى لانبغى فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا (ذلك كيل يسير) اى مكيل قيل لايكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه مايكال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير ى ذلك شئ قليل لايضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب عليه السلام ومعناه ان حمل بعير شئ يسير لايخاطر لمثله بالولد (قال لن ارسله معكم) اذ رأيت منكم ما رأيت (حتى تؤتون موثقا من الله) حتى تعطونى ما اتوثق به من عند الله اى عهدا مؤكدا بذكر الله (لتأتننى به) جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتننى به (الا ان يحاط بكم) ان لاتغلبوا فلا تطيقوا ذلك اولا تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتننى به على كل حال الا حال الاحاطة بكم اومن اعم العلل على ان قوله لتأتننى به فى تأويل النفى اى لاتمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اى ما اطلب الا فعلك (فلما آتوه موثقهم) عهدهم (قال الله على ما نقول) من طلب الموثق واتيانه (وكيل) رقيب مطلع (وقال يابنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة) لانهم كانوا ذوى جمال وابهة مشتهرين فى مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعى اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذى يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فى عوذته اللهم انى اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة عين لامة (وما اغنى عنكم من الله من شئ) مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لايمنع القدر (ان الحكم الا لله) يصيبكم لامحالة ان قضى عليكم

سوء ولا ينفعكم ذلك (عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) جمع بين الحرفين فى عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كائن الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء عليهم السلام سبب لان يقتدى بهم (ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) اى من ابواب متفرقة فى البلد (ما كان يغنى عنهم) رأى يعقوب واتباعهم له (من الله من شئ) مما قضاء عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسرقوا واخذ بنيامين لوجد ان الصواع فى رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب عليه السلام (الا حاجة فى نفس يعقوب) استثناء منقطع اى ولكن حاجة فى نفسه يعنى شفقته عليهم وحرازته من ان يعانوا (قضاها) اظهرها ووصى بها (وانه لذو علم لما علمناه) بالوحى ونصب الحجج ولذلك قال وما اغنى عنكم من الله من شئ ولم يغتر بتدبيره (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) سرا لقدر وانه لا يغنى عنه الحذر (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه) ضم اليه بنيامين على الطعام اوفى المنزل روى انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لجلس معى فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لاثانى له فيكون معى فبات عنده وقال له أتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه و (قال انى انا اخوك فلا تبتئس) فلا تحزن افتعال من البؤس (بما كانوا يعملون) فى حقنا فيما مضى (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) المشربة (فى رحل اخيه) قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت يسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا (ثم أذن مؤذن) نادى منادٍ (ايتها العير انكم لسارقون) لعله لم يقله بامر يوسف عليه الصلاة والسلام او كان تعبية السقاية والنداء عليها يرضى بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تتردد فقيل لاصحابها كقوله صلى الله تعالى وسلم ياخيل الله اركبى وقيل جمع غير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل بيبض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة (قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون) اى شئ ضاع عنكم والفقد

هذا القرآن (كتاب انزلناه (اليك) يا محمد (لتخرج الناس من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان (باذن) بامر (ربهم) ويبدل من الى النور (الى صراط) طريق (العزيز) الغالب (الحميد) المحمود (الله) بالجر بدل او عطف بيان وما بعده صفة والرفع مبتدأ خبره (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (وويل للكافرين من عذاب شديد الذين) نعت (يستحبون) يختارون (الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون) الناس (عن سبيل الله) دين الاسلام (ويبغونها) اى السبيل (عوجا) معوجة (اولئك فى ضلال بعيد) عن الحق (وما ارسلنا من رسول الا بلسان) بلغة (قومه ليبين لهم) ليفهمهم ما اتى به (فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) التسع وقلنا له (ان اخرج قومك) بنى اسرائيل (من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان

غيبة الشئ عن الحس بحيث لايعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا (قالوا نفقد صواع الملك) وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والعين وصواع من الصياغة (ولمن جاءبه حمل بعير) من الطعام جعلاله (وانا به زعيم) كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى (لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين) استشهدوا بعلمهم على برآءة انفسهم لما عرفوا منهم فى كرتى مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التى جعلت فى رحالهم وكم الدواب لئلا تتناول زرعا اوطعاما لاحد (قالوا فماجزاؤه) فماجزاء السارق والسرق اوالصواع على حذف المضاف (ان كنتم كاذبين) فى ادعاء البرآءة (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه) اى جزاء سرقته اخذ من وجد فى رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له اوخبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط اوجواب لها على انها شرطية والجملة كما هى خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو (كذلك نجزى الظالمين) بالسرقة (فبدأ باوعيتهم) فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر (قبل وعاء اخيه) بنيامين نفيا للتهمة (ثم استخرجها) اى السقاية اوالصواع لانه يذكر ويؤنث (من وعاء اخيه) وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة (كذلك) مثل ذلك الكيد (كدنا ليوسف) بان علمناه اباه واوحينا به اليه (ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك) ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ماأخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد (الا ان يشاء الله) ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه بمشيئة الله واذنه (نرفع درجات من نشاء) بالعلم كما رفعنا درجته (وفوق كل ذى علم عليم) ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذلو كان ذاعلم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذى علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذى له العلم البالغة ولانه لافرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص (قالوا ان يسرق) بنيامين (فقد سرق اخ له من قبل) يعنون يوسف

(وذكرهم بايام الله) بنعمه (ان فى ذلك) التذكير (لآيات لكل صبار) على الطاعة (شكور) للنعم (و) اذكر (اذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذانجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم) المولودين (ويستحيون) يستبقون (نساءكم) لقول بعض الكهنة ان مولودا يولد فى بنى اسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون (وفى ذلكم) الانجاء اوالعذاب (بلاء) انعام او ابتلاء (من ربكم عظيم واذتأذن) اعلم (ربكم لئن شكرتم) نعمتى بالتوحيد والطاعة (لأزيدنكم ولئن كفرتم) بجحد النعمة بالكفر والمعصية (لأعذبنكم) دل عليه (ان عذابى لشديد وقال موسى) لقومه (ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى) عن خلقه (حميد) محمود فى صنعه بهم (ألم يأتكم) استفهام تقرير (نبأ) خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح

عليه السلام قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به فى حكمهم وقيل كان لاب امه صنم فسرقه وكسره والقاه فى الجيف وقيل كان فى البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل وقيل دخل كنيسة واخذ تمثالا صغيرا من الذهب (فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم) اكتفاء ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة اونسبة السرقة وقيل انها كناية بشريطة التفسير ويفسرها قوله (قال انتم شر مكانا) فانه بدل من اسرها والمعنى قال فى نفسه انتم شر مكانا اى منزلة فى السرقة لسرقتكم اخاكم يوسف وفى سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لايكون الاضمير الشان (والله اعلم بما تصفون) وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون (قالوا يا ايها العزيز ان له اباشيخا كبيرا) فى السن او القدر وذكروا له حاله استعطافا له عليه (فخذ احدنا مكانه) بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به (انا نراك من المحسنين) الينا فاتمم احسانك او من المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك (قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلا آخذ احدكم مكانه (انا اذا لظالمون) فى مذهبكم هذا او ان مراده ان الله اذن ان نأخذ من وجدنا الصاع فى رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما (فلما استيأسوا منه) يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزى واستأيسوا بالالف وفتح الياء من غير همزة واذا وقف حزة القى حركة الهمزة على الياء على اصله (خلصوا) انفردوا واعتزلوا (نجيا) متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندى واندية (قال كبيرهم) فى السن وهو روبيل او فى الرأى وهو شمعون وقيل يهوذا (ألم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله) عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته (من قبل) ومن قبل هذا (مافرطتم فى يوسف) قصرتم فى شأنه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية فى موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره فى يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) لكثرتهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الواضحة على صدقهم (فردوا) أى الايمان (ايديهم فى افواههم) اى اليها ليعضوا عليها من شدة الغيظ (وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به) على زعمكم (وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب) موقع للريبة (قالت رسلهم أفى الله شك) استفهام انكار اى لاشك فى توحيده للدلائل الظاهرة عليه (فاطر) خالق (السموات والارض يدعوكم) الى طاعته (ليغفر لكم من ذنوبكم) من زائدة فان الاسلام يغفر به ما قبله او تبعيضية لا خراج حقوق العباد (ويؤخركم) بلا عذاب (الى اجل مسمى اجل الموت (قالوا ان) ما (انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) من الاصنام (فاتونا بسلطان مبين) حجة ظاهرة على صدقكم (قالت لهم رسلهم ان) ما (نحن الا بشر مثلكم) كما قلتم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده)

بالنبوة (وماكان) ماينبغى (لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله) بامره لانا عبيد مربوبون (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يثقوا به (ومالنا ألا نتوكل على الله) اى لامانع لنامن ذلك (وقدهدانا سبلنا ولنصبرن على ماآذيتمونا) على أذاكم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أولتعودن) لتصيرن (فى ملتنا) ديننا (فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين) الكافرين (ولنسكننكم الارض) أرضهم (من بعدهم) بعدهلاكهم (ذلك) النصر وايراث الارض (لمن خاف مقامى) أى مقامه بين يدى (وخاف وعيد) بالعذاب (واستفتحوا استنصر الرسل بالله على قومهم (وخاب) خسر (كل جبار) متكبر عن طاعة الله (عنيد معاند للحق (من ورائه) أى امامه) جهنم) يدخلها (ويسقى) فيها (من ماء صديد) هومايسيل من جوف أهل النار مختلطا بالقيح والدم (يتجرعه) يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته (ولايكاد يسيغه)

اوصلة لايقطع عن الاضافة حتى لاينقص وان تكون موصولة اى ما فرطتموه بمعنى ماقدمتموه فى حقه من الخيانة ومحله ماتقدم (فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر (حتى يأذن لى ابى) فى الرجوع (اويحكم الله لى) اويقضى الله لى بالخروج منها اوبخلاص اخى منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز فى اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا اولا صيحن صيحة تضع منها الحوامل وقفت كل شعرة من جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف عليه السلام لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو ايعقوب عليه السلام اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان فى هذا البلد البذر امن بذر يعقوب (وهو خير الحاكمين) لان حكمة لايكون الا بالحق (ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق) على ماشاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اى نسب الى السرقة (وماشهدنا) عليه (الا بما علمنا) بان رأينا الصواع استخراج من وعائه (وما كنا للغيب) لباطن الحال (حافظين) فلاندرى انه سرق اوسرق ودس الصاع فى رحله اوما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق اوانك تصاب به كما اصبت بيوسف (واسأل القرية التى كنا فيها) يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المادى فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة (والعير التى اقبلنا فيها) واصحاب العير التى توجهنا فيهم وكنا معهم (وانا لصادقون) تأكيد فى محل القسم (قال بل سولت) اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ماقال لهم اخوهم قال بل سولت اى زينت وسهلت (لكم انفسكم امرا) اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته (فصبر جميل) اى فامرى صبر جميل اوفصبر جميل اجمل (عسى الله ان يأتينى بهم جميعا) بيوسف وبنيامين واخيهما الذى توقف بمصر (انه هو العليم) بحالى وحالهم (والحكيم) فى تدبيره (فتولى عنهم) فاعرض عنهم كراهة لما تصادف منهم (وقال ياأسفا على يوسف) اى ياأسفى تعالى فهذا اوانك والالف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لارزؤه لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفى الحديث لم تعط امة من الامم آنا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا ترى الى يعقوب عليه الصلاة والسلام

حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفا (وابيضت عيناه من الحزن) لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمى وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون (فهو كظيم) مملوء من الغيظ على اولاده يمسك له فى قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها فى جوفه (قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف) اى لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما فى قوله * فقلت يمين الله ابرح قاعدا * لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفى (حتى تكون حرضا) مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذى اذابه هم او مرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب (او تكون من الهالكين) من الميتين (قال انما اشكو بثى وحزنى) هى الذى لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر (الى الله) لا الى احد منكم ومن غيركم فخلونى وشكايتى (واعلم من الله) من صنعه ورحمته فانه لا تخيب داعيه ولا يدع الملتجئ اليه او من الله بنوع من الالهام (ما لا تعلمون) من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت فى المنام فسأله عنه فقال هو حى وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا (يا بنى اذهبوا فتحسسوا من من يوسف واخيه) فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحس طلب الاحساب (ولا تيأسوا من روح الله) لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اى من رحمته التى يحيى بها العباد (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته فى شئ من الاحوال (فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز) بعد ما رجعوا امصر رجعة ثانية (مسنا واهلنا الضر) شدة الجوع (وجئنا ببضاعة مزجية) رديئة او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق يزدرده لقبحه وكراهته (ويأتيه الموت) اى اسبابه المقتضية له من انواع العذاب (من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه) بعد ذلك العذاب (عذاب غليظ) قوى متصل (مثل) صفة (الذين كفروا بربهم) مبتدأ ويبدل منه (اعمالهم) الصالحة كصلة وصدقة فى عدم الانتفاع بها (كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف) شديد هبوب الريح فجعلته هباء منثورا لا يقدر عليه والمجرور خبر المبتدا (لا يقدرون) اى الكفار (مما كسبوا) عملوا فى الدنيا (على شئ) اى لا يجدون له ثوابا لعدم شرطه (ذلك هو الضلال) الهلاك (البعيد ألم تر) تنظر يا مخاطب استفهام تقرير (ان الله خلق السموات والارض بالحق) متعلق بخلق (ان يشأ يذهبكم) ايها الناس (ويأت بخلق جديد) بدلكم (وما ذلك على الله بعزيز) شديد (وبرزوا) اى الخلائق والتعبير فيه وفيما بعده بالماضى لتحقق وقوعه (لله جميعا فقال الضعفاء) الاتباع (للذين استكبروا) المتبوعين

المقل (فاوف لنا الكيل) فاتم لنا الكيل (وتصدق علينا) برداخينا اوبالمسامحة وقبول المزجاة اوبالزيادة على مايساويها واختلف فى ان حرمة الصدقة تعم الانبياء عليهم الصلاة والسلام اوتختص بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله يجزى المتصدقين) احسن الجزآء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما ينبغى به ثواب من الله تعالى (قال هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه) اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لايستطيع ان يكلمهم الابعجز وذلة (اذانتم جاهلون) قبحه فلذلك اقدمتم عليه اوعاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لمارأى من عجزهم وتمسكنهم لامعاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب فى تخليص بنيامين وذكروا له ماهو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال اولانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين (قالوا ءانك لانت يوسف) استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فراو اعلامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها (قال انا يوسف وهذا اخى) من ابى وامى ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشأنه وادخالاله فى قوله (قدمن الله علينا) اى بالسلامة والكرامة (انه من يتق) اى من يتق الله (ويصبر) على البينات اوعلى الطاعات اوعن المعاصى (فان الله لايضيع اجر المحسنين) وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر (قالوا تالله لقدآثرك الله علينا) اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة (وان كنا لخاطئين) والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك (قال لاتثريب عليكم) لاتأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذى يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقويع الذى يمزق العرض ويذهب ماء الوجه (اليوم) متعلق بالتثريب اوبالمقدر للجار الواقع خبر اللاتثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذى هو مظنته فاظنكم بسائر الايام اوبقوله (يغفر الله لكم) لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ (وهو ارحم

(انا كنا لكم تبعا) جمع تابع (فهل انتم مغنون) دافعون (عنا من عذاب الله من شئ) من الاولى للتبيين والثانية للتبعيض (قالوا) اى المتبوعون (لوهدانا الله لهديناكم) لدعوناكم الى الهدى (سواء علينا أجزعنا ام صبرنا مالنا من) زائدة (محيص) ملجأ (وقال الشيطان) ابليس (لما قضى الامر) وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار واجتمعوا عليه (ان الله وعدكم وعد الحق) بالبعث والجزاء فصدقكم (ووعدتكم) انه غير كائن (فأخلفتكم وما كان لى عليكم من) زائدة (سلطان) قوة وقدرة اقهركم على متابعتى (الا) لكن (ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموننى ولوموا انفسكم) على اجابتى (ماانا بمصرخكم) بمغيثكم (وما انتم بمصرخى) بفتح الياء وكسرها (انى كفرت بما اشركتمون) باشراككم اياى مع الله (من قبل) فى الدنيا قال تعالى (ان الظالمين) الكافرين (لهم عذاب اليم) مؤلم (وادخل

الراحمين) فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف عليه السلام انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشى الى الطعام ونحن نستحيى منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما مابلغ ولقد شرفت بكم وعظمت فى عيونهم حيث علموا نكم اخوتى وانى من حفدة ابراهيم عليه السلام (اذهبوا بقميصى هذا) القميص الذى كان عليه وقيل القميص المتوارث الذى كان فى النعويز (فألقوه على وجه ابه يأت بصيرا) اى يرجع بصيرا اى ذا بصر (وائتونى) انتم وابى (باهلكم اجمعين) بنسائكم وذراريكم ومواليكم (ولما فصلت العير) من مصر وخرجت من عمرانها (قال ابوهم) لمن حضره (انى لأجد ريح يوسف) اوجده الله ريح ماعبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا (لولا ان تفندون) تنسبونى الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لايقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتى وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتمونى اولقلت انه قريب (قالوا) اى الحاضرون (تالله انك لفى ضلالك القديم) اى لفى ذهابك عن الصواب قدما بالافراط فى محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه (فلما ان جاء البشير) يهوذا روى انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه (القاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام اويعقوب نفسه (فارتد بصيرا) عاد بصيرا ما انتعش فيه من القوة (قال الم اقل لكم انى اعلم من الله مالاتعلمون) من حياة يوسف عليه السلام وانزال الفرح وقيل انى اعلم كلام مبتدأ والمقول لايأس سوا من روح الله وانى لاجد ريح يوسف (قالوا ياابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) ومن حق المعترف بذنبه ان يفصح عنه ويسأل له المغفرة (قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) اخره الى السحر او الى صلاة الليل او ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف عليه السلام او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ماروى انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح

الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين) حال مقدرة (فيها باذن ربهم تحيتهم فيها) من الله ومن الملائكة وفيما بينهم (سلام المتر) تنظر (كيف ضرب الله مثلا) ويبدل منه (كلمة طيبة) اى لااله الاالله (كشجرة طيبة) هى النخلة (اصلها ثابت) فى الارض (وفرعها) غصنها (فى السماء تؤتى) تعطى (اكلها) ثمرها (كل حين باذن ربها) بارادته كذلك كلمة الايمان ثابتة فى قلب المؤمن وعمله يصعد الى السماء وينالله بركته وثوابه كل وقت (ويضرب) يبين (الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يتعظون فيؤمنون (ومثل كلمة خبيثة) هى كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هى الحنظل (اجتثت استؤصلت (من فوق الارض مالها من قرار) مستقر وثبات كذلك كلمة الكفر لاثبات لها ولافرع ولا بركة (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) هى كلمة التوحيد (فى الحياة

فدليل على نبوتهم وان ماصدر عنهم كان قبل استنبائهم (فلما دخلوا على يوسف) روى انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ستمائة الف وخمسمائة و بضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى (آوى اليه ابويه) ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب فى قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق اولان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امة والربابة تدعى اما (وقال ادخلوا مصران شاءالله آمنين) من القحط واصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان فى موضع خارج البلد حين استقبلهم (ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا) تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجرى مجريها وقيل معناه خروا لاجله سجد الله شكرا وقيل الضمير لله تعالى والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما (وقال يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل) التى رأيتها ايام الصبا (قد جعلها ربى حقا) صدقا (وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن) ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم (وجاء بكم من البدو) من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشى واهل البدو (من ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى) افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على اجرى (ان ربى لطيف لما يشاء) لطيف التدبير له اذا من صعب الا وينفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها (انه) هو (العليم) بوجوه المصالح والتدابير (الحكيم) الذى يفعل كل شئ فى وقته وعلى وجه يقتضى الحكمة روى ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام فى خزائنه فلما ادخله خزانة القرطاس قال يابنى ما اغفلك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان مراحل قال امرنى جبريل عليه السلام قال اوما تسأله قال انت ابسط منى اليه فسأله قال جبريل الله امرنى بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتنى (رب قد آتيتنى من الملك) بعض الملك وهو ملك مصر (وعلمتنى من تأويل الاحاديث) الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التأويل (فاطر السموات والارض) مبدعهما وانتصابه على انه

الدنيا وفى الاخرة) اى الثبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم فيجيبون بالصواب كما فى حديث الشيخين (ويضل الله الظالمين) الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون لا ندرى كما فى الحديث (ويفعل الله مايشاء الم تر) تنظر (الى الذين بدلوا نعمت الله) اى شكرها (كفرا) هم كفار قريش (وأحلوا) أنزلوا (قومهم) باضلالهم اياهم (دار البوار) الهلاك (جهنم) عطف بيان (يصلونها) يدخلونها (وبئس القرار) المقر هى (وجعلوا لله اندادا)شركاء (ليضلوا) بفتح الياء وضمها (عن سبيله) دين الاسلام (قل) لهم (تمتعوا) بدنياكم قليلا (فان مصيركم) مرجعكم (الى النار قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتى يوم لا بيع) فداء (فيه ولا خلال) مخالة اى صداقة تنفع هو يوم القيامة (الله الذى خلق السموات والارض وانزل

صفة المناد اومنادى برأسه (انت ولى) ناصرى اومتولى امرى (فى الدنيا والاخرة) اوالذى يتولانى بالنعمة فيهما (توفنى مسلما) اقبضنى والحقنى بالصالحين) من آبائى اوبعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة روى ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفى واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة وعاد وعاش بعدة ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهر افتخاصم اهل مصر فى مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه فى صندوق من مرمر ويدفنوه فى النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من را عيل افرائيم وميشا وهو جديوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب عليه السلام (ذلك) اشارة الى ماذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب فيه للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبتدأ (من نباء الغيب نوحيه اليك) خبر ان له (وما كنت لديهم اذ جمعوا امرهم وهم يمكرون) كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحى لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ماهموا به من ان يجعلوه فى غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذى لايخفى على مكذبيك انك مالقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره فى غير هذه القصة كقوله ماكنت تعلمها انت ولاقومك من قبل هذا (وما اكثر الناس ولوحرصت على ايمانهم وبالغت فى اظهار الايات عليهم (بمؤمنين) لعنادهم وتصميمهم على الكفر (وماتسألهم عليه) على الانباء او القرآن (من اجر) جعل كما يفعله حملة الاخبار (ان هو الا ذكر) عظة من الله تعالى (للعالمين) عامة (وكاين من آية) وكم من آية والمعنى وكاى عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده (فى السموات والارض يمرون عليها) على الايات ويشاهدونها (وهم عنها معرضون) لايتفكرون فيها ولايعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ وخبره يمرون فيكون لها الضمير فى عليها وبالنصب على ويطأون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اى يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة (ومايؤمن اكثرهم بالله) فى اقرارهم بوجوده

من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك) السفن (لتجرى فى البحر) بالركوب والحمل (بامره) باذنه (وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين جاريين فى فلكهما لايفتران (وسخر لكم الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتبتغوا فيه من فضله (وآتاكم من كل ما سألتموه) على حسب مصالحكم (وان تعدوا نعمت الله) بمعنى انعامه (لاتحصوها) لاتطيقوا عدها (ان الانسان) الكافر (لظلوم كفار) كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه (و) اذكر (اذقال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) مكة (آمنا) ذا امن وقد اجاب الله دعاءه فجعله حرما لايسفك فيه دم انسان ولايظلم فيه احد ولايصاد صيده ولا يختلى خلاه (واجنبنى) بعدنى (وبنى) عن (ان نعبد الاصنام رب انهن) اى الاصنام (أضللن كثيرا من الناس) بعبادتهم لها (فمن تبعنى) على التوحيد

وخالقيته (الاوهم مشركون) بعبادة غيره اوباتخاذ الاخبار اربابا اونسبة التبنى اليه اوالقول بالنور والظلمة اوبالنظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الاية فى مشركى مكة وقيل فى المنافقين وقيل فى اهل الكتاب (افامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله) عقوبة تغشاهم وتشملهم (اوتأتيهم الساعة بغتة) فجأة من غير سابقة علامة (وهم لايشعرون) باتيانها غير مستعدين لها (قل هذه سبيلى) يعنى الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله (ادعوالى الله) وقيل هوحال من الياء (على بصيرة) بيان وجهة واضحة غير عمياء (انا) تأكيد للمستتر فى ادعو وفى على بصيرة لانه حال منه اومبتدأ خبره على بصيرة (ومن اتبعنى) عطف عليه (وسبحان الله وماانا من المشركين) وانزهه تنزيها من الشرك (وماارسلنامن قبلك الارجالا) ردلقولهم لوشاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفى استنباء النساء (يوحى اليهم) كما اوحى اليك وتميز وابذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحى فى كل القرآن ووافقه حمزة والكسائى فى سورة الانبياء (من اهل القرى) لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو (افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من المكذبين بالرسل والآيات فيحذر واتكذيبك اومن المعشوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها (ولدار الاخرة) ولدار الحال او الساعة او الحياة الآخرة (خيرللذين اتقوا) الشرك والمعاصى (افلا يعقلون) يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلى اى قل لهم افلا تعقلون (حتى اذاستيأس الرسل) غاية محذوف دل عليه الكلام اى لايغررهم تمادى ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا اوعن ايمانهم لانهما كهم فى الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع (وظنوا انهم قدكذبوا) اى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون اوكذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اى وظن المرسل اليهم ان الرسل اى قدكذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثانى للرسل اى وظنوا ان الرسل قدكذبوا اخلفوا فيما وعدلهم من النصر وخلط الامر عليهم وماروى عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ماوعدهم الله من النصران صح فقد اراد

(فانه منى) من اهل دينى (ومن عصانى فانك غفور رحيم) هذا قبل علمه أنه تعالى لايغفر الشرك (ربنا انى أسكنت من ذريتى) اى بعضها وهو اسمعيل مع امه هاجر (بوادغيرذى زرع) هو مكة (عندبيتك المحرم) الذى كان قبل الطوفان (ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة) قلوبا (من الناس تهوى) تميل وتحن (اليهم) قال ابن عباس لوقال افئدة الناس لحنت اليه فارس والروم والناس كلهم (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وقدفعل بنقل الطائف اليه (ربنا انك تعلم مانخفى) نسره وما نعلن وما يخفى على الله من) زائدة (شئ فى الارض ولا فى السماء) يحتمل ان يكون من كلامه تعالى اوكلام ابراهيم (الحمدلله الذى وهب لى) اعطانى (على) مع (الكبراسمعيل) ولدوله تسع وتسعون سنة (واسحق) ولد ولد مائة واثنتا عشرة سنة (ان ربى لسميع الدعاء رب اجعلنى مقيم الصلاة و) اجعل (من ذريتى من يقيمها واتى بمن لاعلام الله

بالظن مايهجس فى القلب على طريق الوسوسة هذا اوان المراد به المبالغة فى التراخى والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اى وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اى وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوابه عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا (جاءهم نصرنا فنجى من نشاء) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان نشاء نجاتهم لايشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضى المبنى للمفعول وقرئ فنجى (ولايرد بأسنا عن القوم المجرمين) اذا نزل بهم وفيه بيان المنشيين (لقد كان فى قصصهم) فى قصص الانبياء وامهم اوفى قصة يوسف واخوته (عبرة لاولى الالباب) لذوى العقول المبراة من شوائب الالف والركون الى الحس (ماكان حديثا يفترى ماكان القرآن حديثا مفترى (ولكن تصديق الذى بين يديه) من الكتب الالهية (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه فى الدين اذ ثمة من امر دينى الا وله سند من القرآن بوسط اوبغير وسط (وهدى) من الضلال (ورحمة) ينال بها خير الدارين (لقوم يؤمنون) يصدقون وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم علموا ارقاءكم واقرباءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه الله القوة على ان لايحسد مسلما

(سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الاية)
(وهى خمس واربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المر) قيل معناه انا الله اعلم وارى (تلك آيات الكتاب) يعنى بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اى تلك الآيات آيات السورة الكاملة اوالقرآن (والذى انزل اليك من ربك) هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص اواحدى الصفتين على الاخرى اوالرفع بالابتداء وخبره (الحق) والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا اوضمنا كالمثبت بالقياس وغيره ممانطق المنزل بحسن اتباعه (ولكن اكثر الناس لايؤمنون) لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه (الله الذى رفع السموات) مبتدأ

تعالى له ان منهم كفارا (ربنا وتقبل دعاء) المذكور (ربنا اغفر لى ولوالدى) هذا قبل ان يتبين له عداوتهما لله عز وجل وقيل اسلمت امه وقرئ والدى مفردا وولدى (وللمؤمنين يوم يقوم) يثبت (الحساب) قال تعالى (ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الكافرون من اهل مكة (انما يؤخرهم) بلا عذاب (ليوم تشخص فيه الابصار) لهول ماترى يقال شخص بصر فلان اى فتحه فلم يغمضه (مهطعين) مسرعين حال (مقنعى) رافعى (رؤسهم) الى السماء (لايرتد اليهم طرفهم) بصرهم (وافئدتهم) قلوبهم (هواء) خالية من العقل لفزعهم (وانذر) خوف يامحمد (الناس) الكفار (يوم يأتيهم العذاب) هو يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) كفروا (ربنا اخرنا) بأن نردنا الى الدنيا (الى اجل قريب نجب دعوتك (بالتوحيد (ونتبع الرسل فيقال لهم توبيخا (اولم تكونوا اقسمتم) حلفتم (من قبل) فى الدنيا

(مالكم من) زائدة (زوال) عنها الى الآخرة (وسكنتم) فيها (فى مساكن الذين ظلموا انفسهم) بالكفر من الامم السابقة (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) من العقوبة فلم تزجروا (وضربنا) بيننا (لكم الامثال) فى القرآن فلم تعتبروا (وقد مكروا) بالنبى صلى الله عليه وسلم (مكرهم) حيث ارادوا قتله او تقييده او اخراجه (وعند الله مكرهم) اى علمه او جزاؤه (وان) ما (كان مكرهم) وان عظم (لتزول منه الجبال) المعنى لايعبابه ولايضر الا انفسهم والمراد بالجبال هنا قيل حقيقتها وقيل شرائع الاسلام المشبهة بها فى القرار والثبات وفى قراءة بفتح اللام لتزول ورفع الفعل فان مخففة والمراد تعظيم مكرهم وقيل المراد بالمكر كفرهم ويناسبه على الثانية تكاد السموات ينفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وعلى الاول ماقرئ وما كان (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) بالنصر (ان الله عزيز) غالب لايعجزه شئ

وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر (بغير عمد) اساطين جمع عماد كاهاب واهب اوعمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل (ترونها) صفة لعمد او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها فى حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضى ذلك لابد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسمانى يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ماذكر من الايات (ثم استوى على العرش) بالحفظ والتدبير (وسخر الشمس والقمر) ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة تنفع فى حدوث الكائنات وبقائها (كل يجرى لاجل مسمى) لمدة معينة يتم فيها ادواره اولغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت (يدبر الامر) امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك (يفصل الآيات) ينزلها ويبينها مفصلة اويحدث الدلائل واحدا بعد واحد (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) لكى تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء (وهو الذى مد الارض) بسطها طولا وعرضا ليثبت عليها الاقدام وينقلب عليها الحيوان (وجعل فيها رواسى) جبالا ثوابت من رسى الشئ اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انها صفة اجبل او للمبالغة (وانهارا) ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها (ومن كل الثمرات) متعلق بقوله (جعل فيها زوجين اثنين) اى وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير (يغشى الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائى وابوبكر يغشى بالتشديد (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها (وفى الارض قطع متجاورات) بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع فى الطبيعة الارضية ومايلزمها ويعرض لها بتوسط مايعرض من الاسباب السماوية

من حيث انها متضامة متشاركة فى النسب والاوضاع (وجنات من اعناب وزرع ونخيل) وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر فى اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات (صنوان) نخلات اصلها واحد (وغير صنوان) ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة بنى تميم كقنوان فى جمع قنو (نسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) فى الثمر شكلا وقدرا وراتحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لايكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ماذكر وحمزة والكسائى يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم بالتفكر (وان تعجب) يامحمد من انكارهم البعث (فعجب قولهم) حقيق بان تتعجب منه فان من قدر على انشاء ماقص عليك كانت الاعادة ايسر شئ عليه والآيات المعدودة كما هى دالة على وجود المبدأ فهى دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته (أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد) بدل من قولهم او مفعول له والعامل فى اذا محذوف بدل عليه انما لفى خلق جديد (اولئك الذين كفروا بربهم) لانهم كفروا بقدرته على البعث (واولئك الاغلال فى اعناقهم) مقيدون بالضلالة لايرجى خلاصهم اويغلون يوم القيامة (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) لاينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزآء (وقد خلت من قبلهم المثلات) العقوبات لامثالهم من المكذبين فمالهم لم يعتبروا بها ولم يحوز واحلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه الا اقتصصه منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح التاء على جمع مثلة كركبة وركبات (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) مع ظلمهم انفسهم ومحلة النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على

(ذو انتقام) ممن عصاه اذكر (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) هو يوم القيامة فيحشر الناس على ارض بيضاء نقية كما فى حديث الصحيحين وروى مسلم حديث سئل صلى الله عليه وسلم اين الناس يومئذ قال على الصراط (وبرزوا) خرجوا من القبور (لله الواحد القهار وترى) يامحمد تبصر (المجرمين) الكافرين (يومئذ مقرنين) مشدودين مع شياطينهم (فى الاصفاد) القيود او الاغلال (سرابيلهم) قمصهم (من قطران) لانه ابلغ لاشتغال النار (وتغشى) تعلو (وجوههم النار ليجزى) متعلق ببرزوا (الله كل نفس ماكسبت) من خير وشر (ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع الخلق فى قدر نصف نهار من ايام الدنيا لحديث بذلك (هذا) القرآن (بلاغ للناس) اى انزل لتبلغهم (ولينذروا به وليعلموا) بما فيه من الحجج (انما هو) اى الله (اله واحد وليذكر) بادغام التاء

ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال (وان ربك لشديد العقاب) للكفار اولمن يشاء وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا نحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام (انما انت منذر) مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك (ولكل قوم هاد) نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف بالياء في هذا الاحرف الاربعة حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء فقال (الله يعلم ما تحمل كل انثى) اى حملها او ما تحمله انه على اى حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة (وما تغيض الارحام وما تزداد) وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة وروى ان الضحاك ولد لسنتين وهرم ابن حيان لاربع سنين واعلى عدده لاحد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة رضي الله عنه وقال الشافعي رحمه الله اخبرني شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدأد واتسعا فان جعلتهما لازمين تعين ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى اولما فيها (وكل شيء عنده بمقدار) بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعاضانا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأله اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك (عالم الغيب) الغائب عن الحس (والشهادة) الحاضر له (الكبير) العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء (المتعال)

في الاصل في الذال يتعظ
(أولوا الالباب) اصحاب العقول
(سورة الحجر مكية تسع وتسعون آية)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الر) الله اعلم بمراده بذلك
(تلك) هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (وقرآن مبين) مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة (ربما) بالتشديد والتخفيف (يود) يتمنى (الذين كفروا) يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين (لو كانوا مسلمين) ورب للتكثير فانه يكثر منهم تمني ذلك وقيل للتقليل فان الاهوال تدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك الا في احيان قليلة (ذرهم) اترك الكفار يا محمد (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم (ويلههم) يشغلهم (الامل) بطول العمر وغيره عن الايمان (فسوف يعلمون) عاقبة امرهم وهذا قبل الامر بالقتال (وما اهلكنا من) زائدة (قرية) اريد اهلها (الا ولها كتاب) اجل (معلوم) محدود لاهلاكها

المستعلى على كل شئ بقدرته او الذى كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه (سواء منكم من اسر القول) فى نفسه (ومن جهر به) لغيره (ومن هو مستخف بالليل) طالب للخفاء فى مختبأ بالليل (وسارب) بارز (بالنهار) يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من فى معنى الاثنين كقوله * نكن مثل من يا ذئب يصطحبان * كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله (له) لمن اسرا وجهرا واستخفى اوسرب (معقبات) ملائكة تعتقب فى حفظه جمع معقبة مبالغة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا اولانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها اواعتقب فادغمت التاء فى القاف والتاء للمبالغة اولان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب اومعقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين (من بين يديه ومن خلفه) من جوانبه اومن الاعمال ماقدم واخر (يحفظونه من امر الله) من بأسه متى اذنب بالاستمهال اوالاستغفار له اويحفظونه من المضار اويراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه فى توهمه من قضاء الله (ان الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بانفسهم) من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة (واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له) فلا رد له والعامل فى اذا مادل عليه الجواب (ومالهم من دونه من وال) ممن يلى امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله تعالى محال (هو الذى يريكم البرق خوفا) من اذاه (وطمعا) فى الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اى ارادة خوف وطمع اوالتأويل بالاخافة والاطماع اوالحال من البرق اوالمخاطبين على اضمار ذوى اواطلاق المصدر بمعنى المفعول اوالفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه (وينشئ السحاب) الغيم المنسحب فى الهواء (الثقال) وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس فى معنى الجمع (ويسبح الرعد) ويسبح سامعوه (بحمده) ملتبسين به فيصيحون بسبحان الله والحمد لله اويدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته

(ماتسبق) من زائدة (امة اجلها ويستأخرون) يتأخرون عنه (وقالوا) اى كفار مكة للنبى صلى الله عليه وسلم (يا ايها الذى نزل عليه الذكر) القرآن فى زعمه (انك لمجنون لوما) هلا (تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) فى قولك انك نبى وان هذا القرآن من عند الله قال تعالى (ما ننزل) فيه حذف احدى التاءين (الملائكة الا بالحق) بالعذاب (وما كانوا اذا) اى حين نزوله الملائكة بالعذاب (منظرين) موخرين (انا نحن) تأكيد لاسم ان اوفصل (نزلنا الذكر) القرآن (وانا له لحافظون) من التبديل والتحريف والزيادة والنقص (ولقد ارسلنا من قبلك) رسلا (فى شيع) فرق (الاولين وما) كان (يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (كذلك نسلكه) اى مثل ادخالنا التكذيب فى قلوب اولئك ندخله (فى قلوب المجرمين) اى كفار مكة

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه محاريق من نار يسوق بها السحاب (والملائكة من خيفته) من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرد (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) فيهلكه (وهم يجادلون فى الله) حيث يكذبون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد فى الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو امالعطف الجملة على الجملة اوللحال فانه روى ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدين لقتله عليه السلام فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامر ابغدة فمات فى بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية فنزلت (وهو شديد المحال) المماحلة كعدة المكايدة لاعدائه من محل فلان بفلان اذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا فى القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد (له دعوة الحق) الدعاء الحق فانه الذى يحق ان يعبد اويدعى الى عبادته دون غيره اوله الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده مابعده والحق على الوجهين مايناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة اوعلى تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الآية فى عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اودلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اوبيان ضلالهم وفساد رأيهم (والذين يدعون) اى والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع اوالمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة

(لايؤمنون به) بالنبى صلى الله عليه وسلم (وقد خلت سنة الاولين) اى سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم انبياءهم وهؤلاء مثلهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه) فى الباب (يعرجون) يصعدون (لقالوا انما سكرت) سدت (ابصارنا بل نحن قوم مسحورون) يخيل الينا ذلك (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) اثنى عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهى منال الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشترى وله القوس والحوت وزحل وله الجدى والدلو (وزيناها) بالكواكب (للناظرين وحفظناها) بالشهب (من كل شيطان رجيم) مرجوم (الا) لكن (من استرق السمع) خطفه

(من دونه) عليه (لايستجيبون لهم بشئ) من الطلبات (الا كباسط كفيه) الااستجابة كاستجابة من بسط كفيه (الى الماء ليبلغ فاه) يطلب منه ان يبلغه (وماهو ببالغه) لانه جماد لايشعر بدعائه ولايقدر على اجابته والاتيان بغير ماجبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء باسط بالتنوين (ومادعاء الكافرين الا فى ضلال) فى ضياع وخسارة وباطل (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها) يحتمل ان يكون السجود على حقيقة فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتى الشدة والرخاء والكفرة له كرها حالة الشدة والضرورة (وظلالهم) بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ماأراده فيهم شاؤا اوكرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله (بالغدو والآصال) ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام اوحال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة والآصال جمع اصيل وهو مابين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل (قل من رب السموات والارض) خالقهما ومتولى امرهما (قل الله) اجب عنهم بذلك اذلاجواب لهم سواه ولانه البين الذى لايمكن المراء فيه اولقنهم الجواب به (قل افاتخذتم من دونه) ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل (اولياء لايملكون لانفسهم نفعا ولاضرا) لايقدرون على ان يجلبوا اليها نفعا اويدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم فى اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم (قل هل يستوى الاعمى والبصير) المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم (ام هل تستوى الظلمات والنور) الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالياء (ام جعلوا لله شركاء) بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله (خلقوا كخلقه) صفة لشركاء داخلة فى حكم الانكار (فتشابه الخلق عليهم) خلق الله وخلقهم والمعنى انهم مااتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين (فاتبعه شهاب مبين) كوكب يضئ يحرقه او يثقبه او يخبله (والارض مددناها) بسطناها (والقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت لئلا تتحرك باهلها (وانبتنا فيها من كل شئ موزون) معلوم مقدر (وجعلنا لكم فيها معايش) بالياء من الثمار والحبوب (و) جعلنا لكم (من لستم برازقين) من العبيد والدواب والانعام فانما يرزقهم الله (وان) ما (من) زائدة (شئ الا عندنا خزائنه) مفاتيح خزائنه (وماننزله الا بقدر معلوم) على حسب المصالح (وارسلنا الرياح لواقح) تلقح السحاب فيتلئ ماء (فأنزلنا من السماء) السحاب (ماء) مطرا (فأسقيناكموه وماانتم له بخازنين) اى ليست خزائنه بأيديكم (وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون) الباقون نرث جميع الخلق (ولقد علمنا المستقدمين منكم) اى من تقدم من الخلق من لدن آدم (ولقد علمنا المستأخرين) المتأخرين الى يوم القيامة (وان ربك هو يحشرهم

لايقدرون على مايقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شئ) اى لاخالق غيره فيشاركه فى العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفا عما سواه ليدل على قوله (وهوالواحد) المتوحد بالالوهية (القهار) الغالب على كل شئ (انزل من السماء ماء) من السحاب اومن جانب السماء اومن السماء نفسها فان المبادى منها (فسالت اودية) انهار جمع واد وهوالموضع الذى يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجارى فيه وتنكيرها لان المطر يأتى على تناوب بين البقاء (بقدرها) بمقدارها الذى علم الله تعالى انه نافع غيرضار اوبمقدارها فى الصغر والكبر (فاحتمل السيل زبدا) رفعه والزبد وضر الغليان (رابيا) عاليا (ومما توقدون عليه فى النار) يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهار لكبريائه (ابتغاء حلية) اى طلب حلية (اومتاع) كالاوانى وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها (زبد مثله) اى ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء اوللتبعيض وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به (كذلك يضرب الله الحق والباطل) مثل الحق والباطل فانه مثل الحق فى افادته وثباته بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع و يمكث فى الارض بان يثبت بعضه فى منابعة ويسلك بعضه فى عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذى ينتفع به فى صوغ الحلى واتخاذ الامتعة المختلفة و يدوم ذلك مدة متطاولة والباطل فى قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله (فاما الزبد فيذهب جفاء) يجفأ به ان يرمى به السيل اوالفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد (واما مايفع الناس) كالماء وخلاصة الفلز (فيمكث فى الارض) ينتفع به اهلها (كذلك يضرب الله الامثال) لايضاح المشتبهات (للذين استجابوا) للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا جزآء الحسنى وهى المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره (لوان لهم

انه حكيم) فى صنعه (عليم) بخلقه (ولقد خلقنا الانسان) آدم (من صلصال طين يابس يسمع له صلصلة اى صوت اذانقر (من حمأ) طين اسود (مسنون) متغير (والجان) ابا الجن وهوابليس (خلقناه من قبل) اى قبل خلق آدم (من نار السموم) هى نار لادخان لها تنفذ فى المسام (و) اذكر (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته) اتممة (ونفخت) اجريت (فيه من روحى) فصار حيا واضافة الروح اليه تشريفا لادم (فقعوا له ساجدين) سجود تحية بالانحناء (فسجد الملائكة كلهم اجمعون) فيه تأكيدان (ان ابليس) هو ابو الجن كان بين الملائكة (ابى) امتنع من (ان يكون مع الساجدين قال) تعالى (يا ابليس مالك) مامنعك (ان لا) زائدة (تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد (لاينبغى لى ان اسجد) لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فاخرج منها) اى من الجنة وقيل من السموات

مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين (اولئك لهم سوء الحساب) وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لايغفر منه شئ (ومأواهم) مرجعهم (جهنم وبئس المهاد) المستقر والمخصوص بالذم محذوف (افمن يعلم ان ماانزل اليك من ربك الحق) فيستجيب (كمن هو اعمى) عمى القلب لايستبصر فتستجيب والهمزة لانكار ان يقع شبهة فى تشابههما بعد ماضرب من المثل (انما يتذكر اولوا الالباب) ذووا العقول المبرات مشابعة الالف ومعارضة الوهم (الذين يوفون بعدالله) بما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى اوما عهده الله تعالى عليهم فى كتبه (ولاينقضون الميثاق) ماوثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ماامرالله به ان يوصل) من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس (ويخشون ربهم) وعيده عوما (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا (والذين صبروا) على ماتكرهه النفس ومخالفة الهوى (ابتغاء وجه ربهم) طلبا لرضاه لافخورا وسمعة ونحوهما (واقاموا الصلاة) المفروضة (وانفقوا مما رزقناهم) بعضه الذى وجب عليهم انفاقه (سرا) لمن لم يعرف بالمال (وعلانية) لمن عرف به (ويدرأون بالحسنة السيئة) ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان اويتبعون الحسنة السيئة فتمحوها (اولئك لهم عقبى الدار) عاقبة الدنيا وماينبغى ان يكون مآل اهلها وهى الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جلت صفات لاولى الالباب فاستئناف بذكر ماستوجبوا بتلك الصفات (جنات عدن) بدل من عقبى الدار اومبتدأ خبره (يدخلونها) والعدن الاقامة اى جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة (ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) عطف على المرفوع فى يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر اومفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة اوان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى انفسهم والتقييد بالصلاح

(فانك رجيم) مطرود (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) الجزاء (قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون) اى الناس (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) وقت النفخة الاولى (قال رب بما اغويتنى) اى باغوائك لى والباء للقسم وجوابه (لأزينن لهم فى الارض) المعاصى (ولأغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين) اى المؤمنين (قال) تعالى (هذا صراط على مستقيم) وهو (ان عبادى) اى المؤمنين (ليس لك عليهم سلطان) قوة (الا) لكن (من اتبعك من الغاوين) الكافرين (وان جهنم لموعدهم اجمعين) اى من تبعك معك (لها سبعة ابواب) اطباق (لكل باب) منها (منهم جزء) نصيب (مقسوم ان المتقين فى جنات) بساتين (وعيون) تجرى فيها ويقال لهم (ادخلوها بسلام) اى سالمين من كل مخوف اومع سلام اى سلموا

دلالة على ان مجرد الانساب لاتنفع (والملائكة يدخلون عليه من كل باب) من ابواب المنازل اومن ابواب القصور والتحف قائلين (سلام عليكم) بشارة بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذا بما صبرتم لابسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية اوللبدلية (فنعم عقبى الدار) وقرئ فنعم بفتح النون والاصل يم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره (والذين ينقضون عهدالله) يعنى مقابلى الاولين (من بعد ميثاقه) من بعدما اوثقوه به من الاقرار والقبول (ويقطعون ماامر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض) بالظلم وتهييج الفتن (اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) عذاب جهنم اوسوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسعه ويضيقه (وفرحوا) اى اهل مكة (بالحياة الدنيا) بما بسط لهم فى الدنيا (وماالحياة الدنيا فى الاخرة) اى فى جنب الآخرة (الامتاع) الامتعة لاتدوم كعجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو فى جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدى اليه من اناب) اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجرى مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ماأعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتداهم وان انزلت كل آية ويهدى اليه من اناب بماجئت به بل بادنى منه من الآيات (الذين آمنوا) بدل من من اوخبر مبتدأ محذوف (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) انسابه واعتمادا عليه ورجاء منه اوبذكر رحمته بعد القلق من خشيته اوبذكر دلائله الدلالة على وجوده ووحدانيته اوبكلامه يعنى القرآن الذى هو اقوى المعجزات (الا بذكر الله تطمئن القلوب) تسكن اليه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره (طوبى لهم) وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوالضمة ماقبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ (وحسن مآب) بالنصب (كذلك) مثل ذلك يعنى ارسال الرسل قبلك (ارسلناك فى امة قدخلت من قبلها) تقدمتها (امم) ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها (لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب الذى اوحيناه اليك (وهم يكفرون بالرحمن) وحالهم انهم

وادخلوا (آمنين) من كل فزع (ونزعنا مافى صدورهم من غل) حقد (اخوانا) حال من هم (على سرر متقابلين) حال ايضا اى ينصر بعضهم الى قفابعض اور ان الاسرة بهم (لايمسهم فيها نصب) تعب (وماهم منها بمخرجين) ابدا (نبئ) خبريا محمد (عبادى انى انا الغفور) للمؤمنين (الرحيم) بهم (وان عذابى) للعصاة (هو العذاب الاليم) المؤلم (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) وهم ملائكة اثنا عشر اوعشرة اوثلاثة منهم جبريل (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) اى هذا اللفظ (قال) ابراهيم لما عرض عليهم الاكل فلم يأكلوا (انا منكم وجلون) خائفون) قالوا لاتوجل) تخف (انا) رسل ربك (نبشرك بغلام عليم) ذى علم كثير هو اسحق كما ذكر فى هود (قال ابشر تمونى) بالولد (على ان مسنى الكبر) حال اى معه مسه اياى (فبم) فبأى شئ (تبشرون) استفهام

يكفرون بالبليغ الرحمة الذى احاطت بهم نعمته ووسعت كل شئ رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذى هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت فى مشركى اهل مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن (قل هو ربى) اى الرحمن خالقى ومتولى امرى (لا اله الا هو) لامستحق للعبادة سواه (عليه توكلت) فى نصرتى عليكم (واليه متاب) مرجعى ومرجعكم (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال) شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن او المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم اى ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها (او قطعت به الارض) تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا (او كلم به الموتى) فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية فى الاعجاز والنهاية فى التذكير والانذار او لما آمنوا به لقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث به قصى بن كلاب وغيره من آبائنا لنكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقى (بل لله الامر جميعا) بل لله القدرة على كل شئ وهو اضراب عن مانضمنته لو من معنى النفى اى بل لله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لاتلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله (افلم ييأس الذين آمنوا) عن ايمانهم مع مارأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المأيوس منه لايكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله (ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) فان معناه نفى هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدو الناس جميعا او با آمنوا (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من الكفر وسوء الاعمال (قارعة) داهية تقرعهم وتقلعهم (او تحل قريبا من دارهم) فيفزعون منها ويتطاير

تعجب (قالوا بشرناك بالحق) بالصدق (فلا تكن من القانطين) الآيسين (قال ومن) اى لا (يقنط) بكسر النون وفتحها (من رحمة ربه الا الضالون) الكافرون (قال فما خطبكم) شانكم (ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) كافرين اى قوم لوط لاهلاكهم (الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين) لايمانهم (الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين) الباقين فى العذاب لكفرها (فلما جاء آل لوط) اى لوطا (المرسلون قال) لهم (انكم قوم منكرون) لا اعرفكم (قالوا بل جئناك بما كانوا) اى قومك (فيه يمترون) يشكون وهو العذاب (واتيناك بالحق وانا لصادقون) فى قولنا (فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم) امش خلفهم (ولا يلتفت منكم احد) لئلا يرى عظيم ماينزل بهم (وامضوا حيث تؤمرون) وهو الشام (وقضينا) اوحينا (اليه ذلك الامر) وهو (ان

دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) حال اى يتم استئصالهم فى الصباح (وجاء اهل المدينة) مدينة سدوم وهم قوم لوط لما اخبروا ان فى بيت لوط مردا حسانا وهم الملائكة (يستبشرون) حال طمعا فى فعل الفاحشة بهم (قال) لوط (ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون) بقصدكم اياهم بفعل الفاحشة بهم (قالوا اولم ننهك عن العالمين) عن اضافتهم (قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين) ماتريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن قال تعالى (لعمرك) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى وحياتك (انهم لفى سكرتهم يعمهون) يترددون (فاخذتهم الصيحة) صيحة جبريل (مشرقين) وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها) اى قراهم (سافلها) بان رفعها جبريل الى السماء واسقطها مقلوبة الى الارض (وامطرنا عليهم حجارة من سجيل) طين طبخ بالنار (ان فى ذلك) المذكور (لايات) دلالات على

اليهم شررها وقيل الآية فى كفار مكة فانهم لايزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام كان لايزاله يبعث السرايا عليهم فتغير حواليهم وتخطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول عليه الصلاة والسلام فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية (حتى يأتى وعد الله) الموت او القيامة او فتح مكة (ان الله لايخلف الميعاد) لامتناع الكذب فى كلامه (ولقد استهزئ برسل من قبلك فاملیت للذين كفروا) تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان فى دعة وأمن (ثم اخذتهم فكيف كان عقاب) اى عقابى اياهم (افمن هو قائم على كل نفس) رقيب عليها (بما كسبت) من خير اوشر لايخفى عليه شئ من اعمالهم ولايفوت عنده شئ من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك (وجعلوا لله شركاء) استئناف اوعطف كسبت ان جعلت مامصدرية ويجوز ان يقدر مايقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا اى افمن هو بهذة الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله (قل سموهم) تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لايستحقونها والمعنى صفوهم فانظر واهل لهم مايستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة (ام تنبئونه) بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف (بما لايعلم فى الارض) بشركاء يستحقون العبادة لايعلمهم الله او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لايعلمها وهو العالم بكل شئ (ام بظاهر من القول) ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجى كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاعجاز (بل زين للذين كفروا مكرهم) تمويههم فتخيلوا باطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اى وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين (ومن يضلل الله) يخذله (فماله من هاد) يوفقه للهدى (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل والاسر وسائر مايصيبهم من المصائب (ولعذاب الآخرة اشق) لشدته ودوامه (ومالهم من الله) من عذابه اورحمته (من واق) حافظ (مثل الجنة التى وعد المتقون)

صفتها التى هى مثل فى الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره (تجرى من تحتها الانهار) على طريقة قولك صفة زيد اسمر اوعلى حذف موصوف اى مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الانهار اوعلى زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة (اكلها دائم) لاينقطع ثمرها (وظلها) اى وظلها كذلك لاينسخ كاينسخ فى الدنيا بالشمس (تلك) اى الجنة الموصوفة (عقبى الذين اتقوا) ما لهم ومنتهى امرهم (وعقبى الكافرين النار) لاغير وفى ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك) يعنى المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه و من آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران ثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة اوعامتهم فانهم كانوا يفرحون بمايوافق كتبهم (ومن الاحزاب) يعنى كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما (من ينكر بعضه) وهو مايخالف شرآئعهم اومايوافق ماحرفوه منها (قل انما امرت ان اعبدالله ولااشرك به) جواب للمنكرين اى قل لهم انى امرت فيما انزل الى بان اعبدالله واوحده وهو العمدة فى الدين ولاسبيل لكم الى انكاره واما ماتنكرونه لما يخالف شرآئعكم فليس ببدع مخالفة الشرآئع والكتب الالهية فى جزئيات الاحكام وقرئ ولااشرك بالرفع على الاستئناف (اليه ادعو) لاالى غيره (واليه ماب) واليه مرجعى للجزآء لاالى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ماعدا ذلك من التفاريع فما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه (وكذلك) ومثل هذا الانزل المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها (انزلناه حكما) يحكم فى القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة (عربيا) مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال (ولئن اتبعت اهوآءهم) التى يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم (بعدما جاءك من العلم) بنسخ ذلك (مالك من الله من ولى ولاواق) ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات فى دينهم (ولقد ارسلنا رسلا

وحداتية الله (للمتوسمين) للناظرين المعتبرين (وانها) اى قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) طريق قريش الى الشام لم تندرس افلا تعتبرون بهم (ان فى ذلك لآية) لعبرة (للمؤمنين وان مخففة اى انه (كان اصحاب الايكة) هى عيضة شجر بقرب مدين وهم قوم شعيب (لظالمين) بتكذيبهم شعيبا (فانتقمنا منهم) بان اهلكناهم بشدة الحر (وانهما) اى قرى قوم لوط والايكة (لبامام) طريق (مبين) واضح افلا تعتبرون بهم يا اهل مكة (ولقد كذب اصحاب الحجر) وادبين المدينة والشام وهم ثمود (المرسلين) بتكذيبهم صالحا لانه تكذيب لباقى الرسل لاشتراكهم فى المجئ بالتوحيد (وآتيناهم آياتنا) فى الناقة (فكانوا عنها معرضين) لايتفكرون فيها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين) وقت الصباح (فما اغنى) دفع (عنهم) العذاب (ما كانوا يكسبون) من بناء الحصون وجمع الاموال (وماخلقنا

من قبلك) بشرا مثلك (وجعلنا لهم ازواجا وذرية) نساء واولادا كما هى لك (وما كان لرسول) وما صح له ولم يكن فى وسعه (ان يأتى بآية) تقترح عليه وحكم يلتمس منه (الا باذن الله) فانه الملى بذلك (لكل اجل كتاب) لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على مايقتضيه استصلاحهم (يمحو الله مايشاء) بنسخ مايستصوب نسخه (ويثبت) ماتقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة مالا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت مارآه وحده فى صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويثبت بالتشديد (وعنده ام الكتاب) اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه (وامانرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك) كيف مادارت الحال ارينك بعض ماوعدناهم او توفيناك قبله (فانما عليك البلاغ) لاغير (وعلينا الحساب) المجازاة لاعليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه (اولم يروا انا نأتى الارض) ارض الكفرة (ننقصها من اطرافها) بما نفتحه على المسلمين منها (والله يحكم لامعقب لحكمه) لارادله وحقيقته الذى يعقب الشئ بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لايمكن تغييره ومحل لامع المنفى النصب على الحال اى يحكم نافذا حكمه (وهو سريع الحساب) فيحاسبهم عما قليل فى الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والاجلاء فى الدنيا (وقد مكر الذين من قبلهم) بانبيائهم والمؤمنين منهم (فلله المكر جميعا) اذلا يوبه بمكر دون مكر فانه القادر على ماهو المقصود منه دون غيره (يعلم ماتكسب كل نفس) فيعد جزاءها (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) من الحزبين حيثما يأتيهم العذاب المعدلهم وهم فى غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحودة مع مافى الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمر والكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اى اهله وسيعلم من اعلمه اخبره (يقول الذين كفروا لست مرسلا) قيل المراد بهم رؤساء اليهود (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) فانه اظهر

السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآية لامحالة فيجازى كل احد بعمله (فاصفح) يامحمد عن قومك (الصفح الجميل) اعرض عنهم اعراضا لا جزع فيه وهذا منسوخ بآية السيف (ان ربك هو الخلاق) لكل شئ (العليم) بكل شئ (ولقد آتيناك سبعا من المثانى) قال صلى الله على عليه وسلم هى الفاتحة رواه الشيخان لانها تثنى فى كل ركعة (والقرآن العظيم لاتمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجا) اصنافا (منهم ولاتحزن عليهم) ان لم يؤمنوا (واخفض جناحك) الن جانبك (للمؤمنين وقل انى انا النذير) من عذاب الله ان ينزل عليكم (المبين) البين الانذار (كما انزلنا) العذاب (على المقتسمين) اليهود والنصارى (الذين جعلوا القرآن) اى كتبهم المنزلة عليهم (عضين) اجزاء حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الاسلام وقال بعضهم فى القرآن سحر

من الادلة على رسالتى مايغنى عن شاهد يشهد عليها (ومن عنده علم الكتاب) علم القرأن وماالف عليه من النظم المعجزا وعلم التوراة وهو ابن سلام واضرا به اوعلم اللوح المحفوظ وهوالله تعالى اى كفى بالذى يستحق العبادة ، بالذى لايعلم مافى اللوح الاهو شهيدا بيننا فيجزى الكاذب منا و يؤيده قرآءة من قرأ من عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول * عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهدالله تعالى

(سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهى احدى وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر كتاب) اى هو كتاب (انزلناه اليك لتخرج الناس) بدعائك اياهم الى ماتضمنه (من الظلمات) من انواع الضلال (الى النور) الى الهدى (باذن ربهم) بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج اوحال من فاعله اومفعوله (الى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله الى النور بتكرير العامل اواستئناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله تعالى امالانه مقصده اوالمظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لايذل سالكه ولايخيب سائله (الله الذى له مافى السموات ومافى الارض) على قرآءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر مبتدأ محذوف والذى صفته وعلى قرآءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق (وويل للكافرين من عذاب شديد) وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الاانه لم يشتق منه فعل لكنه رفع لافادة الثبات (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره (ويصدون عن سبيل الله) بتعويق الناس عن ايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان فى ضده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة (ويبغونها عوجا) ويبغون لها زيغا ونكوبا

وبعضهم كهانة وبعضهم شعر (فوربك لنسألنهم اجمعين) سؤال توبيخ (عما كانوا يعملون فاصدع) يا محمد (بما تؤمر) اى اجهر به وامضه (واعرض عن المشركين) هذا قبل الامر بالجهاد (انا كفيناك المستهزئين بك باهلاكنا كلا منهم بآفة وهم وليد بن المغيرة والعاصى بن وائل وعدى بن قيس والاسود بن المطلب والاسود بن عبديغوث (الذين يجعلون مع الله الها آخر) صفة وقيل مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء فى خبره وهو (فسوف يعلمون) عاقبة امرهم (ولقد) للتحقيق (نعلم انك يضيق صدرك بمايقولون) من الاستهزاء والتكذيب (فسبح) ملتبسا (بحمد ربك) اى قل سبحان الله وبحمده (وكن من الساجدين) المصلين (واعبد ربك حتى ياتيك اليقين) الموت

* سورة النحل مكية الا وان عاقبتم الى آخرها مائة وثمان وعشرون آية *

(بسم الله الرحمن الرحيم) لما استبطأ المشركون العذاب نزل (اتى امر الله) اى الساعة واتى بصيغة الماضى لتحقق وقوعه اى قرب (فلا تستعجلوه) تطلبوه قبل حينه فانه واقع لامحالة (سبحانه) تنزيها له (وتعالى عما يشركون) به غيره (ينزل الملائكة) اى جبريل (بالروح) بالوحى (من امره) بارادته (على من يشاء من عباده) وهم الانبياء (ان) مفسرة (انذروا) خوفوا الكافرين بالعذاب واعلموهم (انه لااله الا انا فاتقون) خافون (خلق السموات والارض بالحق) اى محقا (تعالى عما يشركون) به من الاصنام (خلق الانسان من نطفة (منى الى ان صيره قويا شديدا (فاذا هو خصيم) شديد الخصومة (مبين) بينها فى نفى البعث قائلا من يحيى العظام وهى رميم (والانعام) الابل والبقر والغنم ونصبه بفعل مقدر يفسره (خلقها لكم) فى جملة الناس (فيها دفء)

عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه اوعلى انه مبتدأ خبره (اولئك فى ضلال بعيد) اى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد فى الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة اوللامر الذى به الضلال فوصف به لملابسته (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) الا بلغة قومه الذى هو منهم وبعث فيهم (ليبين لهم) ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على الستتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد فى تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المنشعبة منها ومافى اتعاب القرائح وكد النفس من اقرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان الله تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم جمها جبريل عليه السلام اوكل نبى بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب (فيضل الله من يشاء) فيخذله عن الايمان (ويهدى من يشاء) بالتوفيق له (وهو العزيز) فلا يغلب على مشيئته (الحكيم) الذى لا يضل ولا يهدى الا لحكمة (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) يعنى اليد والعصا وسائر معجزاته (ان اخرج قومك من الظلمات الى النور) بمعنى اى اخرج لان فى الارسال معنى القول اوبان اخرج فان صيغ الافعال سواء فى الدلالة على المصدر فتصح ان يوصل بها ان الناصبة (وذكرهم بايام الله) بوقائعه التى وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون) اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز

ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام وتجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم) احوال من آل فرعون اومن ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد فى سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما بجنس العذاب اواستبعادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة (وفى ذلكم) من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه (بلاء من ربكم عظيم) ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة (واذ تأذن ربكم) من كلام موسى عليه السلام وتأذن بمعنى آذن كتوعد بمعنى اوعد غير انه ابلغ لما فى التفعل من معنى التكلف والمبالغة (لئن شكرتم) يابنى اسرائيل ماانعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح (لازيدنكم) نعمة الى نعمة (ولئن كفرتم ان عذابى لشديد) فلعلى اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر اومفعول تأذن على انه يجرى مجرى قال لانه ضرب منه (وقال موسى ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا) من الثقلين (فان الله لغنى) عن شكركم لنعمته (حميد) مستحق للحمد فى ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد (الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) من كلام موسى عليه الصلاة والسلام اوكلام مبتدأ من الله (والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله) جملة وقعت اعتراضا اوالذين من بعدهم عطف على ماقبله ولايعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لايعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه كذب النسابون (جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم) فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ اووضعوها عليها تعجبا منه اواستهزاء عليه كمن غلبه الضحك اواسكاتا للانبياء عليهم الصلاة والسلام وامرا لهم باطباق الافواه واشاروا بها الى السنتهم ومانطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لاجواب لهم سواء اوردوها فى افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا

ماتستدفؤن به من الأكسية والاردية من اشعارها واصوافها (ومنافع) من النسل والدر والركوب (ومنها تأكلون) قدم الظرف للفاصلة (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) تردونها الى مراحها بالعشى (وحين تسرحون) تخرجونها الى المرعى بالغداة (وتحمل اثقالكم) احمالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه واصلين اليه على غير الابل (الا بشق الانفس) بجهدها (ان ربكم لرؤف رحيم) بكم حيث خلقها لكم (و) خلق (الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) مفعول له والتعليل بهما لتعريف النعم لاينافى خلقها لغير ذلك كالاكل فى الخيل الثابت بحديث الصحيحين (ويخلق مالا تعلمون) من الاشياء العجيبة الغريبة (وعلى الله قصد السبيل) اى بيان الطريق المستقيم (ومنها) اى السبيل (جائر) حائد عن الاستقامة (ولو شاء) لهدايتكم (لهداكم) الى قصد السبيل (اجمعين)

وقيل الايدى بمعنى الايادى اى ردوا ايادى الانبياء التى هى مواعظهم وما اوحى اليهم من الحكم والشرائع فى افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه (ى قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به) على زعمكم (وانا لفى شك مما تدعوننا اليه) من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام (مريب) موقع فى الريبة اوذى ريبة وهى قلق النفس وان لاتطمئن الى شئ (قالت رسلهم افى الله شك) ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام فى المشكوك فيه لافى الشك اى انما ندعوكم الى الله لايحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك بقوله (فاطر السموات والارض) وهو صفة اوبدل وشك مرتفع بالظرف (يدعوكم) الى الايمان ببعثه ايانا (ليغفر لكم) اويدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرنى على اقامة المفعول له مقام المفعول به (من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو مابينكم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جئ بمن فى خطاب الكفرة دون المؤمنين فى جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت فى خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت فى خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصى ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم (ويؤخركم الى اجل مسمى) الى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر اعماركم (قالوا ان انتم الا بشر مثلنا) لافضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولوشاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل (تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) بهذه الدعوى (فأتونا بسلطان مبين) يدل على فضلكم واستحقاقكم بهذه المزية اوعلى صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ماجاؤه من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) سلموا مشاركتهم فى الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى (وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله) اى ليس الينا الاتيان بالآيات ولاتستبد به استطاعتنا حتى نأتى بما اقترحتموه وانما هو امر متعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبى بنوع من الآيات (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليتوكل عليه فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عموا الامر للاشعار بما يوجب

فتهتدون اليه باختياركم (هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب) تشربونه (ومنه شجر) ينبت بسببه (فيه تسيمون) ترعون دوابكم (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك) المذكور (لآية) دالة على وحدانيته تعالى (لقوم يتفكرون) فى صنعه فيؤمنون (وسخر لكم الليل والنهار والشمس) بالنصب عطفا على ماقبله والرفع مبتدا (والقمر والنجوم) بالوجهين (مسخرات) بالنصب حال والرفع خبر (بأمره) بارادته (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يتدبرون (و) سخر لكم (ماذرأ) خلق (لكم فى الارض) من الحيوان والنبات وغير ذلك (مختلفا الوانه) كأحمر واصفر واخضر وغيرها (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) يتعظون (وهو الذى سخر البحر) ذلله لركوبه والغوص فيه (لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك (وتستخرجوا منه حلية

التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الاترى قوله (ومالنا الانتوكل على الله) اى اى عذر لنا فى ان لانتوكل عليه (وقد هدينا سبلنا) التى بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفى العنكبوت (ولنصبرن على ما آذيتمونا) جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجزى من الكفار عليهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا اولتعودن فى ملتنا) حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل اوعودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد (فاوحى اليهم ربهم اى الى رسلهم) (لنهلكن الظالمين) على اضمار القول اواجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه (ولنسكننكم الارض من بعدهم) اى ارضهم وديارهم كقوله تعالى * واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها * وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا الاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن (ذلك) اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين (لمن خاف مقامى) موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة اوقيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل المقام مقحم (وخاف وعيد) اى وعيدى بالعذاب اوعذابى الموعود للكفار (واستفتحوا) سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة كقوله * ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق * وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سالوه ان ينصر الحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن (وخاب كل جبار عنيد) اى فتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة اومن القبيلتين كان اوقع (من ورائه جهنم) من بين يديه فانه مرصدلها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ماتوارى عنك (ويسقى من ماء) عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها مايلقى ويسقى من ماء (صديد) عطف بيان للماء وهو مايسيل من جلود اهل النار (يتجرعه) يتكلف جرعه وهو صفة للماء اوحال

تلبسونها) هى اللؤلؤ والمرجان (وترى) تبصر (الفلك) السفن (مواخر فيه) تمخر الماء اى تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة (ولتبتغوا) عطف على لتأكلوا تطلبوا من فضله) تعالى بالتجارة (لعلكم تشكرون) الله على ذلك (والقى فى الارض رواسى) جبالا ثوابت (أن) لا (تميد) تتحرك (بكم و) جعل فيها (انهارا) كالنيل (وسبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) الى مقاصدكم (وعلامات) تستدلون بها على الطرف كالجبال بالنهار (وبالنجم) بمعنى النجوم (هم يهتدون) الى الطرق والقبلة بالليل (افمن يخلق) وهو الله (كمن لايخلق) وهو الاصنام حيث تشركونها معه فى العبادة لا (افلا تذكرون) هذا فتؤمنون (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) تضبطوها فضلا ان تطيقوا شكرها ان الله لغفور رحيم) حيث يتم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم (والله يعلم ما تسرون وماتعلنون والذين

من الضمير فى يسقى (ولايكاد يسيغه) ولايقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يعص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس (ويأتيه الموت من كل مكان) اى اسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله (وماهو بميت) فيستريح (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) اى يستقبل فى كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنيهم التى ارسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعدلهم ان يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار (مثل الذين كفروا بربهم) مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة اوقوله (اعمالهم كرماد) وهى على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد (اشتدت به الريح) حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح (فى يوم عاصف) العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها اليه اواعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة (لايقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من اعمالهم (على شئ) لحبوطه فلايرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل (ذلك) اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون (هو الضلال البعيد) فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق (الم تر) خطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين (ان الله خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يعدمنكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم ومايتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال (وماذلك على الله بعزيز) بمتعذر اومتعسر فانه قادر لذاته لااختصاص له بمقدور دون مقدور ومن

تدعون) بالتاء والياء تعبدون (من دون الله) وهم الاصنام (لايخلقون شيأ وهم يخلقون) يصورون من الحجارة وغيرها (اموات) لاروح فيهم خبر ثان (غير احياء) تاكيد (ومايشعرن) اى الاصنام (ايان) وقت (يبعثون) اى الخلق فكيف يعبدون اذلايكون الها الا الخالق الحى العالم بالغيب (الهكم المستحق للعبادة منكم (اله واحد) لانظير له فى ذاته ولا صفاته وهو الله تعالى (فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) جاحدة للواحدانية (وهم مستكبرون متكبرون عن الايمان بها (لاجرم) حقا (ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون) فيجازيهم بذلك (انه لايحب المستكبرين) بمعنى انه يعاقبهم ونزل فى النضر بن الحرث (واذا قيل لهم ما) استفهامية (ذا) موصولة (انزل ربكم) على محمد (قالوا) هو (اساطير) اكاذيب (الاولين) اضلالا للناس (ليحملوا) فى عاقبة الامر (اوزارهم) ذنوبهم (كامله) لم يكفر منها شئ

هذا شأنه كان حقيقابان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء (وبرزوا لله جميعا) اى يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله تعالى ومحاسبته اولله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه (فقال الضعفؤا) الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو (للذين استكبروا) لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم (انا كنا لكم تبعا) فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب اومصدر نعت به للمبالغة اوعلى اضمار مضاف (فهل انتم مغنون عنا) دافعون عنا (من عذاب الله من شئ) من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشئ الذى هو عذاب الله تعالى ويجوز ان تكونا للتبعيض اى بعض شئ هو بعض عذاب الله تعالى والاعراب ماسبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء (قالوا) اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم (لو هدانا الله) للايمان ووفقنا له (لهديناكم) ولكن ضللنا فاضللنا كم اى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا اولو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضنا لكن سددونا طريق الخلاص (سواء علينا اجزعنا ام صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر (مالنا من محيص) منجى ومهرب من العذاب من الحيض وهو العدول عن جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ماروى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا (وقال الشيطان لما قضى الامر) احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا فى اشقياء من الثقلين (ان الله وعدكم وعد الحق) وعدا من حقه ان ينجزا ووعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء (ووعدتكم) وعدا باطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم (فاخلفتكم) جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه (وما كان لى عليكم من سلطان) تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصى (يوم القيامة ومن) بعض (اوزار الذين يضلونهم بغير علم) لانهم دعوهم الى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا فى الاثم (الا ساء) بئس (مايزرون) يحملونه حملهم هذا (قد مكر الذين من قبلهم) وهو نمرود بنى صرحا طويلا ليصعد منه الى السماء ليقاتل اهلها (فأتى الله) قصد (بنيانهم من القواعد) الاساس فارسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها (فخر عليهم السقف من فوقهم) اى وهم تحته (واتاهم العذاب من حيث لايشعرون) من جهة لاتخطر ببالهم وقيل هذا تمثيل لافساد ما ابرموه من المكر بالرسل (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلهم (ويقول) لهم الله على لسان الملائكة توبيخا (اين شركائى) بزعمكم (الذين كنتم تشاقون) تخالفون المؤمنين (فيهم) فى شأنهم (قال) اى يقول (الذين اوتوا العلم) من الانبياء والمؤمنين (ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين) يقولونه شماتة بهم (الذين تتوفاهم) بالتاء والياء (الملائكة

(فألقوا السلم) انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين (ما كنا نعمل من سوء) شرك فتقول الملائكة (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به ويقال لهم (فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى) مأوى (المتكبرين وقيل للذين اتقوا) الشرك (ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا) بالايمان (فى هذه الدنيا حسنة) حياة طيبة (ولدار الاخرة) اى الجنة (خير) من الدنيا ومافيها قال تعالى فيها (ولنعم دار المتقين) هى (جنات عدن) اقامة مبتدأ خبره (يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها مايشاؤن كذلك) الجزاء (يجزى الله المتقين الذين) نعت(تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من الكفر (يقولون) لهم عند الموت (سلام عليكم) ويقال لهم فى الآخرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل) ما (ينظرون) ينتظر الكفار (الا ان تأتيهم)بالتاء والياء (الملائكة) لقبض ارواحهم (اويأتى امر ربك) العذاب

الا ان دعوتكم) الادعائى اياكم اليها بتسويل وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا (فاستجبتم لى) استرعتم اجابتى (فلا تلوموني) بوسوستى فان من صرح العداوة لايلام بامثال ذلك (ولوموا انفسكم) حيث اطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيه مايدل عليه اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل مافى فعله وهو الكسب الذى يقوله اصحابنا (ماانا بمصرخكم) بمغيثكم من العذاب (وما انتم بمصرخى) بمغيثى وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض فى مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحرى ان لاتكسر وقبلها ياء اوعلى لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة (انى كفرت بمااشركتمون من قبل) ماامامصدرية ومن متعلقة باشركتمونى اى كفرت اليوم باشراككم اياى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم اوموصولة بمعنى من نحو مافى قولهم سبحان ماسخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اى كفرت بالذى اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان (ان الظالمين لهم عذاب اليم) تتمة كلامه اوابتداء كلام من الله تعالى وفى حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم (وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم) باذن الله تعالى وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله (تحيتهم فيها سلام) اى تحييهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم (الم تر كيف ضرب الله مثلا) كيف اعتمده ووضعه (كلمة طيبة كشجرة طيبة) اى جعل كلمة طيبة كشجرة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة

صفتها او خبر مبتدأ محذوف اى هى كشجرة وان يكون اول مفعولى ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء (اصلها ثابت) فى الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) واعلاها (فى السماء) ويجوز ان يريد وفروعها اى افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ (تؤتى اكلها) تعطى ثمرها (كل حين) اقته الله تعالى لاثمارها (باذن ربها) بارادة خالقها وتكوينه (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى وادناء لها من الحس (ومثل كلمة خبيثة كشجرة) كمثل شجرة (حبيثة اجتثت) استؤصلت واخذت جثتها بالكلية (من فوق الارض) لان عروقها قريبة منه (مالها من قرار) استقرار واختلف فى الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما مايعم ذلك فالكلمة الطيبة ماأعرب عن حق اودعاء الى صلاح والكلمة الخبيثة ماكان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وبشجر فى الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا مايعم ذلك (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم (فى الحياة الدنيا) فلا يزلون اذا افتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى عليهما السلام وجرجيس وشمعون والذى فتنهم اصحاب الاخدود (وفى الآخرة) فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف ولا يدهشهم اهوال يوم القيامة وروى انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره فيقولان له من ربك ومادينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (ويضل الله الظالمين) الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون فى مواقف الفتن (ويفعل الله مايشاء) من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه (الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) اى شكر نعمته

او القيامة المشتملة لهيده

(كذلك) كما فعل هؤلاء (فعل الذين من قبلهم) من الامم كذبوا رسلهم فاهلكوا (وماظلمهم الله) باهلاكهم بغير ذنب (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالكفر (فاصابهم سيأت ماعملوا) اى جزاؤها (وحاق) نزل (بهم ماكانوا به يستهزؤن) اى العذاب (وقال الذين اشركوا) من اهل مكة (لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ)من البحائر والسوائب فاشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به قال تعالى (كذفعل الذين من قبلهم اى كذبوا رسلهم فيماجاؤا به (فهل) فما (على الرسل الا البلاغ المبين) الابلاغ البين وليس عليهم هداية (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا) كما بعثناك فى هؤلاء (ان) اى بان (اعبدوا الله) وحده (واجتنبوا الطاغوت) الاوثان ان تعبدوها (فمنهم من هدى الله) فآمن (ومنهم من حقت) وجبت (عليه الضلالة) فى علم الله فلم يؤمن (فسيروا) يا كفار مكة

كفرا بان وضعوه مكانه اوبدلو نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها مخلصين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما هم الافجر ان من قريش بنوا لمغيرة وبنوا اميه فاما بنوا المغيرة فكيتموهم يوم بدر واما بنوا اميه فمتعوا الى حين (واحلوا قومهم) الذين شايعوهم فى الكفر (دار البوار) دار الهلاك بحملهم على الكفر (جهنم) عطف بيان لها (يصلونها) حال منها اومن القوم اى داخلين فيها مقاسين لحرها اومفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم (وبئس القرار) اى وبئس المقر جهنم (وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله) الذى هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال والاضلال غرضهم فى اتخاذ الانداد ولكن لما كان نتيجته جعل كالغرض (قل تمتعوا) بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التى يتمتع بها وفى التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لامحالة ولذلك علة بقوله (فان مصيركم الى النار) وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع (قل لعبادى الذين آمنو) خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف دل عليه جوابه اى قل لعبادى الذين آمنو اقيموا الصلاة وانفقوا (يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم) فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث لاينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن فى قوله * محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ماخفت من امر تبالا * لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا قائمين مقامهما وهو ضعيف لانه لابد من مخالفة مابين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لايجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا (سرا وعلانية) منتصبان على المصدر اى انفاق سر وعلانية اوعلى الحال اى ذوى سر وعلانية اوعلى الظرف اى وقت

(فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) رسلهم من الهلاك (ان تحرص) يامحمد (على هداهم) وقد اضلهم الله لاتقدر على ذلك فان الله لايهدى) بالبناء للمفعول وللفاعل (من يضل) من يريد اضلاله (ومالهم من ناصرين) مانعين من عذاب الله (واقسموا بالله جهد ايمانهم) اى غاية اجتهادهم فيها (لايبعث الله من يموت) قال تعالى (بلى) يبعثهم (وعدا عليه حقا) مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر اى وعد ذلك وحقه حقا (ولكن اكثر الناس) اى اهل مكة (لايعلمون) ذلك (ليبين) متعلق ببعثهم المقدر (لهم الذى يختلفون) مع المؤمنين (فيه) من امر الدين بتعذيبهم واثابة المؤمنين (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) فى انكار البعث (انما قولنا لشئ اذا اردناه) اى اردنا ايجاده وقولنا مبتدأ خبره (ان نقول له كن فيكون) اى فهو يكون وفى قراءة بالنصب عطفا على نقول والآية لتقرير القدرة

سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به (من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه) فيتتاع المقصر مايتدارك به تقصيره اويفدى به نفسه (ولا خلال) ولا مخالة فيشفع لك خليل اومن قبل ان يأتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفى العام (الله الذى خلق السموات والارض) مبتدأ وخبر (وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج فى معنى رزق (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره) بمشيئته الى حيث توجهتم (وسخر لكم الانهار) فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) يدأبان فى سيرهما وانارتهما واصلاح مايصلحانه من المكونات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم (وآتاكم من كل ماسألتموه) اى بعض جميع ماسألتموه يعنى من كل شئ سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض مافى قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل اولم يسأل ومايحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اى وآتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون مانافية فى موضع الحال اى وآتاكم من كل شئ غير سائليه (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة (ان الانسان لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها اويظلم نفسه بان يعرضها للحرمان (كفار) شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) بلدة مكة (آمنا) ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤل فى الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفى الثانى جعله من البلاد الآمنة (واجنبنى وبنى بعدنى واياهم (ان نعبد الاصنام) واجعلنا منه فى جانب وقرئ واجنبنى وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبنى شره وفيه دليل على

على البعث (والذين هاجروا فى الله) لاقامة دينه من بعد ماظلموا) بالاذى من اهل مكة وهم النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه (لنبوأنهم) لننزلنهم (فى الدنيا) دارا (حسنة) هى المدينة (ولاجر الآخرة) اى الجنة (أكبر) اعظم (لو كانوا يعلمون) اى الكفارا والمتخلفون عن الهجرة مالمهاجرين من الكرامة لوافقوهم هم (الذين صبروا) على اذى المشركين والهجرة لاظهار الدين (وعلى ربهم يتوكلون) فيرزقهم من حيث لا يحتسبون (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم) لا ملائكة (فاسألوا اهل الذكر) العلماء بالتوراة والانجيل (ان كنتم لا تعلمون) ذلك فانهم يعلمونه وانتم الى تصديقهم اقرب من تصديق المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم (بالبينات) متعلق بمحذوف اى ارسلناهم بالحجج الواضحة (والزبر) الكتب (وانزلنا اليك الذكر) القرآن (لتبين للناس مانزل اليهم) فيه من الحلال والحرام (ولعلهم يتفكرون) فى ذلك

ان عصمة الانبياء بتوفيق الله تعالى وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجابه وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته (رب انهن اضللن كثيرا من الناس) فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحياة الدنيا (فمن تبعنى) على دينى (فانه منى) اى بعضى لا يتفك عنى فى امر الدين (ومن عصانى فانك غفور رحيم) تقدر ان تغفرله وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره (بنا انى اسكنت من ذريتى) اى بعض ذريتى او ذرية من ذريتى فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم (بواد غير ذى زرع) يعنى وادى مكة فانها جرية لا تنبت (عند بيتك المحرم) الذى حرمت التعرض له والتهاون به اولم يزل معظما ممنعا تها به الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمى عتيقا اى اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ماقدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ماسيؤل اليه روى ان هاجر كانت لسارة رضى الله عنهما فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل عليه السلام فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها خرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركنا فى مائك نشركك فى البانا فجعلت (ربنا ليقيموا الصلاة) اللام لام كى وهى متعلقة باسكنت اى ما اسكنتم بهذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلاة كانه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها (فاجعل افئدة من الناس) اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب منى سقيم اى افئدة ناس وقرأ هشام افئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ

فيعتبرون (افأمن الذين مكروا) المكرات (السيأت) بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة من تقييده اوقتله او اخراجه كما ذكر فى الانفال (ان يخسف الله بهم الارض) كقارون (او يأتيهم العذاب من حيث يشعرون) اى من جهة لا تخطر ببالهم وقد اهلكوا ببدر ولم يكونوا يقدروا ذلك (او يأخذهم فى تقلبهم) فى اسفارهم للتجارة (فما هم بمعجزين) بفائتين العذاب (اى يأخذهم على تخوف) تنقص شيأ فشيأ حتى يهلك الجميع حال من الفاعل او المفعول (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (اولم يروا الى ماخلق الله من شئ) له ظل كشجر وجبل (تفيا) تميل (ظلاله عن اليمين والشمائل) جمع شمال اى عن جانبيهما اول النهار وآخره (سجدا لله) حال اى خاضعين بما يراد منهم (وهم) اى الظلال (داخرون) صاغرون نزلوا منزلة العقلاء (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة) اى نسمة

آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر فى ادؤر وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة ذا عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد (تهوى اليهم) تسرع اليهم شوقا ووادادا وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا لانبات فيه (لعلهم يشكرون) تلك النعمة فاجاب الله عز وجل دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد (ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن) تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستجلابا لنيل ماعندك وقيل ما نخفى من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع والالتجاء الى الله تعالى (وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء) لانه العالم بعلم ذاتى يستوى نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر) اى وهب لى وانا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآية (اسماعيل واسحق) روى انه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتى عشرة سنة (ان ربى لسميع الدعاء) اى لمجيبه من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع البأس منه ليكون من اجل النعم واحلاها (رب اجعلنى مقيم الصلاه) معدلا لها مواظبا عليها (ومن ذريتى) عطف على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام الله واستقراء عادته فى الامم الماضية انه يكون فى ذريته كفار (ربنا وتقبل دعاء) واستجب دعائى او وتقبل عبادتى (ربنا اغفر لى ولوالدى) وقرئ لابوى وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا

تدب عليها اى يخضع له بما يراد منه وغلب فى الاتيان بما مالا يعقل لكثرته (والملائكة) خصهم بالذكر تفضيلا (وهم لا يستكبرون) يتكبرون عن عبادته (يخافون) اى الملائكة حال من ضمير يستكبرون (ربهم من فوقهم) حال من هم اى عاليا عليهم بالقهر (ويفعلون ما يؤمرون) به (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين) تأكيد (انما هو اله واحد) اتى به لاثبات الالهية والوحدانية (فاياى فارهبون) خافون دون غيرى وفيه التفات عن الغيبة (وله ما فى السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا (وله الدين) الطاعة (واصبا) دائما حال من الدين والعامل فيه معنى الظرف (افغير الله تتقون) وهو الاله الحق ولا اله غيره والاستفهام للانكار او التوبيخ (وما بكم من نعمة فمن الله) لا يأتى بها غيره وما شرطية او موصولة (ثم اذا مسكم) اصابكم (الضر) الفقر والمرض (فاليه تجأرون) ترفعون اصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون لغيره

(ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به تثبيته على ماهو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لايخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لامحالة اولكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم (انما يؤخرهم) يؤخر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون (ليوم تشخص فيه الابصار) اى تشخص فيه بصارهم فلا تقرفى اماكنها من هول ماترى (مهطعين) مسرعين الى الداعى اومقبلين بابصارهم لايطرقون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشئ (مقنعى رؤسهم) رافعيها (لايرتد اليهم طرفهم) بل بقيت عيونهم شاخصة لاتطرف اولايرجع اليهم نظرهم فينظر والى انفسهم (وافئدتهم هواء) خلاء اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اى لارأى فيه وقوة قال زهير * من الظلمان جؤجؤ هواء * وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق (وانذر الناس) يامحمد (يوم يأتيهم العذاب) يعنى يوم القيامة اويوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر (فيقول الذين ظلموا) بالشرك والتكذيب (ربنا اخرنا الى اجل قريب) اى اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب اواخر آجالنا وابقنا مقدار مانؤمن بك ونجيب دعوتك (نجب دعوتك ونتبع الرسل) جواب للامر ونظيره لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين (اولم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال) على ارادة القول ومالكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون فى الدنيا لاتزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا ودل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لاينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لايزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم) بالكفر والمعاصى كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفى كقروغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) بما تشاهدونه فى مناز لهم من آثار مانزل بهم وتواتر عندكم من اخبارهم (وضربنا لكم الامثال) من احوالهم اى بينا لكم انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب

(ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة (فتمتعوا) باجتماعكم على عبادة الاصنام امر تهديد (فسوف تعلمون) عاقبة ذلك (ويجعلون) اى المشركون (لمالايعلمون) انها تضر ولا تنفع وهى الاصنام (نصيبا مما رزقناهم) من الحرث والانعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا (تالله لتسئلن) سؤال توبيخ وفيه التفات عن الغيبة (عما كنتم تفترون) على الله من انه امركم بذلك (ويجعلون لله البنات) بقولهم الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيها له عما زعموا (ولهم مايشتهون) اى البنون والجملة فى محل رفع اونصب بيجعل المعنى يجعلون له البنات التى يكرهونها وهو منزه عن الولد ويجعلون لهم الابناء الذين يختارونها فيختصون بالاسنى كقوله فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون (واذا بشر احدهم بالانثى) تولد له (ظل) صار (وجهه مسودا) متغيرا تغير مغتم (وهو كظيم)

اوصفات مافعلوا ومافعل بهم التى هى فى الغرابة كالامثال المضروبة (وقدمكروا مكرهم) المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل (وعند الله مكرهم) مكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه اوعنده مايمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالاله (وان كان مكرهم) فى العظم والشدة (لتزول منه الجبال) مسوى لازالة الجبال ومعدالها وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وماكان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا اليزيلوا ماهو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالى وشرائعه وقرأ الكسائى لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كادمكرهم (فلاتحسبن الله مخلف وعده رسله) مثل قوله انالننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلى واصله مخلف رسله فقدم المفعول الثانى ايذانا بانه لايخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لايخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله (ان الله عزيز) غالب لايمانعه قادر لايدافع (ذوانتقام) لاوليائه من اعدائه (يوم تبدل الارض غير الارض) بدل من يوم يأتيهم اوظرف للانتقام اومقدر باذكرا ولا يخلف وعده لايجوز ان ينتصب بمخلف لان ماقبل ان لايعمل فيما بعده (والسموات) عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون فى الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفى الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما وعن على رضى الله تعالى عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضى الله تعالى عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هى تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ماروى ابوهريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظى لاترى فيها عوجا ولاامتا واعلم انه لايلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ويبعد على الثانى ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ماأشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وقوله

ممتلئ غماف كيف تنسب البنات اليه تعالى (يتوارى) يختفى (من القوم) اى قومه (من سوء ما بشر به) خوفا من التعيير مترددا فيما يفعل به (ايمسكه) بتركه بلاقتل (على هون) هوان وذل (ام يدسه فى التراب) بان يئده (الاساء) بئس (مايحكمون) حكمهم هذا حيث نسبوا الخالقهم البنات اللاتى هى عندهم بهذا المحل (للذين لايؤمنون بالآخرة) اى الكفار (مثل السوء) اى الصفة السواى بمعنى القبيحة وهى وادهم البنات مع احتياجهم اليهن للنكاح (ولله المثل الاعلى) الصفة العليا وهو انه لااله الاهو (وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى خلقه (ولويؤاخذ الله الناس بظلمهم) بالمعاصى (ماترك عليها) اى الارض (من دابة) نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لايستأخرون) عنه (ساعة ولايستقدمون) عليه (ويجعلون لله

ما يكرهون) لانفسهم من البنات والشريك فى الرياسة واهانة الرسل (وتصف) تقول (السنتهم) مع ذلك (الكذب) وهو (ان لهم الحسنى) عند الله اى الجنة كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى قال تعالى (لاجرم) حقا (ان لهم النار وانهم مفرطون) متروكون فيها اومقدمون اليها وفى قراءة بكسر الراء اى متجاوزون الحد (تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك) رسلا (فزين لهم الشيطان اعمالهم) السيئة قرأوها حسنة فكذبوا الرسل (فهو وليهم) متولى امورهم (اليوم) اى فى الدنيا (ولهم عذاب اليم) مؤلم فى الآخرة وقيل المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية اى ولى لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم (وما انزلنا عليك) يامحمد (الكتاب) القرآن

ان كتاب الفجار لفى سجين (برزوا) من اجداثهم (لله الواحد القهار) لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر فى غاية الصعوبة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لايغالب فلامستغاث لاحد الى غيره ولامستجار (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم فى العقائد والاعمال كقوله تعالى واذا النفوس زوجت اوقرنوا مع الشياطين اومع ماكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة اوقرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ماقترفته ايديهم وارجلهم (فى الاصفاد) متعلق بمقرنين او حال من ضميره والمصفد القيد وقيل الغل قال سلامة ابن جندل * وزيد الخيل قد لاقى صفادا * يعض بساعد وبعظم ساق * واصله الشد سرابيلهم قمصانهم (من قطران) وجاء قطران وقطران لغتين فيه وهو مايتحلب من الابهل فيطبخ فيهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لدغ القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار فى جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيئات الوحشية فتجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس اوالسفر المذاب والآنى المتناهى حره والجملة حال ثانية اوحال من ضمير مقرنين (ويغشى وجوههم النار) وتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا فى تدبره مشاعرهم وحواسهم التى خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله فمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم (ليجزى الله كل نفس) اى يفعل بهم ذلك ليجزى كل نفس مجرمة (ماكسبت) اوكل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا (ان الله سريع الحساب) لانه لايشغله حساب عن حساب (هذا) اشارة الى القرآن اوالسورة اومافيه من العظة والتذكير اوما وصفه من قوله ولاتحسبن الله (بلاغ للناس) كناية لهم فى الموعظة (ولينذروا به) عطف

على محذوف اى لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل اوتلى وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علم واستعدله (وليعلموا انما هو اله واحد) بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على مايدل عليه (وليذكر اولوا الالباب) فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد التى هى الغاية والحكمة فى انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التى منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذى هو التدرع بلباس التقوا جعلنا الله من الفائزين بهما وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

(سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر تلك آيات الكتاب وقرأن مبين) الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرأن وتنكيره للتفخيم اى آيات الجامع ليكونه كتابا كاملا وقرأنا بين ارشد من الغى بيانا عربيا (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر اوحلول الموت اوبوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرى ربما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضى لكن لما كان المترقب فى اخبار الله تعالى كالماضى فى تحققه اجرى مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله *ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال* ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحرى ان يسارعون اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيامة فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة فى حكاية ودادتهم كالغيبة فى قولك حلف بالله ليفعلن (ذرهم) دعهم (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم (ويلههم الامل) ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاء والغرض اقناط الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من

(الا لتبين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه) من امر الدين (وهدى) عطف على لتبين (رحمة لقوم يؤمنون) به (والله انزل من السماء ماء فأحيى به الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (ان فى ذلك) المذكور (لاية) دالة على البعث (لقوم يسمعون) سماع تدبر (وان لكم فى الانعام لعبرة) اعتبارا (نسقيكم) بيان للعبر (مما فى بطونه) اى الانعام (من للابتداء متعلقة بنسقيكم (بين فرث) ثفل الكرش (ودم لبنا خالصا) لايشوبه شئ من الفرث والدم من طعم اوريح اولون وهو بينهما (سائغا للشاربين) سهل المرور فى حلقهم لايغص به (ومن ثمرات النخيل والاعناب) ثمر (تتخذون منه سكرا) خمرا بسكر سميت بالمصدر وهذا قبل تحريمها (ورزقا حسنا) كالتمر والزبيب والخل والدبس (ان فى ذلك) المذكور (لاية)

على قدرته تعالى (لقوم يعقلون) يتدبرون (واوحى ربك الى النحل) وحى الهام (ان) مفسرة اومصدرية (اتخذى من الجبال بيوتا) تاوين اليها (ومن الشجر) بيوتا (ومما يعرشون) اى الناس يبنون لك من الاماكن والالم تاو اليها (ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى) ادخلى (سبل ربك) طرقه فى طلب المرعى (ذلك) جمع ذلول حال من السبل اى مسخرة)ك فلا تعسر عليك وان توعرت ولاتضلى على العود منها وان بعدت وقيل من الضمير فى اسلكى اى منقادة لما يراد منك (يخرج من بطونها شراب) هو العسل)مختلف الوانه فيه شفاء للناس من الاوجاع قبل لبعضها كما دل عليه تنكير شفاء اولكلها بضميمته الى غيره اقول وبدونها بنيته وقدامر به صلى الله عليه وسلم من استطلق عليه بطنه رواه الشيخان(ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فى صنعه

ارعوائهم وايذائه بانهم من اهل الخذ لان وان نصحهم بعد اشتغال بمالا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم ومايؤدى اليه طول الامل (وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) اجل مقدر كتب فى اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لاتدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تأكيد اللصوقها بالموصوف (ماتسبق من امة اجلها ومايستأخرون) اى ومايستأخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى (وقالوا ياايها الذى نزل عليه الذكر) نادوا به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على التهكم الاترى الى مانادوه له وهو قولهم (انك لمجنون) ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعى ان الله تعالى نزل عليك الذكر اى القرآن (لوماتأتينا) ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشئ لوجود غيره والتخصيص (بالملائكة) ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا اوللعقاب على تكذيبنا لك كما انت الامم المكذبة قبل (ان كنت من الصادقين) فى دعواك (مانتزل الملائكة) بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل (الا بالحق) الا تنزيلا ملتبسا بالحق اى بالوجه الذى قدره واقتضته حكمته ولاحكمة فى ان تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لايزيدكم الا لبسا ولا فى معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحى او العذاب (وما كانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزآء لشرط مقدر اى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين (انا نحن نزلنا الذكر) رد لانكارهم واستهزآئهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله (وانا له لحافظون) اى من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مبينا لكلام البشر بحيث لايخفى تغير نظمه على اهل اللسان اونفى تطرق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاولين) فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم

(ومايأتيهم من رسول الا كانوابه يستهزؤن) كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومالحال لايدخل الامضارعا بمعناه اوماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية (كذلك نسلكه) ندخله (فى قلوب المجرمين) والسلك ادخال الشئ فى الشئ كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون والضمير للاستهزآء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل فى قلوبهم وقيل الذكر فان الضمير الآخر فى قوله (لايؤمنون به) له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به اوبيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذلا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه ولايتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه (وقدخلت سنة الاولين) اى سنة الله فيهم بان خذلهم ومسلك الكفر فى قلوبهم اوباهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة (ولو فتحنا عليهم) على هؤلاء المقترحين (بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لمايرون اوتصعد الملائكة وهم يشاهدونهم (لقالوا) من غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق (انما سكرت ابصارنا) سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قرآءة ابن كثير بالتخفيف اوحيرت من السكر ويدل عليه قرآءة من قرأ سكرت (بل نحن قوم مسحورون) قدسخرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفى كلمتى الحصر واضراب دلالة على البت بان مايرونه لاحقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) اثنى عشر مختلفة الهيئات والخواص على مادل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء (وزيناها) بالاشكال والهيئات البهية (للناظرين) المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها (وحفظناها من كل شيطان رجيم) فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف فى امرها ويطلع على احوالها (الا من استرق السمع) بدل من كل شيطان واسترق السمع اختلاسه سر اشبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من المناسبة فى الجواهر اوبالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم كانوا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى

تعالى (والله خلقكم) ولم تكونوا شيئا (ثم يتوفاكم) عندانقضاء آجالكم (ومنكم من يرد الى ارزل العمر) اى اخسه من الهرم والخرف (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة (ان الله عليم) بتدبير خلقه (قدير) على مايريده (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فمنكم غنى فقير ومالك ومملوك (فما الذين فضلوا) اى الموالى (برادى رزقهم على ماملكت ايمانهم) اى بجاعلى مارزقناهم من الاموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكم (فهم) اى المماليك والموالى (فيه سواء) شركاء المعنى ليس لهم شركاء من مماليكهم فى اموالهم فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له (افبنعمة الله يجحدون يكفرون حيث يجعلون له شركاء (والله جعل لكم من انفسكم ازواجا) فخلق حواء من ضلع آدم وسائر النساء (من نطف الرجال والنساء (وجعل لكم من ازواجكم بنين

عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن من استرق السمع (فاتبعه) فتبعه ولحقه (شهاب مبين) ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق (والارض مددناها) بسطناها (والقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت (وانبتنا فيها) فى الارض اوفيها وفى الجبال (من كل شئ موزون) مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته اومستحسن مناسب من قولهم كلام موزون اومايوزن ويقدر اوله وزن فى ابواب النعمة والمنفعة (وجعلنا لكم فيها معايش) تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش اوعلى محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر مايظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء فى الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لايكون كذلك على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد فى الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم فى ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ فى ذلك وقال (وان من شئ الا عندنا خزائنه) اى وما من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ماوجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره اوشبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التى لايحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد (وماننزله) من بقاع القدرة (الا بقدر معلوم) حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فانه تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لابد له من مخصص حكيم (وارسلنا الرياح لواقح) حوامل شبه الريح التى جائت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه مالايكون كذلك بالعقيم اوملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات فى قوله * ومختبط مما تطيح الطوائح * وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس (فانزلنا من السماء بقدر فاسقيناكموه) فجعلناه لكم سقيا (وماانتم له بخازنين) قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ماأثبته لنفسه اوحافظين فى الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء فى بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه

وحفدة) اولاد الاولاد (ورزقكم من الطيبات من انواع الثمار والحبوب والحيوان (افبالباطل) الصنم (يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون) باشراكهم (ويعبدون من دون الله) اى غيره (مالا يملك لهم رزقا من السموات) بالمطر (والارض) بالنبات (شيأ) بدل من رزقا (ولايستطيعون) يقدرون على شئ وهو الاصنام (فلا تضربوا لله الامثال) لاتجعلوا لله اشباها تشركوهم به (ان الله يعلم) ان لامثل له (وانتم لاتعلمون) ذلك (ضرب الله مثلا) ويبدل منه (عبدا مملوكا) صفة تميزه من الحرفان عبدالله (لايقدر على شئ) لعدم ملكه (ومن) نكرة موصوفة اى حرا (رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا) اى يتصرف فيه كيف يشاء والاول مثل الاصنام والثانى مثله تعالى (هل يستوون) اى العبيد العجزة والحر المتصرف لا (الحمد لله) وحده (بل اكثرهم) اى اهل

ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون حده لا بد له من مخصص (وانا نحن نحيى) بايجاد الحياة فى بعض الاجسام القابلة لها (ونميت) بازالتها وقداول الحياة بمايعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر (ونحن الوارثون) الباقون اذا مات الخلائق كلها (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر اومن خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد اومن تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة اوتأخر لايخفى علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان مايدل على قدرته دليل على علمه رغب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت (وان ربك هو يحشرهم) لامحالة للجزاء وتوسط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولى بحشرهم لاغير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ماسبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله (انه حكيم) باهر الحكمة متقن فى افعاله (عليم) وسع علمه كل شئ (ولقد خلقنا الانسان من صلصال) طين يابس بصلصل اى يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل (من حمأ) طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اى كائن من حمأ (مسنون) مصور من سنة الوجه اومصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب القوالب من السن وهو الصب كأنه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه اومنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان مايسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا (والجان) ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره قوله (خلقناه من قبل) خلق الانسان (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ فى المسام ولايمتنع خلق الحياة فى الاجرام البسيطة كما لايمتنع خلقها فى الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التى الغالب فيها الجزء

مكة (لايعلمون) مايصيرون اليه من العذاب فيشركون (وضرب الله مثلا) ويبدل منه (رجلين احدهما ايكم) ولد اخرس (لايقدر على شئ) لانه لايفهم ولايفهم (وهو كل) ثقيل (على مولاه) ولى امره (اينما يوجهه) يصرفه (لايأت) منه (بخير) بنجح وهذا مثل الكافر (هل يستوى هو) الابكم المذكور (ومن يأمر بالعدل) اى ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه (وهو على صراط) طريق (مستقيم) وهو الثانى المؤمن لاوقيل هذا مثل لله والابكم للاصنام والذى قبله فى الكافر والمؤمن (ولله غيب السموات والارض اى علم ماغاب فيهما (وما امر الساعة الا كلمح البصر اوهو اقرب) منه لانه بلفظ كن فيكون (ان الله على كل شئ قدير والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيأ الجملة حال (وجعل لكم السمع) بمعنى الاسماع (والابصار والافئدة)

النارى فانها اقبل لها من التى الغالب فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التى يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته) عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه (ونفخت فيه من روحى) حتى جرى اثاره فى تجاويف اعضائه فحيى واصل النفخ اجراء الريح فى تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من انقلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسرى حاملا لها فى تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعلل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه كامر فى سورة النساء (فقعوا له) فاسقطوا له (ساجدين) امر من وقع يقع (فسجد الملائكة كلهم اجمعون) اكد بتأكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذلو كان الامر كذلك كان الثانى حالا لا تأكيدا (الا ابليس) ان جعل منقطعا اتصل به قوله (ابى ان يكون مع الساجدين) اى لكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد (قال يا ابليس مالك ان لا تكون) اى عرض لك فى ان لا تكون (مع الساجدين) لادم (قال لم اكن لاسجد) اللام لتأكيد النفى اى لا يصح منى وينافى حالى ان اسجد (لبشر) جسمانى كثيف وانا ملك روحانى (خلقته من صلصال من حمأ مسنون) وهو اخس العناصر وخلقتنى من نار وهو اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف (قال فاخرج منها) من السماء او الجنة اوزمر الملائكة (فانك رجيم) مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته (وان عليك اللعنة) هذا الطرد والابعاد (الى يوم الدين) فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء ومافى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضرب بها الناس اولانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل (قال رب فانظرنى)

القلوب (لعلكم تشكرون) به على ذلك فتؤمنون (الم يروا الى الطير مسخرات) مذللات للطيران (فى جو السماء) اى الهواء بين السماء والارض (مايمسكهن) عند قبض اجنحتهن و بسطها ان يقعن (الا الله) بقدرته (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) هى خلقها بحيث يمكنها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) كالخيام والقباب (تستخفونها) للحمل (يوم ظعنكم) سفركم (ويوم اقامتكم ومن اصوافها) اى الغنم (واوبارها) اى الابل (واشعارها) اى المعز (اثاثا) متاعا لبيوتكم كبسط واكسية (ومتاعا) تتمتعون به (الى حين) يبلى فيه (والله جعل لكم مما خلق) من البيوت والشجر والغمام (ظلالا) جمع ظل تقيكم حر الشمس (جعل لكم من الجبال اكنانا) جمع كن وهو ما يستكن فيه كالغار والسرب

فاخرنى والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم (الى يوم يبعثون) اراد ان يجد فسحة فى الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثانى (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفته ثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه فى الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق فى تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على علو منصب ابليس لان خطاب الله تعالى على سبيل الاهانة والاذلال (قال رب بما اغويتنى) الباء للقسم وما مصدرية وجوابه (لازينن لهم فى الارض) والمعنى اقسم باغوائك اياى لأزينن لهم المعاصى فى الدنيا التى هى دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفى انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغى او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله تعالى له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بنى آدم بان الله تعالى علم منه او ممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل اولم يمهل وان فى امهاله تعريضا بمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوى الالباب (ولاغوينهم اجمعين) ولاحملنهم اجمعين على الغواية (الا عبادك منهم المخلصين) اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر فى كل القرآن اى الذين اخلصوا نفوسهم لله (قال هذا صراط على) حق على ان اراعيه (مستقيم) لا انحراف عنه والاشارة الى تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق على يؤدى الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال وقرئ على من علو الشرف (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس

(وجعل لكم سرابيل) قمصا (تقيكم الحر) اى والبرد (وسرابيل تقيكم بأسكم) حربكم اى الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن (كذلك) كما خلق هذه الاشياء (يتم نعمته) فى الدنيا (عليكم) بخلق ما يحتاجون اليه (لعلكم) يا اهل مكة (تسلمون) توحدونه (فان تولوا) اعرضوا عن الاسلام (فانما عليك) يا محمد (البلاغ المبين) الابلاغ البين وهذا قبل الامر بالقتال (يعرفون نعمت الله) اى يقرون بأنها من عنده (ثم ينكرونها) باشراكهم (واكثرهم الكافرون و) اذكر (يوم نبعث من كل امة شهيدا) هو نبيها يشهد لها وعليها وهو يوم القيمة (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار (ولا يستعتبون) لا يطلب منهم العتبى اى الرجوع الى ما يرضى الله (واذا رأى الذين ظلموا) كفروا (العذاب) النار (فلا يخفف عنهم) العذاب (ولاهم ينظرون) يمهلون عنه اذا رأوه (واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم) من الشياطين

وغيرها (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو) نعبدهم (من دونك فالقوا اليهم القول) اى قالوا لهم (انكم لكاذبون) فى قولكم انكم عبدتمونا كما فى آية اخرى ما كانوا ايانا يعبدون سيكفرون بعبادتهم (والقوا الى الله يومئذ السلم) استسلموا لحكمة (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) من ان آلهتهم تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا) الناس (عن سبيل الله) دينه (زدناهم عذابا فوق العذاب) الذى استحقوه بكفرهم قال ابن مسعود عقارب انيابها كالنخل الطوال (بما كانوا يفسدون) بصدهم الناس عن الايمان (و) اذكر (يوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم) هو نبيهم (وجئنابك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) اى قومك (ونزلنا عليك الكتاب) القرآن (تبيانا) بيانا (لكل شئ) يحتاج اليه الناس من امر الشريعة (وهدى) من الضلالة (ورحمة وبشرى) بالجنة (للمسلمين) الموحدين (ان الله يأمر بالعدل)

بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التخريض والتدليس كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقى لافضائه تناقض الاستثنائين (وان جهنم لموعدهم) لموعد الغاوين او المتبعين (اجمعين) تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لايعمل (لها سبعة ابواب) يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار جميع المهلكات فى الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية اولان اهلها سبع فرق (لكل باب منهم) من الاتباع (جزء مقسوم) افرزله فاعلاها للموحدين العصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصائبين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاى ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن فى الظرف لا فى مقسوم لان الصفة لاتعمل فيما تقدم موصوفها (ان المتقين) من اتباعه فى الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة (فى جنات وعيون) لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وحفص وابو عمرو وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين (ادخلوها) على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلايكسر التنوين (بسلام) سالمين او مسلما عليكم (آمنين) من الآفات والزوال (ونزعنا) فى الدنيا بما الف بين قلوبهم او فى الجنة بتطييب نفوسهم (ما فى صدورهم من غل) من حقد كان فى الدنيا وعن على رضى الله تعالى عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب (اخوانا) حال من ضمير فى جنات او فاعل ادخلوها او الضمير فى آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله (على سرر متقابلين) ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين

وان يكون متقابلين حالا من المستتر فى على سرر (لا يمسهم فيها نصب) استئناف اوحال بعد حال من الضمير فى متقابلين (وما هم منها بمخرجين) فان تمام النعمة بالخلود (نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم) فذلكة ماسبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفى ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقى الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفى توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفى عطف (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) على نبئ عبادى تحقيق لهما بما يعتبرون به (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) اى نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما (قال انا منكم وجلون) خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت اولانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ماتكره (قالوا لا توجل) وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله (انا نبشرك) استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر (بغلام) هو اسحق عليه السلام لقوله فبشرناها باسحق (عليم) اذا بلغ (قال ابشر تمونى على ان مسنى الكبر) تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به فى مثل هذه الحالة وكذلك قوله (فبم تبشرون) اى فبأى اعجوبة تبشرونى او فبأى شئ تبشرونى فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شئ وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة فى كل القرآن على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة ابقاء نون الوقاية على الياء (قالوا بشرناك بالحق) بما يكون لا محالة او باليقين الذى لا لبس فيه او بطريقة هى حق وهو قول الله تعالى وامره (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم صلوات الله عليه باعتبار العادة دون القدرة ولذلك (قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) اى المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائى يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح (قال فما خطبكم ايها المرسلون) اى فما شأنكم الذى ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا

التوحيد او الانصاف (والاحسان) اداء الفرائض او ان تعبد الله كأنك تراه كما فى الحديث (وايتاء) اعطاء (ذى القربى) القرابة خصه بالذكر اهتماما به (ونهى عن الفحشاء) الزنا (والمنكر) شرعا من الكفر والمعاصى (والبغى) الظلم للناس خصه بالذكر اهتماما كما بدأ بالفحشاء كذلك (يعظكم) بالامر والنهى (لعلكم تذكرون) تتعظون وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال وفى المستدرك عن ابن مسعود وهذه اجمع آية فى القرآن للخير والشر) واوفوا بعهد الله) من البيع والايمان وغيرها (اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) توثيقها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) بالوفاء حيث حلفتم به والجملة حال (ان الله يعلم ما يفعلون) تهديد لهم (ولا تكونوا كالتى نقضت) افسدت (غزلها) ماغزلته (من بعد قوة) احكام له وبرم (انكاثا) حال جمع نكث وهو ماينكث اى يحل احكامه وهى امرأة حمقاء مكة

كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه (تتخذون) حال من ضمير تكونوا اى لاتكونوا مثلها فى اتخاذكم (ايمانكم دخلا) هو مايدخل فى الشئ وليس منه اى فساد اوخديعة (بينكم) بأن تنقضوها (ان) اى لأن (تكون امة) جماعة (هى اربى) اكثر (من امة) وكانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا اكثر منهم واعز نقضوا خلف اولئك وحالفوهم (انما يبلوكم) يختبركم (الله به) اى بما امر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصى اويكون امة او يكون امة اربى لينظر اتفون ام لا (وليبينن لكم يوم القيامة ماكنتم فيه تختلفون) فى الدنيا من امر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافى (ولوشاء الله لجعلكم امة واحدة) اهل دين واحد (ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن) يوم القيامة سؤال تبكيت (عما كنتم تعملون) لتجازوا عليه (ولاتتخذوا ايمانكم

والبشارة لاتحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا ومريم عليهما السلام اولانهم بشروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (الا آل لوط) ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجى آل لوط ويدل عليه قوله (انا لمنجوهم اجمعين) اى مما نعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله (الا امرأته) استثناء من آل لوط اومن ضميرهم وعلى الاول لايكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائى لمنجوهم مخففا (قدرنا انها لمن الغابرين) الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابوبكر عن عاصم قدرناها ههنا وفى النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) تنكركم نفسى وتنفر عنكم مخافة ان تطرقونى بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) اى ماجئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفى لك من عدوك وهو العذاب الذى توعدبهم به فيمترون فيه (واتيناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) فيما اخبرناك به (فأسر باهلك) فاذهب بهم فى الليل وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة من السرى وهما بمعنى وقرئ سر من السير (بقطع من الليل) فى طائفة من الليل وقيل فى آخره قال * افتحى الباب وانظرى فى النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم (واتبع ادبارهم) وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم (ولايلتفت منكم احد) لينظر ماوراءه فيرى من الهول مالا يطيقه اوفيصيبه ماأصابهم اوولاينصرف احدكم ولايتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون) الى حيث امركم الله بالمضى اليه وهو الشام

اومصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع (وقضينا اليه) اى اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى (ذلك الامر) مبهم يفسره (ان دابر هؤلاء مقطوع) ومحله النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لايبقى منهم احد (مصبحين) داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء اومن الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء (وجاء اهل المدينة) سدوم (يستبشرون) باضياف لوط طمعا فيهم (قال ان هؤلاء ضيفى فلاتفضحون) بفضيحة ضيفى فان من اسيئ الى ضيفه فقد اسيئ اليه (واتقوا الله) فى ركوب الفاحشة (ولاتخزون) ولا تذلون بسببهم من الخزى وهو الهوان او ولاتخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء (قالوا ولم ننهك عن العالمين) عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه اوعن ضيافة الناس وانزالهم (قال هؤلاء بناتى) يعنى نساء القوم فان نبى كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود (ان كنتم فاعلين) قضاء الوطر اوما اقول لكم (لعمرك) قسم بحياة المخاطب وهو النبى عليه الصلاة والسلام وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمى وهو لغة فى العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم (انهم لفى سكرتهم) لفى غوايتهم اوشدة غلمتهم التى ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذى يشاربه اليهم (يعمهون) يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض (فاخذتهم الصيحة) يعنى صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل (مشرقين) داخلين فى وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها) عالى المدينة اوعالى قراهم (سافلها) فصارت منقلبة بهم (وامطرنا عليهم حجارة من سجيل) من طين متحجر اوطين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة فى سورة هود (ان فى ذلك لايات للمتوسمين) المتفكرين المتفرسين الذين يثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته (وانها) وان المدينة القرى (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها (ان فى ذلك لآية للمؤمنين) بالله ورسله (وان كان اصحاب الايكة لظالمين)

دخلا بينكم) كرره تأكيدا (فتزل قدم) اى اقدامكم عن محجة الاسلام (بعد ثبوتها) استقامتها عليها (وتذوقوا السوء) اى العذاب (بما صددتم عن سبيل الله) اى بصدكم عن الوفا بالعهد اوبصدكم غيركم عنه لانه يسن بكم (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) عن الدنيا بان تنقضوه لاجله (انما عند الله) من الثواب (هو خير لكم) مما فى الدنيا (ان كنتم تعلمون) ذلك فلاتنقضوا (ماعندكم) من لدنيا (ينفد) يفنى (وما عند الله باق (ولنجزين) بالياء والنون (الذين صبروا) على الوفاء بالعهود (اجرهم باحسن ما كانوا (يعملون) احسن بمعنى حسن (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) قيل هى حياة الجنة وقيل فى الدنيا بالقناعة او الرزق الحلال (ولنجزينهم اجرهم باحسن ماكانوا يعملون فاذا قرأت القرآن) اى اردت قراءته (فاستعذ

هم قوم شعيب عليه السلام كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة (فانتقمنا هم) بالاهلاك (وانهما يعنى سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر (لبامام مبين) لبطريق واضح والامام اسم مايؤتم به فسمى به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به (ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين) يعنى ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالح ومن معه من المؤمنين والحجر وادبين المدينة والشام يسكنونها (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعنى آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها اوما نصب لهم من الادلة (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها اومن العذاب لفرط غفلتهم اوحسبانهم ان الجبال تحميهم منه (فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ماكانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق لايلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض (وان الساعة لاتية) فينتقم الله لك فيها من كذبك (فاصفح الصفح الجميل) ولا تعجل بالانتقام منهم عاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ باية السيف (ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم (العليم) بحالك وبحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم اوهو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفى مصحف عثمان وابى رضى الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير (ولقد آتيناك سبعا) سبع آيات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس اوالحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهى الاسباع (من المثانى) بيان للسبع والمثانى من التثنية اوالثناء فان كل ذلك مثنى يكرر قراءته والفاظه اوقصصه ومواعظه اومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز اومثنى على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز يراد بالمثانى القرآن اوكتب الله كلها فتكون

بالله من الشيطان الرجيم) اى قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم (انه ليس له سلطان) تسلط (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه) بطاعته (والذين هم به) اى الله (مشركون واذا بدلنا آية مكان آية) بنسخها وانزال غيرها لمصلحة العباد (والله اعلم بما ينزل قالوا) اى الكفار للنبى صلى الله عليه وسلم (انما انت مفتر) كذاب تقوله من عندك (بل اكثرهم لايعلمون) حقيقة القرآن وفائدة النسخ (قل) لهم (نزله روح القدس) جبريل (من ربك بالحق) متعلق بنزل (ليثبت الذين آمنوا) بايمانهم به (وهدى وبشرى للمسلمين ولقد) للتحقيق (نعلم انهم يقولون انما يعلمه) القرآن (بشر) وهو قين نصرانى كان النبى صلى الله عليه وسلم يدخل عليه قال تعالى (لسان) لغة (الذين يلحدون) يميلون (اليه) انه يعلمه (اعجمى وهذا) القرآن (لسان عربى مبين)

من للتبعيض (والقرآن العظيم) ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر (لاتمدن عينيك) لاتطمح ببصرك طموح راغب (الى مامتعنا به ازواجا منهم) اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ماأوتيتة فان كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وعن ابى بكر من اوتى القرآن فرأى ان احدا اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى انه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لوكانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولأنفقنا ها فى سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع (ولاتحزن عليهم) انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به (واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لهم وارفق بهم (وقل انى انا النذير المبين) انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا (كما انزلنا على المقتسمين) مثل العذاب الذى انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فاهلكهم الله تعالى يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اى تقاسموا على ان يبتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف بدل عليه قوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم (الذين جعلوا القرآن عضين) حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما اوقسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن مايقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله لاتمدن الخ اعتراضا ممدالها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعله من عضهته اذا بهته وفى الحديث لعن رسو الله صلى الله تعالى عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين اومبتدأ خبره (فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) من التقسيم او النسبة ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه اعجمى (ان الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله ولهم عذاب اليم) مؤلم (انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله) القرآن بقولهم هذا من قول البشر (واولئك هم الكاذبون) والتاكيد بالتكرار وان غير همارد لقولهم انما انت مفتر (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره) على التلفظ بالكفر فتلفظ به (وقلبه مطمئن بالايمان) ومن مبتدأ اوشرطية والخبر اوالجواب لهم وعيد شديد دل على هذا (ولكن من شرح بالكفر صدرا) له اى فتحه ووسعه بمعنى طابت به نفسه (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك) الوعيد لهم (بانهم استحبوا الحياة الدنيا) اختيار وها (على الآخرة وان الله لايهدى القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون) عما يراد بهم (لاجرم) حقا

الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام فى كل مافعلوا من الكفر والمعاصى (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا اوفافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز ومامصدرية اوموصولة والراجع محذوف اى بماتؤمر به من الشرائع (واعرض عن المشركين) فلاتلتفت الى مايقولون (انا كفيناك المستهزئين) بقمعهم واهلاكهم قيل كانو خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى ابن قيس والاسود بن عبديغوث والاسود بن المطلب يبالغون فى ايذاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واستهزاء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومأ الى ساق الوليد فربنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات واومأ الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجل حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدى بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك مات والى عينى الاسودين المطلب فعمى (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) عاقبة امرهم فى الدرين (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بمايقولون) من الشرك الطعن فى القرآن والاشتهزاء بك (فسبح بحمد ربك) فافزع الى الله تعالى فيمانابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك اوفنزهه عمايقولون حامدا له على ان هداك للحق (وكن من الساجدين) من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة (وعبد ربك حتى يأتيك اليقين) اى الموت فانه متيقن لحاقه كل حى مخلوق والمعنى فاعبده مادمت حيا ولاتخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم

(سورة النحل مكية غير ثلاث آيات فى آخرها وهى مائة وثمان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اتى امر الله فلاتستعجلوه) كانوا يستعجلون ماوعدهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من قيام الساعة اواهلاك الله تعالى اياهم كما فعل يوم بدر

(انهم فى الآخرة هم الخاسرون) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (ثم ان ربك للذين هاجروا الى مدينة (من بعد مافتنوا) عذبوا وتلفظوا بالكفر وفى قراءة بالبناء للفاعل اى كفروا او فتنوا الناس عن الايمان (ثم جاهدوا واصبروا) على الطاعة (ان ربك من بعدها) اى الفتنة (لغفور) لهم (رحيم) بهم وخبر ان الاولى دل عليه خبر الثانية اذكر (يوم تأتى كل نفس تجادل) تحاج (عن نفسها) لايهمها غيرها وهو يوم القيامة (وتوفى كل نفس) جزاء (ماعملت وهم لايظلمون) شيأ (وضرب الله مثلا (ويبدل منه (قرية) هى مكة والمراد اهلها (كانت آمنة) من الغارات لاتهاج (مطمئنة) لايحتاج الى الانتقال عنها لضيق اوخوف (يأتيها رزقها رغدا) واسعا (من كل مكان فكرت بانعم الله بتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم (فاذاقها الله لباس الجوع) فقحطوا سبع سنين (والخوف) بسرايا النبى صلى الله عليه

استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح مايقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المحقق من حيث انه واجب الوقوع فلاتستعجلوا وقوعه فانه لاخيرلكم فيه ولاخلاص لكم عنه (سبحانه وتعالى عمايشركون) تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراديهم وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على وفق قوله تعالى فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين اولهم ولغيرهم لماروى انه نزلت اتى امر الله فوثب النبى صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه (ينزل الملائكة بالروح) بالوحى او القرآن فانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل اويقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذى به علم الرسول ماتحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابوبكر تنزل على المضارع المبنى للمفعول من التنزيل (من امره) بامر ومن اجله (على من يشاء من عباده) ان يتخذه رسولا (ان انذروا) بان انذروا اى اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته (انه لااله الاانا فاتقون) ان الشأن لااله الا انا فاتقون اوخوفوا اهل الكفر والمعاصى بانه لااله الاانا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بماهو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحى الدال على القول او مصدرية فى موضع الجر بدل من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والاية يدل على ان نزول الوحى بوساطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذى هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والايات التى بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولوكان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع (خلق السموات والارض بالحق) اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته (تعالى عمايشركون) منهما اومما يفتقر فى وجوده او بقائه اليهما اومما لايقدر على خلقهما وفيه دليل على انه سبحانه وتعالى ليس من قبيل الاجرام (خلق الانسان من نطفة) جماد لاحس لها ولاحراك سيالة لاتحفظ الوضع والشكل (فاذا هو خصيم) منطيق مناظر مجادل (مبين) للحجة اوخصيم مكافح لخالقه قائل من يحيى

وسلم (بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم) محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فاخذهم العذاب) الجوع والخوف (وهم ظالمون فكلوا) ايها المؤمنون (مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ومااهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولاتقولوا لما تصف السنتكم) اى لوصف السنتكم (الكذب هذا حلال وهذا حرام) لما لم يحله الله ولم يحرمه (لتفتروا على الله الكذب) بنسبة ذلك اليه (ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون) لهم (متاع قليل) فى الدنيا (ولهم) فى الاخرة (عذاب اليم) مؤلم (وعلى الذين هادوا) اى اليهود (حرمنا ماقصصنا عليك من قبل) فى آية (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الى آخرها (وماظلمناهم) بتحريم ذلك (ولكن كانوا

العظام وهى رميم روى ابى ابن خلف اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعظم رميم وقال يامحمد اترى ان الله تعالى يحيى هذا بعد ماقد رم فنزلت (والانعام) الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره (خلقها لكم) اوبالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان لما خلق لاجله ومابعده تفصيل له (فيها دفء) مايدفأ به فبقى البرد (ومنافع) نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها (ومنها تأكلون) اى تأكلون مايؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى اولان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوى او التفكه (ولكم فيها معاش) زينة (حين تريحون) تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشى (وحين تسرحون) تخرجونها بالغداة الى المراعى فان الافنية تتزين بها فى الوقتين وتجمل اهلها فى اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملاءى البطون حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائر جاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه (وتحمل اثقالكم) احمالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه) ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا عن ان تحملوها على ظهوركم اليه (الابشق الانفس) الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب (ان ربكم لرؤف رحيم) حيث رحكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم (والخيل والبغال والحمير) عطف على الانعام (لتركبوها وزينة) اى لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هى معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها اومصدرا فى موضع الحال من احد الضميرين اى متزينين اومتزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولادليل فيه اذلا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لايقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر (ويخلق مالاتعلمون) لما فصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبا

انفسهم يظلمون) بارتكاب المعاصى الموجبة لذلك (ثم ان ربك للذين عملوا السوء) الشرك (بجهالة ثم تابوا) رجعوا (من بعد ذلك واصلحوا) عملهم (ان ربك من بعدها) اى الجهالة او التوبة (لغفور) لهم (رحيم) بهم (ان ابراهيم كان امة) اماما قدوة جامعا لخصال الخير (قانتا) مطيعا (لله حنيفا) مائلا الى الدين القيم (ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه) اصطفاه (وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه) فيه التفات عن الغيبة (فى الدنيا حسنة) هى الثناء الحسن فى كل اهل الاديان (وانه فى الاخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العلا (ثم اوحينا اليك) يامحمد (ان اتبع ملة) دين (ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) كرر ردعلى زعم اليهود والنصارى انهم على دينه (انما جعل السبت) فرض تعظيمه (على الذين اختلفوا فيه) على نبيهم وهم اليهود امروا ان يتفرغوا

احتياجا ضروريا او غير ضروري اجل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق مالا علم لنا به وان يراد به ماخلق في الجنة والنار مما لا يخطر على قلب بشر (وعلى الله قصد السبيل) بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال (ومنها جائر) مائل عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى ان يبين طريق الضلالة اولان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد (ولو شاء لهداكم اجمعين) اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء (هو الذى انزل من السماء) من السحاب او من جانب السماء (ماء لكم منه شراب) ماتشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض (ومنه شجر) ومنه يكون شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وقيل كل ماينبت على الارض شجر قال الشاعر نعلفها اللحم اذا عز الشجر * والخيل في اطعامها اللحم ضرر (فيه تسيمون) ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات (ينبت لكم به الزرع) وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم (والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل مايمكن من الثمار ولعل تقديم مايسام فيه على مايؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا وهو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجر وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس

للعبادة يوم الجمعة فقالوا لا نريده واختاروا السبت فشدد عليهم فيه (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من امره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصى بانتهاك حرمته (ادع) الناس يا محمد (الى سبيل ربك) دينه (بالحكمة) بالقرآن (والموعظة الحسنة) مواعظه او القول الرفيق (وجادلهم) بالتى) اى بالمجادلة التى (هى احسن) كالدعاء الى الله بآياته والدعاء الى حججه (ان ربك هو اعلم) اى عالم (بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) فيجازيهم وهذا قبل الامر بالقتال * ونزل لما قتل حمزة ومثل به فقال صلى الله عليه وسلم وقد رآه لامثلن بسبعين منهم مكانك (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم) عن الانتقام (لهو) اى الصبر (خير للصابرين) فكف صلى الله عليه وسلم وكفر عن يمينه رواه البزار (واصبر وما صبرك الا بالله) بتوفيقه (ولا تحزن عليهم) اى الكفار ان لم يؤمنوا لحرصك على ايمانهم (ولا تك في ضيق

عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية لذلك (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) بان هيأها لمنافعكم (مسخرات بامره) حال من الجميع اى تنفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها كيف شاء اولما خلقن له بايجاده وتقديره اوبحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب فى انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلابد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل اومصدر ميمى جمع لاختلاف الانواع وقرأ خفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات (وماذرأ لكم فى الارض) عطف على الليل اى وسخر لكم ماخلق لكم فيها من حيوان ونبات (مختلفا الوانه) اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) ان اختلافها فى الطبائع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم (وهو الذى سخر البحر) جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص (لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته فى خلقه عذبا طريا فى ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف ان لايأكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لايفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولايحنث الحالف على ان لايركب دابة بركوبه (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) كاللؤلؤ والمرجان اى تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم (وترى الفلك) السفن (مواخر فيه) جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر هو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك (ولتبتغوا من فضله) من سعة رزقه بركوبها للتجارة (ولعلكم تشكرون) اى تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها ولعل تحصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش (والقى فى الارض رواسى) جبالا رواسى (ان تميد بكم) كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض

مما يمكرون) اى لاتهتم بمكرهم فانا ناصرك عليهم (ان الله مع الذين اتقوا) الكفر والمعاصى (والذين هم محسنون) بالطاعة والصبر بالعون والنصر

(سورة الاسراء مكية الا وان كاد وليفتنونك الآيات الثمان مائة وعشر آيات او واحدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان) اى تنزيه (الذى اسرى بعبده) محمد صلى الله عليه وسلم (ليلا) نصب على الظرف والاسراء سير الليل وفائدة ذكره الاشارة بتنكيره الى تقليل مدته (من المسجد الحرام) اى مكة (الى المسجد الاقصى) بيت المقدس لبعده منه (الذى باركنا حوله) بالثمار والانهار (لنريه من آياتنا) عجائب قدرتنا (انه هو السميع البصير) اى العالم باقوال النبى صلى الله عليه وسلم وافعاله فانعم عليه بالاسراء المستتبع على اجتماعه بالانبياء وعروجه الى السماء ورؤية عجائب الملكوت ومناجاته له تعالى فانه صلى

قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة خقيقة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك اوان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ماهى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال (وانهارا) وجعل فيها انهارا الان التى فيه معناه (وسبلا لعلكم تهتدون) لمقاصدكم اوالى معرفة الله سبحانه وتعالى (وعلامات) معالم تستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك (وبالنجم هم يهتدون) بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا اكثر ى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مسائرهم بالنجم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم (افمن يخلق كمن لايخلق) انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد بخلق ماعدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته مالايقدر على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ ماوكان حق الكلام افمن لايخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة بهاوالمراد بمن لايخلق كل ماعبد من دون الله سبحانه وتعالى مغلبا فيه اولوا العلم منهم اوالاصنام واجراؤها مجرى اولى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم اوللمشاكلة بينه وبين من يخلق اوللمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لايخلق من اولى العلم فكيف بمن لاعلم عنده (افلاتذكرون) فتعرفوا فساد ذلك فانه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده بادنى تذكر والتفات (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) اى لاتضبطوا عددها فضلا عن ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ماعدد نعما لاتحصروان حق عبادته غير مقدور (ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم فى اداء شكرها (رحيم) لايقطعها لتفريطكم فيه ولايعاجلكم بالعقوبة على كفرانها (والله يعلم ماتسرون وماتعلنون).

الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بى حتى اتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التى تربط فيها الانبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل اصبت الفطرة قال ثم عرج بى الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل قيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بى الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابنى الخالة يحيى وعيسى فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد ارسل اليه قال قد

من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم (والذين تدعون من دون الله) اى والآلهة الذين تعبدونهم من دون الله وقرأ ابوبكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء (لايخلقون شيئا) لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لايخلق بين انهم لايخلقون شيئا لينتج انهم لايشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنا فى الالوهية فقال (وهم يخلقون) لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغى ان يكون واجب الوجود (اموات) هم اموات لاتعتريهم الحياة اوامواتا حالا اوماآلا (غير احياء) بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغى ان يكون حيا بالذات لايعتريه الممات (ومايشعرون ايان يبعثون) ولايعلمون وقت بعثهم اوبعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغى ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف (الهكم اله واحد) تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج (فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها تكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم مالايعرف الابالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينا فى النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة فى الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين (لاجرم) حقا (ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون) فيجازيهم وهو فى موضع الرفع بجرم لانه مصدر اوفعل (انه لايحب المستكبرين) فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسول (واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم) القائل بعضهم على التهكم اوالوافدون عليهم المسلمون (قالوا اساطير الاولين) اى ماتدعون نزوله اوالمنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم اوعلى الفرض اى على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لاتحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة) اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالتهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم فى الضلال (ومن اوزار الذين يضلونهم) وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة السبب (بغير علم) حال من المفعول اى يضلون من لايعلم انهم ضلال وقائدتها

ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل من معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهرون فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم

الدلالة على ان جهلهم لايعذرهم اذا كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل (الاساء مايزرون) بئس شيئا يزرونه فعلهم (قدمكر الذين من قبلهم) اى سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام (فاتى الله بنيانهم من القواعد) فأتاها امره من جهة العمد التى بنوا عليها بان ضعضف (فخر عليهم السقف من فوقهم) وصار سبب هلاكهم (واتاهم العذاب من حيث لايشعرون) لايحتسبون ولايتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلهم اويعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته (ويقول اين شركائى) اضاف الى نفسه استهزاء اوحكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم قرأ البزى بخلاف عنه اين شركائى بغير الهمز والباقون بالهمز (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون المؤمنين فى شأنهم وقرانا فع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله عزوجل (قال الذين اوتوا العلم) اى الانبياء او العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة (ان الخزى اليوم والسوء) الذلة والعذاب (على الكافرين) وفائدة قولهم اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا ووعظا لمن سمعه (الذين تتوفاهم الملائكة) وقراحمزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة (ظالمى انفسهم) بان يكون عرضوها للعذاب المخلد (فالقوا السلم) فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت (ماكنا نعمل من سوء) قائلين ماكنا نعمل من سوء كفران وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام (بلى) اى فتجيبهم الملائكة بلى (ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ماكنا نعمل من سوء بانا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوا واحتمل ان يكون المراد عليهم هو الله اواولوا العلم (فادخلوا ابواب جهنم) كل صنف بابه المعدله وقيل ابواب جهنم اصناف عذابهم (خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) جهنم (وقيل للذين اتقوا) يعنى المؤمنين

فاذا هو مستند الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون آلف ملك ثم لايعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فاذا او راقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من امر الله ماغشيها تغيرت فما احد من خلق الله تعالى يستطيع يصفها من حسنها قال فاوحى الله الى مااوحى وفرض على فى كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة فى كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاساله التخفيف فان امتك لاتطيق ذلك وانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت اى رب خفف عن امتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى قال ما فعلت فقلت قد حط عنى خمسا قال ان امتك لاتطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال فلم ازل ارجع بين ربى وبين موسى ويحط عنى خمسا خمسا حتى قال يامحمد هى

(ماذا انزل ربكم قالوا خيرا) اى انزل خيرا وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ماقالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك (للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة) مكافاة فى الدنيا (ولدار الآخرة خير) اى ولثوابهم فى الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدل وتفسير الخير على انه منتصب بقالوا (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح (يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها مايشاؤن) من انواع المشتهيات وفى تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لايجد جميع مايريده الا فى الجنة (كذلك يجزى الله المتقين) مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس (يقولون سلام عليكم) لايحيقكم بعد مكروه (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ (هل ينظرون) مايتنظر الكفار المار ذكرهم (الا ان تأتيهم الملائكة) لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائى بالياء (او يأتى امر ربك) القيامة او العذاب المستأصل (كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم) فاصابهم ماأصاب (وماظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه (فاصابهم سيئات ماعملوا) اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها (وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن) واحاط بهم جزاؤه والحيق لايستعمل الا فى الشر (وقال الذين اشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ) انما قالوا ذلك استهزاء ومعنا للبعثة والتكليف متمسكين بان ماشاء الله يجب ومالم يشأ يمتنع فالفائدة فيهما او انكار القبح ماانكر عليهم من الشرك

خمس صلوات فى كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر او من هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب فان عملها كتبت له سيئة واحدة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك لاتطيق ذلك فقلت قد رجعت الى ربى حتى استحييت رواه الشيخان واللفظ لمسلم وروى الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ربى عز وجل قال تعالى (وآتينا موسى الكتاب) التوراة (وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) (ان لايتخذوا من دونى وكيلا) يفوضون اليه امرهم وفى قراءة تتخذوا بالفوقانية التفاتا فأن زائدة والقول مضمرا (ذرية من حملنا مع نوح) فى السفينة (انه كان عبدا شكورا) كثير الشكر لنا حامدا فى جميع احواله (وقضينا) اوحينا (الى بنى اسرائيل فى الكتاب) التوراة

وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لوكانت مستقبحة لما شاء الله صدورها منهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب من الشبهتين (كذلك فعل الذين من قبلهم) فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يؤثر فى هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدى اليه على سبيل التوسط وماشاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لامطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية فى الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله تعالى (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يأمر بعباده الله تعالى واجتناب الطاغوت (فمنهم من هدى الله) وفقهم للايمان بارشادهم (ومنهم من حقت عليه الضلالة) اذلم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به فى الآية الاخرى (فسيروا فى الارض) يامعشر قريش (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون (ان تحرص) يامحمد (على هداهم فان الله لايهدى من يضل) من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لايهتدى من يضل على البناء للمفعول وهو ابلغ (ومالهم من ناصرين) من ينصرهم بدفع العذاب عنهم (واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت) عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة فى البت على فساده ولقد رد الله تعالى عليه ابلغ رد فقال (بلى) يبعثهم (وعدا) مصدر مؤكد لنفسه وهو مادل عليه بلى فان بعث موعد من الله تعالى (عليه) انجازه لامتناع الخلف فى وعده اولان البعث مقتضى حكمته (حقا) صفة اخرى للوعد (ولكن اكثر الناس لايعلمون) انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التى جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم على المألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال (ليبين لهم) اى يبعثهم ليبين لهم (الذى يختلفون فيه) وهو الحق (وليعلم الذين كفروا

(لتفسدن فى الارض) ارض الشام بالمعاصى (مرتين ولتعلن علوا كبيرا تبغون بغيا عظيما) فاذا جاء وعد اولاهما) اولى مرتى الفساد (بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد) اصحاب قوة فى الحرب والبطش (فجاسوا) ترددوا لطلبكم (خلال الديار) وسط دياركم ليقتلوكم ويسبوكم (وكان وعدا مفعولا) وقد افسدوا الاولى بقتل زكريا فبعث عليهم جالوت وجنوده فقتلوهم وسبوا اولادهم وخربوا بيت المقدس (ثم رددنا لكم الكرة) الدولة والغلبة (عليهم) بعد مائة سنة بقتل جالوت (وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) عشيرة وقلنا (ان احسنتم) بالطاعة (احسنتم لانفسكم) لان ثوابه لها (وان اسأتم) بالفساد (فلها) اساءتكم (فاذا جاء وعد) المرة (الآخرة) بعثناهم (ليسوؤا وجوهكم) يحزنوكم بالقتل والسبى حزنا يظهر فى وجوهكم (وليدخلوا

انهم كانوا كاذبين) فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعى الى البعث المقتضى له من حيث الحكمة وهو المميزين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال (انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقوله كن فيكون) وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لاتوقف له على سبق المواد والمدد والازم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلاسبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائى ههنا وفى يس فيكون عطفا على نقول اوجوابا للامر (والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا) هم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة اوالمحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل رضى الله تعالى عنهم وقوله فى الله اى فى حقه ولوجهة (لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) مباءة حسنة وهى المدينة اوتبوئة حسنة وهى المدينة (ولاجر الآخرة اكبر) مما تعجل لهم فى الدنيا وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذبارك الله لك فيه هذا ماوعدك الله تعالى فى الدنيا وما ادخرلك فى الآخرة افضل (لوكانوا يعلمون) الضمير للكفار اى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم اى للمهاجرين وقيل للمهاجرين اى لو علموا ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب اوالرفع على المدح (وعلى ربهم يتوكلون) منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) ردلقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اى جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة الملائكة والحكمة فى ذلك قد ذكرت فى سورة الانعام فان شككتم فيه (فاسألوا اهل الذكر) اهل الكتاب اوعلماء الاخبار ليعلموكم (ان كنتم لاتعلمون) وفى الاية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة اوالانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال وردبما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام على صورته

المسجد) بيت المقدس فيخربوه (كما دخلوه) وخربوه (اول مرة وليتبروا) يهلكوا (ماعلوا) غلبوا عليه (تتبيرا) هلاكا وقدافسدوا ثانيا بقتل يحيى فبعث عليهم بختنصر فقتل منهم الوفا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس وقلنا فى الكتاب (عسى ربكم ان يرحمكم) يعد المرة الثانية ان تبتم (وان عدتم) الى الفساد (عدنا) الى العقوبة وقدعادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فسلط عليهم بقتل قريظة ونفى النضير وضرب الجزية عليهم (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا وسجنا (ان هذا القرآن يهدى للتى) اى للطريقة التى (هى اقوم) اعدل واصوب (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا و) بخبر (ان الذين لايؤمنون بالآخرة اعتدنا) اعددنا (لهم عذابا اليما) مؤلما هو النار (ويدع الانسان بالشر) على نفسه واهله

التى هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لايعلم (بالبينات والزبر) اى ارسلناهم بالبينات والزبر اى المعجزات والكتب كانه جواب قائل قال بم ارسلو اويجوزان يتعلق بما ارسلنا داخلا فى الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ماضربت الا زيدا بالسوط اوصفة لهم اى رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحى على المفعولية اوالحال من القائم مقام فعله وهو اليهم على ان قوله فاسألوا اعتراض اوبلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام (وانزلنا اليك الذكر) اى القرآن وانما سمى ذكر الانه موعظة وتنبيه (لتبين للناس مانزل اليهم) فى الذكر بتوسط انزاله اليك مما امر وابه ونهوا عنه اومما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود اويرشد الى يدل عليه كالقياس ودليل العقل (ولعلهم يتفكرون) وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق (افأمن الذين مكروا السيئات) اى المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان (ان يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون (اويأتيهم العذاب من حيث لايشعرون) بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط (اويأخذهم فى تقلبهم) اى متقلبين فى مسائرهم ومتاجرهم (فما هم بمعجزين اويأخذهم على تخوف) على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون اوعلى ان ينقص شيئا بعد شئ فى انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال على المنبر ماتقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم * قال شاعرنا ابوكبير يصف ناقته * تخوف الرجل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن * فقال عمر عليكم بديوانكم لاتضلوا قالوا وماديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لايعاجلكم بالعقوبة (اولم يروا الى ماخلق الله من شئ) استفهام انكار اى قدر اوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها (يتفيؤ ظلاله) اى اولم ينظروا الى المخلوقات التى لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائى تروا بالتاء وابو عمرو تتفيأ بالتاء (عن اليمين والشمائل) عن ايمانها وعن شمائلها اوعن جانبى

اذا ضجر (دعاءه) اى كدعائه له (بالخير وكان الانسان) الجنس (عجولا) بالدعاء على نفسه وعدم النظر فى عاقبته (وجعلنا الليل والنهار آيتين) دالتين على قدرتنا (فمحونا آية الليل) طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه والاضافة للبيان (وجعلنا آية النهار مبصرة) اى مبصرا فيها بالضوء (لتبتغوا) فيه (فضلا من ربكم) بالكسب (ولتعلموا) بهما (عدد السنين والحساب) للاوقات وكل شئ) يحتاج اليه (فصلناه تفصيلا) بيناه تبيينا (وكل انسان الزمناه طائره) عمله يحمله (فى عنقه) خص بالذكر لان اللزوم فيه وقال مجاهد مامن مولود يولد الا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقى او سعيد (ونخرج له يوم القيامة كتابا) مكتوبا فيه عمله (يلقاه منشورا) صفتان لكتابا ويقال له (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) محاسبا (من اهتدى فانما يهتدى

كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير فى ظلاله وجمعه فى قوله (سجدا لله وهم داخرون) وهما حالان من الضمير فى ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ راسه ليركب او سجد حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام فى انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل اولان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقى لان الكواكب تظهر منه آخذة فى الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربى المقابل له فلان الظلال فى اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الشرقى من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقى من الارض (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض) اى ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله (من دابة) بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كان فى ارض او سماء (والملائكة) عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما فى الارض والملائكة تكرير لما فى السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما أو المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء (وهم لا يستكبرون) عن عبادته (يخافون ربهم من فوقهم) يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر لقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير فى لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله تعالى لا يستكبر عن عبادته (ويفعلون ما يؤمرون) من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء (وقال الله لا تتخذوا

لنفسه) لان ثواب اهتدائه له (ومن ضل فانما يضل عليها) لان اثمه عليها (ولا تزر) نفس (وازرة) آثمة اى لا تحمل (وزر) نفس (اخرى وما كنا معذبين) احدا (حتى نبعث رسولا) يبين له ما يجب عليه (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها) منعميها بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسلنا فعصوا فيها) فخرجوا عن امرنا (فحق علينا القول) بالعذاب (فدمرناها تدميرا) اهلكناها باهلاك اهلها وتخريبها (وكم) اى كثيرا (اهلكنا من القرون) الامم (من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) عالما ببواطنها وظواهرها وبه يتعلق بذنوب (من كان يريد) بعمله (العاجلة) اى الدنيا (عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) التعجيل له بدل من له باعادة الجار (ثم جعلنا له) فى الاخرة (جهنم يصلاها) يدخلها (مذموما) ملوما (مدحورا)

الهين اثنين) ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه وايماء بان الاثنينية تنافي الالوهية كما ذكر الواحد في قوله (انما هو اله واحد) للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية (فاياى فارهبون) نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال فاناذلك الاله الواحد فاياى فارهبون لاغيرى (وله مافى السموات والارض) خلقا وملكا (وله الدين) اى الطاعة (واصبا) لازما لما تقرر من انه الآله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزآء دائما لاينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر (افغير الله تتقون) ولاضار سواه كما لانافع غيره كما قال تعالى (ومابكم من نعمة فمن الله) اى واى شئ اتصل بكم من نعمة فهو من الله وماشرطية اوموصلة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله تعالى لالحصولها منه (ثم اذامسكم الضر فاليه تجأرون) فاتتضرعون الاالله والجوأر رفع الصوت فى الدعا والاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) وهم كفاركم (ليكفروا) بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان فكأنه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد (بما اتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفر ان النعمة او انكار كونها من الله تعالى (فتمتعوا) امر تهديد (فسوف تعلمون) اغلظ وعيده وقرئ فيتمعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب (ويجعلون لمالايعلمون) اى لالهتهم التى لاعلم لها لانها جماد فيكون الضمير لما اوالتى لايعلمونها فيعتقدون بها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف اوالجهلهم على ان مامصدرية والمجعول له محذوف للعلم به (نصيبا مما رزقناهم) من الزرع والانعام (تالله لتسألن عما كنتم تفترون) انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه (ويجعلون لله البنات) كانت خزاعة وكنانة يقولون ان الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له

مطرودا عن الرحمة) ومن اراد الآخرة وسعى لها) سعيها) عمل عملها اللائق بها (وهو مؤمن) حال (فاولئك كان سعيهم مشكورا) عند الله اى مقبولا مثابا عليه (كلا) من الفريقين (نمد) نعطى (هؤلاء وهؤلاء) بدل (من) متعلق بنمد (عطاء ربك) فى الدنيا (وما كان عطاء ربك) فيها (محظورا) ممنوعا عن احد (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى الرزق والجاه (وللاخرة اكبر) اعظم (درجات واكبر تفضيلا) من الدنيا فينبغى الاعتناء بها دونها (لاتجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا) لاناصر لك (وقضى) امر (ربك ان) اى بان (لاتعبدوا الا اياه و) ان تحسنوا (بالوالدين احسانا) بان تبروهما (اما يبلغن عندك الكبر احدهما) فاعل (اوكلاهما) وفى قراءة يبلغان فاحدهما بدل من الفه (فلاتقل لهما اف) بفتح الفاء وكسرها

من قولهم او تعجب منه (ولهم مايشتهون) يعنى البنين و يجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشئ واحد لكنه لايبعد تجويزه فى المعطوف (واذا بشر احدهم بالانثى) اخبر بولادتها (ظل وجهه) صار اودام النهار كله (مسودا) من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير (وهو كظيم) مملوء غيظا من المرأة (يتوارى من القوم) يستخفى منهم (من سوء مابشر به) من سوء المبشر به عرفا (أيمسكه) محدثا فى نفسه متفكرا فى ان يتركه (على هون) ذل (ام يدسه فى التراب) ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ماوقرئ بالتأنيث فيهما (الاساء مايحكمون) حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ماهذا محله عندهم (للذين لايؤمنون بالاخرة مثل السوء) صفة السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهار بهم وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين (وهو العزيز الحكيم) المنفرد بكمال القدرة والحكمة (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ماترك عليها) على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس او الدابة عليها (من دابة) قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كاد الجعل يهلك فى جحر بذنب ابن آدم اومن دابة ظالمة وقيل لواهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) سماه لاعمارهم اولعذابهم كى يتوالدوا (فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون) بل هلكوا وعذبوا حينئذ لامحالة ولايلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز ان يضاف اليهم ماشاع فيهم وصدر عن اكثرهم (ويجعلون لله مايكرهون) اى مايكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء فى الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال (وتصف السنتهم الكذب) مع ذلك وهو (ان لهم الحسنى) اى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة (لاجرم ان لهم النار) ردلكلامهم واثبات لضده (وانهم مفرطون) مقدمون الى النار من افرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من

منونا وغير منون مصدر بمعنى تبا وقبحا (ولاتنهرهما) تزجرهما (وقل لهما قولا كريما) جميلا لينا (واخفض لهما جناح الذل) الن لهما جانبك الذليل (من الرحمة) اى لرقتك عليهما (وقل رب ارحمهما كما) رحمانى حين (ربيانى صغيرا ربكم اعلم بما فى نفوسكم) من اضمار البر والعقوق (ان تكونوا صالحين) طائعين لله (فانه كان للاوابين) الرجاعين الى طاعته (غفورا) لما صدر منهم فى حق الوالدين من بادرة وهم لايضمرون عقوقا (وآت) اعط (ذا القربى) القرابة (حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا) بالانفاق فى غير طاعة الله (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) اى على طريقهم (وكان الشيطان لربه كفورا) شديد الكفر لنعمه فكذلك اخوه المبذر (واما تعرضن عنهم) اى المذكورين من ذى القربى ومايعده فلم

الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات (تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم) فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين (فهو وليهم اليوم) اى فى الدنيا وعبر باليوم عن زمانها اوفهو وليهم حين كان يزين لهم اويوم القيامة على انه حكاية حال ماضيه اوآتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولى هؤلاء اليوم يغرهم ويغويهم وان يقدر مضاف اى فهو ولى امثالهم والولى القرين اوالناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه (ولهم عذاب اليم) فى القيامة (وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه) من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) معطوفان على محل ليبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين (والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها) انبت فيها انواع النبات بعد يبسها (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر وانصاف (وان لكم فى الانعام لعبرة) دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم (نسقيكم مما فى بطونه) استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها اولواحده اوله على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابوبكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفى المؤمنين (من بين فرث ودم لبنا) فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء المأكولة المتهضمة بعض الانهضام فى الكرش وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعلة ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذى يغذى البدن لانهما لايتكونان فى الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثقله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاط اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بمازاد على قدر الحاجة من المرتين ويدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقى على الاعضاء بحسبها فيجرى الى كل حقه على تعطهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) اى لطلب رزق تنتظره ياتيك فتعطيهم منه (فقل لهم قولا ميسورا) لينا سهلا بان تعدهم بالاعطاء عند مجئ الرزق (ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك) اى لاتمسكها عن الانفاق كل المسك (ولاتبسطها فى الانفاق (كل البسط فتعد ملوما) راجع للاول (محسورا) منقطعا لاشئ عندك راجع للثانى (ان ربك يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء ويقدر) يضيقه لمن يشاء (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) عالما ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم (ولا تقتلوا اولادكم) بالواد (خشية) مخافة (املاق) فقر (نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ) اثما (كبيرا) عظيما (ولاتقربوا الزنا) ابلغ من لاتاتوه (انه كان فاحشة) قبيحا (وساء) بئس (سبيلا) طريقا هو (ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن

مايليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاد البرودة والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد اوبعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى فى احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على مايليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهى رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض مافى بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذى يبتدئ منه الاسقاء وهى متعلقة بنسقيكم اوحال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة (خالصا) صافيا لايستصحب لون الدم ولارائحة الفرث اومصفى عما تصحبه من اجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه (سائغا للشاربين) سهل المرور فى حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف (ومن ثمرات النخيل والاعناب) متعلق بمحذوف اى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرهما وقوله (تتخذون منه سكرا) استئناف لبيان الاسقاء اوتتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا اوخبر لمحذوف صفته تتخذون اى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذى هو العصير اولان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمى به الخمر (ورزقا حسنا) كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والافمجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال * جعلت اعراض الكرام سكرا * اى تثقلت باعراضهم وقيل مايسد الجوع من السكر فيكون الرزق مايحصل من اثمانه (ان فى ذلك لاية لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل فى الآيات (واوحى ربك الى النحل) الهمها وقذف فى قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين (ان اتخذى) بان اتخذى ويجوز ان تكون ان مفسرة لان فى الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر (من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) ذكر بحرف التبعيض لانها لاتبنى فى كل جبل وكل شجر وكل مايعرش من كرم اوسقف ولافى كل مكان منها وانما سمى ماتبنيه ليتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الضيعة وصحة القسمة التى لايقوى عليها حذاق

قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه) لوارثه (سلطانا) تسلطا على القاتل (فلا يسرف) يتجاوز الحد (فى القتل) بان يقتل غير قاتله اوبغير ماقتل به (انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الابالتى هى احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد) اذا عاهدتم الله اوالناس (ان العهد كان مسؤلا) عنه (واوفوا الكيل) اتموه (اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم) الميزان السوى (ذلك خير واحسن تأويلا) مآلا (ولاتقف) تتبع (ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد) القلب (كل اولئك كان عنه مسؤلا) صاحبه ماذا فعل به (ولاتمش فى الارض مرحا) اى ذا مرح بالكبر والخيلاء (انك لن تخرق الارض) تقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك (ولن تبلغ الجبال طولا) المعنى انك لاتبلغ هذا المبلغ فكيف تختال (كل ذلك) المذكور (كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما اوحى

المهندسين الابالآت وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الياء لاجل الياء وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء (ثم كلى من كل الثمرات) من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها (فاسلكى) ما اكلت (سبل ربك) فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكى الطرق التى الهمك فى عمل العسل او فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لاتتوعر عليك ولاتلتبس (ذللا) جمع ذلول وهى حال من السبل اى مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك او من الضمير فى اسلكى اى وانت ذلل منقادة لما امرت به (يخرج من بطونها) كانه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم (شراب) يعنى العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل فى باطنها عسلا ثم تقئ ادخار للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه (مختلف الوانه) ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل او الفصل (فيه شفاء للناس) اما بنفسه كما فى الامراض البلغمية او مع غيره كما فى سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرئ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن اولما بين الله من احوال النحل (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقه والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لابد له من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه (والله خلقكم ثم يتوفاكم) بآجال مختلفة (ومنكم من يرد) يعاد (الى ارذل العمر) اخسه يعنى الهرم الذى يشابه الطفولية فى نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية فى النسيان وسوء الفهم (ان الله عليم) بمقادير اعمارهم (قدير) يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفانى وفيه تنبيه

اليك) يامحمد (ربك من الحكمة) الموعظة (ولاتجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) مطرودا عن رحمة الله (افأصفاكم) اخلصكم ياأهل مكة (ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا) بنات لنفسه بزعمكم (انكم لتقولون) بذلك (قولا عظيما ولقد صرفنا) بينا (فى هذا القرآن) من امثال والوعد والوعيد (ليذكروا) يتعظوا (ومايزيدهم) ذلك (الانفورا) عن الحق (قل) لهم (لو كان معه) اى الله (آلهة كما تقولون اذا لابتغوا) طلبوا (الى ذى العرش) اى الله (سبيلا) ليقاتلوه (سبحانه) تنزيها له (وتعالى عما يقولون) من الشركاء (علوا كبيرا تسبح له) تنزهه (السموات السبع والارض ومن فيهن وان) ما (من شئ) من المخلوقات (الا يسبح) ملتبسا (بحمده) اى يقول سبحان الله وبحمده (ولكن لاتفقهون) تفهمون (تسبيحهم) لانه ليس بلغتكم

على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت الى هذا المبلغ (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) فمنكم غنى ومنكم فقير ومنكم موالى يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك (فما الذين فضلوا برادى رزقهم) بمعطى رزقهم (على ما ملكت ايمانهم) على مماليكهم فانما يردون عليهم الذى جعله الله تعالى فى ايديهم فهم فيه سواء فالموالى والمماليك سواء فى ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية اومقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا فى الرزق على انه ردوانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته فى الالوهية ولا يرضون ان تشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه (افبنعمة الله يجحدون) حيث يتخذون له شركا فانه يقتضى ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله اوحيث انكروا امثال هذه الحجج بعدما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين الجحود معنى الكفر وقرأ ابوبكر تجحدون بالتاء لقوله تعالى خلقكم وفضل بعضكم (والله جعل لكم من انفسكم ازواجا) اى من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم (وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة) واولادا اولادو بنات فان الحافد هو المسرع فى الخدمة والبنات يحد من فى البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين (ورزقكم من الطيبات) من اللذائذ اومن الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق فى الدنيا انموذج منها (افبالباطل يؤمنون) وهو ان الاصنام تنفعهم اوان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب (وبنعمة الله هم يكفرون) حيث اضافوا نعمه الى الاصنام اوحرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام اولايهام التخصيص مبالغة اوللمحافظة على الفواصل (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا) من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه (ولا يستطيعون) ان يتملكوه اذلا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده فى ما لا يملك لان ما مفرد فى معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى

(انه كان حليما غفورا) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) اى ساترا لالك عنهم فلا يرونك نزل فيمن اراد الفتك به صلى الله عليه وسلم (وجعلنا على قلوبهم اكنة) اغطية (ان يفقهوه) من ان يفهموا القرآن اى فلا يفهمونه (وفى آذانهم وقرا) ثقلا فلا يسمعونه (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا) عنه (نحن اعلم بما (يستمعون به) بسببه من الهزء (اذ يستمعون اليك) قراءتك (واذهم نجوى) يتناجون بينهم اى يتحدثون (اذ) بدل من اذ قبله (يقول الظالمون) فى تناجيهم (ان) ما (تتبعون الا رجلا مسحورا) مخدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال) بالمسحور والكاهن والشاعر (فضلوا) بذلك عن الهدى (فلا يستطيعون سبيلا) طريقا اليه (وقالوا) منكرين للبعث (ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون

الكفار اى ولايستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد (فلاتضربوا لله الامثال) فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به اوتقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال (ان الله يعلم) فساد ماتعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل فى التعظيم من عبادته اوعظم جرمكم فيما تفعلون (وانتم لاتعلمون) ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهى او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لاتعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلاتضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لاتعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لايقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون) مثل مايشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذى رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشراك والتسوية بينهما مع تشاركهما فى الجنسية والمحلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التى هى المخلوقات وبين الله الغنى القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك التميز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة للتميز عن المكاتب والمأذون وجعله للسيد المالك المتصرف يدل على المملوك لايملك والاظهر ان من نكرة موصوفة لتطابق عبد وجمع الضمير فى يستوون لانه للجنس فان المعنى هل يستوى الاحرار والعبيد (الحمد لله) كل الحمد له لايستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها (بل اكثرهم لايعلمون) فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها (وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم) ولد اخرس لايفهم ولايفهم (لايقدر على شئ) من الصنائع والتدابير لنقصان عقله (وهو كل على مولاه) عيال وثقل على من يلى امره (اينما يوجهه) حيث مايرسله مولاه فى امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله * اينما اوجه القى سعدا * وتوجه بلفظ الماضى (لايأت بخير) بنجح وكفاية مهم (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل) ومن هو منطيق فهم ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل (وهو على صراط مستقيم) وهو فى نفسه على طريق مستقيم لايتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعى وانما قابل تلك الصفات بهذين

خلقا جديدا قل) لهم (كونوا حجارة اوحديدا اوخلقا مما يكبر فى صدوركم) يعظم عن قبول الحياة فضلا عن العظام والرفات فلابد من ايجاد الروح فيكم (فسيقولون من يعيدنا) الى الحياة (قل الذى فطركم) خلقكم (اول مرة) ولم تكونوا شيئا لان القادر على البدء قادر على الاعادة بل هى اهون (فسينغضون) يحركون (اليك رؤسهم) تعجبا (ويقولون) استهزاء (متى هو) اى البعث (قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم) يناديكم من القبور على لسان اسرافيل (فتستجيبون) فتجيبون دعوته من القبور (بحمده) يأمره وقيل وله الحمد (وتظنون ان) ما (لبثتم) فى الدنيا (الا قليلا) لهول ماترون (وقل لعبادى) المؤمنين (يقولوا) للكفار الكلمة (التى هى احسن ان) الشيطان ينزغ) يفسد (بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) بين العداوة والكلمة التناهى احسن هى (ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم) بالتوبة والايمان

الوصفين لانهما كمال مايقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها اوللمؤمن والكافر (ولله غيب السموات والارض) يختص به علمه لايعلمه غيره وهو ماغاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا لهم ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض (وما امر الساعة) ومامر قيام القيامة فى سرعته وسهولته (الاكلمح البصر) الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها (اوهو اقرب) اوامرها اقرب منه بان يكون فى زمان نصف تلك الحركة بل فى الآن الذى يبتدأ فيه فالله تعالى يحيى الخلائق دفعة ومايوجد دفعة كان فى آن واو للتحييرا وبمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عندالله كالشئ الذى تقولون فيه هو كلمح البصر اوهو اقرب مبالغة فى استقرابه (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على ان يحيى الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال (والله اخرجكم من بطون امهاتكم) وقرأ الكسائى بكسر الهمزة على انه لغة اواتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها فى اهراق (لاتعلمون شيئا) جهلا مستحبين جهل الجمادية (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم بمشاركات ومباينات بينها بتكرار الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها (لعلكم تشكرون) كى تعرفوا ماانعم الله عليكم طورا بعد طور فتشكرون الم يروا الى الطير قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة (مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المؤاتية له (فى جو السماء) فى الهواء المتباعد من الارض (مايمسكهن) فيه (الا الله) فان ثقل جسدها يقتضى سقوطها ولاعلاقة فوقها ولادعامة تحتها تمسكها (ان فى ذلك لايات) تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها فى الهواء على خلاف طبعها (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون بها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هى القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف

(اوان يشأ) تعذيبكم (يعذبكم) بالموت على الكفر (وما ارسلناك عليهم وكيلا) فتجبرهم على الايمان وهذا قبل الامر بالقتال (وربك اعلم بمن فى السموات والارض) فيخصهم بماشاء على قدر احوالهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد بالاسراء (وآتينا داود زبورا قل) لهم (ادعوا الذين زعمتم) انهم الهة (من دونه) كالملائكة وعيسى وعزير (فلايملكون كشف الضر عنكم ولاتحويلا) له الى غيركم (اولئك الذين يدعونهم) آلهة (يبتغون) يطلبون (الى ربهم الوسيلة) القربة بالطاعة (ايهم) بدل من واو يبتغون اى يبتغيها الذى هو (اقرب) اليه فكيف بغيره (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا وان) ما (من قرية) اريد اهلها الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) بالموت (اومعذبوها عذابا شديدا)

والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها (تستخفونها) تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها (يوم ظعنكم) وقت ترحالكم ووضعها اوضربها (ويوم اقامتكم) وقت الحضر اوالنزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة فيه (ومن اصوافها واوبارها واشعارها) الصوف للضان والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها (اثاثا) مايلبس ويفرش (ومتاعا) مايتجر به (الى حين) الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة اوالى حين مماتكم اوالى ان تقضوا منه اوطار (والله جعل لكم مما خلق) من الشجر والجبال والابنية وغيرها (ظلالا) تتفيؤن به حر الشمس (وجعل لكم من الجبال اكنانا) مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن (وجعل لكم سرابيل) ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها (تقيكم الحر) خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين اولأن وقاية الحر كانت اهم عندهم (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعنى الدروع والجواشن والسربال يعم كل مايلبس (كذلك) كاتمام هذه النعم التى تقدمت (يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) اى تنظرون فى نعمه فتؤمنون به اوتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اى تشكرون فتسلمون من العذاب اوتنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) اعرضوا ولم يقبلوا منك (فانما عليك البلاغ المبين) فلايضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب (يعرفون نعمة الله) اى يعرف المشركون نعمة الله التى عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا اوبسبب كذا اوباعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة (واكثرهم الكافرون) الجاحدون عنادا وذكر الاكثر امالان بعضهم لم يعرفوا الحق لنقصان العقل اوالتفريط فى النظر اولم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقال مقام الكل كما فى قوله بل اكثرهم لايعلمون (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر (ثم لايؤذن للذين كفروا) بالقتل وغيره (كان ذلك فى الكتاب) اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا (وما منعنا ان نرسل بالآيات) التى اقترحها اهل مكة (الا أن كذب بها الاولون) لما ارسلناها فاهلكناهم ولو ارسلناها الى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الاهلاك وقد حكمنا بامهالهم لاتمام امر محمد (وآتينا ثمود الناقة) آية (مبصرة) بينة واضحة (فظلموا) كفروا (بها) فاهلكوا (وما نرسل بالآيات) المعجزات (الا تخويفا) للعباد فيؤمنوا (و) اذكر (اذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس) علما وقدرة فهم فى قبضته فبلغهم ولاتخف احدا فهو يعصمك منهم (وما جعلنا الرؤيا التى اريناك) عيانا ليلة الاسراء (الا فتنة للناس) اهل مكة اذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما اخبرهم بها (والشجرة الملعونة فى القرآن) وهى الزقوم التى تنبت فى اصل الجحيم جعلناها فتنة لهم اذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته (ونخوفهم) بها (فما يزيدهم) تخويفنا (الا طغيانا كبيرا و) اذكر

في الاعتذار اذلا عذر لهم وقيل الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة مايحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلى على مايمنون به من شهادة الانبياء عليهم (ولاهم يستعتبون) ولاهم يسترضون من العتبى وهى الرضى وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم اويحيق بهم مايحيق وكذا قوله (واذا رأى الذى ظلموا العذاب) عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) اى العذاب (ولاهم ينظرون) يمهلون (واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم) اوثانهم التى دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) نعبدهم اونطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين فى ذلك او التماس بان يشطر عذابهم (فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون) اى اجابوهم بالتكذيب فى انهم شركاء الله اوانهم ماعبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ولايمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ اوفى انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى (والقوا) والقى الذين ظلموا (الى الله يومئذ السلم) الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا (وضل عنهم) وضاع عنهم وبطل (ما كانوا يفترون) من ان آلهتهم تنصرونهم وتشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر (زدناهم عذابا) لصدهم (فوق العذاب) المستحق بكفرهم (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين بصدهم (ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم) يعنى نبيهم فان نبى كل امة بعث منهم (وجئنا بك) يامحمد شهيدا (على هؤلاء) على امتك (ونزلنا عليك الكتاب) استئناف اوحال باضمار قد (تبيانا) بليغا (لكل شئ) من امور الدين على التفصيل اوالاجمال بالاحالة الى السنة اوالقياس (وهدى ورحمة) للجمع وانما خرمان المحروم من تفريطه (وبشرى للمسلمين) خاصة (ان الله يأمر بالعدل) بالتوسط فى الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير (والاحسان) احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل

(اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية بالانحناء (فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) نصب بنزع الخافض اى من طين (قال ارأيتك) اى اخبرنى (هذا الذى كرمت) فضلت (على) بالامر بالسجود له واناخير منه خلقتنى من نار (لئن) لام قسم (اخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن) لاستأصلن (ذريته) بالاغواء (الا قليلا) منهم ممن عصمته (قال) تعالى له (اذهب) منظرا الى وقت النفخة الاولى (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) انتوهم (جزاء موفورا) وافرا كاملا (واستفزز) استخف (من استطعت منهم بصوتك) بدعائك بالغناء والمزامير وكل ذاع الى المعصية (واجلب) صح (عليهم بخيلك ورجلك) وهم الركاب والمشاة فى المعاصى (وشاركهم فى الاموال) المحرمة كالربا والغصب (والاولاد) من الزنا (وعدهم) بان لابعث ولاجزاء (وما يعدهم الشيطان) بذلك

واما بحسب الكيفة كما قال عليه الصلاة والسلام الاحسنان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (وايتاء ذى القربى) واعطاء الاقارب مايحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة (وينهى عن الفحشاء) عن الافراط فى مشايعة القوة الشهوية كالزنى فانه اقبح احوال الانسان واشنعها (والمنكر) ماينكر على متعاطيه فى اثارة القوة الغضبية (والبغى) والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التى هى مقتضى القوة الوهمية ولايوجد من الانسان شر الاهو مندرج فى هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه هى اجمع آية فى القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان ابن مظعون رضى الله تعالى عنه ولو لم يكن فى القرآن غير هذه الاية لصدق عليه انه تبيان لكل شئ وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه (يعظكم) بالامر والنهى والميز بين الخير والشر (لعلكم تذكرون) تتعظون (واوفوا بعهد الله) يعنى البيعة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله (اذا عاهدتم) وقيل النذر وقيل الايمان بالله (ولاتنقضوا الايمان) ايمان البيعة او مطلق الايمان (بعد توكيدها) بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه اكد بقلب الواو همزة (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه (ان الله يعلم ماتفعلون) فى نقض الايمان والعود (ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها) ماغزلته مصدر بمعنى المفعول (من بعد قوة) متعلق بنقضت غزلها من بعد ابرام واحكام (انكاثا) طاقات نكثت فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثانى لقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل هى ريطة بنت سعد ابن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) حال من الضمير فى ولا تكونوا او فى الجار الواقع موقع الخبر اى ولا تكونوا مشبهين بامرأة هذا شانها متخذى ايمانكم مفسدة ودخلى بينكم واصل الدخل مايدخل الشئ ولم يكن منه (ان تكون امة هى اربى من امة) بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لاتغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا

الاغرورا) باطلا (ان عبادى) المؤمنين (ليس لك عليهم سلطان) تسلط وقوة (وكفى بربك وكيلا) حافظا لهم منك (ربكم الذى يزجى) يجرى (لكم الفلك) السفن (فى البحر لتبتغوا من فضله) تعالى بالتجارة (انه كان بكم رحيما) فى تسخيرها لكم (واذا مسكم الضر) الشدة (فى البحر) خوف الغرق (ضل) غاب عنكم (من تدعون) تعبدون من الآلهة فلا تدعونه (الا اياه) تعالى فانكم تدعونه وحده لانكم فى شدة لايكشفها الاهو (فلما نجاكم) من الغرق واوصلكم (الى البر اعرضتم) عن التوحيد (وكان الانسان كفورا) جحودا للنعم (افأمنتم ان نخسف بكم جانب البر) اى الارض كقارون (او نرسل عليكم حاصبا) اى نرميكم بالحصباء كقوم لوط (ثم لاتجدوا لكم وكيلا) حافظا منه (ام امنتم ان نعيدكم فيه اى البحر (تارة) مرة (اخرى فنرسل عليكم قاصفا من الريح) اى ريحا شديدة لاتمر بشئ الا فصفته فتكسر فلككم

شوكة فى اعادى خلفائهم نقضوا عهدهم وخالفوا اعداءهم (انما يبلوكم الله به) الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اى يختبركم بكونكم اربى لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله و بيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للامر بالوفاء (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن يضل من يشاء) بالخذلان (ويهدى من يشاء) بالتوفيق (ولتسألن عما كنتم تعملون) سؤال تبكيت ومجازاة (ولاتتخذوا ايمانكم دخلا بينكم) تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة فى قبح المنهى (فتزل قدم) اى محجة الاسلام (بعد ثبوتها) عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) العذاب فى الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره (ولكم عذاب عظيم) فى الاخرة (ولاتشتروا بعهد الله) ولاتستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين و يشترطون لهم على الارتداد (ان ماعند الله) من النصر والتغنيم فى الدنيا والثواب فى الآخرة (هو خير لكم) مما يعدونكم (ان كنتم تعلمون) ان كنتم من اهل العلم والتمييز (ماعندكم) من اعراض الدنيا (ينفد) يتقضى ويفنى (وماعند الله) من خزائن رحمته (باق) لاينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم الجنة باق (وليجزين الذين صبروا اجرهم) على الفاقة واذى الكفار اوعلى مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون (باحسن ماكانوا يعملون) بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم (من عمل صالحا من ذكر اوانثى) بينه بالنوعين دفعا للتخصيص (وهو مؤمن) اذلا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب (فلنحيينه حياة طيبة) فى الدنيا بعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم فى الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات

(فنغرفكم بما كفرتم) بكفركم (ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) ناصرا او تابعا يطالبنا بما فعلنا بكم (ولقد كرمنا) فضلنا (بنى آدم) بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك ومنه طهارتهم بعد الموت (وحملناهم فى البر) على الدواب (والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا) كالبهائم والوحوش (تفضيلا) فمن بمعنى او على بابها وتشمل الملائكة والمراد تفضيل الجنس ولايلزم تفضيل افراده اذهم افضل من البشر غير الانبياء اذكر (يوم ندعوكل اناس بامامهم) نبيهم فقال يا امة فلان او بكتاب اعمالهم فيقال ياصاحب الخير ياصاحب الشر وهو يوم القيامة (فمن اوتى) منهم (كتابه بيمينه) وهم السعداء اولو البصائر فى الدنيا (فأولئك يقرؤن كتابهم ولايظلمون) ينقصون من اعمالهم (فتيلا) قدر قشرة النواة (ومن كان فى هذه) اى الدنيا (اعمى) عن الحق (فهو فى الاخرة اعمى) عن طريقة النجاة وقراءة

ان يتهنأ بعيشه وقيل فى الآخرة (ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) من الطاعة (فاذا قرأت القرآن) اذا اردت قراءته كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك فى القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلى يستعيذ فى كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ (انه ليس له سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) على اولياء الله تعالى المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا (انما سلطانه على الذين يتولونه) يحبونه ويطيعونه (والذين هم به) بالله او بسبب الشيطان (مشركون واذا بدلنا آية مكان آية) بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما (والله اعلم بما ينزل) من المصالح فلعل ما يكون مصلحة فى وقت يسير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمر وينزل بالتخفيف (قالوا) اى الكفرة (انما انت مفتر) متقول على الله تأمر بشئ ثم ببدوا لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا (بل اكثرهم لا يعلمون) حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب (قل نزله روح القدس) يعنى جبريل عليه السلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفى ينزل ونزله تنبيه على انزاله مندرجا على حسب المصالح مما يقتضى التبديل (من ربك بالحق) ملتبسا بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) على الايمان بانه كلامه وانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم (وهدى

الكتاب (واضل سبيلا) ابعد طريقا عنه ونزل فى ثقيف وقد سألوه صلى الله عليه وسلم ان يحرم وادیهم الحوا عليه (وان) مخففة ليستنزونك (كادوا) قاربوا (ليفتنونك) عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا) لو فعلت ذلك (لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك) على الحق بالعصمة (لقد كدت) فاربت (تركن) تميل (اليهم شيا) ركونا (قليلا) لشدة احتيالهم والحاحهم وهو صريح فى انه صلى الله عليه وسلم لم يركن ولا قارب (اذا) لو ركنت (لاذقناك ضعف عذاب) الحياة وضعف الممات) اى مثلى ما يعذب غيرك فى الدنيا والآخرة (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) مانعا منه ونزل لما قال له اليهود ان كنت نبيا فالحق بالشام فانها ارض الانبياء (وان) مخففة (كادوا ليستفزونك من الارض) ارض المدينة (ليخرجوك منها واذا) لو اخرجوك (لا يلبثون خلفك) فيها (الا قليلا) ثم يهلكون (سنة

وبشرى للمسلمين) المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشارة فيه تعرض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر) يعنون جبر الرومى غلام عامر بن الحضرمى وقيل جبر اويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرءان التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يمر عليهما ويسمع مايقرءانه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسى (لسان الذى يلحدون اليه اعجمى) لغة الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائى يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمى غيربين (وهذا) وهذا القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان مايسمعه منه كلام اعجمى لايفهمه هو ولاانتم والقرآن عربى تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ماتلقفه منه وثانيهما هب انه يفهم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذاك اعجمى وهذا عربى والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التى فى القرآن لايمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق فى تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقى سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم فى القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم (ان الذين لايؤمنون بآيات الله) لايصدقون انها من عند الله (لايهديهم الله) الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة (ولهم عذاب اليم) فى الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ماماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال (انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله) لانهم لايخافون عقابا يردعهم عنه (واولئك) اشارة الى الذين كفروا او الى قريش (هم الكاذبون) اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب ولايصرفهم عنه دين ولامروءة او الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر انما يعلمه شر (من كفر بالله من بعد ايمانه) بدل من الذين لايؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب

من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) اى كسنتنا فيهم من اهلاك من اخرجهم (ولا تجد لسنتنا تحويلا) تبديلا (اقم الصلاة لدلوك الشمس) اى من وقت زوالها (الى غسق الليل) اقبال ظلمته اى الظهر والعصر والمغرب والعشاء (وقرآن الفجر) صلاة الصبح (ان قرآن الفجر كان مشهودا) تشهده ملائكة النهار (ومن الليل فتهجد) فصل (به) بالقرآن (نافلة لك) فريضة زائدة لك دون امتك او فضيلة على الصلوات المفروضة (عسى ان يبعثك) يقيمك (ربك) فى الآخرة (مقاما محمودا) يحمدك فيه الاولون والآخرون وهو مقام الشفاعة فى فصل القضاء ونزل لما امر بالهجرة (وقل رب ادخلنى) المدينة (مدخل صدق) ادخالا مرضا لاارى فيه ما اكره (واخرجنى) من مكة (مخرج صدق) اخراجا لاالتفت بقلبى اليها (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) قوة تنصرنى بها على اعدائك (وقل) عند دخولك مكة

اوذم مرفوع اومنصوب او شرط محذوف الجواب (الا من اكره) على الافتراء اوكلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان (وقلبه مطمئن بالايمان) لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا)اعتقده وطاب به نفسا (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) اذلا اعظم من جرمه روى ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة فى قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين فى الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ماارادوا مكرها فقيل يارسول الله ان عمارا كفر افقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه فقال مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان افضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ماتقول فى محمد قال رسول الله قال فماذا تقول فى فقال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ماتقول فى محمد قال رسول الله قال فانا تقول فى قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا عاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له(ذلك) اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد(بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة) بسبب انهم آثروها عليها (وان الله لايهدى القوم الكافرين) اى الكافرين فى علمه الى مايوجب ثبات الايمان ولايعصمهم من الزيغ (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم) فأبت عن ادراك الحق والتأمل فيه (اولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة عما يراد بهم اذا غفلتهم الخالة الراهنة عن تدبر العواقب (لاجرم انهم فى الاخرة هم الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ماافتنوا) اى عذبوا كعمار رضى الله تعالى عنه بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اى بعد ماعذبوا المؤمنين كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا (ثم جاهدوا وصبروا) على الجهاد وما اصابهم من المشاق (ان ربك من بعدها) من بعد الهجرة جاء الحق) الاسلام (وزهق الباطل) بطل الكفر (ان الباطل كان زهوقا) مضمحلا زائلا وقد دخلها صلى الله عليه وسلم وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول ذلك حتى سقطت رواه الشيخان(وننزل من) للبيان (القرآن ماهو شفاء) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) به (ولا يزيد الظالمين) الكافرين (الا خسارا) لكفرهم به (واذا انعمنا على الانسان) الكافر (اعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) ثنى عطفه متبخترا (واذا مسه الشر) الفقر والشدة (كان يؤسا) قنوطا من رحمة الله (قل كل) منا ومنكم (يعمل على شاكلته) طريقته(فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) طريقا فيثيبه (ويسألونك) اى اليهود (عن الروح) الذى يحيا به البدن (قل) لهم (الروح من امر ربى) اى علمه لاتعلمونه (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) بالنسبة الى علمه تعالى (ولئن) لام

قسم (شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك) اى القرأن بان نمحوه من الصدور والمصاحف (ثم لاتجد لك به علينا وكيلا الا) لكن ابقيناه (رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا) عظيما حيث انزله عليك واعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) فى الفصاحة والبلاغة (لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا نزل رداً لقولهم لونشاء لقلنا مثل هذا (ولقد صرفنا) بينا (للناس فى هذا القرآن من كل مثل) صفة المحذوف اى مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا (فابى اكثر الناس) اى اهل مكة (الا كفورا) جحودا للحق (وقالوا) عطف على ابى (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) عينا ينبع منها الماء (اوتكون لك جنة) بستان (من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها) وسطها (تفجيرا اوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) قطعا

والجهاد والصبر (لغفور) بما فعلوا قبل (رحيم) ينعم عليهم مجازاة على ماصنعوا بعد (يوم تأتى كل نفس) منصوب برحيم اوباذكر (تجادل عن نفسها) تجادل عن ذاتها وتسعى فى خلاصها لايهمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى (وتوفى كل نفس ماعملت) جزاء ماعملت (وهم لايظلمون) لاينقصون اجورهم (وضرب الله مثلا قرية) اى وجعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم النقمة اولمكة (كانت آمنة مطمئنة) لايزعج اهلها خوف (يأتيها رزقها) اقواتها (رغدا) واسعا (من كل مكان) من نواحيها (فكفرت بانعم الله) بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع اوجمع نعم كبؤس وابؤس (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير * غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال * فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لمايلقى عليه واضاف اليه الغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لاوصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله * ينازعنى ردائى عبد عمرو * رويدك ياخا عمرو بن بكر * الى الشطر الذى ملكت يمينى * نظرا ودونك فاعتجر منه بشطر * استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر الى المستعار (بما كانوا يصنعون) بصنيعهم (ولقد جاءهم رسول منهم) يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ماذكر مثلهم (فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون) اى حال التباسهم بالظلم والعذاب ماأصابهم من الجدب الشديد اووقعة بدر (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله) امرهم باكل ماأحل الله لهم وشكر ماانعم عليهم بعد زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بماذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدالهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة (ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون اوان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وماأهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولاعاد فان الله غفور رحيم) لما امرهم بتناول ماأحل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ماعدا ها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال (ولاتقولوا

لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس الاربعة الاما اقيم عليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلاتقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه اومتعلق بتصف على ارادة القول اى ولاتقولوا الكذب لماتصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام اومفعول لاتقولوا والكذب منتصف بتصف ومامصدرية اى ولاتقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى ولاتحرموا ولاتحلوا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم بالكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب كأن حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا مما والكذب جمع كذوب اوكذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم اوبمعنى الكلم الكواذب (لتفتروا على الله الكذب) تعليل لايتضمن الغرض (ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون) لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله (متاع قليل) اى مايفترون لاجله اوماهم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب (ولهم عذاب اليم) فى الآخرة (وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك) اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر (من قبل) متعلق بحرمنا اوبقصصنا (وماظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث فعلوا ماعوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) بسببها اوملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره (ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على الانابة (ان ابراهيم كان امة) لكماله واستجماعه فضائله لاتكاد توجد الامتفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله وليس من الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد * وهو عليه السلام رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل

(اوتاتى بالله والملائكة قبيلا) مقابلة وعيانا فنراهم (اويكون لك بيت من زخرف) ذهب (اوترقى) تصعد (فى السماء) بسلم (ولن نؤمن لرقيك) لورقيت فيها (حتى تنزل علينا) منها (كتابا) فيه تصديقك (نقرؤه قل) لهم (سبحان ربى) تعجب (هل) ما (كنت الابشرا رسولا) كسائر الرسل ولم يكونوا يأتوا بآية الاباذن الله (وما منع الناس ان يؤمنوا اذجاءهم الهدى الا ان قالوا) اى قولهم منكرين (ابعث الله بشرا رسولا) ولم يبعث ملكا (قل) لهم (لوكان فى الارض) بدل البشر (ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) اذلا يرسل الى قوم رسول الامن جنسهم ليمكنهم مخاطبته والفهم عنه (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) على صدقى (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) عالما يطونهم وظواهرهم (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء) يهدونهم (من دونه ونحشرهم

مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة وتحريم ما احله اولانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده اواقتدى به فان الناس كانوا يؤمنونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله انى جاعلك للناس اماما (قانتا لله) مطيعا له قائما باوامره (حنيفا) مائلا عن الباطل (ولم يك من المشركين) كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم صلوات الله عليه (شاكر الانعمه) ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة (اجتباه) للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) فى الدعوة الى الله تعالى (وآتيناه فى الدنيا حسنة) بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقنى بالصالحين (ثم اوحينا اليك) يا محمد واما التعظيم والتنبيه على ان اجل ما اوتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام اتباع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ملته اولتراخى ايامه (ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه (وما كان من المشركين) بل كان قدوة الموحدين (انما جعل السبت) تعظيم السبت والتخلى فيه للعبادة (على الذين اختلفوا فيه) اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طائفة منهم وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله تعالى (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمجازاة على الاختلاف مجازاة كل فريق بما يستحقه (ادع) من بعثت اليهم (الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة (والموعظة الحسنة) الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم (وجادلهم) وجادل معانديهم (بالتى هى احسن) بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة

يوم القيامة) ماشين (على وجوههم عميا وبكما وصما مأراهم جهنم كلما خبت) سكن لهبها (زدناهم سعيرا) تلهبا واشتعالا (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا) منكرين للبعث (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا) يعلموا (ان الله الذى خلق السموات والارض) مع عظمهما (قادر على ان يخلق مثلهم) اى الاناسى فى الصغر (وجعل لهم اجلا) للموت والبعث (لاريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا) جحودا له (قل) لهم (لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى) من الرزق والمطر (اذا لأمسكتم) لبخلتم (خشية الانفاق) خوف نفادها بالانفاق فتقتروا (وكان الانسان قتورا) بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) واضحات وهى اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص الثمرات (فاسأل) يا محمد (بنى اسرائيل) عنه سؤال تقرير للمشركين

من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التى هى اشهر فان ذلك انفع فى تسكين لهبهم وتبين شغلهم (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) اى انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من شايعه بترك المحالفة ومراعاة العدل مع من ناصبهم فان الدعوة لاتنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح فى دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى حمزة وقد مثل به قال والله لئن اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجانى وليس له ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم فعاقبوا وتصريحا على الوجه الاكد بقوله (ولئن صبرتم لهو) اى الصبر (خير للصابرين) من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اولى الناس به لزيادة علمه ووثوقه عليه فقال (واصبر وماصبرك الا بالله) الا بتوفيقه وتثبيته (ولاتحزن عليهم) على الكافرين او على المؤمنين ومافعل بهم (ولاتك فى ضيق مما يمكرون) فى ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير فى ضيق بالكسر هنا وفى النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق (ان الله مع الذين اتقوا) المعاصى (والذين هم محسنون) فى اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية

(سورة بنى اسرائيل مكية وقيل الا قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الى آخر)
(ثمان آيات وهى مائة وعشر آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان الذى اسرى بعبده ليلا) سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال * قد قلت لما جاءنى فخره * سبحان من علقمة الفاخر * وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى

على صدقك او قتلنا اسأل وفى قراءة بلفظ الماضى (اذ جائهم فقال فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا) مخدوعا مغلوبا على عقلك (وقال لقد علمت ما انزل هؤلاء) الايات (الا رب السموات والارض بصائر) عبرا ولكنك تعاند وفى قراءة بضم التاء (وانى لاظنك يافرعون مثبورا) هالكا او مصروفا عن الخير (فاراد) فرعون (ان يستفزهم) يخرج موسى وقومه (من الارض) ارض مصر (فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة) اى الساعة (جئنا بكم لفيفا) جميعا انتم وهم (بالحق انزلناه) اى القرآن (وبالحق) المشتمل عليه (نزل) كما انزل لم يعتره تبديل (وما ارسلناك) يا محمد (الا مبشرا) من آمن بالجنة (ونذيرا) من كفر بالنار (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) نزلناه مفرقا فى عشرين سنة او وثلاث (لتقراه على الناس على مكث) مهل وتؤده ليفهموه

وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسرآء ولذلك قرئ من الليل اى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به (من المسجد الحرام) بعينه لماروى انه عليه الصلاة والسلام قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبرائيل بالبراق اومن الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد اولانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لماروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان نائما فى بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لى النبيون فصليت لهم ثم خرج الى المسجد الحرام واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر اليه وينعة لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبرهم ثم لم يؤمنوا وقالوا ماهذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف فى انه كان فى المنام اوفى اليقظة بروحه اوبجسده والاكثر على انه اسرى بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش منه واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة ان مابين طرفى قرص الشمس ضعف مابين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ثانية وقد برهن فى الكلام ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوفى يحمله والتعجب من لوازم المعجزات (الى المسجد الاقصى) بيت المقدس لانه حينئذ لم يكن وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار (لنريه من آياتنا) كذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء عليهم الصلاة والسلام له وقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم

(ونزلناه تنزيلا) شيأ بعد شئ على حسب المصالح (قل) للكفار مكة (آمنوا به اولا تؤمنوا) تهديد لهم (ان الذين اوتوا العلم من قبله) نزوله وهم مؤمنو اهل الكتاب (اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا) تنزيها له عن خلف الوعد (ان) مخففة (كان وعد ربنا) بنزوله وبعث النبى صلى الله عليه وسلم (لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون) عطف بزيادة صفة (ويزيدهم) القرآن (خشوعا) تواضعا لله وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يارحمن فقالوا اينهانا ان نعبد الهين وهو يدعوا لها آخر معه فنزل (قل) لهم (ادعوا الله او ادعوا الرحمن) اى سموه بايهما اونادوه بان تقولوا يا الله يارحمن (ايا) شرطية (ما) زائدة اى اى هذين (تدعوا) فهو حسن دل على هذا (فله) اى لمسماهما (الاسماء الحسنى) وهذان منها فانها كما فى الحديث الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس

تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء (انه هو السميع) لاقوال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (البصير) بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرآئيل ان لاتتخذوا) على ان لاتتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرأ ابو عمر وبالياء على لان لاتتخذوا (من دونى وكيلا) ربا تكلون اليه امورکم غيرى (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ ان لاتتخذوا بالتاء على النهى يعنى قلنا لهم لاتتخذوا من دونى وكيلا ياذرية من حملنا مع نوح او على انه احد مفعولى لاتتخذوا ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله ولايأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اوبدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم فى انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام فى السفينة (انه) ان نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) بحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام (وقضينا الى بنى اسرآئيل) واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا (فى الكتاب) فى التوراة (لتفسدن فى الارض) جواب قسم محذوف اوقضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم (مرتين) افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام (ولتعلن علوا) ولتستكبرون عن طاعة الله تعالى اولتظلمن الناس (فاذاجاء وعد اولاهما) وعيد عقاب اولاهما (بعثنا عليكم عبادا لنا) بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الخزرى وقيل سنجاريب من اهل نينوى (اولى بأس شديد) ذوى قوة وبطش فى الحرب شديد (فجاسوا) ترددوا طلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان (خلال الديار) وسطها للقتل والغارة قتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد عقابهم لابد ان يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) اى الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله تعالى فى قلب بهمن ابن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم

السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد المحصى المبدئ المعيد المحيى المميت الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الاحد الصمد القادر المقتدر المؤخر الاول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور رواه الترمذى

قال تعالى (ولاتجهر بصلاتك) بقراءتك فيها فيسمعك المشركون فيسبوا ويسبوا القرآن ومن انزله (ولاتخافت)

فرد اسراءهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود عليه السلام على جالوت فقتله (وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو (ان احسنتم احسنتم لانفسكم) لان ثوابها لها (وان اسأتم فلها) فان وبالها عليها وانما ذكر باللام ازدواجا (فاذا جاء وعد الآخرة) وعد العقوبة المرة الآخرة (ليسوؤا وجوهكم) اى بعثناهم ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائى بالنون وقرئ ليسوئن لنسوئن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوئن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام فى قوله (وليدخلوا المسجد) متعلق بمحذوف هو بعثناهم (كما دخلوه اول مرة وليتبروا) ليهلكوا (ماعلوا) ماغلبوه واستولوا عليه اومدة علوهم (تتبيرا) وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جؤذرذ وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ماصدقونى فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى ماتركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يايحيى قد علم ربى وربك ماأصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لاابقى احدا منهم فهدأ (عسى ربكم ان يرحمكم) بعد المرة الاخرى (وان عدتم) توبة اخرى (عدنا) مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فيقتل قريظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم فى الدنيا (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا لايقدرون على الخروج منها ابدا الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير (ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم) للحالة او الطريقة التى هى اقوم الحالات او الطرق (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا) وقرأ حمزة والكسائى يبشر بالتخفيف (وان الذين لايؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما) عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر

تسر (بها) ليتفع اصحابك (وابتغ) اقصد (بين ذلك) الجهر والمخافتة (سبيلا) طريقا وسطا (قل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك) فى الالوهية (ولم يكن له ولى) ينصره (من) اجل (الذل) اى لم يذل فيحتاج الى ناصر (وكبره تكبيرا) عظمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والذل وكل مالايليق به وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على انه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرده فى صفاته روى الامام احمد فى مسنده عن معاذ الجهنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول آية العز الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك الى آخر السورة والله تعالى اعلم * قال مؤلفه هذا آخر ماكملت به تفسير القرآن الكريم الذى الفه الشيخ الامام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلى

المؤمنين بشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم اوعلى يبشر باضمار يخبر (ويدع الانسان بالشر) و يدع الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله اويدعوه بمايحسبه خيرا وهوشر (دعاءه بالخير) مثل دعائه بالخير (وكان الانسان عجولا) يسارع الى كل مايخطر بباله لاينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لماانتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روى انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة رضى الله عنها فرحته لاينه فارخت اكتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال عليه السلام اللهم انما انا بشرفمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمة له فنزلت ويجوزان يريدبالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضربن الحارث اللهم انصر خيرالحزبين اللهم ان كان هذا هوالحق من عندك فامطرعلينا حجارة الآية فاجيب له فضرب عنقه يوم بدرصبرا (وجعلنا الليل والنهار آيتين) تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره (فمحونا آية الليل) اى الآية التى هى الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود (وجعلنا آية النهار مبصرة) مضيئة اومبصرة للناس من ابصره فبصر اومبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين اوجعلنا الليل والنهار ذوى ايتين ومحو آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النوراونقص نورها شيأ فشيأ الى المحاق وجعل اية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر الاشياء بضوئها (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتطلبوا فى بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم (ولتعلموا) باختلافهما او بحركتهما (عدد السنين والحساب) وجنس الحساب (وكل شئ) تفتقرون اليه فى امر الدين والدنيا (فصلناه تفصيلا) بيناه بيانا غير ملتبس (وكل انسان الزمناه طائره) عمله وماقدرله كانه طيرالية من عش الغيب ووكر القدر لماكانو يتيمنون و يتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعيرلما هو سبب الخيروالشر من قدرالله وعمل العبد (فى عنقه) لزوم الطوق فى عنقه (ونخرج له يوم القيامة كتابا) هى صحيفة عمله اونفسه المنتقشة باثار اعماله فان افعال الاختيارية تحدث فى النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لهم ملكات ونصبه بابه مفعول

الشافعى رضى الله عنه وقد افرغت فيه جهدى * وبذلت فكرى فيه فى نفائس اراها ان شاء الله تعالى تجدى والفته فى مدة قدر ميعاد الكليم * وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم * وهو فى الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل * وعليه فى الآى المتشابهة الاعتماد والمعول * فرحم الله امرأ نظر بعين الانصاف اليه * وقف فيه على خطا فأخلعنى عليه * وقد قلت

* حمدت الله ربى اذهدانى *
*لما ابديت مع عجزى وضعفى *
* فمن لى بالخطا فارد عنه *
*ومن لى بالقبول ولو بحرف *
هذا ولم يكن قط فى خلدى ان اتعرض لذلك * لعلمى بالعجز عن الخوض فى هذه المسالك * وعسى الله ان ينفع به نفعا جما * ويفتح به قلوبا غلفا واعينا عميا وآذانا صما * وكأنى بمن اعتاد المطولات وقد اضرب عن هذه التكملة واصلها جسما * وعدل الى صريح العناد ولم يوجه الى دقائقها

فهما * ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى رزقنا الله به هداية الى سبيل الحق وتوفيقا * واطلاعا على دقائق كلماته وتحقيقا وجعلنا به مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا (وفرغ) من تاليفه يوم الاحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة (وكان) ا لابتداء يوم الار بعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة وفرغ من تبييضه يوم الاربعاء سادس صفر سنة احدى وسبعين وثمانمائة والله اعلم

قال الشيخ شمس الدين محمد بن ابى بكر الخطيب الطوخى اخبرنى صديقى الشيخ العلامة كمال الدين المحلى اخو شيخنا الشيخ الامام جلال الدين المحلى رحمهما الله تعالى انه رأى اخاه الشيخ جلال الدين المذكور فى النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال

اوحال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ ويخرج اى الله تعالى (يلقاه منشورا) لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا (اقرأ كتابك) على ارادة القول (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) اى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضار بها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافى فوضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى ما ادعمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال اوجال او على تأويل النفس بالشخص (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) لاينجى اهتداؤه غيره ولا يردى ضلاله سواه (ولا تزر وازرة وزر اخرى) ولا تحمل نفس حاملة وزر اوزرت نفس اخرى بل انما تحمل وزرها (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع (واذا اردنا ان نهلك قرية) واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة (امرنا مترفيها) متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد فى العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله (ففسقوا فيها) كقولك امرأته فقرأ فانه لايفهم منه الامر بالقرآءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه التسبب له صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لايكون له مفعول منوى كقولهم امرته فعصانى وقيل معناه كثرنا يقال آمرت الشى وامرته فامر اذا كثرته وفى الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اى كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قرآءة يعقوب آمرنا ورواية امرناعن ابى عمرو و يحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اى جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور (فحق عليها القول) يعنى كلمة العذاب السابقة بحلوله اوبظهور معاصيهم او بانهماكهم فى المعاصى (فدمرناها تدميرا) اهلكناهم

باهلاك اهلها وتخريب ديارها (وكم اهلكنا) وكثيرا اهلكنا (من القرون) بيان لكم وتمييز له (من بعد نوح) كعاد وثمود (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها و تقديم الخبير لتقدم متعلقه (من كان يريد العاجلة) مقصورا عليها همه (عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان المر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه الله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله تعالى به ذلك وقيل الآية فى المنافقين وكانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم فى الغنائم ونحوها (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) مطرودا من رحمة الله تعالى (ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها) حقها من السعى وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهى عنه لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص (وهو مؤمن) ايمانا صحيحا لا شرك معه وتكذيب فانه العمدة (فاولئك الجا معون للشروط الثلاثة (كان سعيهم مشكورا) من الله تعالى اى مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله اثواب على الطاعة (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه (نمد) بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مدد السالفه (هؤلاء وهؤلاء) بدل من كلا (من عطاء ربك) من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا لا يمنعه فى الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال (وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) اى التفاوت فى الاخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته او لكل احد (فتقعد) فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشئ اذا عجز عنه (مذموما مخذولا) جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا (وقضى ربك) وامر امرا مقطوعا به (ان لا تعبدوا) بان لا تعبدوا (الا اياه) لان غاية التعظيم لا يحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعى الآخرة ويجوز

الدين السيوطى مصنف هذه التكملة وقد اخذ الشيخ هذه التكملة فى يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكوره ايهما احسن وضعى او وضعك فقال وضعى فقال انظر وعرض عليه مواضع فيها وكانه بشير الى اعتراض فيها بلطف ومصنف هذه التكملة كلما اورد عليه شيا يجيبة والشيخ جلال يتبسم ويضحك قال شيخنا الامام العلامة جلال الدين عبدالرحمن بن ابى بكر السيوطى مصنف هذه التكملة الذى اعتقده واجزم به ان الوضع الذى وضعه الشيخ جلال الدين المحلى رحمه الله تعالى فى قطعته احسن من وضعى انا بطبقات كثيرة كيف وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لا مرية عندى فى ذلك واما الذى رؤى فى المنام المكتوب اعلاه فلعل الشيخ اشار به الى المواضع القليلة التى خالفت وضعه فيها لنكتة هى يسيرة جدا ما اظنها

ان تكون ان مفسره ولا ناهية (وبالوالدين احسانا) وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه (اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما) اما ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيد اولذلك صح لحوق النون المؤكدة الفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة حمزة والكسائى من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا فى كنفه وكفالته (فلا تقل لهما اف) فلا تتضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذى هو اتضجر وهو مبنى على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه فى قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهى عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو فى صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهى والنهر والنهم اخوات (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا لاشراسة فيه (واخفض لهما جناح الذل) تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد فى قوله * وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذا صبحت بيد الشمال زمامها * للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضها مبالغة اوارادة جناحه كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واضافة الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول (من الرحمة) من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما (وقل رب ارحمهما) وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما (كما ربيانى صغيرا) رحمة مثل رحمتهما على وتربيتهما وارشادهما الى فى صغرى وفاء بوعدك للراحمين روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ابوى بلغا من الكبر انى الى منهما ما والى منى فى الصغر فهل

تبلغ عشرة مواضع منها أن الشيخ قال فى سورة ص والروح جسم لطيف يحيا به الانسان بنفوذه فيه وكنت تبعته اولا فذكرت هذا الحد فى سورة الحجر ثم ضربت عليه لقوله تعالى يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى الآية فهى صريحة او كالصريحة فى ان الروح من علم الله تعالى لا نعلمه فالامساك عن تعريفها اولى ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكى فى جمع الجوامع والروح لم يتكلم عليها محمد صلى الله عليه وسلم فتمسك عنها ومنها ان الشيخ قال فى سورة الحج الصابئون فرقة من اليهود فذكرت ذلك فى سورة البقرة وزدت فانه المعروف خصوصا او النصارى بيانا لقول ثان عند اصحابنا الفقهاء وفى المنهاج وان خالفت السامرة اليهود والصابئة النصارى فى اصل دينهم حرمن وفى شرحه ان الشافعى رضى الله عنه نص

قضيتهما حقهما قال لافانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما (ربكم اعلم بما فى نفوسكم) من قصد البر اليهما واعتقاد مايجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا (ان تكونوا صالحين) قاصدين للصلاح فانه كان للاوابين) للتوابين (غفورا) مافرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجانى على ابويه اندراجا اوليا لوروده على اثره (وآت ذا القربى حقه) من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذى القربى اقارب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا) بصرف المال فيما لاينبغى وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ماهذا السرف فقال افى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) امثالهم فى الشرارة فان التضييع والاتلاف شر واصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم فى الاسراف والصرف فى المعاصى روى انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم فى القمة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق فى القربات (وكان الشيطان لربه كفورا) مبالغا فى الكفر به فينبغى ان لايطاع (واما تعرضن عنهم) وان اعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لاينفعهم على سبيل الكناية (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذى هو قوله تعالى (فقل لهم قولا ميسورا) اى قل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم لميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله تعالى ورزقنا الله واياكم (ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط) تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذى هو الكرم (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير

على ان الصابئين فرقة من النصارى ولا استحضر الآن موضعا ثالثا فكان الشيخ رحمه الله تعالى يشير الى مثل هذا والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

م

(محسورا) نادما او منقطعا بك لاشئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر رضى الله تعالى عنه بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتاه صبى فقال ان امى تستكسيك درعا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل صلى الله تعالى عيه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة البالغة فليس مايرهقك من الاضاقة الالمصلحتك (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم مايخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولاتقبضوا كل القبض ولاتبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله تعالى (ولاتقتلوا اولادكم خشية املاق) مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال (نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا) ذنبا كبيرا لمافيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطئ الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو !مالغة فيه او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ فى قوله * تخاطأه القناص حتى وجدته * وخر طومه فى منقطع الماء راسب * وهو مبنى عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا (ولاتقربوا الزنى) بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه (انه كان فاحشة) فعلة ظاهرة القبح زائدته (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الايضاع المؤدى الى قطع الانساب وتهييج الفتن (ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا (ومن قتل مظلوما) غير مستوجب للقتل (فقد جعلنا لوليه) الذى يلى امره بعد وفاته وهو الوارث (سلطانا) تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من قتله او بالقصاص على القاتل فان قوله تعالى مظلوما يدل على ان القتل عمدا عدوان فان الخطأ

لايسمى ظلما (فلا يسرف) اى القاتل (فى القتل) بان يقتل من لايستحق قتله فان العاقل لايفعل مايعود عليه بالهلاك اوالولى بالمثلة اوقتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابى فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائى فلا تسرف على خطاب احدهما (انه كان منصورا) علة النهى على الاستئناف والضمير اما للمقتول فانه منصور فى الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفى الآخرة بالثواب واما لولية فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعاونته واما للذى يقتله اولى اسرافا بايجاب القصاص اوالتعزير والوزر على المسرف (ولاتقربوا مال اليتيم) فضلا عن ان تتصرفوا فيه (الا بالتى هى احسن) الا بالطريقة التى هى احسن (حتى يبلغ اشده) غاية لجواز التصرف الذى دل عليه الاستثناء (واوفوا بالعهد) بما عاهدكم الله من تكاليفه اوما عاهدتموه وغيره (ان العهد كان مسؤلا) مطلوبا يطلب من المعاهد ان يضيعه ويفى به اومسؤلا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه اويسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باى ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا (واوفوا الكيل اذا كلتم ولاتبخسوا فيه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى وهو رومى عرب ولايقدح ذلك فى عربية القرآن لان العجمى اذا استعمله العرب واجرته مجرى كلامهم فى الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزه والكسائى وحفص بكسر القاف هنا وفى الشعراء (ذلك خير واحسن تأويلا) واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع (ولاتقف) ولاتتبع وقرئ ولاتقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة (ماليس لك به علم) مالم يتعلق به علمك تقليدا اورجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا اوظنا واستعماله لهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمى وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج وقول الكميت * ولا ارمى البرى بغير ذنب * ولااقفوا لحواصن ان قفينا * (ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اى كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا اوان اولاء وان غلب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلتين جاء لغيرهم كقوله

والغيش بعد اولئك الايام (كان عنه مسؤلا) فى ثلاثتها ضمير كل اى كان كل واحدمنها مسؤلاً عن نفسه يعنى عما فعل به صاحبه ويجوزان يكون الضمير فى عنه لمصدر لاتقف اولصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل ومايقوم مقامه لايتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ الفؤاد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدلها بالفتح (ولاتمش فى الارض مرحا) اى ذامرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت (انك لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا لشدة وطئتك (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهى بان الاختيال حماقة مجردة لاتعود بجدوى ليس فى التذلل (كل ذلك) اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى لاتجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها المكتوبة فى الواح موسى عليه السلام (كان سيئه) يعنى المنهى عنه فان المذكورة مامورات ومنهيات وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى مانهى عنه خاصة وعلى هذا قوله (عند ربك مكروها) بدل من سيئة اوصفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن فى كان اوفى الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضى لامايقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادة الله تعالى (ذلك) اشارة الى الاحكام المتقدمة (اوحى اليك ربك من الحكمة) التى هى معرفة الحق لذاته والخير للعمل به (ولاتجعل مع الله الها آخر) كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لاقصد له بطل عمله ومن قصد بفعله اوتركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ماهو غائدة الشرك فى الدنيا وثانيا ماهو نتيجته فى العقبى فقال تعالى (فتلقى فى جهنم ملوما) تلوم نفسك (مدحورا) مبعدا من رحمة الله تعالى (افاصفاكم ربكم بالبنين) خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) بناتا لنفسه هذا خلاف ماعليه عقولكم وعادتكم

(انكم لتقولون قولا عظيما) باضافة الاولاد اليه وهى خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضل انفسكم عليه حيث تجعلون له ماتكرهون ثم يجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم (ولقدصرفنا) كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير (فى هذا القرآن) فى مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه بتقدير ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف (ليذكروا) ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الفرقان ليذكروا من الذاكر الذى هو بمعنى التذكر (ومايزيدهم الانفورا) عن الحق وقلة طمانينة اليه (قل لوكان معه آلهة كما تقولون) ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفى مابعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وابوعمرو وابوبكر ويعقوب فى الثانية على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ان يخاطب به المشركين والثانية ممانزه به نفسه عن مقالتهم (اذالابتغوا الى ذى العرش سبيلا) جواب عن قولهم وجزآء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة (سبحانه) تنزه تنزيها (وتعالى عمايقولون علوا) تعاليا (كبيرا) متباعدا غاية البعد عمايقولون فانه فى اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص مايمتنع بقاؤه (تسبح له السموات والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده) ينزهه مما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذى به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى مايتصور منه اللفظ والى مالايتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابو بكر يسبح بالياء (انه كان حليما) حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم (غفورا) لمن تاب منكم (واذا قرأت القرآن) جعلنا بينك و بين الذين

(لايؤمنون بالآخرة حجابا) يحجبهم عن فهم ماتقرأه عليهم (مستورا) ذاستر كقوله تعالى وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم اومستورا عن الحس اوبحجاب اخر لايفهمون ولايفهمون انهم لايفهمون نفى عنهم ان يفهموا ماانزل عليهم من الآيات بعد مانفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة فى الانفس والافاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح بقوله (وجعلنا على قلوبهم اكنة) تكنهما وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله (ان يفقهوه) كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اى منعناهم ان يفقهوه (وفى اذانهم وقرا) بمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه مايمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ (واذاذكرت ربك فى القرآن وحده) واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع الموقع الحال واصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده (ولواعلى ادبارهم نفورا) هربا من اسماع التوحيد ونفرة اوتولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود (نحن اعلم بمايستمعون به بسببه ولاجله من الهزؤ بك وبالقرأن (اذ يستمعون اليك) ظرف لاعلم وكذا (واذهم نجوى) اى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم يستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذو ونجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجى (اذيقول الظالمون ان تتبعون الارجلا مسحورا) مقدر باذكراويدل من اذهم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذامن باب الظلم والمسحور هو الذى سحربه فزال عقله وقيل الذى له سحر وهو الرئة اى الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم (انظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون (فضلوا) عن الحق فى جميع ذلك (فلايستطيعون سبيلا) الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير فى امره لايدرى مايصنع اوالى الرشاد (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) وحطاما (أئنا لمبعوثون خلقا جديد) على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحى ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل فى اذاما دل عليه مبعوثون لانفسه لان مابعد ان لايعمل فيما قبلها وخلقا مصدر اوحال (قل) جوابا لهم (كونوا حجارة اوحديدا اوخلقا مما يكبر فى صدوركم

اى مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعالى لاتقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام فى قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشئ اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد (فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة) وكنتم ترابا وماهوا بعد منه من الحياة (فسينغضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء (ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا) فان كل ماهو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اى يكون فى زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر (يوم يدعوكم فتستجيبون) اى يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزآء (بحمده) حال منهم اى حامدين لله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك اومنقادين لبعثه انقاد الحامدين عليه (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور كالذى مر على قرية اومدة حياتكم لما ترون من الهول (وقل لعبادى) يعنى المؤمنين (يقولوا التى هى احسن) الكلمة التى هى احسن ولايخاشنوا المشركين (ان الشيطان ينزغ بينهم) يهيج بينهم المرآء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضى الى العناد وازدياد الفساد (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة (ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم) تفسير للتى هى احسن ومابينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولاتصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لايعلمه الا الله (وما ارسلناك عليهم وكيلا) موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم وروى ان المشركين افرطوا فى ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقل شتم عمر رضى الله عنه رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو (وربك اعلم بمن فى السموات والارض) باحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهورد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابى طالب وان يكون العراة الجوع اصحابه (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية والتبرء عن العلائق الجسمانية لابكثرة الاموال والاتباع

حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتيه من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقوله (وآتينا داود زبورا) تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء عليه الصلوة والسلام وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب فى الزبور من ان الارض يرثها عبادى الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه فى قوله كتبنا فى الزبور لانه فى الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس او الفضل اولان المراد وآتينا داود بعض الزبور او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام (قل ادعوا الذين زعمتم) انها آلهة (من دونه) كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام (فلا يملكون) فلا يستطيعون (كشف الضر عنكم) كالمرض والفقر والقحط (ولا تحويلا) ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة (ايهم اقرب) بدل من واو يبتغون اى يبتغى من هو اقرب منهم الى الله تعالى الوسيله فكيف بغير الاقرب (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كسائر العباد فكيف تزعمون انهم الهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) بالموت والاستئصال (او معذبوها عذابا شديدا) بالقتل وانواع البلية (كان ذلك فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا (وما منعنا ان نرسل بالايات) وما صرفنا عن ارسال الآيات التى اقترحها قريش (الا ان كذب بها الاولون) الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم فى الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال (وآتينا ثمود الناقة) بسؤالهم (مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوى بصائر وقرئ بالفتح (فظلموا بها) فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها (وما نرسل بالآيات) اى بالآيات المقترحة (الا تخويفا) من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة او فى موقع الحال والمفعول محذوف

(واذقلنالك) واذكر اذاوحينااليك (ان ربك احاط بالناس) فهم فى قبضة قدرته اواحاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعه بدر والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه (وماجعلنا الرؤيا التى اريناك) ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان فى المنام ومن قال انه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية اوعام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية الاان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولما روى انه عليه السلام لما ورد ماءه قال لكانى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بنى امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هذا حظهم من الدنيا يعطونهم باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله (الا فتنة للناس) ماحدث فى ايامهم (والشجرة الملعونة فى القرآن) عطف على الرؤيا وهى شجرة الزقوم لما اسمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمى ويرالسمندر من ان تأكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التى تبتلعها قدر ان يخلق فى النار شجرة لاتحرقها ولعنها فى القرآن لعن طاعميها ووصفت به على المجاز للمبالغة اووصفها بانها فى اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة اوبانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابى جهل والحكم بن ابى العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك (ونخوفهم) بانواع التخويف (فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا) الا عتوا مجاوز الحد (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين اومنه اى اسجدله واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار (قال ارأيتك هذا الذى كرمت على) الكاف لتأكيد الخطاب لامحل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرنى عن هذا الذى كرمته على بامرى بالسجود له لم كرمته على (لئن اخرتن الى يوم القيامة) كلام مبتدأ واللام اموطئة للقسم وجوابه (لاحتنكن ذريته

الاقليلا) اى لاستأصلنهم بالاغواء الاقليلا لااقدر على ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذاجرد ماعليها اكلا ماخوذا من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير اوتفرسا من خلقه ذاوهم وشهوة وغضب (قال اذهب) امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ماسولت له نفسه (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) جزاؤك جزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات (جزاء موفورا) مكملا من قولهم فرلصاحبك عروضه فرة وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله اوبما فى جزاؤكم من معنى تجازون اوحال موطئة لقوله موفورا (واستفزز) واستخف (من استطعت منهم) ان تستفزه والفز الخفيف (بصوتك) بدعائك الى الفساد (واجلب عليهم) وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح (بخيلك ورجلك) باعوانك من راجل وراكب والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ياخيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغوية بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص رجلك بالكسر وقرئ بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك (وشاركهم فى الاموال) بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على مالاينبغى (والاولاد) بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبدالعزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة (وعدهم) المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطا بمايوهم انه صواب (ان عبادى) يعنى المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد فى قوله الاعبادك منهم المخلصين بخصصهم (ليس لك عليهم سلطان) اى على اغوائهم قدرة (وكفى بربك وكيلا) يتوكلون به فى الاستعاذة منك على الحقيقة (ربكم الذى يزجى) هو الذى يجرى (لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله) الربح وانواع امتعة التى لاتكون عندكم (انه كان بكم رحيما) حيث هيألكم ماتحتاجون اليه وسهل

عليكم ماتعسر من اسبابه (واذا مسكم الضر فى البحر) خوف الغرق (ضل ماتدعون) ذهب عن خواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم (الا اياه) وحده فانكم حينئذ لا يخطر لكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه من اغاثتكم الا الله (فلما نجاكم) من الغرق (الى البر اعرضتم) عن التوحيد وقيل اتسعتم فى كفران النعمة كقول ذى الرمة * عطاء فتى تمكن فى المعالى * فاعرض فى المكارم واستطالا * (وكان الانسان كفورا) كالتعليل للاعراض (أفامنتم) الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم فى البحر بالغرق قادر ان يهلككم فى البر بالخسف وغيره (ان يخسف بكم جانب البر) ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفى الاربعة التى بعده وفى ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات فى قدرته سواء معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك (او يرسل عليكم حاصبا) ريحا تحصب اى ترمى بالحصباء (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله (ام أمنتم ان يعيدكم فيه) فى البحر (تارة اخرى) بخلق دواعى تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) لا تمر بشئ الا قصفته اى كسرته (فيغرقكم) وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح (بما كفرتم) بسبب اشراككم وكفرانكم نعمة الانجاء (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف (ولقد كرمنا بنى آدم) بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدى الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على مافى الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى مايعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ماذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده (وحملناهم فى البر والبحر) على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء (ورزقناهم من الطيبات) المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم

(وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف (يوم ندعوا) نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعوا ويدعى ويدعوا على قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعوا وعلى ان الواو علامة الجمع كما فى قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهى قد تقدر كما فى يدعى (كل اناس بامامهم) بمن ائتموا به من نبى او مقدم فى الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التى قدموها فيقال ياصاحب كتاب كذا اى تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنى (فمن اوتى) من المدعوين (كتابه بيمينه) اى كتاب عمله (فاولئك يقرؤن كتابهم) ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتى فى معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتى كتابه بشماله اذا اطلع على مافيه غشيهم من الخجل والحيرة مايحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله (ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى) ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان فى الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة (واضل سبيلا) منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الالة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسطة فى اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد اماله حمزة والكسائى وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما (وان كادوا ليفتنونك) نزلت فى ثقيف قالوا لا ندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نحنى فى صلاتنا وكل ربا لنا

فهو لنا وكل رباعلينا فهو موضوع عنا وان نمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى وقيل فى قريش قالوا لانمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا ويتسها بيدك وان هى المخففه واللام هى الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك بالفتنة بالاستنزال (عن الذى اوحينا اليك) من الاحكام (لتفترى علينا غيره) غيرما اوحينا اليك (واذا لاتخذوك خليلا) ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتنانك وليا لهم بريئا من ولايتى (ولولا ان ثبتناك) ولولا تثبيتنا اياك (لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم وللمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليهم وهو صريح فى انه عليه السلام ماهم باجابتهم مع قوة الداعى اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه (اذا لاذقناك) اى لو قاربت لاذقناك (ضعف الحياة وضعف الممات) اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف مايعذب به فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطر الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر (ثم لاتجد لك علينا نصيرا) يدفع العذاب عنك (وان كادوا) وان كاد اهل مكة (ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض) ارض مكة (ليخرجوك منها واذا لايلبثون خلفك) ولو خرجت لايبقون بعد خروجك (الاقليلا) الازمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته وقيل الاية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلى بنى النضير بقليل وقرئ لايلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لاعلى خبر كاد فان اذا لايعمل اذا كان معتمدا مابعدها على ماقبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وبعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال * عفت الديار خلافهم فكانما * بسط الشواطب بينهن حصيرا (سنة من قد ارسلنا

قبلك من رسلنا) نصب على المصدر اى سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل عليهم السلام لانها لاجلهم ويدل عليه (ولا تجد لسنتنا تحويلا) اى تغييرا (اقم الصلاة لدلوك الشمس) لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام اتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا يستقر يده وكذا كل ماتركب من الدال واللام كدلح ودلج ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها فى لثلاث خلون (الى غسق الليل) الى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الاخيرة (وقرآن الفجر) وصلاة الصبح سميت قرآنا لانه ركنه كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القرآءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقرآءة فى صلاة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفى غيرها قياسا (ان قرآن الفجر كان مشهودا) يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبديل الظلمة بالضياء والنوم الذى هو اخ الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلاة الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق (ومن الليل فتهجد به) وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن (نافلة لك) فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق فى كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابوهريرة رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال هو المقام الذى اشفع فيه لامتى ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وماذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعلة اى فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام (وقل رب ادخلنى) اى فى القبر (مدخل صدق) ادخالا مرضيا (واخرجنى) اى منه عند البعث (مخرج صدق) اخراجا

ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخال مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة اخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله فى كل مابلايسه من مكان اوامر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلنى فادخل دخولا واخرجنى فاخرج خروجا (وجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرنى على من خالفنى اوملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخفنهم فى الارض (وقل جاء الحق) الاسلام (وزهق الباطل)وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج (ان الباطل كان زهوقا) مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكث بمحضرته فى عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال ياعلى ارم به فصعد فرمى به وكسره (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين) ماهو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدوآء الشافى للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى انه منه مايشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف (ولا يزيد الظالمين الا خسارا) لتكذيبهم وكفرهم به (واذا انعمنا على الانسان)بالصحة والسعة (اعرض) عن ذكر الله (ونأى بجانبه) لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفى فصلت وناء على القلب اوعلى انه بمعنى نهض (واذا مسه الشر) من مرض اوفقر (كان يؤوسا) شديد اليأس من روح الله (قل كل يعمل على شاكلته) قل كل احد يعمل على طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة اوجوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه (فربكم اعلم بمن هواهدى سبيلا) اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين (ويسألونك عن الروح) الذى يحيى به بدن الانسان ويدبره (قل الروح من امر ربى) من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده اووجد

بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال من قدمه وحدوثه وقيل مما استاثره الله بعلمه لما روى ان اليهود قالو لقريش سلو عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها اوسكت فليس بنبى وان اجاب عن بعض وسكن عن بعض فهو بنى فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التوراة وقيل الروح جبريل عليه السلام وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربى معناه من وحيه (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لايدركه الحس ولاشيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى الروح مما لايمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلهذا اقتصر على هذا الجواب كما اقتصره موسى فى جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روى انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التى لانهاية لها قيل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير (ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك) اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزآء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور (ثم لاتجد لك به علينا وكيلا) من يتوكل علينا استرداده مستورا محفوظا (الا رحمة من ربك) فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا ابقائه بعد المنة فى تنزيله (ان فضله كان عليك كبيرا) كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه فى حفظه (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى (لايأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولاهى لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا

كقول زهير * وان اتاه خليل يوم مسئلة * يقول لاغائب مالى ولا حرم
(ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا) ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله
لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لايخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا
وسائط فى اتيانه ويجوزان تكون الآية تقريرا لقوله ثم لاتجد لك به علينا
وكيلا (ولقد صرفنا) كرر بوجوه مختلفة زيادة فى التقرير والبيان
(للناس فى هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته
ووقوعه موقعا فى الانفس (فابى اكثر الناس الا كفورا) الاجحودا وانما جاز
ذلك ولم يجز ضربت الازيدا لانه متاول بالنفى (وقالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا من الارض ينبوعا) تعنتا واقتراحا بعد مازمتهم الحجة ببيان اعجاز
القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون و يعقوب تفجر
بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لاينصب ماؤها يفعول
من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر (او تكون لك جنة من نخيل وعنب
فتفجر الانهار خلالها تفجيرا) او يكون لك بستان يشتمل على ذلك
(او تسقط السماء كما زعمت كسفا من السماء) يعنون قوله تعالى او نسقط
عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمر
وحمزة والكسائى ويعقوب فى جميع القرآن الا فى الروم وابن عامر الا فى هذه
السورة وابو بكر ونافع فى غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من
المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن بمعنى المطحون (او تأتى الله
والملائكة قبيلا) كفيلا بما تدعيه اى شاهدا على صحته ضامنا لدركه
او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة
لدلالتها عليها كما حذف الخبر فى قوله * ومن يك امسى بالمدينة رحله *
فانى وقيارها لغريب * او جماعة فيكون حالا من الملائكة (او يكون لك
بيت من زخرف) ذهب وقد قرئ به واصله الزينة (او ترقى فى السماء)
فى معارجها (ولن نؤمن لرقيك) وحده (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه)وكان
فيه تصديقك (قل سبحان ربى) تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من
ان يأتى او يتحكم عليه او يشاركه احد فى القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر
قال سبحان اى قال الرسول (هل كنت الا بشرا) كسائر الناس (رسولا) كسائر
الرسل وكانوا بى لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على مايلائم حال
قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى

تخيرونها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر فى آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا (ومامنع الناس ان يؤمنوا اذجاءهم الهدى) اى ومامنعهم الايمان بعد نزول الوحى وظهور الحق (الاان قالوا ابعث الله بشرا رسولا) الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والقران الا انكارهم ان يرسل الله بشرا (قل) جوابا لشبهتهم (لوكان فى الارض ملائكة يمشون) كما يمشى بنوا آدم (مطمئنين) ساكنين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) لتمكنهم من اجتماع به والتلقى منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) على انى رسول الله اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواى اوعلى انى بلغت ماارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيد انصب على الحال اوالتمييز (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتهديد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه) يهدونه (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) يسحبون عليها اويمشون بها روى انه وقيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادران يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) لايبصرون مايقر اعينهم ولا يسمعون مايلذ مسامعهم ولا ينطقون بمايقبل منهم لانهم فى دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوه بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفى القوى والحواس (مأواهم جهنم كلما خبت) سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم (زدناهم سعيرا) توقدا بان تبدل جلودهم ولحومهم فتعود متلهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء واليه اشار بقوله (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) لان الاشارة الى ماتقدمه من عذابهم (اولم يروا) اولم يعلموا (ان الله الذى خلق السموات

والارض قادر على ان يخلق مثلهم) فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابتداء (وجعل لهم اجلا لاريب فيه) هو الموت او القيامة (فأبى الظالمون) مع وضوح الحق (الا كفورا) الاجحودا (قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى) خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره مابعده كقول حاتم * لوذات سوار لطمتنى * وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص (اذن لامسكتم خشية الانفاق) ليختلم مخافة النفاد بالانفاق اذلا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا او ان البخلاء اغلب فيهم (وكان الانسان قتورا) بخيلا لان بناء امر على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنها فقال ان لاتشركوا بالله شيئا ولاتسرفوا ولاتزنوا ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولاتسحروا ولاتأكلوا الربا ولاتمشوا ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولاتقذفوا محصنة ولاتفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات الاحكام العامة للملل الثابتة فى كل شرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها فى الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام (فاسئل بنى اسرائيل اذ جاءهم) فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن ايمانهم وحال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسأل على لفظ المضى بغير الهمزة وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فاسئل يامحمد بنى اسرائيل عما جرى بين موسى عليه السلام وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوه لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار يخبرونك على انه جواب

الامر اوباضمار اذكر على الاستئناف (فقال له فرعون انى لأظنك ياموسى مسحورا) سحرت فتخبط عقلك (قال لقد علمت) يافرعون وقرأ الكسائى بالضم على اخباره عن نفسه (ماانزل هؤلاء) يعنى الآيات (الا رب السموات والارض بصائر) بينات تبصرك صدقى ولكنك تعاندوانتصابه على الحال (وانى لاظنك يافرعون مثبورا) مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ماثبرك عن هذا اى ماصرفك اوهالكا قارع ظنه بظنه وشتان مابين الظنين فان ظن فرعون كذب محض وظن موسى عليه السلام يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يافرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هى الفارقة (فاراد) فرعون (ان يستفزهم) ان يستخف موسى عليه السلام وقومه وينفيهم (من الارض) ارض مصر اوالارض مطلقا بالقتل والاستئصال فاغرقناه ومن معه جيعا) فعكسنا عليه مكره وستفززناه وقومه بالاغراق (وقلنا من بعده) من بعد فرعون واغراقه (لبنى اسرائيل اسكنوا الارض) التى اراد ان يستفزكم منها (فاذاجاء وعد الآخرة) الكرة اوالحياة اوالساعة اوالدار الآخرة يعنى قيام القيامة (جئنابكم لفيفا) مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) اى ومانزلنا القرآن الاملتبسا بالحق المقتضى لانزاله ومانزل الاملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه وقيل ومانزلناه من السماء الامحفوظا بالرصد من الملائكة ومانزل على الرسول الامحفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفى اعتراء البطلان له اول الامر وآخره (ومارسلناك الامبشرا) للمطيع بالثواب (ونذيرا) للعاصى من العقاب فلاعليك الا التبشير والانذار (وقرآنا فرقناه) نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما فى قوله ويوم شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل فى تضاعيف عشرين سنة (لتقرأه على الناس على مكث) على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون فى الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به اولا تؤمنوا) فان ايمانكم بالقرآن لايزيده كمالا وامتناعكم عنه لاينقصه نقصانا وقوله (ان الذين اوتوا العلم من قبله) تعليل له اى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل اورأوا نعتك وصفة مانزل اليك فى تلك الكتب

ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكثرت بايمانهم واعراضهم (اذا يتلى عليهم) القرآن يخرون للاذقان سجدا) يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله اوشكرا لانجازه وعده فى تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه (ويقولون سبحان ربنا) عن خلف الوعد (ان عذاب وعد ربنا لمفعولا) انه كان وعده كائنا لامحالة (ويخرون للاذقان يبكون) كرره لاختلاف الحال اولسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول مايلق الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به (ويزيدهم) سماع القرآن (خشوعا) لما يزيدهم علما ويقينا بالله (قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن) نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول ياالله يارحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله فى التوراة فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو باعتبار الذات الذى هو المعبود وعلى الثانى انهما سيان فى حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجوب لقوله (ايا ماتدعوا فله الاسماء الحسنى) والدعاء فى الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين فى ايا عوض عن المضاف اليه وماصلة لتأكيد مافى ايا من الابهام والضمير فى فله للمسمى لان التسمية له لااللاسم وكان اصل الكلام ايا ماتدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله اسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ماهو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام (ولاتجهر بصلاتك) بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها (ولاتخافت بها) حتى لاتسمع من خلفك من المؤمنين (وابتغ بين ذلك سبيلا) بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد فى جميع الامور محبوب روى ان ابابكر رضى الله تعالى عنه كان يخفت ويقول اناجى ربى وقد علم حاجتى وعمر رضى الله تعالى عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابابكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا معناه لاتجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها

باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك) فى الالوهية (ولم يكن له ولى من الذل) ولى يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له مايشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا ومايعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذى يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وماعداه ناقص مملوك نعمة اومنعم عليه ولذلك عطف عليه قوله (وكبره تكبيرا) وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ فى التنزيه والتمجيد واجتهد فى العبادة والتحميد ينبغى ان يعترف بالقصور عن حقه فى ذلك * روى انه عليه الصلاة والسلام اذا فصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

(تم طبع الجلد الاول و يليه الجلد الثانى ان شاء الله تعالى)

(فهرست جلد اول من تفسير القاضى)

سوره		صحيفه
	جزء الاول	٠٠٣
١	سورة فاتحة مكية وهى سبعة آيات	٠٠٣
٢	سورهٔ بقره	٠١٣
	الجزؤ الثانى	١١٨
	الخزؤ الثالث	١٧٣
	آية الكرسى	١٧٤
٣	سورة آل عمران	١٩٢
	الجزؤ الرابع	٢١٩
٤	سورة النساء	٢٥٥
	الجزؤ الخامس	٢٦٨
	الجزؤ السادس	٣١٣
٥	سورة المائده	٣٢١
	الجزؤ السابع	٣٥٣
٦	سورة الانعام	٣٦٩
	الجزؤ الثامن	٣٩٧
٧	سورة الاعراف	٤١٣
	الجزؤ التاسع	٤٣٥
	سجدهٔ اول	٤٦٢
٨	سورة الانفال	٤٦٣
	الجزؤ العاشر	٤٧٦
٩	سورة التوبه	٤٨٧
	الجزؤ الحادى عشر	٥١٦
١٠	سورة يونس	٤٢٧
١١	سورة هود	٥٥٣
	الجزؤ الثانى عشر	٥٥٤
١٢	سورة يوسف	٥٨٣
	الجزؤ الثالث عشر	٥٩٩

١٣ سورة الرعد	٦١٣
سجدهٔ ثانيه	٦١٩
١٤ سورة ابراهيم	٦٢٧
١٥ سورة حجر	٦٤٣
الجزؤ الرابع عشر	٦٤٣
١٦ سورة نحل	٦٥٦
سجدهٔ ثالثه	٦٦٨
الجزؤ الخامس عشر	٦٨٧
١٧ سورة اسرى	٦٨٧
سجدهٔ رابعه	٧١٥